حاشية العلامة الصاوي

على

تفسير الجلالين

جلال الدين المحلي (ت: ٨٦٤هـ) — جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)

تأليف

العالم العلامة العارف بالله تعالى

الشيخ أحمد بن محمد الصاوي الخلوتي

(١١٧٥ - ١٢٤١هـ)

حققت على نسخ خطية نفيسة

ومطبوعة قديمة سليمة من التحريف والتبديل

شرف بخدمتها
مرعي حسن الرشيد

راجعها وقدم لها
الدكتور عبد القادر الحسين

الجزء السابع

سورة الحشر - سورة الناس

دار تحقيق الكتاب
للطباعة والنشر والتوزيع

حاشية العلامة الصاوي

على

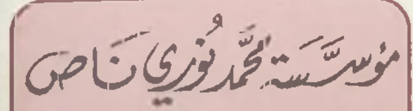
تفسير الجلالين

٧

دار تحقيق الكتاب

الكتاب: حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين.
المؤلف: أحمد الصاوي، جلال الدين المحلي، جلال الدين السيوطي.
تحقيق: مرعي الرشيد
الناشر: دار تحقيق الكتاب
عدد الصفحات: 573 (المجلد السابع)
سنة الطباعة: 2024
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الأولى (لونان، ورق شاموا)

Title: Ḥāshiyat al-Ṣāwī ʻalá Tafsīr al-Jalālayn
Autor: Aḥmad Ṣāwī, Ǧalāl-ad-Dīn Maḥallī, Ǧalāl-ad-Dīn Suyūṭī,
Editor: Marʻī al-Rashīd
Publisher: Dar Tahkik Al Kitab
Pages: 573 (vol.7)
Year: 2024
Printed in: Lebanon
Edition: 1



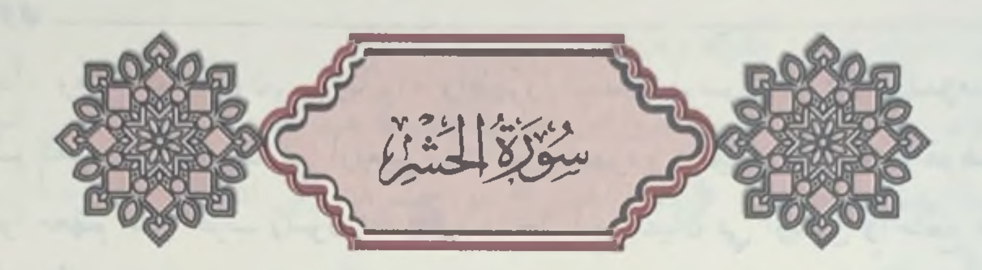
DAR TAHKIK AL KITAB
Büyük Reşit Paşa Caddesi Yümni İş Merkezi
No:16/B D:8 Vezneciler/Fatih/İstanbul/Turkey : +9 (0212)5190979
Merkez :1.Cadde No:66 MİDYAT/MARDİN : +9 (0482)4622775
www. tahkikalkitab.com : info@tahkikalkitab.com


ISBN 978-9933-638-15-3
9 789933 638153

Dar Tahkik Al Kitab, Nursabah Yayıncılık
Matbaacılık Ltd.Şti'nin Tescilli Markasıdır
دار تحقيق الكتاب هي دار تابعة لمؤسسة دار نور الصباح


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ....



مَدنيَّة، أربعٌ وعشرونَ آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: نَزَّهَهُ، فاللَّامُ مَزِيدة، وفي الإتيانِ

حاشية الصاوي

سُورَةُ الحَشْرِ

وتُسمَّى سورةَ النَّضير.

قوله: (مدنيَّة) أي: في قول الجميع، روى ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن قرأ سورة الحشر لم يَبْقَ شيءٌ من الجنَّة والنَّار، والعرش والكرسي، والسماوات والأرض، والهوامِّ والريح والسحاب والطير والدَّواب والشجر والجبال والشمس والقمر والملائكة.. إلا صَلَّوا عليه، واستغفرُوا له، فإن مات مِن يومه وليلته.. مات شهيداً»[١].

وروى الترمذي عن مَعقل بن يسار: قال رسول الله ﷺ: «**مَن قال حين يُصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخِر سورة الحشر.. وكَّل الله به سبعين ألف ملَك يُصلُّون عليه حتى يُمسي، وإن مات من يومه.. مات شهيداً، ومَن قرأها حين يمسي.. فكذلك**»[٢].

قوله: (﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾) قال المفسِّرون: نزلت في بني النضير، وذلك أنَّ النبي ﷺ حين دخل المدينة في مبادئ الهجرة، صالحه بنُو النضير على ألَّا يكونُوا عليه ولا معه، فلمَّا غزا بدراً، وظهَر على المشركين.. قالوا: هو النبي الذي نعته في التوراة، لا تُرَدُّ له رايةٌ،

(١) رواه الثعلبي بسنده في «تفسيره» (٩/ ٢٦٦).

(٢) «سُنن الترمذي» (٢٩٢٢).

بِـ(ما) تَغلِيبٌ لِلأكثَرِ، ....

حاشية الصاوي

فلمَّا غزا أُحُداً، وهُزِمَ المسلمون.. ارتابُوا، وأظهَرُوا العداوة لرسول الله ﷺ وللمؤمنين، ونقضُوا العهد، ورَكب كعب بن الأشرف في أربعين راكباً من اليهود، فأتَوْا قريشاً، فحالَفوهم وعاقدوهم على أن يكونُوا معهم على حرب رسول الله ﷺ، ودخل أبو سفيان في أربعين واجتمَع مع كعب عند الكعبة، وأخذ بعضُهم على بعضٍ الميثاقَ.

ثمَّ رجع كعبٌ وأصحابه إلى المدينة، فأخبر الله النبيَّ بذلك، وأَمَرَ النبيُّ ﷺ بقتل كعب بن الأشرَف، فدخل عليه محمد بن مَسلمة ومعه أربعة من الأوس، فقتَلُوه في حِصنه غِيلَةً، فألقى الله الرعبَ في قُلوب بني النضير، وكان قتلُهُ في ربيع الأول من السنة الثالثة، وكانت غزوةُ بني النضير في ربيع الأول من السنة الرابعة، وكانُوا بقريةٍ يُقال لها: زهرة، على مِيلَين من المدينة.

فلمَّا سار إليهم رسول الله.. وجَدهم يَنُوحون على كعب بن الأشرف، فقالُوا له: يا محمد؛ ذَرْنَا نبكي شَجْوَنَا، ثم ائتَمر أمْرَكَ، فقال النبي ﷺ: «اخرجُوا من المدينة»، فقالوا: الموتُ أقرَبُ إلينا من ذلك، ثمَّ تنادَوْا بالحرب، ودسَّ المنافقون ـ عبدُ الله بن أبيٍّ وأصحابُهُ ـ إليهم ألَّا يخرجُوا من الحِصن، فإن قاتَلوكم.. فنحن معكم، ولا نخذلكم، ولَنَنْصُرنَّكم، ولئن أُخْرِجْتُم لَنَخرُجنَّ معكم.

ثمَّ إنهم أجمعُوا على الغدر برسول الله ﷺ، فأرسلُوا إليه أن اخرُج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابِك، وليخرج منَّا ثلاثون حتى نَلتقي بمكانٍ نصفٍ بيننا وبينك، فيَسمعون منك؛ فإن صدَّقوك وآمنُوا بك.. آمنَّا، فخَرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه، وخرج ثلاثون حَبْراً منهم حتى كانُوا في بَرازٍ من الأرض، قال بعضُ اليهود لبعض: كيف تتخلَّصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه كلٌّ يحبُّ الموت قبله؟ ولكن أرسِلُوا إليه: كيف نَفهم ونحن سِتون؟ اخرُج في ثلاثة من أصحابك، ويخرج إليك ثلاثة من عُلمائنا، فيَسمعون منك، فإن آمنُوا بك.. آمنَّا، فخرج رسول الله ﷺ في ثلاثةٍ من أصحابه، وخرج ثلاثةٌ من اليهود معهم الخناجِر، وأرادُوا الفَتْكَ برسول الله ﷺ، فأخبره الله بذلك، فرَجع النبي ﷺ.

فلمَّا كان من الغد.. غزا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب، فحاصرَهم إحدى وعشرين ليلةً، فقذف الله في قُلوبهم الرُّعبَ، وأَيِسُوا من نصر المنافقين الذين عاهدُوهم، فقالُوا لرسول الله ﷺ: الصُّلْحَ، فأبى عليهم إلا أن يخرجُوا من المدينة على ما يَأمرهم به، فقبلُوا ذلك، فصالَحهم

وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في مُلكِه وصُنعِه.

﴿٢﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ هُم بَنُو النَّضِير مِن اليَهُود، ﴿مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾: مَساكِنِهم بِالمَدِينة، ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ هو حَشرُهُم إلى الشَّام، وآخِرُه أنْ جَلاهُم عُمَرُ في خِلافَتِه إلى خَيبَر، ....

حاشية الصاوي

على الجلاء، وعلى أنَّ كلَّ أهل بيتٍ يحمل على بعيرٍ ما شاؤُوا مِن متاعهم ما عدا السلاحَ، ففعلُوا ذلك وخرَجُوا من المدينة إلى الشام، إلى أذرعات وأريحاء، إلا أهل بيتَين من آل الحُقَيقِ وآل حُيَيٍّ بن أخطب؛ فإنَّهم لحقُوا بِخَيبر، ولحقت طائفةٌ بالحيرة، ولم يُسلِم من بني النضير إلا رَجلان: سفيان بن عمير، وسعد بن وهب، فأحرَزا مَالَهُمَا[١].

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾) الجملة حالٌ من لَفظ الجلالة.

قوله: (﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) بيانٌ لِبَعض آثار قُدرته تعالى الباهرة، وعِزَّته الظاهرة.

قوله: (﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾) حالٌ من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

قوله: (هم بنُو النضير من اليهود) أي: وهم من ذُرِّيَّة هارون عليه السلام، نزلُوا المدينة في فتن بني إسرائيل، يَنتظرون بعثة النبي ﷺ؛ ليدخلُوا في دينه.

قوله: (بالمدينة) أي: أرضاً بالقرب منها؛ وذلك لأنهم كانُوا بقريةٍ بينها وبين المدينة مِيلان.

قوله: (﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾) متعلق بـ﴿أَخْرَجَ﴾، وإضافة (أول) لـ﴿ٱلْحَشْرِ﴾ من إضافة الصفة للموصوف؛ أي: الحشر الأول.

واعلَم: أن الحشر أربع: فالأول: إجلاء بني النضير، ثمَّ بعدَه إجلاء أهل خيبر، ثمَّ في آخر الزمان تخرج نارٌ من قَعر عدَن تسوق النَّاس، ثمَّ في يوم القيامة حشرُ جميع الخلقِ.

قوله: (إلى خيبَر) صوابه: (من خيبر) كما صرَّح به غيره، وذلك أنَّ عُمر أجلى اليهود من خَيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرِعات وأريحاء من الشام[٢].

---

(١) انظر خبر الغزوة بتمامه في «سُبل الهدى والرشاد» (٤/ ٣١٧).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٤/ ٢٦٧)، وفي «صحيح البخاري» (٢٣٣٨)، و«صحيح مسلم» (١٥٥١) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (أجلاهم عمر إلى تيماءَ وأريحاء).

مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ ....

﴿مَا ظَنَنتُمْ﴾ أيُّها المُؤمِنُون ﴿أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ﴾ ـ خَبَر (أنَّ) ـ ﴿حُصُونُهُم﴾ ـ فاعِلُه تَمَّ بِه الخَبرُ ـ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ : مِن عَذابِه، ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ : أمرُه وعَذابُه ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ﴾ : لَم يَخطُرْ بِبالِهم مِن جِهةِ المُؤمِنين، ﴿وَقَذَفَ﴾ : ألقَى ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ﴾ ـ بِسُكُونِ العَين وضَمِّها ـ: الخَوفَ بِقَتلِ سَيِّدِهم كَعبِ بنِ الأشرَف، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ﴾) أي: لِمَا كان بهم من القوَّة وشِدَّة البأس، وكثرةِ أعوانهم من قُريظة وقريش، وبكم من الضَّعف وقِلَّة العدد.

قوله: (به تمَّ الخبر) أي: بالفاعل تمَّ خبر (أنَّ)، ومُحصَّله: أنَّ الضمير اسم (أنَّ)، و﴿مَّانِعَتُهُمْ﴾ : خبرها، و﴿حُصُونُهُم﴾ : فاعله، ويَصِحُّ أنَّ ﴿مَّانِعَتُهُمْ﴾ خبرٌ مقدَّم، و﴿حُصُونُهُم﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة خبر (أنَّ).

قوله: (أمره وعذابه) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف، وبه اندفع ما أوهَمه ظاهر الآية من أنَّ الله تعالى يُوصف بالإتيان، فأفاد بأنَّ الآية من قَبِيل المتشابه، وأوَّله بتقدير مضاف؛ نظير ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾.

قوله: (لم يَخطر ببالهم) تفسير لِقوله: ﴿لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ﴾.

قوله: (من جهة المُؤمنين) إضافة (جهة) لِما بعده بيانيَّةٌ، والمعنى: جاءَهم عذاب الله من جهة لا تَخطر ببالهم، وهم المؤمنون؛ لأنهم مُستَضعفون بالنسبة لهم، فلا يخطر ببالهم أنهم يقدرُون عليهم.

قوله: (﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ﴾) أي: أنزَله فيها بشدَّة.

قوله: (بسكون العين وضمها) أي: فهُما قراءتان سبعيَّتان(١).

قوله: (بقتل سيِّدهم) أي: وكان قتلُه في ربيع الأول من السنة الثالثة كما تقدَّم.

---

(١) حرَّك العين بالضمِّ ابن عامر والكسائي، والباقون بالسكون. انظر «السراج المنير» (٤/ ٢٣٩).

يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ....

﴿يُخَرِّبُونَ﴾ - بِالتَّشدِيدِ، والتَّخفِيف مِن (أخرَبَ) - ﴿بُيُوتَهُم﴾ لِيَنقُلُوا ما استَحسَنُوهُ مِنها مِن خَشَب وغيره ﴿بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾.

(﴿٣﴾ - ﴿٤﴾) ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ﴾: قَضَى ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾: الخُرُوجَ مِن الوَطَن ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بِالقَتلِ والسَّبيِ كما فعَل بِقُرَيظة مِن اليَهود، ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم﴾) مُستأنفٌ، أتى به لِلإخبار عنهم بذلك.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي: فهما سبعيَّتان[1].

قوله: (من «أخرَب») راجعٌ لِلتخفيف، وأمَّا التشديد.. فهو من (خرَّب).

قوله: (من خشبٍ) بفتحتين، وضمَّتين، وضمٌّ وسكونٍ، جمع (خشبة).

قوله: (﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾) أي: مِن داخل الحُصون، وقوله: ﴿وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: من خارجِها؛ لِيدخلوها، وعطفها على (أيديهم) من حيث إنهم سببٌ في ذلك؛ لأنَّ بني النضير لما نقضُوا العهد.. كأنَّهم سلَّطُوا المؤمنين على تخريب دُورِهِمْ.

قوله: (﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾) أي: اتَّعِظُوا بحالهم، ولا تغترُّوا، ولا تَعتمدُوا على غير الله، فالاعتبارُ: النَّظرُ في حقائق الأشياء؛ ليستدلَّ على شيءٍ آخرَ.

قوله: (﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ﴾... إلخ) ﴿أن﴾: مصدريَّة، وهي وما دَخلت عليه: في تأويل مصدر مبتدأ، وخبره محذوف وجوباً، والتقدير: لولا الكَتْبُ موجودٌ.

قوله: (﴿ٱلْجَلَآءَ﴾) بالفتح والمدِّ: يُطلق على الخروج من الوطن والإخراج منه، وهو المراد هنا، ويُطلق على الأمر الجليِّ الواضحِ.

قوله: (﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾) كلامٌ مُستأنفٌ مبيِّنٌ لِعاقبتهم، كأنه قال: إن نجَوا في الدنيا من القتل.. لم يَنجُوا في الآخرة من العذاب الدائم، فهو ثابتٌ لهم على كلِّ حالٍ.

---

(١) قرأ أبو عمرو بفتح الخاء وتشديد الراء، والباقون بسكون الخاء وتخفيف الراء. انظر المرجع السابق.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٤ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ ....

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا﴾: خالَفُوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

﴿مَا قَطَعْتُم﴾ يا مُسلِمِين ﴿مِّن لِّينَةٍ﴾: نَخلةٍ ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: خَيَّرَكُم في ذلك، ﴿وَلِيُخْزِيَ﴾ بالإذنِ في القَطعِ ﴿الْفَٰسِقِينَ﴾: اليَهُودَ في اعتِراضِهم أنَّ قَطع الشَّجَر المُثمِر فسادٌ. ۝٥

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: المذكور من العذابَين بسبب أنَّهم... إلخ.

قوله: (﴿وَمَن يُشَآقِّ اللَّهَ﴾) (مَنْ): شرطيّة، وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ...﴾ إلخ: إمَّا نفس الجزاء وحُذِفَ منه العائد، وقد قدَّره المفسِّرُ بقوله: (له)، أو تعليلٌ للجزاء المحذوف؛ أي: يُعاقبه، وعلى كلٍّ: فالشرط وجوابه تتميمٌ لما قبله، وتقريرٌ لِمَضمونه، وتحقيقٌ لِسببه.

قوله: (﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾... إلخ) ﴿مَا﴾: شرطيَّة، و﴿مِّن لِّينَةٍ﴾: بيان لـ﴿مَا﴾، و(بإذن الله): خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: فقَطْعُهَا، والجملةُ جواب الشرط.

واللِّينَةُ: قيل: هي النَّخلة مطلقاً، وقيل: هي النَّخلة الكريمة، وقيل غير ذلك.

رُوي: أنَّ رسول الله ﷺ لَمَا نزل ببني النضير، وتحصَّنُوا بِحُصونهم.. أمر بقَطْعِ نخيلهم وإحراقِهَا، فخرج أعداء الله عند ذلك فقالُوا: يا محمد؛ زعمتَ أنك تريد الصلاح، أَمِنَ الصلاح قطعُ الشجر وقطعُ النَّخل؟ فهل وجدتَ فيما زعمت أنه أُنْزِلَ عليك الفَسَاد في الأرض؟ فوَجد المسلمون في أنفسهم شيئاً ممَّا قالُوا، وخشُوا أن يكون ذلك فساداً، واختلَفُوا في القَطع وتركه، فقال بعضهم: لا تقطعُوا؛ فإنه ممَّا أفاء الله علينا، وقال بعضهم: بل نغِيظهم بقَطعه، فأنزل الله هذه الآية[1].

قوله: (﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾) أي: رِضاه.

قوله: (أي: خيَّركم في ذلك) أي: القطعِ والتَّركِ.

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النُّبوة» (٣/ ٣٥٩)، وانظر «زاد المسير» (٤/ ٢٥٦).

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦﴾ ....

﴿٦﴾ ﴿وَمَآ أَفَآءَ﴾: رَدَّ ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ﴾ أسرَعتُم يا مُسلِمِين ﴿عَلَيۡهِ مِنۡ﴾ ـ زائِدة ـ ﴿خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾: إبِل، أي: لَم تُقاسُوا فِيه مَشَقَّة، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ فلا حَقَّ لَكُم فِيهِ، ويَختَصُّ بِه النَّبيُّ ﷺ ومَن ذُكِرَ مَعَهُ في الآية الثَّانية مِن الأصنافِ الأربعةِ؛ على ما كانَ يَقسِمهُ مِن أنَّ لِكُلٍّ مِنهُم

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ . . . إلخ) لَمَّا بيَّن حال بني النضير وما وقع لِذواتهم. . أخذ يُبيِّن ما وقع في أموالهم.

قوله: (ردَّ ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ الأموال التي كانت بأيدِي بني النضير ليست لهم بالأصالة، بل هي لِمَن أطاع الله تعالى، وتَلذُّذهم بها إنما هو صورة تَعَدٍّ منهم؛ وذلك لأنَّ الله تعالى خلق الإنسان لعبادته، وخلَق لهم ما في الأرض جميعاً؛ ليستعينُوا بها على طاعته، فالكفار حيث عصَوْا ربَّهم. . فليس لهم استِحقاقٌ في تلك النِّعمِ.

قوله: (﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ﴾ . . . إلخ) خبر ﴿مَآ﴾ الموصولة، و﴿أَفَآءَ﴾: صِلته.

قوله: (أسرعتُم) أي: فالإيجاف: إسراعُ المشي.

قوله: (يا مُسلمين) هكذا بالياء هنا وفيما تقدَّم، وهو سَبْقُ قلمٍ، وصوابه بالواو؛ لأنَّ المنادى يُبنى على ما يرفع به، ولا شكَّ أنَّ جمع المذكر السالم يُرفع بالواو، فيبنى المنادى عليها.

قوله: (﴿مِنۡ﴾: زائدة) أي: في المفعول.

قوله: (﴿وَلَا رِكَابٖ﴾) هي: ما يُركب من الإبل، غَلَبَ ذلك عليها من بين المركوبات، فالعرب يُطلِقون لفظ (الراكب) على: راكب البعير، و(الفارس) على: راكِب الفرَس.

قوله: (أي: لم تُقَاسُوا فيه مشقَّة) أي: لم تَقطعُوا إليها مسافةً، ولم يَحصل منكم حربٌ؛ وذلك لكون قريتِهم قريبةً، لم يركبُوا إليها خيلاً ولا إبلاً إلا النبيَّ ﷺ، فإنَّه كان راكباً جملاً، وقيل: حماراً مخطوماً بليفٍ، فافتتحها صلحاً، فكان الأمر في تلك الأموالِ مُفوَّضاً له ﷺ يَضَعه حيث يشاء.

قوله: (﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾) أي: فعادتُه تعالى جاريةٌ بأنَّ الرسل ليسُوا كآحاد الأمَّة، بل يُسلِّطهم الله على مَنْ يشاء من غير أن يَقتحمُوا المشقَّات، ويُقاسُوا الشدائد، فتحصَّل:

مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ....

خُمُسَ الخُمُس، ولَهُ ﷺ الباقِي يَفعَلُ فِيه ما يَشاء، فأعطَى مِنهُ المُهاجِرين وثَلاثةً مِن الأنصارِ لِفقرِهِم.

﴿٧﴾ ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ كالصَّفراءِ ووادِي القُرَى ويَنبُع ﴿فَلِلَّهِ﴾ يَأمُر فِيه بِما يَشاءُ، ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى﴾: صاحِبِ ....

حاشية الصاوي

أنَّ مال الكفار إذا حصَل من غير قتالٍ.. فهو فيءٌ يُوضع تحت يد رسول الله ﷺ على ما سيأتي بيانه، ومثله: المال الذي جُهلت أربابه، ومال مَنْ مات ولا وارثَ له، والجزية، وأعشار أهل الذِّمَّة، وخراج الأرض على ما هو مُبيَّن في الفروع، ويقوم مَقام رسول الله بعده الخليفة.

قوله: (فأعطى منه المُهاجرين) أي: لا على أنه غنيمةٌ، بل بِوصف الفقر؛ ليرفع بذلك مُؤنتهم عن الأنصار؛ لأنهم كانُوا قد قاسمُوهم في الأموال والديار.

قوله: (وثلاثةً من الأنصار) أي: وهم أبو دجانة، وسَهل بن حنيف، والحارث بن الصمَّة، وأعطى سعد بن معاذ سيف بن أبي الحُقَيقِ، وكان لهذا السيف ذكرٌ وشأنٌ عِندهم[1].

قوله: (﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾) بيانٌ لِمَصرف الفيء إثْرَ بيان ردِّه على رسول الله، وحذف الواو من هذه الجملة؛ لأنها بيانٌ للأُولى، فهي غيرُ أجنبيَّة منها.

قوله: (كالصفراء.. إلخ) أي: وأرض قُريظة والنضير، وهما بالمدينة، وفَدك وهي على ثلاثة أميال من المدينة، وقُرى عُرَينة ويَنبع.

قوله: (﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾) اختُلف في قَسم الفيء؛ فقيل: يسدَّس؛ لظاهر الآية، ويصرف سَهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد، وقيل: يخمَّس للخمسة المذكورين، وذكرُ الله؛ للتعظيم، وفي «القرطبي»: (وقال قوم منهم الشافعي: إنَّ معنى الآيتَين - أي: هاهنا و«الأنفال» - واحدٌ أي: ما حصَل من أموال الكُفار بغير قتال قُسِّم على خمسة أسهُم: أربعة منها لرسول الله ﷺ[2]، وسهمٌ لِذوي القربى، وهم بنو هاشم وبنو المطلب؛ لأنهم مُنِعُوا الصَّدقةَ، فجُعل لهم حقٌّ في الفيء، وسهمٌ

---

(١) ذكرت كتب السير أنه ﷺ أعطى من الأنصار رجلَين: أبا دُجانة، وسهل بن حنيف، وليس فيها ذكر إعطاء الحارث. انظر «عيون الأثر» (٢/ ٧٤)، و«مَغازي الواقدي» (١/ ٣٧٩).

(٢) في «تفسير القرطبي»: (وكان الخمس الباقي على خمسة أسهم: سَهم لرسول الله ﷺ أيضاً).

ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ....

﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾: قَرابةِ النَّبيِّ مِن بَنِي هاشِم وبَنِي المُطَّلِب، ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾: أطفالِ المُسلِمِين الذِين هَلَكَت آباؤُهُم وهُم فُقَراءُ، ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾: ذَوِي الحاجةِ مِن المُسلِمِين، ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المُنقَطِعِ في سَفَرِه مِن المُسلِمِين، أي: يَستَحِقُّهُ النَّبيُّ ﷺ والأصنافُ الأربَعةُ على ما كان

حاشية الصاوي

لليتامى، وسهمٌ للمساكين، وسهمٌ لابن السبيل، وأما بعد وفاة رسول الله ﷺ.. فالذي كان من الفيء لِرسول الله ﷺ يُصرف عند الشافعي في قول: إلى المجاهدين المُرصَدين للقتال في الثغور؛ لأنهم قائمون مَقام رسول الله عليه الصلاة والسلام، وفي قولٍ آخرَ له: يُصرف إلى مصالح المسلمين؛ من سدِّ الثغور، وحفر الأنهار، وبناء القناطر، يُقدَّم الأهمُّ فالأهمُّ، وهذا في أربعة أخماس الفيء، فأما السهمُ الذي كان من خمس الفيء والغنيمة.. فهو لمصالح المسلمين بعد مَوته ﷺ بلا خلاف؛ كما قال عليه الصلاة والسلام: «**ليس لي من غنائمِكم إلا الخمس، والخمسُ مَردود فيكم**»). اهـ[1]

وقالت المالكية: لا خِلاف في أنَّ الغنيمة تخمَّس، وأمَّا ما انجلى عنه أهله دُون قتال.. فلا يخمَّس، ويُصرف في مصالح المسلمين باجتهاد الإمام[2].

ومثلُه: جميع ما كان محلُّه بيت المال، وليس معنى الآيتين واحداً، بل آية (الأنفال) فيما أُوجف عليه، وما هنا في ما لم يُوجَف عليه، وقوله: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ...﴾ إلخ: ليس المقصود منه التخميس، وإنما المقصودُ التعميم باجتهاد الإمام، فتدبَّرْ.

قوله: (من بني هاشم وبني المطلب) هذا مذهب الشافعي، وعند مالك: الآلُ: بَنو هاشم فقط.

قوله: (﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾) المراد بهم: ما يَشمل الفقراء.

قوله: (المُنقطع في سفره) أي: المحتاج ولو غنيًّا ببلده.

قوله: (أي: يَستحقه النبي... إلخ) إنما لم يَقل: (الله والنبي)؛ إشارةً إلى أنَّ ذكر اسم الله للتعظيم والتبرك على التحقيق.

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٨/ ١٣)، والحديث رَواه أبو داوود (٢٦٩٤)، والنسائي في «المجتبى» (٧/ ١٣١) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) نقَله الشيخ الدردير في «الشرح الكبير» (٢/ ١٩٠) عن المازري.

كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ....

يَقسِمهُ مِن أنَّ لِكُلٍّ مِن الأربعة خُمُسَ الخُمُس ولَهُ الباقِي، ﴿كَيْ لَا﴾ - (كَي) بِمَعنى اللَّام و(أنْ) مُقدَّرة بَعدها - ﴿يَكُونَ﴾ الفَيءُ عِلَّة لِقَسمِه كذلكَ ﴿دُولَةً﴾: مُتداوَلاً ﴿بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ﴾: أعطاكُم ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ مِن الفَيءِ وغَيرِه ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

حاشية الصاوي

وظاهر الآية: أنَّ الفيء يُخمس خمسة أخماس، وأن للنبي خمسةً، وليس مراداً، بل التخميس إنما هو للخمس، لا لِلمال من أصله، فالاشتراك المذكور إنما هو في الخمس، وتقدَّم أن ذلك مذهب الشافعي، وأما عند مالك.. فلا تخميسَ، وإنما النظر فيه للإمام.

قوله: (﴿كَيْ لَا يَكُونَ﴾... إلخ) تُرسم (كي) هنا مفصولةً من (لا).

قوله: (بمعنى اللام) أي: لام التعليل، والمعلَّل ما يُستفاد مما سبق؛ أي: جعل الله الفيء لمن ذكر؛ لأجل ألَّا يكون لو ترك على عادة الجاهلية دُولةً؛ أي: يَتداوله الأغنياء، كلٌّ من غلب منهم أخَذه واستأثر به، وذلك أنَّ الجاهلية كانُوا إذا غنِمُوا غنيمةً.. أخَذ الرئيس رُبعها لنفسه، ثمَّ يَصطفي بعد أخذ الربع منها ما شاء، فنُسِخَ هذا الأمرُ، وجعله الله يُصرف في مصالح المسلمين على الوجه المتقدِّم.

قوله: (و«أن» مُقدَّرة بعدها) أي: فالنصب بـ(أن)، لا بها.

قوله: (﴿يَكُونَ﴾[1]) أي: الفيء، فـ﴿يَكُونَ﴾ ناقصة، اسمها ضميرٌ يعود على الفيء، و﴿دُولَةً﴾ خبرها، وعلى هذه القراءة (يكون) بالتحتية لا غير، وقُرئ أيضاً برفع (دُولةٌ) على أن (كان) تامَّة، مع التحتية والفوقية من (يكون)؛ فالقراءات ثلاثٌ سبعيَّاتٌ.

قوله: (﴿دُولَةً﴾) التداوُل: حُصول الشيء في يد هذا تارةً، وهذا أُخرى، والاسم: الدَّوْلَةُ بفتح الدال وضمِّها، وجمع المفتوح (دِوَلٌ) كـ(قَصْعَةٍ وقِصَعٍ)، وجمع المضموم (دُوَلٌ) مثل: (غُرْفَةٍ وغُرَفٍ)، ومعناهما واحد، وقيل: الدُّولة - بالضم - في المال، وبِالفتح: في الحرب.

قوله: (﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾... إلخ) أي: ما أعطاكُم من مال الغنيمة، وما نهاكم عنه من الأخذِ والقول.. فانتهوا.

---

(١) قرأ هشام: (تكون) بالتاء والياء، (دولةٌ) بالرفع فقط، والباقون بالياء من تحت، ونصب (دولة). انظر «الدر المصون» (٢٨٣/١٠).

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨)﴾ ....

(٨) ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ ـ مُتعلِّق بِمَحذُوفٍ ـ أي: اعجَبُوا ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إيمانِهِم.

حاشية الصاوي

وقيل في تفسيرها: ما آتاكم من طاعتي.. فافعَلُوه، وما نهاكم عنه من مَعصيتي.. فاجتَنِبوه، فالآيةُ محمولةٌ على العموم في جميع أوامِره ونواهيه؛ لأنه لا يَأمر إلا بإصلاح، ولا ينهى إلا عن فسادٍ، فنَتج من هذه الآية: أنَّ كلَّ ما أمر به النبي ﷺ أمرٌ من الله، وأنَّ كلَّ ما نهى عنه النبي نهيٌ من الله، فقد جمَعت أمور الدين كما هو معلومٌ.

قوله: (متعلق بمحذوف... إلخ) أي: القصد منه التَّعجُّبُ والمدحُ لِلمهاجرين الذين اتَّصفُوا بتلك الصفات.

قوله: (أي: اعجبُوا) أي: تعجَّبُوا من حال المهاجرين؛ حيث تنزَّهُوا عن الديار والأموال، وتركُوا ذلك ابتغاءَ وجهِ الله تعالى.

قوله: (﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾) أي: أخرجَهم كُفَّار مكة.

قوله: (﴿وَأَمْوَالِهِمْ﴾) عطف على ﴿دِيَارِهِمْ﴾، وعبَّر فيه بالخروج؛ لأنَّ المال لما كان يَستر صاحبه.. كان كأنه ظرفٌ له.

قوله: (﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾... إلخ) الجملة حاليَّة، والمعنى: طالبِين الرِّزقَ من الله؛ لإعراضهم عن أملاكِهم الدُّنيوية، ومرضاةَ الله تعالى في الآخرة.

قوله: (﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾) عطف على قوله: ﴿يَبْتَغُونَ﴾، فهو حالٌ أيضاً، لكنَّها مُقدَّرة؛ أي: ناوين النُّصرةَ؛ إذ وقتُ خروجهم لم تكن نُصرةٌ بالفعل.

قوله: (﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾) أي: الخالِصون في إيمانهم؛ حيث اختارُوا الإسلامَ، وخرجُوا عن الديار والأموال والعشائر، حتى رُوي: أنَّ الرجل كان يعصب الحجر على بَطنه؛ لِيُقِيم به صُلبَهُ من الجوع، وكان الرجل يتَّخذ الحُفَيْرَةَ في الشتاء ما له دِثارٌ غيرُهَا[1]. وفي الحديث: «**إنَّ فقراء المهاجرين يَسبقُون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنَّة بأربعين خريفاً**»[2].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٨١) من حديث قتادة.

(٢) رواه مسلم (٢٩٧٩) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً ....

﴿٩﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ أي: المَدِينةَ ﴿وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ أي: أَلِفُوهُ، وهُم الأنصارُ ﴿مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً﴾: حَسَداً ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ . . إلخ) شروعٌ في الثَّناء على الأنصار إِثْرَ بيانِ الثناء على المهاجرين. والموصولُ: إما معطوفٌ على (الفقراء) فيَكون من عطف المفردات، وقوله: ﴿يُحِبُّونَ . . .﴾ إلخ: حالٌ؛ أو مبتدأ، وجملةُ ﴿يُحِبُّونَ﴾: خبره.

قوله: (أي: المدينةَ) أي: اتخذوها منزلاً بإسلامهم من قبل قُدُوم النبي ﷺ بسنتَين، فعصمُوها وحفظوها بالإسلام، فكأنَّهم استَحدثُوا بناءَها.

قوله: (أي: أَلِفُوه) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ معمولٌ لمحذوف، ويكون من عطف الجمل؛ إذ لا معنَى لِتَبَوُّءِ الإيمان، وهذا أحدُ الوجوه الجارية في قوله: [الكامل]

عَلَفْتُها تِبْناً وماءً بارِداً[1]

أو ضمَّن ﴿تَبَوَّءُو﴾ معنى (لزموا)، والمعنى: لزمُوا الدار والإيمان، أو شبَّه تمكُّنهم في الإيمان باتِّخاذه منزلاً، ففيه جمعٌ بين الحقيقة والمجازِ.

قوله: (﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ﴾) أي: نُفُوسهم.

قوله: (حسداً) أي: ولا غيظاً ولا حزازةً[2]، فالمراد بالحاجة هذه المعاني.

روي: أنَّ المهاجرين كانُوا في دُورِ الأنصار، فلمَّا غَنِم ﷺ أموال بني النضير . . دعا الأنصار وشكَرهم فيما صنعُوا مع المهاجرين؛ من إنزالهم إيَّاهم منازلهم، وإشراكِهم إياهم في الأموال، ثم قال ﷺ: «إن أحبَبْتُم . . قسَمْتُ ما أفاء الله عليَّ من بني النضير بينكم وبينهم، وكان المهاجرُون على ما هم عليه من السكن في مَساكنكم وأموالكم، وإن أحبَبْتُم . . أعطيتُهم وخرجُوا من دِياركم»، فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ: بل نَقسمُه بين المهاجرين ويكونون في دُورنا كما كانُوا، فقال

---

(١) تقدَّم مِراراً.

(٢) الحزازة: وجعٌ في القلب من غيظٍ ونحوه.

﴿مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ....

﴿مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ أي: آتى النَّبيُّ ﷺ المُهاجِرين مِن أموالِ بَنِي النَّضِير المُختَصَّة بِهِ، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾: حاجةٌ إلى ما يُؤْثِرون بِه، ....

حاشية الصاوي

رسول الله ﷺ: «اللهم؛ ارحَم الأنصار، وأبناء الأنصار»، وأعطى رسولُ الله ﷺ المهاجرين ولم يُعطِ الأنصار إلا الثلاثةَ المتقدِّمَ ذِكرُهم[١].

قوله: (أي: آتى النبي) بيان للفاعل المحذوف، وقوله: (المهاجرين) بيان للمفعول القائم مَقام الفاعل، وقوله: (من أموال بني النضير) بيان لـ(ما).

قوله: (﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾) أي: في كلِّ شيءٍ من أسباب المعاش، حتى إنَّ من كان عنده امرأتان كان يَنزل عن إحداهما ويُزوِّجها واحداً من المهاجِرين. والإيثار: تقديم الغير على النفس وحُظُوظِها الدنيوية رَغبةً في الحظوظ الدينيَّة، وذلك ينشأ عن قُوة اليقين، وغاية المحبة، والصبر على المشقَّة.

قوله: (﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾) أي: يُقدِّمون غيرهم في الأموال مع احتياجِهم إليها، وهذا الوصفُ لا يَخُصُّ الأنصار؛ فقد رُوي عن ابن عمر أنه قال: (أُهدي لرجلٍ من أصحاب النبي ﷺ رأسُ شاةٍ، فقال: إنَّ أخي فلاناً وعِياله أحوَجُ إلى هذا مني، فبعَثه إليهم، فلم يَزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تَداولها سبعةُ أبيات، ثمَّ عادت إلى الأول، فنزَلت هذه الآية)[٢].

ورُوي: أنَّ عمر بن الخطاب ﵁ أخذ أربع مئة دينار، فجعَلها في صرَّة، ثمَّ قال للغلام: اذهب بها إلى أبي عُبيدة بن الجراح، ثمَّ امكُث عنده في البيت حتى ينظرَ ما يصنع بها، فذهب بها الغلام إليه وقال: يَقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتِك، فقال: وصَله الله ورحمه، ثمَّ قال: تعالَيْ يا جارية؛ اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان حتى فقَدها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره، ووجَده قد ربَط مِثلها لمعاذ بن جبل، فقال: اذهب بها إليه، وامكُث في البيت ساعة حتى تنظرَ ما يصنع، فذهب بها إليه وقال له: يقول لك أمير المؤمنين: اجعَل هذه في بعض حاجتِك، فقال: رحمه الله ووَصله، وقال: يا جارية؛ اذهبي بيت فلان بكذا، أو إلى بيت

---

(١) رواه ابنُ سيد الناس في «عيون الأثر» (٢/ ٧٤)، والواقِدي في «مغازيه» (١/ ٣٧٩) من حديث أم العَلاء ﵄.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرَك» (٢/ ٤٨٥).

وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ....

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾: حِرصَها على المالِ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿١٠﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: مِن بَعد المُهاجِرين والأنصارِ ....

حاشية الصاوي

فلان بكذا، فجاءت امرأةُ معاذ وقالت: ونحن والله مساكين فأعطِنا، ولم يَبْقَ في الخِرقة إلا ديناران، فدعا بهما إليها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره، فسُرَّ بذلك وقال: إنهم أخوةٌ بعضُهم من بعض. ونحوُهُ عن عائشة وغيرها[1].

قوله: (﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾) (مَن): شرطية، و﴿يُوقَ﴾: فعل الشرط، وقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ: جزاؤه، وهو كلامٌ عامٌّ، قُصِدَ به التَّنبيه على ذَمِّ الشُّحِّ، وفي قوله: ﴿يُوقَ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ الشُّح أمرٌ غريزيٌّ في الإنسان، لا ينجُو منه الشخص إلا بِمَعونة الله تعالى مع مجاهَدة النَّفس ومُكابَدتها.

قوله: (حرصَها على المال) فيه إشارةٌ إلى الفرق بين البُخل والشح؛ فالبخلُ: منعُ الأموال، والشُّحُّ: صفةٌ راسخةٌ يَصعب معها على الرجل تأتِّي المعروف، وتَعاطِي مكارم الأخلاق، قال رسول الله ﷺ: «لا يجتمع الشُّحُّ والإيمانُ في قلبِ عبدٍ أبداً»[2]، وقال ابن عمر: (ليس الشُّح أن يمنعَ الرجل مالَه، إنما الشُّح أن تَطمَح عين الرجل فيما ليس له)[3]، وقال بعضهم: مَنْ لم يأخذ شيئاً نهاه الله عن أخذِه، ولم يمنع شيئاً أمرَ الله بإعطائه.. فقد وقاه الله شُحَّ نفسِه.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو﴾) إمَّا معطوف على (الفقراء)، وقوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ حالٌ، أو مبتدأ وجملةُ ﴿يَقُولُونَ﴾: خبره.

قوله: (مِن بعد المهاجرين والأنصار) أي: مِن بعد هجرة المهاجرين، وإيمان الأنصار.

---

(١) حديث سيدنا عمر رضي الله عنه رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٦)، وحديث سَيدتنا عائشة رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٦٧) عن أم ذَرَّةَ قالت: بعَث ابن الزبير إلى عائشة بمال في غرارتين يكون مئة ألف، فدعَت بطبق وهي يومئذ صائمة، فجعلت تَقسم في الناس، قال: فلمَّا أمسَت.. قالت: يا جارية؛ هاتي فِطري، فقالت أمُّ ذرة: يا أم المؤمنين؛ أما استطعتِ فيما أنفقتِ أن تشتري بدرهم لحماً تُفطرين عليه؟ فقالت: لا تُعَنِّفيني، لو كنتِ أذكرتِني.. لَفعلت.

(٢) رواه النسائي في «المجتبى» (٦/ ١٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر «تفسير البغوي» (٨/ ٧٨).

يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ ....

إلى يوم القِيامةِ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا﴾: حِقداً ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿١١﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَنظُر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهُم بَنُو النَّضِير وإخوانُهُم في الكُفر، ﴿لَئِنْ﴾ ـ لام قَسَم في الأربَعة ـ ﴿أُخْرِجْتُمْ﴾ مِن المَدِينةِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (إلى يوم القيامة) أي: فالبعديَّة تَشمل التابعين وأتباعَهم إلى آخر الزمان.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾) أي: بالموت عليه، فينبغي لكلِّ واحدٍ من القائلين لهذا القول أن يَقصد بمَنْ سبقه مَنِ انتقل قبله من زَمَنه إلى عصر النبي ﷺ، فيدخل جميعُ مَنْ تقدَّمه من المسلمين، لا خصوصُ المهاجرين والأنصار.

قوله: (حقداً) هو الانطِواء على العداوة والبغضاء.

قوله: (﴿رَءُوفٌ﴾) بقصر الهمزة ومدِّها بحيث يتولَّد منها واوٌ، قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾... إلخ) لَما ذكر الثناء على المهاجرين والأنصار وأتباعِهم.. أتبَعه بذكر أحوال المنافقين الذين نافقُوا مع بني النضير، وهم عبد الله بن أبيٍّ وأصحابه، والخطابُ إمَّا لرسول الله ﷺ، أو لكلِّ من يتأتَّى منه الخطاب.

قوله: (﴿لِإِخْوَٰنِهِمُ﴾) اللام: للتبليغ، والمعنى: مبلِّغين إخوانَهم.

قوله: (لام قسَم) أي: مُوطئةٌ لقسمٍ محذوفٍ؛ أي: والله.

قوله: (في الأربعة مواضع) أي: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾، ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟﴾، ﴿وَلَئِن قُوتِلُوا۟﴾، ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾، بل في الخمسة؛ هذه الأربعة وقولُه: ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾؛ لأنَّ اللام مقدَّرةٌ معه.

قوله: (﴿أُخْرِجْتُمْ﴾ من المدينة) أي: أخرَجكم النبيُّ وأصحابه.

---

(١) قرأ أبو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي بقصر الهمزة، والباقون بمدِّها. انظر «السراج المنير» (٤/ ٢٥١).

﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾ .....

﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾: في خِذلانِكُم ﴿أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾ ـ حُذِفت مِنهُ اللّام المُوَطِّئة ـ ﴿لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

﴿١٢﴾ ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ أي: جاؤُوا لِنَصرِهِم ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾ ـ واستُغنِي بِجَوابِ القَسَمِ المُقدَّر عن جَوابِ الشَّرط في المَواضِعِ الخَمسة ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾) عطف على قولِه: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ وكذا قوله: ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾، فمَقولهم ثلاث جمل، والقسمُ الواقع منهم اثنان، ثم كذَّبهم الله إجمالاً، وتفصيلاً بعدُ.

قوله: (في خِذلانكم) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضافٍ.

قوله: (﴿أَحَدًا﴾) أي: من النبي والمؤمنين، وقوله: ﴿أَبَدًا﴾ ظرف للنفي.

قوله: (حُذفت منه اللام) أي: وحذفها قليل في لسان العرب، والكثير إثباتها.

قوله: (﴿لَكَاذِبُونَ﴾) أي: فيما قالوه.

قوله: (﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا﴾) تفصيلٌ لكذبهم، وهو تكذيبٌ لقولهم: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾، وقولُه: ﴿وَلَئِن قُوتِلُوا...﴾ إلخ تكذيبٌ لقولهم: ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ...﴾ إلخ، وقوله: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ مِن تَمام تكذيبهم في المقالة الثالثة.

قوله: (جاؤُوا لِنصرهم) جوابٌ عمَّا يُقال: إن قوله: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ مُنافٍ لقوله: ﴿لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾، فأجاب: بأنَّ المعنى: خرجُوا لِقَصد نَصرهم، وحينئذ: فلا يَلزم منه نَصرهم بالفعل، وأجيب أيضاً: بأن قوله: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ أي: على سَبيل الفرض والتقدير.

قوله: (واستغنى بجواب القسَم...الخ) أي: لِلقاعدة المعروفة في قول ابن مالك[1]: [الرجز]

واحذِفْ لدَى اجتِماعِ شَرْطٍ وقَسَمْ جَوابَ ما أخَّرْتَ، فهْوَ مُلتَزَمْ

(١) «الخلاصة»، باب: عوامل الجزم، (ص٥٩).

﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١٢ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝١٣ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ ....

﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ أي: اليَهود.

(١٣ - ١٤) ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾: خَوفاً ﴿فِي صُدُورِهِم﴾ أي: المُنافِقين ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لِتأخيرِ عَذابِه، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝١٣ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ أي: اليَهودُ ﴿جَمِيعًا﴾: مُجتَمِعين ﴿إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جِدَارٍ﴾: سُورٍ، ـ وفي قِراءة: ﴿جُدُرٍ﴾ ـ، ﴿بَأْسُهُم﴾: حَربُهم ﴿بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾: مُجتَمِعين ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: اليهود) هذا أحدُ أقوال في مَرجع الضمير، وقيل: عائد على المنافقين، وقيل: عائد على مجمُوع اليَهود والمنافِقين، وهو الأقرَب.

قوله: (﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾) أي: خوفُهم منكم في السِّر أشَدُّ من خَوفهم من الله الذي يُظهرونه لكم، وهذه الجملة كالتعليل لقوله: ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾، كأنه قال: إنهم لا يَقدرون على مُقابَلتكم؛ لأنكم أشَدُّ رهبةً.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: ما ذُكِرَ من كون خَوفهم من المخلوق أشدَّ من خَوفِهم من الخالق.

قوله: (مُجتَمعين) أشار به إلى أنَّ ﴿جَمِيعًا﴾ حال.

قوله: (وفي قراءة: ﴿جُدُرٍ﴾) أي: وهي سبعيَّة أيضاً؛ غير أنَّ مَنْ قرأ (جِدار) بالألف يَلتزم إمَّا الإمالة في (جدار)، وإمَّا الصلة في ﴿بَيْنَهُمْ﴾؛ بحيث يتولَّد منها واوٌ؛ فمَن قرأ (جدار) بدون أحد هذَين الوجهين.. فقَد قرأ بقراءة لم يَقرأ بها أحدٌ[1].

قوله: (﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾) راجع لقوله: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا..﴾ إلخ أي: فعجزُهم عن قتالكم ليس لضعفٍ فيهم، بل هم في غاية القُوة من العدد والعُدَّة، وإنما يَضعفون في حربكم؛ لِلرعب الذي في قلوبهم منكم.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الجيم وفتحِ الدال وألف بعدها، وأمال الألف أبو عمرو، والباقون بضم الجيم والدال. انظر «السراج المنير» (٤/ ٢٥٢).

﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ ....

﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾: مُتَفرِّقةٌ خِلافَ الحُسبانِ، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ مِثلُهم في تَركِ الإيمانِ.

﴿١٥﴾ ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ بِزَمنٍ قَريبٍ، وهُم أهلُ بَدرٍ مِن المُشرِكين، ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾: عُقُوبتَه في الدُّنيا مِن القَتلِ وغَيرِه، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ في الآخِرةِ.

(﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾) مَثَلُهم أيضاً في سَماعِهم مِن المُنافِقين وتَخلُّفِهم عنهُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (مُتفرقة) أي: لعِظَم الخوف، فقُلوبهم لا تُوافق الأجسام، بل فيها حيرةٌ ودهشةٌ.

قوله: (خلاف الحُسبان) حالٌ؛ أي: خِلاف ظَنكم فيهم بمقتضى جمعيَّة الصُّور.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾) إنما خصَّ الأول بـ﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾، والثاني بـ﴿لَّا يَعْقِلُونَ﴾؛ لأنَّ الأول مُتَّصل بقوله: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾، وهو دليلٌ على جَهلهم بالله، فناسبَه عدم الفقه، والثاني متصل بقوله: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾، وهو دليل على عدم عَقلهم؛ إذ لو عقلوا.. لما تشتَّتْ قلوبهم، وتحيَّرت وامتلأت رعباً.

قوله: (﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾) خبرُ مبتدأ محذوفٍ، قدَّره بقوله: (مِثْلُهم) أي: صفة بني النضير العجيبة التي تقَع لهم من الإجلاء والذُّلّ كصفة أهل مكة فيما وقع لهم يوم بدرٍ من الهزيمة والأسرِ والقتل، فكلٌّ حصَل له خِزيُ الدنيا، وعذاب الآخرة.

قوله: (بزمن قريب) أي: بين وَقعة بدرٍ ووَقعة بني النضير، وهو سنة ونصف؛ لما تقدَّم أنَّ غزوة بني النضير كانت في ربيع الأول من السنة الرابعة، وغزوةَ بدر كانت في رمضان من الثانية.

قوله: (مثلهم أيضاً) أي: صفة بني النضير، وقوله: (في سماعهم) بَيان لِلمَثل، وقوله: (وتخلفهم) أي: تَخلف المنافقين عنهم، وقوله: (﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾) المرادُ به: حقيقتُهُ، لا شيطانُ الإنس، وقوله: (﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ﴾) بيان لـ(مثل الشيطان).

وبالجملة: فقد ضرَب الله لهم مثَلَين: الأول: بكفار مَكة الذين اغترُّوا بِعَدَدِهم وعُدَدِهم، وحضرُوا بدراً، فكانت الدائرةُ عليهم، والثاني من حيث اغترارُهم بكلام المنافقِين لهم، ومُخالَفتهم لهم: بإغراء الشيطان لإنسان مُعيَّن على الكفر حتى أوقَعه فيه، ومات عليه، ثمَّ تبرَّأ منه.

كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ ....

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كَذِباً مِنهُ ورِياء، ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ أي: الغاوِي والمُغوِي، - وقُرِئ بِالرَّفع اسم (كانَ) - ﴿أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافِرِين.

(﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ﴾) المراد به: برصيصا العابد؛ لِما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**الإنسان الذي قال له الشيطان راهبٌ، نزَلت عنده امرأةٌ أصابها لَمَمٌ؛ لِيَدعُوَ لها، فزيَّن له الشيطانُ ووطِئَها، فحمَلت، ثمَّ قتلها؛ خوفاً من أن يفتضحَ، فدلَّ الشيطان قومَهَا على موضعها، فجاؤُوا فاستنزلُوا الراهب لِيَقتُلوه، فجاءه الشيطان، فوعده إن سجَد له أن يُنجيَه منه، فسجَد له، فتبرَّأ منه**»[1]، وقصَّته مبسوطةٌ في «الشبرخيتي على الأربعين» في شرح الحديث الرابع، فانظُرها إن شئتَ.

قوله: (كذباً منه ورياء) أي: قوله هذا كذبٌ منه ورياءٌ؛ لأنه لا يخافُ الله أبداً.

قوله: (أي: الغاوي) اسم فاعل من (غَوَى يَغْوِي) كـ(رَمَى يَرْمِي)، والمراد به: الإنسان الذي غرَّه الشيطان، وقولُه: (والمُغوي) اسم فاعل أيضاً من (أغواه يُغوِيه)، وهو الشيطانُ.

قوله: (وقرئ بالرفع) أي: شاذًّا[2].

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾... إلخ) لَـمَّا ذَكر صفات كلٍّ من المنافقين واليهود وما آلَ إليه أمرُهُم.. وعَظ المؤمنين بموعظةٍ حسنةٍ؛ تحذيراً من أن يكونُوا مثلَ مَنْ تقدَّم ذِكرُهم، وذلك أوقَعُ في النفس.

قوله: (﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ﴾) اللام: لامُ الأمر، والحكمةُ في التنكير: الإشارةُ إلى أنَّ الأنفسَ الناظرة لِمَعادها المعتَبِرةَ بغيرها.. قليلةٌ جدًّا، عديمةُ المَثِيل.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٨٥)، والبيهقي في «شُعب الإيمان» (٥٠٦٧) عن سيدنا علي رضي الله عنه.

(٢) وبها قرأ الحسن وعمرو بن عبيد وابن أرقم. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٢٩١).

مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ....

﴿مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾: لِيوم القِيامةِ، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ﴾: تَركُوا طاعَتَه ﴿فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ أن يُقدِّمُوا لَها خيراً، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾) ﴿ما﴾: اسم موصول، و﴿قَدَّمَتْ﴾: صِلتُه، والمعنى: ولْتَبحث وتحصِّل نفسٌ العملَ الذي قدَّمته لغدٍ؛ وذلك لأنَّ جميع ما تَعمَله في الدنيا ترى جزاءه في القيامة، فليَختَرِ العاقلُ أيَّ الجزاءين؛ لما وردَ في الحديث: «**الكيِّس مَنْ دان نفسَهُ وعمل لما بعد الموت، والأحمَقُ من أَتْبَعَ نفسَه هواها وتمنَّى على الله الأماني**»[1].

قوله: (وهو يوم القيامة) سمِّي غداً؛ لِقُرب مجيئه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧]، فكأنه لِقُربه شُبِّه بما ليس بينه وبينَه إلا ليلةٌ واحدةٌ. والتنكيرُ في (غدٍ) للتعظيم والإبهام، كأنَّه قيل: لغدٍ لا تعرف نفسٌ كُنْهَ عظمتِهِ وهَوْلِهِ.

قوله: (﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾) كرَّره للتأكيد، أو الأوَّل: إشارةٌ لِلأمر بأصل التقوى، والثاني: لِلأمر بالدَّوام عليها.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾) الخبير: المطَّلع على خَفيَّات الأشياء، القادر على الإخبار بما عجَزت عنه المخلوقات، وقوله: ﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ أي: مِن خيرٍ وشرٍّ.

قوله: (تركُوا طاعته) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالنِّسيان: التَّركُ، وليس المرادُ به عدمَ الحِفظ والذكرِ.

قوله: (أن يقدِّموا لها خيراً) أشارَ بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مُضاف، والتقدير: فأنساهم تقديمَ خيرٍ لأنفُسِهم، فثمَرةُ نسيانهم اللهَ نِسيانُ أنفسهم؛ أي: فتركُ حُقوق الله خسرانُهم، وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾ [الإسراء: ٧]، ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ [محمد: ٣٨]، و﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ﴾ [الروم: ٤٤]؛ لأنه المستغني عن كُلِّ ما سِواه.

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٩)، وابن ماجه (٤٢٦٠) عن سيدنا شَداد بن أوس ﷺ، وليس فيهما (الأماني).

لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ ....

(﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾) ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ وجُعِلَ فِيه تَمييز كالإنسانِ، ﴿لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾: مُتشقِّقاً ﴿مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ المَذكُورةُ ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيُؤمِنُون.

(﴿٢٢﴾ - ﴿٢٣﴾) ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ﴾: السِّرِّ والعَلانيَة،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾) أي: الذين نَسُوا الله، فاستحقُّوا الخلودَ في النار.

قوله: (﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾) أي: الذين اتَّقَوا الله، فاستحقُّوا الخلود في الجنة.

قوله: (﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾) هذا كالتذييل لقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ...﴾ إلخ؛ وذلك لأنَّ الله تعالى لَمَّا أمر المؤمنين بالتقوى والنظرِ في العواقب والعملِ النافع، ونَهاهم عن الغفلة والتشبُّه بمَنْ نسي طاعة الله.. ذيَّله بما يُرَغِّبهم في طاعة الله، ويُقرِّبهم إليه زلفى.

قوله: (وجُعِلَ فيه تمييزٌ كالإنسان) المقصودُ من هذا الكلام: التَّنبيهُ على قَساوة قلوب الكفار، وغِلَظ طبائعهم، وفيه رَمزٌ لمن قلَّ خشُوعه عند تلاوة القرآن، وأعرض عن تَدبُّره، ولم يأتمر بِأوامره، ولم يَنْتَهِ بنواهيه، فالواجبُ التَّدبرُ في القرآن، والخشوعُ عند قراءته؛ فإنه لا عذر في ترك ذلك؛ إذ لو خُوطِب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها.. لانقادَت لِمَواعظه، ولرأيتها خاشعةً مُشقَّقةً من خشية الله.

قوله: (المَذكورة) أي: في هذه السورة، أو في سائرِ القرآن.

قوله: (﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى﴾... إلخ) لَمَّا وَصف الله تعالى كلامَهُ بالعِظَم ـ ومن المعلوم: أنَّ عظم الصفة تابعٌ لعِظَم الموصوف ـ أتبَع ذلك بوصف عِظَمه تعالى فقال: ﴿هُوَ﴾ أي: الذاتُ المتَّصفةُ بالكمالات أزلاً وأبداً، الواجبةُ الوجود، وقوله: ﴿ٱللَّهُ﴾: خبر عن ﴿هُوَ﴾، وقولُه بعد ذلك: ﴿ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ﴾: إمَّا خبرٌ ثانٍ، أو صفةٌ للفظ الجلالة، وذكرُ لفظِ الجلالة بعد الهُويَّة؛ لأنَّ الهوية هي الذات، والجلالةُ اسم الذات ومظهرها.

هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ....

﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾: الطَّاهِرُ عمَّا لا يَلِيقُ به، ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾: ذُو السَّلامةِ مِن النَّقائِص، ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾: المُصَدِّق رُسُلَه بِخَلقِ المُعجِزة لَهُم، ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ مِن (هَيمَنَ يُهَيمِنُ): إذا كان رَقِيباً على الشَّيء، أي: الشَّهِيدُ على عِبادِه بِأعمالِهِم ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: القَوِيُّ ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ جَبَرَ خَلقَه على ما أراد، ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلْمَلِكُ﴾) أي: المتصرِّف في خَلقه بالإيجاد والإعدام.

قوله: (﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾) أي: المنزَّهُ عن صفات الحوادث، وأتى به عَقب ﴿ٱلْمَلِكُ﴾؛ لِدفع توهُّم أنه يَطرأ عليه نقصٌ كالملوك.

قوله: (﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾) أي: الذي يُسلِّم على عباده المؤمنين في الجنة، وعلى الأنبياء في الدنيا، أو السالم من كلِّ نقصٍ، أو المؤمِّن مِن المخاوف والمهالك.

قوله: (المُصدِّق رُسله بخَلق المُعجزة لهم) أي: وأولياءه بالكرامات، وعبادَهُ المؤمنين على إيمانهم وإخلاصِهم؛ لأنه لا يَطَّلع على الإخلاص إلا هو.

قوله: (أي: الشهيد على عباده) وقيل: مَعناه: المطَّلع على خطَرات القُلوب.

قوله: (القوي) أي: فهو من: (عزَّ) بمعنى: غلَب وقهَر، فيكون من صِفات الجلال، ويصح أن يكون من (عزَّ) بمعنى: قلَّ فلم يُوجد له نظيرٌ، فهو من صفات السُّلوب.

قوله: (جبَر خلقه على ما أراد) أي: من إسلامٍ وكفرٍ، وطاعةٍ ومعصيةٍ، فإذا أراد أمراً فعَله، لا يَحجزه عنه حاجزٌ، فهو من صفات الجلال، ويصحُّ أنه مأخوذٌ من الجبر بمعنى: الإصلاح؛ كقَولهم: جبَر الطبيبُ الكسر؛ أي: أصلَحه، فيكون من صفات الجمال.

قوله: (﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾) أي: من الكبرياء، وهي التَّعالي في العظمة، وهي مُختصَّةٌ به تعالى؛ لما في الحديث القدسي: «الكبرياءُ رِدائي، والعظمة إزاري، فمَنْ نازعني واحِدة منهما.. **قصَمتُه** ثمَّ حذفتُه في النار»[1].

---

(١) رواه أبو داوود (٤٠٩٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: (قذفته) بدل (حذفته)، وبنحوه عند مسلم (٦٧٧٣).

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤﴾

عمَّا لا يَلِيق بِه، ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ نَزَّهَ نَفسَه ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بِه.

٢٤ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾: المُنشِئُ مِن العَدم، ﴿ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ التِّسعةُ والتِّسعُونَ الوارِدُ بِها الحَدِيثُ، و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ مُؤنَّثُ (الأحسَنِ)، ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ تَقدَّم أوَّلها.

حاشية الصاوي

قوله: (عمَّا لا يَليق به) أي: مِن صفات الحدوث.

قوله: (﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾) أتى بالتسبيح عَقِب قوله: ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾؛ إشارةً إلى أنَّ هذا الوصفَ مُختَصٌّ به، ويُنزَّه سبحانه عن مُشاركة الغير له.

قوله: (﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾) كرَّر الهويَّة؛ لأنها حقيقةُ الذات المتَّصفة بِالكمالات، فما يُذكر بعدها من الصفات فهو كشفٌ لها.

قوله: (﴿ٱلْخَٰلِقُ﴾) أي: الموجِدُ للمخلوقات من العدم.

قوله: (المُنشئ) أي: المُبدِعُ للأعيان، المبرزُ لها.

قوله: (﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾) أي: المُبدِع للأشكال على حسَب إرادته، فأعطى كلَّ شيءٍ من المخلوقات صُورةً خاصَّةً وهيئةً منفردةً، يَتميَّز بها على اختلافها وكثرتِها.

قوله: (مؤنث «الأحسَن») أي: الذي هو (أفعَل) تفضيل، لا مُؤنث (أحسَن) المقابل لـ: (امرأة حَسناء). ووُصفت بالحسن؛ لأنها تَدلُّ على مَعان حسنةٍ؛ من تحميدٍ وتقديسٍ وغير ذلك، ووصف الجمع الذي لا يعقل بما توصف به الواحدة، وهو فصيحٌ، ولو جاء على المطابقة.. لقال: (الحُسَن) بوزن (أُخَر)، ويصحُّ أن يُراد من (الحسنى) المصدرُ، ويُقال فيه ما قيل في: زيد عَدل، ووصفُ الجمع به ظاهرٌ لأنه لا يُثنَّى ولا يجمع.

قوله: (﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) ختَمها بالتسبيح كما ابتَدأها به؛ إشارةً إلى أنه المقصودُ الأعظمُ والمَبدأُ والنهايةُ، وأنَّ غايةَ المعرفة بالله تنزيهُهُ عمَّا صَوَّرته العقول.

✿ ✿ ✿

[illegible]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم ....



مدنيَّة، ثلاثَ عشرةَ آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي: كُفَّارَ مكَّة ﴿أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ﴾: تُوَصِّلُون ﴿إِلَيْهِم﴾ قَصد النَّبيِّ ﷺ غزوَهم الذِي أسَرَّهُ إلَيكُم ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ المُمْتَحنَة

بكسر الحاء وفتحها؛ لأنه نزل فيها أمرُ المؤمنين بامتحان المرأة التي هاجرَت، فالكسر من حيثُ أمْرُ المؤمنين بالامتحان، والفتحُ من حيث المرأةُ، وهي أمُّ كلثوم بنت عُقبة بن أبي معيط، امرأة عبد الرحمن بن عوف، والدة إبراهيم بن عبد الرحمن.

قوله: (مدنيَّة) أي: بإجماع.

قوله: (﴿عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ﴾) أضاف العدوَّ لنفسه تعالى؛ تشريفاً للمؤمنين؛ أي: إنَّ عدوَّكم بمنزلة عدوِّي، أنتقم منه، وإلا.. فالعدوُّ بمعنى: الموصل للضَّرر على الله محالٌ؛ كما أنَّ الحبيب الموصِل للنفع على الله محالٌ.

قوله: (أي: كفارَ مكة) تفسيرٌ للعدو، والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، فحكمُ الآية باقٍ مع سائر الكُفار إلى يوم القيامة.

قوله: (﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم﴾) هذه الجملة إمَّا مفسِّرة لموالاتهم إيَّاهم، أو استئنافيةٌ، فلا محلَّ لها من الإعراب على هذَين، أو حالٌ من فاعل ﴿تَتَّخِذُواْ﴾، أو صفة لـ﴿أَوْلِيَآءَ﴾.

قوله: (قَصْدَ النبي... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ مفعول ﴿تُلْقُونَ﴾ محذوف، والباء في قوله: ﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ سببيَّة.

بِٱلْمَوَدَّةِ ....

ووَرَّى بِحُنَينٍ، ﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ بَينكُم وبَينَهم، كَتب حاطِبُ بن أَبِي بَلتَعةَ إِلَيهِم كِتاباً بِذلك لِما لَه عِندَهم مِن الأولادِ والأهلِ المُشرِكِين، ....

حاشية الصاوي

قوله: (ورَّى بحنين) أي: بغزوة حنين، والمعنى: أظهر لعامَّة الناس أنه يريد غزوة حنين، على عادته من أنه كان إذا خرج لغزوةٍ يورِّي بغيرها[1]، كان يسأل عن طريق غيرها؛ ستراً عن المنافقين؛ لِئلا يرسلُوا إلى الكفار، فيتنبَّهوا، فيفوت تدبيرُ الحرب.

والتَّورية مأخوذةٌ من: وراء الإنسان، كأنه يجعل ما أراده خلفَه ووراءه، وفي بعض النسخ: (وورى بخيبر)، وهو تحريفٌ؛ لأنَّ غزوة خيبر كانت في المحرم سنة سبع، وفتح مكة كان في رمضان من السنة الثامنة، وحنين كانت بعد الفتح في شوال من سنة الفتح، فورَّى بها على عادته في غزواته، والسورة نزَلت في غزوة الفتح.

قوله: (كتب حاطب بن أبي بلتعة... إلخ) أي: وكان ممَّن هاجر مع النبي ﷺ، وهو في الأصل من اليَمن، وكان في مكة حَليف بني أسد بن عبد العُزى رهطِ الزبير بن العوام. وهذا بيانٌ لسبب نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ الآيتين.

روي عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: بعَثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: «**ائتُوا روضة خاخ ـ بالصرف وتركه، موضع بينه وبين المدينة اثني عشر ميلاً ـ فإنَّ بها ظعينةً معها كتابٌ، فخذُوه منها**»، فانطلقنا نُهادي خيلنا ـ أي: نسرعها ـ فإذا نحن بامرأةٍ فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتابٌ، فقلنا: لَتُخْرِجِنَّ الكتاب أو لَتُلْقِنَّ الثياب، فأخرجَتْهُ من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: مِن حاطب بن أبي بلتعة إلى ناسٍ من المشركين من أهل مكة، يُخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب؛ ما هذا؟» فقال: لا تعجل عليَّ يا رسول الله، إني كنت امرأً مُلصقاً في قريش ـ قال سفيان: كان حليفاً لهم ولم يكن من أنفسها ـ وكان مَنْ معك من المهاجرين لهم قراباتٌ يَحمون بها أهليهم، فأحببتُ إذ فاتني ذلك عن النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يَحمون بها قرابتي، ولم أفعله كفراً ولا ارتداداً عن ديني، ولا رِضاً بالكفر بعد الإسلام، وقد علمت أنَّ الله ينزل بهم بأسه، وأنَّ كتابي لا يُغني عنهم شيئاً، وأنَّ الله ناصرُك

---

(١) كما في «صحيح البخاري» (٢٩٤٧)، و«صحيح مسلم» (٢٧٦٩) من حديث سيدنا كعب بن مالك ﷺ.

فاستَرَدَّهُ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّن أرسَلَهُ مَعهُ ....

حاشية الصاوي

عليهم، فقال النبي ﷺ: «صدق»، فقال عمر رضي الله عنه: دَعني يا رسول الله أضرِبْ عنقَ هذا المنافق، فقال له رسول الله ﷺ: «إنه شهد بدراً، وما يُدريك لعلَّ الله اطَّلع على أهل بدرٍ فقال: اعملُوا ما شِئتم؛ فقد غفرتُ لكم»، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[١].

قيل: اسم المرأة سارة من موالي قريش، رُوي: أنَّ رسول الله أمَّن جميع الناس يوم فتح مكة إلا أربعة وهي إحداهم[٢]، وقيل: إنها عاشت إلى خلافة عمر، وأسلمَت وحسُن إسلامها.

وكان في الكتاب: أمَّا بعدُ، فإنَّ رسول الله ﷺ قد توجَّه إليكم بجيشٍ كالليل، يسير كالسيل، وأقسم بالله لو لم يَسِرْ إليكم إلا وحده. . لأظفرَه الله بكم، ولأنجز له مَوعده فيكم؛ فإنَّ الله وليُّه وناصِره[٣].

وروي: أنَّ سارة المذكورة حين قَدمت المدينة، فقال لها رسول الله ﷺ: «أمهاجرة جئتِ يا سارة؟» فقالت: لا، فقال: «أمسلمة جئت؟» قالت: لا، قال: «فما جاء بك؟» قالت: كنتُم الأهل والموالي والأصل والعشيرة، وقد ذهب بعض الموالي ـ يعني: قتلُوا يوم بدر ـ وقد احْتَجْتُ حاجةً شديدةً، فقَدمت عليكم؛ لِتُعطوني وتكسوني، فقال عليه السلام: «فأين أنت من شباب أهل مكة؟» وكانت مغنِّيَةً، قالت: ما طُلِبَ مني شيءٌ بعد وقعة بدر، فحثَّ رسول الله ﷺ بني عبد المطلب على إعطائها، فكسَوها وحملوها وأعطوها، فخرجت إلى مكة، وأتاها حاطب فقال: أعطيك عشرة دنانير وبرداً على أن تُلقي هذا الكتاب إلى أهل مكة، وكتب فيه: إنَّ رسول الله ﷺ يريدكم، فخذُوا حذرَكم، فخرجت سارة سائرةً إلى مكة، ونزل جبريل فأخبر النبي ﷺ بذلك، فبعث لها عليًا. . . إلى آخر ما تقدَّم[٤].

قوله: (فاسترده النبي) أي: طلب ردَّه بإرسال عليٍّ ومَنْ معه.

قوله: (ممَّن أرسله) أي: وهي سارة، والضمير المستتر في (أرسل) عائدٌ على حاطب، والبارز عائدٌ على الكتاب.

---

(١) رواه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) واللفظ له.

(٢) رواه أبو داوود (٢٦٨٣)، والنسائي في «المجتبى» (٧/ ١٠٥) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وليس فيه ذكرُ أسمائهم.

(٣) ذكره السهيلي في «الروض الأنف» (٧/ ٨٦).

(٤) أورده بتمامه البغوي في «تفسيره» (٨/ ٩٢).

﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ﴾ ......

بِإعلامِ الله تَعالى لَهُ بِذلك، وقَبِلَ عُذرَ حاطِب فِيه، ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: دِينِ الإسلام والقُرآنِ، ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ مِن مَكَّة بِتَضييقِهِم عليكُم، ﴿أَن تُؤْمِنُواْ﴾ أي: لِأجلِ أن آمنتُم ﴿بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا﴾: لِلجهادِ ﴿فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ﴾ ـ وجَوابُ الشَّرط دلَّ عليهِ ما قَبلَه ـ أي: فلا تَتَّخِذُوهُم أولياءَ، ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بإعلام الله له) متعلق بـ(استرده)، والباء سببيَّة.

قوله: (وقَبِلَ عذْرَ حاطب) أي: لأنَّه مؤمنٌ بدريٌّ، شهد الله له بالإيمان حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ﴾) إمَّا مستأنفٌ، أو تفسيرٌ لكفرهم، أو حال من فاعل ﴿كَفَرُواْ﴾.

قوله: (﴿وَإِيَّاكُمْ﴾) عطف على ﴿ٱلرَّسُولَ﴾، وقدِّم عليهم؛ لأنه المقصود، فلذلك عدل عن اتصال الضمير إلى انفصاله؛ لأنه لو قال: (يخرجونكم والرسول).. لَفات هذا المعنى.

قوله: (أي: لأجل أن تؤمنوا... إلخ) أشار به إلى أنَّ ﴿أَن تُؤْمِنُواْ﴾ في محل نصب مفعول له؛ والمعنى: يُخرجونكم من أجل إيمانِكم بالله.

قوله: (﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾) أي: من مكة.

قوله: (للجهاد) أشار به إلى أن ﴿جِهَٰدًا﴾ وما بعده منصوب على المفعول له.

قوله: (﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم﴾) بدل من ﴿تُلْقُونَ﴾ بَدل بعضٍ من كلٍّ، أو مستأنف، ومفعول ﴿تُسِرُّونَ﴾ محذوفٌ، قدَّره بقوله: (إسرار خبر النبي)، والباء في ﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾: للسببيَّة؛ نظير ما تقدَّم.

قوله: (﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ﴾) الجملة حاليَّة من فاعل ﴿تُلْقُونَ﴾ و﴿تُسِرُّونَ﴾[1].

---

(١) والتقدير: وأيُّ طائل لكم في إسراركم وقد علمتُم أنَّ الإسرار والإعلان سيَّان في عِلمي؟ و(أعلم): يجوز أن يكون أفعل تفضيل وهو الظاهر، وأن يكون فعلاً مضارعاً، قال ابنُ عطية: وعُدِّيَ بالباء؛ لأنك تقول: عَلمتُ بكذا. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٠٠).

وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ

﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾ أي: إسرارَ خَبَرِ النَّبيِّ إليهم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: أخطأ طَرِيقَ الهُدَى، والسَّواء في الأصلِ: الوسَط.

﴿٢﴾ ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾: يَظفَروا بِكُم ﴿يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بِالقَتلِ والضَّربِ، ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾: بِالسَّب والشَّتمِ، ﴿وَوَدُّواْ﴾: تَمَنَّوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿٣﴾ ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾: قَراباتُكم ﴿وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْۚ﴾ المُشرِكُون الذِينَ لِأَجلِهِم أسرَرتُم الخَبَر مِن العَذابِ في الآخِرة، ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (طريق الهدى) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ مفعول ﴿ضَلَّ﴾.

قوله: (﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾... إلخ) كلامٌ مستأنفٌ مبيِّنٌ لِوجه العداوة.

قوله: (﴿يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً﴾) أي: يُظهِروا العداوة لكم.

قوله: (﴿وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾) عطف على جملة الشرط والجزاء؛ فقد أخبر عنهم بخبرين: عداوَتهم، ومودَّتهم كُفْرَ المؤمنين[1].

قوله: (﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾) هذا تخطئةٌ لحاطب في رأيِه، كأنه قال: لا يحملكم قراباتكم وأولادكم الذين بمكة على خيانة رسول الله ﷺ والمؤمنين، وترك مُناصحتهم، ونقل أخبارهم، ومُوالاة أعدائهم؛ فإنه لا تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم الذين عصَيتم الله لأجلهم.

قوله: (مِن العذاب) متعلق بقوله: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ﴾.

قوله: (﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾) إمَّا متعلق بما قبله فيوقف عليه، ويبتدأ بـ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْۚ﴾، أو متعلِّق بما بعده، فيوقف على ﴿أَوْلَٰدُكُمْ﴾، ويبتدأ بـ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

---

(١) ويجوز أن يكون معطوفاً على جواب الشرط وهو قوله: (يكونوا) و(يبسطوا)، قاله الزمخشري، ثمَّ رتَّب عليه سؤالاً وجواباً فقال: (فإن قلتَ: كيف أورد جواب الشرط مضارعاً مثله ثم قال: (ودوا) بلفظ الماضي؟ قلت: الماضي وإن كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في عِلم الإعراب، فإنَّ فيه نكتة، كأنه قيل: ووَدُّوا قبل كلِّ شيءٍ كفركم وارتدادكم، يعني: أنهم يريدون أن يُلحقوا بكم مَضارَّ الدنيا والآخرة جميعاً). انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٠١).

يَبۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝٣ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ....

ـ بالبِناء لِلمَفعُولِ والفاعِل ـ ﴿يَبۡنَكُمۡۚ﴾ وبَينَهم؛ فتَكُونُون في الجَنَّة وهُم في جُملةِ الكُفَّار في النَّار، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

﴿٤﴾ ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ إِسۡوَةٌ﴾ ـ بِكَسرِ الهَمزة وضَمِّها في المَوضِعَين ـ: قُدوةٌ ﴿حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي: بِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالبناء للمفعول) أي: مع التخفيف والتشديد، وقوله: (والفاعل) أي: معهما أيضاً، فالقراءات أربعٌ سبعيَّات[1].

قوله: (وبينهم) أي: الأرحام والأولاد.

قوله: (فتكونون في الجنة) أي: فلا ينبغي مُوالاة الكفار؛ لأنه لا اجتماع بينكم وبينهم في الآخرة.

قوله: (﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾) لما بيَّن سبحانه وتعالى حالَ مَنْ جعل الكفار أولياءَ في أول السورة.. ذكر هنا قصة إبراهيم وقومه، وأنَّ طريقتَه التبري من أهل الكفر، وألزم أمَّة محمد بالاقتداء به في ذلك، وفيه توبيخٌ لحاطب ومَنْ والى الكفار.

قوله: (بكسر الهمزة وضمِّها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، وقوله: (في الموضعين) أي: هذا، وقوله الآتي: ﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ﴾، ومعناها عليهما: الاتباع والاقتداء كما قال المفسِّر[2].

قوله: (﴿فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾) جارٌّ ومجرور متعلق بـ﴿أُسۡوَةٌ﴾، وردَّ: بأنه لا يجوز عملُ المصدر الموصوف.

أجيب: بأنه يتوسَّع في الظروف ما لا يتوسَّع في غيرها، ويصح أنه متعلِّق بـ﴿حَسَنَةٞ﴾ تعلُّقَ الظرف بالعامل، ويصح أنه نعتٌ ثانٍ لـ﴿أُسۡوَةٌ﴾، وإنما خصَّ التَّأسي بإبراهيم؛ لأنه صبر على أذى عدو الله النمروذ ولم يكن معه أحدٌ يُعينه عليه مع تفرُّده بملك الأرض مشرقاً ومغرباً.

---

(١) القرَّاء في ﴿يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ على أربع مراتب، الأولى: لابن عامر بضم الياء وفتح الفاء والصاد مُثقلة، الثانية: كذلك إلا أنه بكسر الصاد للأخوين، الثالثة: بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد مخفَّفة لِعاصم، الرابعة: بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد مخففة للباقين، وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو. هذا في السبعة. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٠٢).

(٢) قرأ (أسوة) في الموضعين عاصم بضمِّ الهمزة، والباقون بكسرها. انظر «السراج المنير» (٤/ ٢٦٢).

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ....﴾

قَولاً وفِعلاً، ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ مِن المُؤمِنِين، ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟﴾: جَمع (بَرِيء) كـ(ظَرِيف) ﴿مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾: أنكرناكُم، ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾ - بِتَحقِيق الهمزَتَينِ، وإبدالِ الثَّانية واواً - ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ مُستَثنى مِن ﴿أُسْوَةٌ﴾؛ فليسَ لَكُم التَّأَسِّي بِه في ذلك بِأن تَستَغفِرُوا

حاشية الصاوي

قوله: (قولاً وفعلاً) تمييزٌ مبيِّن لجهة الاقتداء؛ أي: اقتَدوا به في القول والفعل؛ فإنه لم يبالِ بالكفار ولا بشدَّتهم وضعفِه.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ مِن المؤمنين) يحتمل أنَّ المراد بالمعيَّة وهو في أرض بابل، وحينئذٍ: فلم يكن معه إلا لوطٌ ولدُ أخيه وسارةُ زوجتُه، أو المراد: بعد مجيئه إلى الشام، وحينها كثر المؤمنون به.

قوله: (﴿إِذْ قَالُوا۟﴾) هذا بدل اشتمال من ﴿إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾، والمراد بقومهم: النمروذ وجماعتُه؛ أي: فبادرهم بالعداوة، ولم يبالُوا بهم مع شدَّة بأسهم وضعفِ المؤمنين.

قوله: (﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ﴾) أي: مِن دينكم وآلهتكم.

قوله: (﴿وَبَدَا﴾) أي: ظهر بينَنا وبينكم العداوة على ممرِّ الأزمان؛ بدليل ذكر الأبد. والعداوةُ: المباينةُ ظاهراً، والبغضاء: المباينةُ بالقلوب، وفي الحقيقة هما متلازمان.

قوله: (بتَحقيق الهمزَتين... إلخ) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (مستثنى من ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾) أي: وساغ ذلك؛ لأنَّ القول من جملة الأسوة، فكأنه قيل لكم: فيه أُسوة في أفعاله وأقواله إلا قوله كذا.

قوله: (أي: فليس لَكم التأسي به) أي: لأنَّ استغفاره له؛ لرجائه إسلامَهُ، فلمَّا ظهر أنه عدوٌّ لله.. تبرَّأ منه.

---

(١) أبدل الهمزة الثانية واواً مَحضة المدنيان والمكي والبصري ورُويس، وحقَّقها غيرهم، واتفقوا على تحقيق الأُولى. انظر «البدور الزاهرة» (ص٣١٨).

﴿وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤﴾ ....

لِلكُفَّارِ، وقَولَه: ﴿وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: مِن عَذابِه وثَوابِه ﴿مِن شَيۡءٖۖ﴾ كَنَّى بِه عن أَنَّهُ لا يَملِكُ لَهُ غَيرَ الاستِغفار، فهو مَبنِيٌّ علَيهِ مُستَثنى مِن حيثُ المُراد مِنهُ وإن كان مِن حَيثُ ظاهِرُه مِمَّا يُتأَسَّى فِيه، ﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾ [الفتح: ١١]، واستِغفارُه له قبلَ أن يَتَبيَّنَ لَهُ أنَّهُ عَدُوٌّ للهِ كما ذَكَرهُ في (براءة)، ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ مِن مَقُول الخَليل ومَن مَعهُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ﴾) هذه الآية باعتبار معناها الوضعي تكون من جملة ما يُقتدَى به فيه؛ لأنَّ محصِّله أنه لا يملك له ثواباً ولا عقاباً، على حدِّ: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، وهذا ثابت لإبراهيم وغيره، وليس مراداً هنا، بل المراد: معناها الكنائي، وهو أنه لا يملك له غير الاستغفار، فهو غير مقتدًى به فيه، وحينئذٍ: فقوله: ﴿وَمَآ أَمۡلِكُ﴾ معطوف على ﴿لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾، وأشار المفسِّر لذلك بقوله: (كنَّى به... إلخ).

قوله: (فهو مبني عليه) أي: معطوفٌ على ﴿لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ﴾ ومرتبط به، ساقه اعتذاراً.

قوله: (مُستثنى من حيث المراد منه) أي: وهو المعنى الكنائي.

قوله: (وإن كان مِن حيث... إلخ) مُبالغة على أنه ليس مراداً، وإن كان معناه الوضعي.

قوله: (﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ﴾) هذا دليلٌ للمعنى الوضعيِّ الغيرِ المراد.

قوله: (واستِغفاره) هذا بيانٌ لعذر إبراهيمَ في استغفاره لأبيه، وذلك أنه لم يَستغفرْ له إلا لرجاءِ إيمانِهِ، ولما مات على الكفر.. رجع عن ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ...﴾ إلخ.

والحاصل: أنَّ إبراهيم وعد أباه بالاستغفار في سورة (مريم) بقوله: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ [مريم: ٤٧]، واستغفر له بالقول في سورة (الشعراء) في قوله تعالى: ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ﴾ [الشعراء: ٨٦]، ثمَّ رجع عن ذلك كما بيَّنه الله في سورة (براءة)[1].

قوله: (من مَقول الخليل... إلخ) أي: الذي يُقتدى به فيه، فهو في المعنى مقدَّمٌ على جملة الاستثناء.

---

(١) وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾.

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ....

أي: وقالُوا.

﴿٥﴾ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لا تُظهِرْهُم علَينا فيَظُنُّوا أنَّهم على الحَقِّ فيَفتَتِنُوا بِنا، أي: تَذهَب عُقولُهم بِنا، ﴿وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في مُلكِك وصُنعِك.

﴿٦﴾ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ يا أُمَّةَ مُحمَّد ـ جَواب قَسَم مُقدَّر ـ ﴿فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ﴾ ـ بَدَل اشتِمال مِن (كُم) بإعادةِ الجار ـ ﴿يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي: يَخافهُما أو يَظُنُّ الثَّواب والعِقابَ، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ بأن يُوالِي الكُفَّار ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خَلقِه، ﴿الْحَمِيدُ﴾ لأهلِ طاعَتِه.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: قالُوا) فهو معمولٌ للقول السابق في ﴿قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ﴾ أي: قالُوا ذلك وقالوا: ﴿رَبَّنَا...﴾ إلخ، ويصح أن يكون أمراً من الله لِلمؤمنين؛ تتميماً لما أمرهم به مِن ترك موالاته الكفارَ؛ أي: أظهِرُوا لهم العَداوة، ولا يَهولكم أمرُهم، وقولوا: ﴿رَبَّنَا...﴾ إلخ.

ومعنى ﴿تَوَكَّلْنَا﴾: فوَّضنا أمرنا، وقوله: ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ أي: رَجعنا بالتوبة عن كلِّ ما تكره منَّا، وقوله: ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ المرجعُ في الآخرة.

قوله: (أي: لا تُظهرهم) أي: لا تجعلهم غالبين علينا، وقوله: (فيظنوا أنهم على الحق) يعني: إن ظفرُوا بنا، وقوله: (فيَفتتنوا) أي: يزدادُوا كفراً ويَدومُوا عليه؛ لأنَّ الاستدراج يُوجبُ زيادةَ الكفر.

قوله: (﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾) أي: ما مضى من الذنوب.

قوله: (﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾) هذه الجملة تأكيدٌ لقوله سابقاً: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ...﴾ إلخ، أتى بها للمبالغة في التحريض على الاتباع لإبراهيم وأُمَّتِه.

قوله: (أو يظن الثواب والعقاب) تفسيرٌ ثانٍ لمعنى الرجاءِ، والمراد بظنِّ الثوابِ... إلخ: الإيقانُ بذلك.

قوله: (﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾) أي: يُعرض عن الاقتداء بإبراهيم، وجواب الشرط محذوفٌ، تقديره: فوَباله على نفسه، وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ...﴾ إلخ تعليلٌ للجواب.

عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ ....

﴿٧﴾ ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم﴾ مِن كُفَّار مَكَّة طاعةً لله تعالى ﴿مَّوَدَّةٗۚ﴾ بأن يَهدِيَهُم لِلإيمانِ فيَصيرُوا لَكُم أولياءَ، ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ﴾ على ذلك وقد فعلَهُ بَعد فتحِ مكَّة، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لَهُم ما سَلَفَ ﴿رَّحِيمٞ﴾ بِهِم.

﴿٨﴾ ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ﴾ مِن الكُفَّار ﴿فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ﴾ ـ بَدَل اشتِمال مِن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عَسَى ٱللَّهُ﴾... إلخ) هذا تسليةٌ للمؤمنين في عدم مُوالاةِ الكفارِ الذين أمرُوا به في أول السورة، فشدَّد المسلمون على أنفسِهم في هجر الكفار، فوعد الله المسلمين بإسلامِ أقاربهم الكفار، فيُوالُونهم موالاةً جائزةً مطلوبةً، ويجمع الله الشَّملَ بعد التفرُّق.

قوله: (﴿مِّنۡهُم﴾) أي: من الكفار، فهو حالٌ من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ أي: حال كون الذين عاديتمُوهم من جملة الكفار، وقوله: (طاعةً لله) مفعول لأجله؛ أي: حصَلت المعاداةُ لأجل طاعةِ الله.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ﴾) أي: فلا يُسْتَبعدُ عليه ذلك الجعلُ المذكورُ.

قوله: (وقد فعَله) أي: بأن أسلَم غالبُ كفار مكة، فصارُوا أحباباً وإخواناً.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لهم) أي: للذين عادَيتمُوهم؛ بأن محا عنهم ما سلَف بسبب الإيمان.

قوله: (﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ﴾) نزلت هذه الآية لتخصيص الحكم النازل أوَّل السورة؛ لأنَّ الآية الأولى عامَّةٌ في سائر الكفار مُطلقاً ولو كانُوا مصالحين، ثمَّ بيَّن هنا أنَّ مَنْ كان من الكفار بينهم وبين المسلمين صُلحٌ ومهادنةٌ. تجوز موادَدَتُهم، ولم يكن النهي شاملاً لهم؛ كخزاعة وبني الحارث، وعلى هذا: تكون الآية مُحكمةً، فيجوز الآن للمسلمين مُوادَدَةُ الكفار الذين تحت الذمَّة والصلح، وقيل: إن المراد بقوله: ﴿لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ﴾ أي: لم يَبتدئوكم بالقتال ولو لم يكن بينكم وبينهم صلحٌ، وهذا كان في أول الأمر بالجهاد، ثمَّ نسخ بالأمر بالقتال عموماً بقوله تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥].

قوله: (﴿فِي ٱلدِّينِ﴾) أي: لأجل دِينكم.

قوله: (بدل اشتمال) أي: فالمعنى: لا ينهاكم الله عن أن تَبرُّوهم، والبرُّ هو: الإحسانُ.

وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ ....

﴿وَتُقۡسِطُوٓاْ﴾: تُفضوا ﴿إِلَيۡهِمۡۚ﴾ بِالقِسطِ أي: بِالعَدلِ، وهذا قبلَ الأمرِ بِجِهادِهِم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾: العادِلين.

﴿٩﴾ ﴿إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ﴾: عاوَنُوا ﴿عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ﴾ ـ بَدَل اشتِمالٍ مِن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ـ أي: تَتَّخِذُوهم أولياءَ، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿١٠﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (تَقضوا) إنما فسَّر (تُقسِطوا) بمعنى (تَقضوا)؛ ليصحَّ تعديتُه بـ(إلى).

قوله: (أي: بالعدل) هذا لا يخصُّ هؤلاء فقط، بل العدل واجبٌ مع كلِّ أحدٍ ولو قَاتَلَ، فالأولى تفسيره بالإعطاء؛ أي: تُعطوهم قسطاً من أموالكم، فعطف (القسط) على (البر) من عطفِ الخاصِّ على العامِّ.

قوله: (وهذا قبل الأمر بِجهادهم) يُشير بذلك إلى أنَّ الآية منسوخةٌ، وقد علمتَ ما فيه.

قوله: (العادِلين) أي: على تفسير (القِسط) بـ(العدل)، وعلى تفسيرِ (القسط) بـ(الإعطاء) فالمراد بالمقسِطِين: المحسنين.

قوله: (﴿وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ﴾) أي: وهُم أهل مكة.

قوله: (بدل اشتمال) أي: إنما يَنهاكم الله عن أن تَوَلَّوْهُم.

قوله: (﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾) فيه مُراعاة معنى (مَنْ) بعد مُراعاة لفظها.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾) لَما أمر الله المسلمين بهجر الكفار، واقتضى ذلك عدمَ مُساكنتِهم والهجرةَ إلى المسلمين؛ خوفاً من الموالاة المنهيِّ عنها، وكان التناكحُ من أقرب أسباب الموالاة.. بيَّن أحكام الزوجَين في هذه الآية.

وسبب نزولها: أنَّ النبي ﷺ لَما عقد الصلح مع الكفار عامَ الحديبية على شرطٍ: مَنْ أتى النبيَّ من أهل مكة يردُّه إليهم وإن كان مسلماً.. جاءت سُبَيْعةُ بنتُ الحارث الأسلميَّةُ مهاجرةً للنبي، فجاء

مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ ....

بِألسِنَتِهِنَّ ﴿مُهَٰجِرَٰتٖ﴾ مِن الكُفَّار بعدَ الصُّلح مَعَهُم في الحُدَيبِيةِ على أنَّ مَن جاءَ مِنهُم إلى المُؤمِنين يُرَدُّ، ﴿فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ﴾ بالحَلِفِ أنَّهُنَّ ما خَرجنَ إلَّا رَغبةً في الإسلام؛ لا بُغضاً لِأزواجِهِنَّ الكُفَّار، ولا عِشقاً لِرِجالٍ مِن المُسلِمين، كذا كان النَّبيُّ ﷺ يُحلِّفُهُنَّ. ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ﴾: ظَنَنتُمُوهُنَّ بِالحَلِفِ ﴿مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ﴾: تَرُدُّوهُنَّ ﴿إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم﴾ أي: أعطُوا الكُفَّار أزواجَهُنَّ ﴿مَّآ أَنفَقُواْۚ﴾ علَيهِنَّ مِن المُهُور،

حاشية الصاوي

زوجُها صَيفيُّ بن الراهب ـ وقيل: مُسافر المخزومي ـ وكان كافراً فقال: يا محمَّد؛ ارْدُد عليَّ امرأتي، فأنتَ شرطت ذلك، فأنزل الله هذه الآية، فاستَحلفها رسول الله ﷺ، فحلَفت، فأعطى زوجها ما أنفق، وتزوَّجها عمر بن الخطاب[1].

قوله: (بألسنَتِهنَّ) أي: ناطقات بالشهادتين بألسنَتِهنَّ.

قوله: (من الكفار) أي: حالَ كونهنَّ من جملة الكفار، أو متعلق بـ﴿جَآءَكُمُ﴾.

قوله: (بعد الصُّلح) مُتعلق بـ﴿مُهَٰجِرَٰتٖ﴾، أو بـ﴿جَآءَكُمُ﴾.

قوله: (على أنَّ من جاء منهم) أي: مؤمناً.

قوله: (﴿فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ﴾ بالحَلف) أي: حَلِّفوهنَّ؛ هل هنَّ مسلماتٌ حقيقةً أو لا؟

وسبب الامتحان: أنه كان مَنْ أرادَتْ من الكفار إضرارَ زوجها.. قالَت: سأهاجر إلى رسول الله؛ فلِذلك أمر بالامتحان[2].

قوله: (﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ﴾) أي: بصِدْقِهِ.

قوله: (﴿فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ﴾) أي: لا يَحلُّ لكم أن تردوهنَّ إلى الكفار، قال تعالى: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

قوله: (﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ﴾) أي: ما دفَعوه لهنَّ من المُهور؛ كما فعل ﷺ ذلك مع زوج سُبَيْعة.

---

(١) انظر «زاد المسير» (٤/ ٢٧١)، و«أخبار مكة» (٥/ ٤٢)، واسمُ زوجها فيه: مسافر بن أسلَم.

(٢) انظر «تفسير الماوردي» (٥/ ٥٢١).

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ....﴾

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ بِشَرطِهِ ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مُهُورَهنَّ، ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟﴾ - بِالتَّشدِيد والتَّخفِيف - ﴿بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾: زَوجاتِكُم لِقَطعِ إسلامِكُم لَها بِشَرطِهِ، أو اللاحِقات بِالمُشرِكِين مُرتَدَّاتٍ لِقَطعِ ارتِدادِهِنَّ نِكاحكُم بِشَرطِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بشَرطه) أي: وهو انقضاء عدَّتها في الإسلام إن كان مَدخولاً بها، والولي، والشاهدان، وبقية شُروط الصحة في المدخول بها وغيرها.

قوله: (بالتَّشديد والتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾) جمع (عِصمة)، وهي هنا عقد النكاح. والكوافر: جمع (كافرة) كـ: ضوارب جمع (ضاربة)، وقوله: (زوجاتكم) أي: المتأصِّلاتِ في الكفر اللاتي أسلَمتم عنهنَّ، وهذا النعت المقدَّر هو المعطوفُ عليه قوله: (واللاحقات. . . إلخ).

وصورة المسألة: أنَّ الزوج أسلَم عن زوجته الكافرة، فهذا نهيٌ للمؤمنين عن بقائهم على عصم المشركات الباقيات على الكفر، بخلاف إسلامِهم عن الكتابيَّات، فلا ينفسخ نكاحهم؛ فإنَّ النكاح بهنَّ يجوز لِلمسلم ابتداءً، فلا يمنع من البقاء عليهنَّ بعد الإسلام.

قوله: (لقطع إسلامِكم لها بشَرطه) أي: شَرط القطع، وهو ألَّا يجمعهما الإسلام في العِدَّة، فإن أسلم وأسلمت بعدَه بشهرٍ ونحوه، أو أسلمت قبله وأسلَم بعدها في العِدَّة والموضوع أنه مدخول بها. . أُقِرَّ عليها في الصُّورتين.

قوله: (أو اللاحقات) معطوف على النعت المقدَّر بعد (زوجاتكم)، وصُورتها: مسلماتٌ أصالةً تحت أزواجٍ مسلمين، فوقعت منهنَّ الردة والتَحَقن بالمشركين في ذلك.

قوله: (بشَرطه) أي: وهو دَوام الردَّة إلى وفاء العدَّة، فإنْ رجعَتْ للإسلام قبل وفاء العِدَّة ترجع له من غير عقدٍ، هكذا مذهبُ الإمام الشافعي في المدخول بها، وأمَّا غيرها. . فتَبِينُ بمجرَّد الردَّة، وأمَّا مذهب مالك. . فلا ترجع له إلا بعقدٍ مطلقاً، سَواءٌ رجعت قبل العِدَّة أو بعدها، فكلام المفسِّر على قاعِدة مذهب الشافعي.

(١) قرأ أبو عمرو في آخرين بضم التاء وفتح الميم وشدِّ السين، وباقي السبعة بتَخفيفها. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٠٧).

﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ⑩ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم ....﴾

﴿وَسْـَٔلُوا۟﴾: اطلُبُوا ﴿مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ عليهِنَّ مِن المُهُور في صُورةِ الارتِداد مِمَّن تزوَّجهُنَّ مِن الكُفَّار، ﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ على المُهاجِرات كما تقدَّم أنَّهم يُؤتَونَهُ، ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ بِه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

⑪ ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ أي: واحِدة فأكثَر مِنهُنَّ أو شَيءٌ مِن مُهُورِهِنَّ بِالذَّهابِ ﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ مُرتَدَّات، ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾: فغَزَوتُم وغَنِمتُم ﴿فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم﴾

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾. . . إلخ) قال المفسِّرون: كان مَنْ ذهب من المُسلمات مرتدًّا إلى الكفار المعاهدِين يقال للكفار: هاتُوا مهرها، ويُقال للمسلمين: إذا جاء أحدٌ من الكافرات مسلمةً مهاجرةً. . رُدُّوا إلى الكفار مهرها، وكان ذلك نصفاً وعدلاً بين الحالين، ثمَّ نُسِخَ ذلك الأمرُ، فمن ارتدَّت. . لا تُقَرُّ، ومَن جاءتنا منهم مسلمةً مهاجرةً. . لا يأخذون لها مهراً[1].

قوله: (﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ﴾) أي: المذكور في هذه الآية، وقوله: (﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾) استئنافٌ، أو حالٌ بتقدير الرابط، وقد جرى عليه المفسِّر.

قوله: (﴿وَإِن فَاتَكُمْ﴾. . . إلخ) هذه الآية أيضاً من تتمَّة قوله: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾، فهو بمعناه، ومُحصّله: أنَّه إن فرَّت امرأةٌ أو أكثر إلى الكفار فغَنِمتم. . فأعطوا الذين فرَّت أزواجهم من الغنيمة قبل قسمتِها قَدْرَ مهرِها، فكأنَّه دَينٌ على الكفَّار.

قال ابن عباس: (لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين سِتُّ نسوةٍ مُرتدَّات، فأعطى رسول الله ﷺ أزواجهُنَّ مهورَ نسائهم من الغنيمة)[2].

قوله: (مُرتدات) حالٌ من (أزواج).

قوله: (فغزَوتم) فسَّر العقوبةَ بالغزو؛ لِحصولها به.

قوله: (﴿فَـَٔاتُوا۟﴾) بمدِّ الهمزة؛ أي: أعطُوا.

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١٨/ ٦٨).

(٢) أورَده الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦٩).

﴿مِثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ ....

مِن الغَنِيمةِ ﴿مِثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ۚ﴾ لِفَواتِهِ علَيهِم مِن جِهةِ الكُفَّار، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ وقَد فعَلَ المُؤمِنُون ما أُمِرُوا بِه مِن الإيتاءِ لِلكُفَّارِ والمُؤمِنِين، ثُمَّ ارتَفَع هذا الحُكمُ.

﴿١٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ كما كانَ يُفعَلُ في الجاهِلِيَّة ....

حاشية الصاوي

روي: أنَّه لَما نزل قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ۚ﴾.. أدَّى المؤمنون مهورَ المؤمنات المهاجرات إلى أزواجهنَّ المشركين، وأبى المشركون أن يُؤَدُّوا شيئاً من مهُور المرتدَّات إلى أزواجهنَّ المسلمين، فأنزل الله: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ...﴾ إلخ[1].

قوله: (ثمَّ ارتفع هذا الحُكم) أي: نُسِخَ حكمه، فصار الآن إذا ارتدَّت امرأةٌ ولحقت بالمشركين.. لا تأخذ لها مهراً، بل ننتظرها فمتى قَدرنا عليها.. استَتبناها؛ فإن تابت، وإلَّا.. قُتِلَتْ؛ كما أنَّ مَنْ فرَّت من الكفار مسلمةً لا نَدفع لها مهراً.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾... إلخ) أي: من أهل المدينة أو مكة أو غيرهنَّ، ولكن الآية نزلت في فتح مكة لَما فرغ رسول الله ﷺ من مُبايعة الرجال.

قوله: (﴿يُبَايِعْنَكَ﴾) أي: يُعاهدنك، وسمَّاه مبايعةً؛ لأنَّه مقابلة شيءٍ بشيءٍ، وهو الإيمان وتوابعُهُ في مُقابلة الجنَّة والرضوان. و(يبايعن): مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، والكاف: مفعول.

قوله: (﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ﴾) نَهاهم في هذه المبايعة عن ستَّة أشياء، ولم يُقابلها بأوامر؛ لأنَّ النهي عن هذه يَستلزم الأمرَ بضدِّها.

قوله: (﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾) رُوي: أنه لمَّا قال النبي لهنَّ ذلك.. قالت هند امرأة أبي سفيان: يا رسول الله؛ إنَّ أبا سفيان رجلٌ شحيحٌ؛ فهل عليَّ حرجٌ إن أخذت ما يَكفيني وولدي؟ قال: «لا، إلا بِالمعروف»، فخَشيت هند أن تقتصر على ما يُعطيها فتضيع، أو تأخذَ فتكون ناقضة للبيعة؛

(١) انظر «زاد المسير» (٤/ ٢٧٣).

وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ ....

مِن وَأْدِ البَنَاتِ ـ أي: دَفنِهِنَّ أحياءً ـ خَوفَ العارِ والفَقرِ، ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي: بِوَلَدٍ مَلقُوطٍ يَنسُبنَهُ إلى الزَّوجِ، ووُصِفَ بِصِفةِ الوَلَدِ الحَقِيقِيِّ، فإنَّ الأُمَّ إذا وَضَعَتهُ سَقَطَ بَينَ يَدَيها ورِجلَيها، ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى﴾ فِعلِ ﴿مَعْرُوفٍ﴾ هو ما وافَقَ طاعةَ الله كتَركِ النِّياحة وتَمزِيق الثِّياب وجَزِّ الشُّعُور وشَقِّ الجَيب وخَمشِ الوَجهِ، ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ فعَلَ ذلك ﷺ بالقَولِ ولَم يُصافِح واحِدةً مِنهُنَّ، ....

حاشية الصاوي

فلذلك أمرها بالمعروف في الأخذ. ومحلُّ جواز الأخذ بغير إذن: إذا كان غيرَ محجور، وأمَّا إذا حجَره بقفلٍ أو نحوه.. فيحرم الأخذ، وإن أخذت.. تُعَدُّ سارقةً وتقطع يدها، فلمَّا قال رسول الله: «ولا يزنين».. قالت هند: أَوَتَزْنِي الحرة؟ فلمَّا قال: «ولا يقتلن أولادهُنَّ».. قالت: ربَّيناهم صغاراً، وقتَلتموهم كباراً، وعرَّضت بولدها حنظلة؛ فإنه قُتِلَ يوم بدرٍ، فضَحك عمر وتبسَّم رسول الله، فلمَّا قال: «ولا يأتين ببهتان».. قالت: والله؛ إنَّ البهتان لَقبيحٌ، وما تأمرنا إلا بالرشد ومَكارم الأخلاق، وكانت هذه البيعة في مَكة عند الصفا، فاجتمع له من النسوة أربعُ مئة وسبع وخمسون امرأة، فآمنَّ[1].

قوله: (من وأد البنات) أي: دفنِهِنَّ أحياءً.

قوله: (بولد مَلقوطٍ) أي: فكانت المرأة إذا خافت مُفارقةَ زوجِهَا لعدم الحمل.. التَقطت ولداً ونسَبَتْهُ له؛ لِيُبقيها عنده، فأشار المفسِّر بقوله: (أي: بولد) إلى أنَّه المراد بالبهتان المفترى، وليس المراد الزنا؛ لِتَقدُّمه في النهي صريحاً.

قوله: (كترك النياحة) أي: فالمراد بالمعروف هو: ما عُرِفَ حُسْنُهُ في الشرع، وهو اسمٌ جامعٌ لكلِّ خيرٍ.

قوله: (﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾) جوابُ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ أي: التزم لهنَّ الثواب إذا التزمْنَ ذلك.

قوله: (بالقول) هذا هو الصَّحيح، وقيل: إنَّه صافَحهنَّ بحائلٍ؛ لِما روي: أنَّه بايع النِّساء وبين يدَيه وأياديهنَّ ثوبٌ[2]، وقالت أمُّ عطيَّة: لمَّا قدم المدينة.. جمَع نساء الأنصار في بيتٍ، ثمَّ أرسل

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤٢)، وانظر «زاد المسير» (٤/ ٢٧٤).

(٢) رواه أبو داوود في «المراسيل» (٣٧٣) عن الشعبي: أنَّ النبي ﷺ حين أتى بايَع النساء.. أتى ببرد قطري فوضعه على يَده، فقال: «إني لا أُصافح النساء».

﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣﴾

﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿١٣﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ هُم اليَهُودُ، ﴿قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: مِن ثَوابِها مَع إيقانِهم بِها لِعِنادِهِم النَّبيَّ أي: مَع عِلمِهم بِصِدقِه، ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ﴾ الكائِنُون ﴿مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾ أي: المَقبُورِين مِن خيرِ الآخِرةِ؛ ....

حاشية الصاوي

إلينا عمرَ بن الخطاب على الباب، فسلَّم، فردَدْنَ عليه السلام، فقال: أنا رسول رسول الله إليكنَّ؛ ﴿أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا...﴾ الآية، فقُلن: نعم، فمَدَّ يدهُ من خارج البيت، ومدَدن أيدينا من داخل البيت ثمَّ قال: «اللّهم؛ اشهد»[1].

قوله: (﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَ﴾) أي: ممَّا سلَف منهنَّ.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) ختَم السورة بمثل ما افتتحها به، وهو النهي عن موالاة الكفار، وهذا من البلاغة، ويُقال له: ردُّ العجز على الصَّدر[2].

قوله: (﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾) نعت لـ﴿قَوۡمًا﴾، وقوله: ﴿قَدۡ يَئِسُواْ﴾ نعتٌ ثانٍ.

قوله: (هم اليهود) أشار المفسِّر بذلك إلى سبب نزول الآية، وهو أنَّ ناساً من فقراء المسلمين كانُوا يُواصلون اليهود بأخبار المسلمين؛ لِيُعطوهم من ثمارهم، فنزلت[3]، وقيل: المراد بالمغضوب عليهم: جميعُ الكفار.

قوله: (لِعنادهم) علَّةٌ ليأسهم مع إيقانهم بها، فلا حظَّ لهم فيها ولا ثواب.

قوله: (﴿مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾) مشَى المفسِّر على أنَّ قوله: ﴿مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾ صفة لـ﴿ٱلۡكُفَّارُ﴾، والميؤوس منه محذوف، قدَّره بقوله: (من خير الآخرة) أي: إنَّ اليهود يئسُوا من الآخرة كيأسِ الكفار الذين قبرُوا من خير الآخرة.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٤/ ٣٩٤).

(٢) ويسمَّى التصدير، وهو تارة يكون في النظم، وتارة يكون في النثر، وهو عبارة عن جعلِك أحد اللفظين المتكررين، أو المتجانسين، أو الملحقَين بهما ـ أي: بالمتجانسين ـ في أول الفقرة، والآخر في آخرها، فخرج العكس، نحو: عادات السادات ساداتُ العادات. انظر «عَروس الأفراح» (٢/ ٢٩٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤٧)، وانظر «زاد المسير» (٤/ ٢٧٥).

إذ تُعرَض علَيهِم مَقاعِدُهُم مِن الجَنَّة لَو كانُوا آمَنُوا، وما يَصِيرُون إلَيهِ مِن النارِ.

حاشية الصاوي

وقيل: إنَّ قوله: ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ هوَ الميؤوس منه، والمعنى: أنَّ اليهود أَيِسُوا من الآخرة كيأسهم من أصحابِ القبور؛ لأنَّهم يُنكرون البعث.

وقيل: كما يأس الكفَّار المقبورون من رُجوعهم إلى الدنيا، احتمالات ثلاث.

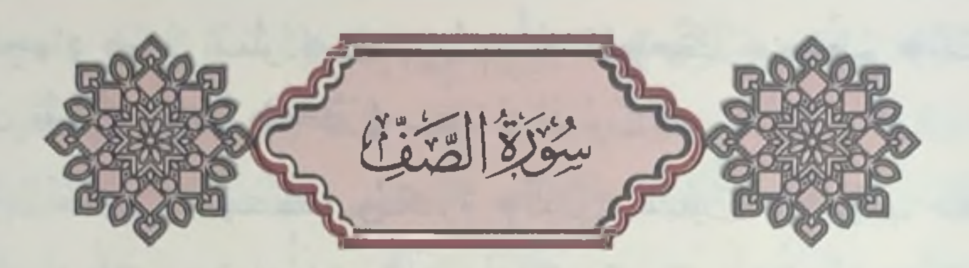
قوله: (إذ تُعرض عليهم) أي: وهُم في القبور.

قوله: (لو كانوا آمنوا) أي: قبل الموت.

قوله: (وما يصيرون إليه) معطوف على (مقاعدهم) أي: ويعرض عليهم ما يَصيرون إليه من النَّار.

✿ ✿ ✿

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ....



مكيَّة أو مَدنيَّة، أربعَ عشرةَ آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: نَزَّهَهُ، ـ فاللَّام مَزِيدةٌ ـ وجِيءَ بِـ(ما) دُون (مَن) تَغليباً لِلأكثَرِ، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في مُلكِه، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صُنعِه.

([٢] - [٣]) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ﴾ ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الصَّفِّ

(مكيَّة) أي: في قول عِكرمة وقتادة والحسن، وبه جزم في «الكشاف»[١].

قوله: (أو مدنيَّة) أي: وهو قول الجمهور.

قوله: (فاللام مَزيدة) أي: للتأكيد، وقيل: للتعليل؛ أي: سبِّحُوا لأجل الله ابتغاءَ وجهِه، لا طلباً لثواب، ولا خوفاً من عقاب، وهذا أعلى مراتب العمل، وتقدَّم نظير ذلك.

وأعاد (ما) الموصولة في قوله: ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ هنا وفي (الحشر) و(الجمعة) و(التغابن)؛ لأنَّه الأصل، وتركه في (الحديد) مشاكلةً لقوله فيها: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الحديد: ٤].

قوله: (﴿لِمَ تَقُولُونَ﴾) استفهام إنكاريٌّ جيء به لِلتوبيخ لمن يدَّعي ما ليس فيه؛ فإنْ وقع ذلك إخباراً عن أمرٍ في الماضي.. فهو كذب، وإن وقع في المستقبل.. يكون خُلْفاً للوعد، وكلاهما مَذموم.

---

(١) جزم الزمخشري في «الكشاف» (٦/ ١٠٢) بأنها مدنيَّة، وما ذكره المصنف تَبعَ فيه العلامة الكرخي في «حاشيته». انظر «الفتوحات الإلهية» (٤/ ٣٤٨).

مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا ....

في طَلَب الجهادِ ﴿مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ إذ انهزَمتُم بأُحُد؟ ﴿كَبُرَ﴾: عَظُمَ ﴿مَقۡتًا﴾ - تمييز - ﴿عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ﴾ - فاعلُ ﴿كَبُرَ﴾ - ﴿مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾.

٤ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ﴾: يَنصُر ويُكرِمُ ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ - حال - أي: صافِّينَ ....

حاشية الصاوي

ولام الجرِّ داخلةٌ على (ما) الاستفهامية وحُذفت ألفها لذلك، قال ابن مالك[1]: [الرجز]

و(ما) في الاستِفهامِ إن جُرَّتْ حُذِفْ ألِفُها، وأَوْلِهَا الها إن تَقِفْ

قوله: (في طلبِ الجهاد) سببُ نزول هذه: أنَّه لمَّا سمع أصحاب رسول الله مَدْحَ الجهاد، ومَدْحَ أهلِ بدرٍ.. قالُوا: لئن لقينا قتالاً لنُفْرِغَنَّ فيه وسْعَنا، ففَرُّوا يوم أحدٍ، فنزلت هذه الآية توبيخاً لهم، وهذا خارجٌ مخرجَ التخويفِ والزَّجر[2].

وقيل: نزلت في المنافقين؛ كانُوا يقُولون للنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه: إن خرجتُم وقاتلتُم.. خرجنا معكم وقاتَلنا، فلمَّا خرج النبي وأصحابه.. نكَصُوا على عقبهم وتخلَّفوا، وحينئذٍ: فتسميتُهم مؤمنين بحسَب الظاهر، والذمُّ على حَقيقتِه[3].

قوله: (إذ انهزَمتم بأُحد) تعليلٌ لقوله: ﴿مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾.

قوله: (تمييز) أي: محوَّل عن الفاعل، والأصل: كَبُرَ مقتُ قولِهم، والمقتُ: أشدُّ الغضب، وهو مِن أمثلة التعجب في مَقام الذمِّ.

قوله: (يَنصر) ويكون هذا معنى المحبَّة في حقِّ الله؛ لأنَّ حقيقتَها وهوَ ميلُ القلبِ مستحيلٌ على الله، ومِن لازم الميل الإكرام والنصر، فأُطْلِقَ على اللهِ باعتبار هذا اللازم.

قوله: (حال) أي: من الواو في ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾، وقوله: (أي: صافين) فسَّره بمشتقٍّ؛ لِصحة الحاليَّة، ومفعوله محذوف؛ أي: أنفسهم.

(١) «الخلاصة»، باب (الوقف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥٦).

(٣) انظر «زاد المسير» (٤/ ٢٧٧).

﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ ....

﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾: مُلزَقٌ بَعضُه إلى بَعضٍ ثابتٌ.

﴿٥﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ قالُوا: إنَّهُ آدَرُ ـ أي: مُنتَفِخ الخُصيةِ ـ وليسَ كذلك وكذَّبُوهُ، ﴿وَقَد﴾ ـ لِلتَّحقِيق ـ ﴿تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ ـ الجُملةُ حال ـ والرَّسُولُ يُحتَرَم، ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾: عَدَلُوا عن الحَقِّ بِإيذائِه ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: أمالَها عن الهُدَى على وَفقِ ما قَدَّرهُ في الأزَل، ....

حاشية الصاوي

قوله: (مُلزقٌ بعضُه إلى بعض) أي: كأنَّه بُنِيَ بالرَّصاص، أو معنى (المرصوص): الملتئم الأجزاء، المُسْتَوِيها، المُحْكَمِها، ومَنْ كان كذلك.. لا يَنهزم ولا يقاوم.

قوله: (﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾) ذكر قصة موسى وعيسى إجمالاً؛ تسليةً للنبي عليه الصلاة والسلام لِيَصبر على أذى قومه، وتذكيراً لتفاصيلها المتقدمة، وابتَدأ بقصة موسى لأسبَقِيَّتِه في الزَّمن.

قوله: (قالوا: إنَّه آدَر) وسببُ تهمتِهم له بذلك: سترُهُ لِلعورة من صغرِهِ، فلم يَروه، فعيَّبوه بذلك، وتقدَّم ذلك عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ...﴾ [الأحزاب: ٦٩] الآية.

قوله: (وكذَّبوه) معطوف على (قالوا) أي: عيَّبوه في جسمِهِ، وأنكرُوا ما جاء به وكذَّبوهُ.

قوله: (﴿وَقَد﴾ لِلتحقيق) أي: تحقيق عِلمهم برسالته، وذلك يُوجبُ تعظيمَهُ، ويمنعُ إيذاءَهُ.

قوله: (﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾) مقتضى هذا التركيب: أنَّ زيغهم سببٌ لإزاغة الله قلوبَهم معَ أنَّ الأمر بالعكس؛ لأنَّ العبدَ لا يزيغ إلَّا إن أزاغه الله وصرَفه عن الهدى.

وأجيب: بأنَّهم لمَّا فعلُوا سببَ الزيغ وهو إيذاء موسى.. أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وقت إيذائهم له على وَفق ما أراده أزلاً، وقد أشار لذلك المفسِّر، ويشهدُ لذلك قضيَّة إبليس؛ فإنَّه كان مطيعاً، فلمَّا خالف مَولاه وعاند.. زاغ، فأزاغ الله قلبه وطرَده؛ موافقةً لما نجَّزه بإرادته أزلاً، فزيغُ العبدِ سببٌ لإزاغة الله له باعتبار إظهار القدرة لذلك الآنَ على وفق ما أراده الله ونجَّزه أزلاً، فليُحفظ [١].

---

(١) قال الإمام الرازي في «تفسيره» (٧/ ١٥٠): (ولا يبعد أن يقال: إنَّ الله تعالى يُزيغهم ابتداءً فعند ذلك يَزيغون، ثمَّ يترتب على هذا الزيغ إزاغةٌ أخرى سوى الأولى من الله تعالى، وكل ذلك لا مُنافاةَ فيه).

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٥ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ ....

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: الكافِرين في عِلمِه.

۝٦ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لَم يَقُل: يا قَوم لِأنَّهُ لَم يَكُن لَه فِيهِم قَرابَةٌ، ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ قَبلِي ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، قالَ تَعالى: ....

حاشية الصاوي

قوله: (الكافرين في عِلمه) هذا جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ الله هدى كثيراً من الكفار بأن وفَّقهم للإسلام.

وحاصل الجواب: أنَّ مَنْ أسلم وهداه الله لم يكن في الأزل مكتوباً كافراً، وأمَّا مَنْ علم الله كفرَهُ في الأزل.. لا يَهديه، ولا بدَّ من موته على الكفر ولو عاش طول عُمره مسلماً.

قوله: (﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى﴾) معمول لمحذوف، تقديره: اذكر، وإنما كُرِّرَتْ قصَّةُ موسى وعيسى، بل وقصَّة غيرهما؛ لأنَّ المقصودَ الاتعاظُ ودوامُهُ؛ فإذا ذُكِرَ الشيء أوَّلاً وثانياً.. كان المقصود منه دوامَ تذكُّره، والاعتبار به قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيلٍ.

قوله: (لأنه لم يكن له فِيهم قرابة) أي: لأنَّه لا أب له فيهم وإن كانت أمُّه مِنْ أشرافهم.

إن قلتَ: هو منهم باعتبار أمِّه، قُلت: النَّسب إنَّما هو من جهة الأب.

قوله: (﴿مُصَدِّقًا﴾) حال من الضمير المستتر في ﴿رَسُولُ﴾؛ لتأويله بـ(مُرْسَل)، وكذا قوله: ﴿وَمُبَشِّرًا﴾.

قوله: (﴿مِنَ التَّوْرَاةِ﴾) خصَّها؛ لأنَّها أشهَر الكتب عندهم.

قوله: (﴿يَأْتِي مِنْ بَعْدِي﴾) الجملة صفة لـ(رسولٍ)، وكذا قوله: ﴿اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، والياء في ﴿بَعْدِي﴾ إمَّا مفتوحة أو ساكنة، قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾) يحتمل أن يكون أفعلَ تفضيلٍ من المبني للفاعل؛ أي: أكثر محموديَّةً من غيره؛ أي: كون الخلق يحمَدونه أكثَر مِنْ كونهم يحمَدون غيره، وخصَّ (أحمد) بالذكر دون (محمَّد)

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وشعبة بفتح الياء، والباقون بالسكون. انظر «السراج المنير» (٤/ ٢٧٦).

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٦ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾ ....

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾: جاءَ أحمَدُ الكُفّارَ ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: الآياتِ والعَلاماتِ ﴿قَالُواْ هَٰذَا﴾ أي: المَجِيءُ بِهِ ﴿سِحۡرٞ﴾ - وفي قِراءة: ﴿سَٰحِرٞ﴾ أي: الجائي بِهِ - ﴿مُّبِينٞ﴾: بيِّن.

﴿٧﴾ ﴿وَمَنۡ﴾ أي: لا أحَدَ ﴿أَظۡلَمُ﴾: أشَدُّ ظُلماً ﴿مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ بِنِسبةِ الشَّرِيكِ والوَلَدِ إلَيهِ ووَصفِ آياتِه بِالسِّحرِ ﴿وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافِرِين.

حاشية الصاوي

مع أنَّه أشرف أسمائه ﷺ؛ لِوجوه: الأول: كونه مذكوراً في الإنجيل بهذا الاسم، الثاني: كونه سمِّي في السماء به، الثالث: لأنَّ حَمْدَهُ لله سابقٌ على حمد الخلق له في الدنيا ويوم القيامة، فحمدُهُ قيل: شَفاعته لأمَّته، وحمدُ الخلق له بعدها.

وقال بعضهم: إنَّه ﷺ له أربعة آلاف اسم منها نحو سبعين من أسمائه تعالى كـ: رؤوف، ورحيم[(١)].

قوله: (أي: جاء أحمدُ للكفار) هذا أحد قولين للمفسِّرين في مرجع الضمير في ﴿جَآءَهُم﴾، والثاني: أنَّهُ عائدٌ على عيسى.

قوله: (أي: المجيءُ بِهِ) اسم مفعول من (جاء) وأصله: (مَجْيُوْء) بوزن (مَضروب)، نقلت ضمَّة الياء للساكن قبلها وهو الجيم، فالتقى ساكنان: الواو، والياءُ، فحذفت الواو، وكسرت الجيم.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[(٢)].

قوله: (أي: لا أحد) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (ووَصف آياته) بالجرِّ عطف على (نسبة).

قوله: (﴿وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ﴾) الجملة حاليَّة؛ أي: يَدعوه ربُّه على لسان نبيِّه إلى الإسلام الذي فيه سعادة الدارين، فيجعل مكانَ إجابتِهِ افتراءَ الكذبِ على الله.

---

(١) وقد نظم العلامة النبهاني رحمه الله تعالى أسماءَه الشريفة ﷺ في منظومة سمَّاها: «أحسن الوسائل في نظم أسماء النبي الكامل» أوصلَها إلى ثمان مئة وثلاثين اسماً.

(٢) قرأ حمزة والكسائي بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء، والباقُون بكسر السين وسكون الحاء. انظر «السراج المنير» (٤/ ٢٧٧).

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ٨﴾ ....

(٨ - ٩) ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا﴾ - مَنصُوب بـ(أن) مُقدَّرة، واللَّام مَزِيدة - ﴿نُورَ اللَّهِ﴾: شَرعَه وبَراهِينَه ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: بِأقوالِهِم: إنَّهُ سِحرٌ وشِعر وكَهانة، ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ﴾: مُظهِر ﴿نُورِهِ﴾ - وفي قِراءةٍ بِالإضافةِ - ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ذلك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (منصوب بـ«أنْ» مُقدَّرة، واللام مزيدة) أي: في مفعول ﴿يُرِيدُونَ﴾ للتوكيد، ويصحُّ أن تكون للتعليل، والمفعول محذوفٌ، والتقدير: يُريدون إبطالَ القرآن؛ لِيُطفئوا، وهناك طريقة لبعض النحويين: أنَّ اللَّام بمعنى (أن) الناصبة، فيكون الفعل منصوباً بها[١].

قوله: (شرعَهُ وبراهينَهُ) هذا أحد أقوال في تفسير النور، وقيل: هو القرآن، وقيل: الإسلام، وقيل: محمَّد ﷺ، وقيل: إنَّه مثلٌ مضروب لمن أراد إطفاء الشمس بفِيه، فكما أنَّه لا يُفيده ذلك.. كذلك مَنْ أراد إبطال الحق فلا يُفِيده.

وفي الكلام استعارة تبعيَّة؛ حيث شبَّه الإبطال بالإطفاء، واستعار اسم المشبَّه به للمشبَّه، واشتقَّ من الإطفاء (يُطفئون) بمعنى: يُبطلون.

وسبب نزول هذه الآية: أنَّ رسول الله ﷺ أبطأ عليه الوحي أربعين يوماً، فقال كعب بن الأشرَف: يا معشر اليهود؛ أبشرُوا فقد أطفأ الله نورَ محمَّد ﷺ، فأنزل الله هذه الآية، واتَّصل الوحي بعدها[٢].

قوله: (﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾) الجملة حاليَّة من فاعل ﴿يُرِيدُونَ﴾.

قوله: (مُظهر نوره) هذا جواب عمَّا يقال: إنَّ الإتمام لا يكون إلا عند النقصان، فأجاب: بأنَّ المراد بالإتمام إظهارُهُ في المشارق والمغارب.

قوله: (وفي قراءة بالإضافة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[٣].

قوله: (﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾) حال من قوله: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾.

---

(١) قال الفراء: العربُ تجعلُ لامَ (كي) في موضع (أنْ) في (أرادَ) و(أمر)، وإليه ذهب الكسائيُّ أيضاً، ومنه: قولُه تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾. انظر «الدر المصون» (١٠/٣١٨).

(٢) انظر «تفسير الماوردي» (٥/٥٣٠).

(٣) قرأ حمزة والكسائي وحفص وابن كثير بإضافة (مُتِمُّ) لـ(نورِه)، والباقون بتنوينه، ونصبِ (نورَه)؛ فالإضافةُ تخفيفٌ، والتنوينُ هو الأصلُ. انظر «الدر المصون» (١٠/٣١٨).

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم ....

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾: يُعلِيَه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: جَمِيعِ الأديانِ المُخالِفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك.

(﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم﴾ - بِالتَّخفِيف والتَّشدِيد - ...

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾) أي: البيانِ الشافي، والمرادُ به: القرآن، والمعجزات الظاهرة.

قوله: (﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾) إنَّما عبَر أوَّلاً بـ(الكافرون)، وثانياً بـ(المشركون)؛ لأنَّ الرسول في ابتداء أمرِه يأتي بالتوحيد ويأمر به، فيُخالفه المشركون؛ فإذا ظهر أمرُهُ واشتهرَ.. حَسَدَهُ جميعُ الكفار، وأرادُوا إبطال ما جاء به من المعجزات والبراهين، فعبَّر في كلٍّ بما يُناسبه.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾... إلخ) سبب نزول هذه الآية: قول الصحابة لرسول الله ﷺ: لو نَعلم أيَّ الأعمال أحبَّ إلى الله.. لَعملنا به[1].

وقيل: نزلت في عثمان بن مظعون؛ وذلك أنَّه قال لرسول الله ﷺ: لو أذِنت لي فطلَّقت خولة وترهَّبْتُ واختَصيتُ، وحرمتُ اللحم، ولا أنام الليل أبداً، ولا أفطر النهار أبداً، فقال ﷺ: «**إنَّ مِنْ سنتي النكاحَ، ولا رهبانيَّة في الإسلام، إنما رهبانيَّة أُمتي الجهاد في سبيل الله، وخِصَاءُ أُمتي الصوم، ولا تحرِّمُوا طيبات ما أحلَّ الله لكم، ومِن سنتي: أنام وأقوم، وأفطر وأصوم؛ فمَن رغب عن سنَّتي.. فليس منِّي**»، فقال عثمان: وَدِدتُ يا نبيَّ الله أن أعلَم أيَّ التجارات أحبَّ إلى الله فأتَّجرَ فيها، فنزَلت[2].

والاستفهام إخبارٌ في المعنى، وذُكِرَ بلفظ الاستفهام؛ تشويقاً لكونِهِ أوقعَ في النفس، وتَسميتُهُ الجهادَ تجارةً؛ لِقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم...﴾ [التوبة: ١١١] الآية.

قوله: (بِالتخفيف والتشديد) سبعيَّتان[3].

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٠٩) عن سيدنا عبد الله بن سلام رضي الله عنه.

(٢) رواه بنحوه البغوي في «شرح السنة» (٤٨٤)، وانظر «السراج المنير» (٤/ ٢٧٨).

(٣) قرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد الجيم، والباقون بسكون النون وتخفيف الجيم. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣١٨).

﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾

﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤلِم، فكأنَّهم قالُوا: نعَم فقال: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾: تدُومُون على الإيمانِ ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنَّهُ خَير لَكُم فافعَلُوه.

(﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾) ﴿يَغْفِرْ﴾ - جَواب شَرط مُقدَّرٍ - أي: إن تَفعَلُوهُ يَغفِرْ ﴿لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: إقامةٍ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿تُؤْمِنُونَ﴾) في محلِّ رفع، خبرُ مبتدأ مقدَّرٍ؛ أي: هي تؤمنون، أو جملة مستأنفة لا محلَّ لها من الإعراب، واقعةٌ في جواب سؤال مقدَّرٍ، كأنَّه قيل: ما هي؟ فأجاب بما ذكر[١].

قوله: (﴿ذَٰلِكُمْ﴾) أي: المذكور من الإيمان والجهاد.

قوله: (﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾) أي: من كلِّ شيء.

قوله: (﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾) أشار المفسِّر إلى أنَّ الجواب مُقدَّر، وإلى أنَّ ﴿تَعْلَمُونَ﴾ مُتعدٍّ حذف مفعوله.

قوله: (﴿مِن تَحْتِهَا﴾) أي: من تحت أشجارها وغُرَفها.

قوله: (﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾) رُوي عن الحسن قال: سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن قوله تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾، فقال: على الخبير سقطتَ؛ سألت رسول الله ﷺ عنها، فقال: «قصرٌ من لؤلؤةٍ في الجنَّة، في ذلك القصرِ سبعون داراً من ياقوتةٍ حمراءَ، في كلِّ دارٍ سبعون بيتاً من زبرجدةٍ خضراءَ، في كلِّ بيتٍ سبعون سريراً، في كلِّ سريرٍ سبعون فراشاً من كلِّ لونٍ، على كلِّ فراشٍ سبعون امرأةً من الحورِ العينِ، في كلِّ بيتٍ سبعون مائدةً، على كلِّ مائدةٍ سبعون لوناً من الطعام، في كلِّ بيتٍ سبعون وصيفاً أو وصيفةً، فيُعطِي الله المؤمن من القُوَّة في غداةٍ واحدةٍ ما يأتي على ذلك كلِّه»[٢].

---

(١) وصنيع المفسر يُشير إلى الثاني؛ حيث قال: (فكأنهم قالوا: نعم) الذي هو بمنزلة أن يقولوا: وما تلك التجارة؟ وقيل: مستأنفة مَعناها الطلب؛ أي: آمنوا؛ بدليل ﴿يَغْفِرْ﴾ بالجزم؛ كقولهم: (اتَّقى الله امْرُؤ فعل خيراً يُثَبْ عليه) أي: ليتق الله وليفعل.. يُثَب، وعلى الأول: فالجزم في جواب الاستفهام تنزيلاً للسبب وهو الدَّلالة منزلة المُسَبَّب وهو الامتِثالُ. انظر «الفتوحات» (٤/ ٣٥٢)، و«مُغني اللبيب» (ص٥٢٢).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (١٥٧٧)، وأبو الشيخ في «العَظمة» (٦٠٩)، وفيهما: (فقالا) بدل (فقال).

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا﴾ ....

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ وَ﴾ يُؤتِكُم نِعمةً ﴿أُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِالنَّصرِ والفَتحِ.

١٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارًا لِّلَّهِ﴾: لِدِينِه، ـ وفي قِراءة بِالإضافةِ ـ ﴿كَمَآ﴾ المَعنى: كما كان الحَوارِيُّونَ كذلك، الدَّالُّ عليهِ: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: المذكورُ من غفرانِ الذنوبِ، وإدخالِ الجنَّاتِ.

قوله: (﴿وَ﴾ يُؤتِكم نعمةً ﴿أُخْرَىٰ﴾) أشار المفسِّر بتقدير هذا العاملِ إلى أنَّ ﴿أُخْرَىٰ﴾ صفةٌ لمحذوف مفعول لفعلٍ مقدَّر، وهذا المقدَّر معطوفٌ على المذكور قبله، والمراد: يُؤتِكم في الدنيا، فهو إخبارٌ عن نعمة الدنيا بعد الإخبار عن نِعمة الآخرة[1].

قوله: (﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾) خبر مبتدأ مضمرٍ؛ أي: تلك النِّعمة الأخرى نصرٌ من الله، وقوله: ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ أي: مُعجَّلٌ، وهو فتح مكة، أو فارس والروم.

قوله: (﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾) معطوف على محذوف؛ أي: قل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ...﴾ إلخ، وبشِّر المؤمنين[2]، والمعنى: أخبر عامَّة المؤمنين بأنَّ هذا الفضل العظيم عامٌّ لكلِّ مَنِ اتَّصفَ بما تقدَّم من الإيمان وما بعدَه.

قوله: (وفي قراءة بالإضافة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[3].

قوله: (كما كان الحواريُّون كذلك) أي: أنصار الله، والمعنى: كونُوا أنصار الله معي كما كان الحواريُّون أنصارَ الله لمَّا سألهم عيسى: من أنصارِي إلى الله؟

---

(١) ويصح أن تكون منصوبةً بفعلٍ مُضمرٍ يُفَسِّره (تُحبُّونها)، فيكون من الاشتغالِ، وحينئذٍ: لا يكون (تُحِبُّونها) نعتاً؛ لأنه مفسِّرٌ للعاملِ قبله. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٢١) فقد ذكر في إعرابها خمسةَ أوجه.

(٢) وهو قول السكاكي، وَحذف القَوْل كثير، وَقيل: معطوف على أمر مَحذُوف تَقدِيره: فأبشِر، وإنما قُدِّرَ هذان التقديران؛ لئلَّا يلزم عطفُ الإنشاء على الخبر. وانظر المسألة في «مغني اللبيب» (ص٦٢٧).

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: (أنصاراً) منوَّناً، والباقون: (أنصار) غيرَ منوَّنٍ، بل مضافاً للجلالة الكريمة، والرسمُ يحتمل القراءتَين معاً. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٢٢).

قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ ....

﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ أي: مَن الأنصار الذِينَ يكُونُون مَعِي مُتوجِّهاً إلى نُصرةِ الله؟ ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ﴾ والحَوارِيُّون أصفِياءُ عِيسى، وهُم أوَّلُ مَن آمَن بِه، وكانُوا اثنَي عَشَرَ رَجُلاً، مِن الحَوَرِ وهو البَياضُ الخالِص، وقِيل: كانُوا قَصَّارِين يُحَوِّرُونَ الثِّيابَ أي: يُبَيِّضُونَها، ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ بِعِيسى وقالُوا: إنَّهُ عَبدُ الله رُفِعَ إلى السَّماء، ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ﴾ لِقَولِهم: إنَّه ابنُ الله رَفَعَهُ إلَيهِ، فاقتَتَلَت الطَّائِفَتانِ،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ﴾) مِن إضافة الوصف إلى مفعوله؛ أي: نحن الذين نَنصر الله؛ أي: نَنصُر دينه كما تقدَّم.

قوله: (وقيل: كانُوا قصَّارين) فعلى هذا: الحور قائمٌ بالثياب وعلى الأول: قائمٌ بذَواتهم.

قوله: (﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ﴾) مُرتبط بمحذوف تقديره: فلمَّا رُفِعَ عيسى إلى السماء.. افترق النَّاس فيه فِرقتَين، فآمنت طائفة... إلخ.

وروي عن ابن عباس: لمَّا رُفِعَ عيسى.. تفرَّق قومُهُ ثلاث فرقٍ: فرقةٌ قالت: كان اللهَ فارتفع، وفرقة قالت: كان ابنَ اللهِ فرفَعه إليه، وفرقة قالت: كان عبدَ اللهِ ورسولَهُ فرفَعه، وهم المؤمنون، واتَّبع كلَّ فرقةٍ طائفةٌ من الناس، فاقتَتَلوا، وظهرت الفرقتان الكافرتان حتى بعث الله محمَّداً ﷺ، فظهرَت الفرقة المؤمنة على الكافرتين، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾ الآية[1].

قوله: (فاقتَتلت الطائفتان) أي: وظهرت الكافرة حتَّى بعث الله محمَّداً، ظهَرت المؤمنة على الكافرة.

روى المغيرة عن إبراهيم قال: وأصبَحت حُجة من آمن بعيسى عليه السلام ظاهرةً بتصديق محمَّد ﷺ أنَّ عيسى عليه السلام كلمةُ اللهِ وعبدُهُ ورسولُهُ[2].

✿ ✿ ✿

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١٨/ ٩٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٦٨)، والمغيرة هو: ابن مقسم الضبي، وإبراهيم بن يَزيد النخعي رحمهما الله تعالى.

﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾

﴿فَأَيَّدْنَا﴾: قَوَّينا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مِن الطَّائِفَتَينِ ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ الطَّائِفةِ الكافِرةِ، ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾: غالِبِين.

حاشية الصاوي

. . . .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

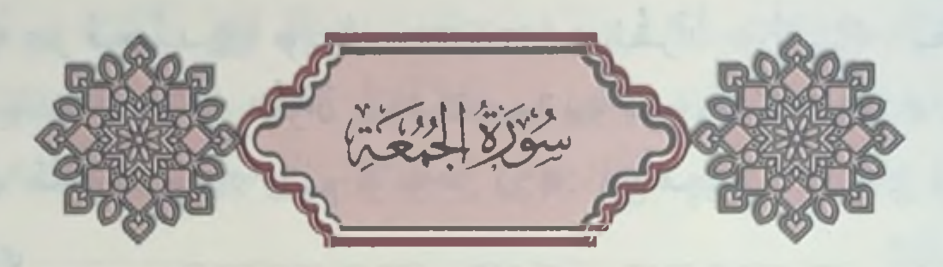
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ....



مَدنيَّة، إحدى عشرةَ آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾: يُنَزِّهُهُ - فاللَّام زائِدة - ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ - في ذِكر (ما) تَغليبٌ لِلأكثَرِ -، ﴿ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ﴾: المُنزَّه عمَّا لا يَليق بِه، ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ في مُلكِه وصُنعِه.

٢ ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾: العَرَب، والأُمِّيُّ مَن لا يَكتُب ولا يَقرأ كِتاباً،

حاشية الصاوي

سُورَةُ الجُمُعَةِ

(مدنيَّة) أي: بالإجماع، وقوله: (إحدى عشرة آية) أي: بلا خِلاف.

قوله: (فاللام زائدة) أي: أو للتعليل، والمعنى: يُسبِّح ما في السماوات وما في الأرض لأجل وجهه تعالى، لا يَقصدون غرضاً من الأغراض، ففيه إشارةٌ إلى أنَّه ينبغي لِلمكلَّفين أن يكونُوا كذلك، وقد تقدَّم نَظيره[1].

قوله: (﴿ٱلۡمَلِكِ﴾) أي: المتصرِّفِ في خلقِهِ بالإيجادِ والإعدامِ وغيرِهما.

قوله: (المتنَزِّهِ عمَّا لا يليقُ بهِ) أي: مِن صفات الحوادث، وذَكَرَ ﴿ٱلۡقُدُّوسِ﴾ عقبَهُ؛ دفعاً لما يتوهَّم أنَّه يطرأ عليه نقصٌ كالملوك.

قوله: (﴿فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾) أي: إليها، وكذا قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ﴾، فهو على حدِّ قوله: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ [التوبة: ١٢٨][2].

(١) انظر (٦/ ٥٤٤).

(٢) أي: ردَّها إلى الجنس، فهو ﷺ مِن جِنسكم ومن نسَبكم، عربيٌّ قرشيٌّ مِثلكم.

رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ....

﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هو مُحمَّد ﷺ ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: القُرآنَ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يُطَهِّرُهُم مِن الشِّرك، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القُرآنَ ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ ما فِيهِ مِن الأحكام ﴿وَإِن﴾ ـ مُخفَّفة مِن الثَّقيلة واسمها مَحذُوف ـ أي: وإنَّهُم ﴿كَانُواْ مِن قَبْلُ﴾: قَبل مَجيئِه ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّن.

حاشية الصاوي

والحكمةُ في اقتصاره على الأُمِّيين هنا مع أنَّه رسولٌ إلى كافَّة الخلق: تشريف العرب حيث أُضيف إليهم.

قوله: (﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾) أي: مِن جملتهم ومن نسبتهم، فما مِنْ حيٍّ من العرب إلَّا وله فيهم قرابةٌ، ولهم عليه ولادةٌ، إلا بَني تغلب؛ فإنَّ الله طهَّره منهم؛ لِنَصرانيَّتهم؛ كما قاله ابن إسحاق[1].

والحكمةُ في كونه ﷺ أُمِّيًّا مِثلَهُم: لكونه في كتب الأنبياء منعوتاً بذلك، وأيضاً: لدفع توهُّم الاستعانة بالكتابة على ما أتى به من الوحي، ولِتَكون حاله مماثلةً لحال أُمَّتِهِ الذين بُعِثَ فيهم، فيكون أقربَ إلى صدقِهِ، وأبعدَ مِنَ التُّهم، لكن وصفُ الأمِّيَّةِ كمالٌ في حقِّه، نقصٌ في حقِّ غيره[2].

قوله: (﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾) حالٌ من قوله: ﴿رَسُولًا﴾.

قوله: (يُطهِّرهم من الشرك) أي: يُزيل عنهم التشبُّهَ وفسادَ العقيدةِ حتَّى يَصيرُوا أزكياء.

قوله: (مُخففة من الثقيلة) أي: بِدليل وقوع اللام في خبرها.

---

(١) انظر «السراج المنير» (٤/ ٢٨١)، و«شرح الزرقاني على المواهب اللَّدنية» (٨/ ٣٥٥).

(٢) فلا ينبغي أن تنسب له ﷺ على طريق ضَرب المثل والحجة لنفسه أو لغيره، أو على التشبه به، أو عندَ هضيمة نالته، أو غَضاضة لحقته، ليس على طريق التأسي وطريق التحقيق، بل على مَقصد الترفيع لنفسه أو لغيره، أو على سبيل التمثيل وعدم التوقير لِنبيِّه ﷺ. . فحقُّ هذا إن دُرئ عنه القتل: الأدب والسجن وقوة تعزيره بحسَب شنعة مَقاله، ومقتضى قبح ما نَطق به، ومألوف عادته لمثله، أو نُدوره وقرينة كلامه، أو ندمه على ما سبق منه، وقد قال أبو الحسن القابسي في شاب معروفٍ بالخير قال لرجل شيئاً، فقال له الرجل: اسكت فإنَّك أُمِّي، فقال الشاب: أليس كان النبي ﷺ أميًّا؟! فشُنِّعَ عليه مقالُهُ، وكفَّرهُ الناس، وأشفَق الشاب ممَّا قال، وأظهَر الندم عليه، فقال أبو الحسن: أمَّا إطلاق الكفر عليه. . فخطأ، لكنه مخطئٌ في استِشهاده بصفة النبي ﷺ، وكونُ النبيِّ أُمِّيًّا آيةٌ له، وكون هذا أميًّا نَقيصة فيه وجهالة، ومِن جهالته: احتجاجه بصفة النبي ﷺ، لكنه إذا استَغفر وتاب واعترف ولجأ إلى الله فيُترك. انظر «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢/ ٢٤١).

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ ....

﴿٣﴾ ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ ـ عَطف على ﴿ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ ـ أي: المَوجُودِين ﴿مِنْهُمْ﴾ والآتِينَ مِنهُم بَعدَهم ﴿لَمَّا﴾: لَم ﴿يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ في السَّابِقةِ والفَضل ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في مُلكِه وصُنعِه وهُم التابِعُون، والاقتِصارُ علَيهِم كافٍ في بَيان فَضلِ الصَّحابةِ المَبعُوث فِيهِم النَّبيُّ ﷺ على مَن عَداهُم مِمَّن بُعِثَ إلَيهِم وآمَنُوا بِه مِن جَمِيع الإنسِ والجِنِّ إلى يَوم القِيامة؛ لِأنَّ كُلَّ قَرن خَيرٌ مِمَّن يَلِيه.

حاشية الصاوي

قوله: (عطف على ﴿ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾) أي: فهو مجرورٌ، والمعنى: بعث إلى الأمِّيين الموجودين وإلى الآتِين منهم بعدَهم، فليست رسالته خاصَّةً بمَنْ كان موجوداً في زمنِهِ، بل هي عامَّةٌ لهم ولغيرهم إلى يوم القيامة، وما تقدَّم في الأُمِّيين من قوله: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ...﴾ إلخ.. يجري في قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ﴾، لكن التلاوة والتعليم والتزكية بِنَفسه لمن كان في زمَنه، وبالواسطة لمن يأتي بعدَهُ إلى يوم القيامة.

قوله: (أي: الموجودين منهم) تفسير للأمِّيِّين المعطوف عليه، وقوله: (والآتينَ) تفسير للآخرين، وفي نُسخة: (وآتين)، وهي مُشاكِلة لـ(آخرين) في عدم التعريف.

قوله: (﴿لَمَّا﴾: لم ﴿يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾) أي: في السَّبق إلى الإسلام والشرف، وهذا النَّفي مستمرٌّ دائماً؛ لأنَّ الصحابة لا يَلحَقهم ولا يُساويهم في فضلِهم أحدٌ ممَّن بعدهم؛ ولذا فسَّر (لمَّا) بـ(لم)؛ وذلك لأنَّ منفيَّ (لم) أعمُّ من كونه مُتوقَّعَ الحصول أو لا، بخلافِ (لما)؛ فمنفيُّها متوقَّعُ الحصولِ، وليس مُراداً.

قوله: (والاقتصار عليهم) أي: على التابعين في تفسير (الآخرين)، وهو جوابٌ عمَّا يُقال: ما حِكمة الاقتصار على التابعين مع أنَّ الصحابة أفضَلُ من سائر الناس إلى يوم القيامة؟ فأجاب: بأنَّه حيث ثبَت تفضيلُهم على التابعين الذين هم أفضَلُ ممَّن بعدهم.. لزم منه تفضيلُهم على جميع الناس إلى يوم القيامة؛ لأنَّ كلَّ قرنٍ خيرٌ ممَّا يَليه.

قوله: (ممَّن بعث إليهم) بيان لقوله: (مَن عداهم)، وقوله: (من جميع... إلخ) بيان لقوله: (ممَّن بعث إليهم).

قوله: (لأنَّ كلَّ قرنٍ) تعليل لقوله: (كافٍ).

ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ ....

﴿٤﴾ ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ النَّبيَّ ومَن ذُكر معه، ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿٥﴾ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾: كُلِّفُوا العَمَلَ بِها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾: لَم يَعمَلُوا بِما فِيها مِن نَعتِه ﷺ فلَم يُؤمِنُوا بِه، ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ أي: كُتُباً في عَدَم انتِفاعِه بِها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: ما ذُكِرَ من تفضيل الرسول وقومِهِ.

قوله: (النبي) تفسيرٌ لـ﴿مَن يَشَآءُ﴾، وقوله: (ومَنْ ذُكِرَ معه) وهم الأميُّون والآخرُون.

قوله: (﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾) هذه قراءة العامَّة، وقرئ شذوذاً: (حَمَلُوا) مخففاً مبنيًّا للفاعل[1].

قوله: (كلِّفُوا العمل بها) أي: القيامَ بها، فليس هو مِنَ الحمل على الظَّهر، بل هو من الحمالة، وهي: الكفالة.

قوله: (﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ﴾) خصَّ بالذكر؛ لِكونه أبلدَ الحيوانِ.

قوله: (﴿يَحْمِلُ﴾) بفتح الياء وكسر الميم مخفَّفةً، وهي قراءة العامَّة، وقرئ شذوذاً: (يُحَمَّلُ) بضم الياء وفتح الميم مشدَّدة[2].

والجملة إمَّا حالٌ أو صفةٌ؛ لأنَّ القاعدة: أنَّ الجُمل بعدما يحتمل التعريف والتنكير. تكون محتملةً للوصفيَّةِ والحاليَّةِ؛ فالحاليَّة نظراً لِصورة التعريف، والوصفيَّة نظراً لجريان (الحمار) مَجرى النكرة؛ لأنَّ المراد به الجنس.

قوله: (أي: كتباً) أي: كباراً، جمع (سِفْرٍ)، وهو: الكتاب الكبير.

قوله: (في عدم انتفاعه بها) بيانٌ لوجه الشَّبه.

---

(١) وبها قرأ زيد بن علي ويحيى بن يَعمر. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٢٦).

(٢) وبها قرأ المأمون ابن هارون الرشيد. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٢٦).

﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦﴾ .....

﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ المُصدِّقة لِلنَّبيِّ ﷺ، ـ والمَخصُوصُ بِالذَّمِّ مَحذُوف تَقدِيرُه: هذا المَثَل ـ، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافِرين.

(﴿٦﴾ - ﴿٧﴾) ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ـ تَعلَّق بِـ(تمنَّوا) الشَّرطانِ على أنَّ الأوَّل قَيدٌ في الثَّاني ـ، أي: إن صدقتم

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾) فاعل ﴿بِئْسَ﴾، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾ صِفة لـ﴿ٱلْقَوْمِ﴾.

قوله: (﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾) أي: دلائل وحدانيَّتِهِ وعظمتِهِ.

قوله: (الكافرين) أي: الذين سبَق في علمِهِ كفرُهُم، وهذا المثل يُضْرَبُ لكلِّ مَنْ تحمَّل القرآن ولم يَعمل به.

قوله: (﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ﴾) أي: تمسَّكُوا باليهوديَّة، وهي مِلَّة موسى عليه السلام.

وسبب نزولها: أنَّ اليهود زعمُوا أنَّهم أبناء الله وأحبَّاؤه، وادَّعَوْا أنَّه لا يَدخل الجنَّةَ إلا مَنْ كان هوداً، فأُمِرَ النبيُّ ﷺ أن يُظْهِرَ كذبَهُم بتلك الآية[1].

قوله: (﴿أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ﴾) هذه الجملة سَدَّت مسدَّ مفعولي (زعم)، و﴿لِلَّهِ﴾ متعلق بـ﴿أَوْلِيَآءُ﴾، وكذا قوله: ﴿مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾.

قوله: (تعلق بتمنيه الشَّرطان)[2] أي: وهما: ﴿إِن زَعَمْتُمْ﴾، ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

قوله: (على أنَّ الأوَّل قيدٌ في الثاني) أي: شرطٌ فيه، وهذا إشارةٌ لقاعدةٍ، وهي: أنَّه إذا اجتمع شرطان وتوسَّط الجواب بينهما.. كان الأوَّل قيداً في الثاني، وأمَّا إن تأخَّر الجوابُ عنهما معاً، أو تقدَّم عليهما معاً.. فإنَّ الثانيَ يكون قيداً في الأوَّل نحوُ: إنْ دخلتِ دارَ زيدٍ إن كلَّمْتِ زوجتَهُ.. فأنتِ طالق؛ فلا تَطلق إلَّا بكلام الزوجة الكائنِ بعد دخول الدار، وأمَّا دخول الدار وحدَه، أو الكلام خارج الدار.. فلا تَطلق به.

---

(١) انظر «تفسير أبي السعود» (٨/ ٢٤٨).

(٢) كذا في الأصول، وفي «الفتوحات» (٤/ ٣٥٦) ونُسَخ «الجلالين»: (بـ«تمنوا»).

وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن ....

في زَعمِكُم أنَّكُم أولياءُ لله، والوَلِيُّ يُؤثِرُ الآخِرة ومَبدَؤُها المَوتُ، فتمَنَّوه، ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ مِن كُفرهم بالنَّبيِّ المُستَلزِم لِكَذِبِهِم، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافِرين.

﴿٨﴾ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ﴾ - الفاءُ زائدة - ﴿مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: السِّرِّ والعَلانية، ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيُجازيكُم بِه.

﴿٩﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (ومَبدؤها) أي: طريقها.

قوله: (﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ﴾) عبَّر هنا بـ(لا) وفي (البقرة) بـ(لن) حيث قال: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ [البقرة: ٩٥]؛ إشارةً إلى أنَّه نفى عنهم التمنِّي على كلِّ حالٍ؛ مؤكداً كما في (البقرة)، وغيرَ مؤكَّدٍ كما هنا.

قوله: (﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾) الباء: سببيَّة مُتعلِّقة بالنَّفي.

قوله: (من كفرهم) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (﴿ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾) أي: تخافون مِنْ تمنِّيه مخافةَ أن يَنزل بكم، فتؤخذُوا بأعمالكم.

قوله: (الفاء زائدة) هذا أحدُ وجهين، والثاني: أنَّها داخلةٌ لما تضمَّنه الاسم من معنى الشرط، وحكمُ الموصوفِ بالموصول حكمُ الموصولِ.

قوله: (السرِّ والعلانيةِ) لفٌّ ونشرٌ مرتَّبٌ.

قوله: (﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾) المراد به: الأذانُ عند جُلوس الخطيب على المنبر؛ وذلك لأنَّه لم يكن في عهد رسول الله ﷺ نداءٌ سِواه، فكان له مؤذِّن واحدٌ؛ إذا جلس على المنبر.. أذَّنَ على باب المسجد، فإذا نزل.. أقام الصلاةَ، ثمَّ كان أبو بكر وعمرُ وعليٌّ بالكوفة على ذلك، حتَّى كانَ عثمانُ وكَثُرَ النَّاس، وتَباعدت المنازل.. زاد أذاناً آخرَ، فأمر بالتأذين أوَّلاً على داره التي تُسمَّى الزوراء، فإذا سمعُوا.. أقبلوا، حتى إذا جلس على المنبر.. أذَّنَ المؤذِّن ثانياً[1]، ولم يُخالِفه أحدٌ في ذلك

---

(١) رواه البخاري (٩١٢)، عن سيدنا السائب بن يزيد رضي الله عنه، وفيه: (قال أبو عبد الله: «الزوراء: مَوضع بالسوق بالمدينة»).

﴿يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾ ......

- بِمَعنى (في) - ﴿يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ﴾: فامضُوا ﴿إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ أي: الصَّلاةِ، ﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾: اترُكُوا عَقدَه، ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أنَّهُ خَيرٌ فافعَلُوه.

حاشية الصاوي

الوقتِ؛ لِقوله ﷺ: «عليكم بِسُنَّتي وسنَّةِ الخلفاء الراشِدِين من بعدي»[1].

قوله: (بمعنى «في») هذا أحدُ وجهين، والثاني: أنَّها بيان لـ﴿إِذَا نُودِيَ﴾ وتفسيرٌ لها.

قوله: (﴿يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾) بضمَّتين، وهي قراءة العامَّة، وقرئ شذوذاً بسكون الميم، وفتحها[2]، سمِّيت بذلك؛ لاجتماع الناس فيها للصلاة، وكانت العرب تُسمِّيه: العروبةَ.

[فائدة]

واعلم: أنَّ أفضل الليالي: ليلةُ المولد، ثمَّ ليلة القدر، ثمَّ ليلة الإسراء، فعرَفة، فالجمعة، فنصفُ شعبان، فالعيد، وأفضل الأيام: يومُ عرفة، ثمَّ يوم نصف شعبان، ثمَّ الجمعة، والليلُ أفضل من النَّهار.

قوله: (فامضُوا) أشار بذلك إلى أنَّه ليس المرادُ من السَّعي الإسراعَ في المشي؛ إذ ليس المطلوبَ ولو خافَ فواتَها، بل المرادُ به: التوجُّه. والمشيُ عند الذهاب أفضلُ مِنَ الركوب إن لم يكن عذرٌ، وبعد انقضاء الصلاة لا بأس به.

قوله: (أي: اترُكوا عقده) أي: فالمراد بـ(البيع): العقدُ بتَمامه، فهو خطابٌ لكلٍّ من البائع والمشتري، ومثلُ البيع والشراء: الإجارةُ والشفعةُ والتوليةُ والإقالةُ، فإن وقعَتْ.. حرمَتْ وفُسِخَتْ عند مالك، وعند الشافعي: تحرُم ولا تفسخ.

قوله: (﴿ذَٰلِكُمۡ﴾) أي: المذكورُ مِنَ السعي وتركِ الاشتغال بالدنيا.

قوله: (أنَّه خير) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ مفعول ﴿تَعۡلَمُونَ﴾ محذوف، وقوله: (فافعلُوه) جوابُ الشَّرط.

---

(١) رواه أبو داوود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢) عن سيِّدنا العِرباض بن سارية رضي الله عنه.

(٢) قرأ ابن الزبير وزيد ابن علي وأبو حَيوة وأبو عمرٍو في روايةٍ بسكونِ الميم؛ فقيل: هي لغةٌ في الأولى، وسُكِّنَتْ تخفيفاً، وهي لغةُ تميم، وقال أبو البقاء: (ويُقرأ بفتح الميم بمعنى الفاعِل؛ أي: يومَ المكان الجامع؛ مثلَ: رجلٌ ضُحَكَة؛ أي: كثيرُ الضَّحِك). انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٣٠).

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ . . . .

﴿١٠﴾ ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ـ أمرُ إباحةٍ ـ ﴿وَٱبْتَغُوا۟﴾: اطلُبُوا الرِّزق ﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ذِكراً ﴿كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تَفُوزُون.

﴿١١﴾ كان ﷺ يَخطُب يوم الجُمُعة، فقَدِمَت عِيرٌ وضُرِبَ لِقُدُومِها الطَّبلُ على العادة،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾) أي: أُدِّيَتْ وفُرِغَ منها.

قوله: (﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾) أي: لِلتجارة والتَّصرُّفِ في حوائجكم.

قوله: (أمر إباحة) أي: فالمعنى: مباحٌ لكم الانتشار في الأرض، فلا حرج عليكم في فعله، ولا تركه.

قوله: (﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾) أتى به ثانيةً؛ إعلاماً بأنَّ ذكر الله مأمورٌ به في سائرِ الأحوال، لا في خُصوص الصلاة.

قوله: (تفُوزون) أي: تَظفرون بسعادتكم.

قوله: (كان ﷺ... إلخ) شروعٌ في بيان سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً...﴾ إلخ.

قوله: (يَخطب يوم الجمعة) أي: بعد الصلاة؛ كالعِيدين[1].

قوله: (فقَدمت عِيرٌ) أي: من الشام، قَدِم بها دِحية بن خليفة الكلبي، وكان الوقتُ وقتَ غلاءٍ في المدينة، وكان في تلك القافلةِ جميعُ ما يحتاج إليه النَّاس؛ من بُرٍّ ودقيقٍ وزيتٍ وغيرها، فنزل بها عندَ أحجار الزيت ـ موضع سوقِ المدينةِ ـ وضَرَبَ الطَّبْلَ؛ لِيعلمَ النَّاسُ بقدومِهِ، فيَبتاعُوا منه، وقيل: الضارب لِلطبل أهلُ المدينة، على العادة في أنَّهم كانُوا يستقبلونها بالطبل والتَّصفيق، وقيل: أهل القادم بها، قال قتادة: (بلغنا أنَّهم فعلُوا ذلك ثلاث مرات؛ كلَّ مرَّةٍ تقدَمُ العِيرُ من الشام، ويُوافق قدومها يوم الجمعة وقتَ الخطبة)[2].

---

(١) وهو ما رواه أبو داوود في «مراسيله» (٦٢) عن مقاتل بن حيان، قال: (كان رسول الله ﷺ يُصلي الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين، حتى كان يوم جمعة والنبي ﷺ يخطب وقد صلَّى الجمعة، فدخَل رجل فقال: إنَّ دِحيةَ بن خليفة قَدم بتجارته، وكان دحية إذا قدم تَلقَّاه أهلُه بالدفاف، فخرج الناس فلم يَظنوا إلا أنه ليس في ترك الخطبة شيءٌ؛ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾).

(٢) انظر «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٠٩).

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ ....

فخَرَج لَها النَّاسُ مِن المَسجِدِ غَيرَ اثنَي عَشرَ رَجُلاً، فنَزلت: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ أي: التِّجارةِ لِأنَّها مَطلُوبُهم دُونَ اللَّهو، ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ في الخُطبةِ ﴿قَائِمًا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (غير اثني عشر رجلاً) وفي رواية: (أنَّ الذين بقُوا معه أربعون رجلاً)، وفي أخرى: (أنَّهم ثمانية)، وفي أخرى: (أنَّهم أحد عشر)، وفي أخرى: (أنَّهم ثلاثة عشر)، وفي أخرى: (أنَّهم أربعة عشر)[١]، وهذا منشأ الخلاف بين الأئمَّة في العدد الذي تَنعقد به الجمعة؛ فصحَّ عند مالك: أنَّهم اثني عشر[٢]، وصحَّ عند الشافعي: أنَّهم أربَعون.

ورد في الحديث: أنَّه ﷺ قال: «لو تتابعتُم حتَّى لم يَبقَ منكم أحدٌ.. لسال بكم الوادي ناراً»[٣].

قوله: (﴿انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾) أي: والذي سوَّغ لهم الخروجَ وتَرْكَ رسولِ الله يخطب: أنَّهم ظنُّوا أنَّ الخروج بعد تمامِ الصلاة جائز؛ لانقضاء المقصود وهو الصلاة؛ لأنَّه كان يقدِّم الصلاة على الخُطبة كالعيدين، فلمَّا وقَعت هذه الواقعة ونزَلت الآية.. قَدَّم الخطبة، وأخَّر الصلاة[٤].

قوله: (لأنَّها مَطلوبهم) جوابٌ عمَّا يقال: لِمَ أفردَ الضميرَ معَ أنَّ المتقدِّم شيئان؟ ويجاب أيضاً: بأنَّهُ أفرد؛ لأنَّ العطف بـ(أو)، وخصَّ ضمير المؤنَّث؛ لما قاله المفسِّر.

قوله: (﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾) الجملة حاليَّة من فاعل ﴿انفَضُّوا﴾، وفي قوله: ﴿قَائِمًا﴾ إشارةٌ إلى أنَّ الخطبةَ تكون من قيام، لا من جُلوس، قال عَلقمة: سئل ابن مسعود: أكان النبي ﷺ يخطب قائماً أو قاعداً؟ فقال: (أما تقرأ: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾؟)[٥].

---

(١) ذكر الروايات كلَّها الإمامُ القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ١١٠).

(٢) كذا في الأصول: (اثني)، وحقُّه الرفع إلا إن أراد المصنف رحمه الله حكايةَ لفظ الحديث، ورواية الاثني عشر رَواها البخاري (٩٣٦)، ومسلم (٨٦٣) عن سيِّدنا جابر ﷺ.

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٨٧٧) عن سيدنا جابر ﷺ.

(٤) قال القاضي عياض في «إكمال المعلم» (٣/ ٢٦٢): (وهذا أشبه بحال الصحابة أنَّهم كانوا لا يدعون مع النبي ﷺ الصلاةَ ويتركونه، بل تأوَّلوا بعد تمامها جوازَ تركِ الخطبة، وهو أيضاً ظاهر الآية؛ لقوله: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾، ولم يقل: تركوا الصلاة، وإن كان بعض العُلماء أنكرَ أن يكون النبي ﷺ خطَب قطُّ في الجمعة بعد الصلاة).

(٥) رواه ابن ماجه (١١٠٨).

﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ﴾ مِن الثَّوابِ ﴿خَيْرٌ﴾ لِلذين آمَنُوا ﴿مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ يُقال: كُلُّ إنسانٍ يَرزُق عائِلَتَه أي: مِن رِزقِ الله تَعالى.

حاشية الصاوي

قال جمهور العلماء: الخطبة فريضةٌ في صلاة الجمعة، وقال داوودُ الظاهري: هي مستحبَّة، ويجب أن يخطُبَ الإمام قائماً خطبتَين، يفصل بينهما بجلوس، وقال أبو حنيفة: لا يُشترط القيام ولا القُعود.

ويشترط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في أحدِ القولين، وأقلُّ ما يقع عليه اسم الخطبة: أن يحمد الله تعالى، ويُصلِّيَ على النبي ﷺ، ويُوصيَ بتقوى الله، هذه الثلاث شروط في الخطبتين جميعاً، ويجب أن يقرأ في الأولى آيةً من القرآن، ويدعوَ للمؤمنين في الثانية، ولو ترك واحدة من هذه الخمسة.. لم تَصحَّ خطبته ولا جمعتُه عند الشافعي.

وذهب أبو حنيفة: إلى أنَّه لو أتى بتسبيحةٍ أو تحميدةٍ أو تكبيرةٍ.. أجزأه.

وذهب مالك: إلى أنَّه ما يقع عليه عند العرب اسم الخطبة، وهو كلامٌ مُسْجَعٌ مُشتملٌ على تحذيرٍ أو تبشيرٍ.

قوله: (﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ﴾... إلخ) أي: قل لهم تأديباً وزجراً لهم عن العَوْدِ لمثل هذا الفعل.

قوله: (من الثواب) بيان لـ(ما)، والمراد به: الثَّباتُ مع رسول الله ﷺ.

قوله: (﴿خَيْرٌ﴾) اسم التفضيل باعتبار أنَّ في اللهو والتجارة لذَّةً دنيويَّةً.

قوله: (يُقال: كلُّ إنسان... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ اسم التفضيل على بابه؛ فالرَّازقون متعدِّدون[1]، لكن على سبيل المجاز، وإلَّا.. فالرَّازق حقيقةً هو الله وحدَهُ.

قوله: (عائلته) أي: عِيالَهُ.

قوله: (أي: من رزق الله) تصحيح لهذا القول المذكور، والمعنى: ليس المراد به: كلُّ إنسانٍ يرزق عائلته بالاستقلال، ولا بحوله وقوَّته، بل مِنْ رزق الله تعالى يجري على يدِهِ.

✿ ✿ ✿

(١) والله خيرُهُم: من حيث إنَّه لا يقطع الرزق عمَّن عَصاه وعاداه، وغيره يَقطعه. «فتوحات» (٤/ ٣٥٩).

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ ....



مَدنيَّة، إحدى عشرةَ آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟﴾ بِألسِنَتِهِم على خِلافِ ما في قُلُوبِهِم: ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ المنافقون

هكذا بالواو على الحكاية، وفي بعض النسخ: (المنافقين) بالياء.

قوله: (مدنيَّة) أي: بالإجماع، وكذا قوله: (إحدى عشرة آية).

قوله: (﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾) أي: حضرُوا عندَكَ؛ كعبد الله بنِ أبيٍّ وأصحابِهِ، وجوابُ الشرط قوله: ﴿قَالُوا۟﴾، وهو الأظهرُ، وقيل: جوابُهُ محذوفٌ؛ أي: فلا تَقبل منهم، وقيل: الجواب قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾، وهو بعيدٌ.

وسبب نزول هذه السورة: أنَّه ﷺ لمَّا غزا بني المصطلق، وازدَحم النَّاس على الماء.. اقتتل رجلان: أحدهما: من المهاجرين جَهجاه بن أسيد، وكان أجيراً لعمرَ يقودُ له فرسَهُ، والثاني: من الأنصار، اسمه: سنان الجهني، كان حليفاً لعبد الله بن أُبيٍّ، فلما اقتتَلا.. صاح جهجاه بالمهاجرين، وسنانٌ بالأنصار، فأعان جهجاهاً رجلٌ من فُقراء المهاجرين، ولطَم سناناً، فقال عبد الله بن أبيٍّ: ما صَحِبْنَا محمداً إلا لِنُلْطَمَ وجوهُنَا، واللهِ؛ ما مَثَلُنا ومَثَلُهُم إلا كما قال القائل: سمِّنْ كلبَكَ.. يأكُلْكَ، أما والله؛ لَئِن رجعنا إلى المدينة.. لَيُخرِجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، ثمَّ قال لقومه: ماذا فعلتُم بأنفسكم؟ قد أنزلتمُوهم بِلادكم، وقاسمتُمُوهم في أموالكم، أما والله؛ لو أمسكتُم عنهم فضلَ الطعام لَتحوَّلُوا من عندكم، فلا تنفقُوا عليهم حتَّى يَنفضُّوا مِنْ حول محمَّد، فَسمع ذلك

نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ ....

﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾: يعلَمُ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ فِيما أضمَرُوهُ مُخالِفاً لِما قالُوه.

﴿٢﴾ ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾: سُترةً على أموالِهِم ودِمائِهِم، ﴿فَصَدُّوا۟﴾ بِها ....

حاشية الصاوي

زيد بن أرقم، فبلَّغه لرسول الله ﷺ، فقال ﷺ لِعبد الله: أنت صاحب الكلام الذي بلَغني عنك؟ فحلَف أنَّه ما قال شيئاً وأنكر، فهو قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً...﴾ إلخ، فنَزلت السورة[1].

قوله: (﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾) يحتمل أنَّ الشهادة على بابها؛ نفياً لِلنفاق عن أنفسهم[2]، ويحتمل أنَّ ﴿نَشْهَدُ﴾ بمعنى: (نحلف).

قوله: (﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾) جملة مُعترضةٌ بين قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ وبين قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ...﴾ إلخ، وحِكمة الاعتراض: أنَّه لو اتصل التكذيب بقولهم.. لربما توهِّم أنَّ قَولهم في حدِّ ذاته كذبٌ، فأتى بالاعتراض؛ لرفع هذا الإيهام.

قوله: (فيما أضمَروه) أي: من أنَّك غير رسول، وسمَّاهُ كذباً باعتبار هذا الذي أضمرُوه، هذا ما أفاده المفسِّر، وقيل: كذبُهُم هو قولهم: (نشهد)؛ لأنَّ صدقَهَا كونُهَا من صميم القلب، وقولُهم خلافُ ما في القلب.

قوله: (﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾) بفتح الهمزة في قراءة العامَّة، جمع (يَمين)، وقرئ شذوذاً بكسرها، بمعنى: دَعواهم الإيمانَ، أو التصديقَ بما جاء به محمَّد[3].

قوله: (﴿جُنَّةً﴾) بضم الجيم؛ أي: وقايةً.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٠٧)، وفيه: (فلمَّا نزلت هذه السورة.. أخذ رسول الله ﷺ بأُذن زيد فقال: «هذَا الَّذي أَوفى الله بأذنِه»)، وفي «سُنن الترمذي» (٣٣١٢): قال زيد ﷺ: (فبعث إليَّ رسول الله ﷺ فقرأها، ثمَّ قال: «إنَّ الله قد صدَّقك»).

(٢) وجرى مَجرى القسَم كفعل العِلم واليقين؛ ولذلك تُلُقِّيت بما يتلقَّى به القسَم في قوله: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾، وفي قوله:

ولـقـد عـلِـمـتُ لَـتَـأتِـيَـنَّ مَـنِـيَّـتـي ... إنَّ الـمَـنـايـا لا تَـطِـيـشُ سِـهـامُـهـا

(٣) وبكسر الهمزة قرأ الحسن البصري رحمه الله تعالى. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٣٦).

عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْۖ كَأَنَّهُمْ ....

﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: عن الجِهادِ فِيهم، ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿٣﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: سُوءُ عَمَلِهم ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾ بِاللِّسانِ ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بِالقَلبِ، أي: استَمَرُّوا على كُفرِهِم بِه، ﴿فَطُبِعَ﴾: خُتِمَ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بِالكُفرِ، ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الإيمانَ.

﴿٤﴾ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لِجَمالِها، ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لِفَصاحَتِه، ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ مِن عِظَمِ أجسامِهِم في تَركِ التَّفَهُّمِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾) ﴿سَآءَ﴾: كـ(بئس) في إفادة الذَّمِّ، وفيها معنى التعجُّب.

قوله: (﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾ باللسان. . . إلخ) جوابٌ عمَّا يقالُ: إنَّ المنافقين لم يَحصل منهم إيمانٌ أصلاً، بل هم ثابتُون على الكفر، وإيضاحه: أنَّ (ثمَّ) للترتيب الإخباريِّ، ومعناه: أنَّهم آمنُوا بألسنَتِهم، وكفرُوا بقلوبهم.

قوله: (**لجمالها**) قال ابن عباس: (كان ابن أُبيٍّ جسيماً صحيحاً فصيحاً طَلْقَ اللسانِ، وكان قومٌ من المنافقين مثلَهُ، وهم رؤساء المدينة، وكانُوا يَحضرون مجلس النبي ﷺ، ويَستندون فيه إلى الجُدُر، وكان النبي ومَنْ حضر يُعجبون بهياكلهم)[1].

قوله: (﴿وَإِن يَقُولُواْ﴾) أي: يتكلَّمُوا في مَجلسك.

قوله: (﴿تَسْمَعْ﴾) أي: تَستمع، بمعنى: تُصغي[2].

قوله: (﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾) الجملة حاليَّةٌ من الضمير في (قَوْلِهِمْ)، أو مستأنفةٌ[3].

قوله: (**في ترك التفهُّم**) هذا بيانٌ لوجه الشَّبه، والمعنى: أنَّهم يُشبهون الأخشاب المسندة إلى الحائط في كونهم أشباحاً خاليةً عن العلم والنَّظر.

---

(١) رواه الخَطيب في «السراج المنير» (٤/ ٢٩٤).

(٢) فلذلك عدَّاه باللام.

(٣) ووجه ثالث: أنَّها خبر مُبتدأ مضمر؛ أي: هم كأنَّهم. انظر «الكشاف» (٤/ ٥٤٢).

خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا ....

﴿خُشُبٌ﴾ ـ بِسُكُونِ الشِّين وضَمِّها ـ ﴿مُّسَنَّدَةٌ﴾: مُمالةٌ إلى الجِدارِ، ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ تُصاحُ كنِداءٍ في العَسكَر وإنشادِ ضالَّة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لِما في قُلُوبِهم مِن الرُّعب أن يَنزِلَ فِيهِم ما يُبيحُ دِماءَهُم، ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ فإنَّهم يُفشُونَ سِرَّك لِلكُفَّار، ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾: أهلَكَهُم ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾: كيفَ يُصرَفُون عن الإيمانِ بَعدَ قِيامِ البُرهانِ؟

(﴿٥﴾ - ﴿٦﴾) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ مُعتَذِرِين ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا﴾ ......

حاشية الصاوي

قوله: (بسكون الشين وضمِّها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾) أي: إنَّهم مِنْ سوء ظنِّهم ورُعْبِ قلوبهم يظنُّون كلَّ نداءٍ في العسكر؛ من إنشادِ ضالَّةٍ، أو مناداةِ أحدٍ.. صاعقةً عليهم، وأنَّهم يُرادون بذلك، فمقتضى كلام المفسِّر: أنَّ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ مفعولٌ ثانٍ لـ﴿يَحْسَبُونَ﴾، وقوله: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ جملةٌ مستأنفةٌ[2].

قوله: (لما في قُلوبهم من الرعب) مُتعلِّق بـ﴿يَحْسَبُونَ﴾.

قوله: (أن ينزل فيهم) متعلِّق بالرعب، والمعنى: لما في قُلوبهم من الرعب من أن يَنزل فيهم قرآنٌ يكون سبباً لإباحة دمائهم.

قوله: (﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾) مرتَّب على قوله: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾.

قوله: (﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾) إخبارٌ بهلاكهم، أو تعليمٌ للمؤمنين أن يَدْعُوا عليهم بذلك.

قوله: (أهلَكهم) وقيل: معناه: لعنَهم وأبعدَهم عن رحمتِهِ.

قوله: (بعد قِيام البرهان) أي: على حقيقة الإيمان.

قوله: (﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾... إلخ) روي: أنَّه لمَّا نزل القرآن بفضيحتهم وكذبهم.. أتاهم

---

(١) قرأ أبو عمرو والكسائي وقُنبل: (خُشْبٌ) بضمٍّ وسكونٍ، وباقي السبعة بضمتَين، وقرأ السَّعيدان: ابن جبير وابن المسيَّب بفتحتين، ونسَبها الزمخشري لابن عباس ولم يَذكر غيرَه. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٣٧).

(٢) ويجوز أن يكون (عليهم) مُتعلقاً بـ(صيحة)، و(هم العدو) الجملة في مَوضع المفعول الثاني للحُسبان. انظر المرجع السابق.

رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ ....

- بالتَّشديدِ والتَّخفيفِ -: عطفُوا ﴿رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾: يُعرِضُون عن ذلك، ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ - استُغنِيَ بِهمزةِ الاستِفهامِ عن همزةِ الوَصل - ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

حاشية الصاوي

عشائرُهم من المؤمنين وقالُوا: ويحَكم افتضحتم وأهلكتم أنفسكم؛ فائتُوا رسول الله، وتوبُوا إليه من النفاق، واسألُوه أن يستغفر لكم، فلوَّوا رُؤوسهم؛ أي: حرَّكوها إعراضاً وإباءً[1].

وروي: أنَّ ابن أبيٍّ لوى رأسه وقال لهم: قد أشرتُم عليَّ بالإيمان فآمنتُ، وبإعطاء زكاة مالي ففعلتُ، ولم يبقَ إلا أن تأمروني بالسجود لمحمَّد، فنزل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا...﴾ إلخ، فلم يَلبث ابن أبيٍّ إلا أيَّاماً قلائل حتَّى اشتكى ومات منافقاً[2].

قوله: (بالتخفيف والتشديد) قراءتان سبعيَّتان[3].

قوله: (﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾) (رأى): بصريَّة، وجملة ﴿يَصُدُّونَ﴾ حالٌ من الهاء، وقوله: ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ حالٌ من الواو في ﴿يَصُدُّونَ﴾.

قوله: (﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾... إلخ) هذا تَيْئِيسٌ مِنْ إيمانهم؛ أي: إنَّ استغفارَكَ وعدمَهُ سواءٌ، فهم لا يُؤمنون؛ لِسَبق الشقاوة لهم.

قوله: (استُغني) أي: في التوصُّل للنطق بالساكن.

قوله: (بهمزة الاستفهام) أشار بذلك إلى أنَّ قراءة العامَّة بفتح الهمزة من غير مدٍّ، وهي في الأصل همزة الاستفهام، والآنَ همزة التسوية[4].

قوله: (﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾) أي: الكافرينَ الذين سبَقَ في علمِ الله كفرُهُم.

---

(١) رواه الخطيب في «السراج المنير» (٤/ ٢٩٥) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر «المحرر الوجيز» (٥/ ٣١٤).

(٣) قرأ نافع بالتخفيف، والباقون بالتشديد. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٤٠).

(٤) لوقوعها بعد (سواء)، والعامَّة نظرُوا إلى الأصل فقطعُوا الهمزة من غير مَدٍّ.

هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ

﴿٧﴾ ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لِأصحابِهم مِن الأنصارِ: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ مِن المُهاجِرين ﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾: يَتفرَّقُوا عنهُ، ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بِالرِّزقِ؛ فهو الرَّازِق لِلمُهاجِرين وغيرِهم، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿٨﴾ ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ﴾ أي: مِن غزوةِ بَنِي المُصطَلِق ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾... إلخ) استئنافٌ جارٍ مَجرى التعليل لِفسقِهم.

قوله: (من الأنصار) أي: المخلِصين في الإيمان، وصحبتُهم لِلمنافقين بحسب ظاهر الحال.

قوله: (﴿عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾) الظاهرُ: أنَّهُ حكاية ما قالُوه بعينه؛ لأنَّهم منافقون يقرُّون برسالته ظاهراً، ويحتمل أنَّهم عبَّروا بغير هذه العبارة، فغيَّرها الله إجلالاً لنبيِّه ﷺ.

قوله: (﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾) أي: لأجل أن يتفرَّقُوا بأن يذهب كلُّ واحدٍ منهم إلى أهلِهِ وشُغلِهِ بالمعاش.

قوله: (﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) الجملة حاليَّة؛ أي: قالُوا ما ذُكِرَ والحالُ أنَّ الرِّزق بيدِهِ تعالى، لا بأيدِيهم، فالمعطي المانع هو الله تعالى، وإذا سُدَّ بابٌ.. يفتح اللهُ عشرةً.

قوله: (﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾) أي: لا يَفهمون أنَّ لله خزائنَ السماوات والأرض.

قوله: (﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ﴾... إلخ) حكايةٌ لبعض قبائحِهم التي قالُوها.

قوله: (من غزوة بني المُصطلق) وكانت في السَّنة الرابعةِ، وقيل: في الثالثة[1].

وسببُها: أنَّ رسول الله ﷺ بلَغه أنَّ بني المصطلق يجتمعون لحربِهِ، وقائدُهم الحارثُ بن أبي ضرار، وهو أبو جويرية زوجِ النَّبي ﷺ، فلمَّا سمع بذلك.. خرج إليهم حتَّى لقيَهم على ماءٍ من مِياههم يقال لها: المريسيع، مِن ناحية قديد إلى الساحل، فوقع القتال، فهزم الله بني المصطلق، وأمكن رسولَهُ من أبنائِهم ونسائهم وأموالهم، وكان سَبْيُهُم سبعَ مئة.

---

(١) ونقل الإمام ابنُ سيد الناس في «عيون الأثر» (٢/ ١٢٨) الأقوال في بيانِ وَقتها فقال: (وهي في شعبان سنة ستٍّ عند ابن إسحق، وفي سنة أربعٍ عند موسى بن عُقبة، وفي شعبان سنة خمسٍ يوم الاثنين لِليلتين خلتَا منه عند ابن سعد، والخندق بعدها عنده، في ذي القعدة مِن السنة).

﴿مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ﴾ ....

عَنَوا بِهِ أنفُسَهم ﴿مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ﴾ عَنَوا بِه المُؤمِنِين، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾: الغَلَبةُ ﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

(﴿٩﴾ - ﴿١١﴾) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ﴾: تَشغَلْكُم ....

حاشية الصاوي

فلمَّا أخذ النبيُّ جويريةَ من السَّبي لنفسه.. أعتقها وتزوَّجها، فقال المسلمون: صارَ بنو المصطلق أصهارَ رسول الله، فأطلقُوا ما بأيدِيهم من السبي؛ إكراماً لرسول الله؛ ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: (وما أعلم امرأة كانت أعظمَ بركةً على قومها من جُويرية، ولقد أُعْتِقَ بتزويج رسول الله لها مئةُ أهلِ بيتٍ من بني المصطَلق)[1].

قوله: (﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾) الجملة حاليَّة؛ أي: قالُوا ما ذُكِرَ والحالُ أنَّ العزَّة لله... إلخ.

وعزَّةُ الله: قهرُهُ وغلبتُهُ لأعدائه، وعزَّةُ رسولِهِ: إظهارُ دينِهِ على الأديان كلِّها، وعزَّةُ المؤمنينَ: نصرُ الله إيَّاهم على أعدائهم.

قوله: (﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾) ختَم هذه الآيةَ بـ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، وما قبلَها بـ﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾؛ لأنَّ الأوَّل متَّصلٌ بقوله: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وفي معرفتِها غموضٌ يحتاج إلى فقهٍ، فناسب نفيَ الفقهِ، وهذا متَّصلٌ بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ...﴾ إلخ، وفي معرفتِهِ غموضٌ زائدٌ يحتاج إلى علمٍ، فناسب نفيَ العلمِ عنهم[2].

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾... إلخ) نهيٌ للمؤمنين عن التشبُّه بالمنافقين في الاغترار بالأموال والأولاد.

---

(١) رواه أبو داود (٣٩٣١).

(٢) والحاصل: أنَّه لما أثبت المنافقون لِفريقهم المكنَّى عنه بالأعز إخراجَ المؤمنين من المدينة.. أثبَت الله تعالى في الردِّ عليهم صفة العزَّة لغير فَريقهم، وهو الله ورسوله والمؤمنون. وفي «شرح جمع الجوامع»: ومِن قوادح العِلَّة: القولُ بالموجَبِ ـ بفتح الجيم ـ وهو تسليمُ الدليل مع بقاء النزاع؛ بأن يظهر المعترض عدمَ استلزام الدليل لِمَحلِّ النزاع، وشاهدُه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ في جواب ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾. «فتوحات» (٤/٣٦٣) نقلاً عن العلامة الكرخي.

أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ ....

﴿أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: الصَّلَواتِ الخمسِ، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟﴾ في الزَّكاةِ ﴿مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ﴾ - بِمَعنى (هلَّا)، أو (لا) زائِدة و(لَو) لِلتَّمنِّي - ﴿أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (الصلواتِ الخمسِ) هذا قول الضَّحاك، وقال الحسن: عن جميع الفرائض، وقيل: عن الحج والزكاة، وقيل: عن قراءة القرآن، وقيل: عن سائرِ الأذكار، وهو الأتَمُّ[1].

قوله: (﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾) أي: لإيثارِهم الفانيَ على الباقي، قال رسول الله ﷺ: «**الدنيا ملعونةٌ مَلعونٌ ما فيها إلا ذكرُ اللهِ وما والاه، وعالمٌ ومتعلمٌ**»[2].

قوله: (﴿مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾) (مِن): تبعيضيَّة، وفي التبعيض بإسنادِ الرزق منه تعالى إلى نفسه زيادةُ ترغيبٍ في الامتثال؛ حيث كان الرِّزق له تعالى بالحقيقة، ومع ذلك اكتفى منهم ببَعضه.

قوله: (﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾) أي: أماراتُهُ ومقدِّماتُهُ.

قوله: (﴿فَيَقُولَ رَبِّ﴾) معطوفٌ على ﴿أَن يَأْتِىَ﴾، مُسبَّبٌ عنه.

قوله: (بمعنى: هلَّا) أي: التي معناها التحضيض، وتختصُّ بما لفظه ماضٍ، وهو في تأويل المضارع كما هنا، واللائقُ هنا أن تكون بمعنَى العَرْضِ الذي هو الطلب بلينٍ ورفقٍ؛ لاستحالة معنى التحضيض هنا الذي هو الطلب بحثٍّ وإزعاجٍ.

قوله: (و«لو» لِلتمنِّي) أي: والتقدير على هذا: ليتكَ أخَّرتني إلى أجلٍ قريبٍ.

قوله: (﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾) أي: زمنٍ قليلٍ فأستَدركَ فيه ما فاتني.

---

(١) انظر الأقوال في «السراج المنير» (٤/ ٢٩٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وقولُه: (أو عالم ومتعلم) كذا في الأصول وهي رواية الترمذي، والرفع فيها على التأويل، كأنَّه قيل: الدنيا مذمومةٌ لا يُحمَد شيءٌ مما فيها إلا ذكرُ الله تعالى وعالم أو مُتعلم. انظر «شرح المشكاة» (١٠/ ٣٢٤٨).

﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾

ـ بِإدغامِ التَّاء في الأصل في الصَّاد ـ: أَتَصدَّق بِالزَّكاة، ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بأن أَحُجَّ، قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ما قَصَّرَ أحدٌ في الزَّكاة والحَجِّ إلَّا سَألَ الرَّجعةَ عِند المَوت، ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ـ بالتَّاء والياء ـ.

حاشية الصاوي

قوله: (بالزكاة) أي: وبكلِّ حقٍّ واجبٍ كالدُّيونِ وحقوقِ العباد.

قوله: (﴿وَأَكون مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾) يُرسم بدون واو كما في خطِّ المصحف، وأمَّا في اللفظ.. ففيه قراءتان سبعيَّتان: إثباتُ الواو والنصب بالعطف على ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ المنصوب بـ(أن) مُضمرة بعد فاء السببيَّة في جواب العرضِ أو التمنِّي، وحذفُ الواو والجزم بالعطف على محلِّ ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾؛ لملاحظة جزمِها في جواب الطلب؛ أي: إن أخَّرتني.. أصدَّقْ وأكُنْ[1].

قوله: (عِند الموت) أي: عند رؤية أماراتِهِ كما تقدَّم.

قوله: (﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾) جملة مستأنفة، جواب عن سؤال مقدَّر، تَقديره: هل يؤخِّر هذا التمني؟ فقال: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا...﴾ إلخ، وهو نكرةٌ في سياق النفي، تَعُمُّ.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فالتاء لمناسبة قوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾، والتاء المثناة فوقُ لِمناسبة قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ﴾.

تتمة:

استَنبط بعضهم من هذه السورةِ عُمُرَ النَّبيِّ ﷺ؛ لأنَّ السورة تمامُ ثلاثٍ وستين، وعقِّبت بـ(التغابن) الذي هو ظُهور الغبن بوَفاته ﷺ، وهو من المعاني الإشاريَّة.

✿ ✿ ✿

---

(١) والمشهور عند النحويين ونُقِلَ عن سيبويه والخليل: أنه مِن باب العطف على المعنى، المسمَّى في غير القرآن: العطف على التوهم، ولا محلَّ هنا؛ لأنَّ الشرطَ ليس بظاهر، وإنما يُعطف على الموضع حيث يَظهَر الشرط، وما نقَله المصنف من العطف على المحلِّ هو مذهب السيرافي والفارسي، وفرَّق أبو حيان بينهما: أنَّ العامل في العطف على الموضع موجود، وأثرُه مفقود، والعامل في العطف على التوهم مفقود، وأثرُه موجود. وقرأ أبو عمرو: (وأكونَ)، والباقون: (وأكن). انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٤٥)، و«مغني اللبيب» (ص٦٢٠).

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ....



مكيَّة أو مَدنيَّة، ثماني عشرةَ آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

۝١ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يُنَزِّهُهُ، ـ فاللَّام زائِدة، وأتَى بِـ(ما) دُون (مَن) تَغليباً لِلأكثرِ ـ ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(۝٢ - ۝٤) ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ في أصلِ الخِلقة، ثُمَّ يُمِيتُهم

حاشية الصاوي

سُورَةُ التَّغَابُنِ

(مكيَّة) أي: إلا قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ﴾ إلى آخِر السورة؛ لأنها نزلت بالمدينة باتفاق المفسِّرين، وهذا قولُ ابن عباس وغيره.

قوله: (أو مدنيَّة) وهو قول الأكثَر.

قوله: (فاللام زائدة) أي: أو للتعليل كما تقدَّم.

قوله: (﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾) قدَّم الجارَّ والمجرور فيهما؛ لإفادة حَصر الملك والحمد فيه سُبحانه وتعالى حقيقةً، وأمَّا نِسبةُ الملك والحمد لغيره تعالى.. فبِطريق المجاز.

قوله: (﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾) كالدَّليل لما قبله.

قوله: (﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ﴾) أي: تعلَّقَتْ إرادتُهُ بخَلقكم أزلاً، وقوله: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ أي: بحسَب تعلُّق قُدرته وإرادته، فما قُدِّر أزلاً مِنْ كفرٍ وإيمانٍ لا بدَّ وأن يموت الشخص عليه؛ لما في الحديث: «إنَّ أحدَكم لَيَعملُ بعمل أهل الجنة حتَّى ما يكونُ بينَه وبينَها إلَّا ذراعٌ،

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤﴾ ....

ويُعِيدُهم على ذلك، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ إذ جَعَل شكلَ الآدميِّ أحسَنَ الأشكالِ، ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بِما فِيها مِن الأسرارِ والمُعتقَدات.

حاشية الصاوي

فيسبقُ عليه الكتاب، فيعملُ بعمل أهل النار، فيَدخلها، وإنَّ أحدَكم ليعملُ بعمل أهل النار حتَّى ما يكونُ بينَه وبينَها إلَّا ذراعٌ، فيَسبِقُ عليه الكتاب، فيَعمل بعمل أهل الجنة فيَدخلها»[1].

واعلَم: أنَّ القسمة رباعيَّة: شخصٌ كُتِبَ سعيداً في الأزل، ويظهرُ مؤمناً، ويموتُ عليه، وشخصٌ كُتِبَ شقيًّا في الأزل، فيَعيش كافراً، ويموت كذلك، وشخصٌ كُتب سعيداً في الأزل، فيعيش كافراً، ويُختم له بالإيمان، وهذه الثلاثة كثيرة الوقوع، وشخصٌ يعيش مؤمناً، ويُختم له بالكفر، وذلك أندَرُ من الكبريت الأحمر. وبِالجملة: فالخاتمةُ تُظْهِرُ السابقةَ؛ لأنَّ ما قُدِّر في الأزل لا يُغيَّر ولا يبدَّل.

قوله: (ثمَّ يُميتهم ويُعِيدهم) فيه التفاتٌ من الخطاب للغيبة، وإلَّا.. فمقتضى الظاهر أن يقول: (ثم يميتكم ويُعيدكم).

قوله: (﴿بِٱلۡحَقِّ﴾) أي: الحكمةِ البالغةِ، لا عبثاً.

قوله: (إذ جعل شكل الآدميِّ أحسنَ الأشكال) أي: فجعَل رأسه لأعلى، ورجليه لأسفل، وذِراعيه في جنبيه، وجعله مُنتصب القامة.

إن قلت: قد يُوجَدُ كثيرٌ من الناس مُشوَّهَ الخَلق.

أجيب: بأنَّ التشويه بالنسبة لأبناء جِنسه، لا بالنسبة لِصُور البهائم مثلاً؛ إذ لو قابلتَ بين الصورةِ المشوَّهةِ وبين صورةِ الغزال.. لرأيتَ صورةَ البشرِ المشوَّهةَ أحسَنَ.

قوله: (﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾... إلخ) الحكمةُ في عدم تكرير الموصول هنا وقد كرَّره

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ٦﴾ ....

(٥) ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يا كُفَّار مكَّة ﴿نَبَؤُا۟﴾: خبَرُ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ عُقُوبَةَ الكُفر في الدُّنيا، ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخِرةِ ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِم.

(٦) ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: عَذابُ الدُّنيا ﴿بِأَنَّهُۥ﴾ ـ ضَمِيرُ الشَّأن ـ ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: الحُجَجِ الظَّاهِرات على الإيمانِ، ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ﴾ ـ أُرِيد بِه الجِنس ـ ﴿يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟﴾ عن الإيمانِ ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ عن إيمانِهِم، ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ﴾ عن خَلقِه، ﴿حَمِيدٌ﴾: مَحمُودٌ في أفعالِه.

حاشية الصاوي

في قوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [التغابن: ١]، وفي قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [التغابن: ٤]: أنَّ تسبيح ما في السموات مُغايِرٌ لتسبيح ما في الأرض، وكذا ما يُسرون مغايرٌ لما يُعلنونه؛ لأنَّ المقصود منه تخويفُ المكلَّفين، لا ثبوتُ إحاطةِ العلم، فكرَّر الموصولَ لذلك؛ ولما كان المقصودُ من قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ثبوتَ إحاطةِ العلمِ بذلك.. لم يُكررِ الموصول.

قوله: (﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾) استفهام توبيخٍ أو تقريرٍ.

قوله: (﴿فَذَاقُوا۟﴾) عطف على ﴿كَفَرُوا۟﴾ عطفَ مسبَّب على سبب.

قوله: (أي: عذابُ الدنيا) أي: والآخرةِ، فاسمُ الإشارةِ عائدٌ على ما ذُكِر.

قوله: (﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ﴾) عَطف على ﴿كَانَت﴾، والمعنى: قال كلُّ فريقٍ من المذكورِين في حقِّ رَسولهم الذي أتاهم: أبشرٌ يَهدينا، وبهذا المعنى صحَّ الجمع في قوله: ﴿يَهْدُونَنَا﴾، وإلَّا.. فمُقتضى الظاهر أن يقول: (يهدينا).

قوله: (﴿فَكَفَرُوا۟﴾) الفاء: سببيَّةٌ، والمعنى: كفرُوا بسبب هذا القول.

قوله: (﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾) أي: ظهرَ غِناه عن إيمانهم؛ لأنَّه لا يَنفعه، كما أنَّ كفرهم لا يَضُرُّه، فكلٌّ من الكفر والإيمان واقعٌ بإرادة الله تعالى، وهو المستغني عن كلِّ ما سِواه، فلا يُسْأَلُ عمَّا يفعل.

زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٨﴾ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ ....

(٧ - ٨) ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن﴾ ـ مُخففَّة واسمُها مَحذوف ـ أي: أنَّهُم ﴿لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ﴾: القُرآنِ ﴿ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾.

(٩) اذكُر ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ﴾: يَومِ القِيامةِ، ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ يَغبِنُ المُؤمِنُون الكافِرين بِأخذِ مَنازِلهم وأهلِيهِم في الجَنَّة ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾... إلخ) الزَّعمُ: ادِّعاءُ العلمِ كذباً، وهو يتعدَّى إلى مفعولينِ، فجملة ﴿أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ﴾ سادَّة مسدَّهما، والمراد بهم: أهل مكة.

قوله: (مُخففة) أي: لا ناصبة؛ لِئلا يتوالى ناصبان.

قوله: (﴿قُلۡ بَلَىٰ﴾) أي: تُبعثون؛ لأنَّ (بلى) يجاب بها النفي، فيصير إثباتاً، فهي متضمِّنةٌ للجواب، وإنما أعادَه[1]؛ توصلاً لتوكيده بالقسم، وعَطفِ ما بعده عليه.

قوله: (﴿وَذَٰلِكَ﴾) أي: المذكورُ من البعث والحساب.

قوله: (﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾) خطابٌ لِكفَّار مكة، والفاءُ واقعةٌ في جواب شرطٍ مقدَّر؛ أي: إذا كان الأمر كذلك.. فآمنُوا... إلخ.

قوله: (القرآن) أي: لأنَّه ظاهرٌ في نفسه، مُظْهِرٌ لِغيره.

قوله: (﴿لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ﴾) سمِّي بذلك؛ لأنَّ الله يَجمع فيه بين الأوَّلين والآخرين؛ من الإنس، والجنِّ، وجميعِ أهل السماء والأرض.

قوله: (يَغْبِنُ المؤمنون... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ التفاعُلَ ليس على بابه؛ فإنَّ الكفَّار إذا أخذُوا منازلَ المؤمنين في النَّار لو ماتُوا كفاراً.. ليس بغبنٍ للمؤمنين، بل هو سرورٌ لهم.

---

(١) أي: قوله: ﴿لَتُبۡعَثُنَّ﴾ مع أنَّه مُثبت في جواب (بلى).

وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ ....

لـو آمَـنُـوا، ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ﴾ - وفـي قِـراءة بِـالـنُّـون في الفِعلَين - ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿١٠﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: القُـرآنِ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ هي.

﴿١١﴾ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾: بِقَضائِه، ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ﴾ ....

حاشية الصاوي

وما قاله المفسِّر مأخوذٌ من حديث: «ما مِنْ عبدٍ يَدخل الجنة إلَّا رأى مقعدَهُ من النَّار لو أساءَ؛ لِيَزداد شكراً، وما مِنْ عبدٍ يدخل النار إلَّا رأى مَقعدَهُ من الجنَّة لو أحسنَ؛ لِيَزدادَ حسرةً»[١].

قوله: (لو آمَنوا) بيانٌ لِلإضافة في قوله: (منازلهم وأهلهم).

قوله: (﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ﴾ . . . إلخ) كالبيانِ لوجهِ التغابنِ، وتفصيلٌ له؛ لأنَّ في ذلك ذكرَ منازلِ السعداءِ والأشقياءِ.

قوله: (بالنون في الفعلين) أي: (نكفر) و(ندخل)، وعلى هذه القراءةِ: ففيه التفاتٌ من الغيبة لِلتكلم[٢].

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: المذكور من تكفير السيِّئات، وإدخالِ الجنَّات.

قوله: (﴿مَآ أَصَابَ﴾) مفعوله محذوفٌ؛ أي: أحداً، و﴿مِن مُّصِيبَةٍ﴾ فاعلٌ بزيادة (مِن).

قوله: (﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ﴾) أي: إيماناً خاصًّا[٣]، وهو التصديق بأنَّ كلَّ شيءٍ بقضاءٍ وقدرٍ.

---

(١) رواه بنحوه البخاري (٦٥٦٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قرأ نافع وابنُ عامر بالنون فيهما؛ أي: نحن بما لنا من العظمة، والباقُون بالياء التحتية. انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٠٤).

(٣) في (ب): (خالصاً).

﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ ١١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٢ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ ....

في قَولِه: إنَّ المُصيبةَ بِقضائِه ﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ لِلصَّبر علَيها، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

١٢ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾: البيِّن، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

(١٣ - ١٥) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ أن تُطِيعُوهُم في التَّخلُّف عن الخَير كالجِهادِ والهِجرة؛ فإنَّ سَببَ نُزول الآيةِ

حاشية الصاوي

قوله: (في قوله) أي: في قول القائل: إنَّ المصيبةَ بقضاء الله، والمعنى: يكُن قلبه مطمئنًا مصدِّقاً بهذا القولِ، لا مجرَّد قوله: (إنا لله وإنا إليه راجعون) باللسان؛ فلا يُعْطَى به فضيلةَ الصبر على المصِيبة.

قوله: (﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾) أي: الثَّباتِ والاسترجاعِ عند نزولِها.

قوله: (﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾) أي: في جميع الأوقات، ولا تَشْغَلْكُمُ المصائبُ عنِ الطاعةِ.

قوله: (﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾) شرطٌ حُذِفَ جوابُهُ، تقديرُهُ: فلا ضررَ ولا بأسَ على رَسولنا، وقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا...﴾ إلخ: تعليلٌ لذلك المحذوف.

قوله: (﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾) مبتدأٌ وخبرٌ، وقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ تحريضٌ وحثٌّ للنَّبيِّ على التوكُّل على الله والالتجاء إليه، وفيه تعليمٌ للأمَّة ذلك.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ﴾... إلخ) أي: بَعضِهِمْ، والمراد بالأزواج: ما يشملُ الذكورَ، فكما أنَّ الرَّجل تكونُ زوجتُهُ عدوًّا له كذلك المرأةُ يكونُ زوجُها عدوًّا لها.

قوله: (﴿عَدُوّٗا لَّكُمۡ﴾) أي: يَشْغَلُكم عن طاعة الله.

قوله: (إن تطيعوهم) أشار بذلك إلى تقديرِ مضاف؛ أي: فاحذرُوا طاعتَهم.

قوله: (فإنَّ سببَ نزولِ الآيةِ... إلخ) علَّة لقوله: (كالجهاد والهجرة)؛ أي: فسببُ نزولِ الآيةِ:

﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾

الإطاعةُ في ذلك، ﴿وَإِن تَعْفُوا۟﴾ عنهُم في تَثبِيطِهم إيَّاكُم عن ذلك الخَير مُعتلِّين بِمَشقَّةِ فِراقِكم علَيهم، ﴿وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لَكُم شاغِلةٌ عن أُمُورِ الآخِرةِ، ....

حاشية الصاوي

أنَّ رجالاً أسلمُوا من أهل مكة، وأرادُوا أن يُهاجرُوا إلى النَّبيِّ، فمنعَهُم أزواجُهم وأولادُهم وقالُوا: صَبَرْنَا على إسلامِكم، فلا صبرَ لنا على فِراقكم، فأطاعوهم وتركُوا الهجرة[1].

وقيل: نزَلت في عوف بن مالِك الأشجعي؛ كان ذا أهلٍ وولدٍ، فأراد أن يَغزُوَ، فبكَوا إليه، ورقَّقوه وقالُوا له: إلى مَن تدعُنا؟! فرقَّ عليهم، وأقام عن الغزو[2].

وهذا معنى قول المفسِّر: (كالجهاد والهِجرة)، والعبرة بعُموم اللفظ، لا بخصوص السبب، فيدخل في ذلك جميع أنواع الطاعات؛ فلا يُطيع الأزواجَ ولا الأولادَ في التكاسلِ عن أيِّ طاعةٍ كانت، بل حُقوقُ الله مقدَّمةٌ على كلِّ حقٍّ.

قوله: (﴿وَإِن تَعْفُوا۟﴾... إلخ) أي: تتركُوا عقابَهم بتركِ الإنفاقِ عليهم، وذلك أنَّه مَنْ تخلَّفَ عن الهجرة والجهاد بِسبب منعِ أهلِهِ وأولادِهِ قد تنبَّه بعد ذلك، فرأى غيرَه من الصحابة قد سبَقه للخير، فنَدم وعزم على عقاب أهله وأولاده بترك الإنفاقِ عليهم، فأنزَل: ﴿وَإِن تَعْفُوا۟...﴾ إلخ[3].

قوله: (في تثبيطهم) أي: شَغلِهم إيَّاكم، وتكْسِيلِهِمْ لكم.

قوله: (﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾) أي: ابتلاءٌ واختبارٌ من الله لكم، وهو أعلَم بما في نُفوسكم منكم، لكن لِيَظهرَ في عالم الشهادةِ مَنْ يشغلُهُ ذلك عن الحق فيكونُ عليه نقمة ممَّن لا يَشغله فيكون عليه نِعمة.

وقدَّم المال؛ لأنَّ فتنتَهُ أشدُّ، وتكفي في فِتنته قصَّةُ ثعلبةَ بنِ حاطبٍ النازلِ فيه قولُهُ تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ...﴾ [التوبة: ٧٥] الآية[4].

---

(١) رواه بنحوه الترمذي (٣٣١٧) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر «تفسير البغوي» (٨/ ١٤٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٥) من حديث عطاء بن يسار رحمه الله تعالى.

(٣) كما رواه الترمذي (٣٣١٧)، ولفظه: (فلما أتَوا رسول الله ﷺ.. رأوا الناس قد فَقهوا في الدين، همُّوا أن يُعاقبوهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾).

(٤) رواها الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٢١٨) عن سيدنا أبي أُمامة رضي الله عنه، وانظر «إتحاف السادة المتقين» (٨/ ٢٢٦).

وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ ....

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ فلا تُفوِّتُوه بِاشتِغالِكُم بِالأموالِ والأولادِ.

﴿١٦﴾ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ ناسِخةٌ لِقَولِه: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ ما أُمِرتُم بِهِ سَماعَ قَبول، ﴿وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ﴾ في الطَّاعةِ ﴿خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ﴾ ـ خَبر (يَكُن) ....

حاشية الصاوي

قَالَ الحَسَن: (أدخل «مِن» التي للتبعيض في قوله: ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ...﴾ إلخ؛ لأنَّهم كلَّهم ليسُوا بأعداء، بل البَعض منهم، ولم يُدخلها في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ...﴾ إلخ؛ لأنَّهما لا يَخلُوان من الفتنة واشتغال القلب بهما)[1]؛ فمَنْ رجع إلى الله تعالى، ولم يَلتفِت إلى ماله وولده، وجاهد نفسَهُ.. فقد فاز، ومَنْ تتبَّع الشغل بالمال والولد، وافتتن بهما.. فقد هلك.

قوله: (﴿أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾) وهو الجنَّة.

قوله: (ناسخة لقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾) أي: ومعناها: أن يُطَاعَ فلا يُعصى، وأن يُذْكَرَ فلا يُنْسَى، وأن يُشْكَرَ فلا يُكْفَرَ؛ ولذلك لَمَّا نزلتِ الآيةُ.. قالت الصحابةُ: (ومَنْ يعرفُ قدرَ الله فيتَّقِيه حقَّ تقواه؟)، وضايقَ بعضُهم نفسَهُ في العبادة حتَّى تورَّمت قدَماه من طول القيام، فخفَّف الله عنهم، فنزلت: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[2]. وما قاله المفسِّر أحدُ قولَين.

وقيل: إنَّها ليسَتْ ناسخةً، بل مُبيِّنةٌ لها، فآيةُ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ مجملةٌ، وآيةُ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ مُفصِّلةٌ لها، غيرَ أنَّ الاستطاعة مختلفةٌ باختلاف الأشخاص، فكلٌّ يبذلُ وسعَهُ وطاقتَهُ في طاعةِ ربِّه، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، فليست الاستطاعة في النَّاس سواءً.

وبِالجملة: فالتَّكليفُ بهذه الآيةِ لا بآيةِ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾، سواءٌ قُلنا: إنَّها منسوخةٌ أو محكَمَةٌ.

قوله: (خبر «يكن») أي: أو مفعولٌ لفعلٍ محذوفٍ، تقديرُه: يُؤتكم خيراً، وهو الأولى؛ لأنَّ حذف (كان) واسمِها معَ بقاء الخبر إنَّما يكثر بعد (إن) و(لو)[3].

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١٨/ ١٤٣).

(٢) انظر «الفتوحات الإلهية» (٤/ ٣٦٨) نقلاً عن العلامة الأجهوري رحمه الله تعالى.

(٣) ما ذكره المفسِّر رحمه الله قول أبي عبيد، وما ذكره المصنف قول سيبويه، وقيل: إنه نعت مصدر محذوف، وهو قول =

وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ....

مُقدَّرة جَواب الأمرِ - ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائِزُون.

﴿١٧﴾ ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بِأن تَتصدَّقُوا عن طِيبِ قَلب ﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ - وفي قِراءة: (يُضَعِّفْهُ) بِالتَّشدِيدِ - بِالواحِدةِ عَشراً إلى سَبعمِائةٍ وأكثَرَ، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما يَشاءُ، ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾: مُجازٍ على الطَّاعة، ﴿حَلِيمٌ﴾ في العِقابِ على المَعصِيَة.

﴿١٨﴾ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾: السِّرِّ ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: العَلانِيَة، ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ في مُلكِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (جواب الأمر) أي: وهو قوله: ﴿وَأَنفِقُواْ﴾.

قوله: (﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾) الشُّحُّ: كراهة فعل الخير والمعروف، يَنشأ عنه البُخل، وهو الإمساك.

قوله: (﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾) سمَّاه قرضاً ترغيباً في الصدقة؛ حيث جعَلها قرضاً لله مع أنَّ العبد إنَّما يُقرض نفسه؛ لأنَّ النَّفع عائدٌ عليه، وفيه تنزُّلٌ من الله لِعباده؛ حيث أعطاهم المال، وأمرَهم بالإنفاق منه، وسمَّى إنفاقَهم قرضاً له، فمِنْ إحسانِهِ عليك خلق ونسبَ إليك. وهذا الخطاب يعمُّ الأغنياءَ والفقراءَ، فالأغنياء مُخاطبون بالإقراض في بذل أموالهم وأنفسهم، والفُقراء مُخاطبون بالإقراض في بذل أنفسهم، فهو تعليمٌ لهم الإخلاصَ في أعمالهم.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (مُجازٍ على الطاعة) أي: بالكثير على القليل.

قوله: (﴿حَلِيمٌ﴾ في العقاب على المَعصية) أي: فلا يَعجل بالعقوبة على مَنْ عصاه.

قوله: (السرِّ) أي: ما في القلوب، وقوله: (والعلانية) أي: ما يُظهره الإنسان.

قوله: (﴿ٱلْعَزِيزُ﴾) أي: الغالِبُ على أمره.

= الكسائي والفراء؛ أي: إنفاقاً خيراً، وقيل: حال وهو قول الكوفيين، وقيل: مفعول بقوله: ﴿أَنفِقُواْ﴾ أي: أنفقوا مالاً خيراً. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٥٠).

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر بغير ألف بعد الضاد وتشديد العين، والباقون بألف بعد الضاد وتخفيف العين. انظر «السراج المنير» (٤/ ٢٠٥).

ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

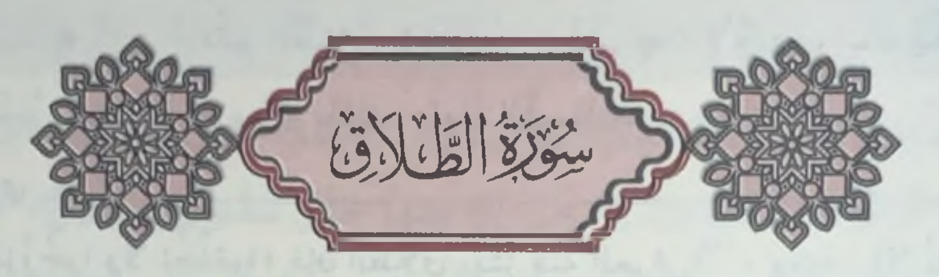
﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنعِه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنعه) أي: الذي يَضعُ الشيءَ في محلِّه.

✿ ✿ ✿

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ....



مدنيَّة، ثلاثَ عشرةَ آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ المُرادُ وأُمَّتُه بِقَرِينةِ ما بَعدَه، أو قُل لَهُم: ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الطَّلَاقِ

(مَدنية)

قوله: (ثلاث عشرة آية) هذا أحدُ أقوال في عدد آياتها، وقيل: ثِنتا عشرة، وقيل: إحدى عشرة.

قوله: (المُراد: وأمَّته) أشار بذلك إلى أنَّ في الكلام حذفَ الواو مع ما عَطَفَتْ، على حدِّ: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، وإنَّما اقتصر على خطاب النبيِّ؛ لأنَّه الرئيس الكامل.

وفي بعض النُّسخ: (المراد: أمَّته) أي: إنَّ لفظ (النبي) أُطلِقَ وأريد به أمَّتُهُ مجازاً.

قوله: (بقَرينة ما بعده) أي: وهو الجمع في قوله: ﴿طَلَّقْتُمُ﴾، وفي قوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ﴾.

قوله: (أو: قُل لهم) هذا احتمالٌ ثانٍ في توجُّه الخطاب، ومُحصَّلُهُ: أنَّ المخاطَبَ حقيقةً هو النبيُّ وحدَه، ولكن حُذِفَ منه الأمر؛ كأنَّه قال: (يا أيها النبي قُل لأمتك... إلخ).

وفي الحقيقة: يؤخذ من المفسِّر ثلاثُ احتمالاتٍ على اختلاف النسخ، وبقيَ احتمالٌ رابعٌ، وهو أنَّ الخطاب للنبيِّ ﷺ أوَّلاً وآخراً بلفظ الجَمعِ تعظيماً وتفخيماً.

وسبب نزولها: أنَّ رسول الله ﷺ طلَّق حفصةَ رضي الله عنها، فأتت أهلَها، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾، وقيل له: «راجِعْهَا؛ فإنَّها صوَّامةٌ قوَّامةٌ، وهي من أزواجك في الجنَّة»[١].

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٩) عن سيدنا أنس رضي الله عنه، وبنحوه عند الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٥).

إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ....

﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ أي: أردتُم الطَّلاقَ ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾: لِأوَّلِها، بِأن يَكُونَ الطَّلاق في طُهر لَم تُمَسَّ فِيه؛ لِتَفسِيرِه ﷺ بِذلك، رَواهُ الشَّيخانِ، ....

حاشية الصاوي

ووردَ: «تزوَّجُوا ولا تطلِّقوا؛ فإنَّ الطلاق يهتزُّ منه العرش»[١]، وورد: «لا تُطلِّقُوا النِّساءَ إلَّا مِنْ ريبةٍ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يحبُّ الذوَّاقينَ ولا الذَّوَّاقات»[٢]، وورد: «ما حَلَفَ بِالطلاق، ولا استَحْلَفَ به إلَّا منافقٌ»[٣].

قوله: (أردتُم الطلاق) دفع بذلك ما يُقال: إنَّ قوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ تحصيلٌ للحاصل.

والمراد بـ(النِّساء): المدخُول بهنَّ ذواتُ الأقراء، أمَّا غير المدخُول بهنَّ.. فلا عِدَّةَ عليهنَّ بالكليَّة، وأمَّا ذواتُ الأشهُرِ والحواملِ.. فسيَأتين.

قوله: (﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾) اللام لِلتوقيت؛ كهي في قوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، والمعنى: طَلِّقوهنَّ في وقتٍ يَصلح فيه ابتداءُ عدَّتهنَّ، وهو ما أشار له بقوله: (بأن يكون... إلخ).

قوله: (في طهر) أي: وأمَّا في الحيض.. فهو حرامٌ واقعٌ؛ بدليلِ أنَّ الأمرَ بالشيء يَستلزمُ النَّهيَ عن ضدِّه.

قوله: (لم تُمَسَّ فيه) أي: لم تُوطَأْ، وهذا القيدُ لمنع الرِّيبةِ؛ فإنَّه ربَّما يَحصل من ذلك الوطءِ حملٌ، فتَنتقل من الحيض لوضع الحمل، وربَّما حاضَت الحامل، فحصل اللَّبس.

وحكمُ الطلاق في الطُّهر الذي مسَّها فيه: الكراهةُ عند مالك، والحرمةُ عند الشافعيِّ، ولكن تحتسب به من العِدَّة، ولا يُجْبَرُ على الرَّجعة فيه.

قوله: (رواه الشيخان) فقد روَيا عن ابن عمر أنَّه طلَّق امرأته وهي حائضٌ، فذكر ذلك عمرُ لرسول الله ﷺ، فقال له النبيُّ ﷺ: «مُرْهُ فليُراجعها، ثمَّ لِيُمْسِكْهَا حتَّى تطهرَ، ثمَّ تحيضَ، ثمَّ تطهرَ،

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ١٩٦) عن سيدنا علي رضي الله عنه، والديلمي في «الفردوس» (٢٢٩٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البزار (٣٠٦٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨/ ٢٤) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٧/ ٣٥٣) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ﴾ ....

﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾: احفظُوها لِتُراجِعُوا قبلَ فَراغِها، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾: أَطِيعُوهُ في أمرِه ونَهيِه، ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ مِنها حتَّى تَنقضِيَ عِدَّتُهنَّ، ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ﴾: زناً ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾ ـ بِفَتحِ الياء وكَسرِها ـ أي: بُيِّنَت أو بَيِّنَة، فيَخرُجنَ لِإقامةِ الحَدِّ

حاشية الصاوي

فإن بدَا له أن يُطلِّقَها. . فليُطلِّقْها قبل أن يمَسَّها، فتلك العدَّةُ التي أمر الله أن تُطلَّق لها النِّساءُ»، ثمَّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[1].

قوله: (**احفَظوها**) أي: احفظُوا الوقتَ الذي وَقع فيه الطلاق، والخطابُ لِلأزواج، ويدخلُ الزَّوجات فيه أيضاً؛ لأنَّ الزوجَ يُحصي العدَّة ليراجعَ، ويُنفقَ، ويتزوَّج بأخت المطلَّقة ونحو ذلك، وهي لِتَحِلَّ للأزواج ونحو ذلك.

قوله: (**لتراجعوا**) أي: وتُنفقوا، وتُسْكِنوا.

قوله: (﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾) المراد: المساكنُ التي وقع الفِراقُ فيها، وهي بيوت الأزواج، وأُضيفَتْ إليهنَّ؛ لاختصاصها بهنَّ من حيثُ السكنُ.

وجَمَعَ بين النَّهيَيْنِ؛ إشارةً إلى أنَّ الزوج لو أَذِنَ لها في الخروج. . لا يَجوز لها الخروجُ؛ لأنَّ العدَّة حقٌّ لله تعالى، فلا يَسقط بتراضيهما.

قوله: (﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ﴾. . . **إلخ**) الجملة حاليةٌ من فاعل (لا يخرجن)، ومفعول ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ﴾، والمعنى: لا يَخرُجْنَ ولا تخرجوهنَّ في حالٍ من الحالات إلَّا في حال كونهنَّ آتياتٍ بِفاحشةٍ مبيِّنةٍ.

قوله: (**زناً**) وقيل: الفاحشة أن تَبْذوَ على أهل زَوجها، فيحلُّ إخراجُها لسوءِ خُلُقِها.

قوله: (**بفتح الياء وكسرها**) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (**أي: بيِّنتْ، أو هي بيِّنةٌ**) لفٌّ ونشرٌ مرتَّبٌ.

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٢٥١)، و«صحيح مسلم» (١٤٧١/ ١٤).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو بكر بفتح الياء التحتية، والباقون بكسرها. انظر «السراج المنير» (٤/ ٣١٢).

وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ....

عليهِنَّ، ﴿وَتِلْكَ﴾ المَذكُوراتُ ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الطَّلاقِ ﴿أَمْرًا﴾: مُراجَعةً فِيما إذا كانَ واحِدةً أو اثنَتَينِ.

﴿٢﴾ ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: قارَبنَ انقِضاءَ عِدَّتِهِنَّ، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بِأن تُراجِعُوهُنَّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ مِن غَيرِ ضِرارٍ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَتِلْكَ﴾ المذكورات) أي: مِن قوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾) أي: عرَّضها للعقاب، وقيل: المراد بظلم نفسِهِ: الضَّررُ الدنيويُّ الذي يَلحقه بسبب تعدِّيه، ولا يُمكنه تداركُهُ؛ بدليل قوله: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ، وإرادةُ العُموم أولى.

قوله: (﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ﴾... إلخ) استئنافٌ مَسُوقٌ لتعليل ما تضمَّنته الجملة الشرطية، والمرادُ بالأمر الذي يُحدثه الله: أن يَقلِبَ قلبَه عمَّا فعَله؛ بأن يرغبَ في الرجعة، ويَندمَ على الطلاق، والمقصودُ منه التحريضُ على طَلاق الواحدة أو الثِّنتين، وعدمُ ضررِ الزوجة بالفِراق؛ ليكونَ في فسحةٍ إذا غيَّر الله الأحوالَ.

قوله: (مراجعةً) أي: بأن يَقلِبَ قلبَه من بُغْضِها إلى حبِّها، ومن الرَّغبة عنها إلى الرَّغبة فيها، ومِن محبَّة الطلاق إلى النَّدم عليه.

وبالجملة: فالذي يَنبغي للعاقل إذا أراد الفراق أن يكون بالمعروف؛ لأنَّه لا يَدري ما يخلقه الله في قلبه بعد ذلك، فإذا كان فِراقُهُ بالمعروف، وحوَّل الله الحالَ.. سَهُلَ له بعدَ ذلكَ الرجوعُ.

قوله: (﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾) أي: المطلَّقاتُ طلاقاً رجعيًّا، المدخولُ بهنَّ.

قوله: (قاربْنَ انقضاءَ عدَّتهنَّ) أي: فالكلام على سبيل المجاز[1].

قوله: (﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾) أي: بِحُسنِ عشرةٍ، وإنفاقٍ، وتحمُّلِ أذًى، وغيرِ ذلك.

قوله: (بأن تُراجعوهن) تَصويرٌ للإمساك.

---

(١) أي: مجاز المشارفة، بقرينة ما بعده؛ لأنه لا يُؤمر بالإمساك بعد انقضاء العِدَّة. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٨/ ٢٠٥).

أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ....

﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: اترُكُوهُنَّ حتَّى تَنقَضِيَ عِدَّتُهن ولا تُضارُّوهُنَّ بِالمُراجَعةِ، ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على المُراجَعةِ أو الفِراقِ، ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ لا لِلمَشهُودِ عليه أو له، ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ مِن كَرْبِ الدُّنيا والآخِرة.

حاشية الصاوي

قوله: (ولا تضارُّوهنَّ بالمراجعة) بيانٌ لِلمَعروف في الإمساك، والمعنى: أنَّه إذا أراد إمساكَها.. راجعَها لقصدِ بقاء الزوجيَّة، لا لِقَصدِ ضررِها، والأوضَحُ أن يقول: فلا تضارُّوهنَّ عندَ الفراق؛ بأن تتكلَّموا في حَقِّهنَّ ونحوِ ذلك، وأمَّا مُضارَّتُهُنَّ بالإمساك.. فقد عُلِمَ نفيُها من قوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.

قوله: (﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ﴾) أي: صاحِبَيْ عدالةٍ.

قوله: (على المراجعة) أي: لِتَظهرَ ثمرتُها بعد ذلك في الإرث إذا مات أو ماتَت، وفيما إذا ادَّعى الرجعة بعد انقضاء العدَّة وأنكرَتْ.

قوله: (أو الفراق) أي: الطلاقِ؛ لِتَظهر ثمرةُ الإشهاد بعد ذلك إذا ادَّعت عليه الطلاقَ وأنكر، وهذا الإشهاد مَندوبٌ عند مالكٍ وأبي حنيفة والشافعيِّ في أحد قَولَيه، والآخر: أنَّه واجبٌ عند الرَّجعة، مندوبٌ عند الفِراق.

قوله: (﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾) أي: لوجهِهِ، ولا تُراعُوا المشهودَ له، ولا المشهودَ عليه.

وإنَّما حثَّ على أداء الشهادةِ؛ لما فيه من العُسر على الشهود؛ لأنَّه ربَّما يُؤدِّي إلى أن يترك الشاهد مُهمَّاته، ولما فيه من عسرٍ لقاء الحاكم الذي يُؤدِّي عنده، وربَّما بَعُدَ مكانه وكان للشَّاهد عوائقُ.

قوله: (﴿ذَٰلِكُمْ﴾) أي: المذكورُ من أوَّل السورةِ إلى هنا.

قوله: (﴿يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾) أي: وأمَّا مَنْ لم يكن مُتَّصفاً بذلك.. فهو لِقَساوة قلبه لا يُوعظُ؛ لأنَّه لم ينتفع به.

قوله: (﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾... إلخ) هذه الجملة اعتراضيَّةٌ في أثناء الأحكام المتعَلقة بالنساء؛ إشارة إلى أنَّه لا يَصبر على تلك الأحكام، ولا يعمل بها إلَّا أهلُ التقوى، والأحسَنُ أن يُرادَ من هذه العمومُ، لا خُصوصُ التقوى في أمر النِّساء.

وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ....

﴿٣﴾ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾: يَخطُرُ ببالِه، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في أُمُورِه ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾: كافِيهِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾: مُرادَه، ـ وفي قِراءة بالإضافةِ ـ ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ﴾ كرَخاءٍ وشِدَّة ﴿قَدْرًا﴾: مِيقاتاً.

حاشية الصاوي

قال أكثر المفسرين: نزَلت هذه الآيةُ في عَوف بن مالك الأشجعيِّ، أَسَرَ المشركون ابناً له يسمَّى سالماً، فأتى عوفٌ إلى رسول الله ﷺ يَشتكي إليه الفاقةَ، وقال: إنَّ العدوَّ أسرَ ابني، وجَزِعت الأم؛ فما تَأمرني؟ فقال رسول الله ﷺ: «اتَّقِ الله واصبر، وآمُرك وإيَّاها أن تستكثرَا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله»، فعاد إلى بيته وقال لامرأته: إنَّ رسول الله ﷺ أَمَرني وإياك أن نُكثر من قول: (لا حول ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيم)، فقالت: نِعْمَ ما أمرنا به، فجعَلا يَقولان، فغفل العدُوُّ عن ابنِه، فساق غنمَهم ـ وهي أربعة آلاف شاة ـ واستاقَ من إبلهم خمسين بعيراً ـ كما في رواية ـ وجاء بها إلى المدينة، فقال أَبُوه لِلنبي ﷺ: أيحلُّ لي أن آكُلَ ممَّا أتى به ابني؟ فقال: «نعم»، ونزلت الآية[(١)].

قوله: (﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾) أي: من فوَّض أمرَه إليه.. كفاه ما أهمَّه، والأخذُ في الأسباب لا يُنافي التوكُّلَ؛ لأنَّه مأمورٌ به، لكن لا يَعتمد على تلك الأسباب[(٢)].

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾) أي: فلا بدَّ من إنفاذ مُراده، حصل من الشخص توكُّلٌ أم لا، لكن مَنْ توكَّلَ.. يكفِّر عنه سيِّئاتِهِ، ويعظم له أجراً.

قوله: (وفي قراءة بالإضافة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[(٣)].

قوله: (﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾) أي: تقديراً لا يتعدَّاه، ولو اجتمعَتْ جميعُ الخلائق على أنه يَتعدَّاه.. لا يَقدرُون.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٩٢) مختصراً عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وأورَده بتمامه الخطيب في «السراج المنير» (٤/ ٣١٤).

(٢) فالأخذ بالأسباب واجب، ونفي التأثير عنها واجب، ومن نفى الأسباب.. فقد عطَّل الحكمة، ومن أثبت لها تأثيراً.. فقد أشرك بالله تعالى، ولا بدَّ من الأسباب وجوداً، ولا بدَّ من الغيبة عنها شهوداً.

(٣) قرأ حفص: (بالغُ) من غير تنوين، (أمرِه) مضاف إليه على التخفيف، والباقون بالتنوين والنصب. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٥٣).

. . . .

حاشية الصاوي

وهذه الآية تُستعمل لدفع كُرَب الدنيا والآخرة؛ لما وردَ في الحديث: «**إني لَأعلمُ آيةً لو أخذ الناس بها.. لَكَفتهم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾**»، فما زال يقرؤها ويُعيدها[١].

ووردَ أيضاً: «**مَن انقطع إلى الله.. كفاه الله كلَّ مُؤنة، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا.. وكَله الله إليها**»[٢]، ومعنى (انقطع إلى الله): أنه إذا اتقى وآثرَ الحلال والصبر على أهله.. فإنَّه يفتح الله عليه إن كان ذا ضِيق، ويَرزقه من حيث لا يحتسب.

ووردَ أيضاً: «**مَنْ أكثرَ الاستغفار.. جعل الله له من كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً، ورزَقه من حيث لا يَحتسب**»[٣].

لطيفة:

ذكر الأجهوري في «فضائل رمضان» حِكاية مناسبة للمقام، وهي أنَّ قوماً ركبُوا البحر، فسمعُوا هاتفاً يقول: مَن يعطي عشرة آلاف دينار حتى أعلِّمه كلمةً؛ إذا أصابه غمٌّ أو أشرفَ على هلاكٍ فقالها.. انكشف ذلك عنه؟ فقام من أهل المركب رجلٌ معه عشرة آلاف دينارٍ، فصاح: أيُّها الهاتف؛ أنا أُعطيك عشرة آلاف دينار، فعلِّمني، فقال: ارمِ بالمال في البحر، فرمى به، فسمع الهاتف يقول: إذا أصابك همٌّ أو أشرفتَ على هلاكٍ.. فاقرأ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ..﴾ إلى آخر الآية، فقال جميع مَنْ في المركب للرجل: لقد ضيَّعتَ مالك، فقال: كلا إنَّ هذه لفظةٌ ما أشكُّ في نَفعها.

قال: فلمَّا كان بعد أيام كُسِرَ بهم المركبُ، فلم يَنْجُ منهم غيرُ ذلك الرجل؛ فإنَّه وقع على لَوحٍ، وطرحه البحر على جزيرة.

قال: فصعدتُ أمشي فيها؛ فإذا بقصرٍ منيفٍ، فدخلته فإذا فيه كلُّ ما يكون في البحر من الجواهر وغيرها، وإذا بامرأةٍ لم أرَ قطُّ أحسنَ منها، فقلتُ لها: مَنْ أنتِ؟ وأيَّ شيءٍ تعمَلين ها هنا؟ قالت: أنا بنتُ فلانٍ التاجرِ بالبصرة، وكان أبي عظيمَ التجارةِ، وكان لا يَصبر عنِّي ساعةً، فسافر بي معه في البحر، فانكسر مَركبنا، فاختُطِفْتُ حتَّى حصلت في هذه الجزيرة، فخرج إليَّ شيطانٌ

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٣٩)، وابن ماجه (٤٢٢٠) واللفظ له عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/٣٤٦) عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو داوود (١٥١٨)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٢١٧)، وابن ماجه (٣٨١٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

وَٱلَّٰٓـِٔي ....

﴿٤﴾ ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي﴾ - بِهَمزةٍ وياءٍ وبِلا ياء في المَوضِعَينِ - ....

حاشية الصاوي

من البحر، فتلاعَب بي سبعة أيامٍ من غير أن يَطأني، إلا أنَّه يلامسني ويُؤذيني ويتلاعب بي، ثمَّ ينظرُ إليَّ، ثمَّ ينزل في البحر سبعةَ أيَّامٍ، وهذا يومُ مُوافاتِهِ؛ فاتَّقِ الله في نفسِكَ، واخرج قبل مُوافاتِهِ، وإلَّا.. أتى عليك. فما انقضى كلامُها حتَّى رأيتُ ظلمةً هائلةً، فقالت: قد والله جاء، وسيُهلكك، فلمَّا قرب منِّي وكاد يغشاني.. قرأتُ الآيةَ؛ فإذا هو خرَّ كقطعةِ جبلٍ إلا أنَّهُ رمادٌ محترقٌ، فقالت المرأة: هلَكَ واللهِ وكُفِيتَ أمرَهُ، مَنْ أنت يا هذا الذي مَنَّ اللهُ عليَّ بكَ؟ فقمتُ أنا وهي، فانتخبنا ذلك الجوهرَ حتَّى حملنا كلَّ ما فيه مِنْ نفيسٍ وفاخرٍ، ولَزمنا السَّاحلَ نهارَنا، فإذا كان الليل.. رجَعنا إلى القصر.

قال: وكان فيه ما يؤكل، فقلتُ لها: مِنْ أينَ لكِ هذا؟ قالت: وجدتُه هاهنا، فلمَّا كانَ بعد أيَّامٍ.. رأينا مركباً بعيداً، فلوَّحنا إليه، فدخلَ فحملَنَا، فسِرْنا يسيراً إلى البصرة، فوصفَتْ لي منزلَ أهلِها، فأتيتُهم فقالُوا: من هذا؟ فقلتُ: رسولُ فلانةَ بنتِ فلانٍ، فارتفعَتِ النَّاعيةُ وقالوا: يا هذا؛ لقد جدَّدتَ علينا مصابنا، فقلتُ: اخرجوا، فخرجوا، فأخذتهم حتَّى أتيتُ بهم إلى ابنتِهم، فكادُوا يموتون فرحاً، وسألُوها عن خبرها، فقصَّتْهُ عليهم، وسألتُهم أن يُزوِّجوني بها ففعلوا، وجعلنا ذلك الجوهرَ رأسَ مالٍ بيني وبينها، وأنا اليومَ أيسرُ أهلِ البصرة، وهؤلاءِ أولادي منها، انتهى[١].

قوله: (﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ﴾... إلخ) سبب نزولها: أنَّه لمَّا نزل قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾.. قال خلَّاد بن النعمان: يا رسول الله؛ فما عِدَّةُ التي لم تَحِضْ، وعدَّة التي انقطع حيضُها، وعدَّةُ الحبلى؟ فنزلَت[٢].

و(اللائي): اسمٌ موصولٌ مبتدأ، و﴿يَئِسۡنَ﴾: صلته، وقوله: ﴿مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ حالٌ من الضمير في ﴿يَئِسۡنَ﴾، والشرطُ وجوابهُ خبرُهُ.

أو قوله: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ﴾ خبرُهُ، وجوابُ الشرطِ محذوفٌ، تقديرُهُ: فاعلمُوا أنَّها ثلاثة أشهر، والشرط وجوابه المقدَّرُ معترضٌ بين المبتدأ وخبرِهِ. والأوَّلُ أحسَنُ.

---

(١) «فضائل شهر رمضان» (ص٢٣٧)، وأورَدها بتمامها التنوخي في «الفرج بعد الشدة» (ص٩٩).

(٢) انظر «السراج المنير» (٤/٣١٦).

بِيِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ....

﴿بِيِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾ بِمَعنَى الحَيضِ ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾: شَكَكتُم في عِدَّتِهِنَّ، ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ لِصِغَرِهِنَّ فعِدَّتُهنَّ ثَلاثةُ أشهُرٍ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِيِسْنَ﴾) أي: وأوَّلُ سنِّ اليأسِ ستُّون سنةً، وما بينَ الخمسين والستين تُسْأَلُ النِّساءُ؛ فإن جزَمْنَ بأنَّه حيضٌ أو شكَكْنَ.. فحيضٌ، وإلَّا.. فليس بحيضٍ، وما قبل الخمسينَ حيضٌ قطعاً.

قوله: (شكَكتم في عدَّتهنَّ) أي: جَهلتُم قدرَها، والقيدُ لبيانِ الواقعِ؛ فلا مفهومَ له، بل عدَّتُها ما ذُكِرَ، سواءٌ علمُوا أو جهلُوا، لكنَّ الواقع في نفس الأمر أنَّ السائلين كانُوا جاهلين بقدرها.

قوله: (﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ لصغرهنَّ) أي: عدم بُلوغهنَّ أوانَ الحيضِ؛ كبنتِ تسعٍ، ومثلُ الصغيرةِ: مَنْ لم ترَ الحيضَ أصلاً، وتسمِّيها النِّساءُ البغلةَ[1].

وأمّا معتادةُ الحيض وتأخَّر حيضُها بلا سببٍ، أو بسبب مرضٍ، أو استُحِيضَتْ ولم تميِّز.. فإنَّها تَمكث عند مالكٍ سنةً بيضاءَ[2]، وتحلُّ للأزواج، ثمَّ إن احتاجت لعدَّةٍ بعد ذلك.. كانت كالآيسةِ والصغيرة.

وأمَّا مَنْ تأخَّر حيضُها لرضاعٍ أو استُحِيضَتْ وميَّزَتْ، أو كان حيضُها يأتي بعد سنةٍ أو سنتين إلى خمسٍ.. فلا تعتدُّ إلَّا بالحيضِ؛ فإن زادَتْ عادتُها عن خمسٍ.. فالذي لأبي الحسن على «المدونة»: أنَّها تعتدُّ بسنةٍ بيضاءَ من أوَّل الأمر، وقيل: بثلاثة أشهرٍ كالآيسةِ والصغيرةِ، فليُحفظ هذا المقام.

قوله: (﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي﴾ مبتدأ، وجملة ﴿لَمْ يَحِضْنَ﴾ صلتُهُ، والخبرُ محذوفٌ، قدَّره المفسِّر جملة، والأولى تقديرُهُ مفرداً؛ بأن يقول: مِثلُهنَّ، أو: كذلك[3].

---

(١) يكنُون بذلك عن عدم ولادتها؛ لأنَّ الغالب على مَنْ لا تحيض عدمُ الولادة، فلَها شبه بالبَغلة من حيث عدم الولادة غالباً. انظر «حاشية المصنف على الشرح الصغير» (٢/ ٦٧٣).

(٢) أي: لا دم فيها بعد الرضاع.

(٣) ولو قيل بأنه معطوف على ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ﴾ عطف المفردات، وأخبر عن الجميع بقوله: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ﴾.. لكان وجهاً حسناً، وأكثرُ ما فيه توسُّط الخبر بين المبتدأ وما عُطف عليه. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٥٥).

﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْۚ ....﴾

والمَسألَتانِ في غيرِ المُتوَفَّى عنهُنَّ أزواجُهنَّ، أمَّا هُنَّ فعِدَّتُهنَّ ما في آيةِ ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾: انقِضاءُ عِدَّتِهنَّ مُطلَّقاتٍ أو مُتوَفًّى عنهُنَّ أزواجُهُنَّ ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ في الدُّنيا والآخِرة.

﴿٥﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورُ في العِدَّة ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: حُكمُه، ﴿أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (والمسألتانِ) أي: مسألةُ الآيسةِ، ومسألةُ الصغيرةِ.

قوله: (في غير المتوفَّى) أي: فما هنا مخصوصٌ بآية (البقرة).

قوله: (﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ﴾) مبتدأ، و﴿أَجَلُهُنَّ﴾: مبتدأ ثانٍ، و﴿أَن يَضَعْنَ﴾ خبرُ الثاني، والثاني وخبرُهُ خبرُ الأوَّل.

والأحمال: جمع (حَمْلٍ) بفتح الحاء؛ كـ: صَحْبٍ وأَصْحَابٍ: اسمٌ لما كان في البطن، أو على رأس الشجر، وبالكسر: اسمٌ لما كانَ على ظهرٍ أو رأسٍ.

قوله: (أو متوفًّى عنهُنَّ أزواجهنَّ) أشار بذلك إلى بَقاء عمومِ ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ﴾، فهو مخصِّصٌ لآية: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ أي: ما لم يكنَّ حوامل.

وحاصلُ الفقه في هذا المقام: أنَّ النساءَ قِسمان: مطلَّقاتٌ، ومُتوفًّى عنهنَّ، وفي كلٍّ إمَّا حرائرُ، أو إماء.

فعدَّة الحرَّةِ المدخولِ بها المطلَّقةِ ذاتِ الحيضِ: ثلاثةُ قروءٍ، والأمة المطلَّقة: قُرءان، واليائسة والصغيرة: ثلاثةُ أشهرٍ؛ فإن كُنَّ حواملَ. فوَضْعُ الحملِ حُرَّةً أو أَمةً.

وعدَّةُ المتوفَّى عنها إن كانت حرَّةً: أربعةُ أشهرٍ وعشرٌ مطلقاً، مدخولاً بها أو لا، والأَمَة: شهران وخمسُ ليالٍ، والحوامل: وضعُ الحملِ. وانظر تفاصيل ذلك في الفرُوع.

قوله: (المَذكور في العدة) أي: في تفاصيلها.

قوله: (﴿أَنزَلَهُۥٓ﴾) أي: بيَّنه ووضَّحه.

وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ....

وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾.

﴿٦﴾ ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ أي: المُطلَّقاتِ ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ أي: بَعضَ مَساكِنِكُم، ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ أي: سَعَتِكُم، - عَطفُ بَيان، أو بَدَل مِمَّا قَبلَه بِإعادةِ الجارِّ وتَقديرِ مُضاف - أي: أمكِنةَ سَعَتِكُم لا ما دُونَها، ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ المَساكِنَ فَيَحتَجْنَ إلى الخُرُوجِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾... **إلخ**) كرَّر التقوى؛ لِعلمه سبحانه وتعالى بأنَّ النِّساء ناقصات عقلٍ ودينٍ؛ فلا يصبرُ على أمُورهنَّ إلا أهلُ التقوى.

قوله: (﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾) وهذا وما بعده بيانٌ لِما تتوقَّف عليه التقوى[1].

قوله: (**أي: المطلَّقاتِ**) أخذ هذا التقييد من السياق، وإلَّا.. فكلُّ مفارَقَةٍ يجب لها السكن؛ سواءٌ فراقها بِطلاق أو موت، وإنَّما التفصيل في النَّفقة.

قوله: (**أي: بعض مَساكنكم**) أشار بذلك إلى أنَّ (مِن) للتبعيض، وهو أحد وجهين[2]، والثاني: أنَّها لابتداء الغاية، والمعنى: تسبَّبُوا إلى إسكانهنَّ من الوجه الذي تُسكنون أنفسكم فيه.

قوله: (﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾) بضمِّ الواو باتفاق القُراء وإن كان يجوز فيه التثليثُ لغةً؛ يقال: وَجَدَ في المال وُجداً؛ بضمِّ الواو وفتحها وكسرها، وجِدَةً أيضاً بالكسر؛ أي: استغنى.

قوله: (**بإعادة الجارِّ**) ظاهره: أنَّه راجعٌ للبيان والبدل، وليس مناسباً؛ لأنَّ عطف البيان لم يُعْهَد فيه تكرارُ العامل، فالأولى رجوعُهُ للبدليَّة.

قوله: (**لا ما دونها**) أي: لا المساكنِ التي دونَ أمكنةِ سَعَتِكم[3].

قوله: (﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾) أي: بأن تفعلُوا معهنَّ فعلاً يُوجِبُ خروجَهُنَّ من المساكن.

---

(١) كأنه قيل: كيف نَعمل بالتقوى في شأن المُعتدات؟ فقيل: أسكِنُوهن... إلخ.

(٢) قال الزمخشري في «كشافه» (٤/٥٥٨): (مبعضها محذوف، معناه: أسكنوهن مكاناً من حيث سَكنتم؛ أي: بعض مكان سُكناكم؛ كقوله تعالى: ﴿يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ أي: بعض أبصارهم، قال قتادة: إن لم يكن إلا بيت واحد.. أسكنَها في بعض جوانبه).

(٣) في (ط٢): (لنفاستها وارتفاع سعرها، وإنما تكليفه باللائق بها على قدر سَعته)، وقد شطب عليها في (أ).

﴿وَإِن كُنَّ أُولَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾ ....

أو النَّفقة فيفتَدِينَ مِنكُم، ﴿وَإِن كُنَّ أُولَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أولادَكُم مِنهُنَّ، ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاعِ، ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم﴾ وبَينَهُنَّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: بِجَمِيلٍ في حَقِّ الأولادِ بِالتَّوافُقِ على أجرٍ مَعلُوم على الإرضاعِ، ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾: تَضايَقتُم في الإرضاعِ فامتَنَعَ الأبُ مِن الأُجرةِ والأُمُّ مِن فِعلِه، ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ﴾: لِلأبِ ﴿أُخْرَىٰ﴾ ولا تُكرَهُ الأُمُّ على إرضاعِه.

حاشية الصاوي

قوله: (فيفتدين) أي: المطلَّقاتُ حيثُ كُنَّ رجعيَّاتٍ، فيُلْجِئُهنَّ الأمر إلى كونها تفتدي منه لِبَيْنَها وتخلصَ منه.

قوله: (﴿وَإِن كُنَّ أُولَٰتِ حَمْلٍ﴾) أي: وإن كان المطلَّقاتُ الرَّجعيَّاتُ أو البائناتُ، وأمَّا الحواملُ المتوفَّى عنهنَّ.. فلا نفقة لهنَّ؛ لاستغنائهنَّ بالميراث.

قوله: (﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾) هذا الحكمُ مفروضٌ في المطلَّقات كما هو مُقتضاه، وأمَّا الزوجة.. فعند مالكٍ: يلزمها الإرضاع بنفسها إن كان بها لِبَانٌ[1]، وكان شأنها ذلك، وأمَّا مثل بنات الملوك.. فلا يَلزمهنَّ الإرضاع، وعند الشافعيِّ: لا يلزمُ الزوجةَ الإرضاعُ مطلقاً.

قوله: (﴿وَأْتَمِرُوا﴾) أي: ليأمرْ بعضُكم بعضاً بالمعروف.

قوله: (على أجرٍ معلومٍ) أي: أجرةٍ معلومةٍ على قدر وُسْعِهِ وحالِهَا.

قوله: (﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ﴾) فيه مُعاتبة الأمِّ على تركِ الإرضاع، والمعنى: فإن امتنع الأب من دفعِ الأجرةِ للأمِّ، وتركت الأمُّ الولدَ من غير إرضاعٍ بنفسها.. فليَطلب له الأب مرضعةً أخرى، ويجبرُ على ذلك؛ لِئلا يضيع الولد؛ فقوله: ﴿فَسَتُرْضِعُ...﴾ إلخ: خبرٌ بمعنى الأمر، والضمير في ﴿لَهُ﴾: للأب؛ بدليل: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾، والمفعول محذوفٌ؛ لِلعلم به؛ أي: فسترضعُ الولدَ لوالدِهِ امرأةٌ أخرى.

---

(١) قال القاضي عياض: (ذكر أهل اللغة: أنَّه لا يقال في الخارج من بنات آدم: لَبَنٌ، وإنما يقال: لِبَانٌ، واللَّبَنُ يقال للخارج من سائر الحيوانات غيرهنَّ، ولكن جاء في الحديث كثيراً خلاف قولهم؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام: «لبن الفحل مُحرم»). انتهى، قال ابن عبد السلام: (ولا يَبعد حمل ما في الحديث على المجاز أو التشبيه). انظر «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» (٢/٥٠٢).

لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ....

﴿٧﴾ ﴿لِيُنفِقْ﴾ على المُطلَّقات والمُرضِعاتِ ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ﴾: ضُيِّقَ ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ﴾: أعطاهُ ﴿ٱللَّهُ﴾ على قَدرِه، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾، وقَد جَعَلَهُ بِالفُتُوح.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِيُنفِقْ﴾ على المطلقات) أي: اللَّاتي لم يُرضعن، وقوله: (والمُرضعات) أي: المطلقات، وهذا التقييد أخَذه من السياق، وإلَّا.. فالزوجة كذلك.

واعلم: أنَّ المطلَّقة طلاقاً رجعيًّا لها النفقة بإجماع المذاهب، وأمَّا بائناً.. فلا نفقة لها عند مالكٍ والشافعيِّ، وعند أبي حنيفة: لها النَّفقة، وكلُّ هذا ما لم تكن حاملاً، وإلَّا.. فلها النفقة بإجماع، ولِلمُرضع أجرة الرضاع بإجماع أيضاً؛ كما يُقْضَى بالسكنى للجميع بإجماع.

قوله: (﴿مِّن سَعَتِهِۦ﴾) الكلام على حذف مضاف، و(مِن) بمعنى (على) أي: على قدر سعته، والمعنى: أنَّهُ يجب على الأزواج النَّفقةُ على المطلَّقات والمرضعات والأزواج بقدر طاقتِهِ، فيَلزمُ الزوجَ الموسرَ مُدَّان، والمتوسطَ مدٌّ ونصفٌ، والمعسرَ مدٌّ، هذا مذهب الشافعيِّ، ومذهب مالك: يُفْرَضُ لها قوتٌ وإدامٌ وكسوةٌ ومسكنٌ بقدر وسعِهِ وحالِهَا.

قوله: (أي: على قَدره) أي: فلا يُكلَّف فوق طاقتِهِ.

قوله: (﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾) في هذا بشارةٌ للفقراء؛ أي: فلا تَقنطوا، بل عن قريبٍ يحوِّلُ الله حالكم إلى الغنى، وفي الحديث: «لن يغلب عسرٌ يُسرَين»[1].

قوله: (وقد جعَله بالفُتوح) أي: فقد صَدق الله وعده؛ حيثُ فتح عليهم جزيرةَ العرب وفارس والروم حتَّى صارُوا أغنى الناس. ولا خصوصيَّةَ للصحابة بذلك، بل العبرة بالعُموم[2].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/٥٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥٤١) عن الحسن البصري مرسلاً.

(٢) عبارة الخطيب في «السراج المنير» (٤/٣١٩): (وصدق الآية دائمٌ، غيرَ أنَّه في الصحابة رضي الله تعالى عنهم ونفَعنا بهم آمين أتمُّ؛ لأنَّ إيمانهم أقوى. قال القشيري: «وانتظار اليسر من الله صفة المتوسِّطين في الأحوال الذين انحطُّوا عن درجة الرضا، وارتقَوا عن حد اليأس والقُنوط، ويعيشون في إفناء الرجال، ويتعللون بحُسن المواعيد»).

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ .....

(﴿٨﴾ - ﴿٩﴾) ﴿وَكَأَيِّن﴾ - هي كافُ الجَرِّ دَخلَت على (أيٍّ)، بِمَعنى: (كَم) - ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي: وكَثِيرٌ مِن القُرى ﴿عَتَتْ﴾: عَصَت يَعني أهلَها ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا﴾ في الآخِرة وإن لَم تَجِئ لِتَحقُّقِ وُقُوعِها ﴿حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ - بِسُكُونِ الكافِ وضَمِّها -: فظِيعاً وهو عَذابُ النَّار، ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾: عُقُوبَتَه، ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾: خَساراً وهَلاكاً.

﴿١٠﴾ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ - تَكريرُ الوَعِيد تَوكِيدٌ - ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أصحابَ العُقُول ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَكَأَيِّن﴾) مبتدأ، و﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾: تمييز لها، وقوله: ﴿عَتَتْ﴾: خبرٌ.

قوله: (**بمعنى «كم»**) أي: فصار المجموع بمعنى (كم).

قوله: (﴿عَتَتْ﴾) ضمَّنه معنى (أعرَضت) أو (خرجت) فعدَّاه بـ(عن).

قوله: (**يعني: أهلها**) أي: فأطلق لفظ القرية، وأُريد أهلها مجازاً، من باب: تسمية الحالِّ باسم المحلِّ.

قوله: (**لِتَحقق وقوعه**) جوابٌ عمَّا يُقال: إنَّ الحساب وما بعده إنَّما يحصل في الآخرة؛ فما وجه التعبير بالماضي؟ فأجاب: بأنَّه عبَّر بالماضي؛ لتحقُّق وُقوعه[1].

قوله: (﴿حِسَابًا شَدِيدًا﴾) أي: بالمناقشة والاستقصاء.

قوله: (**فظيعاً**) أي: شنيعاً قبيحاً.

قوله: (**كرَّر الوعيدَ**) أي: المذكورَ في الجُمَل الأربع، وهي قوله: ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا﴾، ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا﴾، ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾، ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾.

---

(١) وقيل: العذاب في الدنيا فيكون على حقيقته؛ أي: جازَيناها بالعذاب في الدنيا، وعذَّبناها عذاباً نكراً في الآخرة، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير؛ أي: فعذبناها عذاباً نكراً في الدنيا بالجوع والقَحط، والسيف، والخسف والمسخ، وسائر المصائب، وحاسَبناها حساباً شديداً في الآخرة. «فتوحات» (٤/ ٣٧٦).

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ ....

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ﴾ ـ نعت لِلمُنادَى أو بَيان له ـ ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ هو القُرآنُ.

﴿١١﴾ ﴿رَّسُولًا﴾ أي: مُحمَّداً ﷺ ـ مَنصوبٌ بِفِعل مُقدَّرٍ ـ أي: وأرسَلَ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ ـ بِفَتحِ الياء وكَسرِها كما تَقدَّم ـ ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بعدَ مَجيءِ الذِّكر والرَّسُولِ ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكُفرِ الذِي كانُوا علَيهِ ﴿إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾: الإيمانِ الذِي قام

حاشية الصاوي

قوله: (أو بَيان له) أي: عطف بيان.

قوله: (مَنصوب بفعل مقدَّر) هذا أحسنُ احتمالاتٍ تسعٍ ذكرها المفسِّرون[1]، وقوله: (أي: محمداً) هو أحدُ أقوال ثلاثة في تفسير الرسول، وهو أحسَنُها، وقيل: هو جبريل، وقيل: هو القرآن نفسُهُ.

قوله: (﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾) نعت لـ﴿رَّسُولًا﴾.

قوله: (﴿مُبَيِّنَٰتٍ﴾) حال من ﴿ءَايَٰتِ﴾.

قوله: (كما تقدَّم) أي: في قوله: ﴿بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ من أنَّ المفتوح من المتعدي، والمكسور من اللازم؛ أي: بيَّنها الله، أو هي بيِّنةٌ في نفسها.

قوله: (﴿لِّيُخْرِجَ﴾) متعلق بـ﴿يَتْلُوا۟﴾، فالضَّمير راجعٌ لمحمد ﷺ؛ أو متعلِّق بـ﴿أَنزَلَ﴾، فالضمير عائدٌ على الله تعالى، وكلٌّ صحيحٌ.

---

(١) أحدها: أنه منصوب بالمصدر المنون قبله؛ لأنه ينحلُّ لحرف مصدري وفعل، كأنه قيل: أن ذكر رسولاً، والمصدر المنون عامل. الثاني: أنه جعل نفس الذكر مبالغة فأبدل منه. الثالث: أنه بدل منه على حذف مضاف من الأول تقديره: أنزل ذا ذكر رسولاً. الرابع: كذلك، إلا أن (رسولاً) نعت لذلك المحذوف. الخامس: أنه بدلٌ منه على حذف مضاف من الثاني؛ أي: ذكراً ذكر رسول. السادس: أن يكون (رسولاً) نعتاً لـ(ذكراً) على حذف مضاف؛ أي: ذكراً ذا رسول، فـ(ذا رسول) نعت لـ(ذكراً). السابع: أن يكون (رسولاً) بمعنى: رسالة، فيكون (رسولاً) بدلاً صريحاً من غير تأويل، أو بياناً عند مَن يرى جريانه في النكرات كالفارسي، إلا أنَّ هذا يُبعِده قوله: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾؛ لأنَّ الرسالة لا تتلو إلا بمجاز. الثامن: أن يكون (رسولاً) منصوباً بفعل مقدر؛ أي: أرسل رسولاً؛ لدلالة ما تقدَّم عليه ـ وهذا الذي ذكره المفسِّر، وحسَّنه المصنف ـ. التاسع: أن يكون منصوباً على الإغراء؛ أي: اتبعوا والزَموا رسولاً هذه صِفته. انظر «الدر المصون» (١٠/٣٥٩).

وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ....

بِهِم بعدَ الكُفر، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ﴾ ـ وفي قِراءة بِالنُّون ـ ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ هو رِزقُ الجَنَّة التي لا يَنقَطِعُ نَعيمُها.

﴿١٢﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ يَعني سَبعَ أرَضِينَ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة بالنون) أي: وهي سبعيَّةٌ أيضاً[١].

قوله: (﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾) حالٌ مقدَّرةٌ؛ أي: مقدِّرين الخلود[٢].

قوله: (﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾) أي: عظيماً عجيباً، والجملة حال ثانية، أو حال من الضمير في ﴿خَٰلِدِينَ﴾ فتكون مُتداخلةً.

قوله: (﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾) عامَّة القرَّاء على نصب ﴿مِثْلَهُنَّ﴾، ووجِّه أنَّه معطوفٌ على ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾، أو مفعولٌ لمحذوفٍ، تقديره: وخلق مِثلهنَّ من الأرض، وقرئ شذوذاً بالرفع على الابتداء، والجارُّ والمجرور خبرُهُ مقدَّم عليه[٣].

قوله: (يعني: سبع أرضِين) اعلَم: أنَّ العلماء أجمعُوا على أنَّ السماوات سبعَ طباق، بعضُها فوق بعضٍ، وأمَّا الأرضون.. فالجمهور على أنَّها سبع كالسماوات، بعضُها فوق بعضٍ، وفي كلِّ أرضٍ سكان مِنْ خلقِ الله، وعليه: فدعوة الإسلام مختصَّةٌ بأهل الأرض العليا؛ لأنَّه الثابت والمنقول، ولم يَثبت أنه ﷺ ولا أحدٌ ممَّن قبله نزل إلى الأرض الثانية، ولا غيرها من باقي الأرضين، وبلَّغهم الدعوة.

وهل جعل الله لما تحت الأرض العليا ضوءاً غير الشمس والقمر، أو يستمدون الضوء منهما؟ قولان للعلماء.

وقيل: إنَّها طِباق ملزوقة بعضُها ببعض، وقيل: ليست طباقاً، بل منبسطة تفرِّق بينها البحار، وتظلُّ الجميعَ السماءُ، والأوَّل هو الأصحُّ.

---

(١) قرأ نافع وابن عامر (ندخله) بالنون، والباقون بالياء التحتية. انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٢٠).

(٢) وفيه مراعاة معنى (مَنْ) بعد مراعاة لفظها، وقوله: ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ فيه رُجوع لمراعاة لفظها؛ ففي هذه العبارة مُراعاة اللفظ أولاً، ثم المعنى ثانياً، ثم اللفظ ثالثاً. «فتوحات» (٤/ ٣٧٦).

(٣) وبالرفع قرأ عاصم في رواية. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٦١).

﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾

﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ﴾: الوَحيُ ﴿بَيْنَهُنَّ﴾: بينَ السَّماواتِ والأرضِ، يَنزِلُ به جِبريلُ مِن السَّماءِ السَّابعةِ إلى الأرضِ السَّابِعة؛ ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟﴾ ـ مُتعلِّق بِمَحذُوفٍ ـ أي: أعلَمَكُم بِذلك الخَلقِ والتَّنزِيل ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (يَنزل به جبريل) أي: بالوحي، بمعنى: التصريف، والمعنى: أنَّ أمر الله وقضاءه يجري ويَنزل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة، فهو سبحانه وتعالى متصرِّفٌ في كلِّ ذرَّةٍ منها.

وأمَّا إن أريد بالوحي وحيُ التكليف بالأحكام.. فالمراد بقوله: ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ أي: بين السماوات السبع والأرضين السبع، فيكون فوق الأرض وتحت السماوات.

قوله: (مُتعلق بمحذوف على أنَّه عِلة له) والمعنى: حكمة إعلامه لكم بهذا الخلق صيرورتُكم علماءَ بأنَّ الله على كل شيء قدير... إلخ.

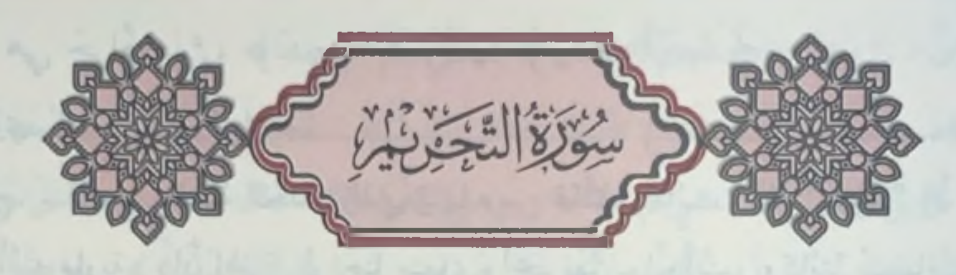
قوله: (﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾) أي: من غير هذا العالم؛ بحيث يمكن أن يخلق خلقاً آخر أبدَع من هذا العالم، وهذا كلُّه بالنَّظر للإمكان العقلي، فلا يخالف ما نقل عن الغزالي من قوله: (ليس في الإمكان أبدع مما كان)[1]؛ لأنَّ معناه: تعلَّق علمُ الله في الأزل بأنَّه لا يَخلق عالماً غير هذا العالم، فمن حيثُ تعلُّقُ العلم بعدمه صارَ غيرَ ممكنٍ؛ لأنَّه لو وقع.. لانقلب العلم جهلاً، فهي استحالة عَرضية، وهناك أجوبةٌ أُخَرُ ذكرناها في كتابة «الجوهرة»[2].

✿ ✿ ✿

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٢٥٨)، وانظر «الإملاء على مُشكل الإحياء» (ص٣٤٣).

(٢) «شرح جوهرة التوحيد» لِلمصنف (ص١٩٩).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ....



مَدنيَّة، ثِنتا عشرةَ آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ مِن أَمَتِك مارِيةَ القِبطِيَّة لَمَّا واقَعها في بَيتِ حَفصةَ وكانَت غائِبةً، فجاءَت وشَقَّ علَيها كونُ ذلك في بَيتِها وعلى فِراشِها، ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

وتُسمَّى سورة النبي ﷺ.

قوله: (مدنيَّة) أي: كما هو قول الجميع.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ . . . إلخ) هذا الخطاب مشعرٌ بأنَّه ﷺ على غاية من التفخيم والتعظيم؛ حيث عاتبَهُ على إتعابِ نفسِهِ والتَّضييقِ عليها من أجلِ مرضاةِ أزواجه، كأنَّ الله تعالى يقول له: لا تُتْعِبْ نفسَك في مرضاة أزواجك، بل أَرِحْ نفسَكَ ولا تُتْعِبْهَا وأزواجك يَسْعَيْنَ في مَرضاتك، فإن سَعَيْنَ في مرضاتك. . سَعِدْنَ، وإلَّا . . فلا.

قوله: (مِن أمتك مارية القبطيَّة. . . إلخ) هذا قول أكثر المفسِّرين، ومُحصَّله: أنَّ النبي ﷺ كان يَقسم بين نسائه، فلمَّا كان يومُ حفصةَ. . استأذنت رسول الله في زيارة أبويها، فأذن لها، فلمَّا خرجت. . أرسل إلى جاريته مارية القبطية التي أهداها له المُقوقس ملك مصر، فأدخلها بيت حفصة، فوقع عليها، فلمَّا رجعت حفصة. . وجدت الباب مغلقاً، فجَلست عند الباب، فخرج النبيُّ ووجهه يقطر عرقاً، وحفصةُ تبكي، فقال لها: «ما يُبكيك؟» فقالت: إنما أذنت لي من أجل ذلك؛ أدخلت أمتك بيتي ثمَّ وقعت عليها في يومي على فراشي، أما رأيتَ لي حرمة وحقًّا؟ فقال: «أليست هي جاريتي قد أحلَّها الله لي؟ وهي حرام عليَّ ألتَمس بذلك رضاك، ولا تخبري بهذا امرأةً منهنَّ».

تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ ....

حيثُ قُلتَ: هي حَرامٌ علَيَّ، ﴿تَبۡتَغِي﴾ بِتَحريمِها ﴿مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾ ....

حاشية الصاوي

فلمَّا خرج. . قرَعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت: ألا أُبشِّرك؟ إنَّ رسول الله ﷺ قد حرَّم عليه أَمَتَه مارية، وإنَّ الله قد أراحنا منها، وأخبرتها بما رأت، وكانتا مُتصافِيَتين مُتظاهرتين على أزواج النبي ﷺ[1].

وقيل: إنَّ الذي حرَّمه على نفسه هو شرب العسل، وهو ما في «الصحيحين»؛ لِما روي عن عائشة أنَّ النبي ﷺ كان يحبُّ الحلواء والعسل، وكان إذا صلَّى العصر. . دار على نسائه، فيدنو من كلِّ واحدةٍ منهنَّ، فدَخل على حفصة بنت عمر، فاحتبس عندها أكثر ممَّا كان يحتبسُ، فسألتُ عن ذلك، فقيل لي: أهدَتْ إليها امرأةٌ من قومها عُكَّةَ عسلٍ، فسقَتْ رسول الله ﷺ منه شربةً، فقلت: والله؛ لنحْتَالَنَّ له، فذكرتُ لسودةَ وقلتُ لها: إذا دخلَ عليكِ ودنا منكِ. . فقولي له: يا رسولَ الله؛ أكَلْتَ مغافير ـ بغينٍ معجمةٍ، وفاءٍ بعدها ياء، وراء: جمع مُغْفُورٍ بالضمِّ كـ: عصفور؛ أي: صمغاً حلواً له رائحةٌ كريهةٌ، يَنضحه شجرٌ يقال له: العُرْفُط؛ بضمِّ العين المهملة والفاء، يكون بالحجاز، له رائحةٌ كرائحةِ الخمر ـ فإنَّه سيقول لك: لا، فقولي له: وما هذه الريح؟ وكان ﷺ يكره أن يوجد منه الريح الكريه، فإنه سيقول لك: سقَتْنِي حفصةُ شربةَ عسلٍ، فقولي له: أكلَتْ نَحْلُهُ العُرْفُطَ حتَّى صار فيه؛ أي: في العسل ذلك الريح الكريه، وإذا دخل عليَّ. . فسأقول له ذلك، وقُولي أنت يا صفية، فلمَّا دخل على سَودة. . قالت له مثل ما علَّمتها عائشة، وأجابها بما تقدَّم، فلمَّا دخل على صفيَّة. . قالت له مثل ذلك، فلمَّا دخل على عائشة. . قالت له مثل ذلك، فلمَّا كان اليوم الآخر ودخل على حفصة. . قالَت له: يا رسول الله؛ ألا أسقيك منه؟ قال: «لا حاجةَ لي به»، قالت: إنَّ سودة تقول: سبحان الله؛ لقد حرمناه منه، فقال لها: «اسكُتي». انتهى[2].

قوله: (حيثُ قلتَ) ظرفٌ لقوله: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ﴾، أو تعليلٌ له.

قوله: (﴿تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾) حال من فاعل ﴿تُحَرِّمُ﴾، والمعنى: لا ينبغي لك أن تشتغل بما يرضي الخلق، بل اللائق أنَّ أزواجك وسائرَ الخلق تسعى في مرضاتك.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨/ ٣٢٣)، وانظر «السراج المنير» (٤/ ٣٢٤).

(٢) «صحيح البخاري» (٥٢٦٨)، و«صحيح مسلم» (١٤٧٤)، وفيهما: (فقلتُ لها: اسكتي) بدل (فقال لها: اسكتي).

وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ . . . .

أي: رِضاهُنَّ، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ غفر لك هذا التَّحريم.

﴿٢﴾ ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ﴾: شَرَع ﴿لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: تَحليلَها بِالكفَّارةِ المَذكُورةِ في سُورة (المائِدة)، ومِن الأيمان تَحرِيمُ الأَمَة، وهل كفَّرَ ﷺ؟ قال مُقاتِل: أعتَقَ رَقبةً في تَحرِيم مارِيةَ، وقال الحَسَنُ: لَم يُكفِّر لِأنَّه ﷺ مَغفُور لَه، ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾: نَاصِرُكم ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: رضاهنَّ) مصدرٌ مضافٌ لفاعله، أو مفعوله.

قوله: (شرَع) أي: فالمراد بالفرض: الشرع، والمعنى: بيَّنَ وأظهر، وجعل لكم تحلَّةَ أيمانكم، والضمير عائدٌ عليه وعلى أُمَّتِه.

قوله: (﴿تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾) مصدر حلَّل كـ: كرَّم تكرِمةً، فأصله: تَحْلِلَةً، فأُدغم.

قوله: (تحليلَها بالكفارة. . . إلخ) أشار إلى أنَّ التحلَّة تحليلُ اليمين، فكأنَّه عقدٌ وتحلَّته الكفَّارة.

قوله: (ومن الأَيْمَانِ تحريمُ الأمةِ) أي: بقوله: (أنتِ حرامٌ عليَّ)، فتجب به كفَّارة يمينٍ عند الشافعيِّ، وعند مالكٍ: التحريم في غير الزوجة لا يَلْزَمُ به شيءٌ ما لم يَقصد به في الأمة عتقَها، وإلَّا. . فيلزمه عتقها.

وأمَّا التحريم في الزوجة. . فعند الشافعي: إن نوى به الطلاق. . وقع، وإلَّا. . فيَلزمه كفَّارة يمين، وعند مالك: يلزمه به الطلاقُ الثلاثُ إن كان مدخولاً بها، وواحدةٌ في غير المدخول بها وإن لم ينوِ به حلَّ العصمةِ.

قوله: (قال مُقاتل. . . إلخ) أي: وبه أخذ الشافعيُّ.

قوله: (وقال الحسن: لم يكفِّر. . . إلخ) أي: وبه أخذ مالك، والأصل: عدمُ الخصوصيَّة إلا لدليلٍ.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾) أي: مُتولِّي أمورِكم.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾ ....

﴿٣﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ هي حَفصةُ ﴿حَدِيثًا﴾ هو تَحريمُ مارِيةَ وقال لَها: لا تُفشِيه، ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ عائِشةَ ظَنًّا مِنها أن لا حَرَجَ في ذلك، ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ﴾: أطلَعَهُ ﴿عَلَيْهِ﴾: على المُنَبَّإِ به، ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ لِحَفصةَ ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ تَكرُّماً مِنهُ، ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ أي: اللهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿حَدِيثًا﴾) أي: ليس من الأحكام البلاغيَّة.

قوله: (هو تحريم ماريَّة) أي: وأسرَّ إليها أيضاً أنَّ أباها عمر وأبا عائشة أبا بكرٍ يكونان خليفتَين على الأمَّة بعده[1].

قوله: (﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ عائشةَ) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّه يتعدَّى إلى مفعولين: الأول بنفسه، والثاني بحرف الجرِّ، وقد يُحْذَفُ الجارُّ تخفيفاً، وقد يحذف المفعول الأوَّل؛ للدلالة عليه.

قوله: (ظنًّا منها) أي: فهو باجتهادٍ منها، فهي غيرُ آثمةٍ به.

قوله: (أطلَعه عليه) أي: على لسان جبريل، فأخبره بأنَّ الخبر قد أُفْشِيَ.

قوله: (على المنبَّأ به) أي: وهو تحريم مارية، والمناسب أن يقول: على أنَّها قد أنبأت به.

قوله: (﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾) أي: وهو تحريمُ ماريةَ، أو العسلِ.

قوله: (﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾) أي: وهو أنَّ أباها وأبا بكر يكونان خليفتَين بعده، وإنَّما أعرض عن ذلك البعضِ؛ خوفاً من أن ينتشر في الناس، فربما أثاره بعض المنافقين حسداً.

قوله: (تكرُّماً منه) أي: وحياءً وحُسنَ عشرةٍ.

قوله: (﴿قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾) أي: وقد ظنَّتْ أنَّ عائشةَ هي التي أخبرَتْهُ.

---

(١) روى الدارقطني في «سننه» (٤٣٠٢) عن سيدنا ابن عباس في قوله عز وجلَّ: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ قال: (اطَّلعت حفصة على النبي ﷺ مع أمِّ إبراهيم عليه السلام، فقال: «لا تخبري عائشة»، وقال لها: «إنَّ أباك وأباها سيَملكان ـ أو: سيَليان ـ بعدي فلا تُخبري عائشة»، فانطلَقت حفصة فأخبرت عائشة، فأظهرَه الله عليه، فعرَّف بعضَه وأعرض عن بعض، قال: أعرَض عن قوله: «إن أباك وأباها يكونان بعدي»، كَرِه رسول الله ﷺ أن يَنْشَرَ ذلك في الناس، فأعرَضَ عنه).

إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ....

﴿٤﴾ ﴿إِن تَتُوبَآ﴾ أي: حَفصةُ وعائِشة ﴿إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾: مالَت إلى تَحرِيم مارِيةَ، أي: سَرَّكُما ذلك مَع كَراهةِ النَّبيِّ ﷺ لَه، وذلك ذَنبٌ ـ وجَوابُ الشَّرط مَحذُوف أي: تُقْبَلَا ـ وأطلَقَ قُلُوب على قَلبَينِ ولَم يُعَبِّر بِه لِاستِثقالِ الجَمع بينَ تَثنِيَتَينِ فِيما هو كالكلمةِ الواحِدةِ، ﴿وَإِن تَظَّهَرَا﴾ ـ بِإدغامِ التَّاء الثَّانية في الأصلِ في الظَّاء، وفي قِراءة بِدُونِها ـ: تَتَعاوَنا ﴿عَلَيْهِ﴾ أي: النَّبيِّ فِيما يَكرَهُهُ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ﴾ ـ فصلٌ ـ ﴿مَوْلَىٰهُ﴾: ناصِرُه، ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أبُو بَكر وعُمَرُ رضي الله عنهما ـ مَعطُوف على مَحلِّ اسمِ (إنَّ)،

حاشية الصاوي

قوله: (أي: سرَّكُما ذلكَ مع كراهةِ النبيِّ له) أي: ومحبَّة الأمر الذي يكرهه النبيُّ ﷺ زيغٌ وميلٌ عن الحقِّ.

قوله: (وجواب الشرط محذوفٌ) أي: وقوله: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ تعليلٌ للشرط، والمعنى: إن تَتوبا إلى الله من أجلِ ميلِ قلوبِكُما.. تُقْبَلا.

قوله: (ولم يُعبِّر به) أي: فيقول: (قلباكما).

قوله: (فيما هو كالكلمة الواحدة) أي: لأنَّ بين المضاف والمضاف إليه علاقةٌ وارتباطٌ.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾) تعليلٌ لجواب الشرط المحذوف، تقديره: فلا يَعدم ناصراً؛ فإنَّ الله... إلخ.

قوله: (فصل) أي: ضمير فصل لا محلَّ له من الإعراب.

قوله: (﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾) اسمُ جنسٍ، لا جمعٌ؛ ولذلك يكتب من غير واوٍ بعد الحاء، ويجوز أن يكون جمعاً بالواو والنون، حذفت النون للإضافة، وكتب بدون واو اعتباراً بلفظه؛ لأنَّ الواو ساقطة؛ لالتقاء الساكنين نحو: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨].

قوله: (معطوف على محلِّ اسم «إنَّ») أي: قبل دخول الناسخ، وهذا على بعض مذاهب النحويين.

(١) قرأ الكوفيون بتخفيف الظاء، والباقون بتشديدها. انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٢٩).

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ ....

فيكُونُون ناصِرِيهِ ـ ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: بعدَ نَصرِ الله والمَذكُورِين ﴿ظَهِيرٌ﴾: ظُهَراءُ أعوانٌ لَه في نَصرِه علَيكُما.

﴿٥﴾ ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ﴾ ....

حاشية الصاوي

ويجوز أن يكون (جبريل) مبتدأ، وما بعده عطف عليه، و﴿ظَهِيرٌ﴾ خبرُ الجميع.

قوله: (﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾) أخبر بالمفرد عن الجمع؛ لأنَّ (فعيلاً) يستوي فيه الواحد وغيره.

إن قلتَ: إنَّ نُصرة الله هي الكفاية العظمى، وما الحكمة في ضمِّ ما بعدها إليها؟

قلت: تطييباً لقلوب المؤمنين، وتوقيراً لجانب الرسول.

قوله: (﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾) سبب نزولها: أنَّه ﷺ لمَّا أشاعت حفصة ما أسرَّها به.. اغتمَّ ﷺ، وحلَف ألَّا يدخل عليهنَّ شهراً مؤاخذةً عليهنَّ، ومكَث الشهر في بيت مارية، فلمَّا مضت تسعٌ وعشرون ليلةً.. بدأ بعائشة فدخل عليها، فقالت له: إنَّك أقسَمت على شهر، وإنك دخلت في تسع وعشرين ليلة، فقال لها: «**هذا الشهر تسع وعشرون ليلة**»[1].

ولما بلغ عمرَ أنَّ النبي ﷺ اعتزل نساءه، وشاع عند الناس أنه طلَّقهنَّ، فوجده في مشربة قال عمر: فدخَلت على حفصة وهي تبكي، فقلتُ: أطلَّقكنَّ رسول الله؟ قالت: لا أدري، ها هو ذا مُعتزل في هذه المشربة، فاستأذنت عليه، فأذن لي، فدخلتُ فسلَّمتُ عليه، فإذا هو متكئ على رمال حصير قد أثَّر في جنبه، فقلت: يا رسول الله؛ أطلقت نساءك؟ فرفع رأسه إليَّ وقال: «لا»، فقلتُ: الله أكبر، لو رأيتَنا يا رسول الله وكنَّا معشرَ قريشٍ نغلب النساء، فلمَّا قدمنا المدينة.. وجدنا قوماً تَغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلَّمْنَ من نسائهم، فما زال يُلاطفه بالكلام حتَّى تبسَّم، وقال له: يا رسول الله؛ لا يَشق عليك من أمر النساء، فإن كنت طلَّقتهنَّ.. فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك. قال عمر: وقلَّما تكلَّمتُ بكلامٍ إلَّا رجوتُ الله يُصدِّقُ قولي الذي أقوله، فنزلت هذه الآية، وآية ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ [التحريم: ٤].

فاستأذن عمرُ النبيَّ ﷺ أن يخبر الناس أنَّه لم يُطلِّق نساءه، فأذن له، فقام على باب المسجد ونادى بأعلى صوته: لم يطلِّق رسول الله نساءَه.

(١) رواه البخاري (٥١٩١)، ومُسلم (١٠٨٣).

﴿إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ﴾ ....

﴿إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ أي: طلَّقَ النَّبيُّ أزواجَهُ ﴿أَن يُبْدِلَهُۥٓ﴾ - بالتَّشدِيد والتَّخفِيف - ﴿أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ - خبَر ﴿عَسَىٰ﴾، والجُملة جَوابُ الشَّرط، ولَم يَقع التَّبدِيلُ لِعَدَمِ وُقُوعِ الشَّرط - ﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾:

حاشية الصاوي

قالت عائشة: ثمَّ بعد هذه القضية نزَلت آية التخيير، فبدأ بي، فاخترتُه، ثمَّ خيَّرهنَّ، فاخترْنَهُ، وآية التخيير هي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ إلى قوله: ﴿عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩][١].

قوله: (﴿إِن طَلَّقَكُنَّ﴾) أي: جميعاً، فلا يُنافي أنَّه وقع منه طلاق لحفصة طلقةً واحدةً، وأُمِرَ بمراجعتِهَا[٢]، فطلاقه لها كالعدم، فالتعليق إنَّما هو على تطليق الجميع مع عدم المراجعة والتبديلِ الكل؛ لكونه مُرتباً على تطليق الكلِّ.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[٣].

قوله: (﴿خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾) أي: بأن يَطردكنَّ ويأتي له بنساء أُخر خيراً منكنَّ؛ إذ قُدرة الله صالحةٌ لرفع أقوامٍ، ووضع آخَرين، فلا يقال: كيف تكون المبدلات خيراً منهنَّ مع أنَّه لم يكن على وجه الأرض نساءٌ خيراً منهنَّ؟ لأننا نقولُ: قدرة الله صالحة لذلك إن حصَل المعلَّق عليه، وهو لم يَحصل.

قوله: (خبر ﴿عَسَىٰ﴾) أي: جملة ﴿أَن يُبْدِلَهُۥٓ﴾[٤].

قوله: (والجملة جواب الشرط) أي: جملة ﴿عَسَىٰ﴾ واسمها وخبرها.

إن قلتَ: إنَّ هذه الجملة فعلُها جامدٌ، والجملة إذا كانت كذلك ووقعت جوابَ شرطٍ وجب اقترانها بالفاء.. فالمناسب أن تُجْعَلَ دليلَ جوابٍ محذوفٍ.

قوله: (ولم يَقع التبديل) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ الترجيَ في كلام الله للتحقيق، مع أنَّه لم يحصل

---

(١) رواه البخاري (٥١٩١)، ومسلم (١٤٧٩/ ٣٤) بنحوه، وانظر «تفسير الخازن» (٤/ ٣١٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٩) عن سيدنا أنس رضي الله عنه، وبنحوه عند الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٥).

(٣) قرأ نافع وأبو عمرو بفتح الباء وتشديد الدال، والباقون بسكون الموحدة وتخفيف الدال. انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٢٩).

(٤) قوله: (جملة «أن يبدله») فيه تَساهل؛ لأنَّ (أن) وما بعدها في تأويل مصدر مفرد هو خبر (عسى). انظر «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٣٠٤).

﴿مُؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ .....

مُقِرَّاتٍ بالإسلامِ، ﴿مُؤْمِنَٰتٍ﴾: مُخلِصاتٍ، ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾: مُطِيعات، ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾: صائماتٍ أو مُهاجِراتٍ، ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

هنا؟ فأجاب: بأنَّه معلَّق على شرط، وهو التطليق للكلِّ، ولم يُطلقهنَّ. وأجيب أيضاً: بأن (عسى) هنا للتخويف[1].

قوله: (﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾) أي: راجعاتٍ عن الزلَّاتِ والهفوات.

قوله: (﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾) أي: خاضعاتٍ متذلِّلاتٍ.

قوله: (صائمات) هذا قول ابن عباس، وسمِّي الصائمُ سائحاً؛ لأنَّ السَّائح لا زاد معه، فلا يزال ممسكاً إلى أن يجدَ ما يَطْعَمُهُ، فكذلك الصائم يُمسك إلى أن يجيء وقت إفطاره.

قوله: (أو مُهاجرات) هذا قول الحسَن[2].

قوله: (﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾) أي: بعضهنَّ كذا، وبعضهنَّ كذا، ودخلت الواو بين الوصفين؛ لِتغايرهما دون سائر الصفات.

والثيِّب: مِنْ: ثاب يَثوب؛ أي: رجع؛ سمِّيت بذلك؛ لأنَّها راجعة إلى زوجها إن أقام معها، أو إلى غيره إن فارَقها، أو لأنَّها رجعت إلى بيت أبوَيها.

والأبكار: جمع بِكْرٍ، وهي العذراء، سمِّيَتْ بكراً؛ لأنَّها على أوَّل حالتها التي خُلِقَتْ بها. فَمَدْحُ الثيِّباتِ من حيثُ إنَّها أكثرُ تجربةً وعقلاً، وأسرعُ حبلاً، والبكرِ من حيثُ إنَّها أطهرُ وأطيبُ، وأكثرُ مُداعبةً.

قوله: (﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾) أي: اجعلُوا لها وقايةً بفعل الطاعات، واجتناب المعاصي.

و﴿قُوٓا۟﴾: أمرٌ من الوقاية، فوزنه: (عُوا)؛ لأنَّ فاءه حذفت؛ لوقوعها في المضارع بين ياءٍ وكسرة، والأمر محمول عليه، وحذفت اللام حملاً له على المجزوم، فأصله: (اوقِيُوا)، فحذفت

(١) وقيل: كل (عسى) في القرآن واجب إلَّا هذه الآية. انظر «الدر المصون» (٢/ ٣٨٨).

(٢) روى القولَين ابنُ جرير الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٩٠).

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ

﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ بِالحَملِ على طاعةِ الله ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾ الكُفَّارُ ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ كأصنامِهِم مِنها، يَعني أنَّها مُفرِطةُ الحَرارةِ تَتَّقِد بِما ذُكِرَ، لا كنارِ الدُّنيا تتَّقِد بالحَطَبِ ونَحوِه، ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ خَزَنَتُها عِدَّتُهم تِسعةَ عَشَرَ كما سيَأتِي في (المُدَّثر)، ﴿غِلَاظٌ﴾ مِن غِلَظ القَلبِ، ﴿شِدَادٌ﴾ في البَطشِ، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ ـ بَدل مِن الجَلالة ـ أي: لا يَعصُونَ أمرَ الله، .....

حاشية الصاوي

الواو التي هي فاء الكلمة حملاً على المضارع، وحذفت همزة الوصل استغناءً عنها لزوال الساكن الذي جيء بها لأجله، واستثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان، حذفت الياء، وضُمَّ ما قبل الواو لتصحَّ.

قوله: (﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾) أي: مرُوهم بالخير، وانهوهم عن الشر، وعلِّموهم، وأدِّبوهم، والمراد بالأهل: النساء والأولاد وما ألحق بهما.

قله: (﴿وَقُودُهَا﴾) أي: ما تُوقَدُ به.

قوله: (كأصنامهم) مثالٌ للحجارة التي تُوقَدُ النَّار بها.

قوله: (منها) حال من الأصنام، والضمير للحجارة.

قوله: (﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ﴾) أي: يتولَّى أمرَها وتعذيبَ أهلِها.

قوله: (من: غِلَظِ القلب) أي: قسوتِهِ؛ فلا يرحمون أحداً؛ لأنَّهم خُلِقُوا من الغضب، وحبِّب إليهم عذابُ الخلق؛ كما حبِّب لبني آدم الطعامُ والشَّرابُ، وقيل: غلاظُ الأبدان؛ لما روي: «ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب»[1].

قوله: (﴿شِدَادٌ﴾ في البطش) أي: فقد روي: «أنَّ من جملة قوَّة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع، فتَدفع الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنَّم»[2].

قوله: (بَدل من لفظ الجلالة) أي: بدل اشتمال، كأنَّه قال: (لا يَعصون أمره)، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ (ما) مصدريَّةٌ.

---

(١) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٤٢٥): (وروى ابنُ وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلَم معضلاً في خزَنة جهنم: «ما بين منكبَي أحدهم كما بين المشرق والمغرب»)، وانظر «تفسير القرطبي» (١٨/ ١٩٦).

(٢) كذا أورَده القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ١٩٦) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ....﴾

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ـ تأكِيد ـ والآيةُ تَخوِيف لِلمُؤمِنِين عن الارتِداد، ولِلمُنافِقِين المُؤمِنِين بِألسِنَتِهِم دُون قُلُوبِهِم.

٧ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ﴾ يُقالُ لَهُم ذلك عِندَ دُخُولِهِم النَّار، أي: لِأنَّه لا ينفَعُكُم، ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جَزاءَهُ.

٨ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ ـ بِفَتح النُّون وضَمِّها ـ: صادِقَةً ...

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾) أي: به.

قوله: (تأكيدٌ) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ الجملةَ الأولى هي عين الجملة الثانية؛ فلِمَ كرَّرها؟ فأجاب: بأنَّه كرَّرها للتأكيد.

وأجيب أيضاً: بأنَّ مفاد الجملة الأولى: أنَّهم لا يقع منهم عصيانٌ لأمر الله ولا مخالفةٌ، ومفاد الجملة الثانية: أنَّ قضاء الله نافذٌ على أيديهم، لا يَعوقهم عنه عائقٌ، بخلاف أهل طاعة الله في الدنيا؛ قد يتخلَّف ما أُمِرُوا به؛ لعجزٍ أو نسيانٍ مثلاً، فتغايرا بهذا الاعتبار.

قوله: (والآية تخويفٌ للمؤمنين) أي: الخالصين، وهو جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ هذا خطاب للمشركين؛ فلأيِّ شيءٍ خوطب به المؤمنون؟ فأجاب: بأنَّه على سبيل التخويف للمؤمنين الخالصين، ولِلمنافقين الذين هم مؤمنون ظاهراً.

قوله: (يقال لهم ذلك) أي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ إلخ.

قوله: (أي: لأنَّه لا ينفعكم) أي: لأنَّه يوم الجزاء، لا يوم الاعتذار؛ إذ قد فات زمنُه.

قوله: (أي: جزاءه) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف في قوله: ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) أي: اتَّصفُوا بالإيمان.

قوله: (بفتح النُّون) أي: على أنَّه صيغة مبالغة كـ: الشَّكور، صفة لـ﴿تَوْبَةً﴾ أي: بلغت الغاية في الخُلوص، وقوله: (وضمِّها) أي: فهو مصدرٌ، يقال: نصح نُصْحاً ونُصُوحاً، كـ: شَكَرَ شُكْراً وشُكُوراً، وُصِفَتْ به التَّوبة مبالغةً، على حدِّ: (زيدٌ عدلٌ)، والقراءتان سبعيَّتان[1]، وقوله: (صادقةً) راجعٌ لكلٍّ من القراءتَين.

---

(١) قرأ شُعبة بضم النون، والباقون بفتحها. انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٣٢).

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ....

بِأن لا يُعادَ إلى الذَّنب ولا يُرادَ العَودُ إلَيهِ، ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ - تَرجِية تَقَع - ﴿أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ﴾: بَساتِينَ ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ﴾ بِإدخالِ النّار ﴿ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أمامَهُم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بأن لا يعاد إلى الذنب. . . إلخ) هذا أحدُ ثلاثةٍ وعشرين قولاً في تفسير التوبة النَّصوح[١]، كلُّها ترجع إلى التي استجمعت الشُّروط.

واعلم: أنَّ التوبة ممَّا لا يتعلَّق به حقٌّ لآدميٍّ لها شروطٌ ثلاثةٌ: أن يُقلع عن المعصية في الحال، وأن يندم على ما فعله، وأن يَعزم على ألَّا يعود.

وإن كانت متعلِّقةً بحقِّ آدميٍّ. . فيزاد على هذه الثلاثة: ردُّ المظالم إلى أهلها إن أمكن، وإلَّا. . فيكفي استِسماحهم.

وهي واجبةٌ من كلِّ ذنبٍ كان، كبيرةً أو صغيرةً بإجماع؛ لما ورد: «**يا أيها الناس؛ توبُوا إلى الله، فإني أتوب إليه في اليوم مئة مرة**»[٢]، وفي رواية: «**إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»[٣]، وورد: «**إنَّ الله يَبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل حتَّى تَطْلُعَ الشمس من مغربها**»[٤]، إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في التوبة.

قوله: (تَرْجِيَةٌ تقعُ) أشار بذلك إلى أنَّ هذا الترجِّيَ واجبُ الوقوعِ على القاعدة المتقدِّمة: إنَّ كلَّ ترجٍّ من الله في القرآن فهو واقعٌ؛ لكونه بمنزلة التحقيق. وتَرْجِيَةٌ كـ: تَزْكِيَة.

قوله: (﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾) إمَّا منصوب بـ(يدخلكم)، أو بـ: (اذكر) مقدَّراً.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) إمَّا معطوفٌ على (النبي)؛ فالوقف على قوله: ﴿مَعَهُۥ﴾، ويكون قوله: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ﴾ مستأنفاً أو حالاً؛ أو مبتدأٌ خبرُهُ جملة ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ﴾.

---

(١) انظرها في «تفسير الطبري» (٢٣/ ٤٩٤)، ومنها ما رُوي عن سيدنا معاذ مرفوعاً: «ألَّا يحتاج بعدها إلى توبة أخرى».

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٢) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواهُ البخاري (٦٣٠٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم (٢٧٥٩) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

﴿وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٩﴾ .....

﴿وَ﴾ يكُون ﴿بِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ﴾ ـ مُستأنَف ـ: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ إلى الجنَّة والمنافِقُون يَطفَأ نورُهم، ﴿وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ ربَّنا ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿٩﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسَّيفِ ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ باللِّسانِ والحُجَّةِ، ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتِهارِ والمَقتِ، ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ هيَ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَ﴾ يكون ﴿بِأَيْمَٰنِهِمْ﴾) قدَّره؛ دفعاً لما يتوهَّم من تسليط ﴿يَسْعَىٰ﴾ على الأيمان، أنه وإن كان في جهتها إلا أنَّه بعيدٌ عنها، فأفاد أنَّه كما يكون في جهة الأيمان يكون قريباً منها، وتقدَّم ذلك في (سورة الحديد)(١).

قوله: (والمُنافقون يطفأ نُورهم) عطف سبب؛ أي: إنَّ سبب قول المؤمنين ما ذُكِرَ: أنَّهم يرَون المنافقين يتَّقدُ لهم نورٌ في نظير إقرارهم بكلمة التوحيد، فإذا مشوا طفئ، فيمشون في ظلمة، فيقعون في النار، فإذا رأى المؤمنون هذه الحالة.. سألُوا الله دوامه حتَّى يُوصلهم إلى الجنة، والجنة لا ظلام فيها.

إن قلت: كيف يخافون مِنْ طفء نورِهم مع أنَّهم آمنون لا يَحزنهم الفزع الأكبر؟

أجيب: بأنَّ دعاءهم ليس من خوف ذلك، بل تلذذاً وطلباً لما هو حاصلٌ لهم من الرحمة.

قوله: (﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ باللسان والحُجة) إنَّما خصَّهم بذلك؛ لأنَّه ﷺ لم يُؤمر بقتالهم بالسيف؛ لأنَّهم مسلمون ظاهراً، والإسلام يقي من قتال السيف، وإنَّما أُمِرَ بفَضيحتهم وإخراجهم من مجلسه كما تقدَّم ذلك.

قوله: (﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾) أي: شَدِّدْ عليهم في الخطاب، ولا تُعاملهم باللِّين.

قوله: (بالانتهار) أي: الزجر، وقوله: (والمَقت) أي: البغض والطرد.

---

(١) انظر (٦/ ٥٥٣)، وفي «الفتوحات» (٤/ ٣٨٥): (لا حاجة لهذا التقدير، بل إبقاء النَّظم على ظاهره أولى، والمعنى: يسعى بين أيديهم، ويسعى عن أيمانهم، والمراد: جهاتهم كلها)، وقال الخطيب في «السراج المنير» (٤/ ٣٣٣): (التقييد بالأيمان لا ينفي أنَّ لهم نوراً عن شمائلهم، بل لهم نورٌ، لكن لا يَلتفتون إليه؛ لأنهم إما من السابقين، وإما من أهل اليمين، فهم يمشون في هاتين الجهتين، ويُؤتون صحائف أعمالهم منهما، وأما أصحاب الشمال.. فيُعطونها من وراء ظهورهم ومن شمائلهم).

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ....

(١٠) ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ في الدِّين إذ كَفَرَتا، وكانَت امرَأةُ نُوح واسمُها واهِلة تَقُول لِقَومِهِ: إنَّهُ مَجنُون، وامرَأة لُوط واسمُها واعِلة تَدُلُّ قَومَه على أضيافِه إذا نَزلُوا بِه لَيلاً بِإيقادِ النَّار ونَهاراً بِالتَّدخِين، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾) لما كان لبعض الكفار قرابةٌ بالمسلمين، فربَّما توهمُوا أنَّها تنفعهم، وكان لبعض المسلمين قرابةٌ بالكفار، وربما توهَّمُوا أنَّها تضرُّهم.. ضرب الله لكلٍّ مثلاً.

و﴿ضَرَبَ﴾ بمعنى: (جعل)، فـ﴿مَثَلًا﴾ مفعولٌ ثانٍ مقدَّمٌ، وقوله: ﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ...﴾ إلخ أي: حالهما، مفعولٌ أوَّل، أخِّر عنه؛ ليتصل به ما هو تفسيرٌ وشرحٌ لهما.

والمعنى: جعَل الله حال هاتين المرأتين مشابهاً لحال هؤلاء الكفرة؛ فالكفَّار اتصلُوا بالنبي والمؤمنين ولم ينفعهم الاتصال بدون الإيمان، والمرأتان كذلك.

قوله: (﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ﴾) تُرسم (امرأت) في هذه المواضع الثلاثة، و(ابنت) بالتاء المجرورة، وفي الوقف عليها خلافٌ بين القراء؛ فبعضهم يقف بالتاء، وبعضهم بالهاء[١].

قوله: (﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ﴾) أظهر في مقام الإضمار[٢]؛ لتشريفهما بهذه النسبة، والوصف بالصلاح.

قوله: (﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في الدين) أي: لا في الزنا؛ لما ورَدَ عن ابن عباس: (أنه ما زنت امرأةُ نبيٍّ قطُّ)[٣].

قوله: (إذ كفرَتا) تعليل لقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾.

قوله: (واهلة) بتقديم الهاء على اللام، وقيل: بالعكس، وقوله: (واعلة) بتقديم العين على اللام، وقيل بالعكس.

---

(١) وقف بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي، ووَقف الباقون بالتاء. انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٣٤).

(٢) أي: فلم يَقل: (تحتهما).

(٣) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢٧٧٠) من كلام الشعبي رحمه الله تعالى.

فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ....

﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾ أي: نُوحٌ ولُوط ﴿عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ﴾: مِن عَذابِه ﴿شَيْـًٔا وَقِيلَ﴾ لَهُما: ﴿ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ مِن كُفَّارِ قَوم نُوح وقَوم لُوط.

﴿١١﴾ ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ آمَنت بِمُوسى ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾) أي: لم يَدفع نوح ولوط مع كرامتهما عند الله عن زوجتهما لمَّا كفرتا من عذاب الله شيئاً؛ تنبيهاً بذلك على أنَّ العذاب يُدْفَعُ بالطاعة والامتثال، لا بمجرَّدِ الصحبة.

قوله: (﴿شَيْـًٔا﴾) أي: من الإغناء، فهو مفعولٌ مطلق، أو مفعولٌ به.

قوله: (﴿وَقِيلَ﴾ لهما) التعبير بالماضي؛ لتحقُّق الوقوع، والقائلُ خزنةُ النَّار.

قوله: (﴿ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾) أي: جعل حالها مثلاً لحال المؤمنين في أنَّ وصلة الكفرة لا تضرُّ مع الإيمان.

قوله: (آمنت بموسى) أي: لمَّا غلب السحرة، وتبيَّن لها أنَّه على الحقِّ، فأبدلها الله بسبب ذلك الإيمانِ أن جعلها في الآخرة زوجةَ خيرِ خلقِهِ محمَّد ﷺ، وكذا زوَّجه الله في الجنة مريمَ بنتَ عمران؛ لما وردَ: أنَّه ﷺ دخل على خديجة وهي في الموت فقال لها: «يا خديجة؛ إذا لقيتِ ضرَّاتِكِ.. فأقرئيهنَّ منِّي السلام»، فقالت: يا رسول الله؛ وهل تزوَّجت قبلي؟ قال: «لا، ولكن الله زوَّجني مريمَ بنتَ عمران، وآسيةَ بنتَ مزاحمٍ امرأةَ فرعون، وكلثومَ أخت موسى»، فقالت: يا رسول الله، بالزفاف والبَنين[1].

وفي الحديث: «كَمَلَ من الرجال كثيرٌ، ولم يَكْمُلْ من النِّساء إلا أربعٌ: **مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون**»[2].

---

(١) كذا أورده القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٠٤)، وفيه: (بالرفاء) بدل (بالزفاف)، وروى الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٠٠٦) عن سيدنا أبي أُمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعائشة: «أشعرتِ أنَّ الله عزَّ وجلَّ زوَّجني في الجنة مريم بنت عمران، وكلثم أختَ موسى، وامرأةَ فرعون؟».

(٢) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ٦٧): (رواه أبو نعيم في «الحِلية» في ترجمة عمرو بن مرَّة، فقال: =

﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١١﴾ ....

واسمُها آسِيَة، فعَذَّبها فِرعونُ بِأن أوتَدَ يَدَيها ورِجلَيها وألقى على صَدرِها رَحًى عَظِيمةً واستَقبَل بِها الشَّمسَ، فكانَت إذا تَفرَّق عنها مَن وُكِل بِها ظَلَّلَتها المَلائكةُ، ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ في حالِ التَّعذيبِ: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ فكُشِفَ لَها فرَأتهُ فسَهُل علَيها التَّعذِيبُ، ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾: وتَعذِيبِه، ﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أهلِ دِينِه، فقبَض الله رُوحَها، وقال ابنُ كَيسان: رُفِعَت إلى الجَنَّة حَيَّةً فهي تَأكُل وتَشرَبُ.

حاشية الصاوي

قوله: (واسمها آسية) بالمدِّ وكسر السين، قيل: إنَّها عمَّة موسى، فتكون إسرائيليةً، وقيل: ابنة عمِّ فرعون، فتكون من العَمالقة.

قوله: (بأن أوتد يدَيها... إلخ) أي: دقَّ لها أربعة أوتادٍ في الأرض، وشَبَحَها فيها، كلُّ عضوٍ بحبلٍ.

قوله: (وألقى على صَدرها رحى... إلخ) في القصة: أنَّ فرعون أمر بصخرة عظيمة؛ لِتُلقى عليها، فلمَّا أتوها بالصخرة.. قالت: ربِّ؛ ابن لي عندك بيتاً في الجنة، فأبصَرت البيت من مَرمرة بيضاء، وانتزعت روحها، فألقيت الصخرة على جسدٍ لا روح فيه، ولم تجد ألماً[1].

قوله: (واستقبل بها الشمس) أي: جعلها مواجهة للشمس، وهو معطوف على قوله: (أوتد يديها)، وليس متأخراً عن إلقاء الرحى؛ لأنَّ إلقاء الرحى كان في آخر الأمر لمَّا أيس من رُجوعها عن الإيمان، فالواو لا تقتضي ترتيباً.

قوله: (﴿ٱبْنِ لِي عِندَكَ﴾) أي: قريباً من رحمتك، فالعنديَّةُ عنديَّةُ مكانةٍ، لا مكانٍ.

قوله: (وتعذيبِه) عطف تفسير لـ(عملِهِ).

= حدثنا سليمان بن أحمد: ثنا يوسف القاضي: ثنا عمرو بن مرزوق: ثنا شعبة عن عمرو بن مرة: سمع مرَّة يُحدث عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «كمل مِن الرجال كثير، ولم يَكمل من النساء إلا أربع... إلى آخِره سواء»، ورواه البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١) وليس فيه ذكر السيدة خديجة، ولا ذكرُ السيدة فاطمة رضي الله عنهما.

(١) كذا في «السراج المنير» (٤/ ٣٣٥).

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

﴿١٢﴾ ﴿وَمَرْيَمَ﴾ - عطفٌ على ﴿امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ - ﴿ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: حَفِظَتهُ، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ أي: جِبريلَ، حيثُ نَفَخَ في جَيبِ دِرعها بِخَلقِ الله تَعالى فِعْلَهُ الواصِلِ إلى فَرجِها فحَمَلت بِعيسى، ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾: شَرائعِه ﴿وَكُتُبِهِ﴾ المُنزَّلةِ، ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾: مِن القَوم المُطيعِين.

حاشية الصاوي

قوله: (**عطف على** ﴿امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾) أي: فهي من جملة المثل الثاني، فمثَّل حالَ المؤمنين بامرأتين؛ كما مثَّل حالَ الكفَّار بامرأتين.

قوله: (**حفظته**) أي: من الرجال، فلم يَصل إليها أحدٌ بنكاح ولا زناً.

قوله: (**أي: جبريل**) تفسيرٌ لـ﴿رُّوحِنَا﴾.

قوله: (**حيث نفخ.. إلخ**) بيَّن به أنَّ الإسناد في (نفخنا) من حيث إنَّه الخالق والموجِدُ، والإسنادُ لجبريل من حيثُ المباشرةُ.

قوله: (**بخلق الله**) بيانٌ لحقيقة الإسناد.

قوله: (**فِعْلَهُ**) أي: فِعْلَ جبريل، وهو النَّفخ، وقوله: (**الواصلَ إلى فرجِهَا**) أي: بواسطة كونِهِ في جيب القميص.

قوله: (**فحملت بعيسى**) أي: عَقِب النفخ، فالنفخ والحمل والوضع في ساعة واحدة كما تقدَّم في (سورة مريم).

قوله: (﴿وَكُتُبِهِ﴾ **المنزلة**) أي: في زمانها كالتوراة والإنجيل وصُحف إبراهيم.

قوله: (﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾) أي: معدودةً منهم، وفيه إشعارٌ بأنَّ طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين.

قوله: (**أي: من القوم المُطيعين**) أي: وهم رهطها وعشيرتها؛ لأنَّها من أهل بيت صالحين، من أعقاب هارون أخي موسى عليهما الصلاة والسلام.

❀ ❀ ❀

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ....



سُورَةُ المُلكِ

مكيَّة، ثلاثُون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿تَبَٰرَكَ﴾: تنزَّه عن صِفاتِ المُحْدَثِين، ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ﴾: في تَصرُّفه ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ المُلكِ

وتسمَّى أيضاً الواقية، والمنجية، والمانعة؛ لأنَّها تقي صاحبَها وتُنجيه من عذاب القبر والقيامة، وتسمَّى أيضاً المجادِلةَ؛ لأنَّها تجادل عن صاحبها في القبر.

ووردَ في فضلها أحاديثُ كثيرةٌ، منها: قوله ﷺ: «**إنَّ سورةً من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آيةً، شفعَتْ لرجلٍ يوم القيامة، فأخرجَته من النار وأدخلته الجنة، وهي سورة تبارك**»[١].

ومنها: «إذا وضع الميِّت في قبره.. يؤتى مِنْ قِبَلِ رجليه، فتقول رجلاه: ليس لكم عليه سبيلٌ؛ لأنَّه كان يقوم بسورة الملكِ، ثمَّ يؤتى من قبل رأسه، فيقول لسانه: ليس لكم عليه سبيل؛ لأنه كان يَقرأ بي سورة الملك، ثم قال: هي المانعة من عذاب الله، وهي في التوراة سورة الملك؛ من قرأ بها في ليلةٍ.. فقد أكثر وأطنب»[٢] أي: من الخير.

ومنها: «وددْتُ أنَّ (تباركَ) الملكَ في قلبِ كلِّ مؤمنٍ»[٣].

قوله: (تنزَّه عن صفات المحدَثين) أي: تعاظم بجلاله وجماله عن أوصاف المخلوقات أزلاً وأبداً.

(١) رواه عبد بن حميد في «مسنده» (١٤٤٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وبنحوه عند الترمذي (٢٨٩١).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/٤٩٨) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١/٤٦٥) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ....

﴿ٱلْمُلْكُ﴾: السُّلطانُ والقُدرةُ، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿٢﴾ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ﴾ في الدُّنيا ﴿وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ في الآخِرة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (السُّلطان) أي: الاستيلاء والتمكُّن التامّ من سائر الموجودات، فيتصرَّف فيها كيف شاء.

والأوضح للمفسِّر: أن يفسِّر اليدَ بالقدرةِ، والملكَ بالمملوكاتِ، وإلَّا.. فإبقاءُ كلامِهِ على ظاهره فيه رِكَّةٌ لا تخفى؛ إذ يصير المعنى: تبارك الذي يتصرَّف التصرُّفَ، ولا معنى له.

قوله: (﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾) تذييلٌ لما قبله، قصد به إفادةَ أنَّ قدرتِهِ تعالى ليست قاصرةً على تغيير الأحوال، بل عامَّة التعلُّقِ، بها إيجادُ الأعيان[1]، وتغييرُها من حالٍ إلى حالٍ.

قوله: (﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ﴾... إلخ) شروعٌ في تفاصيل بعض آثار القُدرة.

واعلم: أنَّه اختُلِفَ في الموت والحياة؛ فحكي عن ابن عباس والكلبي ومقاتل: أنَّ الموت والحياة جسمان؛ فالموت في هيئة كبش أملح، لا يمرُّ بشيءٍ ولا يجد ريحَهُ إلَّا مات، وخلق الحياة على صورة فرسٍ أنثى بَلقاء، وهي التي كان جبريل عليه السلام والأنبياء يركبونها، خُطوتها مدُّ البصر، فوق الحمار، ودون البغل، لا تمرُّ بشيءٍ ولا يجد ريحَها إلَّا حيي، ولا تطأ على شيء إلَّا حيي، وهي التي أخذ السامريُّ مِنْ أثرها تراباً فألقاه على العجل، فحيي[2]. فعلى هذا: الحياة والموت أمران وجوديان، وتقابلهما من تقابُل الضدَّين[3].

وقيل: الموت عدم الحياة، فتقابُلُهما من تقابلِ العدم والملكة.

قوله: (في الدنيا) أي: وهو القاطع للحياة الدنيوية، وقوله: (والحياة في الآخرة) أي: وهي حياة البعث، ولكن هذا القول لا يناسب ترتُّبَ الابتلاء عليه في قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾؛ لأنَّ الابتلاء إنَّما يترتَّب على حياة الدنيا.

---

(١) في (ط٢): زيادة (المتصرف فيها) وقد شطب عليها في (أ).

(٢) أورده السيوطي في «رفع الصوت بذبح الموت». انظر «الحاوي للفتاوي» (٢/١١٦).

(٣) وهو ما ذهب إليه الإمام الأشعري رحمه الله تعالى، وعرَّفه بأنَّه كيفية؛ أي: صفةٌ وجوديَّةٌ تُضاد الحياة، وأما ورد في الأثر من أن الموت على صورة كبش أملَح، والحياة على صورة فرس بلقاء.. فإنَّما هو باعتبار التمثيل والتصوير، وإلَّا.. فالموت صفة الميت، كما أنَّ الحياة صفةُ الحي، والأولى التفويض في أمثال هذه المقامات. انظر «تحفة المريد» (ص٢٦١).

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝٢﴾ ....

أو هُما في الدُّنيا، فالنُّطفةُ تَعرِض لَها الحَياةُ وهي ما بِه الإحساسُ، والمَوتُ ضِدُّها أو عَدَمها؛ قَولانِ، والخَلقُ على الثَّاني بِمَعنَى التَّقدِير؛ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: لِيَختَبِرَكُم في الحَياة ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أطوَعُ للهِ، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتِقامِه مِمَّن عَصاهُ، ﴿الْغَفُورُ﴾ لِمَن تابَ إلَيه.

حاشية الصاوي

قوله: (أو: هُما في الدنيا) أي: فالمراد بالموت: عدمُ الحياة السابقُ على الوجود، والمراد بالحياة: الحياةُ الدنيويَّة.

قوله: (وهي: ما بِه الإحساس) تفسيرٌ للحياة على كلٍّ من القولَين، وقوله: (ما به الإحساس) أي: فتكون صفةً وجوديَّةً يلزمها الحس والحركة.

قوله: (أو عدمها) أي: عدم الحياة، أعمُّ من أن يكون سابقاً عليها أو متأخِّراً عنها.

قوله: (قولان) أي: في تعريف الموت.

قوله: (والخلق على الثاني) أي: على القول الثاني في تعريف الموت، وهو أنَّه عدم الحياة.

قوله: (بمعنى: التقدير) أي: وهو يتعلَّق بالموجودات والمعدومات؛ لأنَّه تعلُّقُ الإرادة والعلم الأزليَّات[1]، وأمَّا على الأول.. فيتعلَّق به الخلق حقيقةً؛ لأنَّه أمرٌ وجوديٌّ.

قوله: (﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾) أي: يُعامِلَكُم معاملةَ المُبْتَلِي والمختَبِرِ، فاندفع ما قد يتوهَّم من ظاهر الآية: أنَّ عِلمه تعالى يتجدَّد بتجدُّد المعلومات.

قوله: (﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾) ﴿أَيُّكُمْ﴾: مبتدأ، و﴿أَحْسَنُ﴾: خبره، و﴿عَمَلًا﴾: تمييز، والجملة في محلِّ نصب مفعولٍ ثانٍ لـ(يبلوكم)، وإنَّما علِّق (يبلو) عن المفعول الثاني؛ لما فيه من معنى العلم، فأُجري مُجراه.

قوله: (أطوعُ لله) هذا أحد تفاسير في قوله: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، وقيل: أحسنُ عقلاً، وأورَع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله، وقيل: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أخلَصه وأصوبه؛ فالخالصُ إذا كان لله، والصواب: إذا كان على السنَّة، وقيل غير ذلك.

---

(١) فمعنى (خلق الموت) على كونه عدميًّا: أنه أراده وعَلِمه في الأزَل. «فتوحات» (٤/ ٣٨٩).

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ ....

(﴿٣﴾ - ﴿٤﴾) ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ﴾: بَعضُها فوقَ بَعض مِن غَيرِ مُماسَّة، ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ لَهُنَّ أو لِغَيرِهِنَّ ﴿مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾: تَبايُنٍ وعَدَمِ تَناسُب، ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ﴾: أَعِدْهُ إلى السَّماء ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾) أي: فالأولى من مَوج مكفوف، والثانية من مرمرة بيضاء، والثالثة من حديد، والرابعة من نحاس أصفر، والخامسة من فضة، والسادسة من ذهب، والسابعة من ياقوتة حمراء، وبين السابعة والحجب صحارى من نور، وهذا على بعض الروايات.

قوله: (﴿طِبَاقٗاۖ﴾) إمَّا جمع (طَبقَةٍ)، أو (طَبَقٍ)، أو مصدر (طابق)؛ فالوصف به على الأول ظاهرٌ، وعلى الثاني مبالغة.

قوله: (بعضها فوق بعض) من غير مماسَّة، وكلُّها علويَّة لا غير، هذا مذهب أهل السنَّة، وقال أهل الهيئة: إنَّ الأرض كُرِيَّةٌ، والسماءُ الدنيا محيطةٌ بها إحاطةَ قشرِ البيضة من جميع الجوانب، والثانية محيطةٌ بالجميع، وهكذا؛ فالعرشُ محيطٌ بالكلّ، والأرض بالنسبة لسماء الدنيا كحَلْقَةٍ مُلقاةٍ في فلاة، وسماء الدنيا بالنسبة للثانية كحَلْقَةٍ ملقاةٍ في فلاة، وهكذا. واعتقادُ ما قاله أهل الهيئة لا يَضُرُّ.

قوله: (﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾) خطابٌ للنبيِّ عليه السلام، أو لكلِّ مَنْ يصلح للخطاب، وإضافة ﴿خَلۡقِ﴾ لـ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ من إضافة المصدر إلى فاعله، والمفعولُ محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (لهنَّ ولا لغيرهنَّ).

قوله: (﴿مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾) بألفٍ بين الفاء والواو، وبدونها مع تشديد الواو، قراءتان سبعيَّتان، ولغتان بمعنى واحد[1].

قوله: (وعدمِ تناسبٍ) أي: اختلافٍ يخالفُ ما تعلَّقت به القُدرة والإرادة، بل خَلْقُهُ تعالى مستقيمٌ متناسبٌ على حسَب تعلُّق قدرته وإرادته، بخلاف صنع العبدِ فقد يأتي على خلاف ما يُريده.

قوله: (﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ﴾) أي: إن أردتَ العيانَ بعدَ الإخبارِ فارجع... إلخ، فهو مترتِّبٌ على قوله: ﴿مَّا تَرَىٰ﴾.

---

(١) قرأ الأخوان: حمزة والكسائي: (تفوُّت) بتشديد الواو دون ألف، والباقون بتخفيفها بعد ألف، وهما لغتان بمعنى واحد كالتعهُّد والتعاهُد، والتظهُّر والتظاهُر. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٧٨).

هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا ....

﴿هَلْ تَرَىٰ﴾ فِيها ﴿مِن فُطُورٍ﴾: صُدُوعٍ وشُقُوقٍ؟ ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾: كَرَّةً بعدَ كَرَّةٍ ﴿يَنقَلِبْ﴾: يَرجِعْ ﴿إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾: ذَليلاً لِعَدَمِ إدراكِ خَلَلٍ، ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾: مُنقَطِعٌ عن رُؤيةِ خَلَلٍ.

﴿٥﴾ ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾: القُربَى إلى الأرضِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾) بإدغامِ لام ﴿هَلْ﴾ في التاء، وإظهارِها، قراءتان سبعيَّتان هنا وفي (الحاقة)[1].

قوله: (صُدوعٍ وشقوقٍ) أي: فلا يَطرأ على السماء ما دامت الدنيا صدوعٌ ولا شقوقٌ؛ لعدم تعلُّقِ إرادته بذلك، فليست كبُنيان الخلائق يتصدَّع ويتشقَّق بطول الزمان مع كون صانعِهِ لا يريد ذلك.

قوله: (كرَّة بعد كرَّة) أشار بذلك إلى أنَّه ليس المراد من قوله: ﴿كَرَّتَيْنِ﴾ حقيقةَ التَّثنيةِ، بل التكثير؛ بدليل قوله: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ..﴾ إلخ، وانقلاب البصر خاسئاً حسيراً لا يتأتَّى بنظرتين ولا ثلاث، فهو كقولهم: (لبَّيك وسعدَيك)[2].

قوله: (﴿يَنقَلِبْ﴾) العامَّة على جزمه في جواب الأمر، وقرئ برفعه؛ إمَّا على أنَّه حال مقدَّرة، أو مستأنف حذفت منه الفاء، والأصل: فينقلب[3].

قوله: (ذليلاً) أي: خاضعاً صاغراً متباعداً.

قوله: (منقطعٌ) أي: بلغ الغايةَ في الإعياءِ والتَّعب.

قوله: (﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾... إلخ) شروعٌ في ذكرِ أدلَّةٍ أخرى على توحيدِهِ سبحانه وتعالى، وتمامِ قدرتِهِ وإرادتِهِ.

قوله: (القُربى إلى الأرض) أي: التي هي أقرب إلى الأرض من باقي السماوات، فـ(قربى): صيغة تفضيل؛ كما تقول: (هند فُضلى النساء)، ولا يخالف ما تقدَّم من أنَّ الكواكب ثابتةٌ في العرش أو الكرسي؛ لأنَّ السَّماء شفَّافةٌ لا تحجب ما وراءها، فتزيينُ السماء الدنيا بالكواكب لا يقتضي أنَّها ثابتةٌ فيها، وهذا في غير الكواكب السبعة التي أشار لها بعضهم بقوله: [الكامل]

---

(١) أدغم أبو عمرو لام «هل» في التاء، وأظهرها الباقون. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٨٠).

(٢) بمعنى: إقامةً على إجابتك بعد إقامةٍ، وسعدَيك: بمعنى: إسعاداً لك بعد إسعاد، ولا تُستعمل إلا بعد (لبَّيك).

(٣) وبالرفع قرأ الكسائي في رِواية. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٨٠).

بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ ....

﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾: بِنُجُومٍ، ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا﴾: مَرَاجِمَ ﴿لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ إذا استَرَقُوا السَّمعَ، بِأن يَنفَصِلَ شِهاب عن الكَوكَب كالقبس يُؤخذ مِن النَّار، فيَقتُلُ الجِنيَّ أو يَخبِلهُ، لا أنَّ الكَوكبَ يَزُول عن مَكانِه، ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾: النَّار المُوقَدة.

حاشية الصاوي

زُحَلٌ شَرَى مِرِّيخَهُ مِنْ شَمْسِهِ ... فَتَزَاهَرَتْ لِعُطَارِدَ الأَقْمَارُ

فإنَّها مفرَّقة على السماوات السبع، في كلِّ سماءٍ كوكبٌ منها؛ فزحل في السابعة، والمشتري في السادسة، والمرِّيخ في الخامسة، والشمس في الرابعة، والزهرة في الثالثة، وعطارد في الثانية، والقمر في سماء الدنيا.

قوله: (بنجومٍ) أشار بذلك إلى أنَّه أطلق المصابيحَ وأراد النجومَ، فهو مجازٌ، وإلَّا . فحقيقةُ المصباحِ: السِّراجُ.

قوله: (﴿رُجُومًا﴾) جمع (رَجْمٍ)، مصدرٌ أُطلق على المرجوم به؛ ولذا قال المفسِّر: (مَرَاجِمَ) أي: أموراً يُرْجَمُ بها.

قوله: (إذا استرقُوا السَّمع) أي: أرادُوا استراقه.

قوله: (بأن يَنفصل شهابٌ... إلخ) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ الله تعالى جعل الكواكب زينةً للسماء، وذلك يقتضي ثبوتَها وبقاءَها فيها، وجَعْلُهَا رجوماً يقتضي زوالَها وانفصالَها عنها؛ فكيف الجمعُ بين الحالتين؟

فأجابَ: بأنَّه ليس المراد: أنَّهم يُرْمَوْنَ بأجرامِ الكواكب، بل بما يَنفصل منها من الشهب، وذلك كمثلِ القَبَسِ الذي يؤخذ من النار وهي على حالها.

قوله: (أو يَخْبِلُهُ) من الخَبْلِ بسكون الباء، وهو الفَساد في العقل، أو في البدن.

قوله: (لا أنَّ الكوكب يَزُول عن مكانه) أي: ففي الكلام حذفُ مضافٍ، والتقدير: وجعلنا شُهبها رجوماً... إلخ.

قوله: (﴿وَأَعْتَدْنَا﴾) أي: هيَّأنا وأحضرنا.

قوله: (﴿لَهُمْ﴾) أي: للشياطين.

قوله: (﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾) أي: في الآخرة بعدَ الإحراق بالشُّهب في الدنيا.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٦ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ ....

(٦) - (٧) ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ هي، ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾: صوتاً مُنكَراً كصوتِ الحِمار، ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾: تغلي.

(٨) ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ - وقُرئَ: (تتميَّز) على الأصل -: تتقطَّع ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ غضباً على الكافِر، ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾: جماعةٌ مِنهم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾) خبرٌ مقدَّم، و﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾: مبتدأ مؤخَّر، والمعنى: لمن كفر من الإنس والجن عذابُ جهنَّم... إلخ.

قوله: (﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا﴾) معمول لـ﴿سَمِعُوا﴾، والجملة مستأنفةٌ، وقوله: ﴿لَهَا﴾ متعلِّق بمحذوف حال من ﴿شَهِيقًا﴾ لأنَّه نعتُ نكرةٍ قدِّم عليها.

قوله: (صوتاً منكراً) أي: فتشهَقُ جهنَّمُ عند إلقاءِ الكفَّار فيها كشَهْقَةِ البغل للشعير، وهذا ما عليه ابن عباس، وقيل: الشهيقُ من الكفَّار عند إلقائهم فيها، وعليه: فالكلام على حذف مضاف؛ أي: سمعُوا لأهلها.

قوله: (وقرئ «تتميَّز») أي: شذوذاً[1].

قوله: (غضباً على الكفار) أي: من أجل غضب سيِّدها وخالِقها، فتأتي يوم القيامة تُقاد إلى المحشر بألف زمامٍ، لكلِّ زمامٍ سبعون ألف ملَكٍ يقودونها به[2]، وهي من شدَّة الغيظ تقوى على الملائكة، وتحمل على الناس، فتنقطع الأزمَّة جميعُها، وتَحْطِمُ على أهل المحشر؛ فلا يردُّها عنهم إلا النبيُّ ﷺ يُقابلُها بنوره، فترجع، مع أنَّ لكلِّ ملكٍ من القوَّة ما لو أُمِرَ أن يقلع الأرض وما عليها من الجبال ويَصعد بها في الجوِّ.. لفعل من غير كُلفةٍ[3].

---

(١) وبها قرأ طلحة بن مُصرف. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٨٢).

(٢) كما روى مسلم (٢٨٤٨) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعونَ ألف مَلَك يجرونها».

(٣) وهذا كما أطفأها في الدنيا بنَفخه ﷺ؛ كما روى أبو داود (١١٩٤) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: انكسَفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ، فذكر صلاته إلى أن قال: ثمَّ نفخ في آخِر سجوده، فقال: «أُف أُف؛ ألم تَعدني ألَّا تعذبهم =

سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟

﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ سُؤالَ تَوبيخ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾: رَسُولٌ يُنذِرُكُم عَذابَ الله تعالى؟

﴿٩﴾ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ يَحتَمِل أن يَكُونَ مِن كلامِ المَلائكة لِلكُفَّارِ حِينَ أُخبِرُوا بِالتَّكذيبِ، وأن يَكُونَ مِن كلامِ الكُفَّار لِلنُّذُرِ.

(﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾) ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ أي: سَماعَ تَفهُّم ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ أي: عقلَ تفكُّرٍ ﴿مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟﴾ حيثُ لا يَنفَعُ الاعتِراف ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿سَأَلَهُمْ﴾) أي: سأل الفوجَ، والجمعُ باعتبارِ معناهُ.

قوله: (﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾) مفعولُ ثانٍ لـ(سأل)، والمعنى: سألهم عن جواب هذا الاستفهام.

قوله: (﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾... إلخ) إنما جمعُوا بينَ حرفِ الجوابِ والجملةِ المستفادةِ منه؛ تأكيداً وتحسُّراً وندماً على تفريطِهم.

قوله: (﴿قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾) هذا من كلام الفوج، ومن المعلوم: أنَّ كلَّ فوجٍ له نذيرٌ يخصُّه.

قوله: (﴿فَكَذَّبْنَا﴾) أي: فتسبَّب عن مجيئه أنّنا كذَّبناه فيما جاء به من عند الله تعالى.

قوله: (﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾) أي: بعيدٍ عن الحقِّ.

قوله: (يحتمل أن يكون) أي: قوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ...﴾ إلخ.

قوله: (مِن كلام الملائكة) أي: وعليه فقوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ أي: في الدنيا.

قوله: (وأن يكون من كلام الكفار) أي: من تمام كلام الكفَّار للنُّذُرِ، وهذا الاحتمال استظهره جمهورُ المفسِّرين.

قوله: (﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾... إلخ) أي: زيادةً في توبيخ أنفسهم.

قوله: (﴿مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾) أي: في عِدادهم، وهم الشياطين.

= وأنا فيهم، وهم يَستغفرون؟»، وفي رواية النسائي في «السنن الكبرى» (١٨٨٠): أنه ﷺ قال: «لقد أدنيت مني النار حتى جعَلت أنفخها خشية أن تَغشاكم». وانظر «السراج المنير» (٤/ ٣٤١).

﴿بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝١٢ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣﴾ ....

﴿بِذَنۢبِهِمۡ﴾ وهو تَكذِيب النُّذُر ﴿فَسُحۡقٗا﴾ ـ بِسُكُونِ الحاء وضَمِّها ـ ﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾: فبُعداً لَهُم عن رَحمةِ الله.

﴿١٢﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم﴾: يَخافُونَه ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾: في غَيبَتِهم عن أعيُنِ النَّاس فيُطِيعُونَهُ سِرًّا فيَكُون عَلانِيةً أولَى، ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ أي: الجنَّة.

(﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾) ﴿وَأَسِرُّواْ﴾ أيُّها النَّاس ﴿قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ﴾ تَعالى ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بِما فِيها، فكيفَ بِما نَطَقتُم بِه؟ وسَبَب نُزُولِ ذلك أنَّ المُشرِكِين ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَسُحۡقٗا﴾) إمَّا مفعولٌ به؛ أي: ألزمهم الله سحقاً، أو مصدرٌ عاملُهُ محذوفٌ، تقديره: يَسحقهم الله سحقاً، فناب المصدر عن عامله. والسُّحْقُ: البعدُ، يقال: سَحُقَ الشيء بالضَّمِّ بوزنِ (بَعُدَ)، فهو سَحِيقٌ؛ أي: بعيدٌ، وأَسْحَقَهُ الله: أَبْعَدَهُ.

قوله: (بسكون الحاء وضمِّها) أي: فهما سبيَّتان[1].

قوله: (في غَيْبَتِهِم عن أعيُن النَّاس) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ حالٌ من الواو في ﴿يَخۡشَوۡنَ﴾، والباء بمعنى (في).

والمعنى: يخشى الله في حالِ غيبتِهِ عن الناس؛ بحيثُ يطيعُ ربَّه ولم يطَّلِعْ عليه أحدٌ، وإذا كان ذلك في حال سرِّه واختفائه عن الناس.. فعَلانيته أَوْلَى؛ لأنَّ العادة أنَّ الإنسان يستترُ في المعصية عن أعينِ النَّاس وإن لم يَخَف الله.

قوله: (﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾) أي: لذنوبهم.

قوله: (﴿وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾) أي: لا يعلمُ قَدْرَهُ غيرُهُ تعالى.

قوله: (بما فيها) أي: من الخواطر التي لا يتكلَّم بها.

قوله: (فكيف بما نطقتُم به؟!) هذا من تمام الاستدلال على تَساوي السرِّ والجهر بالنِّسبة إلى علمِهِ تعالى.

---

(١) قرأ الكسائي بضم الحاء، والباقون بسكونها. انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٤٢).

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا

قال بَعضُهم لِبَعضٍ: أسِرُّوا قَولَكُم لا يَسمَعكُم إلَهُ مُحمَّد. ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ما تُسِرُّون أي: أينتَفِي عِلمُه بِذلك ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ في عِلمِه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ فِيه؟ لا ﴿١٥﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾: سَهلةً لِلمَشيِ فِيها، ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾: جَوانِبِها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (قال بعضُهم لبعض) أي: وذلك أنَّهم كانُوا يتكلَّمون في شأن النَّبي بما لا يَليق، فأخبره جبريل بذلك، فأخبرهم النبيُّ به، فقال بعضهم لبعض: أسرُّوا قولكم... إلخ[1].

قوله: (لا يَسمعكم) مجزومٌ في جواب الأمر.

قوله: (﴿مَنْ خَلَقَ﴾) ﴿مَنْ﴾: فاعل ﴿يَعْلَمُ﴾، وقوله: (ما تُسرون) تنازعه كلٌّ من ﴿يَعْلَمُ﴾ و﴿خَلَقَ﴾، والمعنى: إذا كان خالقاً للسِّرِّ الذي هو من جُملة مخلوقاته.. لزم أن يكون عالماً به؛ فكيف يدَّعون أنه لا عِلمَ له به؟!

قوله: (أي: أينتفي علمه؟... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ همزة الاستفهام داخلةٌ على (لا) النافية.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾) الجملة حاليَّة، وقوله: (لا) أشار به إلى أن الاستفهام إنكاريٌّ، فهو نفيٌ للنَّفي، فالمقصودُ إثباتُ إحاطةِ علمِهِ بجميعِ الأشياءِ، ظاهرِها وخافيها.

قوله: (﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾... إلخ) هذا من جُملة أدلَّة توحيده، وباهر قدرته، وامتِنانه على عباده.

قوله: (﴿ذَلُولًا﴾) أي: مُذلَّلةً منقادَةً لما تريدون منها؛ من مشيٍ عليها، وزرعِ حبوب، وغرسِ أشجار، وغير ذلك.

قوله: (سهلةً للمَشي فيها) أي: بأن ثبَّتها بالجبال، وجعلها من طينٍ؛ إذ لو جعلها من حديد أو ذهب أو رَصاص.. لكانت تسخن جدًّا في الصيف، وتبرد جدًّا في الشتاء؛ فلا يُستطاع المشيُ عليها.

قوله: (﴿فَٱمْشُوا۟﴾) أمرُ إباحةٍ.

قوله: (جوانِبِها) هذا أحد تفاسير لِلمناكب، وقيل: المناكب: الجبال، وقيل: الأطراف، وقيل: الفِجاج.

---

(١) انظر «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٤٠).

﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ....﴾

﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ المَخلُوقِ لِأَجْلِكُم، ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ مِن القُبُور لِلجَزاء.

﴿١٦﴾ ﴿ءَأَمِنتُم﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزتَينِ، وتَسهِيل الثَّانِية، وإدخالِ أَلِف بينَها وبَين الأُخرَى وتَركِه، وإبدالِها أَلِفاً - ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ سُلطانُه وقُدرَتُه ....

حاشية الصاوي

فائدة:

حكى قتادة عن أبي الجلد: (أنَّ الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ، للسودان اثنا عشر ألفاً، وللروم ثمانية آلاف، وللفرس ثلاثة آلاف، وللعرب ألف) انتهى[1]. والظاهر: أنَّ المراد بها: الأرضُ المعمُورة ببني آدم غير يأجوج ومأجوج؛ لما تقدَّم لنا أنَّ كورة الأرض خمس مئة عامٍ.

قوله: (المخلوقِ لأجلكم) أي: لانتفاعكم به، فحكمةُ خلقِ الأرزاقِ: انتفاعُهُم بها.

قوله: (﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾) أي: الإخراجُ من القبور.

قوله: (للجزاء) أي: على أعمالكم.

قوله: (وإدخال ألف بينها) أي: بين الهمزة الثانية بقسمَيها، وهما التحقيق، والتسهيل؛ ففي كلامه التنبيهُ على خمس قراءات سبعيَّات: ثِنتان في التحقيق، ومثلها في التسهيل، والخامسة الإبدال[2].

قوله: (﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ سلطانُه) أشار بذلك لجوابٍ وردَ على ظاهر الآية، وحاصلُه: أنَّ الآية توهم أنَّ الله تعالى في مكانٍ وهو السماء، فأجاب ﷺ: بأنَّ الكلام على حذف المضاف للضمير المستكن في الظرف، والأصل: (مَنْ ثبَت واستقرَّ في السماء هو) أي: سلطانُهُ وقدرتُهُ؛ أي: محلُّ سُلطانه، وهو العالم العلويُّ، وخصَّه بالذكر وإن كان سُلطانه في العالم السفليِّ أيضاً؛ لأنَّه أعجَبُ وأغرب، فالتَّخويف به أشَدُّ.

---

(١) رواه عنه أبو طاهر السِّلفي في «الطيوريات» (١٢٠٤)، وأبو الجلد هو: جيلان بن فروة، ويقال: ابن أبي فروة الأَسَدي البصري.

(٢) قرأ قنبل في الوصل بإبدال الهمزة بعد راء (النشور) واواً، وسهَّل الهمزة الثانية نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بخلاف عنه، وحقَّقها الباقون، وأدخَل بينهما ألفاً قالون وأبو عمرو وهشام، والباقون بغير إدخال. انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٤٤).

أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا ....

﴿أَن يَخْسِفَ﴾ ـ بَدَل مِن ﴿مَّن﴾ ـ ﴿بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾: تَتحرَّك بِكُم وتَرتَفِعُ فوقَكُم؟

(﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾) ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ﴾ ـ بَدَل مِن ﴿مَّن﴾ ـ ﴿عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: رِيحاً تَرمِيكُم بِالحَصباءِ؟ ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عِندَ مُعايَنةِ العَذاب ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾: إنذارِي بِالعَذابِ أَنَّهُ حَقٌّ. ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِن الأُمَم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكارِي علَيهِم التَّكذِيبَ عِندَ إهلاكِهِم؟ أي: إِنَّهُ حقٌّ.

﴿١٩﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يَنظُرُوا ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَن يَخْسِفَ﴾) أي: بعد أن جعلها ذلولاً تمشون فيها، وتأكلُون من رزقه.

قوله: (بدل مِنْ ﴿مَّن﴾) أي: بدل اشتمال.

قوله: (تتحرَّك بكم) أي: فيقال: مَارَ: تحرَّكَ وجاءَ وذهبَ.

قوله: (﴿أَمْ أَمِنتُم﴾) إضرابٌ وانتقالٌ من تهديدٍ إلى آخر.

قوله: (﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾) أي: سُلطانه وقدرته.

قوله: (بدل مِنْ ﴿مَّن﴾) أي: بدلَ اشتمال أيضاً.

قوله: (ريحاً تَرميكم... إلخ) هذا أحد تفاسير لـ(الحاصب)، وقيل: هو الحجارة من السماء، وقيل: سحاب فيها حجارة.

قوله: (عند مُعاينة العذاب) أي: في الآخرة، أو عند خُروج أرواحهم.

قوله: (أي: أنَّه حقٌّ) أي: الإنذارُ واقعٌ، ونافذٌ مُقتضاه.

قوله: (﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾) هذا تسليةٌ له ﷺ؛ أي: فلا تحزن على تكذيبهم لك؛ فقد سَبقهم غيرُهم بالتكذيب لأنبيائهم.

قوله: (عند إهلاكهم) أي: مَوتهم، أو تعذيبهم في الآخرة.

قوله: (﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والمعنى: أغفلُوا ولم يرَوا؟!

إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى ....

﴿إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ في الهواء ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾: باسِطاتٍ أجنِحَتَهُنَّ ﴿وَيَقْبِضْنَۚ﴾ أجنِحَتَهُنَّ بَعد البَسط أي: وقابِضاتٍ، ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عن الوُقُوع في حالِ البَسط والقَبض ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ﴾ بِقُدرَتِه، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ المَعنَى: أَلَم يَستَدِلُّوا بِثُبُوتِ الطَّير في الهَواء على قُدرَتِنا أن نَفعَلَ بِهِم ما تَقدَّم وغيرَه مِن العذاب؟

﴿٢٠﴾ ﴿أَمَّنْ﴾ ـ مُبتَدأ ـ ﴿هَٰذَا﴾ ـ خَبَره ـ ﴿ٱلَّذِى﴾ ـ بَدَل مِن ﴿هَٰذَا﴾ ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَى ٱلطَّيْرِ﴾) يجمع على: طُيورٍ، وأطيارٍ، ومفردُ الطيرِ: طائرٌ، فطيورٌ وأطيارٌ: جمعُ الجمعِ.

قوله: (﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾) حال، ومفعوله محذوفٌ، قدَّره بقوله: (أجنحتهنَّ)، وكذا قوله: ﴿وَيَقْبِضْنَۚ﴾.

قوله: (أي: وقابضات) أشار بذلك إلى أنَّ الفعل مؤوَّل باسم الفاعل، معطوف على ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾.

والحكمة في تعبيره ثانياً بالفعل ولم يَقُل: (وقابضات): أنَّ الأصلَ في الطيران صفُّ الأجنحة، والقبضُ طارئٌ عليه، فعبَّر عن الأصل باسم الفاعل، وعن الطارئ بالفعل الذي شأنه الحدوث.

قوله: (﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ﴾) عبَّر بـ(الرحمن)؛ إشارةً إلى أنَّه من جلائل النعم، وهذه الجملةُ مستأنفةٌ.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ﴾) أي: فيَعلم الأشياء الدقيقة الغريبة، فيدبرها على مقتضى ما يريد.

قوله: (﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى﴾... إلخ) سببُ نزول هذه الآية وما بعدها: أنَّ الكفَّار كانُوا يَمتنعون من الإيمان، ويُعاندون رسول الله مُعتمدِين على شيئين: قوَّتهم بالأموال والعدد، واعتقادهم أنَّ أصنامهم تُوصل إليهم الخيرات، وتدفع عنهم المضرَّات، فأبطل الله الأوَّل بقوله: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ...﴾ إلخ، وأبطل الثانيَ بقوله: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ...﴾ إلخ[1].

---

(١) انظر «السراج المنير» (٤/٣٤٦).

هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا ....

﴿هُوَ جُندٌ﴾: أعوانٌ ﴿لَّكُمْ﴾ - صِلة ﴿ٱلَّذِى﴾ - ﴿يَنصُرُكُم﴾ - صِفة ﴿جُندٌ﴾ - ﴿مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: غيره يَدفعُ عنكُم عَذابَه، أي: لا ناصِرَ لَكُم، ﴿إِنِ﴾: ما ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ غرَّهُم الشَّيطانُ بِأنَّ العَذاب لا يَنزِلُ بِهم.

﴿٢١﴾ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾ الرَّحمنُ ﴿رِزْقَهُۥ﴾ أي: المَطَرَ عَنكُم؟ - وجَواب الشَّرط مَحذُوف دلَّ علَيهِ ما قَبله - أي: فمَن يَرزُقكم؟ أي: لا رازِقَ لَكُم غَيرُه، ﴿بَل لَّجُّوا۟﴾: تَمادَوا ﴿فِى عُتُوٍّ﴾: تكبُّرٍ ﴿وَنُفُورٍ﴾: تَباعُدٍ عن الحَقِّ.

﴿٢٢﴾ ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا﴾: ....

حاشية الصاوي

و(أم) هنا: منقطعةٌ تفسَّر بـ(بل) وحدها؛ لِدخولها على (مَن) الاستفهامية، ولا يصحُّ تفسيرها بـ(بل) والهمزة؛ لئلا يَدخل الاستفهام على مِثله.

قوله: (أعوان) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿جُندٌ﴾ لفظه مفردٌ، ومعناه جمعٌ.

قوله: (يَدفع عنكم عذابه) تفسير لقوله: ﴿يَنصُرُكُم﴾.

قوله: (﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾) اعتراضٌ مقرِّرٌ لما قبله، والالتفات عن الخطاب للغيبة إيذانٌ بالإعراض عنهم، والإظهارُ في موضع الإضمار؛ لِذمِّهم بالكفر.

قوله: (﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ﴾) تكتب (أم) موصولة بـ(من)، فتكون ميماً واحدة متصلة بالنون، وكذا يُقال فيما تقدَّم.

قوله: (﴿إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾) أي: أسبابَ رزقِهِ التي ينشأ عنها.

قوله: (أي: المَطر) أي: والنبات وغير ذلك كباقي الأسباب.

قوله: (﴿بَل لَّجُّوا۟﴾... إلخ) إضراب انتقاليٌّ مبنيٌّ على مقدَّر يستدعِيه المقام، كأنَّه قيل: إنَّهم لم يتأثَّروا بتلك المواعظ، ولم يُذعنوا، بل لجُّوا... إلخ.

قوله: (﴿أَفَمَن يَمْشِى﴾... إلخ) هذا مثَلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر؛ توضيحاً لحالهما، وتحقيقاً لشأنهما.

قوله: (﴿مُكِبًّا﴾) اسم فاعل مِنْ: (أَكَبَّ) اللازم المطاوع لـ(كَبَّ)، فـ(كَبَّ) من غير همزٍ مُتعدٍّ،

عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ....

واقِعاً ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾: مُعتَدِلاً ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: طَريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾؟ - وخَبَر (مَن) الثَّانية مَحذُوف دلَّ عليهِ خَبَر الأُولَى، أي: أهدَى -، والمَثَلُ في المُؤمِن والكافِر أي: أيُّهما على هُدًى.

(﴿٢٣﴾ - ﴿٢٤﴾) ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾: خَلَقَكُم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾:

حاشية الصاوي

يقال: كبَّه الله، وأمَّا (أكبَّ).. فهو لازمٌ، يقال: أكبَّ؛ أي: سقَط، وهذا على خلاف القاعدة المشهورة من أنَّ الهمزة إذا دخلت على اللازم تُصيِّره متعدياً، وهنا دخلت على المتعدِّي، فصيَّرَتْهُ لازماً.

قوله: (واقعاً على وجهه) أي: لِكونه أعمى ماشياً على غير طريق، فهو مُعرَّض للهلاك.

قوله: (﴿أَهْدَىٰٓ﴾) أي: متَّصفٌ بالهدى، فـ(أفعَل) التفضيل ليس على بابه؛ كما يُشير له المفسِّر بقوله: (أي: أيُّهما على هدى؟).

قوله: (وخبرُ «مَنْ» الثانية... إلخ) لا حاجة له، بل (مَنْ) الثانية معطوفةٌ على الأولى عطفَ مفردات، والخبر قوله: ﴿أَهْدَىٰٓ﴾، وأُفْرِدَ؛ لأنَّ العطف بـ(أم)، وهي لأحد الشيئين.

قوله: (والمثَل في المُؤمن والكافر) أي: فلا يَستوي الأعمى الماشي على غير طريق، والبصير الماشي في الطريق المعتدلة؛ لأنَّ الأوَّل معرَّض للهلاك والتَّلف، بخلاف الثاني؛ فتسوية الكفَّار لهما خسافةُ عقلٍ، وعدمُ تدبُّرٍ. والمذكور في الآية هو المشبَّه به، والمشبَّه محذوفٌ؛ لِدلالة السِّياق عليه.

قوله: (﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾) خطابٌ للنبيِّ ﷺ بأن يذكِّرَهم بنِعَمِ الله تعالى عليهم؛ ليَرجعُوا إليه في أمورهم، ولا يُعوِّلُوا على غيره[1].

قوله: (﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾) أي: لِتَسمعُوا آياتِ الله وتتَّعظُوا بها.

قوله: (﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾) أي: لِتَنظرُوا إلى مصنوعات الله الدالَّة على انفراده بالخلق والتدبير.

قوله: (﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾) أي: لِتَتفكرُوا بها فيما تَسمعونه وتبصرونه من الآيات العظيمة.

---

(١) في (أ): (ولا يعولون).

قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ ....

القُلُوبَ ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ـ ﴿مَّا﴾ مَزِيدة، والجُملة مُستأنفةٌ مُخبِرة بِقِلَّةِ شُكرِهم جِدًّا على هذِه النِّعَم ـ ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾: خَلَقَكُم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ لِلحِسابِ.

(٢٥ - ٢٦) ﴿وَيَقُولُونَ﴾ لِلمُؤمِنِين: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: وَعدُ الحَشرِ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فِيه؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾ بِمَجِيئِه ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بيِّن الإنذارِ.

(٢٧) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: العَذابَ بعدَ الحَشر ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾) قليلاً: صفةُ مصدرٍ محذوفٍ؛ أي: شكراً قليلاً.

والشُّكرُ: صرْفُ العبدِ جميعَ ما أنعَم الله به عليه إلى ما خُلِقَ لأجله، فصَرْفُ النِّعَمِ في غيرِ مصارفِهَا كفرٌ لها.

قوله: (﴿مَّا﴾: مزيدة) أي: لتأكيد القلَّة، وهي على بابها بالنسبة لِلمؤمن، أو بمعنى العدم بالنسبة للكافر.

قوله: (﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾) أي: أنشأكم وبثَّكم ونشَركم.

قوله: (﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾) أي: تُجمعون وتضمُّون للحساب.

قوله: (﴿وَيَقُولُونَ﴾) أي: استهزاءً وتكذيباً.

قوله: (﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾) قصدُوا بهذا الخطاب النبيَّ والمؤمنين؛ لأنَّهم مُشاركون له في الوعد وتلاوة الآيات، وجوابُ الشرطِ محذوفٌ؛ أي: فبيِّنُوا وقتَهُ.

قوله: (بِمَجيئه) أي: بوقتِ إتيانِهِ.

قوله: (بيِّنُ الإنذارِ) أي: بسببِ إقامةِ الأدلَّةِ الواضحةِ والبراهينِ القاطعةِ.

قوله: (﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾) مرتَّب على محذوفٍ، تقديره: وقد أتاهم الموعودُ به فرأَوْهُ، فلمَّا رأوه... إلخ.

قوله: (أي: العذابَ بعدَ الحشرِ) أي: وهو العذابُ في الآخرةِ، وهذا قول جمهور المفسِّرين في مرجع الضمير في ﴿رَأَوْهُ﴾، وقيل: هو عذابُ بدرٍ، وقيل: هو عملهم السَّيِّئ.

زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ ....

﴿زُلْفَةً﴾: قَرِيباً ﴿سِيٓـَٔتْ﴾: اسوَدَّت ﴿وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ﴾ أي: قال الخَزَنَةُ لَهُم: ﴿هَٰذَا﴾ أي: العَذابُ ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ﴾ بِإنذارِه ﴿تَدَّعُونَ﴾ أنَّكُم لا تُبعَثُون، وهذهِ حِكايَةُ حال تَأتِي عَبَّرَ عنها بِطَرِيق المُضِيِّ لِتَحقُّقِ وُقُوعِها.

﴿٢٨﴾ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ﴾ مِن المُؤمِنِين بِعَذابِه كما تَقصُدُون ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿زُلْفَةً﴾) اسمُ مصدرٍ، ومصدرُهُ: الإزلافُ.

قوله: (قريباً) حالٌ من مفعول ﴿رَأَوْهُ﴾.

قوله: (﴿سِيٓـَٔتْ﴾) مبني للمفعول، والأصل: ساءَ العذابُ وُجوهَهُمْ، وأظهر في مَقام الإضمار؛ تقبيحاً وتسجيلاً بوصف الكفر[1].

قوله: (أي: قال الخزنة لهم) أي: توبيخاً وتقريعاً.

قوله: (﴿تَدَّعُونَ﴾) من الدَّعوى، ومفعوله محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (أنَّكم لا تبعثون)، والباء في (به) سببيَّة، والمعنى: فلمَّا رأوا عذابَ الآخرةِ قريباً منهم.. اسودَّت وجوهُهم، وقال لهم الخزنة: هذا العذاب الذي كنتُم بسبب إنذاركم وتخويفكم به، ادَّعَيتم عدمَ البعث، وأنكرتُم البعث.

قوله: (وهذه حِكاية حال... إلخ) اسمُ الإشارةِ عائدٌ على قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾.

قوله: (﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ﴾... إلخ) ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: بمعنى: أخبِروني، تنصِب مفعولين، سدَّت الجملة الشرطيَّةُ مسدَّهما، والمعنى: قل لهم يا محمَّد وكانُوا يتمنَّون موتَه ﷺ: إن أماتني الله ومَنْ معيَ من المؤمنين بعذابه، أو رَحِمنا.. فلا فائدة لكم في ذلك، ولا نفع يعود عليكم؛ لأنَّه لا مُجير لكم من عذاب الله تعالى.

قوله: (كما تَقصدون) حذف منه إحدى التاءين؛ أي: تتقصَّدون وتنتَظرون، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠].

---

(١) أي: فلم يقل: (سيئت وجوههم) توصلاً لذمهم بالكفر، وتسجيلاً؛ أي: تثبيتاً وتحقيقاً حتى لا يتأتى منهم الإنكار.

أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا ....

﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فلَم يُعَذِّبْنا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؟ أي: لا مُجِيرَ لَهُم مِنه.

﴿٢٩﴾ ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ﴾ - بِالتَّاء والياء - عِندَ مُعايَنةِ العَذاب ﴿مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بيِّن، أنحنُ أم أنتم أم هُم؟

﴿٣٠﴾ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾: غائِراً في الأرضِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: لا مُجيرَ لهم منه) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي، ووضع الظاهر مَوضع المضمر؛ تسجيلاً عليهم بالكفر.

قوله: (﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾) أي: الذي أدعوكم إلى عبادتِهِ وطاعتِهِ.

قوله: (﴿ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾) الحكمةُ في تأخير مفعول ﴿ءَامَنَّا﴾، وتقديم مفعول ﴿تَوَكَّلْنَا﴾: أنَّ الأوَّل وقع في مَعرض الردِّ على الكافرين، فكأنَّه قال: آمنَّا ولم نكفر كما كفرتُم، والثاني قُدِّمَ مفعولُهُ لإفادة الحصرِ، كأنَّه قال: لا نتوكَّل على ما توكَّلتم عليهِ من أموالٍ ورجالٍ وغيرِ ذلكَ، بل نقصر توكُّلنا على خالقِنا.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (عند مُعاينة العذاب) أي: في الآخرة.

قوله: (أَنحنُ) أشار به إلى أنَّ ﴿مَن﴾ استفهامية مبتدأ، و﴿هُوَ﴾: ضميرُ فصلٍ، وجملة الظرف خبر المبتدأ، والجملة بِتمامها سدَّت مسدَّ المفعولين لـ(علم) المعلَّقةِ بالاستفهام.

قوله: (أم أنتُم) راجعٌ لقراءة الخطاب، وقوله: (أم هم) راجعٌ لقراءة الغيبة، فالكلام على التَّوزيع.

قوله: (﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ﴾) أي: الكائن في أيديكم، وكان ماؤُهم من بئرَين: زمزم، وميمون.

قوله: (أي: غائراً) أشار بذلك إلى أنَّ المصدر مؤوَّل باسم الفاعل.

---

(١) قرأ الكسائي بعد السين بياء الغيبة نظراً إلى قول الكافرين، والباقون بتاء الخطاب. انظر «السراج المنير» (٤/٣٤٨).

﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ٣٠﴾

﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾: جارٍ تَنالُهُ الأيدِي والدِّلاء كمائِكُم؟ أي: لا يَأتِي بِه إلّا اللهُ تَعالى فكيفَ تُنكِرُون أن يَبعَثَكُم؟ ويُستَحبُّ أن يَقُول القارِئُ عَقِب ﴿مَّعِينٍۭ﴾: اللهُ رَبُّ العالَمِين، كما ورَد في الحَدِيث. وتُلِيَت هذِه الآيةُ عندَ بعضِ المُتَجبِّرِين فقال: تَأتِي بِه الفُؤُوس والمَعاوِلُ، فذَهَب ماءُ عَينِه وعَمِي، نَعُوذ بِاللهِ مِن الجُرأةِ على اللهِ تَعالى وعلى آياتِه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَّعِينٍۭ﴾) أصله: (مَعيُون) بوزن (مفعول) كـ(مَبِيع)، نقلت ضمَّة الياء إلى العين قبلها، فالتقى ساكنان: الياء، والواو، حذفت الواو، وكسرت العين؛ لتصحَّ الياء.

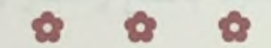
قوله: (أي: لا يَأتيكم به إلا الله) أي: فَلِمَ تشركون به مَنْ لا يقدرُ على أن يَأتيكم به؟!

قوله: (أن يقولَ القارئ) أي: ولو في الصلاة.

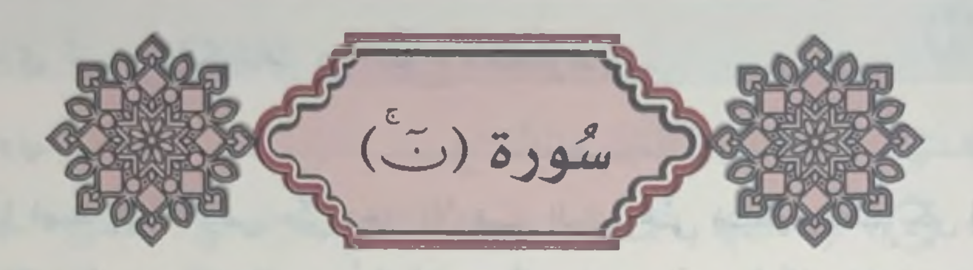
قوله: (وعَمِيَ) عطفُ تفسيرٍ.

قوله: (مِن الجَراءة على الله) يقال: اجترأ على القول بالهمز: أسرَع بالهجوم عليه مِنْ غير توقف، والاسم: (الجُرْأَة) بوزن (غُرْفَة)، و(جَرَاءَة) بوزن (كَرَاهَة) كما قال المفسِّر.

ويؤخذ منه: أنَّ العبد يؤاخذُ بالكفر ولو على سَبيل المزح.



﴿نٓ﴾ ....



سُورة (نٓ)

مكيَّة، ثِنتان وخَمسون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿نٓ﴾ أحَد حُرُوفِ الهِجاء، الله أعلَم بِمُرادِه بِهِ. ....

حاشية الصاوي

(سورة نٓ)

وتسمَّى (سورةَ القلم).

قوله: (مكيَّة) أي: في قول الجمهور، والقول الآخَر: أنَّ بعضها مكيٌّ، وبعضها مدنيٌّ.

قوله: (﴿نٓ﴾) يُقرأ بفكِّ الإدغام من واو القسم، وبإدغامه، وهما قراءتان سبعيَّتان[1]، وهو بسكون النون عند السبعة، وقرئ شذوذاً بالفتح والكسر والضمِّ[2].

قوله: (أحد حروف الهجاء) غرضُهُ بهذه العبارةِ الرَّدُّ على المخالف؛ لأنَّ منهم مَنْ قال: إنَّه اسمٌ مُنقطع من اسمه (الرحمن) أو (النصير) أو (الناصر) أو (النور)، فهو كسائر حروف الهجاء التي افْتُتِحَ بها كثيرٌ مِنَ السُّوَر، فهو من المُتشابه.

وقيل: إنَّه الحوت الذي على ظَهره الأرض، وعليه: فحرفُ القسم مقدَّر، تقديره: ونون والقلم.. إلخ.

قال أصحاب السِّير والأخبار: (لمَّا خلق الله الأرض وفتَقها سبع أرضين.. بعث من تحت

---

(١) قرأ قالون وابن كثير وأبو عمرٍو وحفص وحمزة ووَرش بخلاف عنه بإظهار النون عند الواو هنا، والباقون بالإدغام. انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٥١).

(٢) قرأ ابن عباس والحسن وأبو السمال وابن أبي إسحاق بكسر النون، وسعيد بن جبير وعيسى بخلاف عنه بفتحها. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٣٩٨).

وَٱلْقَلَمِ ....

﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ الذِي كُتِبَ بِهِ الكائِنَاتُ في اللَّوحِ المَحفُوظِ، ....

حاشية الصاوي

العرش ملكاً، فهَبط إلى الأرض حتَّى دخل الأرضين السبع حتَّى ضبطها، فلم يكن لِقَدميه موضع قرار، فأهبط الله تعالى من الفردوس ثوراً له أربعون ألف قرن، وأربعون ألف قائمة، وجعل قرار قدم الملك على سنامِه، فلم تستقرَّ قدمه، فأخذ الله ياقوتةً خضراءَ من أعلى درجة الفردوس، غلظُها مسيرةُ خمس مئة سنة، فوضعها بين سنام الثور إلى أُذنه، فاستقرَّ عليها قدَما الملك، وقرونُ ذلك خارجةٌ من أقطار الأرض، ومِنخاره في البحر، فهو يتنفَّس كلَّ يومٍ نفساً، فإذا تنفَّس مُدَّ البحرُ، وإذا ردَّ نفسَهَ جَزَرَ البحر، فلم يكن لقوائم الثور قرارٌ، فخلق الله تعالى صخرةً كغلظ سبع سماوات وسبع أرضين، فاستقرَّت قوائم الثور عليها، وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه: ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾، فلم يكن للصَّخرة مستقرٌّ، فخلق الله تعالى نوناً، وهو الحوت العظيم، فوضع الصخرةَ على ظهرِهِ وسائر جسده، قال: والحوت على البحر، والبحر على متن الريح، والريح على القدرة، فقيل: كلُّ الدنيا بما عليها حرفان، قال لها الجبَّار سبحانه وتعالى، وتنزَّه وتقدَّس: كُوني، فكانت)[1].

قوله: (الذي كتب به الكائنات... إلخ) هذا أحدُ قولين، والآخَر: أنَّ المراد به الجنس، وهو واقعٌ على كلِّ قلمٍ يُكتب فيه في السماء والأرض، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق: ٣-٤]؛ لأنَّ القَلَم نعمةٌ كالإنسان.

عن ابن عباس: (أوَّل ما خلق الله القلم، ثم قال له: اكتب، قال: ما أكتُب؟ قال: اكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، قال: ثمَّ ختَم فم القلم، فلم يَنطق ولا ينطق إلى يوم القيامة، وهو من نورٍ طوله كما بين السماء والأرض)[2].

---

(١) كذا أورده البغوي في «تفسيره» (٨/١٦٨)، ولا يخفى أنَّ هذا وأمثاله من الإسرائيليات التي انتشرت في كتب التفسير، وانظر «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» (ص٣٠٥).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٩٣٦)، وروى أبو داوود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥) عن سيدنا عُبادة بن الصامت لابنه: يا بنيَّ؛ إنَّك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتَّى تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن لِيُخطئك، وما أخطأك لم يكن لِيُصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أوَّل ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: ربِّ وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كلِّ شيءٍ حتَّى تقوم الساعة»، يا بنيَّ؛ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ مات على غير هذا.. فليس منِّي».

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ ....

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: المَلائكةُ مِن الخيرِ والصَّلاح.

(﴿٢﴾ - ﴿٤﴾) ﴿مَآ أَنتَ﴾ يا مُحمَّد ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي: انتَفَى الجُنونُ عنك بِسَببِ إنعامِ رَبِّك علَيك بِالنُّبوَّة وغيرِها، وهذا رَدٌّ لِقَولِهم: إنَّهُ مَجنون، ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: مَقطُوع، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ﴾: دِينٍ ﴿عَظِيمٍ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: الملائكة) يصحُّ أن يُرادَ بهم الملائكةُ الذين يَنسخون المقادير من اللوح المحفوظ، وأن يراد بهم الحفظةُ الذين يكتبُون عمل الإنسان، فأقسم أوَّلاً بالقلم، ثمَّ بسطرِ الملائكةِ على ثلاثة أشياء: نفي الجنون عنه، وثبوتِ الأجر له، وكونه على خُلق عظيم، فالمقسَم به شيئان، أو ثلاثة بزيادة النون على أنَّ المراد به الحوتُ.

قوله: (﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ . . . إلخ) جواب القسَم، والباء في ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾: سببية، وفي ﴿بِمَجْنُونٍ﴾: زائدة، و(مجنون): خبرُ ﴿مَآ﴾.

قوله: (وهذا ردٌّ لقولهم: مجنون) أي: كما حكاه الله عنهم في قوله: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

قوله: (﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾) أي: بل هو دائمٌ جارٍ مستمرٌّ لا ينقطع، فهو ﷺ دائماً يترقَّى في الكمالات، فمقامُهُ بعد وفاته أعظمُ منه في حال حياته، ومَقامه في الآخرة أعلى من مَقامه في الدنيا.

قوله: (﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾) قال ابن عباس: (معناه: على دينٍ عظيم، لا دينَ أحبُّ إليَّ ولا أرضى عندي منه، وهو دينُ الإسلام)[١]، وقال الحسَن: (هو آداب القرآن)[٢]؛ بدليل: أنَّ عائشة لمَّا سُئلت عن خُلق رسول الله ﷺ. . فقالت: (كان خُلقه القرآن)[٣]؛ ولذا قال قتادة: (هو ما كان يأتمر به من أوامر الله، وينتهي عنه من نهي الله تعالى)[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢٩).   (٢) رواه البغوي في «تفسيره» (٨/ ١٨٧).

(٣) رواه بلفظه الإمام أحمد في «المسند» (٤١/ ١٤٨)، ومسلم (٧٤٦) بلفظ: (إن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن).

(٤) انظر «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٢٧).

فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ ....

(٥ - ٦) ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ ـ مَصدَر كـ(المَعقُولِ) ـ أي: الفُتُونُ بِمَعنى الجُنُون، أي: أبِك أم بِهِم؟

(٧ - ٩) ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ لَه، و﴿أَعْلَمُ﴾ بِمَعنى عالِم، ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟﴾: تمنَّوا ﴿لَوْ﴾ ـ مَصدريَّة ـ ....

حاشية الصاوي

والمعنى: وإنَّك على الخُلُقِ الذي أمرك الله به في القرآن، وهذا أعظمُ مدحٍ له ﷺ؛ ولذا قال العارف البوصيري[(١)]: [البسيط]

فهو الذي تمَّ معناه وصورتُهُ ثمَّ اصطفاه حبيباً بارئ النَّسَمِ

قوله: (﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾) أي: فستعلمُ ويعلمون؛ في الدنيا بظهورِ عاقبةِ أمرِك واستيلائك عليهم بالقتل والنَّهبِ، ويوم القيامة حيث يتميَّزُ الحقُّ من الباطل.

قوله: (﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾) ﴿بِأَييِّكُمُ﴾: خبرٌ مقدَّمٌ، و﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾: مبتدأٌ مؤخَّرٌ، والجملة في محلِّ نصبٍ، تَنازعها كلٌّ من (تبصر) و(يبصرون)، أهمل الثاني، وأضمر في الأول وحذف؛ لأنَّه فَضلة، وليس قوله: ﴿بِأَييِّكُمُ﴾ متعلِّقاً بـ(يبصرون)؛ لأنَّه معلَّق بالاستفهام عن العمل.

قوله: (مصدر كالمفعول) أي: جاء على صيغة مفعول؛ كـ: المعقول، والميسور.

قوله: (﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ . . . إلخ) تعليلٌ لما قبله، وتأكيدٌ للوعد والوعيد.

قوله: (له) أي: للسبيل.

قوله: (و﴿أَعْلَمُ﴾ بمعنى «عالم») أشار بذلك إلى أنَّ اسم التفضيل ليس على بابه، وإلَّا . . لاقتضى مشاركةَ الحادثِ للقديمِ، وهو باطلٌ.

قوله: (﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾) مرتَّبٌ على ما تقدَّم من اهتدائِه ﷺ وضلالهم، أو على جميع ما تقدَّم من أوَّل السورة.

---

(١) كما في قصيدته «البردة» المشهورة.

نُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ ....

﴿تُدْهِنُ﴾: تَلِينُ لَهُم ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾: يَلِينُون لَك، ـ وهو مَعطُوف على ﴿تُدْهِنُ﴾، وإن جُعل جَوابَ التَّمنِّي المَفهُوم مِن ﴿وَدُّوا﴾ قُدر قَبلَه بعد الفاء (هُم) ـ.

(﴿١٠﴾ - ﴿١٣﴾) ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾: كَثيرِ الحَلِف بِالباطِل ﴿مَّهِينٍ﴾: حَقِير، ......

حاشية الصاوي

قوله: (تلينُ لهم) أي: بترك نَهيِهم عن الشرك، أو بأن تُوافقهم فيه أحياناً، وقوله: (يَلينون لك) أي: يتركون ما هم عليه من الطعن ويُوافقونك.

والمعنى: تمنَّوا لو تتركُ بعضَ ما أنت عليه ممَّا يَرضونه مُصانعةً لهم، فيفعلُوا مثل ذلك ويتركُوا بعض ما لا ترضى له، فتَلين لهم، ويَلينون لك[١].

قوله: (وهو معطوف... إلخ) أي: فهو من جملة المتمنَّى، وحينئذٍ: فيكون المتمنَّى شيئان، ثانيهما مسبَّبٌ عن الأول.

قوله: (قدِّر قبله بعد الفاء «هم») أي: فيكون الجوابُ جملةً اسميَّةً لا محلَّ لها من الإعراب.

وهذا جوابٌ عمَّا يقال: حيث جعل قوله: ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ جوابَ التمنِّي، والفاء سببيَّة، فمقتضاه حذف النون للناصب، فأجابَ: بأنَّ الفاء داخلة على مبتدأ مقدَّر، وجملة (يدهنون) خبره، والجملة جوابُ التَّمنِّي.

قوله: (﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾... إلخ) هذه الأوصاف مِن هنا إلى قوله: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ نزلت في الوليد بن المغيرة، وعليه جمهور المفسِّرين، واقتَصر عليه المفسِّر.

وقيل: في الأسود بن عبد يَغُوثَ، وقيل: في الأخنس بن شُرَيْقٍ، وقيل: في أبي جَهل بن هشام[٢].

قوله: (كثير الحلف بالباطل) تفسيرُ مرادٍ أخذاً له من قوله: ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾، ومِن سِياق الذم، وإلَّا.. فالحلاَّف: كثيرُ الحَلِفِ؛ بحقٍّ أو باطلٍ.

قوله: (حقيرٍ) أي: في رَأيه وتدبيره عند الله تعالى، فلا يُنافي أنَّه كان معظَّماً في قومِهِ.

---

(١) وقيل: معناه: ودُّوا لو تكفر فيكفرون، وهو أن تَعبد آلهتهم مُدة، ويعبدون الله مدة. انظر «تفسير الخازن» (٤/ ٣٢٥).

(٢) انظر الأقوال في «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٨٣)، و«تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٣١).

هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ....

﴿هَمَّازٍ﴾: عَيَّاب أي: مُغتابٍ ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾: ساعٍ بِالكلامِ بينَ النَّاس على وَجهِ الإفسادِ بينَهم، ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: بَخيلٍ بِالمال عن الحُقُوق، ﴿مُعْتَدٍ﴾: ظالِمٍ ﴿أَثِيمٍ﴾: آثِم، ﴿عُتُلٍّ﴾: غَلِيظٍ جافٍ ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾: دَعِيٍّ في قُرَيش، وهو الوَليدُ بن المُغِيرَةَ، ادَّعاهُ أَبُوه بعدَ ثَماني عشرةَ سنةً، قال ابنُ عبَّاس: لا نَعلَم أنَّ الله وصَفَ أحداً بِما وصَفَهُ به ...

حاشية الصاوي

قوله: (عيَّاب) أي: كثير العَيب للناس، بمعنى: أنه يَعيبهم في حضورهم أو غيبتهم، وقوله: (أي: مغتاب) المناسب كما في بعض النسخ أن يقول: (أو مغتاب)، فيكون تفسيراً ثانياً؛ من الغيبةِ، وهي ذِكرك أخاك بما يكره. وقيل: الهمَّاز: الذي يَهمزُ النَّاس بِيَده ويضربهم.

قوله: (﴿بِنَمِيمٍ﴾) متعلِّق بـ﴿مَّشَّآءِۭ﴾، والنَّميم مصدر (كالنميمة)، أو اسم جنس للنميمة.

قوله: (﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾) أي: من نفسه وغيره.

قوله: (عن الحقوق) أي: الواجبة والمندوبة.

قوله: (ظالم) أي: يتعدَّى الحقَّ.

قوله: (﴿أَثِيمٍ﴾) أي: فاجرٍ يتعاطَى الإثم.

قوله: (غليظ) أي: في الطبع أو الجسم، وقوله: (جاف) أي: قاسي القلب، وقيل: العُتُلُّ الذي يَعتل المناهي؛ أي: يحملهم ويجرُّهم إلى ما يَكرهون؛ من حبسٍ وضربٍ، ومنه: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ﴾ [الدخان: ٤٧].

قوله: (﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾) أي: ما ذكر من الأوصاف السابقة، وهي ثمانية.

و(بعد) هنا كـ(ثمَّ) التي هي للتراخي في الرتبة، والمعنى: أنَّ هذا الوصف وهو (زنيم) متأخِّر في الرتبة والشناعة عن الصفات السابقة؛ أي: هو أشنَع منها وأقبح.

قوله: (﴿زَنِيمٍ﴾) الزَّنَمَةُ في الأصل: شيءٌ يكون لِلمَعز في أذنها كالقُرط، فأطلق على المستلْحَقِ في قومٍ ليس منهم، فكأنَّه فيهم زَنَمةٌ.

قوله: (ادَّعاه أبوه) أي: وهو المغيرة، والمعنى: تبنَّاه ونسبه لنفسه بعد أن كان لا يُعرف له أبٌ.

قوله: (بعد ثماني عشرة سنةً) أي: من ولادته، ولمَّا نزلت الآية.. قال لأُمِّه: إنَّ محمداً وَصَفني بتسع صفاتٍ أعرفها غيرَ التاسع منها، وإن لم تَصدقيني الخبر.. ضربتُ عنقك، فقالت له:

أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ....

مِن العُيُوب، فألحَقَ بِه عاراً لا يُفارِقهُ أبداً . ـ وتَعلَّق بِـ﴿زَنِيمٍ﴾ الظَّرفُ قبلَه ـ.

(﴿١٤﴾ - ﴿١٦﴾) ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ أي: لِأنْ ـ وهو مُتَعلِّق بِما دلَّ علَيهِ ـ ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾: القُرآنُ ﴿قَالَ﴾: هي ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: كَذَّبَ بِها لِإنعامِنا علَيهِ

حاشية الصاوي

إنَّ أباكَ عنِّينٌ، فخفتُ على المال، فمكَّنتُ الراعيَ من نفسي، فأنتَ منه، فلم يعرف أنَّه ابنُ زناً حتَّى نزلت الآية.

وإنَّما ذمَّ بذلك؛ لأنَّ الغالب أنَّ النطفة إذا خبُثت خبث الولد؛ لِما رُوي في الحديث: «لا يدخل الجنَّةَ ولدُ زناً، ولا ولدُهُ، ولا ولدُ ولدِهِ»[1]، وورَدَ: «أنَّ أولاد الزنا يُحشرون يوم القيامة في صور القردة والخنازير»[2]، وورَدَ: «لا تزال أُمَّتي بخيرٍ ما لم يَفشُ فيهم ولد الزنا، فإذا فشا فيهم ولد الزنا.. أوشك أن يعمَّهم الله بعذابه»[3]، وقال عِكرمة: «إذا كثُر ولد الزنا.. قَحط المطر»[4].

قوله: (من العيوب) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ﴾... إلخ) سيأتي في (المدثر) الكلامُ على ماله وبَنيه[5].

قوله: (وهو متعلِّق بما دلَّ عليه... إلخ) أي: وقد بيَّنه بقوله: (أي: كذَّب بها)، ولا يصحُّ أن يكون معمولاً لفعل الشرط؛ لأنَّ (إذا) تضاف للجملة بعدها، والمضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف، ولا يصحُّ أن يكون معمولاً لجواب الشرط؛ لأنَّ ما بعده أداة الشرط لا يعمل فيما قبلها.

قوله: (﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ﴾) جمع أُسطورة؛ كـ: أكاذيب جمع أُكذوبة، وزناً ومعنًى.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/٣٠٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وروى النسائي في «السنن الكبرى» (٤٩٠٨) من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما قال: (لا يدخل الجنة ولد زناً ولا الثاني ولا الثالث)، ولعل مراده: الدخول مع السابقين، وإلَّا.. فمَن مات مسلماً دخل الجنة.

(٢) أورده الخطيب في «السراج المنير» (٤/٣٥٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٤/٤١٣) عن سيدتنا ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها.

(٤) أورده الخطيب في «السراج المنير» (٤/٣٥٦)، وفي «فوائد تمام» (١٦٤٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: (وإذا كثر الزنا.. كان الموت).

(٥) انظر (٧/٢٤٢).

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ ....

بِما ذُكِرَ. ـ وفي قِراءة: (أَأَنْ) بِهمزتَينِ مَفتُوحتَينِ ـ ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾: سنجعَلُ على أنفِه عَلامةً يُعَيَّر بِها ما عاشَ، فخُطِمَ أنفُه بِالسَّيفِ يومَ بَدر.

(﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾) ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾: امتحَنَّا أهلَ مكَّةَ بِالقَحطِ والجُوعِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بما ذكر) أي: من المال والبَنين.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعيَّة: (أأن) بهمزتين مَفتوحتين، الأولى همزة الاستفهام التوبيخيِّ، والثانية همزة (أن) المصدرية، واللام مقدَّرة، والمعنى: أكذَّب بها لأَنْ كان ذا مال وبَنين؛ أي: لا ينبغي ولا يَليق ذلك منه؛ لأنَّ المال والبنين من النِّعم، فكان يَنبغي مقابلتهما بالشكر، وقراءة الاستفهام فيها التحقيق من غير ألف، والتسهيل مع إدخال ألف وتركه[1].

قوله: (﴿عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾) عبَّر به؛ استهزاءً بهذا اللعين؛ لأنَّ الخرطوم أنفُ السباع، وغالب ما يُستعمل في أنف الفيل والخنزير.

قوله: (فخطم أنفه) أي: جُرِحَ أنفُ هذا اللعين يومَ بدرٍ، فبقي أثرُ الجرح في أنفِه بقيَّةَ عمره.

قوله: (﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾) هي بستانٌ باليمن، يقال له: الصَّرْوَانُ، دون صنعاءَ بفرسخين، وكان صاحبُه ينادي الفقراءَ وقتَ الجذاذ، ويترك لهم ما أخطأ المنجل من الزرع، أو ألقَته الريح، أو بَعُدَ عن البساط الذي يُبسط تحت النَّخل، وكان يجتمع لهم من ذلك شيءٌ كثيرٌ، فلمَّا مات.. وَرِثه بنوه، وكانُوا ثلاثةً، وشحُّوا بذلك، وقالُوا: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا.. ضاق علينا الأمر، ونحن ذوُو عيال، فحلفُوا على أن يَجذوه قبل الشمس حتَّى لا تأتي الفقراء إلَّا بعد فراغهم، وكانت قصَّتُهم بعد عيسى بن مريم بزمنٍ يسيرٍ[2].

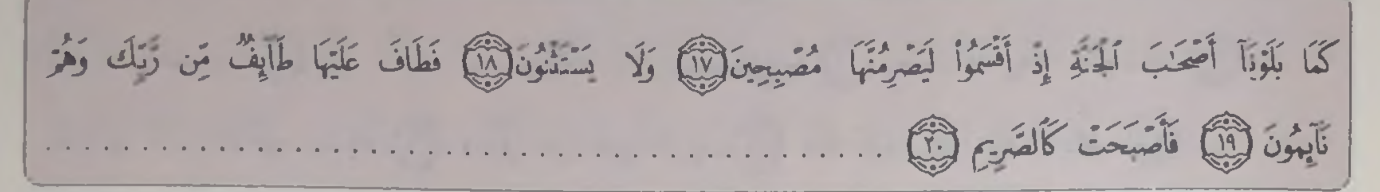
قوله: (بالقحط) أي: وهو احتباس المطر الذي دعَا به ﷺ عليهم حتَّى أكلُوا الجيفة[3].

---

(١) قرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر بالاستفهام، وباقي السبعة بالخبر، فقرأ حمزة وأبو بكر بتحقيق الهمزتين وعدم إدخال ألف بينهما، وهذا هو أصلهما، وقرأ ابن ذكوان بتسهيل الثانية وعدم إدخال ألف، وهشام بالتسهيل المذكور إلَّا أنه أدخل ألفاً بينهما. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٤٠٥).

(٢) انظر قصَّتهم في «تفسير أبي السعود» (٩/ ١٤).

(٣) كما رواه البخاري (١٠٢٠)، ومسلم (٢٧٩٨) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إن قريشاً أبطؤوا عن الإسلام، فدعا عليهم النبي ﷺ، فأخذتهم سنةٌ حتَّى هلكوا فيها، وأكلُوا الميتة والعظام).


كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ (٢٠) ....

﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾: البُستانِ ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا﴾: يَقطَعُون ثَمرَتَها ﴿مُصْبِحِينَ﴾: وقتَ الصَّباحِ كَي لا يَشعُرَ بِهِم المَساكِينُ، فلا يُعطُونَهُم مِنها ما كانَ أَبُوهُم يَتصدَّق بِه علَيهِم مِنها، ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ في يَمِينِهم بِمَشِيئةِ الله تَعالى. ـ والجُملةُ مُستأنَفةٌ، أي: وشَأْنُهم ذلك ـ.

(١٩ - ٢٢) ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾: نارٌ أحرَقَتها ليلاً ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾: كاللَّيلِ الشَّدِيد الظُّلمةِ، أي: سَوداءَ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾) الكاف: في موضع نصب نعت لمصدرٍ محذوفٍ، و(ما): مصدرية، أو بمعنى (الذي).

قوله: (﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟﴾) ﴿إِذْ﴾: تعليليَّة متعلِّقة بـ﴿بَلَوْنَآ﴾، والمراد: مُعظمهم، وإلَّا.. فالأوسَط نَهاهم عن ذلك وقال لهم: اصنعُوا من الإحسان ما كان يَصنعه أبوكم.

قوله: (يقطعون) أي: فالصَّرْمُ: القطع، والانصرام: الانقطاع.

قوله: (﴿مُصْبِحِينَ﴾) حال من فاعل ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾، وهو من (أصبح) التامَّة؛ أي: داخلِين في الصباح.

قوله: (فلا يُعطونهم) معطوف على النفي؛ ولذا رُفِعَ، لا على المنفيِّ؛ لفساد المعنى.

قوله: (ما كان أبوهم) أي: القدر الذي كان أبوهم.. إلخ، وتقدَّم بيانُهُ.

قوله: (بمشيئة الله تعالى) أي: لا يقولون في يَمينهم: إن شاء الله، وقيل: لا يَستثنون شيئاً للمساكين.

قوله: (والجملة مستأنفة) أي: وجوَّز بعضُهم الحاليَّةَ، وهي أظهر في المعنى، وإنَّما عدل المفسِّر عنه؛ لأنَّ المضارع المنفيَّ بـ(لا) كالمثبت؛ في أنَّه لا يقع حالاً مقروناً بالواو إلَّا بإضمار مبتدأ، وفيه كُلفةٌ.

قوله: (﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾) الجملة حاليَّة.

قوله: (كالليل) سمِّي اللَّيلُ صريماً؛ لانصِرامه وانفصاله من النَّهار، كما يسمَّى النَّهار صريماً أيضاً؛ لانفِصاله عن الليل.

فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ ....

﴿فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾: غَلَّتِكُم - تفسير لِـ(تنادوا)، أو ﴿أَنِ﴾ مصدريَّة أي: بِأَنْ - ﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾: مُرِيدِين القَطعَ. - وجَواب الشَّرط دلَّ علَيهِ ما قبلَه -.

(﴿٢٣﴾ - ﴿٢٧﴾) ﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾: يَتَسارُّون، ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ - تَفسِير لِما قَبلَه، أو ﴿أَن﴾ مَصدرِيَّة أي: بِأَنْ - ﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ﴾: مَنع لِلفُقَراء ﴿قَٰدِرِينَ﴾ علَيهِ في ظَنِّهِم، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ سَوداءَ مُحتَرِقةً ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ عنها، أي: لَيسَت هَذِه، ثُمَّ قالُوا لَمَّا عَلِمُوها: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَتَنَادَوْاْ﴾) معطوف على ﴿أَقْسَمُواْ﴾، وما بينهما اعتراضٌ.

قوله: (﴿مُصْبِحِينَ﴾) حالٌ.

قوله: (﴿أَنِ ٱغْدُواْ﴾) أي: بَكِّرُوا وقتَ الغدوِّ، وعدَّاه بـ(على)؛ لِتضمُّنه معنى (أَقبِلُوا).

قوله: (تفسيرٌ للتَّنادي) أي: فـ(أنْ) بمعنى (أي).

قوله: (دلَّ عليه ما قبله) أي: وتقديره: فاغدُوا.

قوله: (﴿فَٱنطَلَقُواْ﴾) معطوف على ﴿فَتَنَادَوْاْ﴾، وقوله: ﴿وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾: حالٌ.

قوله: (﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا﴾.. إلخ) أصل الكلام: ألَّا تُدْخِلُوها مسكيناً، فأوقع النَّهيَ على دخول المساكين؛ لأنَّه أبلغ؛ لأنَّ دخولهم أعمُّ من أن يكون بإدخالهم أو بِدُونه.

قوله: (﴿وَغَدَوْاْ﴾) أي: سارُوا إليها غدوةً، وقوله: ﴿قَٰدِرِينَ﴾: خبر (غدوا) إن كان بمعنى (أصبح) الناقصة، وإن كانت تامَّةً.. يكون منصوباً على الحال.

قوله: (﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾) الحَردُ فيه أقوالٌ كثيرةٌ، أشهرها: ما قاله المفسِّر، ومنها: أنَّ معناه: الغضب، ومنها: السنة التي قلَّ مَطرها.

قوله: (في ظنِّهم) أي: وأمَّا في الواقع.. فليس كذلك؛ لهلاك الثَّمر عليهم ليلاً.

قوله: (﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾) أي: قالُوا ذلك في بادِئ الرأي.

قوله: (لمَّا علموها) أي: بعد التأمُّل والتَّفتيش.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٢٧ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۝٢٨ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝٢٩ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ۝٣٠ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ۝٣١ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ۝٣٢﴾ ....

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ثَمرتَها بِمَنعِنا الفُقَراءَ مِنها.

(﴿٢٨﴾ - ﴿٣٢﴾) ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾: خَيرُهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ الله تائِبين؟ ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بِمَنعِ الفُقَراءِ حَقَّهُم، ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ۝٣٠ قَالُوا يَا﴾ - لِلتَّنبيهِ - ﴿وَيْلَنَا﴾: هَلاكَنا ﴿إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ۝٣١ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا﴾ - بِالتَّشديد والتَّخفيف - ﴿خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ لِيَقبَل تَوبَتَنا ويَرُدَّ عَلَينا خيراً مِن جَنَّتِنا، رُوِيَ أَنَّهم أُبدِلُوا خيراً مِنها.

حاشية الصاوي

قوله: (بِمَنعنا) الباء: سببيَّة.

قوله: (خيرُهم) أي: رأياً وعقلاً ونفساً، أنكر عليهم بقوله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ...﴾ إلخ، ومفعوله محذوف؛ أي: ألم أقُل لكم: إنَّ ما فعلتُموه لا يرضى به الله.

قوله: (هلَّا ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ الله) أي: تَستغفرونه وتتوبُون إليه من خبثِ عَزْمِكُم.

قوله: (﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾) أي: فامتَثلُوا وتابوا.

قوله: (﴿يَتَلَاوَمُونَ﴾) أي: يَلوم بعضُهم بعضاً على ما صدر منهم سابقاً.

قوله: (هلاكَنا) أي: إن لم يعفُ عنَّا ربُّنا.. فقد حضرَ هلاكُنا.

قوله: (﴿عَسَىٰ رَبُّنَا﴾) رجوعٌ منهم إلى الرجاء في رحمة الله بعد التَّوبة.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (رُوي أنَّهم أبدلوا... إلخ) أي: فأمر الله جبريل أن يَقتلع تلك الجنَّةَ المحترقةَ، فيجعلها بِزُغَرَ - بالزاي والغين المعجمتين: بلدةٌ بالشام، بها عينٌ، غَوْرُ مائها علامةُ خروج الدجال - ويَأخذ من الشام جنَّة، فيَجعلها مكانها.

---

(١) قرأ نافع وأبو عمرو بفتح الباء الموحدة وتشديد الدال، والباقون بسكون الموحدة وتخفيف الدال. انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٦١).

كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ . . . . . .

(٣٣) ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثل العَذابِ لِهَؤلاء ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ لِمَن خالَفَ أمرَنا مِن كُفَّار مَكَّة وغَيرِهم، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ عَذابَها ما خالَفُوا أمرَنا.

(﴿٣٤﴾ - ﴿٣٦﴾) ونَزَل لمَّا قالُوا: إن بُعِثْنا نُعطى أفضَلَ مِنكُم: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾ . . . .

حاشية الصاوي

قال ابن مسعود: (إنَّ القوم أخلصُوا، وعَلم الله منهم الصدق، فأبدلهم جنَّةً يقال لها: الحيوان، فيها عِنب يحمل البغل منه عنقوداً واحداً)، وقال اليمانيُّ أبو خالد: (دخَلت تلك الجنَّة فرأيتُ منها محلَّ العنقود كالرجل القائم الأسود)[1].

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ﴾) خبرٌ مقدَّمٌ، و﴿ٱلْعَذَابُ﴾: مبتدأ مؤخَّر.

قوله: (**أي: مثل العذاب لهؤلاء**) أي: الذي بلَونا به أصحاب الجنَّة؛ من إهلاكِ ما كان عندهم يَحصل لأهل مكة.

قال ابن عباس: (هذا مثلٌ لأهل مكة حين خرجُوا إلى بدرٍ، وحلفُوا لَيَقْتُلُونَ محمَّداً وأصحابه، ويرجعون إلى مكة، ويطوفون بالبيت، ويَشربون الخمر، وتضربُ القَيْنَاتُ على رؤوسهم، فأخلَفَ الله ظنَّهم، فقُتِلُوا وأُسِرُوا وانهزمُوا كأهل هذه الجنَّة لمَّا خرجُوا عازمِين على الصرام، فخابوا، وضاعت صَفقتُهم)[2]، وفيه تلطُّفٌ بأهل مكة؛ حيثُ ضرب لهم المثل بأهل الجنَّة كما لا يخفى.

قوله: (**ونزل لما قالوا... إلخ**) ظاهره: أنَّ قولهم سببُ نزول ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ...﴾ إلخ، وليس كذلك، بل الآية سبب لقولهم المذكور، فلمَّا صَدر منهم ذلك القول.. نزل ردًّا عليهم: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ...﴾ إلخ.

قال مقاتل: لما نزل: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ...﴾ إلخ.. قال كُفَّار مكة للمسلمين: إنَّ الله فضَّلنا عليكم في الآخرة، فإن لم يحصل التفضيل.. فلا أقلَّ من المساواة، فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ...﴾ إلخ[3].

قوله: (﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾) أُضيفت إلى (النَّعيم)؛ لأنَّه ليس فيها إلا النَّعيمُ الخالصُ الذي لا يَشوبه كدرٌ ولا نقصٌ كجنَّات الدنيا.

---

(١) أورد القولين القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٤٥).

(٢) أورده القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٤٦).

(٣) انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٢٤).

أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ ....

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: تابِعِين لَهُم في العطاءِ؟ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحُكمَ الفاسِدَ؟!

(٣٧ - ٣٩) ﴿أَمْ﴾ أي: بَل أ﴿لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾ مُنَزَّلٌ ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أي: تَقرَؤُونَ؟ ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين؟ وفي العبارة قلبٌ، والأصل: أفنجعل المجرمين كالمسلمين؛ لأنَّهم جعلُوا أنفسهم كالمسلمين بل أفضل، فحينئذٍ: يكون الإنكار متوجهاً لجعلهم المذكور.

وقد وبِّخُوا باستفهاماتٍ سبعةٍ تَنتهي لقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ﴾، أوّلها: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، ثانيها: ﴿مَا لَكُمْ﴾، ثالثها: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، رابعها: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ...﴾ إلخ، خامسها: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ...﴾ إلخ، سادِسها: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم...﴾ إلخ، سابِعها: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ...﴾ إلخ.

قوله: (أي: تابعين لهم في العطاء) المناسِب أن يقول: (أي: مُساوين لهم في العطاء).

بقي أنَّ الآية إنَّما دلَّت على نفي المساواة، مع أنَّ المشركين ادَّعوا الأفضليَّة فلم تحصل الموافقة!

أجيب: بأنَّها دلَّت على نفي الأفضليَّة بالأَوْلَى؛ لأنَّه إذا انتفت المساواة.. فالأفضليَّة أولى.

قوله: (﴿مَا لَكُمْ﴾) مبتدأٌ وخبرٌ، والمعنى: أيُّ شيءٍ ثبت واستَقرَّ لكم من هذه الأحكام البعيدةِ عن الصواب؟

قوله: (﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾) جملة أُخرى، فالوقف على ﴿لَكُمْ﴾، واستُفيد من هذه الجملة: السؤالُ عن كيفيَّة الحك م؛ هل هو عن عقلٍ أو لا؟

قوله: (﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾) ﴿أَمْ﴾: مُنقطعة تفسَّر بـ(بل) والهمزة، فـ(بل) للإضراب الانتقالي، والهمزةُ للاستفهام التوبيخيِّ التقريعيِّ، وكذا يُقال فيما يأتي.

قوله: (﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾) ﴿لَكُمْ﴾: خبرُ ﴿إِنَّ﴾ مقدَّمٌ، و(ما): اسمها مُؤخَّر، واللام

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَـٰنٌ عَلَيْنَا بَـٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ ...

تَختارُون، ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَـٰنٌ﴾: عُهُود ﴿عَلَيْنَا بَـٰلِغَةٌ﴾: واثِقةٌ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ ـ مُتعلِّق مَعنَى بـ﴿عَلَيْنَا﴾، وفي هَذا الكَلام مَعنَى القَسَم أي: أقسمنا لَكُم، وجَوابُه ـ ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ بِه لِأنفُسِكُم.

(﴿٤٠﴾ - ﴿٤١﴾) ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾ الحُكمِ الذِي يَحكُمُون بِه لِأنفُسِهِم مِن أنَّهُم يُعطَوْنَ في الآخِرة أفضَلَ مِن المُؤمِنِين ﴿زَعِيمٌ﴾: كَفِيل لَهُم؟ ....

حاشية الصاوي

للتوكيد، وهذه الجملةُ هي المدروسة في الكتاب، فهي في المعنى مفعول لـ﴿تَدْرُسُونَ﴾، وكُسِرَت همزة (إنَّ)؛ لوقوع اللام المعلِّقة للفعل عن العمل بعدها[1]، قال ابن مالك[2]: [الرجز]

وكسروا مِنْ بعدِ فعلٍ عُلِّقَا ... باللام، كاعْلَمْ إنَّه لَذُو تُقَى

قوله: (تختارون) أي: تَشتهون وتطلبون.

قوله: (عهودٌ) أي: مؤكَّدةٌ بالأيمان؛ لأنَّ العهد كلامٌ مؤكَّدٌ بالقسَم.

قوله: (﴿بَـٰلِغَةٌ﴾) بالرفع في قراءة العامَّة، نعت لـ﴿أَيْمَـٰنٌ﴾، وقرئ شذوذاً بالنصب على الحال؛ إمَّا من ﴿أَيْمَـٰنٌ﴾، أو من الضمير في ﴿عَلَيْنَا﴾[3].

قوله: (مُتعلِّقٌ معنًى بـ﴿عَلَيْنَا﴾) أي: متَّصلٌ به، وليس المراد التعلُّقَ الصناعيَّ؛ فإنَّه مختصٌّ بالفعل، أو ما فيه رائحة الفعل، أو بالمقدَّر في الظرف[4].

قوله: (وفي هذا الكلام) أي: قوله: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَـٰنٌ...﴾ إلخ.

قوله: (أقسَمنا لكم) مفعوله محذوف؛ أي: أقسَمنا لكم أيماناً موثقةً.

قوله: (﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾... إلخ) ﴿سَلْهُمْ﴾ يَنصب مفعولين: الأوَّل: الضمير المتصل، والثاني: جملة ﴿أَيُّهُمْ﴾، و(أيُّ): مبتدأ، و﴿زَعِيمٌ﴾: خبره، و﴿بِذَٰلِكَ﴾ متعلِّق بـ﴿زَعِيمٌ﴾.

---

(١) ودخله التعليق وإن لم يكن من أفعال القلوب؛ لِتَضمنه معنى الحكم. «فتوحات» (٤/٤٠٥) نقلاً عن العلامة الأجهوري.

(٢) كما في «الخلاصة»، باب: (إن وأخواتها).

(٣) وبالنصب قرأ زيد بن علي والحسن. انظر «الدر المصون» (١٠/٤١٥).

(٤) في (ط٢) زيادة: (أي: هي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة، ولا تخرج عن عهدتها إلا يومئذ إذا حكمناكم).

أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ....

﴿أَمْ لَهُمْ﴾ أي: عِندَهم ﴿شُرَكَآءُ﴾ مُوافِقون لَهُم في هَذا المَقُول يَكفُلُون بِه لَهُم؟ فإن كانَ كذلك ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ الكافِلِين لَهُم بِه ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾.

(﴿٤٢﴾ - ﴿٤٣﴾) اذكُر ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ هو عِبارةٌ عن شِدَّة الأمر يَومَ القِيامة لِلحِسابِ والجَزاء، يُقالُ: كَشَفَت الحَربُ عن ساقٍ: إذا اشتَدَّ الأمرُ فِيها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ﴾) ﴿لَهُمْ﴾: خبرٌ مقدَّم، و﴿شُرَكَآءُ﴾: مبتدأ مؤخَّر، وهذه الجملة معطوفة معنًى على جملة (أيُّهم زعيم)[1].

واختَلف في الشركاء؛ فقيل: المراد بهم: ناسٌ يُشاركونهم في القول المذكور، وقيل: المراد بهم: الأصنام، وكلامُ المفسِّر محتملٌ لهما.

قوله: (يكفلون لهم به) أي: بِصحَّته ونفوذه.

قوله: (﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾) شرطٌ حُذِفَ جوابُه؛ لِدلالة ما قبله عليه[2].

قوله: (ناصِبه «اذكر») أشارَ بذلك إلى أنَّ ﴿يَوْمَ﴾ معمولٌ لمحذوف، والجملة مستأنفةٌ، لا تعلُّقَ لها بما قبلها، وهذا أحد قولَين، والآخر: أنَّ الظرف متعلِّق بـ(يأتوا)، والمعنى: فليَأتُوا بشركائهم في ذلك اليوم تَنفعهم وتشفع لهم.

قوله: (هو عبارة) أي: هذا التركيب، وهو ﴿يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ كنايةٌ عن الشدَّة، فأصل هذا الكلام يُقَالُ لِمن شمَّر عن ساقِه عند العمل الشاقِّ، ويقال إذا اشتدَّ الأمر في الحرب: كشف الحربُ عن ساق، وسئل ابن عباس عن هذه الآية فقال: (إذا خفي عليكم شيءٌ من القرآن.. فاتَّبعوه في الشِّعر؛ فإنَّه ديوانُ العربِ، أما سَمِعتم قولَ الشاعر: [الرجز]

سَنَّ لنا قومُك ضَرْبَ الأعناقْ   وقامتِ الحربُ بِنا على ساقْ)[3]

---

(١) أي: فكأنه قيل: هل فيهم كفيل بصحة ذلك القول، أو هل لهم مشارك من غيرهم يُساعدهم على صحته؟ «فتوحات» (٤/٤٠٥).

(٢) وقد نبَّه سبحانه وتعالى في هذه الآيات على نفي جميع ما يُمكن أن يتشبثوا به؛ من عقلٍ أو نقلٍ يدل عليه الاستحقاقُ أو وعدٍ أو محضِ تقليد، على الترتيب؛ تنبيهاً على مراتب النظر، وتزييفاً لِما لا سند له. «تفسير البيضاوي» (٥/٢٣٦).

(٣) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٤٦)، وفيه: (فابتغوه) بدل (فاتبعوه)، وانظر «معترك الأقران» (ص١١٥).

. . . .

حاشية الصاوي

وقال الآخرُ[١]: [الطويل]

ألا رُبَّ ساهي الطَّرْفِ مِن آل مازِنٍ إذا شمَّرَت عن ساقِها الحَربُ شَمَّرا

وقيل: المرادُ الحقيقةُ، وعليه فاختُلف؛ فقيل: يَكشف عن ساق جهنَّم، وقيل: عن ساق العرش، وقيل: يكشف لهم الحجاب، فيَرون الله تعالى؛ ففي «مسلم» عن أبي سعيد الخدري ﵁: أنَّ ناساً في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله؛ هل نرى ربَّنا يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: «هل تُضارُّون في رؤية الشمس بالظهيرة صَحْواً ليس معها سحابٌ؟ وهل تضارُّون في رؤية القمر ليلةَ البدرِ صحواً ليس فيها سحابٌ؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فما تُضارُّون في رؤيةِ الله يومَ القيامة إلَّا كما تضارُّون في رؤيةِ أحدهما؛ إذا كان يومُ القيامة.. أذَّن مؤذِّنٌ: لتتَّبعْ كلُّ أمَّةٍ ما كانت تعبدُ، فلا يبقى أحدٌ كان يعبد غيرَ الله من الأصنام والأنصاب إلَّا يَتساقطون في النار، حتَّى لا يبقى إلَّا مَنْ كان يعبد الله مِنْ برٍّ وفاجرٍ وغُبَّرِ أهلِ الكتابِ[٢]، فتُدْعَى اليهودُ فيُقال لهم: ما كنتم تَعبدون؟ قالوا: كنَّا نعبد عُزَيْرَ ابنَ الله، فيقال: كذَبْتُم، ما اتَّخذ الله مِنْ صاحبةٍ ولا ولدٍ، فماذا تَبغون؟ قالوا: عَطشنا يا ربَّنا فاسقنا، فيُشَارُ إليهم ألا تَرِدُونَ؟ فيُحْشَرُونَ إلى النَّار؛ كأنَّها سَرابٌ يَحْطِمُ بعضُها بعضاً، فيَتساقطون في النَّار.

ثمَّ يُدْعَى النَّصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدُون؟ قالوا: كنَّا نعبد المسيحَ ابنَ الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتَّخذ الله مِنْ صاحبةٍ ولا ولدٍ، فيقال لهم: ماذا تبتغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربَّنا فاسقِنا، فيُشار إليهم ألا تَرِدُون؟ فيُحْشَرون إلى جهنَّم كأنَّها سرابٌ يحطِم بعضُها بعضاً، فيتساقطون في النَّار.

حتَّى إذا لم يبق إلَّا مَنْ كان يعبدُ الله مِنْ برٍّ وفاجرٍ.. أتاهم الله في أدنى صورةٍ من التي رأَوه فيها، قال: فماذا تنتظرون؟ تَتبَعُ كلُّ أمةٍ ما كانَتْ تعبدُ، قالوا: يا ربَّنا؛ فارَقْنَا النَّاسَ في الدنيا أفقرَ ما كنَّا إليهم ولم نُصاحِبْهُم، فيقول: أنا ربُّكم، فيَقولون: نعوذ بالله منك، لا نُشرك بالله شيئاً، مرَّتين أو ثلاثاً، حتَّى إنَّ بعضهم لَيَكادُ أن ينقلبَ، فيقول: هل بينكم وبينَهُ آيةٌ فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيُكْشَفُ عن ساقٍ؛ فلا يبقى مَنْ كان يسجدُ لله مِنْ تِلقاء نفسِهِ إلَّا أَذِنَ الله له بالسجود، ولا يَبقى مَنْ كانَ يسجد اتِّقاءً ورِياءً إلَّا جعل الله ظهرَهُ طبَقةً واحدةً؛ كلَّما أراد أن يَسجد خرَّ على قَفاه،

---

(١) البيت لجرير كما في «ديوانه» (ص٢٣٠)، وفيه (سامي) بدل (ساهي).

(٢) قوله: (غبَّر أهل الكتاب): معناه: بقاياهم، جمع (غابر).

. . . .

حاشية الصاوي

ثمَّ يرفعون رؤوسَهم وقد تحوَّل في صورتِهِ التي رأَوه فيها أوَّل مرَّةٍ، فقال: أنا ربُّكم، فيَقولون: أنت ربُّنا. ثمَّ يُضْرَبُ الجسرُ على جهنَّم، وتحلُّ الشفاعةُ، ويقُولون: اللهمَّ؛ سَلِّمْ سَلِّمْ»، قالُوا: يا رسول الله؛ وما الجسرُ؟ قال: «دَحْضٌ مَزْلَقَةٌ، فيها خطاطيفُ وكلاليبُ وحسَكَةٌ تكون بنجدٍ، فيها شُوَيْكَةٌ يقال لها: السَّعدان، فيَمُرُّ المؤمنون كطَرْف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويدِ الخيل والركاب، فناجٍ مُسَلَّمٌ، ومخدوشٌ مُرْسَلٌ، ومُكَرْدَسٌ في نار جهنَّم، حتَّى إذا خَلص المؤمنون من النَّار، فوالذي نفسي بيده؛ ما من أحدٍ منكم بأشدَّ مُناشدةً لله في استيفاء الحقِّ من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين هم في النَّار، فيَقولون: ربَّنا؛ كانُوا يَصومون معنا، ويُصَلُّون ويَحُجُّون، فيقال لهم: أخرجُوا مَنْ عرفتُم، فتُحَرَّمُ صُوَرُهم على النَّار، فيُخْرِجُونَ خَلْقاً كثيراً قد أخذَتِ النَّارُ إلى نصفِ ساقِهِ، وإلى ركبتِهِ، ثمَّ يَقولون: ربَّنا؛ ما بقي فيها أحدٌ ممَّن أمرْتَنا به، فيقال لهم: ارجعوا؛ فمَن وجَدْتُم في قلبِهِ مثقالَ دينارٍ مِنْ خيرٍ. . فأخرِجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثمَّ يقولون: ربَّنا؛ لم نَذَرْ فيها أحداً ممَّن أمرتَنا به، ثمَّ يقال: ارجعُوا؛ فمَن وجدتم في قلبه مثقالَ نصفِ دينارٍ من خيرٍ. . فأخرِجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثمَّ يقولون: يا ربَّنا؛ لم نَذَرْ فيها ممَّن أمرتَنا به أحداً، ثم يقال: ارجعوا؛ فمَن وجدتم في قلبه مثقالَ ذرَّةٍ من خيرٍ. . فأخرِجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثمَّ يَقولون: يا ربَّنا؛ لم نَذَرْ فيها خيراً».

وكان أبو سعيدٍ يقول: إن لم تُصدِّقوني بهذا الحديث. . فاقرؤُوا إن شئتم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

فيقول الله عزَّ وجلَّ: «شَفَعَتِ الملائكةُ، وشَفَعَ النَّبيون، وشفع المؤمنون، ولم يَبْقَ إلَّا أرحمُ الراحمين، فيقبض قبضةً من النار، فيخرج منها قوماً لم يَعملُوا خيراً قطُّ، قد عادُوا حمماً، فيُلْقِيهِمْ في نهرٍ في أفواه الجنَّة يُقال له: نهرُ الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبَّةُ في حَميلِ السَّيْلِ[1]، ألا ترَونها تكون إلى الحجر ـ أو إلى الشجر ـ ما تكون إلى الشمس أُصَيْفِرُ أو أُخَيْضِرُ، وما يكون منها إلى الظلِّ يكون أبيَض؟ قال: فيخرجون كاللؤلؤ، في رقابهم الخواتِيم، يعرفهم أهل الجنَّة، هؤلاء

---

(١) الحِبَّةُ: بالكسر، بزور البقول، وحبُّ الرياحين، وقيل: هو نبت صغير ينبت في الحشيش، وحميل السيل هو: ما يجيء به السيل من طين أو غُثاء وغيره، فإذا اتفقت فيه حبَّة واستقرَّت على شَط مجرى السيل. . فإنَّها تنبت في يوم وليلة، فشبَّه بها سرعةَ عَوْدِ أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها.

. . . .

حاشية الصاوي

عُتَقَاءُ الله الذين أدخلهم الله الجنَّةَ بغير عملٍ عَمِلوه، ولا خيرٍ قدَّموه، ثمَّ يقول: ادخلُوا الجنَّة، فما رأيتُموه فهو لكم، فيقولون: ربَّنا؛ أعطيتَنا ما لم تُعطِ أحداً مِنَ العالمين، فيقول: لَكم عندي ما هو أفضل من هذا، فيقولون: ربَّنا؛ أيُّ شيءٍ أفضلُ مِنْ هذا؟ فيقول: رِضَايَ فلا أَسْخَطُ عليكم أبداً»[1].

تنبيه:

قولُهُ في الحديث: «أتاهم الله في أدنى صورةٍ رأَوه فيها. . . إلخ» هو من المتشابِه، يجري فيه مذهبُ السَّلف والخلف؛ فالسَّلف يقولون: يجب علينا أن نؤمنَ بها ونعتقدَ أنَّ لها معنًى يَليق بجلال الله تعالى، معَ اعتقادِنَا أنَّ الله تعالى ليس كمثله شيءٌ.

والخلفُ يُؤوِّلون الإتيانَ إمَّا بالرؤية؛ لأنَّ العادة أنَّ مَنْ غاب عن غيره لا يُمكنه رؤيتُهُ، أو بإتيان ملكٍ فيقول: (أنا ربكم) على سَبيل الامتحان، وهذا امتحان المؤمنين.

ومعنى الصورة: الصفة، فمَعنى «في أدنى صورة. . . إلخ»: في غير الصفة التي يَعرِفونه في الدنيا بها.

وقولهم: «فارقنا الناس في الدنيا أفقَر ما كنا إليهم» أي: فارقنا النَّاس من أجل توحيدك حالَ كوننا مع المفارقةِ أفقرَ من أنفسنا عند صُحبتهم، فهو إخبارٌ منهم بمزيد صبرِهم على المشاقِّ لأجل الله.

وقولهم: «نعوذ بالله منك» إنَّما استعاذُوا منه؛ لِكَونهم رأوا سماتِ المخلوق.

وقوله: «فيكشف عن ساق» مَعناه: كشف الحزن، وإزالة الرُّعب عنهم، وما كان غلب على عقولهم من الأهوال، فتَطمئنُّ حينئذٍ نفوسهم عند ذلك، ويتجلَّى لهم بالصفة التي يَعرفونها، فيخرُّون سُجَّداً، وهذه الرؤية غير الرؤية التي هي في الجنَّة؛ لكرامة أوليائه، وإنما هذه الرؤية امتحانٌ لِعباده[2].

---

(١) «صحيح مسلم» (١٨٣)، وفيه: (مزلَّة) بدل (مزلقة)، و(مكدوس) بدل (مكردس).

(٢) قال الإمام النووي في «شرح مسلم» (٣/ ٢٩): (اعلم: أنَّ هذا الحديث قد يُتوهَّمُ منه أنَّ المنافقين يرَون الله تعالى مع المؤمنين، وقد ذهب إلى ذلك طائفةٌ، حكاه بن فورك؛ لقوله ﷺ: «وتبقى هذه الأمة فيها مُنافقوها، فيأتيهم الله تعالى»، وهذا الذي قالوه باطل، بل لا يراه المنافقون بإجماع مَنْ يُعتد به من علماء المسلمين، وليس في هذا الحديث تصريحٌ برؤيتهم الله تعالى، وإنَّما فيه أنَّ الجمع الذي فيه المؤمنون والمنافقون يرَون الصورة، ثمَّ بعد ذلك يرَون الله تعالى، وهذا لا يقتضي أن يراه جميعهم، وقد قامت دلائل الكتاب والسنَّة على أنَّ المنافق لا يراه سبحانه وتعالى، والله أعلم).

وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ ....

﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ امتِحاناً لِإيمانِهِم، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ تَصِيرُ ظُهُورُهم طَبَقاً واحِداً، ﴿خَٰشِعَةً﴾ - حالٌ مِن ضَمِيرِ (يُدعَونَ) - أي: ذَلِيلةً ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ لا يَرفَعُونَها ....

حاشية الصاوي

وقوله: «وقد تحوَّل في صُورته التي رأوه فيها أوَّل مرَّة» معناه: أنَّه تحجَّب عنهم بالصفة التي رأوه فيها أوَّل مرَّة.

وقوله: «ثمَّ يضرب الجسر» معناه: الصراط، «وتَحِلُّ الشفاعة»: بكسر الحاء وضمِّها، معناه: تقع، ويُؤْذَنُ فيها.

وقوله: «دحض مزلقة» أي: طريقٌ تَزْلَقُ فيه الأقدامُ ولا تَثبت.

وقوله: «فيه خطاطيف» جمع (خُطَّافٍ)، وهو الذي يخطف الشيء، و«الكلاليبُ»: جمع كَلُّوبٍ، وهو الحديدة التي يُعلَّق بها اللحم، و«الحَسَكُ» الذي يقال له: السَّعدان: نَبْتٌ له شوكٌ عظيم من كلِّ جانبٍ.

ومعنى «الخير»: اليقين، ومعنى «قبض قبضة» أي: جمع جماعة.

وقوله: «قد عادُوا حمماً» أي: صارُوا فحماً، وقوله: «في أفواه الجنة» جمع فُوَّهَةٍ، وهي أوَّل النهر.

وقوله: «فيخرجون كاللؤلؤ» أي: في الصَّفاء.

وقوله: «في رقابهم الخواتيم» قيل: معناه: أنَّهم يُعلِّقون أشياء من ذهب أو غير ذلك ممَّا يُعرفون بها، والله أعلم.

قوله: (﴿وَيُدْعَوْنَ﴾) أي: الكفَّارُ.

قوله: (امتحاناً لإيمانهم) أي: لا تكليفاً بالسجود؛ لأنَّها ليست دارَ تكليفٍ.

قوله: (طَبَقاً واحداً) أي: عظماً واحداً.

قوله: (﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾) فاعلٌ بـ﴿خَٰشِعَةً﴾، ونَسب الخشوعَ والذلَّ إليها؛ لأنَّ ما في القلب يُعْرَفُ في العين، وفي ذلك المقام يسجد المؤمنون شكراً لله تعالى على ما أُعْطَوْهُ من النَّعيم، فيَرفعون رؤوسهم من السجود ووجوهُهُم أضوأ من الشمس، ووُجوهُ الكافرين والمنافقين سوداءُ مظلمة.

﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ٤٣ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٤ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ٤٥﴾ ....

﴿تَرۡهَقُهُمۡ﴾: تَغشاهُم ﴿ذِلَّةٌۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ﴾ في الدُّنيا ﴿إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ فلا يَأْتُون بِه بِأن لا يُصَلُّوا.

(٤٤ - ٤٥) ﴿فَذَرۡنِي﴾: دَعنِي ﴿وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ﴾: القُرآنِ ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾: نَأخُذُهم قَليلاً قَليلاً ﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٤ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ﴾: أُمهِلُهُم ﴿إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾: شَدِيدٌ لا يُطاق.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿تَرۡهَقُهُمۡ﴾) حال أخرى.

قوله: (﴿وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ﴾) أي: دعوةَ تكليفٍ، والجملة حاليَّة، وكذا قوله: ﴿وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾.

قوله: (**بألَّا يصلُّوا**) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالسجود الثاني هو الصلاة، واتَّفق المفسِّرون على أنَّ المراد بالسجود الأوَّل حقيقتُه.

قوله: (﴿فَذَرۡنِي﴾) تسليةٌ لرسول الله ﷺ، وتخويفٌ للكافرين، والمعنى: اترك أمرَ المكذبين إليَّ.. أَكْفِكَ ذلكَ.

قوله: (﴿وَمَن يُكَذِّبُ﴾) في محلِّ نصبٍ؛ إمَّا معطوفٌ على الياء في (ذرني)، أو مفعول معه، والأوَّل أرجَح، قال ابن مالك(١): [الرجز]

والعطفُ إن يُمكِنْ بِلا ضَعفٍ أحَقْ والنَّصبُ مُختارٌ لدَى ضَعفِ النَّسَقْ

قوله: (﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾) استئنافٌ مَسوقٌ لبيان كيفيَّة التعذيب المستفاد إجمالاً من قوله: ﴿ذَرۡنِي...﴾ إلخ.

قوله: (**نأخذهم قليلاً قليلاً**) أي: فالاستدراج: الأخذُ بالتدريج شيئاً فشيئاً، والمعنى: لمَّا أنعمنا عليهم.. اعتقدُوا أنَّ ذلك الإنعامَ تفضيلٌ لهم على المؤمنين، وهو في الحقيقة سببٌ لهلاكهم.

قوله: (﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ﴾) عطفٌ على ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾ عطفَ تفسيرٍ.

قوله: (﴿إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾) الكيدُ في الأصل: الاحتيال، وهو أن تفعل ما فيه نفعٌ ظاهراً وتريد به الضرَّ، وإنما سمِّي إنعامه عليهم استدراجاً بالكيد؛ لأنَّه في صُورته، فما وقع لهم من سَعة الأرزاق،

---

(١) كما في «الخلاصة» باب: المفعول معه.

أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ...

(﴿٤٦﴾ - ﴿٤٧﴾) ﴿أَمْ﴾: بَل أ﴿تَسْئَلُهُمْ﴾ على تبليغ الرِّسالةِ ﴿أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ مِمَّا يُعطُونَكَهُ ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ فلا يُؤمِنُون لِذلك، ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ أي: اللَّوحُ المَحفُوظ الذِي فِيه الغَيبُ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ مِنهُ ما يَقُولُون؟

(﴿٤٨﴾ - ﴿٥٠﴾) ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فِيهِم بِما يَشاء، ....

حاشية الصاوي

وطول الأعمار، وعافية الأبدان.. إحسانٌ ونفعٌ ظاهري فقط، والمقصودُ به مُعاقبتُهم وتعذيبُهم على ذلك.

ووصف الكيد بالمتانة؛ إشارةً إلى أنَّه لا يتأتى إفلاتُ المستدرجين مما أراده بهم، بخلاف كيد المخلوق؛ فتارةً يقع، وتارةً لا يتمكَّن منه.

قوله: (﴿أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْرًا﴾) هو في المعنى مرتبطٌ بقوله سابقاً: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ...﴾ إلخ، والمعنى: أم تَلتمس منهم ثواباً على ما تَدعوهم إليه من الإيمان بالله تعالى؟

قوله: (﴿مُّثْقَلُونَ﴾) أي: مُكلَّفون حملاً ثقيلاً.

قوله: (فلا يُؤمنون بذلك) أي: بسؤال الأجر المترتب عليه الغرم، وهو ثقيلٌ على النَّفس؛ لأنَّ شأن النفس أن تستثقل ما يُطْلَبُ منها.

قوله: (أي: اللوح... إلخ) هذا قول ابن عباس[(١)]، وقيل: الغيب هو: علمُ ما غابَ عنهم.

قوله: (ما يَقولون) أي: ما يَحكمون به ويستغنون به عن عِلمك.

قوله: (﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾... إلخ) نزَلت هذه الآية بأُحدٍ، حين فرَّ أصحاب رسول الله بإغراء المنافقين، فأراد أن يدعُوَ على الذين انهزموا.

وقيل: نزلت حين ضاقَ صدره من أهل مكة، فخرج يدعُو ثَقيفاً، فأغْرَوْا به سفهاءَهم، وصارُوا يَضربونه بالحجارة حتَّى أدمَوا قدمَهُ الشَّريفَ، فأراد أن يَدعُوَ عليهم.

فعلى الأول: تكون مَدنيَّة، وعلى الثاني: تكون مكيَّة.

---

(١) أورده القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٥٢).

وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ ....

﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ في الضَّجَر والعَجَلةِ، وهو يُونسُ علَيهِ السَّلام، ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾: دَعا ربَّه ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾: مَملُوء غمًّا في بَطنِ الحُوت، ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ﴾: أدركَه ﴿نِعْمَةٌ﴾: رَحمةٌ مِن ربِّه ﴿لَنُبِذَ﴾ مِن بَطنِ الحُوت ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾: بِالأرضِ الفَضاءِ ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ لَكنَّه رُحِمَ فنُبذ غيرَ مَذمُوم. ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِذْ نَادَىٰ﴾) ﴿إِذْ﴾: منصوب بمضاف محذوف، والتقدير: ولا يكُن حالُكَ كحالِهِ في وقت ندائِهِ.

قوله: (﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾) الجملة حالٌ من ضمير ﴿نَادَىٰ﴾.

قوله: (مَملوء غمًّا) أي: مِن أجل خوفه من الله تعالى؛ حيثُ خرج من غير إذنٍ، فظنَّ أنَّ الله آخذه بذلك، وقيل: معنى (مكظوم): محبوسٌ، ومنه قولهم: قلَّ أن يَكظِمَ غيظَهُ؛ أي: يَحبسَ غضبَهُ.

قوله: (﴿نِعْمَةٌ﴾) اختُلِفَ في المراد بها؛ فقيل: الرحمة، وهو الذي اختاره المفسِّر، وقيل: هي العصمة، وقيل: نِداؤه بقوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

قوله: (بالأرض الفَضاء) أي: الخاليةِ من النَّبات والأشجار والجبال.

قوله: (﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾) أي: مُؤاخَذٌ بذنبه، والجملة حالٌ من نائب فاعل (نبذ)، وهي محطُّ النفي المستفاد من (لولا).

قوله: (لكنَّه رُحِمَ... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿لَّوْلَآ﴾ حرفُ امتناعٍ لوجودٍ، والممتنعُ الذمُّ، والمعنى: امتَنع ذمُّه؛ لِسبق العصمة له، فاجتباه ربه وجعله من الصالحين، فيونس لم تحصل منه معصيةٌ أبداً، لا صغيرة ولا كبيرة، وإنَّما خرُوجه من بينهم باجتهادٍ منه، وعقابه من الله من باب: (حسَناتُ الأبرار سيئات المقربين)، وتقدَّم ذلك مفصَّلاً[1].

قوله: (﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾) عطفٌ على مقدَّر، والمعنى: أدركَتْهُ نعمةٌ من ربِّه فاجتباه.

---

(١) انظر (٥/٥٢١).

فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ ....

بِالنُّبوةِ ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الأنبياءِ.

(﴿٥١﴾ - ﴿٥٢﴾) ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ﴾ - بِضَمِّ الياء وفَتحها - ﴿بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ أي: يَنظُرُون إلَيك نَظراً شَدِيداً يَكادُ أن يَصرَعك ويُسقِطَك مِن مَكانِك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بِالنبوَّة) هذا مبنيٌّ على أنَّه وقتَ هذه الواقعة لم يكن نبيًّا، وإنَّما نُبِّئَ بعدها، وهو أحدُ قولين، والآخرُ: أنَّه كان نبيًّا، ومعنى (اجتباه): اختاره واصطفاه ورقَّاه مرتبةً أعلى من التي كان فيها.

قوله: (﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾) أي: الكاملين في الصلاح، قال ابن عباس: (ردَّ الله عليه الوحي، وشفَّعه في نفسه وفي قومه، وقَبِلَ توبتَهُ، وجعله من الصالحين؛ بأن أرسلَه إلى مئة ألف أو يَزيدون، فهداهم الله بسبب صَبره)[١].

قوله: (﴿وَإِن يَكَادُ﴾) (إنْ): مخفَّفة من الثقيلة، واسمها ضمير الشَّأن.

قوله: (بضمِّ الياء وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، فالضمُّ من: (أَزْلَقَ)، والفتح من: (زَلَقَ)[٢].

قوله: (﴿بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾) الباء: إمَّا للتعدية، أو السببيَّة.

قوله: (أي: يَنظرون إليك نظراً شديداً) أي: فليس المراد: أنَّهم يُصيبونه بأعينهم كما يصيب العائنُ بعينِهِ ما يُعجبه، وإنَّما المراد: أنَّهم ينظرون إليه نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء، وهذا ما مشى عليه المفسِّر.

وقيل: أرادُوا أن يُصيبوه بالعين، فنظرَ إليه قومٌ من قريشٍ المجرَّبةِ إصابَتُهُم، فعصَمه الله، وحماه من أعيُنهم، فلم تُؤثر فيه، فنزلت[٣].

وذكر العلماء: أنَّ العين كانت في بني أسد من العرب، وكان إذا أراد أحدٌ منهم أن يُصِيب أحداً في نفسه أو ماله.. جوَّع نفسه ثلاثة أيام، ثمَّ يتعرَّض لِلمَعيون، أو ماله، فيقول: ما رأيتُ أقوى منه ولا أشجعَ ولا أكبر ولا أحسَن، فيَهلك المعيون هو وماله.

---

(١) أورده القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٥٤).

(٢) قرأ نافع بفتح الياء، والباقون بضمِّها. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٤٢٠).

(٣) انظر «تفسير الماوردي» (٦/ ٣٧٧)، و«زاد المسير» (٤/ ٣٢٧).

﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٥٢﴾

﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾: القُرآنَ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حَسَداً: ﴿إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ بِسَبَبِ القُرآن الذِي جاءَ بِه، ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القُرآنُ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: مَوعِظَةٌ ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: الجِنِّ والإنسِ لا يَحدُث بِسَبَبِه جُنُونٍ.

حاشية الصاوي

وهذه الآية تنفع كتابةً وقراءةً للمعيون؛ فلا تَضرُّهُ العينُ.

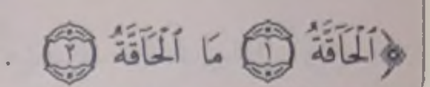
قوله: (﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾) ظرفٌ لـ(يزلقونك).

قوله: (حسَداً) أي: وبغضاً وتنفيراً عنه.

قوله: (﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾) الجملة حاليَّة من فاعل (يقولون)، مفيدةٌ لبطلانِ قولِهم، وتعجيبِ السَّامعين؛ حيث جعلُوا عِظة العالمين وتذكيرهم سبباً لجنون مَنْ أتى به، وهذا دليلٌ على خسافةِ عقلِهم[1]، وسُوءِ رأيهم؛ لأنَّ هذا القرآن لا يُدركه إلَّا مَنْ كان كاملَ العقل؛ فكيف بمن نزَل على قلبه؟!

✿ ✿ ✿

(١) كذا في الأُصول، ولعلها: (سخافة العقل) أي: سَفاهته وقِلَّة فهمه.



﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢﴾ ....



سُورَةُ الحَاقَّةِ

مَكِّيَّة، إحدى أو اثنَتانِ وخَمسُونَ آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿الْحَاقَّةُ﴾: القِيامةُ التِي يَحِقُّ فِيها ما أُنكِرَ مِن البَعث والحِسابِ والجَزاءِ، أو المُظهِرةُ لِذلك، ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ تَعظِيمٌ لِشَأنِها ـ وهو مُبتدأٌ وخَبرٌ خبرُ ﴿الْحَاقَّةُ﴾ ـ.

حاشية الصاوي

سُورَةُ الحَاقَّةِ

(مكيَّة) أي: بالإجماع.

قوله: (﴿الْحَاقَّةُ﴾) صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ، قدَّره المفسِّر بقوله: (القيامة).

قوله: (التي يَحق) من باب (ضَرَبَ) و(ردَّ) أي: يثبت ويتحقَّق، فإسنادُ التحقيق للزمان مجازٌ عقليٌّ، على حدِّ: (ليلُهُ قائمٌ)، فالمراد بها: الزمان الذي يَتحقَّق فيه ما أنكر في الدنيا من البعث وغيره، فيَصير محسوساً مُعايَناً.

قوله: (أو المُظهرة لذلك) أي: لِمَا أنكر في الدنيا، وأشار بهذا المعنى إلى أنَّ (الحاقة) اسم فاعلٍ؛ أي: المحقِّقَةُ والمظهِرَةُ، وهو إسنادٌ مجازيٌّ أيضاً، وهذان مَعنيان لـ(الحاقة) من جملة معانٍ كثيرةٍ، كلُّها مُتلازمةٌ.

قوله: (تعظيمٌ لشأنها) أي: فالمقصودُ من الاستفهام: تفخيمُ شأنها، وتعظيمُ قَدْرِها، كأنَّه قال: أيُّ شيءٍ هو لا تُحيط به العبارة، ولا تَحصره الإشارة؟ فالمقام للإضمار، ووضع الظاهر مَوضعه؛ لتأكيد هَولها وتفظيعه؛ كقوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨].

قوله: (وهما مبتدأ وخبر... إلخ) أي: إنَّ ﴿الْحَاقَّةُ﴾ مبتدأٌ أوَّل، و﴿مَا﴾: مبتدأٌ ثانٍ، و﴿الْحَاقَّةُ﴾: خبرُ الثاني، وهو وخبره خبرُ الأوَّل، والرابطُ إعادةُ المبتدأ بلفظه.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥﴾ ....

﴿٣﴾ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾: أعلَمَك ﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ زِيادة تَعظِيم لِشَأنِها ـ فـ(ما) الأُولَى مُبتَدأٌ وما بَعدها خَبَره، و(ما) الثَّانيةُ وخَبَرها في مَحَلِّ المَفعُول الثَّاني لـ(أدرَى) ـ.

(﴿٤﴾ ـ ﴿٨﴾) ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ﴾: القِيامة لِأَنَّها تَقرَعُ القُلوبَ بِأهوالِها؛ ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾: بِالصَّيحةِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾... إلخ) (ما): استفهاميَّة، وهو للإنكار؛ أي: إنَّك لا عِلمَ لك بكُنْهِها وشِدَّة عظمها.

قوله: (زيادة تعظيم) أي: إنَّ حكمة تكرار الاستفهام: زيادةُ تعظيمٍ لها وتهويلٍ لشأنها.

قوله: (وما بعدها) أي: وهو جملة ﴿أَدۡرَىٰكَ﴾.

قوله: (في مَحل المفعول الثاني) المناسب أن يقولَ: (والثالث)؛ لأنَّ (أدرى) بالهمز يتعدَّى لثلاثة؛ لأنَّه بمعنى (أعلَم).

قوله: (﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ﴾) استئنافٌ مَسُوقٌ لبيان بعض أحوال الحاقَّة.

وثمود: قوم صالحٍ، وكانت منازلهم بالحجر بين الشام والحجاز.

قوله: (﴿وَعَادُۢ﴾) هم قوم هودٍ، وكانت منازلهم بالأحقاف، وهو رملٌ بين عمان وحضرموتَ باليمن.

قوله: (لأنَّها تَقرع القلوب) أي: تُؤثِّر فيها خوفاً وفزعاً.

قوله: (﴿فَأَمَّا ثَمُودُ﴾) تفصيلٌ لما حصَل لهم في الدنيا من العذاب بسبب تكذيبهم بالقيامة.

قوله: (بالصيحة) أي: صيحة جبريل.

واعلَم: أنَّ ما نزل بثمود سمِّي في القرآن بأربعة أسماء: في (الأعراف) بالرَّجفة، وفي (هود) بالصيحة، وفي (حم السجدة) بالصاعقة، وفي هذه السورة بالطاغية، فالمراد بالرجفة: الزلزلة؛ لِتزلزل الأرض بهم عند صيحة جبريل عليهم، والصاعقة لِصَعقهم؛ أي: موتهم بها، والطاغية؛ لخروجها عن الحدِّ، وما ذكَره المفسِّر أحدُ تفاسير لـ(الطاغية)، وعليه: فالباء للآلة، وقيل: الطاغية: مصدرٌ كـ: الكاذبة والعافية، والمعنى: أُهلكُوا بطغيانهم وكفرهم، وعليه: فالباء سببيَّة، وقيل: الطاغية عاقرُ ناقةِ صالحٍ، والمعنى: أهلكُوا بِسَبب ما فعله طاغيتُهم مِنْ عقرِ النَّاقة، وإنَّما أهلكُوا جميعاً وإن كان الفاعل واحداً؛ لأنَّهم عَلِمُوا بفعله ورَضُوا به.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ ....

المُجاوِزة لِلحَدِّ في الشِّدَّة، ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾: شَديدةِ الصَّوت ﴿عَاتِيَةٍ﴾: قَوِيَّة شَدِيدةٍ على عادٍ مَع قُوَّتِهم وشِدَّتِهم، ﴿سَخَّرَهَا﴾: أرسَلَها بِالقَهرِ ﴿عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ أوَّلها مِن صُبحِ يَوم الأربِعاء لِثَمانٍ بَقِينَ مِن شَوَّال، وكانَت في عَجُزِ الشِّتاء، ﴿حُسُومًا﴾: مُتَتابِعاتٍ، شُبِّهَت بِتَتابُعِ فِعل الحاسِم في إعادةِ الكَيِّ على الدَّاء كَرَّةً بعدَ أُخرَى حتَّى يَنحَسِمَ، ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾: مَطرُوحِين هالِكِين ....

حاشية الصاوي

قوله: (المُجاوزة للحدِّ) أي: لحدِّ الصيحات من الهَول والشدَّة.

قوله: (قويَّة شديدة على عاد. . . إلخ) هذا أحد قولين في تفسير ﴿عَاتِيَةٍ﴾، والآخر: أنَّ المراد: عتَتْ على خزنتِها، فخرجت بلا كيلٍ ولا وزنٍ؛ لما في الحديث: «ما أرسل الله سفَّةً من ريحٍ إلَّا بمكيالٍ، ولا قطرةً من ماءٍ إلَّا بمكيالٍ، إلَّا يومَ عاد، ويومَ نوحٍ؛ فإنَّ الماء يومَ نوحٍ طغى على الخُزَّان، فلم يكن لهم عليه سبيلٌ، وإنَّ الريح يومَ عادٍ عتَتْ على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيلٌ»[1].

قوله: (أرسلها) أي: سلَّطها.

قوله: (أوَّلها من صبح يوم الأربعاء) أي: وآخِرُها غروب شمس يوم الأربعاء التالي للأربعاء الأوَّل، وكان الشَّهر كاملاً، فكان آخِرها هو اليوم الأخير منه.

قوله: (﴿حُسُومًا﴾) نعت لـ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾، أو حال من مفعول ﴿سَخَّرَهَا﴾ أي: ذات حُسُوم، والحَسم في الأصل: تتابع الكيِّ على الداء حتَّى تنقطعَ مادَّتُه، أُطلق عن قيده وأريد منه: مُطلقُ تتابعِ عذابٍ، فقول المفسِّر: (متتابعات) فيه إشارةٌ إلى أنَّه مجازٌ مرسلٌ علاقتُه التقييد ثمَّ الإطلاق.

قوله: (﴿فَتَرَى الْقَوْمَ﴾) أي: على فرض حُضُورك واقعتَهُم.

قوله: (﴿صَرْعَىٰ﴾) حال، جمع (صَريع)؛ كـ(قَتْلى وقَتيل)، والضمير في ﴿فِيهَا﴾ عائدٌ على الأيام والليالي، أو البيوتِ، أو الريح.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢١٠) عن سيدنا علي رضي الله عنه، وبنحوه عند أبي الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٥٠).

كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ ....

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾ أُصول ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾: ساقِطةٍ فارغةٍ، ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ ـ صِفة (نَفس) مُقدَّرة، أو التاءُ لِلمُبالغة ـ أي: باقٍ؟ لا.

(﴿٩﴾ ـ ﴿١٠﴾) ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾: أتباعُه ـ وفي قِراءة بِفَتح القاف وسُكونِ الباء ـ أي: مَن تَقدَّمَهُ مِن الأُمَم الكافِرةِ ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ أي: أهلُها، وهي قُرَى قَوم لُوطٍ ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (أصولُ ﴿نَخْلٍ﴾) أي: بلا رؤوس، فكانت الريحُ تَقطع رؤوسهم كما تقطع رؤوس النَّخل.

قوله: (فارغة) أي: من الحَشو؛ لما روي: من أنَّ الريح كانت تَدخل من أفواههم، فتُخْرِجُ ما في أجوافهم من الحَشو من أدبارِهم[١].

قوله: (﴿مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾) (مِن): زائدة في المفعول.

قوله: (لا) أشار به إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ.

قال ابن جرير: (مكثُوا سبع ليال وثمانيةَ أيام أحياء في العذاب بالريح، فلمَّا أمسَوا في اليوم الثامن ماتُوا فاحتَملتهم الريح فألقَتهُم في البحر)[٢].

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[٣].

قوله: (﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾) أي: المُنقلبات، وهي التي اقتلعها جبريل على جَناحه، ورفعها قربَ السماء، ثمَّ قلبها.

قوله: (أي: أهلُها) أشار بذلك إلى أنَّه على حذف مضافٍ، على حدِّ: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

قوله: (وهي قُرى قوم لوط) وكانت خمسةً: صنعة، وصعرة، وعمرة، ودوما، وسذوم وهي أعظمُها[٤].

---

(١) أورده الخطيب في «السراج المنير» (٤/ ٣٦٩).

(٢) أورده القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٦١) عن ابن جريج.

(٣) قرأ بكسر القاف وفتح الباء أبو عمرو والكسائي؛ أي: ومَن هو في جهته، ويُؤيده قراءة أبي موسى: (ومَن تلقاءه)، وقرأه أُبيٌّ: (ومَن تبعه)، والباقون بالفتح والسكون على أنه ظَرف. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٤٢٦).

(٤) انظر «مرآة الزمان» (١/ ٤٣٨).

فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً ....

بالفَعَلاتِ ذاتِ الخَطَأ، ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ أي: لُوطاً وغَيره ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾: زائِدةً في الشِّدَّة على غَيرِها.

(﴿١١﴾ - ﴿١٢﴾) ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾: عَلَا فوقَ كُلِّ شَيء مِن الجِبال وغَيرِها زَمَنَ الطُّوفان ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾ يَعنِي آباءَكُم إذ أنتُم في أصلابِهِم ﴿فِي الْجَارِيَةِ﴾: السَّفِينةِ التِي عَمِلَها نُوح ونَجا هو ومَن كان مَعَهُ فِيها وغَرِقَ الباقُون، ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ أي: هَذِه الفَعلةَ وهي إنجاءُ المُؤمِنِين وإهلاكُ الكافِرِين ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾: عِظةً ....

حاشية الصاوي

قوله: (ذات الخطأ) أشار بذلك إلى أنَّ (الخاطئة) صيغة نسَبٍ كـ: تامرٍ ولابنٍ.

قوله: (﴿فَعَصَوْا﴾) أي: فرعونُ ومَنْ قبلَهُ والمؤتفكاتُ.

قوله: (﴿رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾) المراد بالرسول: الجنس، وقوله: (وغيرُهُ) المراد بالغير: خصوصُ موسى على قراءة كسر القاف، وموسى ومَنْ قبلَهُ من الرسل على قِراءة فتحها.

قوله: (على غيرها) أي: من عذاب الأُمَم.

قوله: (علا فوق كلِّ شيء من الجبال... إلخ) أي: فزاد على أعلى جبل خمسةَ عشرَ ذراعاً.

قوله: (زمَن الطوفان) المناسِب أن يقول: (زمن نوح).

قوله: (يعني: آباءكم) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ المخاطبين لم يدركُوا حمل السفينة؛ فكيف يَمتنُّ الله تعالى عليهم به؟ فأجابَ: بأنَّ الكلام على حذف مُضاف؛ أي: آباءكم، وقوله: (إذ أنتُم... إلخ) ظاهرُه: أنَّه تعليلٌ لما أجاب به، وليس كذلك، بل هو جوابٌ آخَرُ،

وحاصِله: أنَّه باقٍ على ظاهره، ويُراد: حمَلناكم حال كونكم في أصلاب آبائكم الذين حُملوا، وهم أولاد نوحٍ: سام، وحام، ويافث.

قوله: (أي: هذه الفَعلة) هذا أحدُ قولَين في مرجع الضمير في (نجعلها)، وقيل: عائدٌ على السفينة، والمعنى: لنجعل السفينةَ تذكرةً وعظةً لهذه الأمَّة، فبقيت منها بقيَّةٌ حتَّى أدركها أوائلُهم.

﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ ....

﴿وَتَعِيَهَآ﴾: ولِتحفَظَها ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾: حافِظةٌ لِما تَسمَع.

(﴿١٣﴾ - ﴿١٧﴾) ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ لِلفَصلِ بينَ الخَلائِق وهي الثَّانية، ﴿وَحُمِلَتِ﴾: رُفِعَت ﴿ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا﴾: دُقَّتا ﴿دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَتَعِيَهَآ﴾) بكسر العين باتفاق السَّبعةِ، وهو منصوبٌ عطفاً على (نجعل)، وماضِيه (وعَى)، وأصل المضارع: (يَوْعِي)، حُذِفَتِ الواوُ؛ لوقوعها بين عَدُوَّتَيْها[1].

قوله: (حافظةٌ لما تَسمع) إسنادُ الحفظ للأُذن مجازٌ، وحقُّه أن يُسْنَدَ لصاحبها، والمعنى: شأنُها أن تَحْفَظَ ما ينبغي حفظُهُ من الأقوال والأفعال، وتَعملَ بمقتضاه.

قوله: (﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾... إلخ) لمَّا ذكر الله تعالى القيامةَ وأهوالها إجمالاً بقوله: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ...﴾ إلخ. اشتاقت النَّفس لتفصيلِ ذلك، ففصَّل الله تعالى بعضَه بقوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ...﴾ إلخ.

و(إذا): شرطيَّة، وجوابه قوله: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾، وقيل: قوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ﴾.

قوله: (﴿نَفۡخَةٌ﴾) نائب الفاعل، و﴿وَٰحِدَةٌ﴾ نعت مؤكِّد؛ لأنَّ (نفخة) مصدرٌ مختصٌّ دالٌّ على الوحدة، فيَصِحُّ إقامته مقام الفاعل، والممنوعُ إقامةُ المبهمِ نحو: (ضُرِبَ ضَرْبٌ)، ولم يُؤنِّثِ الفعل وهو (نُفِخَ)؛ لأنَّ التأنيث مجازيٌّ، ولِوجود الفصل.

قوله: (وهي الثانية) هذا هو الصحيح كما رُوِيَ عن ابنِ عباس؛ لأنَّ الثانية هي التي يَعقبُها الحساب والجزاء، وقيل: هي الأُولى.

قوله: (﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ﴾) أي: رَفَعَتْهَا الملائكةُ، أو الرياحُ، أو القُدرة؛ بعد خروج النَّاس من القُبور.

قوله: (دكتا[2]) أي: فُتَّتَا وصارتا كثيباً مهيلاً، وهباءً مَنثوراً.

قوله: (﴿دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾) بالنَّصب على المصدريَّة باتفاق السَّبعة، وإنَّما لم يُرْفَعْ بالنِّيابة؛ لوجود الضمير، بِخلافه في (نُفِخَ) فلم يُوجد ضميرٌ، فأُنِيب (نفخةٌ) منابَ الفاعل، فرفع باتفاق السَّبعة.

---

(١) وهما الياء المفتوحة، والكسرة.

(٢) في (ط٢): (دقتا).

فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ ....

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾: قامَت القِيامةُ، ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾: ضَعِيفة، ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ يَعنِي المَلائكةَ ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾: جَوانِبِ السَّماء ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: المَلائكةِ المَذكُورِين ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ مِن المَلائكةِ أو مِن صُفُوفِهم.

(﴿١٨﴾ - ﴿٢٤﴾) ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ لِلحِسابِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾) التنوين عوضٌ عن جملتَين محذوفتين، وهُما: (نفخ) و(حملت).

قوله: (قامَت القيامة) أي: حصَلَت ووُجِدَتْ.

قوله: (﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾) أي: انصَدعت وتفطَّرَتْ من هَولِ ذلك اليومِ.

قوله: (ضَعيفة) أي: ليس فيها تماسكٌ ولا صَلابةٌ، فتَصير بمنزلة المُهْلِ[1].

قوله: (﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾) أي: أطرافِها؛ لِينتظرُوا أمر الله لهم لِيَنزلوا، فيحيطُوا بالأرض ومَنْ عليها.

قوله: (﴿فَوْقَهُمْ﴾) حال من (العرش)، والضمير عائدٌ على الملائكة الواقفِين على الأرجاء.

قوله: (ثمانيةٌ مِن الملائكة، أو: مِن صفوفهم) هذان قولان من جملةِ أقوال خمسة، ثالثها: ثمانية آلاف، رابعها: ثمانية أجزاء من تِسعة أجزاء من الملائكة، خامسها: ثمانيةُ أجزاء من عشرة أجزاء؛ لِما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام قال: «**إنَّ حملة العرش اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة.. أمدَّهم الله تعالى بأربعة أخرى، فكانُوا ثمانيةً على صُورة الأوعال**»[2] - أي: تُيوس الجبل - «**مِن أظلافهم إلى رُكَبهم كما بين سماءٍ إلى سماءٍ**»[3].

قوله: (﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾) أي: تُسْأَلُون وتُحاسَبون، وعبَّر بذلك؛ تشبيهاً بعرض السلطانِ العسكرَ؛ لِيَنظرَ في أمرهم، فيختارَ منهم المصلِحَ للتقريب والإكرام، والمفسدَ للإبعاد والتعذيب،

---

(١) أي: النُّحاس المذاب، وتقدَّم أنه عكر الزيت الأسود، ويُطلق أيضاً على: القيح والصديد. انظر (٤/ ١٤٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٨٤) عن ابن إسحاق مُعضلاً.

(٣) رواه أبو داوود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣) عن سيدنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.
ولا يخفى أن المصنف رحمه الله تعالى قد جمَع بين الروايتين.

لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ . .

﴿لَا تَخْفَىٰ﴾ ـ بِالتَّاء والياءِ ـ ﴿مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ مِن السَّرائِر؛ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ﴾ خِطاباً لِجَماعَتِه لما سُرَّ به: ﴿هَآؤُمُ﴾: خُذُوا ﴿ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ ـ تَنازَع فِيه ﴿هَآؤُمُ﴾ و﴿ٱقْرَءُوا۟﴾ ـ ﴿إِنِّى ظَنَنتُ﴾: تيقَّنتُ ....

حاشية الصاوي

ورُوي: «أنَّ في القيامة ثلاث عرَضات: عرضتان للاعتذار والتوبيخ، والثالثة فيها تنتشر الكتب، فيأخذ الفائز كتابه بيَمينه، ويأخذ الهالك كتابه بِشماله»[١].

قوله: (﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾) حال من الواو في ﴿تُعْرَضُونَ﴾، والمعنى: لا تخفى على الله مِن سَرائركم التي كنتم تُخفونها في الدنيا وتظنُّون أنَّه لا يَطَّلع عليها، بل يذكِّركم بجميعها حتَّى تَعلموها علماً ضروريًّا.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[٢].

قوله: (﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾... إلخ) تفصيلٌ لأحوال النَّاس عند العرض.

قوله: (خطاباً لجماعتِهِ) أي: أهلِهِ وأقربائِهِ ومَنْ حوله، وإنَّما أحبَّ إظهار ذلك؛ سروراً وفرحاً لِكونه من النَّاجين.

قوله: (﴿هَآؤُمُ﴾) لها استعمالان: تكونُ اسمَ فعلٍ، فتكونُ بلفظٍ واحدٍ للمثنَّى والجمع، والمذكَّر والمؤنَّث، وتكونُ فعلاً، فتَلحقها العلامات، ومعناها على كلٍّ من الاستعمالَين: خذ، ولغة القرآن أنَّها فعلٌ، والهمزة بعدها بدلٌ من كاف الخطاب، والميمُ علامة الجمع.

قوله: (﴿كِتَٰبِيَهْ﴾) أصلُه: (كتابي) دخلت هاء السكت؛ لِتظهر فتحة الياء، وكذا في الباقي.

قوله: (تَنازع فيه... إلخ) أي: فأعمل الثاني عند البَصريين، والأوَّل عند الكوفيين، وأضمر في الآخر وحُذِفَ؛ لأنَّه فَضلة.

قوله: (﴿إِنِّى ظَنَنتُ﴾: تيقَّنت) أي: فالمراد بالظنِّ: اليقينُ، وقال ذلك تحدُّثاً بنعمة الله تعالى؛ إشارةً إلى أنَّه نجا بسَبب خوفه من يوم الحساب، وذلك أنَّه تيقَّن أنَّ الله يُحاسبه، فعمل لِلآخرة، فحقَّق الله رجاءه، وأمَّن خوفه.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٢٥)، وابن ماجه (٤٢٧٧) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) قرأ حمزةُ والكسائي بالياء التحتية؛ لأنَّ التأنيث مجازي، والباقون بالتاء. انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٧٤).

﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۝٢٤ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝٢٥﴾

﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾: مَرضِيَّة، ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا﴾: ثِمارُها ﴿دَانِيَةٌ﴾: قَرِيبةٌ يَتَناوَلُها القائِم والقاعِدُ والمُضطَجِع، فيُقالُ لَهُم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ـ حال ـ أي: مُتَهنِّئِين ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الماضِيةِ في الدُّنيا.

(﴿٢٥﴾ ـ ﴿٢٩﴾) ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا﴾ ـ لِلتَّنبيه ـ ﴿لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝٢٥﴾ . .

حاشية الصاوي

قوله: (مرضيَّة) أشار بذلك إلى أنَّ صيغة (فاعل) بمعنى (مفعول) أي: يرضى بها صاحبها ولا يَسخطُها؛ لما وردَ: «**أنَّهم يعيشون فلا يموتون أبداً، ويَصِحُّون فلا يَمرضون أبداً، ويُنعَّمون فلا يرَون بأساً أبداً**»[1].

قوله: (﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾) أي: مُرتفعةِ المكانِ والدَّرجاتِ، والأبنيةِ والأشجارِ.

قوله: (﴿قُطُوفُهَا﴾) جمع (قِطْفٍ) بكسر القاف؛ أي: المقطوف، وهو ما يَجتنيه الجاني من الثمار.

قوله: (﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾) أي: يُقال لهم ذلك. والأمر لِلامتنان[2].

قوله: (أي: مُتهنِّئين) أي: بذلك الأكلِ الطيِّبِ اللَّذيذِ الشَّهيِّ، البعيدِ عن كلِّ أذًى، السالمِ من كلِّ آفةٍ وقذرٍ؛ فلا بولَ ولا غائطَ، ولا بُصاقَ ولا مخاطَ، ولا صداعَ ولا ثِقَلَ.

قوله: (﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾) الباء: سببيَّةٌ، و(ما): مصدريَّةٌ، أو اسمٌ موصولٌ.

قوله: (الماضيَة في الدنيا) وقيل: هي أيام الصيام، والمعنى: كلُوا واشربُوا بدل ما أمسكتُم عن الأكل والشرب لوجه الله تعالى.

قوله: (﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ . . . إلخ) جرَتْ عادةُ الله تعالى في كتابه حيثُ ذكرَ أحوالَ السعداء . . يَذكرُ إثرَ ذلك أحوالَ الأشقياءِ[3].

قوله: (﴿فَيَقُولُ﴾) أي: لِمَا يرى من سوءِ عاقبتِه التي رآها.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٣٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «يُنادي منادٍ: إنَّ لكم أن تَصحوا فلا تسقموا أبداً، وإنَّ لكم أن تحيَوْا فلا تموتوا أبداً، وإنَّ لكم أن تَشبُّوا فلا تهرموا أبداً، وإنَّ لكم أن تنعَّموا فلا تبأسُوا أبداً».

(٢) وجمع الضمير مُراعاةً للمعنى؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ يتضمَّن معنى الجمع. «فتوحات» (٤/ ٤١٥).

(٣) وذكر سبحانه وتعالى المقبولَ وبدأ به؛ تشويقاً إلى حاله، وتغبيطاً بعاقبتِهِ وحسنِ حالِهِ، وأتبعه المردودَ؛ تنفيراً عن أعماله بما ذكر من قبائحِ أحواله. «السراج المنير» (٤/ ٣٧٦).

﴿وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩﴾ ....

﴿وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا﴾ أي: المَوتةَ في الدُّنيا ﴿كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾: القاطعةَ لِحَياتي بأنْ لا أُبعَثَ، ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾: قُوَّتي وحُجَّتي - وهاء ﴿كِتَٰبِيَهۡ﴾ و﴿حِسَابِيَهۡ﴾ و﴿مَالِيَهۡۜ﴾ و﴿سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ لِلسَّكت؛ تَثبُت وقفاً ووَصلاً اتِّباعاً لِلمُصحَفِ الإمامِ والنَّقل، ومِنهُم مَن حَذَفها وصلاً -.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ﴾) ﴿ما﴾: استفهاميَّة مبتدأٌ، و﴿حِسَابِيَهۡ﴾: خبرها، والجملة سدَّت مسَدَّ مفعولي ﴿أَدۡرِ﴾، والاستفهام للتعظيم والتهويل، والمعنى: ولم أدرِ عظيمَ حسابي وشدَّتَهُ.

قوله: (أي: المَوتةَ في الدنيا) والمعنى: يا ليتَ الموتةَ في الدنيا كانت القاطِعةَ لحياتي، ولم أُبْعَثْ بعد ذلك أصلاً.

قوله: (﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي﴾) ﴿مَآ﴾: نافية، والمفعولُ محذوفٌ، والمعنى: لم يُغنِ عنِّي مالي شيئاً، أو استفهامية للتوبيخ؛ أي: أيُّ شيءٍ أغنى ما كان لي من اليسار الذي مَنَعْتُ منه حقَّ الفقراء، أو تكبَّرْتُ به على عبادِ الله؟

قوله: (﴿مَالِيَهۡۜ﴾) يحتمل أنَّ ﴿مَآ﴾ اسمٌ موصولٌ، فاعل ﴿أَغۡنَىٰ﴾، والجارُّ والمجرور: صلةُ ﴿مَآ﴾، ويحتمل أنَّ (مالي) كلمةٌ واحدةٌ بمعنى المال، فاعل ﴿أَغۡنَىٰ﴾، مضافٌ لياء المتكلِّم.

قوله: (قوَّتي وحُجتي) أشار المفسِّر إلى أنَّ في السلطان تفسيرَيْنِ: أحدهما: القوَّة التي كانت له في الدنيا، والثاني: الحجَّة التي كان يحتجُّ بها على النَّاس.

قوله: (وهاء ﴿كِتَٰبِيَهۡ﴾... إلخ) (ها): مبتدأ، و(للسَّكت): خبرٌ أوَّل، وقوله: (تثبت) خبرٌ ثانٍ.

قوله: (تثبت وقفاً) أي: على القاعدة في هاء السَّكت.

قوله: (ووصلاً) هذا مخالفٌ لِقاعدة هاء السَّكت، ولمَّا كان مخالفاً.. أجاب بجوابين:

الأول: قوله: (اتِّباعاً للمصحف) أي: فلمَّا كانت ثابتةً فيه.. تثبت في النُّطق ولو في الوصل؛ اتباعاً للرَّسم.

الثاني: قوله: (والنقل) أي: واتِّباعاً للنَّقل عن النبيِّ عليه الصلاة والسلام؛ فقد ثبَت عنه ثبوتُها وصلاً، فليس لحناً؛ لأنَّ ما خرج من القواعد لا يكون لحناً إلَّا إذا لم يَثبُت، وهذا قد ثبَت عن النبيِّ، ونُقِلَ إلينا بالتواتر.

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾ . . . .

(﴿٣٠﴾ - ﴿٣٧﴾) ﴿خُذُوهُ﴾ - خِطابٌ لِخَزَنةِ جهنَّم - ﴿فَغُلُّوهُ﴾: اجمَعُوا يَدَيهِ إلى عُنُقِه في الغُلِّ، ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ﴾: النَّارَ المُحرِقة ﴿صَلُّوهُ﴾: أدخِلُوه، ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ بِذِراعِ المَلَك ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ أي: أدخِلُوه فِيها بعدَ إدخالِه النَّار - ولَم تَمنَع الفاءُ مِن تَعلُّق الفِعل بِالظَّرفِ المُتقدِّم -، . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (ومنهم) أي: القرَّاءِ السَّبعةِ، وهو حمزةُ، والعشرةِ وهو يعقوب[1].

قوله: (﴿خُذُوهُ﴾) معمولٌ لقولٍ مقدَّرٍ جوابٍ عن سؤالٍ مقدَّرٍ، تقديرُهُ: ما يُفْعَلُ به بعد ذلك؟ فقيل: يقال. . . إلخ.

قوله: (خِطاب لخزَنة جهنَّم) أي: زَبانِيَتِها، وسيأتي في (المدَّثر) أنَّ عدَّتهم تسعةَ عشرَ؛ قيل: ملكاً، وقيل: صفًّا، وقيل: صِنْفاً.

قوله: (﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ﴾) الترتيب في الزمان والرتبة؛ فإنَّ إدخاله في النار بعد غلِّه، وكذا إدخالُهُ في السلسلة بعد إدخاله النَّارَ، وكلُّ واحدٍ أشدُّ ممَّا قبله.

قوله: (﴿صَلُّوهُ﴾) أي: كرِّروا غَمْسَهُ في النَّار كالشَّاة التي تُصْلَى - أي: تُشْوَى - على النَّار مرَّةً بعد مرَّةٍ.

قوله: (﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾) بذراع المَلَكِ، وهذا قول ابن عبَّاس، قال: (فتدخل في دبره، وتخرج من منخَره)[2].

وقيل: سبعونَ ذراعاً؛ كلُّ ذراعٍ سبعون باعاً، كلُّ باعٍ أبعدُ ما بين مكَّة والكوفة، وقيل: سبعون ذراعاً؛ كلُّ ذراعٍ سبعون ذراعاً، وقيل: ليس المرادُ بالعددِ حقيقتَهُ، بل هو كنايةٌ عن عِظَمها وطولها.

قال كعب: (لو جُمِعَ حديدُ الدنيا. . ما وزنَ حَلْقَةً منها)[3] أجارنا الله منها.

وأشار سبحانه إلى ضِيق ما تحيط به من بدنه بتفسيره بالسَّلك فقال: ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ أي: أدخلوه بحيث يكونُ كأنَّه السِّلك الذي يُدخل في ثقب الخرز؛ لإحاطتها بعنقِهِ وبجميعِ أجزائِهِ.

---

(١) انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٧٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٨٩).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٧٥)، وابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٨٣).

إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ ....

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾: قَريبٌ يَنتفِع بِه، ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٍ﴾: صَدِيدِ أهل النَّار أو شَجَر فِيها، ﴿لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ﴾: الكافِرُون.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ﴾) تعليلٌ على طريق الاستئناف، كأنَّه قيل: ما باله يعذَّبُ هذا العذابَ الشَّديدَ؟ فأُجِيبَ بذلك، ولعلَّ وجه التَّخصيص لهذَين الأمرين بالذِّكر: أنَّ الكفرَ أقبحُ الأشياء، والبُخل مع قَسوة القلب يَليه.

قوله: (﴿وَلَا يَحُضُّ﴾) أي: لا يحثُّ ولا يُحرِّضُ نفسَهُ ولا غيرَهُ، وقوله: ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ أي: إطعامِهِ.

قوله: (﴿فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا﴾... إلخ) أي: في الآخِرة، و(حميم) وما عطف عليه: اسمُ (ليس)، وخبرُها الظَّرف قبله[1].

فإن قُلت: ما التوفيق بين ما هنا وبينَ قولِهِ في محلٍّ آخرَ: ﴿إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٦]، وفي موضعٍ آخرَ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٤]، وفي موضعٍ آخرَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ [البقرة: ١٧٤]؟

قُلنا: لا منافاةَ؛ إذ جميعُ ذلك طعامٌ لهم، فالحصرُ إضافيٌّ، والمنفيُّ بالحصرِ طعامٌ فيهِ نفعٌ.

قوله: (صَديد أهل النار) هو ما يجري من الجِراح إذا غُسِلَتْ.

قوله: (أو شجرٌ فيها) أي: إذا أكلوه يَغسل بطونَهم؛ أي: يُخرِجُ ما فيها من الحشوِ.

قوله: (﴿إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ﴾) العامَّة يهمزون ﴿ٱلۡخَٰطِـُٔونَ﴾[2]، وهو اسم فاعل، من: خَطِئَ يَخْطَأُ: إذا فعل غيرَ الصواب متعمِّداً، والمُخْطِئُ مَنْ يفعلُهُ غيرَ متعمِّدٍ.

---

(١) وهو إما (له)، أو (ههنا)، وأيُّهما كان خبراً تعلَّق به الآخر، أو كان حالاً من (حميم)، ولا يجوز أن يكون (اليوم) خبراً البتة؛ لأنَّه زمان، والمخبَر عنه جثَّة. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٤٣٧).

(٢) وقرأ الزهري والعتكي وطلحة والحسن: (الخاطيون) بياء مضمومة بدل الهمزة. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٤٣٩).

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠﴾ ....

(٣٨ - ٤٣) ﴿فَلَآ﴾ - زائدة - ﴿أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ مِن المَخلُوقاتِ، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ مِنها أي: بِكُلِّ مَخلُوق، ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أي: قالَه رِسالةً عن الله تعالى، ....

حاشية الصاوي

قوله: (زائدة) أي: والمعنى: أُقسم لكم يا عبادي بما تشاهدونَ من المخلوقات، وما لا تشاهدونَ... إلخ.

وإنَّما أقسم بالمخلوقات؛ لعِظَمِها وشرفِها بعِظَمِ خالقِها ومُوجِدِها؛ فالقسمُ بالمخلوقات لا مِنْ حيثُ ذاتُها، بل من حيثُ إنَّها آثارُ عظمتِهِ، ومُظهرُ صفاتِهِ سبحانَهُ وتعالى، والنَّهي عن القَسَمِ بغير الله خاصٌّ بالمخلوق، أمَّا هو سبحانه. فلَه أن يُقْسِمَ بما شاءَ على ما شاء.

وما ذكره المفسِّرُ أحدُ قولَين، والآخَر: أنَّها أصليَّة، والمعنى: أنَّ هذا الأمرَ لظهورِهِ ووُضوحِهِ غنيٌّ عن القَسَمِ، والأوَّل أوضَحُ وأَوْجَهُ.

قوله: (من المخلوقات) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (أي: بكلِّ مخلوقٍ) تفسيرٌ لمجموع قوله: ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾) هذا هو المحلُوف عليه، وكذا قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ وما بعدَهُ، والمرادُ بالرسول الكريم: محمَّد ﷺ، وَكَرَمُهُ: اجتماعُ الكمالاتِ فيه، فهو أكرمُ الخلقِ على الإطلاق.

وقيل: المراد به: جبريلُ عليه السلام، ويُؤيِّده قوله في (سورة التكوير): ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩]، وكرمُهُ: كونُهُ رئيسَ العالمِ العُلويِّ.

قوله: (أي: قالَهُ رِسالةً... إلخ) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ القرآنَ قولُ الله وكلامُهُ، فكيف يقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾؟

فأجابَ: بأنَّه قولُهُ على سبيل التبليغ، والحاصل: أنَّه يُنْسَبُ لله مِنْ حيثُ إيجادُهُ، ولجبريلَ من حيثُ تلقِّيه عن الله، ولمحمَّد من حيثُ تَلَقِّيه عن جبريل[1].

---

(١) وعبارة الإمام الرازي في «تفسيره» (٣٠/ ٦٣٣) جواباً عن السؤال: (يكفي في صدق الإضافة أدنى سبب، فهو كلام الله =

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٣﴾ ....

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ـ بِالتَّاء والياء في الفِعلَين، و﴿مَا﴾ مَزِيدة مُؤكِّدة ـ والمَعنى أنَّهم آمَنُوا بأشياءَ يَسِيرة وتَذكَّرُوها مِمَّا أتَى بِه النَّبيُّ ﷺ مِن الخَير والصِّلةِ والعَفاف، فلَم تُغنِ عَنهُم شَيئاً، بَل هو ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ﴾... إلخ) إنَّما عبَّر بالإيمان في جانب نفي الشعر، والتذكُّر في جانب نفي الكَهَانة؛ لأنَّ عدمَ مشابهةِ القرآن للشعرِ أمرٌ ظاهرٌ، لا يُنْكِرُهُ إلَّا معاندٌ كافرٌ، بخلاف مغايرتِهِ للكَهَانَةِ فإنَّها مُتوقِّفةٌ على التذكُّرِ والتدبُّرِ في أحوالِهِ ﷺ الدَّالَّةِ على أنَّه ليس بكاهنٍ.

قوله: (﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾) أي: تُؤمنون بشيءٍ قليلٍ ممَّا جاء به ممَّا يُوافق طبعَكم، وهذا ما درج عليه المفسِّرُ.

وقيل: أراد بالقلَّةِ نفيَ إيمانهم أصلاً؛ لأنَّ الإيمان بشيءٍ دونَ شيءٍ كلا إيمانَ، وذلك كقولِكَ لِمَنْ لا يَزُورك: (قلَّما تأتينا)، وأنت تُريد: لا تأتينا أصلاً.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما سبعيَّتان؛ فالأولى: لِمُناسبة ﴿تُبْصِرُونَ﴾، والثانية: التفاتٌ عن الخطاب إلى الغيبة[1].

قوله: (و«ما»: زائدة مُؤكدة) أي: لِمعنى القلَّة، و﴿قَلِيلًا﴾: صفةٌ لمصدرٍ محذوفٍ في الموضعين؛ أي: إيماناً قليلاً، وتذكُّراً قليلاً.

قوله: (ممَّا أتى به النبيُّ) (مِن): للتَّبعيض في محلِّ الحال من (أشياء)، والمعنى: حالَ كونِ تلكَ الأشياءِ اليسيرةِ بعضَ ما أتى به النبيُّ، وقوله: (من الخير) بيانٌ للأشياء اليَسيرة التي هي بعضُ ما أتى به النبيُّ، فكان المناسب للمفسِّر أن يُقدِّمه على قوله: (ممَّا أتى به النبي).

= تعالى؛ بمعنى: أنه تعالى هو الذي أظهره في اللوح المحفوظ، وهو الذي رتَّبه ونظمه، وهو كلام جبريل عليه السلام؛ بمعنى: أنَّه هو الذي أنزله من السماوات إلى الأرض، وهو كلام محمَّد؛ بمعنى: أنَّه هو الذي أظهره للخلق، ودعا الناس إلى الإيمان به، وجعَله حجة لنبوَّته).

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر بخلاف عن ابن ذكوان بالغيبة في (يؤمنون) و(يذكرون)؛ حملاً على قوله: ﴿ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾، والباقون بالخِطاب. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٤٤٢).

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ....

(﴿٤٤﴾ - ﴿٤٧﴾) ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ أي: النَّبيُّ ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ بِأن قال عنَّا ما لَم نَقُلْهُ، ﴿لَأَخَذْنَا﴾: لِنَلِنا ﴿مِنْهُ﴾ عِقاباً ﴿بِٱلْيَمِينِ﴾: بِالقُوَّةِ والقُدرةِ، ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾: نِياطَ القَلب، وهو عِرقٌ مُتَّصِل بِهِ إذا انقَطَعَ ماتَ صاحِبُه، ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ ـ هو اسمُ (ما) و﴿مِّنْ﴾ زائِدة لِتأكِيدِ النَّفي، و﴿مِنكُم﴾ حالٌ مِن ﴿أَحَدٍ﴾ ـ ﴿عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾: مانِعِين ـ خَبَر

حاشية الصاوي

والمراد بالخير: الصَّدقة، وبالصِّلة: صِلة الأرحام، وبالعفاف: الكفُّ عن الزنا، وإنَّما آمنُوا بهذه الأشياء؛ لموافقتِها طِباعَهُمْ.

قوله: (﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾) أي: تكلَّفَ التَّقوُّلَ.

قوله: (﴿بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾) إمَّا جمعُ (أَقْوَالٍ)، وهو جمعُ (قَوْلٍ)، أو جمعُ (أُقْوُولَةٍ) كـ: (أَعَاجِيبَ) جمعُ (أُعْجُوبَةٍ)؛ فعلى الأول: (أقاويل) جمع الجمع، وعلى الثاني: جمعٌ فقط، والمعنى: لو نَسب إلينا قولاً لم نَقُلْهُ أو لم نَأذن له به في قولِهِ.. لأخذنا... إلخ.

قوله: (لَنِلْنَا) فسَّر الأخذَ بالنَّيْلِ؛ لتعديتِهِ بالجارِّ، وعليه: فـ(مِنْ) والباءُ غيرُ زائدتَيْنِ، والمعنى: لَنِلْنَا منه بالقوَّة والقدرة، فاليمينُ كنايةٌ عن القوَّة والغلبة، و(أل) عوضٌ عن المضاف إليه؛ أي: يَمين الله.

ويصحُّ أنَّ المراد باليَمين: الجارحةُ، والباءُ زائدةٌ، والمعنى: لأخذنا منه يمينَهُ، كما يُفْعَلُ بالمقتول صبراً، يُؤخذ بيمينِهِ، ويُضْرَبُ بالسَّيفِ في عُنقِهِ مواجهةً.

قوله: (وهو عِرْقٌ متَّصل به... إلخ) هذا قولُ ابن عبَّاس والجمهور، وقيل: الوتين هو: القلبُ ومَرَاقُّهُ وما يَليه[1]، وقيل: هو عرقٌ بين العُنق والحلقوم، وقيل: هو كنايةٌ عن إماتَتِه، والمعنى: لو كذب علينا.. لأمَتْنَاه، فكان كمن قُطِعَ وَتِينُهُ.

قوله: (﴿عَنْهُ﴾) أي: عن عِقابه، فهو على حذفِ مضافٍ.

قوله: (﴿حَٰجِزِينَ﴾) مفعوله محذوفٌ؛ أي: حاجِزين لنا.

---

(١) المراقُّ: المواضع التي تَرِقُّ جلودها من الجسم.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

(ما)، وجُمِع لِأنَّ (أحَداً) في سِياق النَّفي بِمَعنَى الجَمع ـ وضَمِيرُ ﴿عَنْهُ﴾ لِلنَّبيِّ ﷺ، أي: لا مانِعَ لَنا عَنهُ مِن حيثُ العِقاب.

(﴿٤٨﴾ - ﴿٥٢﴾) ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم﴾ أيُّها النَّاس ﴿مُّكَذِّبِينَ﴾ بِالقُرآنِ ومُصَدِّقِين، ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إذا رَأوا ثَوابَ المُصَدِّقِين وعِقابَ المُكَذِّبِين بِه، ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: اليَقِينُ الحقُّ؛ ﴿فَسَبِّحْ﴾: نَزِّهْ ﴿بِٱسْمِ﴾ ـ الباءُ زائِدة ـ ﴿رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ سُبحانَه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ﴾) هذا وما بعده معطوفٌ على جواب القسَم، فهو من جملة المقسَمِ عليه.

قوله: (﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾) خصَّهم بالذكر؛ لأنَّهم المنتَفعون به.

قوله: (﴿أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾) أي: فنُمْهِلُهُمْ ثمَّ بعد بعثِهم نجازيهم على تكذيبِهم، وقوله: (ومُصدقين) أشار بذلك إلى أنَّ في الآية حذفَ الواوِ مع ما عطَفت.

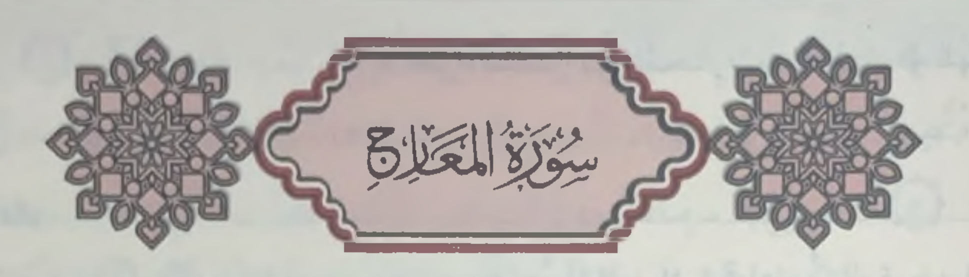
قوله: (أي: لِليقين الحقِّ) أشار بذلك إلى أنَّه من إضافة الصفة للمَوصوف، والمعنى: مَنْ تمسَّك به وعمل بِمُقتضاه.. صار من أهلِ حقِّ اليقين.

قوله: (زائدة) أي: لفظ ﴿بِٱسْمِ﴾ زائد، والمعنى: نَزِّه ربَّكَ العظيمَ واشكُره على ما أعطاك من النِّعَم العظيمةِ، ولا تَلتفت لهم ولا لكيدِهم[1].

✿ ✿ ✿

(١) ويجوز أن تكون الباء للحال؛ أي: فسبِّح ملتبساً باسم ربك، أو متبركاً، ويجوز أن تكون الباء للتعدية بناءً على أنَّ (سبِّح) يتعدَّى تارةً بنفسه، وتارة أخرى بحرف الجر، وتقدَّم للمصنف رحمه الله في (سورة الواقعة): (أنَّ ما مشى عليه المفسِّر من زيادة لفظ «اسم» أحدُ قولين، والآخرُ: أنَّه ليس زائداً، بل كما يجب تعظيم الذات وتنزيهها عن النقائص.. كذلك يجب تعظيم الاسم وتنزيهه عن النقائص؛ ولذا قال الفقهاء: مَنْ وجد اسم الله تعالى مكتوباً في ورقةٍ وموضوعاً في قذَر وتركه.. فقد كفر؛ وذلك لأنَّ التهاون بأسماء الله كالتهاون بذاته؛ لأنَّ الاسم دالٌّ على المسمَّى، وهذا هو الأتمُّ).

﴿سَأَلَ سَآئِلٌ ....



مَكيَّة، أربعٌ وأربَعون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾: دعَا داعٍ ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ المَعَارِجِ

وتسمَّى سورةَ (سأل سائل).

قوله: (مكيَّة) أي: إجماعاً.

قوله: (﴿سَأَلَ﴾) بالهمز، والألف، قراءتان سبعيَّتان؛ فالهمز هو الأصل، من السؤال وهو الدعاء، وأمَّا قراءة الألف.. فيحتمل أنَّها بمعنى قراءة الهمزة غيرَ أنَّه خفَّف بقلب الهمزة ألفاً، أو الألف مُنقلبة عن واو؛ كـ: (خاف يخاف)، والواو مُنقلبة عن الهمزة، أو من السيلان فالألف منقلبة عن ياء، والمعنى: سالَ سائلٌ؛ أي: وادٍ في جهنَّم[1].

وأمَّا ﴿سَآئِلٌ﴾.. فبالهمز لا غير؛ لأنَّ العين إذا أعلَّت في الفعل تُعَلُّ في اسم الفاعل أيضاً، وقد أُعِلَّت بالقلب همزةً كـ: قائل، وبائع، وخائف.

واعلَم: أنَّ مادَّة السؤال تتعدَّى لمفعولين، يجوز الاقتصار على أحدهما، ويجوز تعديتُهُ بحرف الجرِّ، وحينئذٍ فيكونُ التَّقدير هنا: سأل سائلٌ اللهَ ـ أو النبيَّ ـ عذاباً واقعاً.

قوله: (دعا داعٍ) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿سَأَلَ﴾ من السؤال، وهو الدعاء، ولمَّا ضُمِّنَ معناه.. تعدَّى تعديتَهُ، ويصحُّ أنَّ الباء زائدةٌ للتوكيد؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ [مريم: ٢٥]، ويصحُّ أنَّ الباء بمعنى (عن).

---

(١) قرأ نافع وابن عامر بألف مَحضة، والباقون بهمزة محقَّقة. انظر «الدر المصون» (١٠/٤٤٧).

بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ ....

﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ هو النَّضرُ بن الحارِث، قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ...﴾ الآيةَ [الأنفال: ٣٢]، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾) أي: سيَقع، وعبَّر بذلك؛ إشارةً لتحقُّق وقوعه إمَّا في الدنيا وهو عذابُ يومِ بدرٍ؛ فإنَّ النَّضر قتل يومئذٍ صبراً، وإمَّا في الآخرة وهو عذابُ النَّار.

قوله: (﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾) اللام للتعليل، والتقدير: نازل من أجلِ الكافرين، أو بمعنى (على) أي: واقعٍ على الكافرين.

قوله: (﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾) إمَّا نعتٌ آخرُ لـ(عذاب)، أو حالٌ منه، أو مستأنفٌ.

قوله: (هو النَّضر بن الحارث) هذا قول ابن عبَّاس، وقيل: هو الحارث بن النُّعمان، وذلك أنَّه لمَّا بلغه قولُ النبي ﷺ لعليٍّ: «مَنْ كُنْتُ مولاه فعليٌّ مَولاه»[1].. ركب ناقتَه، فجاء حتَّى أناخ راحلتَه بالأبطح وقال: يا محمَّد؛ أمرتَنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّكَ رسول الله، فقَبلناه منك، وأن نحجَّ، فقَبلناه منك، وأن نصوم شهر رمضان في كلِّ عامٍ، فقَبلناه منك، ثمَّ لم ترضَ حتى فضَّلتَ ابنَ عمِّك علينا؛ أفهذا شيءٌ من عندك أم من الله تعالى؟ فقال النبي ﷺ: «**والذي لا إله إلا هو؛ ما هو إلا من الله**»، فولَّى الحارث وهو يقول: اللهمَّ؛ إن كان ما يقول محمَّدٌ حقًّا.. فأمطِر علينا حجارةً من السماء، فوالله؛ ما وصل إلى ناقته حتَّى رماه الله بحجرٍ، فوَقع على دماغه، فخرج مِن دُبُره، فقتَله، فنزلت[2].

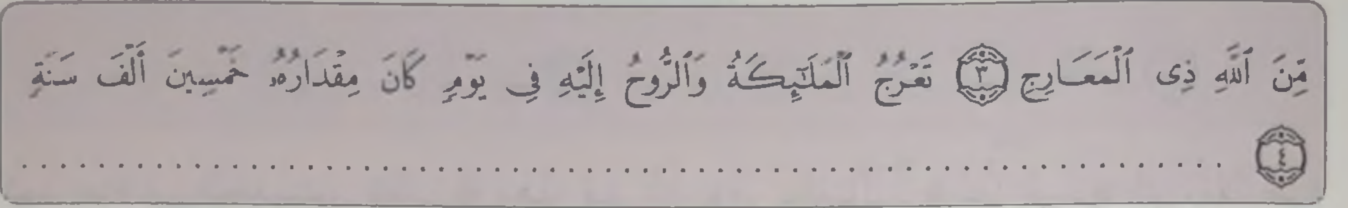
وقيل: هو أبو جهل، وقيل: جماعةٌ من كفَّار قريش، وقيل: هو نوح عليه السلام؛ سأل العذاب على كُفَّار قومه.

قوله: (قال: اللهمَّ... إلخ) أي: استهزاءً وإيهاماً أنه على بَصيرة؛ حيث جزم بِبُطلانه.

---

(١) رواه الترمذي (٣٧١٣) عن سيدنا حذيفة بن أسيد، أو زيد بن أرقم رضي الله عنهما، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٣٤٣)، وابن ماجه (١٢١) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) انظر سبب النزول في «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٧٨)، و«السراج المنير» (٤/ ٣٨٠)، وقال العلامة الآلوسي في «روح المعاني» (١٥/ ٦٢) بعد أن ساق الخبر: (وأنتَ تعلم أن ذلك القول منه عليه الصلاة والسلام في أمير المؤمنين كرَّم الله تعالى وجهه كان في غَدير خُم، وذلك في أواخر سني الهجرة؛ فلا يكون ما نزل مكيًّا على المشهور في تفسيره).



﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ - مُتَّصِل بِـ﴿وَاقِعٍ﴾ - ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾: مَصاعِد المَلائكةِ وهي السَّماواتُ.

(﴿٤﴾ - ﴿٥﴾) ﴿تَعْرُجُ﴾ - بِالتَّاءِ واليَاءِ - ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾: جِبريلُ ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى مَهبِط أمرِه مِن السَّماء ﴿فِى يَوْمٍ﴾ - مُتعلِّق بِمَحذُوفٍ - أي: يَقَع العَذابُ بِهِم في يَوم القِيامةِ، ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ بِالنِّسبةِ إلى الكافِرِ لِما يَلقَى فِيه مِن الشَّدائِد، وأمَّا المُؤمِنُ فيَكُون علَيهِ أخفَّ مِن صَلاةٍ مَكتُوبة يُصلِّيها في الدُّنيا ....

حاشية الصاوي

قوله: (متَّصل بـ﴿وَاقِعٍ﴾) أي: متعلِّقٌ به، وعليه: فجملة ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ معترضةٌ بينَ العامل والمعمول إن جُعلَتْ مستأنفةً، وأمَّا إن جُعِلَتْ صفةً لـ(عذابٍ) .. فليسَت اعتراضيَّةً.

قوله: (﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾) أي: صاحبِها وخالقِها؛ فليس لغيره مَدخلٌ فيها.

قوله: (مَصاعد الملائكة) أشار بذلك إلى أنَّ العروج بمعنى: الصعود، و﴿ٱلْمَعَارِجِ﴾: جمع (مَعْرَجٍ) بفتح الميم، وهو مَوضع الصُّعود، وما مشى عليه المفسِّر أحدُ أقوال، وقيل: المراد: معارجُ المؤمنين في دار الثوابِ وهي الجنَّة، وقيل: معارجُ الأعمال الصالحة؛ فإنَّها تتفاوت بحسَب الإخلاص والآداب ونحوِ ذلك.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[١].

قوله: (جبريل) أشار بذلك إلى أنَّ عطف (الروح) على ما قبله عطفُ خاصٍّ على عامٍّ.

قوله: (إلى مَهْبِطِ أَمْرِهِ) بكسر الباء بوزن (مَسجد)، وهو جوابٌ عن سؤال مقدَّرٍ، تقديره: إنَّ ظاهر الآية يَقتضي أنَّ الله تعالى في مكانٍ، والملائكة يَصعدون إليه، فأجاب: بأنَّ الكلام على حذف مضافٍ؛ أي: إلى محلِّ هبوطِ أمرِهِ، وهو السَّماء.

قوله: (متعلِّق بمحذوف) أي: دلَّ عليه ﴿وَاقِعٍ﴾.

قوله: (لما يَلْقَى فيه من الشَّدائد) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام من بابِ التمثيل والتخييل، فليس المرادُ حقيقةَ العدد، بل المرادُ: أنَّه يَطول على الكافر؛ لما يلقى فيه من الشدائد؛ فتارةً يمثَّل بالألفِ،

(١) قرأ الكسائي بالياء التحتية، والباقون بالتاء الفوقية. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٤٥٠).

﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨﴾ .....

كما جاءَ في الحَديث، ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ وهذا قبلَ أن يُؤمَرَ بِالقِتالِ، ﴿صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ أي: لا جَزَعَ فِيه.

(٦ - ١٠) ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ﴾ أي: العَذابَ ﴿بَعِيدٗا﴾ غيرَ واقِع، ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا﴾: واقِعاً لا مَحالةَ. ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ﴾ ـ مُتعلِّق بِمَحذُوفٍ أي: يَقَع ـ ﴿كَٱلۡمُهۡلِ﴾: كذائِبِ الفِضَّة،

حاشية الصاوي

وبالخمسين ألفاً؛ كنايةً عن عظم الشدائد، أو يقال: يمثَّل بالخمسين ألفاً في حقِّ قومٍ من الكفَّار، والألفِ في حقِّ قومٍ آخرَ منهم[1]، وحينئذٍ: فلا مُنافاةَ بينَ ما هنا وآيةِ (السجدة)[2]، وقيل: خمسون ألفاً حقيقةً؛ لما وردَ: «أنَّ مواطن الحساب خمسون موطناً، يُحْبَسُ الكافرُ في كلِّ مَوطن ألفاً»[3].

قوله: (كما جاء في الحديث) أي: وهو ما رواه أبو سعيد الخدريُّ أنَّه قيل لرسول الله ﷺ: ﴿يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾؛ فما أطوَل هذا اليوم؟! فقال: «**والذي نفسي بيَده؛ إنَّه لَيَخِفُّ على المؤمن حتَّى يكونَ أخفَّ عليه مِنْ صلاةٍ مكتوبةٍ يُصلِّيها في الدنيا**»[4].

قوله: (﴿فَٱصۡبِرۡ﴾) مُفرَّع على قوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾؛ لأنَّه سأل على سبيل الاستهزاء، والمعنى: اصبر على استهزاء قومك، ولا تَضجر منه، فهو تسليةٌ له ﷺ.

قوله: (هذا قبل أن يؤمر... إلخ) أي: فهو منسوخٌ بآية القتال.

قوله: (﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ﴾) أي: يَعتقدونه.

قوله: (﴿وَنَرَىٰهُ﴾) أي: نَعلمه، والنُّون للمتكلِّم المعظِّم نفسَهُ، وهو الله تعالى.

قوله: (متعلِّق بمحذوف) أي: دالٌّ عليه ﴿وَاقِعٖ﴾.

قوله: (كذائب الفضة) وقيل: المُهْلُ: دُرْدِيُّ الزَّيتِ[5].

---

(١) قوله: (آخر) كذا في الأصول؛ مُراعاةً للفظ (قوم).

(٢) في قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.

(٣) أورده البغوي في «تفسيره» (٨/ ٢٢١).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨/ ٢٤٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٣٤).

(٥) دُرْدِيُّ الزَّيت: عَكَرُهُ.

وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ ....

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾: كالصُّوفِ في الخِفَّة والطَّيَرانِ بِالرِّيح، ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾: قَرِيبٌ قَرِيبَه لِاشتِغالِ كُلٍّ بِحالِه.

(﴿١١﴾ - ﴿١٤﴾) ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي: يُبصِرُ الأحماءُ بَعضُهم بَعضاً ويَتَعارَفُون ولا يَتكلَّمُون، ـ والجُملةُ مُستَأنَفة ـ ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾: يَتمنَّى الكافِر ﴿لَوْ﴾ ـ بِمَعنَى (أنْ) ـ ﴿يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ﴾ ـ بِكَسر الميمِ وفَتحِها ـ ﴿بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ﴾: زَوجَتِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (كالصُّوف) أي: مطلقاً، وقيل: بقَيد كونِهِ أحمرَ، أو مصبوغاً ألواناً، وهذه الأقوال في معنى (العهن) في اللغة.

قوله: (﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ﴾... إلخ) القرَّاء السَّبعة على بناءِ ﴿يَسْـَٔلُ﴾ للفاعل، و﴿حَمِيمًا﴾: مفعول أوَّل، والثَّاني محذوفٌ، تقديرُهُ: شفاعةً، وقال أبو جَعفر من العشرة بِبِنائه للمفعول، و﴿حَمِيمٌ﴾ نائب الفاعل، و﴿حَمِيمًا﴾: إمَّا مفعولٌ ثانٍ على حذف مضاف؛ أي: إحضارَهُ، أو منصوبٌ على نزع الخافض؛ أي: عن حميم[1].

قوله: (﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾) جمع الضميرين؛ نظراً لمعنى الحمِيمين؛ لأنَّهما نكرتان في سياق النفي، يَعُمَّان سائر الأقارب.

قوله: (والجملة مستأنفة) أي: استئنافاً بيانيًّا واقعاً في جوابِ سؤالٍ مقدَّرٍ، نشأ من قوله: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾، تقديره: إنَّ عدم السؤال ربَّما يكون لعدم رُؤيته، فأجاب: بأنَّهم يَعرفون بعضهم، وينظرون إلى بعضهم، غيرَ أنَّ كلَّ أحدٍ مشغولٌ بحاله، فلا يُمكنه السؤالُ لذلك[2].

قوله: (بمعنى «أن») أي: المصدريَّةِ، فلا جواب لها، بل ينسبكُ منها وممَّا بعدها مصدرٌ، مفعول لـ﴿يَوَدُّ﴾، أي: يودُّ افتداءَهُ.

قوله: (بكسر الميم) أي: على الإعراب، وقوله: (وفتحها) أي: على البناء، والقراءتان سبعيَّتان[3]، والتنوينُ عوضٌ عن جُمَلٍ متعدِّدةٍ، والمعنى: يوم إذ تكون السماء كالمُهل... إلخ.

---

(١) انظر «الدر المصون» (١٠/ ٤٥٤).

(٢) وقيل: الجملة في موضع الصفة لـ(حميماً) أي: حميماً مبصَّرين معرَّفين إياهم. انظر «الكشاف» (٤/ ٦١٠).

(٣) قرأ نافع والكسائي بفتح الميم، والباقون بكسرها. انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٨٣).

وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ....

﴿وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ﴾: عَشِيرَتِه لِفَصلِه مِنها ﴿ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ﴾: تَضُمُّه، ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ ذلك الافتداءُ ـ عَطفٌ على ﴿يَفْتَدِي﴾ ـ.

(﴿١٥﴾ - ﴿١٨﴾) ﴿كَلَّآ﴾ ـ رَدٌّ لِما يَوَدُّهُ ـ ﴿إِنَّهَا﴾ أي: النَّار ﴿لَظَىٰ﴾: اسمٌ لِجَهنَّم لِأنَّها تَتلظَّى ـ أي: تَتلهَّب ـ على الكُفَّار، ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾: جَمع شَواةٍ وهي جِلدةُ الرَّأس، ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمانِ بِأن تَقُولَ: إليَّ إليَّ، ﴿وَجَمَعَ﴾ المالَ ﴿فَأَوْعَىٰ﴾: أمسَكَهُ في وِعائِه ولَم يُؤَدِّ حقَّ الله مِنهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (لفصله منها) أي: فهي (فَعِيلة) بمعنى (مَفعولة) أي: مفصول منها، والفصيلة؛ قيل: الآباء الأقربون، وقيل: الفخذ، وقيل: العشيرة.

قوله: (تضمُّه) أي: في النَّسب، وعند الشدَّة.

قوله: (﴿كَلَّآ﴾) يحتمل أن تكون هنا بمعنى (حقًّا)، فالكلام تمَّ عند قوله: ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾، ويحتمل أن تكون بمعنى (لا) النَّافيةِ، فالكلام تمَّ عليها.

قوله: (أي: النَّارَ) إنَّما عاد الضمير عليها وإن لم يتقدَّم لها ذكرٌ؛ لِدلالة لفظ (العذاب) عليها.

قوله: (﴿لَظَىٰ﴾) خبر (إنَّ)، و﴿نَزَّاعَةً﴾: خبرٌ ثانٍ[1].

قوله: (اسم لجهنَّم) أي: منقولٌ؛ إذ هو في الأصل: اللَّهب، جُعل علماً عليها، ومُنع من الصرف؛ لِلعَلميَّة والتأنيث.

قوله: (جمع «شَوَاةٍ») أي: كـ: (نَوًى ونَوَاةٍ).

قوله: (وهي جلدة الرأس) أي: وقيل هو جِلد الإنسان، ومعناه: قَلَّاعة للجلد، وكلما قُلِعَتْ عادَتْ.

قوله: (بأن تقول: «إليَّ إليَّ») أي: ثمَّ تَلتقطهم التقاط الطَّائر للحبِّ.

---

(١) على قراءة الرفع، وهي قراءة العامَّة سوى حفص، وأما قراءته.. فبالنصب على الاختصاص أو الحال المؤكِّدة والمستقلة على أنَّ ﴿لَظَىٰ﴾ مُتلظية. انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٨٣).

إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ....

(﴿١٩﴾ - ﴿٢٥﴾) ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ ـ حالٌ مُقدَّرة ـ وتَفسِيرُه: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ وقتَ مَسِّ الشَّرِّ، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ وقتَ مَسِّ الخير أي: المالِ لِحَقِّ الله مِنهُ، ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ أي: المُؤمِنين ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾: مُواظِبُون، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾) (أل) فيه للجنس؛ أي: حقيقةَ الإنسانِ وجنسَهُ والأصلَ فيه، وسمِّي بذلك إمَّا لأُنسِهِ بنَفسه وجنسِهِ، أو لِنسيانِهِ حقوقَ ربِّهِ.

قوله: (حالٌ مقدَّرة) أي: لأنَّه ليس متصفاً بذلك وقتَ خلقِهِ، ولا وقتَ ولادتِهِ.

قوله: (وتفسيرُهُ) أي: الهلوعِ، وهو مستنَدُ اللُّغويِّين في قولهم: (الهَلَعُ فحش الجزع)[1]، مع شدَّةِ الحرصِ، وقلَّةِ الصَّبرِ، والشحِّ بالمال، والسُّرعةِ فيما لا ينبغي.

قوله: (وقت مسِّ الشَّرِّ) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿إِذَا﴾ معمولةٌ لـ﴿جَزُوعًا﴾، وكذا ما بعده، ونصب ﴿جَزُوعًا﴾ و﴿مَنُوعًا﴾ إمَّا حالان من ضمير ﴿هَلُوعًا﴾، أو خبران لـ(كان) المحذوفة؛ أي: إذا مسَّهُ الشَّرُّ كان جزوعاً، وإذا مسَّه الخير كان منوعاً، أو نعتان لـ﴿هَلُوعًا﴾.

قوله: (أي: المال) أي: وغيرُهُ من جميع ما أنعَم الله به عليه؛ بألَّا يَصرفَهُ في طاعة ربِّه.

قوله: (﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾) استثناءٌ من ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾، وتقدَّم أنَّ المراد به الجنسُ؛ فالاستثناء متَّصلٌ.

قوله: (أي: المؤمنين) فسَّر ﴿ٱلْمُصَلِّينَ﴾ بـ(المؤمنين)؛ لأنَّ الصلاة الشرعيَّة تستلزم الإيمانَ، وليكون لقولِه: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ معنًى، وإلَّا.. كان ضائعاً.

واعلَم: أنَّه ذكر الصَّلاة ثلاثاً، فأراد بها أوَّلاً: الإيمانَ، وثانياً: المداومةَ عليها ولو قضاءً، وثالثاً: المحافظةَ عليها في خصوص أوقاتها.

قوله: (مُواظبون) أي: لا يتركونها أداءً ولا قضاءً، بل يَفعلونها ولو خارجَ الوقتِ، فهذا راجعٌ للصلاة في نفسها، وما يأتي راجعٌ لِوصفها.

---

(١) انظر «القاموس المحيط» (ص٧٧٦)، مادة (هـ ل ع)، وفيه: (أفحش) بدل (فحش).

وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ ....

﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ هو الزَّكاةُ ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾: المُتعفِّف عن السُّؤالِ فيُحرَم.

(﴿٢٦﴾ - ﴿٣١﴾) ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: الـجـزاءِ، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾: خائفُون، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ نُزولُه، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ مِن الإماءِ ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾: المُتجاوِزُون الحَلالَ إلى الحَرام.

(﴿٣٢﴾ - ﴿٣٥﴾) ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ وفي قِراءةٍ بِالإفرادِ: ما ائتُمِنُوا علَيهِ مِن أمرِ الدِّين

حاشية الصاوي

قوله: (فيُحرَمُ) أي: لكونِهِ يُظَنُّ غنيًّا، على حدِّ: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾) أي: يُؤمنون به، ويجزمون بِحصوله، فيَستعدُّون له بالأعمال الصالحة.

قوله: (﴿غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾) أي: لا ينبغي لأحدٍ أن يأمَنَهُ وإن بلغ في الطَّاعةِ ما بلغ، فالمطلوبُ من الشخص أن يغلِّبَ في حالِ صحتِهِ الخوفَ، وفي حالِ مرضِهِ الرَّجاءَ.

قوله: (﴿لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾) أي: عن المحرَّمات.

قوله: (مِن الإماء) بيانٌ لـ(ما)، ولشَبَهِهِنَّ بغير العاقل عبَّر عنهنَّ بـ(ما) التي لغير العاقل[1].

قوله: (﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾) أي: طلب الاستمتاع بغير النِّكاح وملكِ اليمين.

قوله: (المُتَجاوزون الحلالَ إلى الحرامِ) دخل في هذا حُرمةُ وطءِ الذكورِ والبهائمِ، والزِّنا.

قوله: (وفي قراءةٍ بالإفراد) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[2].

---

(١) وجه الشبه: جرَيان التصرف عليهن، على أن استعمال (ما) للعاقل جريٌ على خلاف الغالب، وهو استعمال كثيرٌ لا يحتاج معه إلى تأويل. انظر «الفتوحات» (٤/ ٤٤٤).

(٢) قرأ ابن كثير بغير ألف بعد النون على الإفراد، والباقون بالألف على الجمع. انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٨٦).

﴿وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ۝٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ۝٣٥ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ۝٣٦﴾ ....

والدُّنيا، ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ المَأخُوذ علَيهِم في ذلكَ ﴿رَٰعُونَ﴾: حافِظُون، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ﴾ - وفي قِراءة بِالجَمعِ - ﴿قَآئِمُونَ﴾: يُقِيمُونَها ولا يَكتُمُونَها، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ بِأدائِها في أوقاتِها، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾.

(﴿٣٦﴾ - ﴿٣٨﴾) ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ﴾: نَحوَكَ ﴿مُهْطِعِينَ﴾ - حالٌ - أي: مُدِيمِي النَّظَر،

حاشية الصاوي

قوله: (المأخوذِ عليهم في ذلك) أي: فيما ائتُمِنُوا عليه من أمر الدِّين والدُّنيا، فالعهدُ إمَّا من الله، أو مِن المخلوق، فالواجبُ حفظُهُ وعدمُ تضييعِهِ.

قوله: (وفي قراءةٍ بالجمع) أي: وهي سبعيَّةٌ أيضاً[١].

قوله: (ولا يكتمونها) أي: بل يؤدُّونها ولو كانت تَنفع العدوَّ، وتضرُّ الحبيبَ؛ فلا يخافون في الله لومةَ لائمٍ.

قوله: (بأدائها في أوقاتها) أشار بذلك لِلفرق بين قوله فيما سبق: ﴿دَآئِمُونَ﴾ وقوله هنا: ﴿يُحَافِظُونَ﴾، وحكمةُ تكرارِ ذكرِ الصلاة: الإشارةُ إلى أنَّها أعظمُ من غيرها؛ لأنَّها عمادُ الدِّين، مَنْ أقامها فقد أقام الدين، ومَنْ هدَمها فقد هدم الدِّينَ.

قوله: (﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) (ما): مبتدأ، و﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: خبرُه، والمعنى: أيُّ شيءٍ ثبت لهم وحملَهم على نظرِهم إليكَ والتَّفرُّقِ.

قوله: (﴿قِبَلَكَ﴾) حالٌ، وكذا قوله: ﴿مُهْطِعِينَ﴾، و﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾، فالأربعة أحوالٌ من الموصول[٢].

قوله: (أي: مُديمي النَّظر) أي: أو مُسرعين، فالإهطاعُ: إدامةُ النَّظرِ، والإسراعُ.

قوله: (﴿عِزِينَ﴾) جمع (عِزَة)، وهي الجماعة، واختلفُوا في لامِ (عزة)؛ فقيل: هي واوٌ،

---

(١) قرأ حفص: ﴿بِشَهَٰدَٰتِهِمْ﴾ جمعاً؛ اعتباراً بتعدد الأنواع، والباقون بالإفراد؛ إذ المرادُ الجنسُ. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٤٦٠).

(٢) أي: مع قوله: ﴿عِزِينَ﴾، وقوله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ يجوز أن يتعلق بـ﴿عِزِينَ﴾؛ لأنه بمعنى: متفرقين، وأن يتعلَّق بـ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: مُسرعين عن هاتين الجهتين. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٤٦٠).

عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ ....

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ مِنك ﴿عِزِينَ﴾ ـ حالٌ أيضاً ـ أي: جَماعاتٍ حِلَقاً حِلَقاً، يَقُولُونَ استِهزاء بِالمُؤمِنين: لَئِن دَخَلَ هَؤُلاء الجَنَّة لَندخُلَنَّها قبلَهم، قال تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾.

﴿٣٩﴾ ﴿كَلَّآ﴾ رَدع لَهُم عَن طَمَعِهم في الجَنَّة، ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم﴾ كغَيرِهم ﴿مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ مِن نُطَف، فلا يُطمَع بِذلك في الجَنَّة، وإنَّما يُطمَعُ فِيها بِالتَّقوَى.

(﴿٤٠﴾ ـ ﴿٤٢﴾) ﴿فَلَآ﴾ ـ (لا) زائِدة ـ ﴿أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ لِلشَّمس والقَمَر وسائِرِ الكَواكِبِ، ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ﴾: نَأتِيَ بَدَلَهم ﴿خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

من: عَزَوْتُهُ أَعْزُوهُ؛ أي: نَسَبْتُهُ، وقيل: هي ياءٌ، فيقال: عَزَيْتُهُ أَعْزِيهِ، وقيل: هي هاءٌ، فأصله: (عِزْهَةٌ)، وعلى كلٍّ حذفت وعوِّض عنها هاءُ التأنيث، وهو ممَّا ألحق بجمع المذكَّر السَّالم في إعرابه؛ لكونه اسماً ثلاثيًّا، حُذِفَتْ لامُهُ، وعوِّض عنها هاءُ التأنيث.

قوله: (قال تعالى) أي: ردًّا عليهم هذه المقالةَ.

قوله: (﴿جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾) أُضِيفَتْ له؛ لأنَّه ليس فيها غيرُهُ.

قوله: (مِنْ نُطَفٍ) أي: ثمَّ من عَلَقٍ، ثمَّ من مُضَغ، والمعنى المقصودُ من هذه الآيةِ: أنَّهم مخلوقون من نطفةٍ، وهي لا تناسب عالم القُدس؛ لاستقذارها، فمَن لم يستكمل الإيمانَ والطاعةَ ولم يتخلَّقْ بالأخلاق الملكيَّة.. لم يستعدَّ لدخولها، ومن هذا المعنى قولُ الشاعر[1]: [البسيط]

يا خادمَ الجسمِ كم تَشقَى بِخِدمَتِهِ	أَتَطلبُ الرِّبحَ ممَّا فيه خُسرانُ؟
انهَضْ إلى الرُّوحِ واستَكمِلْ فَضائلَها	فأنتَ بِالرُّوحِ لا بِالجِسمِ إنسانُ

قوله: (﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾) جواب القسم.

قوله: (﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾) أي: بأن نخلقَ خلقاً غيرَهم، أو نحوِّلَ أوصافَهم فيكونُوا أشدَّ بطشاً في الدنيا، وأكثرَ أموالاً وأولاداً، وأعلى قدراً، وأكثرَ حشَماً وخدماً وجاهاً، فيكونُوا عندك

(١) البيتان لأبي الفتح البُستي كما في «ديوانه» (ص١٨٣).

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٤١ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۝٤٢ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣﴾ ....

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: بِعاجِزِين عن ذَلك. ﴿فَذَرْهُمْ﴾: اترُكْهُم ﴿يَخُوضُوا﴾ في باطِلِهِم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ في دُنياهُم، ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا﴾: يَلْقَوا ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فِيه العذابَ.

(﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾) ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾: القُبُور ﴿سِرَاعًا﴾ إلى المَحشَرِ، ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ﴾ ـ وفي قِراءة بِضَمِّ الحَرفَينِ ـ: شَيء مَنصُوب كعَلَمٍ أو رايةٍ ﴿يُوفِضُونَ﴾: ....

حاشية الصاوي

على قلبٍ واحدٍ؛ في سماع قولِك وتعظيمِك، والسَّعيِ في مرضاتِكَ، بدلَ فعلِ هؤلاءِ من الاستهزاءِ، والتَّصفيقِ، وكلِّ ما يُغضبك.

وقد فعل سبحانه وتعالى ما ذَكر من الأوصاف بالمهاجرين والأنصار والتابعِين، فأعطاهم أموالَ الجبَّارين وبلادَهم، وصاروا ملوكَ الدُّنيا والآخرةِ.

قوله: (﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾) هذا من جملة المقسَمِ عليه.

قوله: (﴿فَذَرْهُمْ﴾) مُفرَّعٌ على قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾، أي: إذا تبيَّن لك أنَّنا غيرُ عاجزينَ عنهم.. فدَعْهُم فيما هم فيه من الأباطيل، ولا تَلتفِت لهم؛ ففيه تهديدٌ لهم، وتسليةٌ له ﷺ.

قوله: (يَلْقَوْا) أشار بذلك إلى أنَّ التفاعُل ليس على بابه.

قوله: (﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾) هو يومُ كشفِ الغطاءِ، وأوَّلُهُ: عند الغرغرةِ، وآخرُهُ: النَّفخةُ الثانيةُ، ودخولُ كلٍّ من الفريقَين في داره، وهذه الآيةُ منسوخةٌ بآيةِ السَّيفِ.

قوله: (﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ﴾) بدلٌ من ﴿يَوْمَهُمُ﴾ بدلَ بعضٍ من كلٍّ.

قوله: (﴿سِرَاعًا﴾) حالٌ من فاعل ﴿يَخْرُجُونَ﴾.

قوله: (﴿إِلَىٰ نُصُبٍ﴾) متعلِّق بـ﴿يُوفِضُونَ﴾.

قوله: (وفي قراءةٍ بضمِّ الحرفين) أي: وهي سبعيَّةٌ أيضاً؛ فالأُولى: مفرد بمعنى: العلَمِ المنصوبِ الذي يُسرع له الشخص عند الشدائد، وقيل: هو شبكة الصائد، يُسرع إليها خوفَ انفلات الصيد، والثانية: بمعنى: الصَّنمِ المنصوبِ للعبادةِ. وقرئ شذوذاً بفتحتين، وبضمٍّ فسكونٍ[1].

---

(١) العامَّة على (نَصْبٍ) بالفتح والإسكان، وابنُ عامرٍ وحفصٌ بضمَّتين، وأبو عمران الجوني ومجاهد بفتحتين، والحسن وقتادة بضمة وسكون. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٤٦٤).

﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ٤٤﴾

يُسرِعُون، ﴿خَٰشِعَةً﴾: ذَلِيلةً ﴿أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ﴾: تَغشاهُم ﴿ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ مُبتَدأ وما بعدَهُ الخبَرُ ـ، ومَعناهُ يومُ القِيامة.

حاشية الصاوي

قوله: (يُسرعون) أي: يَسعَوْن ويستَبِقُون.

قوله: (﴿خَٰشِعَةً﴾) حالٌ إمَّا من فاعل ﴿يُوفِضُونَ﴾ أو ﴿يَخۡرُجُونَ﴾، و﴿أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾: فاعل بـ﴿خَٰشِعَةً﴾.

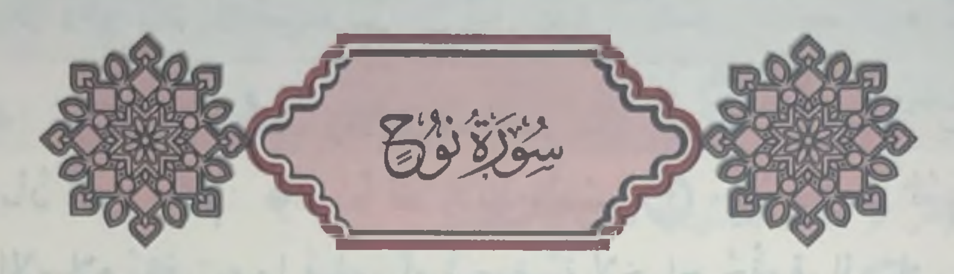
قوله: (﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ﴾) إمَّا مُستأنفٌ، أو حالٌ من فاعل ﴿يُوفِضُونَ﴾، والمعنى: يَغشاهم الذلُّ جزاءً لعزِّهم في الدنيا عن الحقِّ.

قوله: (﴿ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾) أي: في الدنيا أنَّ لهم فيه العذاب، وهذا هو العذاب الذي طلَبوه أوَّل السورة، فقد ردَّ عَجُزَها لصَدْرِها.

قوله: (وما بعده) أي: الذي هو لفظُ (يوم)، وأمَّا الموصولُ وصِلتُهُ. فهو صفةٌ للخبر.

✿ ✿ ✿

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ ....



مَكيَّة، ثمان أو تِسعٌ وعِشرُون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٤) ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ﴾ أي: بِإنذارِ ﴿قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ﴾ إن لَم يُؤمِنُوا ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ نُوحٍ

قوله: (ثَمان) بكسر النُّون وضمِّها، وأصلُه على كلٍّ: (ثماني)، حذفت الياء إمَّا اعتباطاً كـ(يدٍ) و(دمٍ)، فهو بضم النُّون، والإعرابُ عليها، أو لعلَّة تصريفيَّةٍ كـ(قاضٍ)، فهو بكسر النُّون، والإعرابُ على الياء المحذوفة.

قوله: (﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾) أي: على رأس الأربعِين كما قال ابن عبَّاس، وقيل: أُرْسِلَ وهو ابن ثلاثِ مئةٍ وخمسينَ، وقيل: أُرسل وهو ابن خمسين سنةً، وعاش في قومه ألفَ سنةٍ إلَّا خمسينَ عاماً، فهو أطولُ النَّاس عمراً، ولا يَرِدُ شعيبٌ؛ لأنَّ ما جاء في عمرِهِ روايةُ آحادٍ.

ونوحٌ أوَّل رسولٍ أُرْسِلَ بالنَّهي عن الشرك؛ لأنَّ الشرك إنَّما حدَث في زمنِهِ، وأمَّا قبله.. فلم يَعرفُوا عبادةَ غيرِ الله حتَّى يُؤمَرُوا بتركها[1].

قوله: (﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾) المرادُ بهم: جميعُ أهلِ الأرضِ.

قوله: (أي: بإنذار) أشار بذلك إلى أنَّ (أن) مصدريَّةٌ، ويصحُّ جعلُها تفسيريَّةً؛ لأنَّ الإرسالَ فيه معنى القولِ دونَ حروفِهِ.

---

(١) وهذا معنى قوله ﷺ: «أوَّل نبيٍّ أُرسل نوحٌ» كما رواهُ ابن أبي عاصم في «السنة» (٨٠٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٢٤٣) عن سيدنا أنس ﷺ.

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ ....

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِم في الدُّنيا والآخِرة، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ الإنذارِ، ﴿أَنِ﴾ أي: بأنْ أقُولَ لَكُم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ - ﴿مِّن﴾ زائِدة، فإنَّ الإسلام يُغفَر بِه ما قَبله، أو تَبعِيضِيَّةٌ لِإخراجِ حُقُوق العِبادِ - ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ بِلا عَذاب ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أجَل المَوتِ، ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ بِعَذابِكُم إن لَم تُؤمِنُوا ......

حاشية الصاوي

قوله: (في الدنيا والآخرة) أي: وهو الطوفانُ، وعذابُ النَّار.

قوله: (بيِّنُ الإنذارِ) أي: واضحُهُ.

قوله: (أي: بأن أقول لكم... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ (أن) تفسيريَّةٌ، ويصحُّ كونُها مصدريَّةً كالسابِقة، فيصحُّ في كلٍّ مِنهما الوجهان.

قوله: (﴿يَغْفِرْ لَكُم﴾) مجزومٌ في جواب الأوامر الثلاثة.

قوله: («مِن» زائدةٌ) أي: على رأيِ الأخفشِ القائلِ بأنَّه لا يُشْتَرَطُ في زيادتها تقدُّمُ نفيٍ، وكونُ مَدخولِها نكرةً.

قوله: (فإنَّ الإسلام... إلخ) تعليلٌ لما قبله، والمعنى: أنَّ الإسلام يُغْفَرُ به ما تقدَّمه من الذُّنوب ولو حقوقَ العبادِ؛ فلا يؤاخَذُ بها في الآخِرة.

قوله: (لإخراج حُقوق العباد) أي: فإنَّها لا تُغْفَرُ بالإسلام؛ أي: فيُطالَبُ الكافرُ إذا أسلم بالحدودِ، وبالأموالِ التي ظَلَمَ فيها، والدُّيونِ المستقرَّةِ في ذمَّتِهِ.

قوله: (بلا عذابٍ) جوابٌ عن سؤالٍ: كيف قال: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مع أنَّه قال في الآية الأُخرى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١]؟

فالجوابُ: أنَّ المراد بالأجل هنا أوّلاً وثانياً: العذابُ، وهو مُعلَّقٌ على ترك الإيمان، وفي الآية الأخرى: انتهاءُ العمُرِ، وهو لا يتقدَّم ولا يتأخَّر؛ آمنُوا أم كفَروا.

قوله: (﴿مُّسَمًّى﴾) أي: معلومٍ عند الله، لا يزيد ولا يَنقص.

قوله: (﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾) أضاف الأجلَ له سبحانه؛ لأنَّه هو الذي أَثْبَتَهُ، وقد يضاف إلى القوم كما في قوله: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ٤٩]؛ لأنَّه مضروبٌ لهم.

إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ ....

﴿إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك لآمَنتُم.

(﴿٥﴾ - ﴿٧﴾) ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أي: دائماً مُتَّصِلاً، ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا﴾ عن الإيمانِ، ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ لِئَلَّا يَسمَعُوا كلامِي، ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾: غطَّوا رُؤُوسَهم بِها لِئَلَّا يَنظُرُونِي، ﴿وَأَصَرُّوا۟﴾ على كُفرِهِم، ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: تكبَّرُوا عن الإيمانِ ﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾.

(﴿٨﴾ - ﴿١٢﴾) ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ أي: بِأعلَى صَوتِي، ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾ صَوتِي

حاشية الصاوي

قوله: (لآمَنتم) أشار بذلك إلى أنَّ (لو) شرطيَّةٌ.

قوله: (﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ﴾) بفتح الياء وسكونها، قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿فِرَارًا﴾) مفعولٌ ثانٍ لـ﴿يَزِدْهُمْ﴾، وهو استثناءٌ من محذوفٍ، والتقدير: فلم يَزِدهم دعائي شيئاً من أحوالهم التي كانُوا عليها إلَّا فراراً؛ أي: بُعداً وإعراضاً عن الإيمان.

قوله: (﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾) ﴿كُلَّمَآ﴾: معمولٌ لـ﴿جَعَلُوٓا۟﴾، والجملة خبر (إنَّ)، ومعمول ﴿دَعَوْتُهُمْ﴾ محذوفٌ، والتقدير: إلى الإيمانِ بك؛ لأجل مَغفرتك[2].

قوله: (لِئلا ينظروني) أي: فكرهُوا النَّظرَ إليَّ من فرطِ كراهتِهم دَعوتي، فقد خالَفُوه باطناً بالإصرارِ والاستكبارِ، وظاهراً بتعطيل الأسماع والأبصار، ولا أقبَح من هذه المخالفة.

قوله: (﴿جِهَارًا﴾) إمَّا نعتُ مصدرٍ محذوفٍ؛ أي: دعاء جهاراً، أو حالٌ، على حدِّ: (زيدٌ عدلٌ)، والمعنى: أنَّه فعل عليه السلام كما يَفعل الذي يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؛ ابتدأ أوَّلاً بالأهوَنِ، ثمَّ ترقَّى للأشدِّ فالأشدِّ، فافتتح بالسرِّ، فلمَّا لم يُفِدْ.. ثنَّى بالجهر، فلمَّا لم يُفِد.. ثلَّثَ بالجمعِ بينَ السرِّ والجهر. و(ثمَّ) للدَّلالة على تباعُد الأحوال.

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بسكون الياء، والباقُون بفتحها. انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٩٠).

(٢) وعلى هذا التقدير: تكون اللام في (لتغفر) للتعليل، ويجوز أن تكون لام التعدية، ويكون قد عبَّر عن السبب بالمسبَّب الذي هو جعلهم، والأصل: دعوتهم للتوبة التي هي سببٌ في الغفران. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٤٦٨).

وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ....

﴿وَأَسْرَرْتُ﴾ الكلامَ ﴿لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ مِن الشِّركِ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾: المَطَر ـ وكانُوا قَد مُنِعُوهُ ـ ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾: كَثِيرَ الدُّرُور، ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ﴾: بَساتِينَ ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾ جارِيةً.

(﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾) ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: تَأْمُلُون وَقارَ الله إيَّاكُم بِأن تُؤمِنُوا،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾) أي: اطلبُوا منه محوَ ذُنوبِكم؛ بأن تؤمنُوا به وتتَّقوه، فليس المرادُ بالاستغفار مجرَّدَ قولِ: (أستغفر الله)[1]؛ فمَنْ لازمَ الاستغفارَ.. جعلَ الله له من كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً.

عن الحسن: أنَّ رجلاً شكا إليه الجدبَ، فقال: (استغفرِ الله)، وشكا إليه آخرُ الفقر، وشكا إليه آخرُ قِلَّة النسل، وآخرُ قِلَّة رَيع أرضه، فأمرهم كلَّهم بالاستغفار، فقال له الربيع بن صبيح: أتاك رجال يَشكون إليك أبواباً، ويسألونك أنواعاً، فأمرتَهم كلَّهم بالاستغفار! فتلا الآية.

قوله: (وكانُوا قد مُنِعُوهُ) أي: لما كذَّبُوا نوحاً.. حبَس الله عنهم المطرَ، وأَعْقَمَ أرحامَ نسائهم أربعين سنةً، فهلَكت أموالهم ومَواشيهم، فقال لهم نوح: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ....﴾ إلخ.

قوله: (﴿مِّدْرَارًا﴾) حالٌ من ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾، ولم يُؤنَّث؛ لأنَّ (مِفْعَالاً) يستوي فيه المذكَّر والمؤنَّث.

قوله: (بَساتين) أشار بذلك إلى أنَّ المرادَ: جناتُ الدنيا، وكرَّر فعلَ الجعلِ ولم يَقُل: (يجعل لكم جنات وأنهاراً)؛ لتغايرِ المعمولَين؛ فإنَّ الجنَّات ممَّا لهم فيها مدخلٌ، بخلاف الأنهارِ؛ ولذا قال: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ ولم يَقُل: (يجعل)؛ لِتغاير المعمول[2].

قوله: (﴿مَّا لَكُمْ﴾) مبتدأ وخبر، والمعنى: أيُّ شيءٍ ثبَت لكم؟ وقوله: ﴿لَا تَرْجُونَ﴾ جملة حاليَّة من الكاف، وقوله: ﴿وَقَارًا﴾ أي: توقيراً من الله لَكم، واللام بمعنى (مِنْ)، والمعنى: أيُّ شيءٍ ثبت

---

(١) بل المراد: الرجوع عن الذنوب، وتطهيرُ الألسنة والقلوب.

(٢) عبارة الشهاب في «حاشيته على البيضاوي» (٨/ ٢٥٠): (ولذا قال: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾، ولم يُعد العامل).

وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ ....

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾: جمع طَورٍ، وهو الحالُ، فطَوراً نُطفةً وطَوراً عَلَقةً إلى تَمامِ خَلقِ الإنسانِ، والنَّظَرُ في خَلقِه يُوجِب الإيمانَ بِخالِقِه.

(﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾) ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾: تَنظُروا ﴿كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾: بَعضُها فوقَ بَعض، ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ أي: في مَجمُوعِهِنَّ الصَّادِقِ بِالسَّماء الدُّنيا ....

حاشية الصاوي

لكم؛ لا تُؤمِّلون الله في كونه يُوقِّركم ويعظِّمكم، بل المطلوب منكم أن ترجو وقارَ الله إيَّاكم بأن تُؤمنُوا به، فالمقصودُ الحثُّ على الإيمان والطاعة الموجِبَيْنِ لرجاء ثواب الله؛ لأنَّ الرجاءَ: تعلُّقُ القلب بِمرغوبٍ فيه يَحصل في المستقبل مع الأخذ في الأسباب، وهو لا يكون إلَّا بالإيمان والطاعة.

قوله: (﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ﴾) الجملة حاليَّة من فاعل ﴿تَرْجُونَ﴾، و﴿أَطْوَارًا﴾ حال مُؤوَّلة بمشتقٍّ؛ أي: مُنتقلِين من حالٍ إلى حالٍ.

قوله: (والنَّظرُ) أي: التأمُّلُ.

قوله: (في خَلقه) أي: الإنسان، والمعنى: أنَّ التأمُّل في أحوالِ الإنسان من أسباب الإيمان بالله تعالى.

قوله: (تنظُروا) أي: نظرَ اعتبارٍ وتفكُّرٍ.

قوله: (﴿كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ﴾... إلخ) هذه الجملة سَدَّت مسدَّ مفعولي ﴿تَرَوْا﴾.

قوله: (بعضُها فوق بعض) أي: من غير مماسَّةٍ، بل بين كلِّ واحدةٍ والأخرى خمسُ مئةِ عامٍ، وسُمكُ الواحدة منهنَّ خمس مئة عامٍ.

قوله: (أي: في مَجموعهنَّ) دفع بذلك ما يُقال: إنَّ القمر لم يكن إلَّا في خصوص سماء الدنيا؛ فما معنى إضافتِه إلى الكلِّ؟ فأجاب بما ذكر، وفيه: أنَّ المجموع لا بدَّ فيه مِنْ تعدُّد أفراد، وهنا ليس كذلك، فالأحسنُ الجوابُ بأنَّ السماوات شفَّافةٌ، فيرى الكلَّ كأنَّه سماء واحدة، وما في واحِدة كأنَّه في الكلِّ.

نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ ....

﴿نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾: مِصباحاً مُضِيئاً، وهو أقوى مِن نُور القَمَر.

(﴿١٧﴾ - ﴿٢٠﴾) ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم﴾: خلقكُم ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ إذ خلقَ أباكُم آدَمَ مِنها ﴿نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ مقبُورِين ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ لِلبَعث ﴿إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ﴾) أي: فيهنَّ، فحذف من الثاني؛ لِدلالة الأوَّل عليه.

واعلَم: أنَّ القمر في سَماء الدنيا اتفاقاً، واختُلف في الشمس؛ فقيل: في السماء الرابعة، وقيل: في الخامسة، وقيل: في الشتاء في الرابعة، وفي الصيف في السابعة، ووَجههما مما يلي السماء، وقَفاهما مما يلي الأرض[1].

قوله: (﴿سِرَاجًا﴾) أي: مِثل السراج في كونها تُزيلُ ظلمةَ اللَّيلِ كما يزيلُها السِّراج.

قوله: (وهو أقوى من نُور القمر) إن قُلت: إنَّ القمر أقوى من المِصباح بالمشاهدة؛ لِعُموم المَشارق والمغارب وانتشاره.

أجيب: بأنَّ الضمير عائدٌ على الضوء المفهوم من (مضيئاً)، أو يُقال: إنَّ المصباح في مَحَلِّ انتشاره أقوى من القمر وإن كان أوسعَ امتداداً منه؛ لأنَّ الإنسان يُمكِنه قراءةُ الخطِّ في المصباح دونَ القمر؛ فلا يقرؤُه إلَّا القليل من النَّاس.

قوله: (خلَقكم) أي: أنشَأكم منها، فالإنبات استعارةٌ للخَلق.

قوله: (إذ خلَق أباكم آدمَ منها) أي: أو باعتبار النُّطفة؛ فإنَّ أصلها ـ وهو الغذاء ـ من الأرض.

قوله: (﴿نَبَاتًا﴾) مصدرٌ لـ(أنبت) على حذف الزوائد، ويُسمَّى اسمَ مصدرٍ.

قوله: (مَقبورين) حالٌ.

---

(١) وهو ما رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٦٣٧) عن سيدنا عبد الله بن عمرو أنه قال: (إنَّ الشمس والقمر وُجوههما قِبل السماوات، وأقفيتهما قبل الأرض، وأنا أقرأ بذلك آية من كتاب الله: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾).

لِتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ ....

مَبسُوطةً؛ ﴿لِتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا﴾: طُرُقاً ﴿فِجَاجًا﴾: واسِعةً.

﴿٢١﴾ ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ﴾ أي: السَّفَلةُ والفُقَراء ﴿مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ﴾ وهُم الرُّؤساء المُنْعَم علَيهِم بِذلك، ـ و(وُلد) بِضَمِّ الواو وسُكُون اللّام وبِفَتحِهما؛ والأوَّل قِيل: جَمعُ (ولَد) بِفَتحِهِما كـ(خُشْبٍ وخَشَب)، وقِيل: بِمَعناهُ كـ(بُخْلٍ وبَخَل) ـ ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾: طُغياناً وكُفراً.

(﴿٢٢﴾ - ﴿٢٤﴾) ﴿وَمَكَرُواْ﴾ أي: الرُّؤساءُ ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾: عَظِيماً جِدًّا بِأن كَذَّبُوا نُوحاً وآذَوهُ ومَن اتَّبَعَهُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (مَبسوطةً) أي: لا مُسَنَّمةً فتُتْعِبُ مَنْ عليها.

قوله: (﴿فِجَاجًا﴾) جمع فَجٍّ، وهو الطَّريق الواسع، وقيل: هو المسلَك بين الجبلَين.

قوله: (﴿قَالَ نُوحٌ﴾) أي: بعد يَأسه من إيمانهم، وصبرِهِ المدَّةَ الطويلةَ عليهم، وهذا مُقدِّمةٌ لدعائه عليهم.

قوله: (﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾) أي: وعِصياني عصيانٌ لك يا ربِّ.

قوله: (وبفتحهما) أي: وهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿وَمَكَرُواْ﴾) معطوف على صِلة (مَن)، كأنَّه قال: واتَّبعُوا مَنْ مكروا، وجمع الضمير نظراً لمعنى (مَنْ)، وأفرد في قوله: ﴿يَزِدْهُ﴾ باعتبار لَفظها.

قوله: (﴿كُبَّارًا﴾) بضمِّ الكاف، وتشديدِ الباءِ، وهي قراءة العامَّة، وقرئ شذوذاً بالضمِّ والتخفيف، وهي صيغة مُبالغة أيضاً بمعنى المشدَّد، والكسرِ والتخفيفِ جمع (كبيرٍ)[2].

---

(١) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح الواوين واللام، والباقون بضم الواو الثانية وإسكان اللام. انظر «السراج المنير» (٤/٣٩٣).

(٢) قرأ عيسى وأبو السمال وابن محيصن بالضمِّ والتخفيف، وهو بناء مبالغة أيضاً دون المشدَّد، وقرأ زيد بن علي وابن محيصن أيضاً بكسر الكاف وتخفيف الباء. انظر «الدر المصون» (١٠/٤٧٣).

﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾ ....

﴿وَقَالُوا۟﴾ لِلسَّفَلَة: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ ـ بِفَتحِ الواو وضَمِّها ـ ﴿وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ هي أسماءُ أصنامِهِم، ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟﴾ بِها ﴿كَثِيرًا﴾ مِن النَّاس بِأن أمَرُوهُم بِعِبادَتِها، ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ ـ عَطفاً على (قَد أَضَلُّوا) ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَقَالُوا۟﴾) عطفٌ على الصِّلة أيضاً.

قوله: (﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾) عطفُ خاصٍّ على عامٍّ.

قوله: (بفتح الواو وضمِّها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[١].

قوله: (﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾) بغير تنوينٍ في قراءة العامَّة، ومنعُ الصَّرفِ إن كانا عربيَّين للعَلَميَّة ووزنِ الفعل، وإن كانا أعجميَّين فلِلعَلَمية والعُجمة، وقرئ شذوذاً بالصرف للتَّناسب؛ لأنَّ قبلهما مَصروفٌ، وبعدهما مصروفٌ[٢].

قوله: (﴿وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾) لم يذكر النَّفيَ مع هذين؛ لكثرة التكرارِ، وعدمِ اللَّبْسِ.

قوله: (هي أسماء أصنام) أي: كانُوا يَعبدونها، وكانت أكبرَ أصنامِهِم وأعظمَها عندهم؛ ولِذا خصُّوها بالذكر، وأصلُها ـ كما قال عُروة بن الزبير ـ: أنَّه كان لآدمَ خمسُ بنينَ: ودٌّ، وسواعٌ، ويغوثُ، ويعوقُ، ونسرٌ، وكانُوا عُبَّاداً، فمات رجلٌ منهم، فحزنُوا عليه، فقال الشيطان: أنا أُصوِّر لكم مِثله؛ إذا نظرتم إليه ذكرتمُوه، قالوا: افعل، فصوَّره في المسجد من صخرٍ ورصاصٍ، ثمَّ مات آخر، فصوَّره حتَّى ماتُوا كلُّهم وصوَّرهم، فلمَّا تقادَم الزمان.. تركت النَّاسُ عبادةَ الله، فقال لهم الشيطان: ما لكم لا تعبدُون شيئاً؟ قالُوا: وما نعبد؟ قال: آلهتكم وآلهة آبائكم، ألا ترون أنَّها في مُصلَّاكم؟! فعبدُوها من دون الله تعالى حتَّى بعث الله نوحاً عليه السلام، فقالوا: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ...﴾ الآية[٣].

قوله: (﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟﴾) معمولٌ لقولٍ مقدَّرٍ؛ أي: وقال: قد أضلُّوا، فهو معطوفٌ على قوله: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾.

---

(١) قرأ نافع (وُدًّا) بضمِّ الواو، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٤٧٤).

(٢) وبالصرف قرأ الأعمش. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٤٧٤).

(٣) انظر «زاد المسير» (٤/ ٣٤٤)، و«السراج المنير» (٤/ ٣٩٤).

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ ....

دَعا علَيهِم لَمَّا أُوحِيَ إلَيهِ أنَّهُ لَن يُؤمِنَ مِن قومك إلَّا مَن قد آمَنَ.

﴿٢٥﴾ ﴿مِّمَّا﴾ - (ما) صِلة - ﴿خَطَايَاهُم﴾ - وفي قِراءةٍ: ﴿خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ بِالهَمز - ﴿أُغْرِقُوا۟﴾ بِالطُّوفانِ، ﴿فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ عُوقِبُوا بِها عَقِبَ الإغراق تَحتَ الماء، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ﴾ أي: غَيرِ ﴿ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ يَمنَعُون عَنهُم العَذاب.

(﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾) ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ أي: نازِلَ دارٍ، والمَعنى: أحَداً، ....

حاشية الصاوي

قوله: (دعا عليهم لمَّا أوحي إليه) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّه مبعوثٌ لهدايتِهم؛ فكيف ساغ له الدعاءُ عليهم بالضلال؟ فأجاب: بأنَّه لمَّا يَئِسَ من إيمانهم بإخبار الله له بأنَّه: لن يُؤمِن مِن قومك إلا مَنْ قد آمن.. ساغ له الدعاء عليهم.

قوله: («ما»: صِلة) أي: و(مِنْ) تعليليَّة.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (﴿فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾) أي: في الدنيا عَقِب الإغراق، فكانُوا يَغرقون من جانب، ويحترقون من الماء من جانب بقُدرة الله تعالى، وهذا ما أفاده المفسِّر، ويحتمل أنَّ المراد بها: نارُ الآخرة، وهو مِن التعبير بالماضي عن المستقبل؛ لِتَحقُّق الوقوع.

قوله: (﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ﴾... إلخ) عطفٌ على قوله: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ﴾، وما بينهما اعتراضٌ مبيِّنٌ لسبب استحقاقِهِمُ العذابَ.

قوله: (أي: نازلَ دارٍ) هذا معنى الدَّيَّار في اللغة، والمراد: صاحِب الدَّار؛ سواءٌ كان نازلاً بها أم لا، فهو مُرادف لـ(أَحَدٍ)، فـ(ديَّار): من الأسماء المستعمَلة في النفي العامِّ، يقال: ما بالدِّيارِ ديَّارٌ.

---

(١) قرأ أبو عمرو بفتح الطاء، وبعدها ألف، وبعد الألف ياء، وبعد الياء ألف وضم الهاء على وزن (قضاياهم)، والباقون بكسر الطاء وبعدها ياء تحتية ساكنة، وبعد الياء همزة مفتوحة بعدها ألف، وبعد الألف تاء فوقية مكسورة، وكسر الهاء، على وزن (قضيَّاتهم). انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٩٥).

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ مَن يَفجُر ويَكفُر، قال ذلك لِما تَقدَّمَ مِن الإيحاءِ إلَيه.

﴿٢٨﴾ ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ ـ وكانَا مُؤمنَين ـ ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ﴾: مَنزِلي أو مَسجِدي ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى يوم القِيامةِ، ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾: هَلاكاً، فأُهلِكُوا.

حاشية الصاوي

قوله: (مَنْ يَفْجُرُ) أشار بذلك إلى أنَّ فيه مجازَ الأَوْلِ[1]؛ لأنَّهم لم يفجرُوا وقتَ الولادة، بل بعدها.

قوله: (قال ذلك) أي: قولَهُ: ﴿لَا تَذَرْ. . .﴾ إلخ؛ وأمَّا قوله: ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟. . .﴾ إلخ، فعَلِمَه بالتجربة؛ لِكونه عاش فيهم زمناً طويلاً، فعرف طباعَهم وأحوالَهم، فكان الرجل يَنطلق إليه بِابنه ويقول له: احذَرْ هذا فإنَّه كذاب، وإنَّ أبي حذَّرني منه، فيَموت الكبير، ويَنشأ الصغير على ذلك.

قوله: (وكانا مُؤمنين) أي: واسم أبيه: لَمَكُ، بفتحتين، أو بفتحٍ فسكون، بنُ مُتَوَشْلِخَ، بضمِّ الميم، وفتح التاء والواو، وسكون الشين، وكسر اللام، بنِ أَخْنُوخَ، وهو إدريسُ، واسم أُمِّه: شَمْخَا، بوزن (سَكْرَى) بنتُ أَنُوشَ.

قوله: (مَنزلي أو مَسجدي) أي: أو سَفِينَتي.

قوله: (﴿مُؤْمِنًا﴾) حالٌ.

قوله: (إلى يومِ القيامة) أي: مِن مَبدأ الدنيا إلى يوم القيامة.

قوله: (﴿إِلَّا تَبَارًا﴾) مفعول ثانٍ لـ﴿تَزِدِ﴾، والاستثناء مُفرَّغ، وفعلُه: (تَبر) من باب (قَتَلَ) و(تَعِبَ)، ويتعدَّى بالتَّضعيف، فيُقال: تَبَّرَهُ، والاسم التَّبار.

قوله: (فأهلكوا) أي: وغَرقت معهم صِبيانهم على القول بأنَّهم لم يعقموا، ومَواشيهم

---

(١) ويسمَّى مجاز الصيرورة، ومجاز المُشارفة إن كان المآل على الفور؛ نحو: «مَن قتَل قتيلاً». انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (١/ ٢٠٤).

. . . .

حاشية الصاوي

لكن لا على وجه العقاب لهم، بل لتشديد عذاب المكلَّفين، قال عليه الصلاة والسلام: «**يهلكون مهلكاً واحداً، ويَصدرون مَصادر شتَّى**»[1].

وعن الحسَن أنَّه سئل عن ذلك فقال: (عَلم الله براءتهم، فأهلَكم بغير عذاب)[2]، وما قيل في صبيان قوم نوحٍ يُقال في صبيان كلِّ أمَّةٍ هلَكت، والله أعلم.

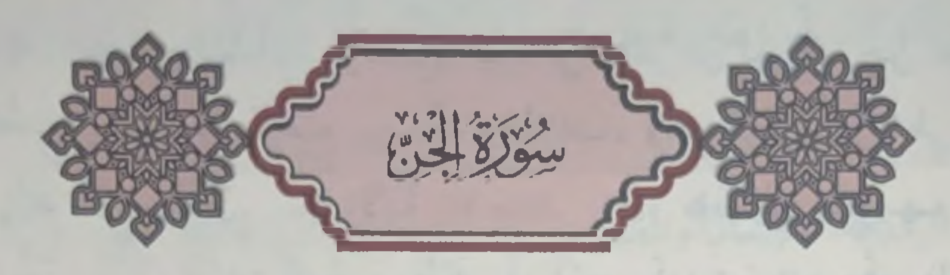
✿ ✿ ✿

---

(١) رواه مسلم (٢٨٨٤) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها، وتمامه: «يَبعثهم الله على نيَّاتهم».

(٢) انظر «تفسير أبي السعود» (٩/ ٤٢).

﴿قُل أُوحِىَ إِلَىَّ ....



مَكِّيَّة، ثمان وعِشرون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿قُلْ﴾ يا مُحمَّد لِلنَّاس: ﴿أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ أي: أُخبِرتُ بِالوَحيِ مِن الله

حاشية الصاوي

سُورَةُ الجِنِّ

أي: التي ذكر فيها قصَّةُ إيمان الجنِّ برسول الله ﷺ؛ لأنَّ رسالته عامَّةٌ للإنس والجنِّ.

والجنُّ: أجسامٌ ناريَّة هوائيَّةٌ، لها قدرةٌ على التشكلاتِ بالصُّوَر الشريفة والخسيسة، وتحكم عليهم الصورة، وبهذا ظهر الفرقُ بينَهم وبين الملائكة؛ لأنَّ الملائكة أجسامٌ نورانيَّةٌ لها قدرةٌ على التشكُّلاتِ بالصُّور الغيرِ الخسيسةِ، ولا تَحكم عليهم الصُّوَر.

واختُلِفَ في الجنِّ؛ فقيل: هم ذُريَّة إبليس، غير أنَّ المتمرِّدَ منهم يسمَّى شيطاناً، كما أنَّ الإنس أولاد آدم، وقيل: إنَّ الجنَّ وَلد الجانِّ، والشياطين وَلد إبليس، يموتون مع إبليس عند النَّفخة[1]، والراجحُ: الأوَّلُ، فمَنْ آمن مِنَ الجنِّ.. فقد انقطعت نِسبتُهُ من أبيه، والتَحق بآدم، ومَنْ كفَر من الإنس.. فقد انقطعت نِسبتُه من أبيه، والتَحق بإبليس.

قوله: (أي: أُخْبِرْتُ بالوحي) أي: أخبَرني جبريل، وظاهرُ الآية: أنَّ النبيَّ لم يشعُرْ بهم ولا باستماعهم، وإنَّما اتَّفق حُضورُهم في بعضِ أوقات قراءتِهِ، وبه قيل، والصَّحيحُ: أنَّه رَآهم وعَلم بهم، ويجابُ عن الآية: بأنَّ مصبَّ الإيحاءِ قصَّةُ الجنِّ مع قَومهم حينَ رجعُوا إليهم بعدَ استماعِهم القرآنَ من رَسول الله ﷺ.

(١) نقل الماوردي في «تفسيره» (٦/ ١٠٩) القولَ الأول عن الحسن البصري، والثاني عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ ....

تعالى ﴿أَنَّهُ﴾ - الضَّمير لِلشَّأنِ - ﴿ٱسْتَمَعَ﴾ لِقِراءَتِي ﴿نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾: جِنُّ نَصِيبِينَ وذلك في صَلاة الصُّبحِ بِبَطنِ نَخل مَوضِعٍ بينَ مَكَّة والطَّائِف، وهُم الذِينَ ذُكِرُوا في قَولِه تَعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ...﴾ الآيَةَ [الأحقاف: ٢٩]، ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ لِقَومِهِم لَمَّا رَجَعُوا إلَيهِم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾: يُتَعجَّب مِنهُ في فَصاحَتِه وغَزارةِ مَعانيه وغَيرِ ذلك، ......

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾) «أنَّ» وما دخَلت عليه في تأويل مصدر، نائب فاعل ﴿أُوحِىَ﴾، والتقدير: أُوحِيَ إليَّ استماعُ.

قوله: (﴿نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾) النَّفر: الجَماعة ما بين الثلاثة إلى العشرة، واختُلِفَ في عددهم؛ فقيل: كانُوا تِسعة، وقيل: سبعة.

قوله: (جِنُّ نَصِيبِينَ) قرية باليمن، بالصَّرف على الأصل، وعدمِهِ للعَلميَّة والعجمة.

قوله: (في صلاة الصبح) وذلك أنَّه سار النبيُّ ﷺ وجملةٌ من أصحابه قاصدِين سُوقَ عكاظٍ، وهو سوقٌ معروفٌ بقرب مكة، كانت العرب تقصدُه في كلِّ سنةٍ مرَّةً في الجاهليَّة وأوَّل الإسلام، وكان في ذلك الوقت قد حِيلَ بين الشياطينِ وبين خبر السماء، فقال بعضهم لبعض: ما ذاك إلَّا من شيءٍ حَدَثَ، فاضربُوا مشارقَ الأرضِ ومغاربَها؛ لتنظرُوا ما الذي حال بيْنَنا وبين السماء حتَّى مُنِعْنَا بالشُّهب؟ فانطلق جماعةٌ منهم، فمرُّوا بالنبيِّ ﷺ وأصحابه وهو يُصلي الصبح يقرأ فيها (سورة الرحمن)، وقيل: (اقرأ باسم ربك)، وكان بِبَطن نخلٍ، قاصدِين سوق عكاظ، فلمَّا سمعُوا القرآن.. قالوا: هذا الذي حال بينَنا وبين خبر السماء، فرجعُوا إلى قومِهم فقالوا: يا قومَنا؛ إنَّا سمعنا قرآناً عجباً... إلخ[1].

قوله: (بين مكة والطائف) بينَه وبين مكَّة مسيرةُ ليلةٍ.

قوله: (في فَصاحته) «في» بمعنى «مِنْ»، فهو بدلٌ ممَّا قبله، أو هي سببيَّةٌ.

قوله: (وغزارةِ معانيه) أي: كثرتِهَا.

قوله: (وغير ذلك) كالإخبارِ بالمغيَّباتِ.

---

(١) رواه مسلم (٤٤٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾ ....

﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾: الإيمانِ والصَّوابِ ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ﴾ بعدَ اليوم ﴿بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾.

(﴿٣﴾ - ﴿٥﴾) ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ - الضَّمير لِلشَّأنِ فِيه وفي المَوضِعَينِ بَعدَه - ﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾: تنزَّهَ جَلالُه وعَظَمَتُه عمَّا نُسِب إلَيه، ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً﴾: زَوجةً ﴿وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَإِنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾: جاهِلُنا ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾: غُلُوًّا في الكَذِب بِوَصفِه بِالصَّاحِبةِ والوَلَد، ﴿وَإِنَّا ظَنَنَّآ أَن﴾ - مُخفَّفة - أي: أنَّهُ ﴿لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾) هذا يدلُّ على أنَّهم كانُوا مشركِين، وروي: أنَّهم كانُوا يهوداً وقيل: إنَّ منهم يهوداً ونصارى ومجوساً ومُشركين.

قوله: (وفي المَوضعَين بعدَه) أي: وهما ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾، واسم ﴿كَانَ﴾ الأولى ضَمير الشأن، والجملة بعدها خبرها، وهي واسمها وخبرها خبر (أنَّ).

قوله: (﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾) الجدُّ يُطْلَقُ على مَعانٍ؛ منها: العظمة، وهي المرادة هنا، ومنها: الغنى والحظُّ، ومنه: «لا يَنفع ذا الجَد منك الجد»[1]، ومنها: أبو الأب، وأمَّا الجِدُّ - بالكسر - فهو السرعة في الشيء، ضدُّ التأنِّي.

قوله: (﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾) هذه الجملة مُفسِّرةٌ لما قبلها.

قوله: (﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ ... إلخ) اعتذارٌ من هؤلاء النَّفر عمَّا صَدر منهم قبل الإيمان مِنَ الشرك، وإيضاحُهُ: أنَّهم يقولون: إننا ظننَّا واعتقدنا أنَّ أحداً لا يكذب على الله، وأنَّ ما قاله سُفهاؤنا من نسبة الصاحبة والولد إليه حقٌّ وصِدقٌ، فلمَّا سمعنا القرآن.. أسلَمنا، وعلمنا أنَّه كذب.

قوله: (مُخفَّفة) أي: واسمها ضميرُ الشأن مضمرٌ، والجملةُ المنفيَّةُ خبرُها.

قوله: (﴿كَذِبًا﴾) نعتُ مصدرٍ محذوفٍ؛ أي: قولاً كذباً.

---

(١) قطعة من دعاء النبي ﷺ عَقب الصلوات، وعند الرفع من الركوع، رواها البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣) عن سيدنا المغيرة بن شُعبة رضي الله عنه.

وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن . . .

بِوَصفِهِ بِذلك حتَّى تبيَّنَّا كَذِبَهم بِذلك، قال تَعالى:

(٦ - ٧) ﴿وَإِنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ﴾: يَستَعِيذُون ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ حِين يَنزِلُونَ في سَفَرِهم بِمَخُوفٍ، فيَقُول كُلُّ رَجُل: أعُوذ بِسَيِّدِ هذا المَكان مِن شَرِّ سُفَهائِه، ﴿فَزَادُوهُمۡ﴾ بِعَوذِهِم بِهِم ﴿رَهَقًا﴾: طُغياناً، فقالُوا: سُدْنا الجِنَّ والإنسَ. ﴿وَإِنَّهُمۡ﴾ أي: الجِنَّ ﴿ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ﴾ يا إنسُ ﴿أَن﴾ ـ مُخفَّفة ـ أي: أنَّهُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بوَصفه بذلك) أي: بالصَّاحبة والولد.

قوله: (حتى تبيَّنَّا كذبهم) أي: ظهَر لنا.

قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أنَّ هذه المقالةَ والتي بعدها من كلام الله تعالى مذكورتان في خِلال كلام الجنِّ المحكيِّ عنهم، وهو أحدُ قولين، وقيل: إنَّهما أيضاً من كلام الجنِّ.

قوله: (﴿كَانَ رِجَالٌ﴾) أي: في الجاهليَّة.

قوله: (حين يَنزلون... إلخ) أي: وذلك أنَّ العرب كانُوا إذا نزلُوا وادياً.. عبثَتْ بهم الجنُّ في بعض الأحيان؛ لأنَّهم كانُوا لا يَتحصَّنون بذكر الله، وليس لهم دينٌ صحيحٌ، فحمَلهم ذلك على أن يستجيرُوا بعُظمائِهم، فكان الرجل يقول عند نزُوله: أعوذ بسيِّد هذا الوادي من سُفَهاء قومه، فيَبِيت في أمنٍ وجوارٍ منهم حتَّى يُصبح، فلا يرى إلا خيراً، وربَّما هدَوْهُ إلى الطريق، ورَدُّوا عليه ضالَّته، وأوَّل مَنْ تَعوَّذ بالجنِّ قومٌ من اليمَن من بني حنيفة، ثم فشا في العرب، فلمَّا جاء الإسلام.. صارَ التعوُّذ بالله، لا بالجنِّ[1].

قوله: (﴿فَزَادُوهُمۡ﴾) الواوُ عبارة عن رجال الإنس، والهاء عبارةٌ عن رجال الجنِّ.

قوله: (فقالوا) أي: الجنُّ المستعاذُ بهم.

قوله: (سُدْنَا الجنَّ) بضمِّ السين؛ أي: حصَلت لنا السِّيادةُ على الجنِّ غيرِنا لِقَهرنا إيَّاهم، وسُدْنَا الإنس الذين استعاذُوا بنا، وهذه المقالةُ سببُ الطُّغيان.

(١) انظر «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٨٠).

لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ....

﴿لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد مَوتِه.

(﴿٨﴾ - ﴿٩﴾) قال الجِنُّ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾: رُمْنا استِراقَ السَّمع مِنها، ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ مِن المَلائكةِ ﴿شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾: نُجُوماً مُحْرِقةً، وذلك لَمَّا بُعِثَ النَّبيُّ ﷺ، ﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾ أي: قَبل مَبعَثِه ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ أي: نَستَمِعُ، ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾: أُرصِدَ لَهُ لِيُرمَى بِه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾) هذه الجملةُ سادَّةٌ مسدَّ مفعولي الظنِّ، والمسألة من باب التنازع، أُعمل الثاني، وأُضمر في الأول، وحذف.

قوله: (رُمْنَا) أي: قصدنا وطلبنا.

قوله: (﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ﴾... إلخ) الضمير مفعول أوَّل لـ(وجد)، وجملةُ ﴿مُلِئَتْ﴾ مفعول ثانٍ لها[1]، و﴿حَرَسًا﴾: تمييز، جمع (حارس) كـ: (خَدَم وخادم).

قوله: (﴿وَشُهُبًا﴾) جمع (شِهابٍ)، كـ: (كُتُبٍ وكتاب).

قوله: (نجوماً مُحرِقة) المناسب أن يقول: (شُعلاً منفصلةً من نار الكواكب)؛ لأنَّ الشهاب شُعلةٌ من نارٍ تنفصل من الكوكب، وتقدَّم ذلك عن المفسِّر[2].

قوله: (وذلك) أي: امتلاؤها بالحرَس والشُّهب.

قوله: (﴿مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾) أي: لأجل الاستماع.

قوله: (﴿ٱلْـَٔانَ﴾) ظرفٌ حاليٌّ، والمراد: الاستقبال، والحاصل: أنَّ الشياطين كانُوا أوَّلاً يَسترقون السمع، فلمَّا وُلِدَ عيسى.. مُنِعُوا من ثلاث سماوات بغير شُهبٍ، فلمَّا وُلِدَ ﷺ.. مُنِعُوا من السَّماوات كلِّها بالشُّهب، فلمَّا بُعِثَ.. ازداد تَساقُط الشهب حتَّى ملأ الفضاء، وصارت لا تُخطئهم، فمُنِعُوا من الصعود بالكُلية، لكن ما زالُوا يتوجَّهون إلى الصعود، فتُعاجِلُهم الشهب.

قوله: (﴿رَّصَدًا﴾) صفة لـ﴿شِهَابًا﴾، وهو بمعنى اسم المفعول؛ أي: مَرصوداً له.

---

(١) والأظهر: أنَّ (وجدناها) مُتعدية لواحد؛ لأنَّ معناها: أصَبنا وصادفنا، وعلى هذا: فالجملةُ من قوله: (ملئت) في موضع نصب على الحال. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٤٨٩).

(٢) انظر (٥/ ٦٢).

وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ....

(﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾) ﴿وَإِنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾ بعدَمِ استِراقِ السَّمعِ ﴿بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾: خيراً؟ ﴿وَإِنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ بعدَ استِماعِ القُرآنِ، ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: قومٌ غيرُ صالِحين، ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا﴾: فِرَقاً مُختَلِفينَ مُسلِمين وكافِرين.

(﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾) ﴿وَإِنَّا ظَنَنَّآ أَن﴾ ـ مُخفَّفة ـ أي: أنَّهُ ﴿لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا﴾ أي: لا نَفُوتَهُ كائِنِين في الأرض أو هارِبِينَ مِنها في السَّماء، ﴿وَإِنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ﴾: القُرآنَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾... إلخ) قيل: القائلُ ذلك إبليس، وقيل: الجنُّ فيما بينهم قبل أن يَستمعُوا قراءة النبي ﷺ، والمعنى: لا نَدري أشرٌّ أريد بمن في الأرض بإرسال محمَّد ﷺ إليهم؛ فإنَّهم يكذِّبون ويَهْلَكون بتكذيبه أم أراد أن يؤمنُوا فيَهتدُوا؟ فالشَّرُّ والرُّشد على هذا: الإيمانُ، والكفر.

قوله: (﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾) (منَّا): خبرٌ مقدَّمٌ، و﴿دُونَ﴾: مبتدأٌ مؤخَّرٌ؛ إمَّا بمعنى (غير)، وفُتِحَ لإضافتِهِ لغير مُتمكِّن، أو صفةٌ لمحذوفٍ، تقديره: ومِنا فريقٌ دونَ ذلك، وحَذْفُ الموصوفِ مع (مِن) التبعيضيَّةِ كثيرٌ، ومِن ذلك قولهم: (مِنَّا ظعَن، ومنَّا أقام) أي: منَّا فريقٌ ظعَن.

قوله: (أي: قومٌ غيرُ صالِحين) أي: غير مسلِمين.

قوله: (﴿كُنَّا طَرَآئِقَ﴾) أي: ذَوي مذاهبَ مختلفةٍ، وأديانٍ متفرِّقةٍ.

قوله: (﴿قِدَدٗا﴾) جمع (قِدَّةٍ) بالكسر، وهي في الأصل: الطَّريق والسِّيرة[1]، فاستعمالها في الفِرَقِ مجازٌ.

قوله: (﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾) أي: عَلِمنا وتيقَّنَّا.

قوله: (﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾) حال، وكذا قوله: ﴿هَرَبٗا﴾.

(١) قوله: (الطريق) كذا في الأصول، ولعلَّها: (الطريقة).

ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ....

﴿ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ ـ بِتَقدِيرِ (هو) بعد الفاءِ ـ ﴿بَخْسًا﴾: نقصاً مِن حَسَناتِه، ﴿وَلَا رَهَقًا﴾: ظُلماً بِالزِّيادةِ في سَيِّئاتِه.

(﴿١٤﴾ - ﴿١٥﴾) ﴿وَإِنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾: الجائِرُون بِكُفرِهِم، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾: قَصَدُوا هِدايةً؛ ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾: وَقُوداً. و(أنَّا) و(أَنَّهُم) و(أَنَّهُ) في اثني عَشرَ مَوضِعاً هي ﴿وَإِنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ﴾ ﴿وَإِنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ وما بَينَهما بِكَسرِ الهَمزة استِئنافاً، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بتقدير «هو») أي: بعد الفاء، فهو جملة اسميَّة، ولولا ذلك.. لحُذِفَتِ الفاء، وجُزم جواباً للشرط.

قوله: (﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾) أي: وأنَّا بعد سماعنا القرآن مُختلفون؛ فمِنَّا مَنْ أسلم، ومنَّا مَنْ كفر.

قوله: (الجائرون) أي: فالقاسِط: الجائر، وأمَّا المُقسِط.. فهو مِنْ: (أقسَط) بمعنى: (عدل). وأعاد هاتين الجملتَين مع ذكرهما أوّلاً؛ لِيُصرح بمجازاة المسلم وضِدِّه.

قوله: (﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾) إن قُلت: الجنُّ مَخلوقون من النَّار؛ فكيف يُعذَّبون بها؟

أُجيب: بأنَّهم وإن خُلِقُوا منها لكن هم ضعافٌ، والنَّار قويَّة، وقويُّ النَّارِ يأكلُ ضعيفَها.

قوله: (﴿وَأَنَّا﴾، ﴿وَأَنَّهُمْ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ﴾) مبتدأٌ، وقوله: (في اثني عشر موضعاً) خبرٌ أوّل، وقوله: (بكسر الهمزة) خبرٌ ثان، وقوله: (هي) مبتدأ، ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ﴾ خبرٌ، والجملة اعتراضيَّة لِبَيان الاثني عشر.

وقوله: ﴿وَأَنَّا﴾ أي: في ثمانِ مواضع: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾، ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا﴾ إلى آخِرها.

وقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: في موضع واحد: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟﴾.

وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ أي: في ثلاثة مواضع: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾، فصحَّ قوله: (في اثنَي عشر موضعاً).

وقوله: (﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ﴾) أي: أوَّلُها، وآخرُها: (﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾)، (وما بينهما) أي: بين الأوَّل والآخر، وهو عشرةُ مواضع.

وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً ....

وبِفَتحِها بِما يُوَجَّهُ بِه.

(١٦ - ١٧) قال تَعالى في كُفَّارِ مَكَّة: ﴿وَأَن﴾ ـ مُخفَّفة مِن الثَّقِيلة واسمُها مَحذُوف ـ أي: وأنَّهُم، ـ وهو مَعطُوفٌ على ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ ـ ﴿لَوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ أي: طَرِيقةِ الإسلامِ ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً﴾ ....

حاشية الصاوي

وقبلَ هذه الاثني عشر مَوضعان: أحدهما: بالفتح لا غير: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾، وثانيهما: بالكسر لا غير: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾.

وبعدها مَوضعان: أحدهما: بالفتح لا غير: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾، وثانيهما: فيه الوَجهان: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾، فالجملة ستة عشر، عُلِمَ تفصيلُها، فتدبَّر[1].

قوله: (بما يوجَّه به) أي: بأن يُؤوَّل بمصدرٍ، أو يُعْطَفَ على المصدر.

قوله: (قال تعالى في كفَّار مكة) أشار بذلك إلى أنَّ قَوله: ﴿أَنْ لَوِ ٱسْتَقَٰمُواْ...﴾ إلخ ليس متعلِّقاً بالجنِّ، بل هو مِن جملة الموحَى به.

قوله: (وهو معطوفٌ على ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾) أي: والتقدير: أُوحي إليَّ استماعُ نفرٍ، وكونُهُم لو استَقاموا... إلخ

قوله: (﴿لَوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾) أي: لو آمَن هؤلاء الكفَّار. لَبَسطنا لهم الرزق، ووسَّعنا عليهم في الدنيا، زيادةً على ما يَحصل لهم في الآخرة من النعيم الدائم، فيَحُوزون عزَّ الدنيا والآخرة، والعامَّة على كسر واو (لو) على الأصل، وقرئ شذوذاً بضمِّها[2].

قوله: (تشبيهاً) بواو الضَّمير.

قوله: (أي: طريقة الإسلام) أي: بالعمل بها، وهو امتِثال المأمورات، واجتِناب المنهيَّات.

قوله: (﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم﴾... إلخ) ليس المرادُ خُصوصَ السقيا، بل المرادُ التوسعةُ عليهم في الدنيا،

---

(١) قرأ الأخوان: حمزة والكسائي، وابن عامر وحفص بفتح (أن) وما عطف عليها بالواو في اثنتي عشرة كلمة، والباقون بالكسرة، وقرأ ابن عامر وأبو بكر: (وإنه لما قام) بالكسرة، والباقون بالفتح. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٤٨١).

(٢) وهي قراءة ابن وَثاب والأعمش. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٤٩٥).

غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ ....

غَدَقًا﴾: كثيراً مِن السَّماء، وذلك بعد ما رُفِعَ المَطَرُ عَنهم سَبعَ سِنِين؛ ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾: لِنختبرَهُم ﴿فِيهِ﴾ فنعلَمَ كيفَ شُكرُهُم عِلمَ ظُهورٍ، ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾: القُرآنِ ....

حاشية الصاوي

وبسطُ الرِّزق، وإنَّما اقتَصر على ذكرِ الماء؛ لأنَّ الخير والرزق كُلَّه في الماء، فهو أصل الرزق، قال عمر: (أينَما كان الماء.. كان المال، وأينَما كان الماء.. كانت الفِتنة)[1].

قوله: (﴿غَدَقًا﴾) بفتحتين في السَّبع، وقرئ شذوذاً بفتح الغين، وكسرِ الدال[2].

وهو مصدر (غَدِقَ) من باب (تَعِبَ)، يُقال: غَدِقَتْ عينُه، تَغْدَقُ؛ أي: هطَل دمعُها، وغَدِقَتِ العينُ غَدَقاً: كَثُرَ ماؤها.

قوله: (وذلك) اسم الإشارة عائدٌ على مَعلومٍ من السياق، والتقدير: ونزُول الآية كان بعدما رفع... إلخ.

قوله: (﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾) أي: الماءِ، و(في): للسببيَّة.

قوله: (عِلْمَ ظهورٍ) أي: للخلائق، وإلَّا.. فهو تعالى لا يخفى عليه شيءٌ، فالمعنى: لِيَظْهَرَ لهم مُتعلَّق علمِنا.

وفي الآيةِ معنًى إشاريٌّ للصوفيَّة، وهو أنَّ العباد لو حصَلَتْ منهم الاستقامةُ على الطريقة؛ بالانهماكِ في مَرضاة الله.. لملأ الله قلوبَهم بالأسرارِ والمعارفِ والمحبَّةِ الشَّبيهةِ بالماءِ في كونها حياةَ الأرواحِ، كما أنَّ الماءَ حياةُ الأجسام، فيَحصلُ لهم بسبب ذلك الفِتنة فيه؛ بأن يَسكرُوا ويَطربُوا ويدهشوا، ويخرجُوا عن الأهل والأوطان، فالاستقامة سببٌ لِلرزق الظاهري والباطني[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٦٦٣).

(٢) وبها قرأ عاصم فيما رَوى عنه الأعشى. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٤٩٦).

(٣) ليس المرادُ بالتفسيرِ الإشاريِّ إحالةَ الظَّاهرِ عن ظاهرِهِ، ولكنَّ ظاهرَ الآيةِ مفهومٌ منهُ ما جُلِبت الآيةُ له، ودلَّت عليهِ في عُرفِ اللِّسانِ، وثَمَّ أفهامٌ باطنةٌ تُفهمُ عند الآيةِ أو الحديثِ لمَن فتحَ اللهُ قلبَهُ؛ فلا يصدَّنَّكَ عن تلقِّي هذه المعاني منهُم أن يقولَ لك ذو جدلٍ ومعارضةٍ: هذا إحالةٌ لكلامِ اللهِ تعالى وكلامِ رسولِه ﷺ، فليس ذلك بإحالةٍ، وإنَّما كان يكونُ إحالةً لو قالوا: لا معنى للآيةِ إلَّا هذا، وهم لم يقولوا ذلك، بل يُقِرُّون الظَّواهر على ظواهرِها مراداً بها موضوعاتُها، ويفهمون عن اللهِ ما أفهمَهم، وربَّما فهموا من اللَّفظِ ضدَّ ما قصدَه واضعُه. انظر «لطائف الأخلاق والمنن» لسيدي ابن عطاء الله السكندري (ص١٩٧).

يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ....

﴿نَسْلُكْهُ﴾ ـ بِالنُّونِ والياءِ ـ: نُدخِلْهُ ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾: شاقًّا.

﴿١٨﴾ ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾: مَواضِعَ الصَّلاة ﴿لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟﴾ فِيها ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ بِأن تُشرِكُوا كما كانَت اليَهُودُ والنَّصارَى إذا دَخَلُوا كَنائِسَهُم وبِيَعَهُم أشرَكُوا.

حاشية الصاوي

قوله: (بالنون والياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (نُدخله) أشار بذلك إلى أنَّه ضمَّن (نسلك) معنى (نُدخل)، فعدَّاه للمفعول الثاني بنفسه.

قوله: (﴿صَعَدًا﴾) مصدر (صَعِدَ) بكسر العين كـ(فَرِحَ)، وَصف به العذاب على تأويله باسم الفاعل.

قوله: (شاقًّا) هذا تفسيرٌ باللازم، وإلَّا.. فمعنى الصعودِ: العلوُّ والارتفاعُ.

قوله: (﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾) هو من جملة المُوحى به؛ أي: وأُوحي إليَّ كونُ المساجدِ مختصَّةً بالله.

واختُلِفَ في المراد بالمساجد؛ فقيل: هي جمع (مَسْجِدٍ) بكسر الجيم، وهو مَوضع السجود، فالمراد بها: جميع البِقاع؛ لأنَّ الأرض جُعِلَتْ كلُّها مسجداً لهذه الأمَّة.

وقيل: جمع (مَسْجَدٍ) بالفتح، وهو الأعضاء الواردة في الحديث: الجَبهة، والأنف، والركبتان، واليدان، والقدمان، والمعنى: أنَّ هذه الأعضاء نِعَمٌ أنعم الله بها عليك، فلا تسجد لغير الله، فتَجحد نعمة الله.

وقيل: المراد بها: الأماكنُ المبنيَّةُ لِلعبادة.

وإضافة المساجد إلى الله تعالى للتَّشريف والتكريم، وقد نُسِبَ لغيره على سَبيل التَّعريف؛ كما في الحديث: «صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سِواه إلا المسجدَ الحرام»[2].

قوله: (﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾) أي: لا تَعبدُوا غير الله، فهو توبيخٌ لِلمشركين في عبادتهم الأصنام.

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالياء التحتية على الغيبة؛ لإعادة الضمير على الله تعالى، والباقون بالنون على الالتفات، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾، ثم قال: ﴿بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٠٥).

(٢) رواه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩ ....

١٩ ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ ـ بِالفَتحِ، والكَسرِ استِئنافاً، والضَّميرُ لِلشَّأنِ ـ ﴿لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾: مُحمَّد النَّبيُّ ﷺ ﴿يَدۡعُوهُ﴾: يَعبُدُهُ بِبَطنِ نَخل ﴿كَادُواْ﴾ أي: الجِنُّ المُستَمِعُون لِقِراءَتِه ﴿يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ ـ بِكَسرِ اللَّام وضَمِّها ـ: جَمعُ لِبْدة، كاللِّبَدِ في رُكُوب بَعضِهم بَعضاً ازدِحاماً حِرصاً على سَماعِ القُرآن.

حاشية الصاوي

وقيل: المعنى: أفردُوا المساجد بِذكر الله تعالى، ولا تجعلُوا لغير الله فيها نصيباً؛ لِما في الحديث: «مَنْ نشد ضالَّةً في المسجد.. فقُولوا: لا ردَّها الله عليك؛ فإنَّ المساجد لم تُبْنَ لهذا»[١]، وفي الحديث: «كان إذا دخَل المسجد.. قدَّم رِجله اليمنى وقال: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾، اللهمَّ؛ أنا عبدُك وزائرك، وعلى كلِّ مَزُورٍ حقٌّ، وأنت خيرُ مزورٍ، فأسألك برحمتك أن تَفُكَّ رقبتي من النار»، وإذا خرج من المسجد.. قدَّم رجلَه اليسرى وقال: «اللهمَّ؛ صُبَّ عليَّ الخير صَبًّا، ولا تنزع عنِّي صالح ما أعطيتَني أبداً، ولا تجعل مَعيشتي كدًّا، واجعل لي في الأرض جَدًّا» أي: غنًى[٢].

قوله: (﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾... إلخ) سِياق هذه الآية إنَّما يظهر في المرَّة الثانية، وهي التي كانت بالحَجون، وكان معه فيها ابن مسعود، وكان الجنُّ إذ ذاك اثني عشر ألفاً ـ وقيل: سبعين ألفاً ـ وبايَع جميعهم، وفرغُوا من بَيعتِه عند انشقاق الفجر، ووصَفه الله بالعبوديَّة زيادةً في تشريفه وتكريمه[٣].

قوله: (ببَطن نخلة) المناسب أن يقول: (بحجون مكة)، وهي المرَّة الثانية، وأمَّا الأولى التي هي بِبَطن نخل.. فكانُوا سبعةً أو تسعةً، فلا يتأتَّى قوله: ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾.

قوله: (بكسر اللام وضمِّها) أي: فهُما سبعيَّتان[٤].

قوله: (جمع «لبدة») أي: بكسر اللام، كـ: (سِدْرَةٍ وسِدَرٍ) على قراءة الكسر، أو ضمِّها كـ: (غُرْفَةٍ وغُرَفٍ) على قراءة الضمِّ.

---

(١) رواه مسلم (٥٦٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أورده القرطبي في «تفسيره» عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) روى ليلة الجنِّ المرَّة الثانية الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٠٤).

(٤) قرأ هشام بضم اللام، والباقون بكسرها. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٠٦).

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ ....

(٢٠ - ٢٢) ﴿قَالَ﴾ مُجِيباً لِلكُفَّارِ في قَولِهم: ارجِعْ عَمَّا أنتَ فِيه، ـ وفي قِراءة: ﴿قُلْ﴾ ـ: ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ إلهاً ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾: غَيًّا ﴿وَلَا رَشَدًا﴾: خيراً، ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ﴾: مِن عَذابِه إنْ عَصَيتُه ﴿أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ﴾ أي: غَيره ﴿مُلْتَحَدًا﴾: مُلتَجأً.

(٢٣) ﴿إِلَّا بَلَاغًا﴾ ـ استِثناءٌ مِن مَفعُول ﴿أَمْلِكُ﴾ ـ أي: لا أملِكُ لَكُم إلَّا البَلاغَ إلَيكُم ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: عَنهُ ﴿وَرِسَالَاتِهِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالَ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾... إلخ) سببُ نزولها: أنَّ كفَّار قريش قالُوا له: إنَّك جئتَ بأمرٍ عظيمٍ، وقد عاديتَ النَّاسَ كلَّهم، فارجع عن هذا، ونحن نُجيرك ونَنصُرك[1].

قوله: (وفي قراءةٍ: ﴿قُلْ﴾) أي: وهي سبعيَّة أيضاً، وعليها: ففي الكلام التفاتٌ من الغيبة للخطاب[2].

قوله: (إلهاً) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ ﴿أَدْعُوا﴾ بمعنى (أعتقد)، فتتعدَّى لمفعولَين، ولو فسَّرها بـ(أعبد).. لاستَغنى عن هذا التقدير.

قوله: (غيًّا) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالضرِّ: الغيُّ، فأُطلِقَ المسبَّب وأريد سببُهُ؛ فإنَّ الضرَّ سببُه الغيُّ، فهو مجازٌ مرسلٌ؛ وكذا يقال في قوله: ﴿وَلَا رَشَدًا﴾.

قوله: (﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي﴾... إلخ) بيانٌ لعجزِهِ عن شؤون نفسِهِ بعدَ بيانِ عجزِه عن شؤونِ غيرِه.

قوله: (استثناء من مَفعول ﴿أَمْلِكُ﴾) أي: من مجمُوع الأمرين، وهما قوله: ﴿ضَرًّا﴾ و﴿رَشَدًا﴾ بعد تأويلهما بـ(شيئاً)، كأنَّه قال: لا أملِك لكم شيئاً إلَّا بلاغاً، فهو استثناءٌ متَّصل، وجملة ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي...﴾ إلخ: معترضة بين المستثنى والمستثنى منه، أُتيَ بها لتأكيد نفي الاستطاعة.

---

(١) انظر «زاد المسير» (٤/ ٣٥٠).

(٢) قرأ عاصم وحمزة: (قُل) أي: قُل يا محمَّد، والباقون: (قال) بصيغة الماضي. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٠٧).

وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ ....

ـ عَطفٌ على ﴿بَلَٰغًا﴾، وما بين المُستَثنَى مِنهُ والاستِثناءِ اعتِراض لِتَأكِيدِ نَفي الاستِطاعةِ ـ، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في التَّوحيدِ فلَم يُؤمِن ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ﴾ ـ حالٌ مِن ضَمير (مَن) في ﴿لَهُۥ﴾ رِعايةً لِمَعناها، وهي حال مُقدَّرة ـ، والمَعنَى: يَدخُلُونها مُقدَّراً خُلُودُهُم ﴿فِيهَآ أَبَدًا﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟﴾ ـ (حتى) ابتِدائيَّة فِيها مَعنَى الغايةِ لِمُقدَّرٍ قَبلها ـ أي: لا يَزالُونَ على كُفرِهِم إلى أن يَرَوا ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ مِن العَذاب ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ عِند حُلُولِه بِهِم يَوم بَدر أو يَوم القِيامةِ، ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾: أعواناً أهُم أم المُؤمِنُون على القَول

حاشية الصاوي

قوله: (**عطف على** ﴿بَلَٰغًا﴾) أي: كأنَّه قال: لا أملك لكم إلَّا التبليغَ والرِّسالةَ، والمعنى: إلَّا أنْ أُبلِّغ عن الله فأقول: قال الله كذا، أو: أن أبلِّغَ رسالاتِهِ؛ أي: أحكامَهُ التي أرسلني بها من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ.

قوله: (**في التوحيد**) أخذ ذلك من قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾؛ لأنَّ الخلودَ قرينةُ كونِ المرادِ بالعاصي: الكافرَ.

قوله: (﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ﴾) العامَّة على كسر (إنَّ)؛ لوقوعها بعد فاء الجزاء، وقرئ شذوذاً بفتحها على أنَّها مع ما في حيِّزها في تأويل مصدر خبر لمحذوف، والتقدير: فجزاؤه أنَّ له نار جهنَّم[1].

قوله: (**في** ﴿لَهُۥ﴾) أي: حال من الهاء المجرورة باللام.

قوله: (﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾) جوابُ ﴿إِذَا﴾، والسين لمجرَّد التأكيد، لا للاستقبال؛ لأنَّ وقت رؤيةِ العذاب يحصلُ العلمُ المذكور.

قوله: (﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا﴾) ﴿مَنْ﴾: إمَّا استفهاميَّةٌ مبتدأ و﴿أَضْعَفُ﴾: خبره، أو موصولةٌ و﴿أَضْعَفُ﴾ خبرٌ لمحذوف؛ أي: هو أضعف، والجملة صِلة الموصول، و﴿نَاصِرًا﴾ و﴿عَدَدًا﴾: تمييزان محوَّلان عن المبتدأ، على حدِّ: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا﴾ [الكهف: ٣٤].

(١) وبها قرأ طَلحة بن مُصرف. انظر «الدر المصون» (١٠/٥٠٣).

قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ ....

الأوَّلِ، أو أنا أم هُم على الثَّاني؟ فقال بَعضُهم: متَى هذَا الوَعدُ فنزَل:

(﴿٢٥﴾ - ﴿٢٧﴾) ﴿قُلْ إِنْ﴾ أي: ما ﴿أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ مِن العَذابِ، ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾: غايةً وأجَلاً لا يَعلَمُهُ إلَّا هو، ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾: ما غابَ عن العِبادِ، ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾: يُطلِعُ ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ مِن النَّاس، ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ﴾ مَع إطلاعِه على ما شاءَ مِنهُ مُعجِزةً لَهُ ﴿يَسْلُكُ﴾: يَجعَلُ ويُسَيِّرُ ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي: الرَّسُولِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أو: أنا) الضمير للنبي ﷺ، وهذا التوزيع تكلُّفٌ لا داعيَ له، بل يصلح كلٌّ من المعنيَين لكلٍّ من القولين.

قوله: (فقال بعضُهم) هو النَّضر بن الحارث، وقال هذا استهزاءً به ﷺ، وإنكاراً للعذاب.

قوله: (﴿أَقَرِيبٌ﴾) مبتدأ، و﴿مَّا تُوعَدُونَ﴾ فاعلٌ سدَّ مسدَّ الخبر، و(ما): موصولة، وعائدُها محذوفٌ، أو مصدريَّة.

قوله: (من العذاب) بيانٌ لـ﴿ما﴾.

قوله: (لا يعلمه إلا هو) صفةٌ لـ(أجلاً).

قوله: (﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾) بالرَّفع في قراءة العامَّة على أنَّه بدلٌ من ﴿رَبِّىٓ﴾، أو خبرٌ لمحذوف، وقرئ شذوذاً بالنَّصب على المدح، وقرئ شذوذاً (عَلِمَ الغيبَ) فعلاً ماضياً ناصباً لـ(الغيب).

قوله: (ما غاب به) المناسب حذف قوله: (به).

قوله: (﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾) أي: إظهاراً تامًّا كاملاً يستحيل تخلُّفه، فليس في الآية ما يدلُّ على نفي كرامات الأولياء المتعلِّقة بالكشف، ولكن إطْلاع الأنبياء على الغيب أقوى من إطْلاعِ الأولياء؛ لأنَّ إطْلاعَ الأنبياء يكون بالوحي، وهو معصومٌ من كلِّ نقصٍ، بخلاف إطْلاعِ الأولياءِ، فعصمة الأنبياء واجبةٌ، والأولياءِ جائزة.

قوله: (﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾) أي: إلَّا رسولاً ارتضاه لإظهاره على بعض غيوبه، فإنَّه يُظْهِرُه على ما يشاء من غَيبه.

قوله: (﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ﴾ ... إلخ) تقريرٌ وتحقيقٌ للإظهار المستفاد من الاستثناء، كأنَّه قال:

وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾: مَلائكةً يَحفَظُونَهُ حتَّى يُبَلِّغَهُ في جُملةِ الوَحي.

﴿٢٨﴾ ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ الله عِلمَ ظُهُورٍ ﴿أَن﴾ - مُخفَّفة مِن الثَّقِيلة - أي: أنَّهُ ﴿قَدْ أَبْلَغُوا۟﴾ أي: الرُّسُلُ ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ - رُوعِيَ بِجَمعِ الضَّمِير مَعنَى (مَن) - ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ - عَطف على مُقدَّر - أي: فعَلِمَ ذلك ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ - تَميِيز، وهو مُحَوَّلٌ مِن المَفعُول -، والأصلُ: أحصَى عَدَدَ كُلِّ شَيء.

حاشية الصاوي

إلَّا مَنِ ارتضى من رسول؛ فإنَّه إذا أراد إظهارَه على غيبه.. جعل له ملائكةً من جميع جهاتِهِ يَحرسونه مِنْ تعرُّضِ الشياطين له.

قوله: (ملائكةً يَحفظونه) أي: من الجنِّ، قال قتادة وغيره: (كان الله إذا بعَث رسولاً.. أتاه إبليس في صورة ملَكٍ يخبره، فيبعث الله مِنْ بين يديه ومِنْ خلفِهِ رصداً من الملائكة، يَحرسونه ويطردون الشياطين عنه، فإذا جاءه شيطانٌ في صورة ملكٍ.. أخبروه بأنَّه شيطانٌ، فيَحذره، فإذا جاءه ملَكٌ.. قالوا له: هذا رسولُ ربِّك)[1].

قوله: (﴿لِّيَعْلَمَ﴾ الله... إلخ) متعلق بـ﴿يَسْلُكُ﴾ غاية له، وقوله: (علمَ ظهورٍ) دفع به ما قد يُتوهَّم من قوله: (يعلم): أنَّ العلم متجدِّد، فأجابَ بأنَّ المعنى: ليظهرَ متعلَّق علمِهِ.

قوله: (﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾) أي: كما هي محفوظةٌ من الزيادة والنقصان.

قوله: (معنى «مَنْ») أي: في قوله: ﴿مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾.

قوله: (﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾) الضمير عائدٌ على الرسل والملائكة، والمعنى: أحاط علمُهُ بما عندَ الرسل والملائكة.

قوله: (﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾) أي: مِن القطرِ والرملِ وورقِ الأشجارِ وزبدِ البحارِ وجميعِ الأشياءِ؛ جليلِها وحقيرِها، وهذا كالتَّعليل لقوله: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾.

✿ ✿ ✿

(١) أورده البغوي في «تفسيره» (٥/ ١٦٤).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١﴾ ....



سُورَةُ المُزَّمِّلِ

مَكيَّة أو إلَّا قولَه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ...﴾ إلى آخِرها فمَدنيٌّ، تِسعَ عشرةَ أو عشرُون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٤) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ النَّبيُّ، - وأصلُه: (المُتَزمِّل) أُدغِمَت التَّاء في الزَّاي - أي: المُتَلفف بِثِيابِهِ ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

(مكيَّة) أي: وهو قول الجمهور؛ لأنَّها أوَّل ما نزل بعد آية (اقرأ)، وقوله: **(أو: إلا قوله... إلخ)** هذا قول الثعلبي[١]، وعليه: فهو ناسخ لأوَّل السورة، وليس في القرآن سورةٌ نسَخ آخرُها أوَّلَها سواها، ولم ينزل آخرُها عقب أوَّلها، بل بينَهما مدَّةٌ؛ أكثرُ ما قيل فيها: عشرُ سنين.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾) الخطاب للنبي ﷺ، واختلف في معنى المزمِّل، فقيل: المتلفِّف بِثيابه، وهو ما مشى عليه المفسِّر، وقيل: المزمِّل بالنبوَّة، والمدَّثر بالرسالة، وقيل: المزمِّل بالقرآن، وقيل: معناه: يا أيُّها الذي زَمَلَ هذا الأمرَ؛ أي: حَمَلَهُ.

واعلم: أنَّ هذا الوصف أثبتَه العلماء من جملة أسمائه ﷺ، وهو الصحيح، وخالَف في ذلك السهيليُّ، محتجًّا بأنَّه اسمٌ مشتقٌّ من حاله التي كانَت عليها حين الخطاب[٢].

ورُدَّ: بأنَّ هذا لا يَضُرُّ في التسمية، وأيضاً: فأسماؤه ﷺ توقيفيَّة، وقد وَرَدَ نداؤه به في القرآن، وحينئذٍ: فيَجوز لنا أن نُطلِقه عليه.

قوله: **(أدغمت التاء في الزاي)** أي: بعد قلبها زاياً.

---

(١) «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» (١٠/ ٥٨).

(٢) انظر «المواهب اللدنية» للقسطلاني (١/ ٤٦٥).

﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ ....

حِينَ مَجِيءِ الوَحيِ لَهُ خَوفاً مِنهُ لِهَيبَتِهِ، ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾: صَلِّ ﴿إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ﴾ - بَدَل مِن ﴿قَلِيلٗا﴾ - وقِلَّتُه بِالنَّظَرِ إلى الكُلِّ، ﴿أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ﴾: مِنَ النِّصفِ ﴿قَلِيلًا﴾ إلى الثُّلُث، ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ إلى الثُّلُثَينِ - و(أو) لِلتَّخيِيرِ - ....

حاشية الصاوي

قوله: (حين مَجيء الوحي) أي: جبريل في ابتداء الرسالة، بعد أن جاءه بـ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، وذلك أنَّه ﷺ لمَّا جاءه الوحي في غار حراء.. رجع إلى خديجة زوجتِه يرجفُ فؤادُهُ، فقال: «زمِّلوني زمِّلوني، لقد خشيتُ على نفسي» أي: مِن عدم القيام بحقِّه؛ لهيبته وجلاله، فقالت له خديجةُ وكانت وزيرةَ صدقٍ رضي الله عنها: (كلَّا والله ما يُخزيك الله أبداً، إنَّك تَصِلُ الرَّحِمَ، وتَقْرِي الضَّيفَ، وتعينُ على نوائب الحقِّ)[1].

قوله: (﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾) العامَّة على كسر الميم؛ لالتقاء الساكنين، وقرئ شذوذاً بضمِّها وفتحها[2].

و﴿ٱلَّيۡلَ﴾: ظرفٌ للقيام على طريقة البصريين[3]، أو مفعول به على طريقةِ الكوفيين، والأمر للوجوب، واختُلِفَ فيه؛ فقيل: كان واجباً عليه وعلى أُمَّته، وقيل: كان واجباً عليه وعلى جميع الأنبياء قبله، وقيل: خاصٌّ به ﷺ، ثمَّ نسخ التَّعيين بآخر السورة، ثمَّ نسخ بالصلوات الخمس.

قوله: (صلِّ) أي: فالمعنى: قُمْ للصلاة والعبادة.

قوله: (وقِلَّتُهُ... الخ) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ النِّصفَ مساوٍ للنِّصف الآخر، لا قليلٌ، فأجاب: بأنَّه يوصف بالقلَّة بالنَّظر لكلِّ الليل، لا بالنَّظر للنِّصف الآخر.

قوله: (إلى الثلث) أي: انقُص من النِّصف الذي تَنامه، فمعناه: قُم ثلثي الليل، وقوله: (إلى الثلثين) أي: زِدْ على النِّصف الذي تنامه حتى تبلغَ الثلثين، فمعناه: قُم ثلثَ الليل، فتحصَّل أنَّ المعنى: قُم نصفَ الليلِ، أو ثلثَيه، أو ثلثَه، فهو من الواجب المخيَّر.

---

(١) رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

(٢) قرأ أبو السمال بضمها إتباعاً لحركة القاف، وقرئ بفتحها طلباً للخفة. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٥١٠).

(٣) أي: وإن استغرقه الحدث الواقع فيه. «فتوحات» (٤/ ٤٤٥).

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ ....

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ﴾: تَثَبَّتْ في تِلاوَتِه ﴿تَرْتِيلًا﴾.

(﴿٥﴾ - ﴿٧﴾) ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا﴾: قُرآناً ﴿ثَقِيلًا﴾: مَهِيباً أو شَدِيداً لِما فِيه مِن التَّكالِيف، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ﴾) أي: في أثناءِ قيامِكَ، والمعنى: اقرأه بترتيلٍ وتؤدةٍ، وسكينةٍ ووقارٍ.

قوله: (﴿إِنَّا سَنُلْقِى﴾. . . إلخ) هذه الجملةُ مُعترضةٌ بين الأمر بقيام الليل وتعليلِهِ بقوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾، وفي الحقيقة هذه الجملة أيضاً تَصلح أن تكون علَّةً للأمر بقيام الليل، كأنَّه قال: قُم الليل؛ لتتهيَّأ لتَحَمُّلِ القولِ الثَّقيل الذي سنُنْزِلُهُ عليك.

قوله: (مهيباً) أي: عظيماً جليلاً.

واختُلِفَ في معنى كونه ثقيلاً؛ فقال قتادة: ثقيلٌ واللهِ فرائضُهُ وحدودُهُ، وقال مجاهد: حلالُهُ وحرامُهُ، وقال محمَّد بن كعب: ثقيلٌ على المنافقين؛ لأنَّه يَهتك أسرارَهم، ويُبْطِلُ أديانَهم، وقيل: ثقيلٌ بمعنى: كريم، وقيل: ثقيلٌ لا يحمله إلا قلبٌ مُؤيَّدٌ بالتوفيق، ونفسٌ مزيَّنةٌ بالتوحيد، وأجمع من هذا: أنَّ معناه كثيرُ الفوائد والمعاني، لا يُدْرِكُهُ عقلٌ واحدٌ، فهو كالبَحر المحيط الذي لا يَنْقُصُ بالاغتراف، فجميع العلماء المتقدِّمين والمتأخِّرين يَغترفون منه، قال البُوصيريُّ[(١)]: [البسيط]

لـهـا مَـعـانٍ كـمَـوْجِ الـبـحـرِ فـي مَـدَدٍ ... وفـوقَ جَـوهَـرِهِ فـي الـحُـسـنِ والـقِـيَـمِ

فـلا تُـعَـدُّ ولا تُـحْـصَـى عَـجـائـبُـهـا ... ولا تُـسَـامُ مِـنَ الإكـثـارِ بـالـسَّـأَمِ

وما مشى عليه المفسِّر من أنَّ المراد بـ(القول): القرآنُ. . هو أحدُ أقوالٍ، وقيل: إنَّ المرادَ به: الوحيُ؛ لما في الحديث: (أنَّه ﷺ كان إذا أُوحي إليه وهو على ناقتِهِ. . وضَعَتْ صدرَها على الأرض، فما تستطيع أن تتحرَّكَ حتى يُسَرَّى عنه)[(٢)]، وقالت عائشة: (ولقد رأيتُهُ ينزل عليه الوحي في اليومِ الشَّديدِ البردِ، فيَفْصِمُ عنه وإنَّ جبينَه لَيَتفصَّد عرقاً)[(٣)].

وقيل: القول الثقيل: هو قولُ: (لا إله إلا الله)؛ لما وردَ: أنَّها خفيفةٌ على اللسان، ثقيلةٌ في الميزان.

---

(١) كما في قَصيدته المشهورة بـ«البردة».

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٠٥) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري (٢).

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: القِيامَ بعدَ النَّوم ﴿هِيَ أَشَدُّ وِطَاءٗ﴾: مُوافَقَةَ السَّمع لِلقَلْبِ على تَفَهُّم القُرآنِ، ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾: أبيَنُ قَولاً، ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾: تَصَرُّفاً في أشغالِك لا تَفرُغُ فِيه لِتِلاوةِ القُرآنِ.

(٨ - ٩) ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ أي: قُل: (بِسمِ الله الرَّحمن الرَّحِيم) في ابتِداءِ

حاشية الصاوي

قوله: (القيام بعد النوم) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿نَاشِئَةَ﴾ مصدرُ (نَشَأَ): إذا قام ونهَض، كـ: العافية، والواقية، ويصحُّ أن يكون صفةً لمحذوفٍ؛ أي: إنَّ النفس الناشئة بالليل ـ أي: النائمة فيه ـ أَشَدُّ وطئاً. . . إلخ.

قوله: (﴿وَطۡـٔٗا﴾) تمييزٌ؛ أي: من جِهة المواطأة؛ أي: الموافَقة فيها.

قوله: (موافقة السَّمع للقلب) أي: إنَّ هذا الوقت تُوافق الحواسُّ القلبَ، فكلُّ ما وقع في الحواسِّ وعاه القلب؛ لخلوِّ القلب عن الشواغل؛ فلا مفهوم لقول المفسِّر: (السَّمع).

وفي ﴿وَطۡـٔٗا﴾ قراءتان سبعيَّتان: كسر الواو، وفتح الطاء، بعدها ألف، وفتح الواو، وسكون الطاء، بعدها همزة، ومَعناهما ما قاله المفسِّر[1].

قوله: (أَبْيَنُ قولاً) أي: أصوبُ قراءةً، وأصحُّ قولاً من النَّهار؛ لِسُكون الأصوات.

قوله: (﴿سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾) السَّبح: مصدر (سَبَحَ)، استُعير من السباحة في الماء للتصرُّف في الأشغال.

قوله: (لا تَفْرُغُ فيه. . . إلخ) أي: فعليك بها في الليل الذي هو مَحَلُّ الفراغ، و(فَرَغَ) من باب (دَخَلَ).

قوله: (أي: قُل: «بسم الله الرحمن الرحيم». . . إلخ) تبع في ذلك السهيليَّ[2]، وقال جمهورُ المفسِّرين: إنَّ قوله: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ عامٌّ بعد خاصٍّ، والمعنى: دُمْ عليه ليلاً ونهاراً، على أيِّ وجهٍ كان؛ مِنْ تسبيحٍ، وتحميدٍ، وتهليلٍ، ونحوِ ذلك.

---

(١) قرأ أبو عمرو وابن عامر بكسر الواو وفتح الطاء بعدها ألف، والباقُون بفتح الواو وسكون الطاء. انظر «الدر المصون» (١٠/٥١٨).

(٢) قوله: (السهيلي) كذا في الأصول، وعبارة «الفتوحات» (٤/٤٤٧): (تبع في ذلك سهلاً ـ أي: ابنَ عبد الله التستري ـ وزاد سهلٌ: «تُوصلك بركة قراءتها إلى ربك، وتَقطَعك عن كل ما سِواه»). وانظر «تفسير التستري» (ص١٨٠).

وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ....

قِراءتك، ﴿وَتَبَتَّلْ﴾: انقطِع ﴿إِلَيْهِ﴾ في العِبادةِ ﴿تَبْتِيلًا﴾: مَصدَر (بتَّل) جِيءَ بِه لِرِعاية لِلفواصِل، وهو مَلزُوم التَّبتُّل، هو ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾: مَوكُولاً لَه أُمُورُك.

(١٠) - (١١) ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: كُفَّارُ مكَّة مِن أذاهُم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (انقَطع إليه في العبادة) أي: أَخْلِصِ العبادةَ لوجهِهِ.

قوله: (مصدر «بتَّلَ») أي: كـ(عَلَّم تعليماً)، على حدِّ قول ابن مالك[1]: [الرجز]

وغـيـرُ ذي ثَـلاثـةٍ مَـقِـيـسُ مَـصْـدَرُهُ، كـ«قُـدِّسَ الـتَّـقـديـسُ»

وهذا إشارةٌ لسؤالٍ، حاصلُهُ: أنَّ هذا المصدر ليس لهذا الفعل، وإنَّما هو مصدرٌ لفعلٍ آخر.

أجاب عنه بجوابين: الأوَّل: قوله: (جيء به لِرِعاية الفواصل)، والثاني: قوله: (وهو ملزوم التبتُّل)، وإيضاحه: أنَّ التبتُّل الذي هو مصدر (تبتَّل) كـ(تكرَّم) أُطلق وأريد التَّبتيلُ الذي هو مصدر (بتَّل) كـ(قدَّس)؛ لِكونه لازماً له ومِن مادَّته.

قوله: (هو ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ﴾ بالرفع خبرٌ لمحذوف، ويصحُّ قراءته بالجرِّ، بدل من ﴿رَبِّكَ﴾، والقراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾) نتيجةُ ما قبله، والمعنى: حيثُ عَلِمْتَ أنَّه مالكُ المشرقِ والمغربِ ولا إلهَ غيرُهُ.. فاعتَمد عليه، وفَوِّضْ أمورَك إليه.

قوله: (﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾) هذا شروعٌ في بَيان كيفيَّةِ معاملتِهِ للخلق إِثرَ بيانِ كيفيَّةِ مُعامَلتِهِ للخالق.

---

(١) «الخلاصة»، باب: أبنية المصادر.

(٢) قرأ ابن عامر وأبو عمرو وحمزة والكسائي بكسر الباء على البدل مِن (ربك)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: على القسَم، بإضمار حرف القسم، كقولك: اللهِ لأفعلنَّ، وجوابه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، كما تقولُ: لا أحد في الدار إلا زيد، والباقون برفعها على أنه خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ، خبره: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤١٨).

وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ....

﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾: لا جَزَعَ فِيه، وهذا قَبل الأمرِ بِقِتالِهم، ﴿وَذَرْنِي﴾: اترُكنِي ﴿وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ ـ عَطف على المَفعُول، أو مَفعُول مَعَهُ ـ والمَعنَى: أنا كافِيكَهُم وهُم صَنادِيدُ قُرَيش، ﴿أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾: التَّنَعُّم ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ مِن الزَّمَن، فقُتِلُوا بَعد يَسِير مِنهُ بِبَدرٍ.

(﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾) ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾: قُيُوداً ثِقالاً، جَمع (نِكل) بِكَسرِ النُّون، ﴿وَجَحِيمًا﴾: ناراً مُحرِقة، ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾: يُغَصُّ بِه في الحَلق وهو الزَّقُّوم أو الضَّرِيع أو الغِسلِينُ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾) أي: بأن تَذَرَهُم ولا تكافِئَهُم بِأفعالهم، فالهجرُ الجميلُ هو: التَّركُ مع عدمِ الإيذاءِ.

قوله: (وهذا قبل الأمر بقتالهم) أي: فهو منسوخٌ بآية القتال.

قوله: (﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾) أي: فلا تَشفع لهم، ولا تَحُلْ بيني وبينهم، بل اتركني معهم، أنتَقم منهم، وهذا من مزيدِ تعظيم الله له ﷺ وإجلالِ قَدْرِهِ.

قوله: (﴿أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾) نعتٌ لِلمُكذبين، والنَّعمة بالفتح: التَّنَعُّم، وبالكسر: الشيءُ المنعَمُ به، وبالضَّمِّ: السُّرورُ.

قوله: (﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾) أي: بَلِّغهم عنِّي أنِّي ممهلٌ لهم زمناً قليلاً، وهو مُدَّةُ خروجك من مَكة، فلمَّا خرج ﷺ منها.. سلَّط الله عليهم السنين المجدبةَ، وهو العذاب العامُّ، ثمَّ قتل صناديدَهم ببدرٍ، وهو العذابُ الخاصُّ.

قوله: (﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾... إلخ) هذا وعيدٌ لهم بعذاب الآخرة إثرَ الوعيدِ بعذاب الدنيا.

قوله: (جمع «نِكْلٍ») أي: وهو القيد، وقيل: الغُلُّ.

قوله: (وهو الزَّقوم) تقدَّم في (الدخان) أنَّه شجرٌ مرٌّ من أخبثِ الشَّجرِ[1].

قول: (أو الضريع) سيأتي للمفسِّر في (الغاشية): أنَّه نوعٌ من الشوك لا ترعاه دابَّةٌ؛ لخبثِهِ.

قوله: (أو الغِسلين) تقدَّم في (الحاقة): أنَّه صديدُ أهل النَّار[2].

---

(١) انظر (٦/ ٢٤٢).
(٢) انظر (٧/ ١٧٨).

وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾

أو شَوكٌ مِن نار لا يَخرُج ولا يَنزِل، ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلِماً زِيادةً على ما ذُكِرَ لِمَن كَذَّبَ النَّبيَّ ﷺ.

﴿١٤﴾ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾: تُزَلزَل ﴿ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا﴾: رَملاً مُجتَمِعاً ﴿مَّهِيلًا﴾: سائِلاً بعدَ اجتِماعِه، ـ وهو مِن (هالَ يَهِيل) وأصلُه: مَهيُول، استُثقِلَت الضَّمَّة على الياء فنُقِلَت إلى الهاء وحُذِفَت الواوُ ثاني السَّاكِنَينِ لِزِيادَتِها، وقُلِبَت الضَّمَّة كَسرةً لِمُجانَسة الياء ـ.

(﴿١٥﴾ ـ ﴿١٦﴾) ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ يا أهلَ مكَّةَ ﴿رَسُولًا﴾ هو مُحمَّد ﷺ ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ يَومَ القِيامة بِما يَصدُرُ مِنكُم مِن العِصيانِ، ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ هو مُوسى عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام، ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾: شَدِيداً.

حاشية الصاوي

قوله: (لا يخرج ولا يَنزل) تفسيرٌ لقوله: (يغصُّ به)، فكان المناسبَ ذِكْرُهُ بلصقِهِ.

قوله: (﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ . . . إلخ) ظرفٌ منصوب بما تعلّق به قوله: ﴿لَدَيْنَآ﴾، والتقدير: استقرَّ لهم عِندنا ما ذكر يوم تَرجف. . . إلخ.

قوله: (تَزلزل) أصله: (تتزلزل) حُذفت منه إحدى التَّاءين.

قوله: (﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ﴾) أي: وتكون، فعبَّر بالماضي؛ لتحقُّق الحصول.

قوله: (وحُذفت الواو) أي: عند سيبويه، وإنَّما كانت أولى بالحذف؛ لأنها زائدة؛ ولذا اختاره المفسِّر، وقال الكسائي: إنَّ المحذوف الياء؛ لأنَّ القاعدة: أنَّ الذي يحذف لالتقاء الساكنين هو الأوَّل.

قوله: (يا أهل مَكة) أي: ففيه التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب.

قوله: (﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ . . . إلخ) خصَّ موسى وفرعون بالذكر؛ لأنَّ قصَّتهما مَشهورةٌ عند أهل مكة.

قوله: (﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾) «أل» للعهد الذكريِّ؛ لأنَّه تقدَّم ذكرُهُ في قوله: ﴿رَسُولًا﴾، والقاعدة: أنَّ النَّكرة إذا أُعيدت معرفةً. . كانت عينَ الأُولى.

قوله: (شديداً) هذا قول ابن عبَّاس ومجاهد، ومنه: مطرٌ وابل؛ أي: شديد، وقيل: الوَبيل: الثَّقيل الغليظ، وقيل: المُهلِك.

فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ....

(﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾) ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ﴾ في الدُّنيا ﴿يَوْمًا﴾ - مفعول ﴿تَتَّقُونَ﴾ - أي: عَذابَه، أي: بِأيِّ حِصنٍ تَتحصَّنُونَ مِن عَذابِ يَوم ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾: جمع (أشيب) لِشِدَّةِ هَولِه، وهو يَومُ القِيامة، والأصلُ في شِين ﴿شِيبًا﴾ الضَّمُّ وكُسِرَت لِمُجانَسةِ الياء، ويُقالُ في اليَوم الشَّدِيد: «يَومٌ يُشِيبُ نَواصِيَ الأطفال» وهو مَجاز، ويَجُوز أن يَكُونَ المُراد في الآية الحَقِيقة، ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌ﴾: ذاتُ انفِطار أي: انشِقاقٍ ﴿بِهِۦ﴾: بِذَلك اليوم لِشِدَّتِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ﴾) أي: لا سبيلَ لكم إلى الوقاية من عذابِ ذلك اليومِ إن وقع الكفرُ منكم في الدنيا.

قوله: (﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ﴾... إلخ) هذه الجملة صفة لـ﴿يَوْمًا﴾، والضمير في ﴿يَجْعَلُ﴾ إمَّا عائدٌ على الله، أو على اليوم مبالغةً؛ أي: إنَّ نفس اليوم يَجعل الولدانَ شيباً.

قوله: (وهو مجازٌ) أي: لفظ الشيب مجازٌ؛ أي: كِناية عن شِدَّة الهول.

قوله: (ويَجوز... إلخ) أي: فيكون الشَّيب على حقيقته، ولا مانع منه.

ثمَّ في كلام المفسِّر إجمالٌ، وإيضاحُهُ أن يقالَ: إنَّ كون الشَّيبِ على حقيقتِهِ مبنيٌّ على أنَّ المراد باليوم: آخرُ أوقات الدنيا، وهو عندَ زلزلة الساعة قبلَ خروجِهم من الدنيا، وكونَهُ مجازاً مبنيٌّ على أنَّ المراد باليوم: النَّفخةُ الثانية؛ لأنَّ القيامة ليس فيها شيبٌ.

قوله: (﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾) صفةٌ ثانيةٌ لـ﴿يَوْمًا﴾.

قوله: (ذات انفطار) جوابٌ عمَّا يُقال: لِمَ لم تؤنَّث الصفةُ فيُقال: (مُنفطرة)؟ فأجابَ: بأنَّ هذه صفةُ نسبةٍ؛ أي: ذاتُ انفطارٍ، ويجاب أيضاً: بأنَّ السَّماء تذكَّر باعتبار أنَّها سقفٌ، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢].

قوله: (﴿بِهِۦ﴾) الباء بمعنى (في).

كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ . . . .

﴿كَانَ وَعْدُهُۥ﴾ تعالى بِمَجِيءِ ذلك اليوم ﴿مَفْعُولًا﴾ أي: هو كائنٌ لا مَحالة.

﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ الآياتِ المُخَوِّفة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: عِظةٌ لِلخلق، ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾: طَريقاً بِالإيمانِ والطاعةِ.

﴿٢٠﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾: أقلَّ ﴿مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفِهِۦ وَثُلُثِهِۦ﴾ ـ بِالجرِّ عطف

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كَانَ وَعْدُهُۥ﴾ تعالى) أشار بذلك إلى أنَّ إضافة (وَعدُ) للضمير من إضافة المصدر لِفاعله، وهو الله تعالى[1].

قوله: (﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ الآيات) أي: القرآنيَّةَ، وهي قوله: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ . . .﴾ إلخ، ويصحُّ أن يكون اسم الإشارة عائداً على السورة بتَمامها.

قوله: (﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾) (مَنْ): شرطيَّة، و﴿شَآءَ﴾: فعل الشرط، ومفعوله محذوف؛ أي: النجاةَ، وجملة ﴿ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ جوابُ الشرط، ويصحُّ أن يكون جملة ﴿شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ فعلَ الشرط، وجوابه محذوفٌ، تقديرُهُ: فليَفعل.

قوله: (بالإيمان والطاعة) أشار بذلك إلى أنَّ المرادَ باتخاذ السَّبيل: التقرُّبُ إلى الله تعالى؛ بامتثالِ مَأموراتِهِ، واجتنابِ مَنهيَّاتِهِ.

قوله: (﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾. . . إلخ) شروعٌ في بيان النَّاسخ لِقوله: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ . . .﴾ إلخ، ومحلُّه: قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾، وما قبلَهُ توطئةٌ وتمهيدٌ له.

قوله: (أقلَّ ﴿مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ﴾. . . إلخ) إن قُلتَ: إنَّ الأقليَّة بِاعتبار الثلثَين والنِّصفِ ظاهرةٌ، ولا تَظهر بالنسبة للثلث؛ لأنَّهم غيرُ مأمُورين بالنقص عليه، بل هم مُخيَّرون كما تقدَّم بين قِيام الثلثَين والنصف والثلث، وهذا على قراءة الجرِّ، وقد يُجاب: بأنَّ معنى قوله: ﴿أَدْنَىٰ﴾ التقريب؛ أي: يَعلم أنَّك تقوم كما أمرَك أقربَ من ثُلثي الليل. . . إلخ، وعبَّر بالأدنى؛ لأنَّها أمورٌ ظنيَّةٌ تخمينيَّةٌ لا تحقيقيَّةٌ، وهم مُكلَّفون بالظنِّ، لا التَّحقيقِ والتَّحريرِ بالدقيقةِ.

---

(١) ويجوز أن يكون الضمير لليوم، فيكون مضافاً لمفعوله، والفاعل وهو الله تعالى مُقدَّر، ومعنى (مفعولاً): أنه مقضيٌّ نافذٌ لا يردُّ، على حدِّ: ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾. «فتوحات» (٤/ ٤٥٠).

﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ ....

على ﴿ثُلُثَيِ﴾، وبِالنَّصبِ عطفٌ على ﴿أَدْنَىٰ﴾ ـ، وقِيامُه كذلك نَحو ما أُمِرَ بِه أوَّلَ السُّورة، ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ ـ عَطف على ضَمِير ﴿تَقُومُ﴾، وجازَ مِن غَير تَأكِيد لِلفَصلِ ـ وقِيامُ طائِفة مِن أصحابِه كذلك لِلتَّأسِّي بِه، ومِنهُم مَن كانَ لا يَدرِي كَم صلَّى مِن اللَّيل وكَم بَقِيَ مِنهُ، فكانَ يَقُوم اللَّيلَ كُلَّه احتِياطاً، فقامُوا حتَّى انتَفخَت أقدامُهم ....

حاشية الصاوي

قوله: (وبالنصب) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (عطف على ﴿أَدْنَىٰ﴾) أي: فهو معمول لـ﴿تَقُومُ﴾، والمعنى: تقوم نصفَهُ تارةً، وثلثَهُ تارةً أخرى.

قوله: (وقيامه) مبتدأ، وقوله: (نحو ما أمر به) خبره؛ أي: مِثله، فقوله هنا: ﴿أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾ المراد به: الثُّلثان على سبيل التقريب، وهو المذكور أوّلاً بقوله: ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾، وقوله: ﴿وَنِصْفَهُۥ﴾ المراد به: النصف تقريباً، وهو المذكور أوّلاً بقوله: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ﴾، وقوله: ﴿وَثُلُثَهُۥ﴾ المراد به: الثلث تقريباً، وهو المذكور أوّلاً بقوله: ﴿زِدْ عَلَيْهِ﴾، ولا يحتاج لقولنا: (تقريباً) إلّا على قراءة الجرِّ، وأمَّا قراءة النَّصب.. فظاهرةٌ.

قوله: (وجاز) أي: العطفُ على ضمير الرفعِ المتصل من غير تأكيدٍ بالضمير المنفصل، وقوله: (للفصل) أي: بغير الضمير، على حدِّ قولِ ابن مالكٍ[2]: [الرجز]

أو فـــاصِـــلٍ مـــا ....

قوله: (وقيام طائفة) مبتدأ، وقوله: (للتأسي به) خبرُه، وقوله: (كذلك) أي: ثلثَين ونصفاً وثلثاً.

قوله: (ومنهم من كان لا يَدري... إلخ) بيانٌ للطائفة الأخرى التي لم تتأسَّ به، فافترقت الصحابة فرقتَين: فرقة تأسَّت به في قيام الثلثَين والنصف والثلث، وفرقة شدَّدُوا على أنفسهم، فأحيَوا الجميعَ.

---

(١) قرأ ابن كثير وعاصم وحمزةُ والكسائي بنصب الفاء بعد الصاد، ونصب المثلثة بعد اللام، ورفع الهاء فيهما، والباقون بكسر الفاء والمثلثة، وكسر الهاء. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٢١).

(٢) «الخلاصة»، باب: عطف النسَق.

وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ....

سَنةً أو أكثرَ، فخُفِّف عنهُم، قال تَعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ﴾: يُحصِي ﴿ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن﴾ ـ مُخففَة مِن الثَّقِيلة واسمُها مَحذُوف ـ أي: أنَّه ﴿لَّن تُحۡصُوهُ﴾ أي: اللَّيلَ لِتَقُومُوا فِيما يَجِب القِيام فِيه إلَّا بِقِيامِ جَمِيعِه، وذلك يَشُقُّ علَيكُم، ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ﴾: رَجَعَ بِكُم إلى التَّخفِيف، ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ في الصَّلاة بِأن تُصَلُّوا ما تَيسَّر، ﴿عَلِمَ أَن﴾ ـ مُخفَّفة مِن الثَّقِيلة ـ أي: أنَّهُ ﴿سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: يُسافِرُون ....

حاشية الصاوي

قوله: (سَنَةً) أي: على القول بأنَّ السورة كلَّها مكيَّةٌ، وقوله: (أو أكثر) أي: ستَّةَ عشرَ شهراً، على القول بأنها مكيَّةٌ أيضاً، أو: عشرَ سنينَ، على القول بأنَّ قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ...﴾ إلخ مدنيٌّ.

قوله: (فخفِّف عنهم) أي: عن الطائفتَين من الصحابة.

قوله: (أي: الليلَ) أشار بذلك إلى أنَّ الضمير عائدٌ على (الليل)؛ لأنَّه المحدَّثُ عنه من أوَّل السورة.

قوله: (رجَع بكم إلى التخفيف) أي: فالمراد: التوبةُ اللغويَّةُ، لا التَّوبةُ من الذنوب؛ لكونهم لم يَفعلُوا ذنوباً.

قوله: (﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾) بيانٌ للناسخ، فنسخ التقدير بالأجزاء الثلاثة إلى جزءٍ مُطلَقٍ من الليل.

قوله: (في الصلاة) بيانٌ لمعنى القرآن في الأصل.

قوله: (بأن تُصلوا) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالقراءة: الصلاةُ، من: إطلاق الجزء على الكلِّ.

قوله: (﴿مَا تَيَسَّرَ﴾) أي: ولو ركعتين.

قوله: (﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾... إلخ) استئنافٌ مُبيِّنٌ لحكمةٍ أخرى للتَّرخيص والتَّخفيف.

قوله: (مخفَّفة من الثقيلة) أي: واسمها ضمير الشأن، وجملة ﴿سَيَكُونُ﴾ خبرها، و﴿مَّرۡضَىٰ﴾ اسم (يكون)، و﴿مِنكُمۡ﴾: خبرها.

قوله: (﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾... إلخ) سوَّى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمتكسِّبين المالَ الحلالَ لِنَفقته على نفسه وعِياله؛ إشارةً إلى أنَّ كسب المال بمنزلة الجهاد؛ لما وردَ في الحديث: «ما من جالبٍ يجلب طعاماً من بلدٍ إلى بلدٍ، فيَبيعه بسعر يومه.. إلَّا كانت منزلتُهُ عند الله

يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ....

﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾: يَطلُبُون مِن رِزقه بِالتِّجارةِ وغَيرِها، ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ وكُلٌّ مِن الفِرَق الثَّلاثة يَشُقُّ علَيهِم ما ذُكِرَ في قِيام اللَّيل، فخَفَّفَ عَنهُم بِقِيام ما تَيَسَّرَ مِنهُ، ثُم نَسخ ذلك بِالصَّلَوات الخَمسِ، ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ كما تَقدَّم، ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المَفرُوضةَ، ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بِأن تُنفِقُوا ما سِوَى المَفرُوض مِن المالِ في سَبِيل الخَير، ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ عن طِيبِ قَلب، ....

حاشية الصاوي

منزلةَ الشهداءِ، ثمَّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1]، وقال ابن مسعود: (أيُّما رجلٍ جلب شيئاً من مدينة من مَدائن الإسلام صابراً محتسباً، فباعه بِسعر يومه.. كان له عند الله مَنزل الشهداء، وقرأ: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ الآية)[2].

قوله: (وغيرها) أي: كطلَب العلم، وصِلة الرَّحم.

قوله: (﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾) إنَّما كرَّره؛ تأكيداً، ولكونه قرنَهُ بِحكمٍ أخرى غيرِ الأولى.

قوله: (**ثمَّ نسخ ذلك بالصَّلوات الخمس**) أي: في حقِّ الأُمَّة اتفاقاً، وأمَّا هو ﷺ.. فقال مالك: لم يُنْسَخْ في حقِّه ﷺ، بل بقي وجوبُ التهجد عليه، لكن في خُصوص الحضر، وقال الشافعي: نُسِخَ في حقِّه أيضاً.

إن قلتَ: إنَّ وجوبَ الصلواتِ الخمسِ لا يُنافي وجوبَ قيامِ الليل، وشرطُ النَّاسخ: أن يكون حكمُهُ مُنافياً للحكم المنسوخ.

فالحقُّ: أنَّ النسخ بالحديث، وهو أنَّه ﷺ أخبر أعرابيًّا بأنَّ الله افترَض عليه خمسَ صلواتٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، فقال الأعرابي: هل عليَّ غيرها يا رسول الله ؟ قال ﷺ: «**لا إلا أن تطوَّعَ**»[3] فقوله: «لا» نفيُ وجوبِ أيِّ صلاةٍ كانت غيرِ الخمسِ.

---

(١) رواه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٥١٢)، وقال العراقي: رواه ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسندٍ ضعيف. انظر «إتحاف السادة المتقين» (٥/ ٤٨٠).

(٢) رواه أبو طالب المكي في «قُوت القلوب» (٢/ ٢٥٦).

(٣) رواه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١) عن سيدنا طلحة بن عبيد الله ﷺ.

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ مِمَّا خَلَّفْتُم ـ و﴿هُوَ﴾ فصلٌ، وما بَعده ـ وإن لَم يَكُن مَعرِفةً ـ يُشبِهُها لِامتِناعِه مِن التَّعرِيف ـ ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لِلمُؤمِنِين.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم﴾) (ما): شرطيَّة، و﴿تَجِدُوهُ﴾: جواب الشرط، و﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾: بيانٌ لـ(ما)، و﴿عِندَ اللَّهِ﴾: ظرف لـ﴿تَجِدُوهُ﴾، و﴿خَيْرًا﴾: مفعولٌ ثانٍ لـ﴿تَجِدُوهُ﴾.

قوله: (مِما خلفتم) أي: وراءَكم.

إن قُلت: إنَّ الذي خلَّفه وراءه ميراثٌ لغيره؛ فلا خيرَ فيه له، فالأحسَنُ أن يقول: (ممَّا أنفَقتم على أنفسكم في العاجل).

قوله: (و﴿هُوَ﴾ فصلٌ) أي: ضميرُ فصلٍ.

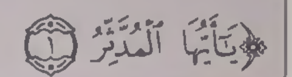
قوله: (وما بعدَه... إلخ) أشار بذلك لسؤالٍ، حاصلُه: أنَّ ضمير الفصل لا يقع إلَّا بين معرفتين، وهنا وقع بين معرفةٍ ونكرةٍ، فأجاب بقوله: (يشبهها)، وقوله: (لامتناعه من التعريف) أي: لأنَّه اسم تفضيل، وهو لا يجوز دخولُ (أل) عليه إذا كان معه (مِنْ) لفظاً أو تقديراً، وهنا (مِنْ) مقدَّرةٌ، كأنَّه قال: (هو معرفةٌ لولا المانع، وهو كونُه مقروناً بـ«مِنْ»).

قوله: (﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾) أي: اطلبُوا مغفرتَهُ في جميع أحوالِكم؛ فإنَّ الإنسان لا يخلُو من تفريطٍ يوجبُ حَجْبَهُ عن بركات الدنيا والآخرة، ولا يُزِيلُ ذلك الحجابَ إلَّا الاستغفارُ، كما قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ...﴾ [نوح: ١٠] الآيات، وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وفي الحديث: «إنَّ العبد ليُحرَمُ الخيرَ بالذنب يُصِيبُه»[(١)].

✿ ✿ ✿

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٧٧٥)، وابن ماجه (٤٠٢٢) عن سيدنا ثوبان ﷺ، وفيهما: (الرزق) بدل (الخير).



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ ....



مكيَّة، خمسٌ وخَمسون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٥) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾: النَّبيُّ ﷺ - وأصلُه: (المُتدَثِّر) ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ المُدَّثِّر

(مكيَّة) أي: بالإجماع.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾) وقع خلافٌ طويلٌ في أوَّل ما نزَل من القرآن، والصَّحيح: أنَّ أوَّل ما نزَل على الإطلاق: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ...﴾ إلى ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾، وأوَّل ما نزل بعد فترة الوحي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ...﴾ إلى ﴿فَٱهۡجُرۡ﴾.

والحاصل: أنَّه ﷺ كان يتعبَّدُ في غار حراء، فنزل عليه جبريل بآيةِ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ كما في حديث البخاري، فذهب بها يَرجف فؤاده فقال لخديجة: «زمِّلوني زمِّلوني»[1]، فنزل عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾، ثمَّ فترَ الوحيُ، فحزنَ ﷺ، وجعل يعلُو شواهقَ الجبال، ويريد أن يرميَ بنفسِهِ[2]، فنُودي وهو بغار حراء: «يا محمَّد؛ إنَّك رسولُ الله»، قال: «فنَظرت عن يميني ويساري، فلم أر شيئاً، فنَظرت فوقي فإذا به قاعدٌ على عرشٍ بينَ السماء والأرض» يعني: الملكَ الذي ناداه، فرعبتُ ورجعت إلى خديجة، فقلت: «دثِّروني دثِّروني»، فنزل جبريل وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾[3]. والتدثر: لبسُ الدِّثار، وهو الثَّوب الذي فوق الشِّعار، والشِّعارُ: ما يلي الجسدَ.

---

(١) «صحيح البخاري» (٣)، ورواه مسلم (١٦٠) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري (٦٩٨٢) من بلاغات الزهري رحمه الله تعالى، والسبب في ذلك كما في «إرشاد الساري»: (الإشفاق أن تكون الفترة لأمرٍ أو سببٍ منه، فتكون عقوبة من ربِّه، ففعل ذلك بنفسه، ولم يَرد شرعٌ بالنهي عن ذلك فيعترض به، أو الحزن على ما فاته من الأمر الذي بشَّره به وَرقة، ولم يكن خُوطب عن الله أنَّك رسول الله).

(٣) رواه البخاري (٤٩٢٢)، ومسلم (١٦١) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ ....

أُدغِمت التَّاء في الدَّال ـ أي: المُتَلفِّف بِثِيابِه عِند نُزُول الوَحي علَيه، ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: خَوِّفْ أهلَ مكَّة النَّارَ إن لَم يُؤمِنُوا، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: عَظِّم عن إشراكِ المُشرِكِين، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ عن النَّجاسةِ، أو قَصِّرها خِلافَ جَرِّ العَرَب ثِيابَهُم خُيَلاءَ، فرُبَّما أصابَتها نَجاسةٌ،

حاشية الصاوي

قوله: (أدغمت التاء) أي: بعد قلبِها دالاً وتسكينِها.

قوله: (أي: المتلفِّفُ بثيابه) أي: من الرُّعب الذي حصَل له من رؤيةِ الملك، وقيل: المتدثِّرُ بالنبوَّةِ والمعارفِ الإلهيَّةِ.

قوله: (﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾) إنَّما اقتصر على الإنذار وإن كان مبعوثاً بالتبشير أيضاً؛ لأنَّه في ذلك الوقتِ لم يكن أحدٌ يَصلح للتبشير إلَّا ما قلَّ جدًّا، فلمَّا اتَّسعَ الإسلام.. نزل عليه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

قوله: (﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾) أي: خُصَّ ربَّكَ بالتَّكبير والتَّعظيم، ظاهراً وباطناً، والفاء في هذا وما بعده: لإفادة معنى الشَّرط، كأنَّه قال: مهما يكن من شيءٍ.. فكبِّر، والمعنى: اعتقد أنَّ ربَّك مُنزَّهٌ عن كلِّ نقصٍ، متَّصفٌ بكلِّ كمالٍ.

قوله: (﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ عن النجاسة) أي: لأنَّ طهارة الثياب شرطٌ في صحة الصلاة، لا تصحُّ إلَّا بها، وهي الأَولى والأحبُّ في غير الصلاة؛ لأنَّ المؤمن طاهرٌ طيِّبٌ لا يليقُ منه أن يَحمل خبثاً، ففي هذا ردٌّ على المشركين؛ فإنَّهم كانُوا لا يَصُونون ثيابَهم عن النَّجاسات، فأمرَه الله تعالى أن يخالفهم في ذلك.

قوله: (أو قصِّرها) أي: لأنَّ تطويلَ الثيابِ شأنُهُ إصابةُ النَّجاسةِ، فعبَّر بالملزُوم عن اللازم، وتقصير الثياب مطلوبٌ؛ لما في الحديث: «**إزارُ المؤمن إلى أنصاف ساقيه، ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين، وما كان على أسفلَ من ذلك.. ففي النَّار**»[1]، فمِن السَّفه أن يُطيل الرجل ثيابه ثمَّ يتكلَّفَ رفْعَها بيدَيه، وورَدَ: «**مَنْ جرَّ إزارَه خيلاءَ.. لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»، قال أبو بكر: يا رسول الله؛ إنَّ أحد شقَّي إزاري يَسترخي إلَّا أنِّي أتعهَّد ذلك منه، فقال رسول الله ﷺ: «لستَ

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٦٣٢)، وابن ماجه (٣٥٧٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيهما: (إزرة) بدل (إزار).

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ ....

﴿وَالرِّجْزَ﴾ فسَّرَهُ النَّبيُّ ﷺ بِالأوثانِ ﴿فَاهْجُرْ﴾ أي: دُمْ على هَجرِه.

(٦) - (٧) ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ - بِالرَّفع حالٌ - ....

حاشية الصاوي

ممَّن يَصنعه خيلاءَ»[١]، فيُؤخذ من ذلك: أنَّ تطويلَ الثياب بقصد الخيلاء حرامٌ، وأمَّا من غير قصدٍ بل لمجرَّد عادةِ أهل بلَده مثلاً.. فهو مكروهٌ إن كان يَتحفَّظ من النَّجاسة.

وما ذكره المفسِّرُ أحدُ أقوالٍ في تفسير الآية، وقيل: المراد: طهِّر نفسَك من الصفات المذمُومة؛ كالعجب والكبر والرياء ونحو ذلك، مأخوذ من قولهم: (فلانٌ طاهِر الثياب والذيل): إذا أرادُوا وَصْفَهُ بالنَّقاء من أدناس الأخلاق، ومِن ذلك قول عكرمة: (لا تَلبسها على معصية ولا غدر)[٢]، وقال الحسن: (خُلُقَكَ فَحَسِّنْ)[٣]، وقال سعيد بن جبير: (قلبَكَ وبيتَك فطهِّر)[٤]، وقال مُجاهد: (عملَك فأصلِحْ)[٥].

وقيل: المراد بالثياب: الأهلُ؛ أي: طهِّرهم عن الخطايا بالموعظة والتَّأديب، والعرب تُسمِّي الأهلَ ثوباً ولباساً وإزاراً، قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، والآية صالحةٌ لجميع تِلك المعاني.

قوله: (﴿وَالرُّجْزَ﴾) بضمِّ الراء وكسرها، سبعيَّتان، والزاي مُنقلبة عن السين، ومعناهما واحد[٦].

قوله: (أي: دُم على هَجره) دفع بذلك ما يُقال: ظاهر الآية يقتضي أنَّه كان متلبِّساً بعبادة الأوثان، وليس كذلك.

قوله: (﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾) المنُّ هنا: الإنعام، والمعنى: لا تُعطِ شيئاً مستكثراً له، وقوله: (حال) أي: من فاعل ﴿تَمْنُن﴾.

(١) رواه البخاري (٥٧٨٤) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٠) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) نقَله عنه القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٦٤).

(٤) نقله عنه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٦٩).

(٥) نقله عنه الماوردي في «تفسيره» (٦/ ١٣٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢) عن أبي رزين.

(٦) قرأ حفص بضمِّ الراء، والباقون بكسرها. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٥٣٥).

﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ﴾ ....

أي: لا تُعطِ شيئاً لِتَطلُبَ أكثَرَ مِنهُ، وهذا خاصٌّ بِهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ مَأمُورٌ بِأجمَلِ الأخلاقِ وأشرَفِ الآدابِ، ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ على الأوامِرِ والنَّواهِي.

(٨ - ١٠) ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾: نُفِخَ في الصُّورِ ـ وهو القَرنُ ـ النَّفخةُ الثَّانِيةُ، ﴿فَذَٰلِكَ﴾ أي: وقتُ النَّقرِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (لا تُعطِ شيئاً لتطلبَ أكثرَ منه) أي: فالاستكثار هنا عبارةٌ عن طلب العِوَض؛ بأن يَهَبَ شيئاً ويطمعَ أن يعوَّض من الموهوبِ له أكثرَ من الشيءِ الموهوبِ.

وقيل: المعنى: لا تُعطِ شيئاً مستكثراً له؛ أي: رائياً ما تُعطيه كثيراً، بل عُدَّهُ قليلاً؛ لقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ﴾ [النساء: ٧٧]، وقال البوصيري[1]: [الخفيف]

مُسْتَقِلٌّ دُنْيَاكَ أن ينسبَ الإمْـ ... ـسَاكُ منها إليهِ والإعطاءُ

وقوله: (أكثرَ منه) أي: ولا مساوياً، ولا أقلَّ، فالمرادُ: النَّهي عن طلب العِوَضِ مطلقاً؛ ليكونَ عطاؤه ﷺ خالياً عن انتظار العِوَض، والتفاتِ النَّفس إليه.

وحكمةُ تخصيصه بذلك: أنَّه عليه السلام خليفةُ اللهِ الأعظمُ في خلقِهِ دنيا وأخرَى، يَقْسِمُ عليهم من خزائن الله تعالى، فجميعُ ما بَذَلَهُ لِعباده بالنسبة لما عند الله قليلٌ؛ فلا يَليق أن يراه كثيراً، ولا أن يطلب عوضاً من الفقراء وهو خليفةٌ عن الغنيِّ المطلَقِ، فتدبَّر.

قوله: (وهذا) أي: النَّهي، وقوله: (خاصٌّ به) أي: وأمَّا أُمَّتُهُ.. فليس حراماً في حقِّهم.

قوله: (﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾) من: النَّقْرِ، وهو القرعُ الذي هو سَبَبُ الصوتِ، فأُطْلِقَ السَّببُ وأريد المسبَّبُ، وهو التَّصويتُ، والمعنى: إذا صوَّتَ إسرافيلُ في الصُّورِ.

قوله: (وهو القَرْنُ) أي: وهو مستطيلٌ، سَعَةُ فمِهِ كما بين السَّماء والأرض، وفيه ثُقَبٌ بعددِ الأرواح كلِّها، وتجمع في تلك الثُّقْبَةِ، فيَخرج بالنفخة الثانية من كلِّ ثُقْبَةٍ روحٌ إلى الجسدِ الذي نُزِعَتْ منه، فيعود الجسد حيًّا بإذن الله تعالى.

قوله: (أي: وقتُ النَّقرِ) أي: الذي هو معنى (إذا).

---

(١) في همزيَّته المشهورة. انظر «المنح المكية» (ص٣٠٦).

﴿يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ١٠ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١﴾ ....

﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ ـ بَدل مِمَّا قَبله المُبتَدأ، وبُنِيَ لإضافَتِه إلى غيرِ مُتَمكِّن، وخَبرُ المُبتدأ ـ ﴿يَوۡمٌ عَسِيرٌ﴾ ـ والعاملُ في (إذا) ما دَلَّت عليهِ الجُملةُ ـ أي: اشتَدَّ الأمرُ، ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ﴾ فِيه دَلالةٌ على أنَّهُ يَسِيرٌ على المُؤمِنِين أي: في عُسرِه.

(١١ ـ ١٥) ﴿ذَرۡنِي﴾: اترُكنِي ﴿وَمَنۡ خَلَقۡتُ﴾ ـ عَطف على المَفعُول أو مَفعُول مَعهُ ـ ﴿وَحِيدٗا﴾ ـ حالٌ مِن (مَن) أو مِن ضَمِيره المَحذُوف مِن ﴿خَلَقۡتُ﴾ ـ: أي: مُنفَرِداً بِلا أهل ولا مالٍ، هو الوَلِيد بن المُغِيرة المَخزُومِي، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بدلٌ ممَّا قبله) أي: وهو اسم الإشارة، وقوله: (المبتدأ) بيانٌ لـ(ما)، وقوله: (وبني) أي: لفظ (يوم)، وقوله: (إلى غير متمكِّن) أي: وهو (إذ) وتنوينُها عوضٌ عن الجملة؛ أي: يومَ إذ نُقِرَ في النَّاقور، وقوله: (وخبر المبتدأ ﴿يَوۡمٌ عَسِيرٌ﴾) أي: لفظ ﴿يَوۡمٌ﴾، وقوله: ﴿عَسِيرٌ﴾: صفةٌ أولى له، و﴿غَيۡرُ يَسِيرٖ﴾: صفة ثانية.

قوله: (ما دلَّت عليه الجملة) أي: جملة الجزاء، وهي قوله: ﴿فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ﴾؛ فقد دلَّت على جملةٍ فعليَّةٍ فعلُها عاملٌ في (إذا)، فالنَّاصبُ لها مدلولُ جوابِها، لا جوابُها نفسُهُ.

قوله: (﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾) مُتعلِّقٌ بـ﴿عَسِيرٌ﴾، وقوله: (فيه دلالةٌ) أي: في التقييد بهذا الجارِّ والمجرور دلالةٌ على أنَّهُ يسيرٌ على المؤمنين، وأشار به إلى جوابٍ: ما فائدة قوله: ﴿غَيۡرُ يَسِيرٖ﴾ و﴿عَسِيرٌ﴾ مُغنٍ عنه؟ ففيه زيادةُ وعيدٍ وغيظٍ للكافرين، وبُشرى وتسليةٍ للمؤمنين.

قوله: (﴿ذَرۡنِي﴾) خطابٌ للنَّبي ﷺ، وفيه مزيدُ إجلالٍ وتعظيمٍ له، وإشعارٌ بأنَّ رحمتَهُ ﷻ غالبةٌ على غضبِهِ.

قوله: (على المفعول) أي: وهو الياء في ﴿ذَرۡنِي﴾.

قوله: (أو مفعول معه) أي: فالواو للمعيَّةِ.

قوله: (أو مِن ضميره المحذوف) أي: عائده المحذوف مِنْ ﴿خَلَقۡتُ﴾ أي: خلقتُه، ويحتمل أنَّه من التاء في ﴿خَلَقۡتُ﴾ أي: خلقتُهُ وَحدي لم يشاركني في خلقِهِ أحدٌ، والأوَّل أقرب.

قوله: (هو الوليد بن المُغيرة) أي: المخزوميُّ الذي تقدَّمَتْ بعضُ أوصافِهِ في سورة (ن).

وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ ...

﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾: واسِعاً مُتَّصِلاً مِن الزُّرُوع والضُّرُوع والتِّجارةِ، ﴿وَبَنِينَ﴾ عَشَرةً أو أكثَر ﴿شُهُودًا﴾: يَشهَدُون المَحافِلَ وتُسمَعُ شَهادَتُهُم، ﴿وَمَهَّدتُّ﴾: بَسَطتُ، ﴿لَهُۥ﴾ في العَيش والعُمُر والوَلَدِ ﴿تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ﴾) عطف على ﴿خَلَقْتُ﴾.

قوله: (﴿مَالًا مَّمْدُودًا﴾) اختُلِفَ في مبلغه؛ فقيل: ألفُ دينارٍ، وقيل: ستَّةُ آلاف، وقيل: تسعةُ آلافِ مثقالِ فضَّة.

قوله: (من الزروع) أي: فكان له بستانٌ بالطائف، لا تنقطع ثمارُه شتاءً ولا صيفاً.

قوله: (والضُّروع) أي: المواشي.

قوله: (عشرةً) أي: من الذكور، وقد عدَّ الخازن منهم سبعةً، وهم الوليد، وخالد، وعمارة، وهشام، والعاص، وقيس، وعبد شمس[1]، وقوله: (أو أكثر) قيل: اثني عشر، وقيل: ثلاثة عشر، وقيل: سبعة عشر، وعلى كلٍّ فقد أسلَم منهم ثلاثةٌ: خالد، وهشام، والوليد.

قوله: (﴿شُهُودًا﴾) جمع (شاهد) بمعنى: (حاضِر).

قوله: (يَشهدون المحافل) أي: مجامعَ النَّاس لِوَجاهتهم بين النَّاس، أو المراد: الحضور مع أبيهم؛ لعدم احتياجهم للسفر، فهو كنايةٌ عن كثرة النِّعم والخدَم.

قوله: (وتسمع شهادتهم) أي: كلامهم.

قوله: (﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾) التمهيدُ في الأصل: التَّسويةُ والتَّهيئةُ، أُطْلِقَ وأُرِيدَ به بسطُ المالِ والجاهِ.

قوله: (بسَطت له في العيش والعُمر والولد) أي: حتَّى لُقِّبَ ريحانةَ قريشٍ، والوحيدَ[2].

قوله: (﴿ثُمَّ يَطْمَعُ﴾) عطف على (جعلتُ) و(مهَّدتُ).

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٤/ ٣٦٣).

(٢) أي: باستحقاق الرياسة والتقدم. «فتوحات» (٤/ ٤٥٦).

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَٰتِنَا عَنِيدٗا ﴿١٦﴾ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾﴾ ....

(﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾) ﴿كَلَّآ﴾ لا أزِيدُهُ على ذلك؛ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَٰتِنَا﴾: القُرآنِ ﴿عَنِيدٗا﴾: مُعانِداً، ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ﴾: أُكَلِّفُهُ ﴿صَعُودًا﴾: مَشَقَّةً مِن العَذاب أو جَبَلاً مِن نارٍ يَصعَد فِيه ثُمَّ يَهوِي أبداً.

(﴿١٨﴾ - ﴿٢٥﴾) ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ فِيما يَقُولُ في القُرآن الذِي سَمِعَهُ مِن النَّبيِّ ﷺ، ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نَفسِه ذلك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (لا أزيده) أي: بل أنقُصه، فقد ورَدَ: أنَّه بعد نزول هذه الآية ما زال في نقصانِ مالِهِ وولدِهِ حتَّى هلك فقيراً بخَدشةِ سهمٍ أصابَتْهُ في رجله؛ كما قال البوصيري[1]: [الخفيف]

وأصابَ الوليدَ خَدشةُ سَهمٍ ... قَصَّرَتْ عنها الحيَّةُ الرَّقْطاءُ

قوله: (﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَٰتِنَا عَنِيدٗا﴾) تعليلٌ للرَّدعِ المستفادِ من قوله: ﴿كَلَّآ﴾.

قوله: (مُعانداً) العِنادُ ينشأ من كِبْرٍ في النَّفس ويُبسٍ في الطَّبع، أو شراسةٍ في الأخلاق، أو خَبَلٍ في العقل[2].

قوله: (يصعد فيه) أي: سبعين عاماً، كلَّما وَضع يده عليه ذابَتْ، فإذا رفعَها عادَتْ، وإذا وضع رجله ذابَت، وإذا رفعها عادت.

قوله: (ثمَّ يهوي) أي: سبعين عاماً.

قوله: (أبداً) راجع لكلٍّ من الصُّعود والهُوِيِّ.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾) أي: ردَّه فِكره فيما يَطعن به في القرآن.

وذلك: أنَّه ﷺ لمَّا نزل عليه ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَيۡهِ

---

(١) في همزيته المشهورة، والحيَّة الرقطاء: التي خالط سوادَها نُقطُ بيض، وهي من أعظم الحيَّات أذًى. انظر «المنح المكية» (ص٢٣٣).

(٢) وقد جمع ذلك كلَّه إبليس لعنه الله تعالى؛ لأنَّه خُلِقَ من نارٍ، وهي من طَبعها اليبوسة، وعدم الطواعية.
وفي الآية إشارةٌ إلى أنَّ الوليد كان معانداً في أمورٍ كثيرة، منها: أنه كان يُعاند في دلائل التوحيد، وصحة النبوَّة، وصِحة البعث، ومنها: أنَّ كفره كان عناداً؛ لأنه كان يَعرف هذه الأشياء بقلبه، ويُنكرها بلسانه. وكفرُ العناد أفحش أنواع الكفر، ومنها: أنَّ قوله تعالى: ﴿كَانَ﴾ يدلُّ على أنَّ هذه حرفتُهُ من قديم الزمان. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٣٠).

فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ....

﴿فَقُتِلَ﴾: لُعِنَ وعُذِّبَ ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾: على أيِّ حال كان تَقدِيرُه، ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ﴾

حاشية الصاوي

ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: ١-٣].. قام في المسجد والوليدُ بنُ المغيرةِ قريبٌ منه يَسمع قراءته، فلمَّا فَطن النبيُّ ﷺ لاستماعه لِقراءته.. أعاد قراءةَ الآيةِ، فانطلق الوليد بن المغيرة حتَّى أتى مجلسَ قومِهِ بني مخزوم فقال: واللهِ؛ لقد سَمِعْتُ من محمَّد آنفاً كلاماً ما هو من كلام البَشر، ولا من كلام الجنِّ، إنَّ له لحلاوةً، وإنَّ عليه لَطلاوةً، وإنَّ أعلاه لمثمِرٌ، وإنَّ أسفله لَمُغدقٌ، وإنَّه يعلُو ولا يُعْلَى عليه.

ثمَّ انصرف إلى مَنزله، فقالت قريش: صبأَ واللهِ الوليدُ، واللهِ لَتصبأنَّ قريشٌ كلُّهم، فقام أبو جهل وقال: أنا أَكفِيكُموه، فانطلق فقعَد إلى جنب الوليد حزيناً، فقال له الوليد: ما لي أراك حزيناً يا ابن أخي؟ قال: وما يمنعُني ألَّا أحزنَ وهذه قريشٌ يَجمعونَ لك نفقةً يُعينونك بها على كبر سنِّكَ، ويزعمون أنَّكَ زيَّنْتَ كلامَ محمَّد، وأنَّكَ داخلٌ على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة تسألُ مِنْ فضلِ طعامِهم، فغَضب الوليد وقال: ألم تعلَمْ أنِّي مِنْ أكثرهم مالاً وولداً؟! وهل شَبع محمَّد وأصحابه من الطعام فيكونَ لهم فضلٌ؟!

ثمَّ قام مع أبي جهل حتَّى أتى مجلسَ قومِهِ فقال لهم: تزعمونَ أنَّ محمَّداً مجنونٌ، فهل رأيتُموه يخنقُ قطُّ؟ قالوا: اللهمَّ لا، قال: تَزعمون أنَّه كاهنٌ، فهل رأيتموه قطُّ تكهَّنَ؟ فقالوا: اللهمَّ لا، قال: تزعمون أنَّه شاعرٌ، فهل رأيتُموه يتعاطى شعراً قطُّ؟ قالُوا: اللهمَّ لا، قال: تزعمون أنَّه كذابٌ، فهل جرَّبْتُم عليه شيئاً من الكذب؟ فقالوا: اللهمَّ لا ـ وكان رسول الله ﷺ يسمَّى الأمينَ قبل النبوَّةِ من صدقِهِ ـ فقالت قريش للوليد: فما هو؟ فتفكَّر في نفسِهِ وقدَّرَ ثمَّ قالَ: ما هذا إلا سحرٌ يُؤْثَرُ(١).

قوله: (﴿فَقُتِلَ﴾) أي: في الدنيا.

قوله: (﴿ثُمَّ قُتِلَ﴾) أي: فيما بعد الموت في البرزخ والقيامة.

و(ثمَّ): للدلالة على أنَّ الثانية أبلَغُ من الأُولى، فهي في هذه المواضع للتراخي، و﴿كَيْفَ﴾: منصوبة على الحال من الضمير في ﴿قَدَّرَ﴾، وهي للاستفهام، والمقصودُ منه: توبيخُهُ والتعجُّبُ من تقديرِه.

---

(١) أورده بطُوله البغوي في «تفسيره» (١٧٦/٥)، وروى نحوه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٣).

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ ....

في وُجُوهِ قومه أو فِيما يَقدَح به فِيه، ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾: قَبَضَ وجهَه وكَلَّحَهُ ضِيقاً بِما يَقُولُ، ﴿وَبَسَرَ﴾: زادَ في القَبض والكُلُوح، ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمانِ ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾: تكبَّر عن اتِّباع النَّبيِّ ﷺ، ﴿فَقَالَ﴾ فِيما جاءَ بِه: ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾: يُنقَلُ عن السَّحَرة، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ كما قالُوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

(﴿٢٦﴾ - ﴿٣٠﴾) ﴿سَأُصْلِيهِ﴾: أُدخِلُهُ ﴿سَقَرَ﴾: جهنَّم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (في وُجوه قومه) أي: نظرَ بعينِ الغضبِ من أجل الأمر الذي قالُوه فيه، وقوله: (أو فيما يَقدح به) أي: في القرآن، فالنَّظر على هذا بمعنى التأمُّلِ، فيكون تأكيداً لقوله: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾.

قوله: (﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾) يقال: عبَس عَبساً وعُبُوساً؛ أي: قطَّبَ وجهَهُ، والعَبَسُ: يطلق على ما يَبس في أذناب الإبل من البعر والبول، وقوله: (﴿وَبَسَرَ﴾) يقال: بَسَرَ يَبْسُرُ بَسَراً وبُسُوراً: إذا قبض ما بين عَينَيه كراهيةً للشيء واسودَّ وجهُهُ منه، يقال: وجهُهُ وجهٌ باسرٌ؛ أي: مُنقبضٌ مُسوَدٌّ، والبسورُ: غايةٌ في العُبوس.

قوله: (والكُلوح) مرادفٌ للقبض.

قوله: (﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾) عطف سببٍ[1].

قوله: (﴿إِلَّا سِحْرٌ﴾) أي: أمورٌ تخيليَّةٌ لا حقائق لها، وهي لِدقَّتِها تخفى أسبابُها، وقوله: (ينقل عن السَّحرة) أي: كمُسيلِمةَ وأهلِ بابل.

قوله: (﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾) نتيجةُ حَصرِهِ في السِّحر.

قوله: (﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾) بدل من قوله: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾، ثمَّ إن كان المرادُ بالصَّعود المشقَّةَ.. فالبدلُ واضحٌ، وإن كان صُعُود الجبل والهبوط.. فهو بدل اشتمالٍ، فتدبَّر[2].

---

(١) أي: إنَّ سبب إدباره هو الاستكبار عن الحق، أو هو عطفُ مساوٍ في المعنى كما يُفهم من تقرير المفسِّر رحمه الله تعالى، فيكون تأكيداً. انظر «الفتوحات» (٤/٤٥٨).

(٢) عبارة العلامة السمين في «الدر المصون» (١٠/٥٤٥): (وإن كان المراد صخرةً في جهنَّم، كما جاء في بعض التفاسير.. فيعسر البدل، ويكون فيه شبهٌ من بدل الاشتمال؛ لأنَّ جهنَّمَ مُشتملةٌ على تلك الصَّخرة).

وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ . . . .

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾؟ تعظيمٌ لِشأنها، ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ شَيئاً مِن لَحم ولا عَصَب إلَّا أهلَكَته، ثُمَّ يَعُود كما كانَ، ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾: مُحَرِّقةٌ لِظاهِرِ الجِلد، ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ مَلَكاً . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَا سَقَرُ﴾) ﴿مَا﴾: مبتدأ، و﴿سَقَرُ﴾: خبره، والجملة سدَّت مسدَّ المفعول الثاني لـ(أدرى).

قوله: (تعظيم لِشأنها) أي: نظير ما تقدَّم في (سورة الحاقة)(١).

قوله: (﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾) حالٌ، وفيها معنى التعظيم(٢)، والجملتان بمعنًى واحدٍ، والعطف للتوكيد، هذا ما يقتضيه صنيع المفسِّر.

قوله: (﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾) خبر مبتدأ محذوف، وقوله: (محرقة لظاهر الجلد) أي: فالمراد بالبشر: الجلدُ، ويُطلق البشر على الناس جميعاً، ومعنى ﴿لَوَّاحَةٌ﴾: تَظهر لهم وتلُوح قبل أن يسقطُوا فيها، ولكنَّ المعنى الأوَّل أقرَب.

قوله: (﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ملكاً) أي: وهم مالِك ومعه ثمانية عشر، وقيل: تسعة عشر نقيباً، وقيل: تسعة عشر ألف ملَك، والقول الثاني موافق لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، وفي «القرطبي»: (قلتُ: والصحيح إن شاء الله: أنَّ هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء، وأمَّا جملتُهم. . فالعبارة تعجز عنها كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنَّم يومئذٍ لها سبعون ألف زمامٍ، مع كلِّ زمامٍ سبعون ألف ملكٍ يجرُّونها»). اهـ(٣).

وقد ورَدَ في صفة الخزَنة: «أنَّ أعيُنَهم كالبرق الخاطف، وأنيابَهم كالصَّياصي ـ أي: قرونِ البقر

---

(١) انظر (٧/ ١٦٧).

(٢) أي: إنَّ العامل فيها معنى التعظيم، بمعنى: أنَّ الاستفهامَ في قوله: ﴿مَا سَقَرُ﴾ للتعظيم، فالمعنى: استعظموا سقرَ في هذه الحال، ومفعول (تبقي) و(تَذر) محذوف؛ أي: لا تُبقي ما ألقي فيها ولا تذَرُه، بل تُهلكه، وقيل: تقديره لا تبقي على من أُلقي فيها، ولا تَذر غاية العذاب إلا وَصَلته إليه. وقيل: الجملة مستأنفة. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٥٤٥).

(٣) «تفسير القرطبي» (١٩/ ٨٠)، والحديث رَواه مسلم (٢٨٤٢).

وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً ....

خزَنَتها، قال بَعضُ الكُفَّار ـ وكانَ قَوِيًّا شَدِيدَ البَأس ـ: أنا أكفِيكُم سَبعة عَشَر واكفُوني أنتُم اثنَينِ، قالَ تَعالى:

(٣١) ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ﴾ أي: فلا يُطاقُون كما يَتوهَّمُون، ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾: ضَلالاً ....

حاشية الصاوي

ـ وأشعارهم تمسُّ أقدامهم، يخرج لهب النَّار من أفواهِهم، ما بين منكبي أحدهم مسيرةُ سنةٍ، نُزِعَتْ منهم الرحمة، يدفع أحدهم سبعين ألفاً مرَّةً واحدةً، فيَرميهم حيث شاء من جهنَّم»[١].

وفي روايةٍ: «أنَّ لأحدهم مثلَ قوَّة الثقلين، يَسوق أحدهم الأمَّة وعلى رقبته جبلٌ، فيرمي بهم في النَّار، ويرمي الجبل عليهم»[٢].

قوله: (خزَنتها) أي: يتولَّون أمرها، ويَتسلَّطون على أهلها، ولا يتألَّمون منها، بل هم فيها كخزنة الجنَّة في الجنَّة.

قوله: (قال بعض الكفار) هو أبو الأشدِّ بن كَلدة بن خلف الجُمَحي، قال ابن عباس: لما نَزلت هذه الآية ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾.. قال أبو جهل لقريش: ثَكِلتكم أمَّهاتكم، محمَّدٌ يخبر أنَّ خزنةَ النار تسعة عشر وأنتُم الشجعان؛ أفيعجز كلُّ عشرة منكم أن يَبطشُوا بواحد منهم؟ فقال أبو الأشد: أنا أكفِيكم منهم سبعة عشر؛ عشرة على ظهري، وسبعة على بَطني، واكفُوني أنتم اثنين[٣].

وفي روايةٍ أنَّه قال: أنا أمشي بين أيديكم على الصراط، فأدفَع عشرة بمنكبي الأيمن، وتسعة بمنكبي الأيسر في النار، ونمضي فندخل الجنَّة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ﴾ [المدثر: ٣١][٤].

قوله: (﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾) مفعول ثانٍ لـ(جعل) على حذف مضاف؛ أي: إلَّا سببَ فتنةٍ، وقوله:

---

(١) رَواه الشجري في «أماليه» (٢/ ٤٠٢) عن سيدنا أنس بن مالك ﷺ في صفة مُنكر ونكير، وأورده الخطيب في «السراج المنير» (٤/ ٤٣٢) عن ابن جريج رحمه الله تعالى.

(٢) أورده الماوردي في «تفسيره» (٦/ ١٤٦)، والزمخشري في «كشَّافه» (٤/ ٦٥١)، وقال الزيلعي في تخريجه: غريب،

(٣) أورده البغوي في «تفسيره» (٥/ ١٧٨).

(٤) رواها ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩٠٤٠)، وانظر سبب النُّزول في «زاد المسير» (٤/ ٣٦٤).

لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ ....

﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِأن يَقُولُوا: لِمَ كانُوا تِسعة عَشَرَ؟ ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾: لِيَستَبِينَ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: اليَهُودُ صِدقَ النَّبيِّ ﷺ في كَونِهم تِسعة عَشَر المُوافِق لِما في كِتابِهِم، ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مِن أهلِ الكِتاب ﴿إِيمَانًا﴾: تَصدِيقاً لِمُوافَقةِ ما أتَى بِه النَّبيُّ ﷺ لِما في كِتابِهِم، ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ مِن غَيرِهِم في عَدَد المَلائكةِ، ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شَكٌّ بِالمَدِينة ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بِمكَّة: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا﴾ العَدَد ﴿مَثَلًا﴾؟ سَمَّوهُ لِغَرابَتِه بِذلك ـ وأُعرِبَ حالاً ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثل إضلالِ مُنكِر هذا العَدَد ....

حاشية الصاوي

(﴿لِلَّذِينَ﴾) صفة لـ﴿فِتْنَةً﴾. وإنَّما صار هذا العدد فتنةً لهم من وجهَين: الأوَّل: أنَّ الكفار يستهزئون ويقولون: لم لا يكونون أزيدَ من ذلك؟ والثاني: أنَّ هذا العددَ القليلَ كيف يتولَّى تعذيبَ أكثرِ العالم من الجنِّ والإنسِ، من أوَّل ما خلَق الله تعالى إلى قيام السَّاعة؟

قوله: (﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾) مُتعلق بـ﴿جَعَلْنَا﴾ الثاني، والمعنى: ليكتسبُوا اليقين بنبوَّة محمَّد وصدقِ القرآن لمَّا رأوا ذلك مُوافقاً لما في كتابهم.

قوله: (مِن غيرهم) أي: غير اليهود، فحصل التغاير، فالمراد بـ(الذين أوتُوا الكتاب والمؤمنون) أوَّلاً اليهودُ، والمراد بـ(الذين أوتُوا الكتاب) ثانياً هم النصارى، والمؤمنون المذكورُون بعدهم من غير اليهود، بل مِن هذه الأمة، فاندفع ما يُقال: إنَّ في الآية تكراراً.

قوله: (بالمدينة) حال من ﴿الَّذِينَ﴾ أي: حالَ كونهم بالمدينة، وهذا من الله إخبارٌ بما سيقع؛ لأنَّ السورة نزَلت قبل الهجرة بمكة.

قوله: (﴿مَاذَا﴾ . . . إلخ) ﴿مَا﴾: اسم استفهام، مبتدأ، و﴿ذَا﴾: موصول خبرُه، و﴿أَرَادَ اللَّهُ﴾: صِلة الموصول، و﴿مَثَلًا﴾: حال[1]، والمعنى: ما الذي أراده الله بهذا مثلاً لا حقيقةً؟ لِغَرابته؛ لأنَّ هذا العدد أمرٌ غريبٌ لم تَسَعْهُ عُقولنا.

قوله: (أي: مثل إضلال) أشار به إلى أنَّ الكاف في محلِّ نصبٍ، نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ؛ أي: يُضل إضلالاً مثل ذلك.

---

(١) ويجوز أن تكون (ماذا) بمنزلة اسم واحد في محل نصب بالفعل بعدها، تقديره: أيَّ شيءٍ أراد الله؟ ومحل هذه الجملة النصب بالقول، و(مثلاً): تمييز. انظر «الدر المصون» (١/ ٢٣١).

يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ﴿٣٥﴾ ....

وهَدْيِ مُصَدِّقه ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ أي: المَلائكةَ في قُوَّتِهم وأعوانِهم ﴿إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ﴾ أي: سقر ﴿إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾.

(﴿٣٢﴾ - ﴿٣٧﴾) ﴿كَلَّا﴾ - استِفتاح بمعنَى (ألَا) - ﴿وَٱلۡقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا﴾ - بِفَتح الذالِ - ﴿دَبَرَ﴾: جاءَ بعد النَّهار - وفي قِراءة: ﴿إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ بِسُكُونِ الذَّال بَعدها همزةٌ - أي: مَضَى، ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾: ظَهَر، ﴿إِنَّهَا﴾ أي: سَقَر ﴿لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ﴾: البَلايَا العِظام، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وهَدْيِ مُصَدِّقِه) بوزن (رَمْي) بفتح أوَّله وسكون ثانيه، أو بضمِّ أوَّله وفتحِ ثانيه.

قوله: (﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾) هذا جوابٌ لأبي جَهل حين قال: أما لمحمَّد أعوانٌ إلَّا تسعةَ عشرَ؟[1]

قوله: (أي: سَقَرُ) أعاد الضَّميرَ على سقر، ويجوزُ أن يَعود على الآيات المذكورة فيها.

قوله: (﴿إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾) أي: يتذكَّرون ويَعلمون كمالَ قُدرتِهِ تعالى.

قوله: (استِفتاح بمعنى «ألا») أي: فأتى بها تعظيماً للمقسَمِ عليه، وحينئذٍ: فالوقف على ما قبلَها، وقيل: إنَّها حرفُ ردعٍ وزجرٍ، وعليه: فيُوقف عليها.

قوله: (بفتح الذال) أي: فـ(إذا): ظرفٌ لما يستقبل، و(دَبَرَ): فعلٌ ماضٍ بوزن (ضَرَبَ)، وقوله: (وفي قراءةٍ... إلخ) أي: فـ﴿إِذۡ﴾: ظرفٌ لِما مضى من الزمان، و﴿أَدۡبَرَ﴾ بوزن (أَكْرَمَ) والقراءتان سبعيَّتان، والرسم محتملٌ لكلٍّ منهما؛ إذ الصُّورة الخطيَّة لا تختلف، وقرئ شذوذاً: (إذا أدبر) بألفَين، واختلفُوا هل (دَبَرَ) و(أَدْبَرَ) بمعنًى واحدٍ، أو (دبر) معناه: جاء، و(أدبَر) بمعنى: مضى، وهو الذي مشَى عليه المفسِّر[2].

قوله: (﴿إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ﴾) جوابُ القسَم.

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٥/ ١٧٨).

(٢) قرأ نافع وحمزة وحفص: (إذ أدبر)، والباقون: (إذا دبر)، واختار أبو عُبيد قراءةَ (إذا) قال: (لأنَّ بعده «إذا أسفر»، وقال: وكذلك هي في حرفِ عبد الله). انظر «الدر المصون» (١٠/ ٥٥٠).

نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ ....

﴿نَذِيرًا﴾ - حالٌ مِن (إحدَى)، وذُكِّر لِأنَّها بِمَعنى العَذاب - ﴿لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ - بَدل مِن ﴿لِّلْبَشَرِ﴾ - ﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ إلى الخَير أو الجنَّةِ بِالإيمانِ، ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ إلى الشَّرِّ أو النَّار بِالكُفر.

(﴿٣٨﴾ - ﴿٤٧﴾) ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾: مَرهُونةٌ مَأخُوذةٌ بِعَمَلِها في النَّار، ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ وهُم المُؤمِنُون فناجُونَ مِنها، كائنُون ﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ بَينَهم ﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ وحالِهم، ويَقُولُون لَهُم بعدَ إخراجِ المُوحِّدِين مِن النَّار: ....

حاشية الصاوي

قوله: (**حال من «إحدى»**) هذا أحد احتمالات كثيرة نحو أحدَ عشر، وهو أظهرها[1].

قوله: (﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾... **إلخ**) وعيدٌ وتهديدٌ، نظير قوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

قوله: (﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾) أي: مُؤمنة أو كافرة، عاصية أو غير عاصية، فالاستثناء متَّصلٌ.

قوله: (﴿رَهِينَةٌ﴾) أي: على الدوام بالنِّسبة للكفَّار، وعلى وجه الانقطاع بالنِّسبة لِعُصاة المؤمنين.

قوله: (**مأخوذة بعملها**) أشار بذلك إلى أنَّ (ما) مصدريَّة، والكسب بمعنى: العمل.

قوله: (﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾) قد علمتَ أنَّ الاستثناء متَّصل، وأهل اليمين يعمُّ العصاةَ وغيرَهم؛ لأنَّ الكلَّ ناجون من الرهنيَّة؛ إما ابتداءً ودواماً، وإمَّا دواماً.

قوله: (**كائنون** ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾ متعلِّق بمحذوف خبرِ مبتدأ مقدَّر؛ أي: هُم، وهذه الجملة مستأنفةٌ واقعةٌ في جواب سؤالٍ مقدَّرٍ، والتقدير: ما شأنهم وحالهم؟

قوله: (﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾) أي: يسأل بعضهم بعضاً، وقوله: (﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾) أي: الكافرين، والكلام على حذفِ مضافٍ؛ أي: عن حالِهم.

قوله: (**ويقولُون لهم**) أي: لِلمجرمين، وهذا القول خطابُ أهل الجنَّة لأهل النَّار، وهو غير السؤال المتقدِّم فيما بينَهم.

---

(١) أوصَلها العلامة السمين الحلبي إلى ستة عشر وجهاً. انظرها في «الدر المصون» (١٠/٥٥٢).

مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾

﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾: أدخلكم ﴿فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ﴾ في الباطِل ﴿مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾: البَعثِ والجَزاء، ﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾: المَوتُ.

(﴿٤٨﴾ - ﴿٥١﴾) ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ مِن المَلائكةِ والأنبِياء والصَّالِحِين، والمَعنَى: لا شَفاعةَ لَهُم، ....

حاشية الصاوي

والحاصل: أنَّ أهل الجنَّة حين يستقرُّون فيها ويُنادي المنادي: «يا أهل الجنَّة؛ خلودٌ بلا موت، ويا أهل النَّار؛ خلودٌ بلا موت»[1] يسأل بعضهم بعضاً عن مَعارفهم المجرمِين الذين خُلِّدُوا في النَّار، ثمَّ يُكْشَفُ لهم عنهم، يُخاطبونهم بقولهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾.

قوله: (﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ ... إلخ) الاستفهام للتَّوبيخ والتعجُّب من حالهم.

قوله: (﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾) أي: نُعطِيه ما يجب علينا إعطاؤه؛ كزكاةٍ ونحوِها.

قوله: (﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾) أي: في القرآن، فنَقول فيه: إنَّه لسحرٌ وشعرٌ وكهانةٌ، وغيرُ ذلك من الأباطيل التي كانُوا يَخُوضون فيها.

قوله: (﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾) تخصيصٌ بعد تعميمٍ؛ لأنَّ الخوض في الباطل عامٌّ شاملٌ لتكذيب يومِ الدين وغيره.

وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّ الكفار مُخاطَبون بفروع الشريعة، فيُعذَّبون عليها زيادةً على عذاب الكفر.

قوله: (﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾) غايةٌ في الأمور الأربعة.

قوله: (**والمَعنى: لا شفاعة لهم**) أي: فالنَّفي مسلَّطٌ على القيد والمقيَّد معاً، وهذا خلاف القاعدة؛ من أنَّ النفيَ إذا دخل على مقيَّدٍ تسلَّط على القيد فقط، فهنا ليس المراد: أنَّه تُوجد شفاعةٌ لكنَّها غيرُ نافعةٍ، بل المراد: لا توجد شفاعةٌ أصلاً.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيهما: (فلا موت) بدلَ (بلا موت).

فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ ....

﴿فَمَا﴾ ـ مُبتدأ ـ ﴿لَهُمْ﴾ ـ خَبَره مُتعلِّق بِمَحذُوفٍ انتقَل ضَمِيرُه إلَيهِ ـ ﴿عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ ـ حالٌ مِن الضَّمِير ـ والمَعنى: أيُّ شَيء حَصَل لَهُم في إعراضِهم عن الاتِّعاظ؟ ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾: وَحشِيَّة ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾: أسَدٍ، أي: هَرَبَت مِنهُ أشَدَّ الهرَب.

(﴿٥٢﴾ – ﴿٥٣﴾) ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ ....

حاشية الصاوي

قوله: (انتقل ضميره) أي: الضميرُ الذي كان مستكنًّا في المحذوف[1]، وقوله: (إليه) أي: إلى هذا الخبر الذي هو الجارُّ والمجرور؛ لأنَّ القاعدةَ: أنَّ الجارَّ والمجرورَ إذا وقع خبراً حُذفَ مُتعلَّقه وجوباً، وانتقل ضميره إليه، وسمِّي حينئذٍ ظرفاً أو جارًّا ومجروراً مُستقرًّا؛ لاستقرار الضَّمير فيه.

قوله: (حالٌ من الضمير) أي: المجرور باللام.

قوله: (﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ﴾) حالٌ من الضمير في ﴿مُعْرِضِينَ﴾، فهي حالٌ مُتداخلة.

قوله: (﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾) بكسر الفاء وفتحها، سبعيَّتان[2]؛ أي: نافرة بنفسها من أجل الأسد، أو نفَّرها الأسد، فقَوله: (وحشية) ليس تفسيراً لـ(مُستنفرة)، فكان المناسب تقديمه عليه.

قوله: (أسد) وقيل: القَسْوَرَةُ: الجماعةُ الذين يَصطادونها.

قوله: (﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ﴾) إضرابٌ انتقاليٌّ عن محذوفٍ، كأنَّه قيل: لا سبب لهم في الإعراض، بل يُريد... إلخ

وسببُ نزولِ الآيةِ: أنَّ أبا جهل وجماعةً من قُريش قالوا: يا محمَّد؛ لن نُؤمن بك حتَّى تأتي كلَّ واحدٍ منَّا بكتابٍ من السماء، عنوانُه: من ربِّ العالمين إلى فلان بن فلان، ونُؤمر فيه باتِّباعك، وكانُوا يقولون: إن كان محمَّدٌ صادقاً لَيُصبحنَّ عند رأس كلِّ واحدٍ منَّا صحيفة فيها براءتُهُ من النَّار[3].

---

(١) والتقدير: أيُّ شيء استقرَّ لهم؟

(٢) قرأ ابن عامر ونافع بفتح الفاء على أنه اسم مفعول، والباقون بكسرها بمعنى: نافرة. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٣٧).

(٣) أورده بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٥٤) من حديث مجاهد رحمه الله تعالى، وقيل: سببُ نزولها: أنهم قالوا: كان الرجل إذا أذنب في بَني إسرائيل.. وجده مكتوباً إذا أصبح في رُقعة؛ فما بالُنا لا نرى ذلك؟ وانظر «زاد المسير» (٤/ ٣٦٦).

مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ....

﴿مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ أي: مِن الله تَعالى بِاتِّباعِ النَّبيِّ كما قالُوا: لَن نُّؤمِن لَك حَتَّى تُنزِّل عَلَينا كِتاباً نَقرَؤُهُ. ﴿كَلَّا﴾ ـ رَدعٌ عمَّا أرادُوهُ ـ ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: عَذابَها.

(﴿٥٤﴾ - ﴿٥٦﴾) ﴿كَلَّا﴾ ـ استِفتاح ـ ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: عِظةٌ، ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾: قَرَأَهُ فاتَّعظ بِه، ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ ـ بِالياء والتَّاء ـ ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِّنْهُمْ﴾) أي: من كفَّار قريش.

قوله: (﴿مُّنَشَّرَةً﴾) أي: طريَّةً لم تُطْوَ، بل تأتينا وقتَ كتابتِها يقرؤها كلُّ من رَآها.

قوله: (﴿بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾) إضرابٌ انتقاليٌّ لبيان سبب تعنُّتِهم واقتراحِهم؛ إذ لو خافُوا الآخرة لما تَعنَّتوا، بل كانُوا يكتَفون بأيِّ دليلٍ، ويؤمنون.

قوله: (استِفتاح) أي: أو ردعٌ وزجرٌ.

قوله: (﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾) (مَن): شرطيَّة، و﴿شَاءَ﴾: شرطها، و﴿ذَكَرَهُ﴾: جوابها.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾) أي: لا يحصل منكم ذكرٌ إلَّا في حال مَشيئة الله له؛ أي: إرادته؛ لأنَّ ما أراده يقَع ولا بدَّ.

وفيه تسليةٌ للنبيِّ حيث ينظر للحقيقة، وأنَّ توحيدهم ليس بحَولهم وقوَّتهم، قال بعض العارفين عن لسان الحَضرة[2]: [مجزوء الرمل]

أَيُّهـا الـمُـعـرِضُ عـنَّـا إنَّ إعـراضَـك مِـنَّـا
لـو أردْنَـاكَ جـعَـلْـنَـا كـلَّ مـا فِـيـك يُـرِدْنـا

---

(١) قرأ نافع بالخِطاب، وهو التفات من الغيبة إلى الخطاب، والباقون بالغيبة حملاً على ما تقدم من قوله: ﴿كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾، ولم يُؤثِروا الالتفات. انظر «الدر المصون» (١٠/٥٥٩).

(٢) أوردهما شمس الدين ابن الجزري في «الزهر الفائح» (ص٦٣).

﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۝٥٦﴾

﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ بِأن يُتَّقى، ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ بأن يَغفِرَ لِمَن اتَّقاهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾) أي: حقيقٌ بأن تَمتثلَ عبادُهُ أوامرَهُ، وتجتنبَ نواهيَهُ.

قوله: (﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾) أي: هو جديرٌ بأن يَغفر لمن اتَّقاه.

ورَد في الحديث: أنَّه ﷺ قال في هذه الآية: «يقول الله تعالى: أنا أهلٌ أن أُتَّقى، فمن اتَّقى أن يُشرك بي غيري.. فأنا أهلٌ أن أغفرَ له»(١).

✿ ✿ ✿

(١) رواه الترمذي (٣٣٢٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٦٦)، وابن ماجه (٤٢٩٩) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ ....



مكيَّة، أربَعون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿لَآ﴾ ـ زائدةٌ في المَوضِعَين ـ ﴿أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾: التِي تَلُوم نَفسَها وإن اجتَهَدَت في الإحسانِ. ـ وجَواب القَسَم مَحذُوف أي: لَتُبعَثُنَّ، دلَّ عليه ـ:

حاشية الصاوي

سُورَةُ القِيَامَةِ

(مكية) أي: بالإجماع، وكذا قوله: (أربعون آية).

قوله: (زائدة في المَوضعين) أي: لِتأكيد القسم، ففيه دليلٌ على أنَّ (لا) تزاد كثيراً في الكلام؛ سواءٌ كان في أوَّله أو وسَطه، خلافاً لمن يقول: إنَّها تُزاد في وسط الكلام، لا في أوَّله.

وقيل: إنَّ (لا) نافيةٌ لكلامٍ تقدَّمها، أتى بها ردًّا على مُنكري البعث، كأنَّه قال: ليس الأمر كما زعمُوا أقسم... إلخ، كقولك: لا والله.

قوله: (التي تلوم نفسها) أي: في الدنيا؛ لما شَهِدَتْ من حقيقتِها وهي العدم، وعظيمِ حقِّ الله عليها، فالعبدُ وإن قطَّع نفسه إِرْباً في عبادة الله.. لا يفي بحقِّ الله عليه؛ لأنَّ الفانيَ لا يَقدر على القيام بحقِّ الباقي.

واعلم: أنَّ الصوفيَّة قسَّمُوا النَّفْسَ إلى سبعةِ أقسامٍ:

الأوَّل: الأمَّارة، وهي نفوس الكفَّار ومَنْ حذا حَذْوَهم، لا تأمُر بخير أصلاً، ومع ذلك راضيةٌ بأفعالها، محسِّنَةٌ لها.

أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ ....

(﴿٣﴾ - ﴿٤﴾) ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: الكافِرُ ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ لِلبَعثِ والإحياءِ؟ ﴿بَلَىٰ﴾ نَجمَعُها ﴿قَٰدِرِينَ﴾ مَع جَمعِها ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ وهو الأصابعُ، أي: نُعِيدُ عِظامَها كما كانَت مَع صِغَرِها فكيفَ بِالكَبِيرة؟

حاشية الصاوي

الثاني: اللوَّامة، وهي التي تلوم صاحبَها ولو كان مجتهداً في الطاعة، وهذا مبدأُ الخيرِ، وأصلُ التّرقي.

الثالث: المُلْهَمَة، وهي التي أُلْهِمَتْ فجورَها وتقواها.

الرابع: المطمئنَّة، وهي التي اطمأنَّت بالله، وسكنَتْ تحت مقادِيرِه.

الخامس: الرَّاضية، وهي التي رضيَتْ عن الله في جميع حالاتها.

السادس: المرضيَّة، وهي التي جُوزِيَتْ بالرضا من الله؛ لأنَّ مَنْ رَضِيَ له الرِّضا.

السابع: الكامِلة، وهي غاية المراتب، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

ومَأخذ الجميع من القرآن؛ فالأمَّارة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، واللوَّامة من هذه الآية، والملهَمة من قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٨]، والمطمئنَّة وما بعدها من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ . . .﴾ [الفجر: ٢٧] الآية.

قوله: (﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾) استفهامُ توبيخٍ وتقريعٍ.

قوله: (﴿أَلَّن نَّجْمَعَ﴾) (أنْ): مخفَّفة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، و(لن) وما في حيِّزها خبرها، وجملة (أنَّ) واسمها وخبرها سادَّةٌ مسدَّ مفعولَي (حسب)، وليس بين الهمزة واللام نونٌ في الرسم، بل تُكتب الهمزة موصولةً باللام.

قوله: (﴿بَلَىٰ﴾) جوابٌ لما بعد النَّفي.

قوله: (﴿قَٰدِرِينَ﴾) حال من فاعل الفعل المقدَّر الذي دلَّ عليه (بلى)، والتقدير: نجمعها حالَ كوننا قادرين.

قوله: (﴿بَنَانَهُۥ﴾) اسمُ جمعٍ أو جمعٌ لـ(بَنانة).

قوله: (وهو الأصابع) أي: أطرافها، فالبَنَانُ: أطرافُ الأصابعِ.

قوله: (كما كانت) أي: في الدنيا.

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠﴾ ....

(٥ - ٦) ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ﴾ ـ اللَّام زائِدة، ونَصبه بِـ(أنْ) مُقدَّرة ـ أي: أن يُكَذِّب ﴿أَمَامَهُۥ﴾ أي: يَوم القِيامة ـ دلَّ علَيهِ ـ: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ﴾: متَى ﴿يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ سُؤالَ استِهزاء وتكذيبٍ.

(٧ - ١٠) ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ ـ بِكَسر الراءِ وفَتحِها ـ: دَهِشَ وتَحيَّر لِما رَأى مِمَّا كان يُكذِّبُه، ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾: أظلَم وذهَب ضَوؤُه، ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ فطَلَعا مِن المَغرِب أو ذهَب ضَوؤُهما، وذلك في يَومِ القِيامة، ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾: الفِرارُ؟

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾) إضرابٌ انتقاليٌّ.

قوله: (ونصبه بـ«أن» مقدَّرة) أي: والمصدر المنسبك منه ومن (أن) مفعول ﴿يُرِيدُ﴾.

قوله: (﴿أَمَامَهُۥ﴾) منصوبٌ على نزع الخافض؛ أي: بأمامِه، والمعنى: يُريد دوام التكذيب بيوم القيامة.

قوله: (﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ﴾) هذه الجملة إمَّا بدلٌ من الجملة قبلها، أو مستأنفةٌ بيانٌ لها، و﴿أَيَّانَ﴾: خبرٌ مقدَّمٌ، و﴿يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: مبتدأٌ مؤخَّرٌ.

قوله: (بكسر الراء وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان ولغتان، معناهما: التحيُّر والدهشة، وقيل: بَرِقَ بالكسر: تحيَّر، وبالفتح: لَمَعَ مع شدَّة شُخوصه، فقوله: (دَهِشَ وتحيَّر) تفسيرٌ للقراءتين[1].

قوله: (وذلك في يوم القيامة) إن قلت: إنَّ طلوعَ الشمس والقمر من مَغربهما ليس في يوم القيامة، بل قبله بمئة وعشرين سنة.

أجيب: بأنَّ المراد بـ(يوم القيامة): ما يَشمل وقت مقدِّماته من الأمُور العظام.

قوله: (﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾) جوابُ (إذا).

قوله: (﴿يَوْمَئِذٍ﴾) التنوين عوضٌ عن جُمَلٍ متعددةٍ، والتقدير: يوم إذ بَرِق البصر... إلخ.

قوله: (﴿أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾) أي: من الله، أو من النار، احتِمالان.

---

(١) قرأ نافع بفتح الراء، والباقون بالكسر. انظر «الدر المصون» (١٠/٥٦٧).

كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ....

(١١ - ١٣) ﴿كَلَّا﴾ ـ رَدعٌ عن طَلَب الفِرار ـ ﴿لَا وَزَرَ﴾: لا مَلجأ يَتحصَّن به، ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾: مُستقَرُّ الخَلائِق، فيُحاسَبُون ويُجازَوْنَ، ﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾: بِأَوَّلِ عمَلِه وآخِرِه.

(١٤ - ١٥) ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾: شاهِد تَنطِقُ جَوارِحه بِعَمَلِه، والهاء لِلمُبالَغةِ فلا بُدَّ مِن جَزائِه، ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾: جَمع (مَعذِرة) على غيرِ قِياس، أي: لَو جاءَ بِكُلِّ مَعذِرة ما قُبِلَت مِنه.

(١٦ - ١٩) قال تَعالى لِنَبِيِّه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾: بِالقُرآنِ قَبل فَراغ جِبريلَ مِنهُ ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ خَوفَ أن يَنفَلِتَ مِنك، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صَدرِك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ﴾) أي: يومَ إذ كانت هذه الأمور المذكورة، والجارُّ والمجرور خبرٌ مقدَّم، و﴿ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾: مبتدأ مؤخَّر.

قوله: (﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾) مبتدأ، و﴿بَصِيرَةٌ﴾: خبر، و﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾: متعلِّق بـ﴿بَصِيرَةٌ﴾، وتأنيث الخبر باعتبار أنَّ المراد بالإنسان جوارحُهُ، أو أنَّ الهاء لِلمبالغة كما قال المفسِّر، والمعنى: أنَّه لا يحتاج إلى شاهدٍ غير جوارحه، بل هي تكفي في الشهادة عليه.

قوله: (﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾) الجملة حاليَّة من الضمير في ﴿بَصِيرَةٌ﴾، و(لو): شرطيَّة قدَّر المفسِّر جوابها بقوله: (ما قُبِلَتْ منه).

قوله: (**على غير قياس**) أي: وقياسه (مَعاذِر) بدون ياء.

قوله: (**أي: لو جاء بكل معذرة... إلخ**) أشار بذلك إلى أنَّ في الكلام استعارةً تبعيَّةً؛ حيث شبَّه المجيء بالعذر بإلقاء الدَّلو في البئر للاستقاء به، واشتقَّ من الإلقاء (ألقى) بمعنى: جاء.

قوله: (**قبل فراغ جبريل منه**) أي: من الإلقاء عليك.

قوله: (﴿لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾) أي: بقراءته وحِفظه.

قوله: (﴿إِنَّ عَلَيْنَا﴾) تعليلٌ للنَّهي عن العجلة.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ۝٢١﴾

قِراءَتَك إيَّاهُ أي: جَرَيانَه على لِسانِك، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ علَيك بِقِراءةِ جِبريلَ ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾: استَمِع قِراءَتَه، فكان ﷺ يَستَمِع ثُمَّ يَقرَؤُه، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ بِالتَّفهِيمِ لَك، والمُناسَبةُ بينَ هذِه الآيَة وما قبلَها أنَّ تِلكَ تَضمَّنَت الإعراضَ عن آياتِ الله، وهذه تَضمَّنت المُبادَرةَ إلَيها بِحِفظِها.

(٢٠ - ٢١) ﴿كَلَّا﴾ - استِفتاحٌ بِمَعنى (ألا) - ﴿بَلْ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾: الدُّنيا - بِالياء والتّاء في الفِعلَينِ - ﴿وَيَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ فلا يَعمَلُون لَها.

حاشية الصاوي

قوله: (قِراءتك إياه) أشار بذلك إلى أنَّ قولَه: ﴿قُرْءَانَهُۥ﴾ مصدرٌ مضافٌ لمفعوله.

قوله: (بقراءة جبريل) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ من قَبيل إسناد ما هو للمأمور للآمر.

قوله: (بالتفهيم) أي: تفهيم ما أشكل عليك من مَعانيه.

قوله: (والمُناسبة بين هذه الآية) أي: قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾، والمراد بالآية: الجنس؛ إذ المذكور ثلاث آيات.

قوله: (وما قبلها) أي: وهو قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ إلى قوله: ﴿مَعَاذِيرَهُۥ﴾.

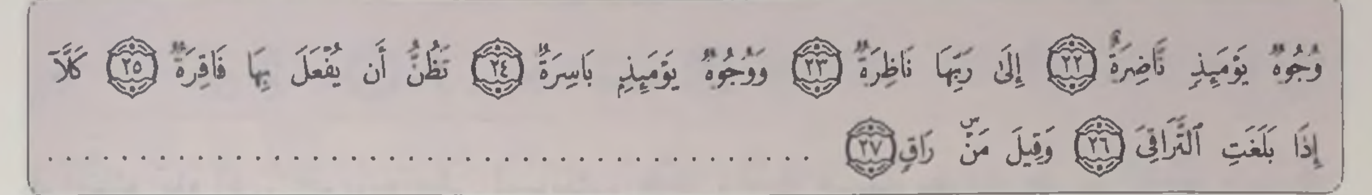
قوله: (تضمَّنت الإعراض... إلخ) أي: لأنَّها في مُنكر البعث، وهو كافر معرض عن القرآن، ومن المعلوم: أنَّ الضدَّ أقرب حضوراً بالبال.

قوله: (﴿بَلْ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾) الضَّمير راجعٌ للإنسان المذكور في قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾، وجمعَ الضَّمير؛ لأنَّ المراد بالإنسان الجنسُ.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (يحبون) و(يذرون) بياء الغيبة حملاً على لفظ الإنسان المذكور أولاً؛ لأنَّ المراد به الجنس، والباقون بالخطاب فيهما؛ إما خطاباً لِكفار قريش، وإما التفاتاً عن الإخبار عن الجنس المتقدم والإقبال عليه بالخطاب. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٥٧٤).



(﴿٢٢﴾ - ﴿٢٥﴾) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: في يَوم القِيامةِ ﴿نَّاضِرَةٌ﴾: حسَنةٌ مُضيئة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: يَرونَ الله سُبحانَه وتَعالى في الآخِرة، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾: كالِحة شَدِيدةُ العُبُوس، ﴿تَظُنُّ﴾: تُوقِن ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾: داهِيةٌ عَظِيمة تكسِرُ فَقارَ الظَّهر.

(﴿٢٦﴾ - ﴿٣٠﴾) ﴿كَلَّآ﴾ - بِمَعنى (ألا) - ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ النَّفسُ ﴿ٱلتَّرَاقِيَ﴾: عِظامَ الحَلق، ﴿وَقِيلَ﴾: قال مَن حولَه: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ يَرقِيه لِيَشفى؟ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾) ﴿وُجُوهٌ﴾: مبتدأ، و﴿نَّاضِرَةٌ﴾: خبرٌ، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرفٌ لـ﴿نَّاضِرَةٌ﴾، وسوَّغ الابتداءَ بالنكرة وُقوعُها في مَعرض التفصيل، و﴿نَاظِرَةٌ﴾: خبرٌ ثانٍ، و﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾: متعلِّقٌ بـ﴿نَاظِرَةٌ﴾.

قوله: (أي: في يومِ القيامة) تفسيرٌ لمعنى الظرفيَّة، والتَّنوين في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ عوضٌ عن جملةٍ؛ أي: يومَ إذ تقوم القيامة.

قوله: (فَقَارَ الظهر) بفتح الفاء: ما يتَّصل من عِظام الصُّلب من الكاهل إلى العَجْبِ.

قوله: (﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ النفس) أي: مؤمنةً أو كافرةً، والمعنى: أخذَتْ في النَّزع وقتَ الموتِ.

قوله: (﴿ٱلتَّرَاقِيَ﴾) جمع تَرْقُوَة.

قوله: (عِظام الحلق) أضافها إليه؛ لقربها منه، وإلَّا.. فالتَّراقي: العظامُ المكتَنِفةُ لثغرة النَّحر يميناً وشمالاً، ولكلِّ إنسانٍ تَرقُوَتان.

قوله: (﴿مَنْ رَاقٍ﴾) مبتدأ وخبر، والجملة قائمةٌ مقامَ الفاعل، و(راق): اسمُ فاعلٍ من: (رَقَى يَرْقِي) بالفتح في الماضي، والكسر في المضارع من الرُّقية، وهي كلامٌ يُرْقَى به المريض ليشفى، وهو ما مشى عليه المفسِّر، وقيل: من: (رَقِيَ يَرْقَى) بالكسر في الماضي، والفتح في المضارع من الرُّقِيِّ، وهو الصعود؛ أي: إنَّ ملَك الموت يُخاطب أعوانه يقول: (مَن يصعد بهذه النفس؟)، ويحتمل أنَّ أعوانه يقولُون له: (مَن يرقى بهذه النفس؛ أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟).

وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ....

﴿وَظَنَّ﴾: أيقَنَ مَن بَلَغَت نَفسُه ذلك ﴿أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾: فِراقُ الدُّنيا، ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ أي: إحدَى ساقَيهِ بِالأُخرَى عِند المَوت، أو التَفَّت شِدَّةُ فِراق الدُّنيا بِشِدَّةِ إقبالِ الآخِرة، ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ أي: السَّوقُ، ـ وهذا يَدُلُّ على العامِلِ في ﴿إِذَا﴾ ـ، المَعنى: إذا بَلَغَت النَّفسُ الحُلقُوم تُساقُ إلى حُكمِ رَبِّها.

(﴿٣١﴾ - ﴿٣٣﴾) ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ الإنسانُ ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾ أي: لَم يُصَدِّق ولَم يُصَلِّ، ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ بِالقُرآنِ ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمانِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أيقن) سمَّى اليقين ظنًّا؛ لأنَّ الإنسان ما دامت روحه متعلِّقةً ببدنه فإنَّه يطمع في الحياة؛ لِشدَّة حبِّه لها.

قوله: (﴿أَنَّهُ﴾) أي: النَّازلَ به.

قوله: (﴿وَالْتَفَّتِ﴾) أي: التصقت ساق الإنسان عند موته بالأخرى، قال قتادة: (أما رأيتَه إذا أشرف على الموت.. يَضرب إحدى رجليه بالأخرى؟)، قال سعيد بن المسيَّب: (هما ساقا الإنسان إذا التَفَّتا في الكفن)، وقال زيد بن أسلم: (التفَّت ساق الميت بساق الكفن)[1]، وكلٌّ صحيحٌ.

قوله: (أو التفَّت شِدة فراق الدنيا.. إلخ) أي: فالمراد بـ(الساق): الشِّدَّتان؛ لأنَّ الساق يُطلق على الشدة، وهذا المعنى ظاهرٌ في الكافر؛ لأنَّه ينتقل من سكَرات الموت إلى عذاب القبر.

قوله: (وهذا يدل على العامل في ﴿إِذَا﴾) أي: الذي هو جوابها، وقد بيَّنه بقوله: (تساق إلى حكم ربِّها).

قوله: (﴿فَلَا صَدَّقَ﴾) معطوف على قوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾.

وصدَّق من: التَّصديق، كما يشير إليه المفسِّر؛ أي: فلا صدَّق بالقرآن والنبيِّ، وقوله: (﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾) أي: الصلاةَ الشرعيَّةَ، فهو ذمٌّ بترك العقائد والفروع، ولما كان عدمُ التصديق يَصْدُقُ بالشكِّ

(١) ذكر الأقوال الثلاثة الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٨).

ﺛُﻢَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً ....

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾: يَتَبختَر في مِشيَتِه إعجاباً.

(٣٤ - ٣٥) ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾ - فِيه التِفاتٌ عن الغَيبةِ، والكَلمةُ اسم فِعل، واللّامُ لِلتَّبيين - أي: وَلِيَك ما تكرَهُ، ﴿فَأَوْلَىٰٓ﴾ أي: فهو أولَى بِك مِن غيرِك، ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ - تأكِيد -.

(٣٦ - ٤٠) ﴿أَيَحْسَبُ﴾: يَظُنُّ ﴿ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾: هَملاً لا يُكَلَّف بِالشَّرائِع؟ أي: لا يَحسَب ذلك، ﴿أَلَمْ يَكُ﴾ أي: كان ﴿نُطْفَةً﴾ ....

حاشية الصاوي

والسكوت والتكذيبِ.. استدرك على عمُومه، وبيَّن أنَّ المراد منه خصوصُ التكذيب، فقال: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

قوله: (﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾) حكايةٌ عمَّا كان يتعلَّق به هذا الكافر في دُنياه، وجملة ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾ حاليَّة من فاعل ﴿ذَهَبَ﴾.

وفي معناه قولان: أحدهما: أنَّه من: المطَا الذي هو الظهر، ومعناه: يَمدُّ مَطاه؛ أي: ظهره ويَلويه تبختراً في مَشيه، والثاني: أنَّ أصله: يَتمطَّط، من: تمطَّط؛ أي: تمدَّد، ومعناه: أنَّه يتمدَّد في مِشيته تبختراً، والمعنيان متقاربان.

قوله: (**والكلمة اسم فعل**) أي: مبنيَّة على السكون، لا محلَّ لها من الإعراب، والفاعل ضميرٌ يعود على ما يُفهم من السياق، وهذه الكلمة تستعمل في الدعاء بالمكروه، وقوله: (**للتَّبيين**) أي: تبيينِ المفعول، فهي زائدة داخلة على المفعول، على حدِّ: (سقياً لك)، وقوله: (**أي: وَلِيَكَ**) بيانٌ لمعنى الفعل الذي سمِّي.

قوله: (**فهو أولى بِك**) أي: فالكلمة الثانية (أفعل) تفضيل، فدلَّت الأُولى على الدعاء عليه بِقُرب المكروه منه، والثانية: على الدُّعاء عليه بأن يكون أَولى به من غيره، هذا ما سلَكه المفسِّر، وهو حسنٌ.

قوله: (**لا يَحْسِب ذلك**) أي: لا ينبغي ولا يَلِيق منه هذا الحسبان.

قوله: (﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً﴾) استدلال على قوله: ﴿قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾، والاستفهام للتقرير.

مِن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

﴿مِن مَّنِيٍّ تُمْنَىٰ﴾ - بِالتَّاء والياء -: تُصَبُّ في الرَّحِم، ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ المَنِيُّ ﴿عَلَقَةً فَخَلَقَ﴾ اللهُ مِنها الإنسانَ، ﴿فَسَوَّىٰ﴾: عدَّل أعضاءَه، ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾: مِن المَنِيِّ الذِي صارَ عَلَقةً قِطعةَ دَم، ثُمَّ مُضغةً أي: قِطعةَ لَحم ﴿الزَّوْجَيْنِ﴾: النَّوعَين ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ يَجتَمِعانِ تارةً ويَنفَرِد كُلٌّ مِنهُما عن الآخَر تارةً. ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ الفَعَّالُ لِهذِه الأشياءِ ﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾؟ قال ﷺ: «بَلى».

حاشية الصاوي

قوله: (﴿تُمْنَىٰ﴾[1]) فائدته بعد قوله: ﴿مِن مَّنِيٍّ﴾ الإشارةُ إلى حَقارة حاله، كأنَّه قيل: إنَّه مخلوق من المني الذي يَجري مَجرى البول.

قوله: (النوعين) أي: لا خُصوص الفردين، فقد تحمل المرأة بذكرين وأنثى، أو بالعكس.

قوله: (قال ﷺ: «بلى») روي: أنَّه ﷺ كان إذا قرأها.. قال: «سبحانك اللهمَّ، بلى»[2].

وقال ابن عباس: (من قرأ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ إماماً كان أو غيره.. فليَقُل: سبحان ربي الأعلى، ومَن قرأ ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ إلى آخرها.. فليَقُل: سبحانك اللهمَّ، بلى، إماماً كان أو غيره)[3].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ مِنكم ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ فانتهى إلى آخرها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾.. فليَقُل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، ومَن قرأ ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ فبلَغ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.. فليَقُل: آمنَّا بالله»[4].



(١) قرأ حفص: ﴿يُمْنَىٰ﴾ بالياء من تحت، وفيه وجهان: أحدهما: أن الضمير عائد على المني؛ أي: يُصَب، فتكون الجملة في محل جرٍّ، والثاني: أنه يعود للنطفة؛ لأنَّ تأنيثها مجازي، ولأنَّها في معنى الماء، قاله أبو البقاء، وقرأ الباقون: (تُمنى) بالتاء من فوق على أنَّ الضمير للنطفة؛ فعلى هذه القراءة وعلى الوجه المذكور قبلها: تكون الجملة في محلِّ نصب؛ لأنها صفة لمنصوب. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٥٨٥).

(٢) رواه أبو داوود (٨٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥١٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٩٢) من حديث أبي إسحاق السبيعي عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه أبو داوود (٨٨٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن ....



مكيَّة أو مدنيَّة، إحدَى وثلاثونَ آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿هَلْ﴾: قَد ﴿أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾: آدمَ ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾: أربعونَ سَنة ﴿لَمْ يَكُن﴾ فِيه

حاشية الصاوي

سُورَةُ الإنسَانِ

وتسمَّى سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾، وسورة الأمشاج، وسورة الدهر. ومُناسبة هذه السُّورة لما قبلها: أنَّ كلًّا منهما فيه دليلٌ على البعث.

قوله: (مكيَّة) أي: على قول جماعة، وقوله: (أو مدنيَّة) هو قول الجمهور.

قوله: (قد ﴿أَتَىٰ﴾) أي: فليست (هل) للاستفهام؛ لأنَّه محالٌ عليه تعالى، وقيل: إنَّها للاستفهام التقريريِّ، والمعنى: أتُقِرُّون بأنَّه أتى على الإنسان حينٌ من الدهر؟ وجوابُه: نعم، فالمقصودُ: إلزامُ الخصمِ المنكرِ للبعث، كأنَّه قال: القادرُ على إيجاد الإنسان من العدم قادرٌ على إعادته، وهو بهذا المعنى صحيح أيضاً، ففي الآية تقريران.

قوله: (﴿عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾) على تفسيره هنا بآدم[1]، وفيما يأتي بالجنس؛ فيه أنَّ المعرفة إذا أعيدت معرفةً كانت عيناً، إلَّا أن يجاب: بأنَّ القاعدة أغلبِيَّة، أو يُقدَّر مضاف في قوله: ﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي: ذريَّته، والإضافةُ تأتي لأدنى ملابسة.

قوله: (أربعون سنة) أي: مرَّت عليه قبل أن تُنْفَخَ فيه الروح، وهو ملقًى بين مكة والطائف، رويَ: «أنَّ آدم خُلِقَ من طينٍ، فأقام أربعين سنةً، ثمَّ مِن حمأ، فأقام أربعين سنة، ثمَّ من صلصالٍ، فأقام أربعين سنةً، ثمَّ خلَقه بعد مئة وعشرين سنةً، ثمَّ نفخ فيه الروح»[2]. إذا علمتَ ذلك.. فقول

(١) وقعت العبارة في (ط٢): (فسَّره هنا بآدم، وفيما يأتي بالجنس، وفيه... إلخ).

(٢) رواه الماوَردي في «تفسيره» (٦/ ١٦٢) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الضحاك.

شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ....

﴿شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ كان فيه مُصوَّراً مِن طِين لا يُذكر، أو المرادُ بالإنسان الجنسُ وبِالحِين مُدَّةُ الحَمل.

٢ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾: الجنسَ ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾: أخلاطٍ أي: مِن ماءِ الرَّجل وماءِ المَرأة المُختلِطين المُمتزِجين ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾: نَختبِرُه بِالتَّكليف، ـ والجُملةُ مُستأنَفة أو حالٌ

حاشية الصاوي

المفسِّر: (أربعون سنةً) أي: باعتبار كونه طيناً، وإلَّا.. فقد مرَّ عليه مئة وعشرون سنةً لم يكن شيئاً مذكوراً.

إن قلتَ: مقتضى الآية أنَّه يسمَّى إنساناً في حال كونه طيناً، مع أنَّه في ذلك الوقت لم يكن شيئاً مذكوراً.

أجيب: بأنَّ التسمية باعتبارِ ما آل إليه، نظير: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦].

قوله: (أو المراد بـ«الإنسان»: الجنس) أي: الصَّادقُ بآدم وأولاده، وقوله: (وبـ«الحين»: مُدَّة الحمل) أي: ما يَشمل مدَّةَ الحملِ بالنِّسبة للذريَّة، والمئةَ والعشرين بالنِّسبة لآدم؛ لأنَّ الحين هو المدَّة المحدودة، كثيرةً أو قليلةً.

قوله: (﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾) هي في الأصل: الماء القليل في الوعاء، ويُطلق على الماء الصافي، قلَّ أو كثرَ، سمِّي به منيُّ الرجل والمرأة؛ لِسَارَتِهما ووَضعهما في الرَّحم.

قوله: (﴿أَمْشَاجٍ﴾) جمع (مَشَجٍ) بفتحتين، أو (مِشْجٍ) بكسرٍ فسكونٍ، أو (مَشِيج) بفتحٍ فكسرٍ؛ كـ(شَرِيفٍ)، والمعنى: من نُطفةٍ قد امتزج فيها الماءان، وكلٌّ منهما مختلف الأجزاء، مُتباين الأوصاف؛ في الرقَّة والثخن، فماء الرجل غليظٌ أبيضُ، وماء المرأة رقيقٌ أصفرُ، فأيُّهما أعلى كان الشَّبه له، وإن سبَق ماء الرجل.. كان الولد ذكراً، وعكسه أنثى، وإن استوَيا.. فخُنثى مشكل.

قال ابن عبَّاس: (يختلط ماء الرجل بماء المرأة، فيُخْلَقُ منهما الولد، فما كان من عصَبٍ وعظمٍ وقوَّةٍ.. فمِن نطفة الرجل، وما كان من لحمٍ ودمٍ وشعرٍ.. فمِن ماء المرأة)[1].

قوله: (أخلاط) جمعه باعتبار تعدُّد الأوصاف في الماءين كما علمتَ.

(١) انظر «تفسير البغوي» (٥/١٨٩).

فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ

مُقدَّرة ـ أي: مُرِيدِين ابتِلاءَه حينَ تَأهُّلِه، ﴿فَجَعَلْنَٰهُ﴾ بِسَببِ ذلك ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

﴿٣﴾ ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾: بَيَّنَّا له طَريقَ الهُدى بِبَعثِ الرُّسل ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ أي: مُؤمناً ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ ـ حالانِ مِن المفعول ـ أي: بيَّنا له في حالِ شُكرِه أو كُفرِه المُقدَّرة ـ و(إمَّا) لِتَفصيل الأحوالِ ـ.

﴿٤﴾ ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾: هيَّأنا ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: مُريدين ابتلاءه) جوابُ عمَّا يقال: إنَّ الابتلاء ـ بمعنى: الاختبارِ بالتكاليف ـ إنَّما يكون بعد جعلِهِ سميعاً بصيراً لا قبلَه، فأجاب: بأنَّه حالٌ مقدَّرة مؤولةٌ بقوله: (مريدين ابتلاءه)، وإرادةُ الابتلاءِ سببٌ لجعله سميعاً بصيراً، وجعلُهُ سميعاً بصيراً سببٌ لِلابتلاء بالفعل، فلم يكن في الآية تقديمٌ ولا تأخيرٌ.

قوله: (﴿فَجَعَلْنَٰهُ﴾ بسبب ذلك) أي: بسبَب إرادتنا ابتلاءه.

قوله: (﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾) أي: عظيمَ السَّمع والبصر، وخصَّهما بالذكر؛ لأنَّهما أنفعُ الحواسِّ، وقدَّم السَّمعَ؛ لأنَّه أنفعُ في المخاطَبات، ولأنَّ الآيات المسموعة أَبْيَنُ من الآيات المرئيَّة، ولأنَّ البصر يَعُمُّ البصيرةَ، وهي تتضمَّن الجميعَ، فيكون من ذكر العامِّ بعد الخاصِّ.

قوله: (﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾) تعليلٌ لقوله: ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾، والمرادُ بالهداية: الدلالةُ.

قوله: (ببعث الرسل) أي: جنسِهِ الصادقِ بآدم وبمَنْ بعده من الرسل إلى سيِّدنا محمَّدٍ ﷺ.

قوله: (﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾) لـم يَقُل: (كافراً) مشاكلةً لـ﴿شَاكِرًا﴾؛ إمَّا مراعاةً لرؤوس الآي، أو لأنَّ الشاكر قليلٌ، والكافر كثيرٌ، فعبَّر في جانبِ الكفر بصِيغة المبالغة.

قوله: (من المفعول) أي: وهو الهاء في ﴿هَدَيْنَٰهُ﴾.

قوله: (﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾... إلخ) لفٌّ ونشرٌ مُشوَّش، فهذه الآية راجعةٌ لقوله: ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ...﴾ إلخ راجعٌ لقوله: ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾.

سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا ....

﴿سَلَٰسِلَاْ﴾ يُسحَبُون بِها في النَّار ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ في أعناقِهم تُشَدُّ فِيها السَّلاسل، ﴿وَسَعِيرًا﴾: ناراً مُسعَّرةً أي: مُهَيَّجةً يُعذَّبُون بها.

(﴿٥﴾ - ﴿٦﴾) ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾: جمعُ بَرٍّ أو بارٍّ وهُم المُطِيعُون ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ هو إناءُ شُربِ الخمر وهي فِيه، والمُرادُ مِن خمرٍ تَسمِيَةً لِلحالِّ بِاسم المَحَلِّ - و(مِن) لِلتَّبعِيض - ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾: ما تُمزَجُ بِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿سَلَٰسِلَاْ﴾) إمَّا بمنع الصَّرف كـ(مساجد)، أو بالصرف؛ لِمُناسبة قوله: ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾، فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ في أعناقهم) أي: فتُجْمَعُ أيدِيهم إلى أعناقهم.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾... إلخ) لما ذكر حالَ الكفَّار وجزاءَهم في الآخرة.. أَتْبَعَهُ بجزاء الشاكرين، وأطنَب فيه؛ ترغيباً لهم.

قوله: (جمع «بَرٍّ») أي: كـ(رَبٍّ وأربابٍ)، وقوله: (أو «بارٍّ») أي: كـ(شَاهِدٍ وأشهادٍ).

قوله: (وهم المُطيعون) أي: المؤمنون الصَّادقون في إيمانهم وإن اقترفُوا الذنوب، فكلُّ مَنْ كان ليس مستوجباً للخلود في النَّار.. فهو من الأبرار؛ لِذكرهم في مقابلة الفجَّار في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾، وهذا تعريفٌ لِمُطلق الأبرار، فلا ينافي قولهم: البَرُّ هو الذي لا يؤذي الذَّر، أو الذي يؤدِّي حقَّ الله ويوفي بالنذر، أو غير ذلك؛ فإنَّه تعريفٌ للأبرار الكاملِين كما هنا.

قوله: (وهي فيه) أي: فإن لم تكن فيه فهو إناء.

قوله: (والمرادُ: من خمر) دفع بذلك ما يُقال: إنَّ الضمير في قوله: ﴿مِزَاجُهَا﴾ عائدٌ على الكأس، مع أنَّ الكافور لا يمزج بالكأس بل بما فيه، فأجاب المفسِّر: بأنَّ المراد بالكأس: الخمرُ نفسُهُ، من باب: تسمية الحالِّ باسم المحلِّ.

---

(١) قرأ نافع والكسائي وهشام وأبو بكر بالتنوين، والباقون بغير تنوين، ووَقف هؤلاء وحمزة وقُنبل عليه بالألف بلا خلاف، وابن ذكوان والبزي وحفص بالألف وبدونها، فعن ثلاثتهم الخلاف، والباقون وقَفوا بدون ألف بلا خلاف. انظر «الدر المصون» (١٠/٥٩٦).

كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ ....

﴿كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا﴾ - بدلٌ مِن ﴿كَافُورًا﴾ - فِيها رائِحتُه ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾: مِنها ﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾: أولياؤه ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾: يَقُودُونها حيثُ شاؤُوا مِن مَنازِلِهم.

(﴿٧﴾ - ﴿١٠﴾) ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ في طاعةِ الله ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كَافُورًا﴾) إن قُلت: إنَّ الكافور غيرُ لذيذٍ، وشربه مرٌّ؛ فما وجه مزج شرابهم به؟ أجيب: بأنَّ المراد أنَّه كالكافور في بَياضه وطيبِ ريحه وبُرُودته.

قوله: (بدل من ﴿كَافُورًا﴾) أي: على حذف مضاف؛ أي: ماء عين؛ لأنَّ العين اسمٌ لمنبع الماء، وهو لا يُبدل من الماء. وما ذكره المفسِّر أحدُ احتمالاتٍ في وجهِ نصبِ ﴿عَيْنًا﴾، ويصح أنه مفعول ﴿يَشْرَبُونَ﴾، وقوله: ﴿مِن كَأْسٍ﴾ حالٌ؛ لأنَّه نعت نكرة قدِّم عليها، والأصل: يشربون عيناً من كأسٍ - أي: خمرٍ - ممزوجٍ بالكافور، وهو أسهلُها[1].

قوله: (﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾) الجملة صفة لـ﴿عَيْنًا﴾، وقوله: (منها) إشارةٌ إلى أنَّ الباء بمعنى (مِن) الابتدائيَّة؛ أي: يَبتدئون الشُّربَ من العين.

قوله: (أولياؤه) أي: وهم المؤمنون.

قوله: (يقُودونها) أي: فهي سهلةٌ لا تمتنع عليهم، وردَ: «أنَّ الرجل منهم يمشي في بيوته، ويَصعد إلى قصوره، وبِيَده قضيب يشير به إلى الماء، فيجري معه حيثما دار في منازله على الأرض المستوية، ويَتبعه حيثما صَعد إلى أعلى قُصوره»[2].

قوله: (﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾) هذا بيانٌ لأعمالهم التي استَوجبُوا بها هذا النَّعيمَ الدَّائمَ، والمراد بالنَّذر: العهد؛ أي: يُوفون بالعهد الذي أوجبه الله عليهم، أو الذي التَزموه مع الله ومع عباده؛ من صلاةٍ وزكاةٍ، وأمرٍ بمعروفٍ ونهيٍ عن منكرٍ، وغيرِ ذلك.

قوله: (﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا﴾) أشار بذلك إلى حُسنِ بواطنِهم كظواهِرهم.

قوله: (﴿كَانَ شَرُّهُ﴾) أي: شدائدُهُ؛ مِنْ تشقُّق السماوات، وتناثر الكواكب، وتكوير الشمس والقمر، وغير ذلك من الأهوالِ والشدائد التي تقَع في ذلك اليوم.

---

(١) أوصلها العلامة السمين الحلبي في «الدر المصون» (١٠/ ٥٩٩) إلى سبعة أوجه.

(٢) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٦/ ١٢٦).

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ ....

مُنتَشِراً، ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: الطعامِ وشَهوَتِهِم لَه ﴿مِسْكِينًا﴾: فَقيراً ﴿وَيَتِيمًا﴾: لا أبَ لَه ﴿وَأَسِيرًا﴾ يَعني المَحبُوسَ بِحَقٍّ، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾: لِطَلبِ ثَوابِه ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾: شُكراً، فِيه عِلَّةُ الإطعام، وهل تَكلَّمُوا بذلك أو عَلِمَه الله مِنهم فأثنى

حاشية الصاوي

قوله: (مُنتشراً) أي: وأمَّا المستطيل باللام فمعناه: الممتَدُّ، ومن هنا يقال: الفجر فجران: مستطيلٌ كذَنب السرحان وهو الكاذب، ومُستطيرٌ وهو الصَّادق؛ لانتشاره في الأُفق.

قوله: (﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ﴾... إلخ) نزَلت في عليٍّ بن أبي طالب وأهلِ بيتِهِ، وذلك أنَّه أجَّر نفسه ليلةً ليسقيَ نخلاً بشيءٍ من شعيرٍ حتَّى أصبحَ وقبضَ الشعيرَ وطحنُوا ثلثَه، فجعلُوا منه شيئاً لِيأكلوه يقال له: الحريرة، فلمَّا تمَّ نضجُه.. أتى مسكين، فأخرجُوا إليه الطعام، ثمَّ صنع الثلث الثاني، فلمَّا تمَّ نضجه أتى يتيمٌ، فأطعمُوه، ثمَّ الثالث، فلمَّا تمَّ نضجه أتى أسيرٌ من المشركين، فسأل، فأطعمُوه، وطَوَوْا يومَهم ذلك[1].

قوله: (﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾) مصدرٌ مضافٌ لمفعوله، و(على) بمعنى (مع) أي: مع حبِّه وشهوته، ففيه إيثارٌ على النَّفس، ويصحُّ رجوعُ الضمير لله؛ أي: على حبِّ الله؛ أي: لِوَجهه وابتغاء رضوانه، والأوَّل أبلَغُ في المدح[2].

قوله: (﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾) خصَّ الثلاثةَ؛ لأنَّهم من العواجز المعدُومين الكسبَ.

قوله: (يعني: المحبوس بحقٍّ) أي: وأَولى المحبوسُ بباطل.

قوله: (فيه عِلة الإطعام) أي: بيانُ سببِهِ.

قوله: (وهل تكلَّموا بذلك) أي: لِيَطمئنَّ الفقير بذلك؛ لأنَّه قد يقول في نفسه: إنَّه يطعمني ويريد أن يُخْدِمَني مثلاً.

---

(١) وقيل: إنَّها نزلت في أبي الدحداح الأنصاري صام يوماً، فلمَّا أراد أن يفطر.. جاء مِسكين، ويتيم، وأسير، فأطعمهم ثلاثة أرغفة، وبقي له ولأهله رغيفٌ واحد، فنزلت فيهم هذه الآية. انظر القولين في «زاد المسير» (٤/ ٣٧٧).

(٢) لأنَّ فيه الإيثار على النفس، والطعام محبوب للفقراء والأغنياء، وأما الثاني فقد يَفعَله الأغنياء أكثر. «فتوحات» (٤/ ٤٧٥).

إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ ....

عليهم به؟ قولان. ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾: تكلَحُ الوُجوهُ فِيه أي: كريهَ المَنظَر لِشِدَّتِه، ﴿قَمْطَرِيرًا﴾: شَديداً في ذلك.

(﴿١١﴾ - ﴿١٣﴾) ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ﴾: أعطاهُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (قولان) رجَّح سعيد بن جبير ومجاهد الثاني.

قوله: (﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾) أي: فلِذلك نُطعمكم، ولا نريد منكم جزاءً، فهو تعليل لقوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿عَبُوسًا﴾) إسنادُ العبوسِ لليوم مجازٌ عقليٌّ، والمرادُ: أهلُهُ، من إسناد الشيء إلى زمانه، كـ: نهارُهُ صائمٌ.

قوله: (في ذلك) أي: العبوس.

قوله: (﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾) الفاء: سببيَّة؛ أي: فبسببِ خوفِهم دفعَ اللهُ عنهم شرَّ ذلك اليومِ وشدَّتَهُ، وذكر القرطبي في «تذكرته» حديثاً في بيانِ ما يُنجي المؤمنَ من أهوال يوم القيامة، وهو ما رُوي عن عبد الرحمن بن سَمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذاتَ يومٍ ونحن في مسجد المدينة، فقال: «إنِّي رأيت البارحة عجباً، رأيت رجلاً من أمَّتي جاءه ملَك الموت لِيَقبض روحه، فجاءه برُّ والديه فردَّه عنه، ورأيت رجلاً من أمَّتي قد بُسِطَ عليه عذابُ القبر، فجاءه وُضوؤه فاستنقذه من ذلك، ورأيتُ رجلاً من أمَّتي قد احتَوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله تعالى فخلَّصه مِنْ بينِهم، ورأيتُ رجلاً من أُمَّتي قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فاستنقذته من أيدِيهم، ورأيت رجلاً من أمَّتي يَلهث عطشاً؛ كلَّما وردَ حوضاً مُنِعَ منه، فجاءه صِيامه فسقاه وأرواه، ورأيت رجلاً من أُمَّتي والنبيُّون قعودٌ حلقاً حلقاً؛ كلَّما دنا لحلقة طُرِدَ، فجاءه اغتِساله من الجنابة فأخذ بِيَده وأقعده إلى جنبي، ورأيت رجلاً من أمَّتي بين يدَيه ظُلْمَةٌ، ومِن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن شماله ظلمة، ومِن فوقه ظلمة، ومن تحته ظلمة، فهو مُتحيِّر فيها، فجاءه حجُّه وعُمرته فاستخرجاه من الظُّلْمَةِ، وأدخلاه في النُّور، ورأيت رجلاً من أمَّتي يكلِّم المؤمنين، فلا يُكلِّمونه، فجاءته صِلة الرحم فقالت: يا معشر المؤمنين؛ كلِّموه؛ فإنَّه كان واصلاً للرحم، فكلَّموه وصافَحوه، ورأيت رجلاً من أمَّتي يتَّقي وَهَجَ النَّار وشررَها بيده عن وجهه، فجاءته صَدَقَتُهُ فصارَتْ ستراً على وجهه، وظلًّا على رأسه، ورأيتُ رجلاً من أُمَّتي قد أخذته الزَّبانية من كلِّ مكانٍ، فجاءه أمرُه بالمعروف ونهيُه عن المنكر فاستَنقذاه

﴿نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢﴾ ....

﴿نَضۡرَةٗ﴾: حُسْناً وإضاءةً في وُجُوهِهم ﴿وَسُرُورٗا ١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ﴾: بِصَبرِهِم عن المَعصيةِ ﴿جَنَّةٗ﴾ أُدخِلُوها ﴿وَحَرِيرٗا﴾ أُلبِسُوه، ....

حاشية الصاوي

من أيديهم، وأدخلاه مع ملائكة الرحمة، ورأيتُ رجلاً من أُمَّتي جاثياً على ركبتيه بينَهُ وبينَ الله حجاب، فجاءه حُسنُ خلقِهِ فأخذ بيده وأدخله على الله، ورأيتُ رجلاً من أمَّتي قد أهوَت صحيفتُهُ من قِبَلِ شمالِهِ، فجاءه خوفُهُ من الله فأخذ صحيفتَهُ فجعلها في يمينِه، ورأيت رجلاً من أمَّتي قد خفَّ ميزانه، فجاءت أفراطُه فثقَّلُوا ميزانَهُ، ورأيت رجلاً من أمَّتي قائماً على شفير جهنَّم، فجاءه وجلُهُ من الله فاستَنقذه من ذلك ومضى، ورأيتُ رجلاً من أُمَّتي هوى في النار، فجاءته دُموعه التي كان بكاها من خشية الله في الدنيا، فاستخرجَته من النار، ورأيت رجلاً من أُمَّتي قائماً على الصراط يَرْعُدُ كما تَرْعُدُ السَّعْفَةُ في ريحٍ عاصفٍ، فجاءه حسنُ الظنِّ بالله تعالى، فسكَّن رِعدتَه ومضى، ورأيت رجلاً من أمَّتي على الصراط؛ يَزحف أحياناً، ويحبو أحياناً، ويتعلَّق أحياناً، فجاءته صلاته عليَّ، فأخذَت بيده وأقامَتْهُ، ومضى على الصراط، ورأيتُ رجلاً من أُمَّتي انتهى إلى أبواب الجنَّة، فأغلقت الأبواب دُونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله، ففَتَحَتْ له الأبوابَ كلَّها وأدخلَتْهُ الجنَّة».

قلتُ: هذا حديثٌ عظيمٌ، ذكر فيه أعمالاً خاصَّة تنجي من أهوال خاصَّة، والله أعلم[١].

وروى الطبرانيُّ عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لَقَّمَ أخاه لقمةً حُلوةً.. صرف الله عنه مَرارةَ الموقف يومَ القيامة»[٢].

قوله: (﴿نَضۡرَةٗ﴾) أي: بدل العُبوس.

قوله: (﴿وَسُرُورٗا﴾) أي: فرحاً في قلوبهم بدلَ الخوفِ.

قوله: (بِصَبرهم عن المعصية) أي: بترك فعلها، وكذا على الطاعة بفِعلها، وعلى المصيبة بالاسترجاعِ وعدمِ الشكوى، فأقسام الصبر ثلاثة، وإنَّما اقتصر المفسِّر على الصبر عن المعصية؛ لأنه يَستلزم القسمين الآخرين، فمَن صبر على المعصية.. فقد أدام الطاعة، ولم يَشْكُ مَولاه.

---

(١) «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ص٥٩٣)، والحديث عند الحكيم الترمذي في الأصل الحادي والخمسين والمئتين من «نوادر الأصول» (٦/ ٣٣).

(٢) «مَكارم الأخلاق» (١٦٦) عن سيدنا أنس بن مالك ﷺ.

مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم ....

﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ ـ حالٌ من مَرفوع (أُدخِلوها) المُقدَّر ـ ﴿فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: السُّرُر في الحِجال، ﴿لَا يَرَوْنَ﴾: لا يَجِدُون ـ حال ثانية ـ ﴿فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ أي: لا حرًّا ولا بَرداً، وقِيل: الزَّمهَرير القمَر، فهي مُضِيئة من غيرِ شَمس ولا قمَر.

(﴿١٤﴾ - ﴿١٨﴾) ﴿وَدَانِيَةً﴾ قريبةً ـ عطف على محَلِّ ﴿لَا يَرَوْنَ﴾ ـ أي: غيرَ رائِين ﴿عَلَيْهِمْ﴾ مِنهم ﴿ظِلَٰلُهَا﴾: شجرُها، ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾: أُدنِيَت ثِمارُها فيَنالُها القائمُ والقاعدُ والمُضطَجِع، ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾ فِيها ....

حاشية الصاوي

قوله: (حال من مرفوع «أُدخلوها») أي: ويصحُّ أن يكون حالاً من مفعول (جزاهم).

قوله: (في الحجال) واحده (حَجَلَةٌ) بفتحتين، وهي المسمَّاة بالناموسيَّة.

قوله: (حال ثانية) أي: من المقدَّر المذكور، أو من المفعول.

قوله: (أي: لا حرًّا ولا برداً) أي: فهي مُعتدلة الهواء.

قوله: (وقيل: الزَّمهرير: القمر) أي: لأجل مُقابلة قوله: ﴿شَمْسًا﴾.

قوله: (من غير شمسٍ ولا قمرٍ) أي: بل بِنُور العرش، وهو أقوى من نور الشَّمس والقمر.

قوله: (عطف على محل ﴿لَا يَرَوْنَ﴾) أي: أو عطف على ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾.

قوله: (شجرها) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالظلال: الشجرُ نفسُهُ، فدَفع بذلك ما يقال: إنَّ الظلَّ إنَّما يوجد حيث توجد الشمس، ولا شمسَ في الجنَّةِ.

قوله: (﴿وَذُلِّلَتْ﴾) عطف على (دانيةً)، وجُعِلَتْ فعليَّةً؛ إشارةً إلى أنَّ التذليل متجدِّدٌ، بخلاف التَّظليل فدائمٌ؛ ولذا أتى فيه بجملة اسميَّةٍ.

قوله: (أدنيت ثِمارها) أي: سهُل تناولها تسهيلاً عظيماً لكلِّ أحدٍ.

قوله: (﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾ . . . إلخ) هذا من جملة بيانِ وصف مشاربهم، وبُني الفعل للمجهول هنا؛ لأنَّ المقصود بيانُ المطاف به، لا بيانُ الطَّائف، وفاعل الطوافِ الولدان المذكورُون بعد في قوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ﴾، ولَما كان المقصود منها بيانَ وصفِ الطائف. . بَناه للفاعل.

بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ﴿١٦﴾ . . . .

﴿بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ﴾: أقداحٍ بِلا عُرًى ﴿كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ﴾ أي: إنَّها مِن فِضة يُرَى باطِنُها مِن ظاهِرِها كالزُّجاج، ﴿قَدَّرُوهَا﴾ أي: الطائفونَ ﴿تَقۡدِيرٗا﴾ على قَدرِ رِيِّ الشارِبِين مِن غيرِ زِيادةٍ ولا نَقص، . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِـَٔانِيَةٖ﴾) أصله: (أأْنِيَة) بهمزتين: الأولى مفتوحة، والثانية ساكنة، أُبدلت الثانية ألفاً، والجارُّ والمجرورُ نائب الفاعل.

قوله: (﴿مِّن فِضَّةٖ﴾) بيانٌ لِلآنية.

قوله: (﴿وَأَكۡوَابٖ﴾) عطفُ خاصٍّ على عامٍّ.

قوله: (أقداح بلا عرًى) أي: فيسهلُ الشُّربُ منه من كلِّ موضعٍ؛ فلا يحتاج لإدارته.

قوله: (﴿كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠﴾) جمع قارُورة، وهي ما أُقِرَّ فيه الشَّراب ونحوه من كلِّ إناءٍ رقيقٍ صافٍ، وقيل: هو خاصٌّ بالزُّجاج.

وكرَّر لفظ (قوارير) توطئةً للنعت بقوله: ﴿مِّن فِضَّةٖ﴾، فجمعَتْ صفاءَ الزجاجِ وبريقَهُ، وبياضَ الفضَّةِ ولينَها، قال ابن عباس: (ليس في الدنيا شيءٌ ممَّا في الجنَّة إلَّا الأسماء؛ إذ الذي في الجنَّة أشرَف وأعلى)[١].

واعلم: أنَّ القرَّاء السبعة في هاتين الكلمتين على خمسِ مَراتب: إحداها: تنوينهما معاً، والوقف عليهما بالألف، الثانية: عدم تنوينهما، وعدمُ الوقف عليهما بالألف، الثالثة: عدم تنوينهما، والوقف عليهما بالألف، الرابعة: تنوين الأول والوقف عليه بالألف، والثاني بدون تنوين ولا يوقف عليه بالألف، الخامسة: عدم تنوينهما معاً، والوقف على الأول بالألف، وعلى الثاني بدونها، والتنوين للتناسب نظير ما تقدَّم في ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾، وعدم التنوين لمجيئه على صيغة مُنتهى الجموع[٢].

قوله: (على قَدْرِ رِيِّ الشَّاربين) أي: شَهوتهم؛ إذ لا عطشَ في الجنَّة، والرِّي بكسر الراء وفتحها: كفايةُ الشَّارب.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٩٢).

(٢) الأولى: لنافع والكسائي وأبي بكر، والثانية: لحمزة وحده، والثالثة: لهشام وحدَه، والرابعة: لابن كثير وحده، والخامسة: لأبي عمرو وابن ذكوان وحفص. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٦٠٨).

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ....﴾

وذلك ألذُّ الشَّراب، ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: خمراً ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾: ما تُمزَجُ به ﴿زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا﴾ - بدلٌ مِن ﴿زَنجَبِيلًا﴾ - ﴿فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ يعنِي أنَّ ماءَها كالزَّنجبِيل الذي تَستَلِذُّ بِهِ العرَبُ سهلُ المَساغ في الحَلقِ.

(﴿١٩﴾ - ﴿٢٢﴾) ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ بِصفة الوِلدان لا يَشِيبُون، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وذلك ألذُّ الشراب) أي: لِكونه لا يزيد على الحاجة فيُستقذر الزائد، ولا ينقص فيحتاج لِمَلئه ثانياً، وهذا هو النَّعيم.

قوله: (بدل من ﴿زَنجَبِيلًا﴾) أي: ويصح أن يكون مفعول (يُسقَون)، وقوله: ﴿كَأْسًا﴾ منصوب على نزع الخافض؛ أي: من كأسٍ، كما تقدَّم نظيرُهُ.

قوله: (﴿تُسَمَّىٰ﴾) أي: تلك العين؛ لِسُهولة إساغتها، ولذَّةِ طعمها.

قوله: (﴿سَلْسَبِيلًا﴾) هو ما كان في غاية السلاسة، وهي سُهولة الانحدار في الحَلق، زيدت الباءُ في الكلمة حتَّى صارت خماسيَّةً، وقال مُقاتل وابن حبان: سمِّيت سلسبيلاً؛ لأنَّها تسيل عليهم في الطرُق وفي منازلهم، تَنبُع من أصل العرش، من جنَّة عدنٍ إلى أهل الجِنان، قال البغوي: (شراب الجنَّة في بَرد الكافور، وطعم الزنجبيل، وريح المسك، مِن غير لذعٍ)[1].

قوله: (يعني: أنَّ ماءها كالزَّنجبيل) أي: فهو مماثلٌ له في الاسم، فجميع ما في الجنَّة من الأشجار والقُصور والمأكول والمشروب والملبوس والثمار لا يشبه ما في الدنيا إلَّا في مجرَّد الاسم، لكنَّ الله تعالى يُرغِّب النَّاس بذكر أحسَنِ شيء وألذِّه ممَّا يَعرفونه في الدنيا؛ لأجل أن يَسْعَوا فيما يُوصِلهم إلى هذا النَّعيم المقيم.

قوله: (﴿وِلْدَانٌ﴾) بكسر الواو باتِّفاق السَّبعة، وهم غلمان يُنْشِئُهم الله تعالى لخدمة المؤمنين على التحقيق، وقيل: هم أولادُ المؤمنين الصغار، وردَ: بأنَّهم يُلحقون بآبائهم تأنساً وسروراً بهم[2]، وقيل: هم أولادُ الكفار.

قوله: (لا يَشيبون) أي: لعدَم وجود الشَّعر لهم.

---

(١) «تفسير البغوي» (٥/ ١٩٣)، وفيه: (مقاتل بن حيان).

(٢) انظر «تفسير الرازي» (٢٩/ ٣٩٣).

إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ....

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ لِحُسنِهم وانتِشارِهم في الخِدمة ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ مِن سِلكِه أو مِن صَدَفِه، وهو أحسَنُ مِنه في غيرِ ذلك، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ أي: وُجِدَت الرُّؤيةُ مِنك في الجَنَّة ﴿رَأَيْتَ﴾ ـ جوابُ (إذا) ـ ﴿نَعِيمًا﴾ لا يُوصَف، ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾: واسعاً لا غايةَ له، ﴿عَالِيَهُمْ﴾: فوقَهم ـ فنَصبُه على الظَّرفيَّة، وهو خبرُ المُبتَدإ بعدَه، وفي قِراءة بِسُكون الياء مُبتَدأ وما بعدَه خبرٌ، والضَّميرُ المُتَّصل بِه لِلمَعطوف علَيهِم ـ ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾: حريرٍ ﴿خُضْرٌ﴾ ـ بِالرَّفع ـ ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ ـ بِالجر ـ: ما غَلُظ مِن الدِّيباج فهو البَطائن والسُّندسُ الظهائِر ـ وفي قِراءة

حاشية الصاوي

قوله: (وهو أحسَن منه في غير ذلك) جوابٌ عمَّا يُقال: ما الحكمة في تَشبيههم باللؤلؤ المنثور دُون المنظوم؟ فأجابَ: بأنَّه لحسنهم وانتِشارهم في الخدمة شبَّههم باللؤلؤ المنثور.

قوله: (﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾) الخطاب للنَّبي، أو لكلِّ مَنْ يدخل الجنَّة.

قوله: (﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾) أي: ما يُتَنَعَّم به؛ من مأكلٍ ومشربٍ وملبسٍ ومركبٍ وغيرِ ذلك.

قوله: (واسعاً لا غايةَ له) أي: في الطول ولا في العرض؛ لما في الحديث: «**أدنى أهل الجنَّة منزلةً مَنْ ينظر في مُلكه مسيرة ألف عام، يرى أقصاه كما يرى أدناه**»[1]، ومِنَ الملكِ الكبير: تَسليمُ الملائكة عليهم، ولبسُ التِّيجان على رُؤوسهم كما تكون على رؤوس الملوك، وأعظمُهم منزلةً مَنْ يَنظر إلى وجه ربِّه كلَّ يومٍ.

قوله: (﴿عَالِيَهُمْ﴾) بفتح الياء وضمِّ الهاء، وقوله: (وفي قراءةٍ) أي: سبعيَّة أيضاً[2].

قوله: (وهو خبرُ المبتدإ بعده) أي: وهو ﴿ثِيَابُ﴾، ويصحُّ العكس، وهو كون ﴿عَالِيَهُمْ﴾ مبتدأ، و﴿ثِيَابُ﴾: خبرُه.

قوله: (﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾) الإضافة على معنى (مِن)، والسُّندس: ما رقَّ من الحرير.

---

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٦٠٤)، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٧٧) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما، وتمامه: «وينظر في خدَمه وأزواجه وسرره، وإنَّ أفضلهم منزلة لَمن ينظر في وجه الله كلَّ يوم مرتين»، والحديث عند الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٠٩) بلفظ: (ألفي سنة).

(٢) قرأ نافع وحمزة بسكون الياء وكسر الهاء، والباقون بفتح الياء وضم الهاء. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٦١٥).

﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

عكسُ ما ذُكر فِيهما، وفي أخرى بِرَفعهِما، وفي أُخرى بِجَرِّهما ـ ﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وفي مَوضعٍ آخرَ: ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ لِلإيذان بأنهم يُحَلَّون من النَّوعين معاً ومُفرَّقاً، ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ مُبالَغةً في طَهارَتِه ونَظافَتِه بِخِلاف خمرِ الدُّنيا، ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ النَّعيمَ ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (عكس ما ذكر) أي: وهو جرُّ (خضر)، ورفع (إستبرق)، فجرُّ (خُضْرٍ) على الوصفيَّة لـ(سندسٍ)؛ لأنَّه اسم جنس، ووصفُه بالجمع جائز، ورفع (إستبرق) عطف على (ثياب) على حذف مضافٍ؛ أي: وثيابُ إستبرق، فالقراءاتُ أربع سبعيَّات: رفعُ (خضر) و(إستبرق)، وجرُّهما، ورفعُ الأوَّل وجرُّ الثاني، وعكسُه[1]، وأمَّا (سندس). . فمجرورٌ لا غير؛ لإضافةِ (ثيابُ) إليه.

قوله: (﴿وَحُلُّوٓا۟﴾) عبَّر بالماضي؛ إشارةً لتحقُّق وقوعِهِ.

قوله: (وفي مَوضع آخر. . . إلخ) أي: فقال في (الحج) و(فاطر): ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الحج: ٢٣] [فاطر: ٣٣].

قوله: (للإيذانِ) أي: للإعلام، وقوله: (معاً) أي: فيُجْمَعُ في يدِ أحدهم سواران من ذهبٍ، وسِواران من فضة، وسِواران من لؤلؤ، وقوله: (ومفرَّقاً) أي: فتارةً يلبَسون الذهب فقط، وتارةً يَلبسون الفضة فقط، وتارةً يَلبسون اللؤلؤ فقط، على حسب ما يشتهون.

قوله: (﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾) أسنَد الإسقاء لنفسه؛ إشارةً لعلوِّ منزلتهم، ورِفعةِ قَدْرهم، وإلى أنَّ الشَّراب الطَّهور نوعٌ آخَرُ يَفُوق على ما تقدَّم.

قوله: (﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾) أي: من الأقذار، لم تَمَسَّه الأيدي، ولم تُدَنِّسه الأرجل كخمر الدنيا.

قوله: (﴿إِنَّ هَٰذَا﴾. . . إلخ) أي: يُقال لهم ذلك بعد دخولِهم فيها، ومشاهدَتِهم نعيمَها؛ لمزيد الأُنسِ والسُّرور.

قوله: (﴿مَّشْكُورًا﴾) أي: مقبولاً مرضيًّا.

قوله: (تأكيد لاسم ﴿إِنَّ﴾) أي: ويَصِحُّ أن يعرب مبتدأ، و﴿نَزَّلْنَا﴾ خبره، والجملة خبر (إنَّ).

---

(١) الأولى: رفعهما، لنافع وحفص فقط، الثانية: خَفضهما، للأخوين فقط، الثالثة: رفع الأول وخفض الثاني، لأبي عمرو وابن عامر فقط، الرابعة عكسُ الثالثة، لابن كثير وأبي بكر فقط. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٦١٩).

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ ....

(﴿٢٣﴾ - ﴿٢٤﴾) ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ - تأكيد لِاسم (إنَّ) أو فصلٌ - ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾ - خبرُ (إنَّ) - أي: فصَّلناه ولم نُنزِلْه جُملةً واحدةً، ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ عليك بتَبليغ رِسالتِه، ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ أي: الكُفَّار ﴿آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أي: عُتبةَ بنَ رَبيعةَ والوَليدَ بنَ المُغيرةِ، قالا لِلنَّبي ﷺ: ارجِع عن هذا الأمرِ، ويَجُوز أن يُرادَ كلُّ آثِم وكافِر، أي: لا تُطِع أحدَهما أيًّا كان فِيما دَعاك إليه مِن إثمٍ أو كُفرٍ.

حاشية الصاوي

قوله: (خبر (إنَّ)) أي: سواءٌ جعلنا ﴿نَحْنُ﴾ تأكيداً أو فصلاً.

قوله: (أي: فصَّلناه... إلخ) أي: لِحكمة بالغة، وهي كما في (الفرقان): ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾، والمقصودُ من ذلك: تسليتُهُ ﷺ، وشرحُ صدرِهِ، وأنَّ ما أنزل عليه ليس بشعرٍ ولا كهانةٍ.

قوله: (﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾) مشى المفسِّر على أنَّ المراد بـ(الحكم): التَّكليف بتَبليغ الرسالة، وعليه: فالآية محكمةٌ.

وقيل: إنَّ المراد بـ(الحكم): القضاءُ، والمعنى: اصبِر على أذى المشركين الذي حتَمه الله في الأزل، فلا مفرَّ لك منه حتَّى يُفرِّجَ الله عنك، وعليه: فالآية منسوخة.

قوله: (أي: عُتبةَ بنَ ربيعةَ... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بـ(الآثم): عُتبة؛ لأنَّه كان متعاطياً لأنواع الفُسوق، متظاهراً بها، وأنَّ المراد بـ(الكفور): الوليد؛ فإنَّه كان متظاهراً بالكفر، داعياً إليه، وبهذا ظهَر التخصيص لكلٍّ وإن كان كلٌّ منهما آثماً وكفوراً.

قوله: (قالا للنبيِّ: ارجع... إلخ) حاصلُه: أنَّهما قالا للنبيِّ ﷺ: إن كنتَ صنَعْتَ ما صنَعْتَ لأجل النِّساء والمال.. فارجِع عن هذا الأمر، فقال عتبة: أنا أُزوِّجك ابنتي وأسُوقها إليك من غير مهرٍ، وقال الوليد: أنا أُعطيك من المال حتَّى ترضى وارجع عن هذا الأمر، فنزَلت الآية[1].

قوله: (أي: لا تُطع أحدهما... إلخ) أي: والنهي عن طاعتهما معاً مَعلوم بالأولى، فـ(أو) أبلغ من الواو؛ لأنَّها لنفي الأحدِ الدَّائر[2].

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٥/ ١٩٤).

(٢) أي: بينها؛ فلو قلتَ: لا تُطع زيداً أو عمراً.. فقد دلَلتَ بأنَّ كلَّ واحد منهما أهلٌ أن يعصى، بخلاف: لا تطع زيداً وعمراً، فلو أطاع أحدهما.. كان غيرَ عاصٍ. انظر «الفتوحات» (٤/ ٤٨١).

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ....

(﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾) ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ في الصَّلاة ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ يَعني الفجرَ والظُّهرَ والعَصر، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ يَعني المغرِبَ والعِشاء، ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ صَلِّ التَّطوعَ فِيه كما تَقدَّم مِن ثُلُثَيه أو نِصفِه أو ثُلثِه.

(﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾) ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾: الدُّنيا، ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ شَديداً، أي: يومَ القِيامة لا يَعمَلُون لَه، ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا﴾: قَوَّينا ﴿أَسْرَهُمْ﴾: أعضاءَهُم

حاشية الصاوي

قوله: (في الصلاة) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بـ(الذكر): الصلاةُ، والمعنى: دُمْ على الصَّلاة.

قوله: (والظهر والعصر) إطلاقُ الأصيل على العصر ظاهرٌ، وعلى الظهر: باعتبارِ آخرِ وقتِها، وإلَّا.. فالزَّوال وما يَقرب منه لا يسمَّى أصيلاً.

قوله: (﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾) (مِن): تبعيضيَّة، والمعنى: صَلِّ له بعضَ الليل، وقوله: (﴿فَاسْجُدْ لَهُ﴾) الفاء: دالَّةٌ على شرطٍ مقدَّرٍ، تقديره: مهما يكن من شيءٍ فصلِّ من الليل... إلخ، وفيه زيادةُ حثٍّ على صلاةِ الليل.

قوله: (﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾... إلخ) عِلَّة لما قبله من النهي والأمر، والمعنى: لا تُطِعْهُم واشتَغِل بما أمرَكَ الله به من العبادة؛ لأنَّ هؤلاء تركُوا الآخرةَ واشتغلُوا بالدنيا، فاترك أنتَ الدنيا واشتغل بالآخرة.

قوله: (﴿وَرَاءَهُمْ﴾) حال من ﴿يَوْمًا﴾ مقدَّم عليه؛ لأنَّه نعتُ نكرةٍ قدِّم عليها، و(وراء): إمَّا باقٍ على معناه، نظير: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، كِناية عن كونهم لا يَعْبَؤون به ولا يعملون له، أو مُستعارٌ لـ(قدَّام).

قوله: (﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾) مفعول (يذرون)، ووصفُهُ بالثقل مجازٌ؛ إذ الثقل من صفات الأعيانِ، لا المعاني.

قوله: (قوَّينا أسرَهم) أي: ربَطنا أوصالهم بعضَها إلى بعضٍ بالعرُوق والأعصاب[1].

---

(١) وقيل: الأسرُ: عجب الذنب؛ لأنَّه لا يتفتَّت في القبر، ولا تَنافيَ بين الآية هنا وبين قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾؛ لأنَّ المراد به ـ كما قال ابن عباس وغيره ـ ضعيف الصبر عن النساء؛ لذلك أباح الله له نكاحَ الأَمَة. «فتوحات» (٤/ ٤٨٢).

وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

ومَفاصِلَهُم، ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا﴾: جعَلنا ﴿أَمْثَالَهُمْ﴾ في الخِلقةِ بدلاً مِنهُم بِأن نُهلِكَهُم ﴿تَبْدِيلًا﴾ ـ تَأكيد، ووَقَعت (إذا) مَوقعَ (إنْ) نحوُ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [النساء: ١٣٣] لأنَّه تعالى لم يَشأ ذلك، و(إذَا) لِما يقَع ـ.

(٢٩ - ٣١) ﴿إِنَّ هَٰذِهِ﴾ السُّورةَ ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: عِظةٌ لِلخَلق، ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾: طَريقاً بِالطَّاعة، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ ـ بِالتاء والياءِ ـ اتِّخاذَ السَّبيل بِالطَّاعة ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ذلك، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بِخَلقِه، ﴿حَكِيمًا﴾ في فِعلِه، ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جَنَّتِه وهُم المُؤمِنون، ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ ـ ناصِبُه فِعل مُقدَّر ـ أي: (أوعَدَ)، يُفسِّرُه: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلِماً وهُم الكافِرُون.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَمْثَالَهُمْ﴾) مفعول أوَّل، والثاني محذوفٌ، بيَّنه بقوله: (بدلاً منهم).

قوله: (ووقَعت «إذا» . . . إلخ) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ (إذا) تُفيد التحقيق، معَ أنَّه تعالى لم يَشأ ذلك، فكان المقامُ لـ(إن) التي تُفيد الاحتمال، فأجابَ: بأنَّه استعمل (إذا) موضع (إنْ) مجازاً.

قوله: (عظةٌ للخلق) أي: لأنَّ في تدبُّرها وتذكُّرها تنبيهاً للغافلين، وفوائدَ للطالبين المقبلين بكليَّتِهم على الله تعالى.

قوله: (﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ﴾ . . . إلخ) أي: فالطريق واضحٌ، والحقُّ ظاهرٌ، فمَنْ شاء فليُؤمن، ومن شاء فليَكفر.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[١].

قوله: (﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾) منصوبٌ على الظرفيَّة، والمعنى: إلَّا وقتَ مشيئةِ الله تعالى، ففيه تسليةٌ بالرجوع إلى الحقيقة.

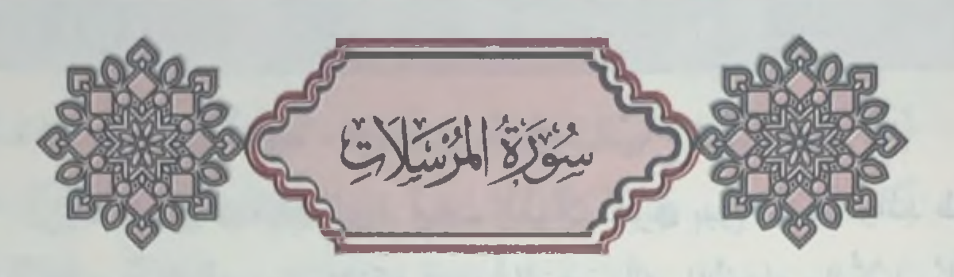
قوله: (أي: أوعَد) أي: وهذا المقدَّر يُلاقي المذكور في المعنى، فهو على حدِّ: زيداً مررت به[٢].

---

(١) قرأ أبو عمرو وابن عامر وابن كثير بالياء على الغيبة، والباقون بالتاء على الخطاب. انظر «السراج المنير» (٤/٤٦١).

(٢) أي: فـ(الظالمين) منصوب على الاشتغال بفعل يُفسِّره ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾ من حيث المعنى، لا مِن حيث اللفظ، تقديره: أوعد الظالمين، ونحوه: زيداً مررت به؛ أي: جاوزت ولابَست.

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ ....



سورة المرسلات

مكيَّة، خَمسون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ أي: الرِّياحِ مُتَتابِعةً كعُرفِ الفَرَس يَتلُو بَعضُه بَعضاً ـ ونَصبُه على الحال ـ ....

حاشية الصاوي

سورة المرسلات

وفي نسخة: (سورة «والمرسلات»)، وهذه السورة نزَلت على النبي ﷺ ليلة الجنِّ، قال ابن مسعود: (ونحن معه نسير حتى أوَينا إلى غارِ مِنًى، فنزلت، فبينما نحن نتلقَّاها منه وَفاهُ رَطبٌ بها؛ إذ وثَبت حيَّة فوثبنا عليها لِنقتلها، فذهبت، فقال النبي ﷺ: «**وُقِيتُم شرَّها كما وُقِيَتْ شرَّكم**»)[1]، والغارُ المذكور مشهورٌ في منًى، يُسمَّى: غارَ المرسلات.

قوله: (﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ ... إلخ) اعلَم: أنَّ الله تعالى أقسَم بصفاتٍ خمسةٍ، موصوفُها محذوفٌ، فقدَّره بعضهم: (الرِّياح) في الكلِّ، وبعضهم قدَّره (الملائكة) في الكلِّ، وبعضُهم غايرَ؛ فجعلَهُ تارةً الرياح، وتارةً الملائكة، وأمَّا ما ذكره المفسِّر. فلم يُعرِّج عليه المفسِّرون، وهو حسنٌ، وحاصلُ صَنيعه: أنَّه جعل الصفاتِ الثلاثةَ الأُوَلَ لموصوفٍ واحدٍ وهو الرياح، والرابعةَ لموصوفٍ ثانٍ وهو الآيات، والخامسةَ لموصوفٍ ثالثٍ وهو الملائكة.

قوله: (أي: الرياح) أي: رياح العذاب؛ لِيُغاير قوله: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ﴾.

قوله: (ونصبه على الحال) أي: مِن الضمير في (المُرْسَلات)، والمعنى: حال كونها مشابهةً

(١) رواه البخاري (١٨٣٠).

فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ ....

﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾: الرِّياحِ الشَّدِيدة. ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾: الرِّياح تَنشُرُ المَطر.

(﴿٤﴾ - ﴿٧﴾) ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾ أي: آيات القُرآنِ تَفرُقُ بينَ الحَقِّ والباطِلِ والحَلال والحَرام، ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ أي: المَلائكة تَنزِل بِالوَحيِ إلى الأنبِياءِ والرُّسُل يُلقُون الوَحيَ إلى الأُمَم، ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ أي: لِلإعذارِ والإنذارِ مِن الله تَعالى - وفي قِراءة بِضَمِّ ذالِ (نُذراً)، وقُرِئَ بِضمِّ ذال (عُذراً) - ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ أيْ كُفَّارَ مكَّةَ مِن البَعث والعَذابِ ﴿لَوَٰقِعٌ﴾: كائِنٌ لا مَحالةَ.

حاشية الصاوي

لعرف الفرس؛ مِن حيث تتابُعها وتلاحقها. والعُرف بالضَّم: شعر عُنق الفرس، والمَعْرَفَةُ كـ(مَرمَلة)[1]: موضع العُرْفِ من الفرس.

قوله: (﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ﴾) مِن: العَصْفِ، وهو الشدَّة، فهو مرتَّب على قوله: (المرسلات) الذي هو ريحُ العذاب.

قوله: (تنشر المطر) أي: تُفَرِّقُه حيث شاء الله تعالى.

قوله: (أو الرسل) هذا تفسيرٌ ثانٍ لـ(المُلقيات).

قوله: (أي: للإعذار... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ مفعولان لأجله، والمعلَّل بهما هو المُلقيات، والمراد بالإعذار: إزالة أعذارِ الخلائق، وبالإنذار: التخويف.

قوله: (وفي قراءة بضمِّ ذال «نذراً») أي: وهما سبعيَّتان[2]، وقوله: (وقرئ) هذه القراءةُ ليعقوب من العشرة، والحاصلُ: أنَّ الضمَّ في (عُذُراً) و(نُذُراً) على أنَّهما جمعانِ لـ: عَذِيرٍ، بمعنى: المعذرة، ونَذِيرٍ، بمعنى: الإنذار، أو بمعنى: العاذِر، والمنذِر، والسُّكونَ على أنَّهما مصدران.

قوله: (﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾... إلخ) جوابُ القسَم، و(ما) بمعنى (الذي)، والعائد محذوفٌ؛ أي: إنَّ الذي تُوعَدُونَهُ.

---

(١) كذا في الأصول، ولعلها: (مَرْحَلَة) كما في «القاموس»، مادة (ع ر ف).

(٢) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة بضمِّ الذال، والباقون بسكونها. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٦٣).

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ٩ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ١٤﴾ ....

(٨ - ١٤) ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾: مُحِيَ نُورُها، ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾: شُقَّت، ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ﴾: فُتِّتت وسُيِّرت، ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ وُقِّتَتۡ﴾ - بِالواو وبِالهمزةِ بَدلاً مِنها - أي: جُمِعَت لِوَقتٍ، ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ﴾ لِيوم عَظِيم ﴿أُجِّلَتۡ﴾ لِلشَّهادةِ على أُمَمِهم بِالتَّبليغ، ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ﴾ بَين الخَلقِ - ويُؤخَذ مِنهُ جَواب (إذَا) - أي: وقَعَ الفَصل بَين الخَلائِق - ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ - تَهويلٌ لِشَأنِه -.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾) النجوم: مَرفوعة بفعلٍ محذوفٍ يُفسِّره ما بعده، من باب الاشتغال.

قوله: (**وسُيِّرَتْ**) أي: بعد التَّفتيت.

قوله: (﴿أُقِّتَتۡ﴾) أي: جُعِلَ لهم وقتٌ للقضاء بينهم وبين أُمَمِهم، وهو يوم القيامة.

قوله: (**بالواو**) أي: على الأصل؛ لأنَّه من الوقت، وقوله: (**وبالهمز**) أي: لأنَّ الواو لمَّا ضُمَّت قُلِبَتْ، همزةً، وهما سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ﴾) متعلِّقٌ بـ﴿أُجِّلَتۡ﴾، والجملة مستأنفةٌ، أو مَقولةٌ لقولٍ محذوفٍ؛ أي: يقال: (لأي يوم... إلخ)، والقول منصوب على الحال من مرفوع ﴿أُقِّتَتۡ﴾، وقوله: (﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ﴾) بدل من (أيِّ يوم) بإعادة العامل[2]، والاستفهامُ لِلتهويل والتعظيم.

قوله: (**ويؤخذ منه**) أي: من قوله: ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ﴾، وقوله: (**جواب «إذا»**) أي: المحذوفُ، والتقديرُ: وقع الفصل.

قوله: (﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾) (ما): استفهاميَّة مبتدأ، وجملة ﴿أَدۡرَىٰكَ﴾ خبرها، والكافُ: مفعول أول، وقوله: ﴿مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ جملة من مبتدأ وخبرٍ سادَّةٌ مسدَّ المفعولِ الثاني، والاستفهام الأوَّل لِلاستبعاد والإنكار، والثَّاني لِلتعظيم والتهويل.

---

(١) قرأ أبو عمرو بواو مضمومة، والباقون بهمزة مضمومة، وهما لُغتان، والعرب تُعاقب بين الواو والهمزة كقولهم: وكَّدت وأكَّدت. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٦٣).

(٢) أي: وهو اللام، وقيل: بل تتعلَّق بفعل مقدَّر؛ أي: أُجِّلت ليوم الفصل، وقيل: اللام بمعنى (إلى). انظر «الدر المصون» (١٠/ ٦٣٣).

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٧﴾ ....

(١٥ - ١٩) ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ هذا وَعِيد لَهُم، ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ بِتكذِيبِهم؟ أي: أهلَكناهُم، ﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ مِمَّن كذَّبُوا ككُفَّارِ مكَّة فنُهلِكهُم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾) ﴿وَيۡلٞ﴾: مبتدأ سوَّغ الابتداءَ به كونُهُ دعاءً، و﴿لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾: خبره، و﴿يَوۡمَئِذٖ﴾: ظرف لـ﴿وَيۡلٞ﴾، وكرِّرت هذه الجملةُ في هذه السورةِ عشرَ مرَّاتٍ؛ لمزيد التَّرغيب والترهيب، والمرادُ بالويل؛ قيل: العذاب والخِزي، وقيل: وادٍ في جهنَّم فيه ألوان العذاب؛ لِما رُوي أنَّه ﷺ قال: «عُرِضَتْ عليَّ جهنَّم، فلم أرَ فيها وادياً أعظمَ من الويل»[(١)]، وقيل: إنَّه مَجْمَعُ ما يَسيل من قَيح أهل النَّار وصَديدِهم.

قوله: (﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾) الاستفهام تقريريٌّ، وهو طلبُ الإقرار بما بعد النَّفي، والمراد بـ(الأولين): الأممُ السَّابقةُ من آدمَ إلى محمَّد ﷺ؛ كقوم نوح وعاد وثمود، والمراد بـ(الآخرين): كفَّار أمَّة محمَّد.

قوله: (أي: أهلَكناهم) أفاد بذلك أنَّ الاستفهام داخلٌ على نفي، ونفيُ النَّفي إثباتٌ[(٢)]، نظير ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ [الشرح: ١].

قوله: (﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾) العامَّة على رفع العين استئنافاً، أو معطوفاً على جملة ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، وليس معطوفاً على الفِعل والاستفهامُ مُسَلَّط عليه؛ لأنَّه يقتضي أنَّ المعنى: أهلَكنا الأولين ثمَّ أتبَعناهم الآخرين في الهلاك، وليس كذلك؛ لأنَّ هلاك الآخرين لم يحصل حينئذٍ، وقُرِئَ شذوذاً بتسكين العين[(٣)]؛ إمَّا تخفيفاً والجملة مستأنفةٌ، أو معطوفةٌ على المجزوم، ويكون المراد بـ(الأولين): قوم نوح وعاد وثمود، وبـ(الآخرِين): قوم شعيب ولوط وموسى، وحينئذٍ: فالمراد بـ(المجرمِين): كفَّار أمَّته عليه السَّلام.

قوله: (فنُهلكهم) أي: في الدنيا كوَقعة بدر.

---

(١) أورده القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١٥٨)، وروى الإمام أحمد في «المسند» (١٨/ ٢٤٠) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ويلٌ وادٍ في جهنَّم يَهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يَبلُغَ قَعره».

(٢) لأنَّ الاستفهام إذا دخل على مَنفيٍّ.. قرَّره، ويعبَّر عن هذا الاستفهام بالإنكاري أيضاً، وهو داخل على نَفي. انظر «الفتوحات» (٤/ ٤٨٦).

(٣) وبها قرأ الأعرج والعباس عن أبي عمرو. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٦٣٥).

﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝١٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١٩ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ۝٢٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٤ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ۝٢٦﴾ ....

﴿كَذَٰلِكَ﴾ مِثل ما فَعَلنا بِالمُكذِّبين ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ بِكُلِّ مَن أجرَم فِيما يَستَقبِل فنُهلِكهُم. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ـ تأكيد ـ.

(﴿٢٠﴾ ـ ﴿٢٤﴾) ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾: ضَعِيفٍ وهو المَنِيُّ، ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾: حَرِيز وهو الرَّحِم، ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو وقتُ الوِلادة، ﴿فَقَدَرْنَا﴾ على ذلكَ ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ نحنُ، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

(﴿٢٥﴾ ـ ﴿٢٨﴾) ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ ـ مَصدَر (كَفَتَ) بِمعنَى: ضَمَّ ـ أي: ضامَّةً، ﴿أَحْيَاءً﴾ على ظَهرِها ﴿وَأَمْوَاتًا﴾ في بَطنِها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم﴾... إلخ) هذا تذكيرٌ من الله تعالى للكفّار بعظيم إنعامه عليهم، وبقُدرته على ابتداء خلقهم، والقادر على الابتداء قادرٌ على الإعادة، ففيها ردٌّ على مُنكرِي البعث.

قوله: (حَرِيز) أي: يُحفظ فيه المني من الفساد.

قوله: (﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾) أي: مِقدار معلوم من الوقت، قدَّره تعالى للولادة.

قوله: (﴿فَقَدَرْنَا﴾) بالتخفيف والتشديد، قراءتان سبعيَّتان؛ فالتَّشديد من: التَّقدير، والتخفيف من: القُدرة[1].

قوله: (على ذلك) أي: الخلقِ والتَّصوير.

قوله: (﴿كِفَاتًا﴾) مفعولٌ ثانٍ لـ﴿نَجْعَلِ﴾.

قوله: (مصدر «كفت») المناسب أن يقولَ: (اسم مكان)؛ لأنَّ (كَفَتَ) من باب (ضَرَبَ)، فمصدره: (الكَفْتُ)، فالمعنى: ألم نجعَل الأرض موضعَ كَفْتٍ؛ أي: جَمْعٍ وضَمٍّ.

قوله: (﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾) أي: تضمُّهم في دُورهم ومنازلهم في حالِ الحياة، وتضمُّهم في بَطنها

---

(١) قرأ نافع والكسائي بالتشديد، وهو مُوافقٌ لقوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾، والباقُون بالتخفيف. انظر «الدر المصون» (١٠/٦٣٥).

وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ ......

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾: جِبالاً مُرتَفِعاتٍ ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾: عذباً. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

(﴿٢٩﴾ - ﴿٣٤﴾) ويُقال لِلمُكذِّبين يوم القِيامةِ: ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ﴾ مِن العَذاب ﴿تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ هو دُخانُ جهنَّم إذا ارتَفعَ افترقَ ثَلاثَ فِرَق لِعَظَمَتِه، ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾: كَنِين يُظِلُّهُم مِن حَرِّ ذلك اليوم، ﴿وَلَا يُغْنِي﴾: يَرُدُّ عَنهُم شَيئاً ﴿مِنَ اللَّهَبِ﴾: النَّارِ، ....

حاشية الصاوي

في قبورهم حال الموت، ثمَّ هي إمَّا راضيةٌ عليه فتضمُّه ضمَّةَ الأُمِّ الشَّفوق، أو غيرُ راضيةٍ فتضمُّه ضمَّةً تختلف بها أضلاعُهُ.

قوله: (جبالاً مرتفعات) أي: لولاها لتحرَّكت بأهلها.

قوله: (﴿مَّاءً فُرَاتًا﴾) أي: من العُيون والأنهار، فتَشربون منه أنتم ودوابُّكم، وتَسقون منه زرعَكم.

قوله: (من العذاب) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ﴾) توكيدٌ لـ﴿انطَلِقُوا﴾ الأوَّل.

قوله: (﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾) أي: فِرَقٍ: شعبةٌ فوق الكافر، وشعبةٌ عن يمينه، وشعبةٌ عن يساره، ففيه إشارةٌ لعظم الدخان؛ لأنَّ شأن الدخانِ العظيمِ إذا ارتفع يصير ثلاثَ شعبٍ، وقيل: يخرج لسانٌ من النَّار فيُحيط بالكفَّار كالسرادِق، ويَتشعَّب من دخانها ثلاث شعبٍ، فتُظِلُّهم حتى يَفرغ حسابهم، والمؤمنُون في ظلِّ العرش.

قوله: (﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾) صفة لـ﴿ظِلٍّ﴾، و﴿لَّا﴾ مُتوسِّطةٌ بين الصفة والموصوفِ؛ لإفادة النفي، وهذا تهكُّمٌ بهم، وردٌّ لِمَا أوهمَه لفظُ الظلِّ من الراحة.

قوله: (كَنِين) أي: ساترٍ.

﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ ....﴾

﴿إِنَّهَا﴾ أي: النَّار ﴿تَرْمِى بِشَرَرٍ﴾ هو ما تَطايَرَ مِنها ﴿كَالْقَصْرِ﴾ مِن البِناء في عِظَمه وارتفاعِه، ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ﴾: جمعُ (جِمالَة) جَمع جَمَل، - وفي قِراءة: ﴿جِمَٰلَتٌ﴾ - ﴿صُفْرٌ﴾ في هَيئَتها ولَونِها، وفي الحَديث: «شَرارُ النَّارِ أسوَدُ كالقِيرِ»، والعَرَب تُسَمِّي سُودَ الإبِل صُفراً لِشَوبِ سَوادِها بِصُفرةٍ، فقِيل: صُفر في الآية بِمَعنَى سُود لِما ذُكِر، وقِيل: لا. والشَّرَر جمعُ شَرَرةٍ، والشَّرارُ جَمعُ شَرارةٍ، والقِير: القارُ. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

(﴿٣٥﴾ - ﴿٣٧﴾) ﴿هَٰذَا﴾ أي: يوم القِيامة ﴿يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ فِيه بِشَيء، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِشَرَرٍ﴾) هكذا براءَين من غير ألف بينَهما، وهي قراءة العامَّة، وقرئ شذوذاً بألفٍ بين الراءين مع كسرِ الشين وفتحها[1]، فالشَّرر: جمع (شَرَرَة)، والشِّرار بكسر الشين: جمع (شَرَرَةٍ) أيضاً؛ كـ: (رَقَبَةٍ ورِقَابٍ)، وبفتح الشين: جمع (شَرَارَةٍ)، وهي على كلٍّ: ما تطايَر من النَّار مُتفرِّقاً.

قوله: (﴿كَأَنَّهُۥ﴾) أي: الشَّرَرَ، فشبَّهه أوَّلاً بالقصر في العِظَم والكبر، وثانياً بالجمال في اللون والكثرة والتَّتابع.

قوله: (وفي قراءةٍ) أي: سبعيَّة أيضاً.

قوله: (في هيئتِها... إلخ) بيانٌ لوجه الشَّبه.

قوله: (لِشَوْبِ سوادِها) أي: اختلاطِه.

قوله: (فقيل... إلخ) تفريعٌ على الحديثِ وصنعِ العرب.

قوله: (وقيل: لا) أي: ليس ﴿صُفْرٌ﴾ بمعنى (سودٍ)، بل هو باقٍ على حقيقته.

قوله: (القار) أي: الزِّفت.

قوله: (أي: يومُ القيامةِ) أي: المدلولُ عليه بقوله: ﴿انطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿لَا يَنطِقُونَ﴾) أي: في بعض المواقِف، وفي بعضها يَتكلمون ويعتذرُون، فلا مُنافاة بين ما هنا وبين قوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ ونحوه.

---

(١) قرأ ابن عباس وابن مقسم بكسر الشين وألفٍ بين الراءين، وعيسى كذلك إلَّا أنَّه فتح الشين. انظر «الدر المصون» (٦٣٩/١٠).

وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ ....

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ في العُذر ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ ـ عَطف على ﴿يُؤْذَنُ﴾ مِن غير تَسبُّب عنه، فهو داخِل في حَيِّز النَّفي ـ أي: لا إذنَ فلا اعتِذارَ. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

(٣٨ - ٤٠) ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ﴾ أيُّها المُكذِّبُون مِن هَذه الأُمَّة ﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ مِن المُكذِّبِين قَبلكُم، فتُحاسَبُون وتُعَذَّبُون جَميعاً، ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾: حِيلةٌ في دَفع العذابِ عنكُم ﴿فَكِيدُونِ﴾ فافعَلُوها. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

(٤١ - ٤٣) ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ﴾ أي: تَكاثُف أشجارٍ؛ إذ لا شَمسَ يُظَلُّ مِن حَرِّها، ﴿وَعُيُونٍ﴾ نابعةٍ مِن الماء، ﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ فِيه إعلامٌ بِأنَّ المَأكَل والمَشرَب

حاشية الصاوي

قوله: (من غير تسبُّب عنه) جوابٌ عمَّا يُقال: إنَّ العطف بالفاء أو الواو على المنفيِّ يقتضي نصبَ المعطوف؛ فلِمَ رُفِعَ في الآية؟

وإيضاحه: أنَّ محلَّ نصبِهِ إذا كان متسبِّباً عن المنفي نحو: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾، وأمَّا إذا لم يكن متسبِّباً كما هنا لأنَّ النفي متوجِّهٌ لِلمعطوف والمعطوف عليه.. فإنَّه يُرْفَع.

قوله: (﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾) أي: بين المحقِّ والمبطِل.

قوله: (﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾) إمَّا عطف على الكاف في ﴿جَمَعْنَاكُمْ﴾، أو مَفعول معه، وهذه الجملة مقولةٌ لقولٍ محذوفٍ؛ أي: يُقال لهم: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾.

قول: (حِيلةٌ) تسميتُها كيداً تهكُّمٌ بهم.

قوله: (﴿فَكِيدُونِ﴾) أي: فاحتالُوا لأنفسكم وقاوُوني فلم تجدُوا مفرًّا.

قوله: (﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾... إلخ) ذكر في سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ﴾ أحوال الكفَّار في الآخرة على سَبيل الاختصار، وأطنَب في أحوال المؤمنين، عكسَ ما فعل هنا؛ لِيَحصل التعادل بين السُّورتين.

قوله: (أي: تكاثفِ أشجارٍ) من إضافة الصِّفة للموصوف.

قوله: (﴿وَعُيُونٍ﴾ نابعةٍ من الماء) أي: ومِن العسل واللبن والخمر؛ كما في آية (القتال).

قوله: (﴿مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾) راجعٌ للعيون والفواكه.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ ....

في الجَنَّة بِحسَبِ شَهواتهم، بِخِلافِ الدُّنيا فبِحسَبِ ما يَجِد النَّاس في الأغلَب، ويُقالُ لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا﴾ ـ حال ـ أي: مُتهنِّئين ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مِن الطَّاعة.

(﴿٤٤﴾ - ﴿٤٧﴾) ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزينا المُتَّقين ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟﴾ ـ خِطاب لِلكُفَّارِ في الدُّنيا ـ ﴿قَلِيلًا﴾ مِن الزَّمان وغايَته إلى المَوت، وفي هَذا تهديدٌ لَهم، ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (بِحسَب شَهواتهم) أي: فمتى اشتَهَوْا فاكهةً.. وجدُوها حاضرةً، فليست فاكهة الجنَّة مقيَّدةً بوقتٍ دونَ وقتٍ كما في أنواع فاكهة الدنيا، قال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥].

قوله: (ويُقال لهم) أي: من قِبَلِ الله، أو القائل لهم الملائكة إكراماً.

قوله: (كما جزينا المُتقين) أي: بالظلال والعُيون والفواكه نَجزي المحسنين.

إن قلت: لا مغايرةَ بين المتقين والمحسِنين، ففيه تشبيه الشيء بنفسه.

والجواب: أن يرادَ بالمتقين: الكاملين في الطاعة[1]، وبالمحسنين: مَنْ عندهم أصل الإيمان، ويَصير المعنى: إنَّ هذا الجزاء كما هو ثابتٌ للكاملين في الطاعة ثابتٌ لِمن كان عنده أصل الإيمان، فالمماثلةُ في الأوصاف التي ذُكرت في تلك الآية، لا في المراتب والدرَجات، فتدبَّر.

قوله: (من الزمان) أي: فـ﴿قَلِيلًا﴾ منصوبٌ على الظرفيَّة.

قوله: (وغايتُه إلى الموت) أي: فهو مُدَّة العمر، قال بعض العلماء: (التمتُّع بالدنيا من أفعال الكافرين، والسعيُ لها من أفعال الظالمين، والاطمئنانُ إليها من أفعال الكاذبين، والسكون فيها على حدِّ الإذن والأخذُ منها على قدر الحاجة من أفعال عوامِّ المؤمنين، والإعراضُ عنها من أفعال الزاهِدين، وأهلُ الحقيقة أجلُّ خطَراً من أن يُؤثر فيهم حبُّ الدنيا وبغضُها، وجَمْعُها وتركُها)[2].

---

(١) في (ط٢): (الكاملون في الطاعة) وهي ظاهرة، وما في الأصول جرَى فيه المصنف رحمه الله تعالى على مذهب الكوفيين من جواز إقامة الجار والمجرور مع وجود المفعول، واستدلُّوا لذلك بقراءة أبي جعفر: (ليُجْزَى قوماً بما كانوا يكسبون). انظر «شرح ابن عقيل» (٢/ ١٢١).

(٢) انظر «تفسير السلمي» (٢/ ٣٦٧).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ۝٤٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٩ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝٥٠﴾

(٤٨ - ٥٠) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ﴾: صَلُّوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾: لا يُصَلُّون، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٩ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ﴾ أي: القُرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾؟ أي: لا يُمكِن إيمانُهم بِغَيرِه مِن كُتُب الله بَعد تكذِيبِهم بِه؛ لِاشتِمالِه على الإعجازِ الذِي لم يَشتَمِل علَيه غيرُه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾) أي: لهؤلاء المجرمِين من أيِّ قائلٍ كان.

قوله: (صلُّوا) أي: فسُمِّيت الصلاة باسم جزئها وهو الركوع، وخصَّ هذا الجزء؛ لأنَّه يقال على الخضُوع والطاعة.

قوله: (﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ﴾) مُتعلق بـ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، قال الرازي: (إنَّه تعالى لما بالغ في زجرِ الكفار من أول السورة إلى آخِرها بهذه الوجوه العشرة المذكورة، وحثَّ على التمسُّك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحقِّ.. ختَم السُّورة بالتعجُّب من الكفار، وبيَّن أنَّهم إذا لم يؤمنُوا بهذه الدلائل العظيمة مع وُضوحها لا يؤمنون بغيرها)[1]، قال البُوصيري في «همزيته»[2]: [الخفيف]

وَإِذا الـبَـيِّـنـاتُ لَـمْ تُـغْـنِ شَـيْـئـاً فـالْـتِـمـاسُ الـهُـدَى بِـهِـنَّ عَـنـاءُ

قوله: (لاشتِماله على الإعجاز) أي: فقد ورَدَ: أنَّ مُعجزات المصطفى مئةُ ألف وسبعون ألفاً، في القرآن منها مئةُ ألفٍ، وسبعون من غيره.

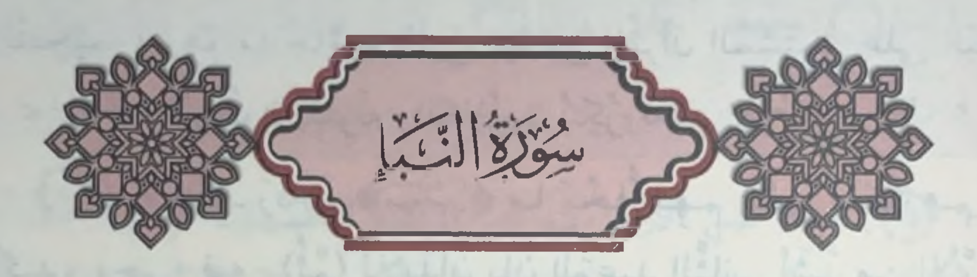
وهذا التعليل لا يُنتج ما قاله المفسِّر من عدم الإمكان؛ إذ يجوزُ أن يؤمنُوا بغيره مع عدم إعجازه، ويَكفرُوا بالقرآن المعجِز، فلو قال في التعليل: (لأنَّ القرآن مصدِّقٌ لِلكتب القديمة، موافقٌ لها في أصول الدين، فيَلزمُ من تكذيبه تكذيبُ غيرِه من الكتب؛ لأنَّ ما في غيره مَوجودٌ فيه؛ فلا يُمكن الإيمان بغيره مع تكذيبِه).. لَكان أولى.

✿ ✿ ✿

(١) «تفسير الرازي» (٣٠/ ٢٨٤).

(٢) انظر «المنح المكية» (ص٤٠٢).

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾ ....



مكيَّة، إحدى وأربَعون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿عَمَّ﴾: عن أيِّ شَيء ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾: يَسأَلُ بَعضُ قُريش بَعضاً؟ ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ بيان لِذلك الشَّيء، ....

حاشية الصاوي

(سورة التساؤل)

وتسمَّى سورة (النبأ العظيم)، وسُورة (عمَّ)، وسورة (عمَّ يتساءلون).

قوله: (﴿عَمَّ﴾) (عن): حرف جرٍّ، و(ما): استفهاميَّة في محلِّ جرٍّ، حُذِفَتْ ألفُها لِلقاعدة المقرَّرة التي أشار لها ابن مالك بقَوله[1]: [الرجز]

و(ما) في الاستفهامِ إن جُرَّتْ حُذِفْ ... أَلِفُها، وأَوْلِها الها إن تَقِفْ

ووقف البزيُّ بهاء السَّكت جرياً على القاعِدة، ونُقِلَ عن ابن كثير إثباتُ الهاءِ في الوصل أيضاً؛ إجراءً لها مُجرى الوقف، وقرئ شذوذاً بإثبات الألف، والجارُّ والمجرور مُتعلِّق بـ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾.

وقوله: (﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ﴾) عطفُ بيانٍ. وسبب نزولها: أنَّه ﷺ لما بُعِثَ.. جعل المشركون يتساءلونَ بينهم فيقولُون: ما الذي أتى به؟ ويَتجادلون فيما بُعث به[2].

ومُناسبتها لما قبلها: أنَّه لما قال: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ﴾ أي: بعد القرآن، فكانُوا يتجادَلون فيه ويَتساءلون عنه، فقال: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾.

قوله: (**بيانٌ لذلك الشيء**) أي: المعبَّرِ عنه بـ(ما) الاستفهاميَّة، والمراد بالبيان: عطفُ البيان.

---

(١) «الخلاصة»، باب (الوقف).

(٢) انظر «زاد المسير» (٤/ ٣٨٧).

﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ ....

والاستِفهام لِتَفخِيمِه، وهو ما جاءَ بِه النَّبيُّ ﷺ مِن القُرآن المُشتَمِل على البَعث وغَيرِه، ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ فالمُؤمِنُون يُثبِتُونَه والكافِرُون يُنكِرُونه.

(٤ - ٥) ﴿كَلَّا﴾ - رَدع - ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ ما يَحُلُّ بِهِم على إنكارِهِم لَه، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ - تَأكِيد، وجِيء فِيه بِـ(ثُمَّ) لِلإيذانِ بِأنَّ الوَعِيد الثَّانِي أشَدُّ مِن الأوَّل - ثُمَّ أومَأ تَعالى إلى القُدرةِ على البَعث فقال:

حاشية الصاوي

قوله: (والاستفهامُ لتَفخيمه) أي: فليس استفهاماً حقيقيًّا، بل هو كنايةٌ عن تفخيم الأمر وتعظيمه.

قوله: (﴿ٱلَّذِى﴾) صفة لـ﴿ٱلنَّبَإِ﴾، و﴿هُمْ﴾: مبتدأ، و﴿مُخْتَلِفُونَ﴾: خبره، و﴿فِيهِ﴾: متعلق بـ﴿مُخْتَلِفُونَ﴾، والجملةُ صِلة ﴿ٱلَّذِى﴾، وقوله: (فالمؤمنون... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الضَّمير في ﴿هُمْ﴾ عائدٌ على ما يَشمَل المؤمنين والكُفار، وجَعْلُ الواوِ في ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ محمولةً على الكفَّار ليس بِواضح؛ لأنه يَلزم عليه تشتيت الضمائر، فالمناسب أن يُسوِّي بين الضميرين؛ بأن يجعلهما عائدين على الكفار، واختلافُهم فيه من حيث إنَّ بعضَهم يقول فيه: شِعر، وبعضهم يقول فيه: كَهانة، وغير ذلك[1].

قوله: (ردع) أي: فيه معنى الوعيد والتهديد.

قوله: (ما يحلُّ بهم) مفعول (يعلمون)، والمعنى: ما يَنزل بهم عند النَّزع، أو في القيامة؛ لكشف الغطاء عنهم في ذلك الوقت. وحلَّ يحلُّ - بالكسر والضمِّ في المضارع - بمعنى: نزَل.

قوله: (تأكيد) أي: لفظيٌّ، وقيل: عطف نسقٍ فيه معنى التَّأكيد.

قوله: (للإيذان بأنَّ الوعيد الثاني... إلخ) أي: فتغايرَا بهذا الاعتبار، ومِن هنا قيل: إنَّ الأوَّل عند النزع، والثاني في القيامة، وقيل: الأوَّل للبعث، والثاني للجزاء.

قوله: (ثمَّ أومأ تعالى) أي: أشار إلى الأدلَّة الدَّالة عليها، وذكر منها تسعةً، ووجهُ الدلالةِ أن يقال: إنَّه تعالى حيث كان قادراً على هذه الأشياء.. فهو قادرٌ على البعث.

---

(١) ما سلَكه المفسِّر رحمه الله تعالى تلفيقٌ بين قولين؛ ففي «السراج المنير» (٤/٤٦٩): (وقيل: الضمير لِلمسلمين والكافرين جميعاً، وكانوا جميعاً يتساءلون عنه؛ أمَّا المسلم فليَزداد خشيةً واستعداداً، وأمَّا الكافرُ فليَزداد استهزاءً). «فتوحات» (٤/٤٩١).

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ ....

(٦ - ١٦) ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾: فِراشاً كالمَهدِ، ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ تُثبَّتُ بِها الأرضُ كما تُثبَّتُ الخِيامُ بِالأوتادِ. والاستِفهامُ لِلتَّقرير، ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: ذُكُوراً وإناثاً، ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾: راحةً لِأبدانِكُم، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾: ساتِراً بِسَوادِه، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾: وقتاً لِلمَعايِش، ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾: سَبعَ سَماوات ﴿شِدَادًا﴾: جَمع شَدِيدةٍ أي: قَوِيَّة مُحكَمة لا يُؤَثِّر فِيها مُرُورُ الزَّمان، ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ مُنِيراً ﴿وَهَّاجًا﴾: وقَّاداً، يَعنِي الشَّمس، ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾: السَّحاباتِ التي حانَ لَها أن تُمطِرَ كالمُعصِرِ الجارِيَة التي دَنَت مِن الحَيض، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾) ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعولٌ أوَّل، و﴿مِهَٰدًا﴾: مفعول ثانٍ إن جُعلت بمعنى التصيير، وإن جُعلت بمعنى الخلق. فيكون ﴿مِهَٰدًا﴾ حالاً، وكذا يقال في قوله: ﴿أَوْتَادًا﴾ وما بعدَه.

قوله: (كالمَهد) أي: للصبيِّ، وهو ما يُفْرَشُ له لِيَنام عليه.

قوله: (للتقرير) أي: بما بعد النَّفي.

قوله: (﴿سُبَاتًا﴾) بالضمِّ كـ(غُرابٍ): النَّوم الثَّقيل، وأصله: الرَّاحة، وفِعلُه: (سَبَتَ) كـ(قَتَلَ).

قوله: (ساتراً بِسواده) أي: ظُلْمَتِهِ، ففيه تشبيهٌ بليغٌ بحذف الأداة؛ أي: كاللِّباس، بجامع السَّترِ في كلٍّ.

قوله: (وقتاً للمعاش) أي: تتصرَّفون فيه في حوائجِكم.

قوله: (﴿وَهَّاجًا﴾) أي: مُضيئاً.

قوله: (يعني: الشَّمسَ) أي: لأنَّها كوكبٌ نهاريٌّ، ينسخ ضوؤه ظلمةَ اللَّيل.

قوله: (التي حان لها أن تُمطرَ) أي: جاء وقت إمطارها المقدَّرُ لها.

قوله: (الجارية) المراد بها: مطلق الأنثى.

مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ ....

﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾: صَبَّاباً، ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا﴾ كالحِنطةِ ﴿وَنَبَاتًا﴾ كالتِّبنِ، ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾: بَساتِينَ ﴿أَلْفَافًا﴾: مُلتَفَّةً، جَمع (لَفِيف) كـ(شَرِيف وأشرافٍ)؟

(﴿١٧﴾ - ﴿٢٠﴾) ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ بينَ الخَلائِق ﴿كَانَ مِيقَٰتًا﴾: وقتاً لِلثَّوابِ والعِقاب، ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾: القَرنِ ـ بَدل مِن ﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ أو بَيان لَه ـ والنَّافِخ إسرافيلُ، ﴿فَتَأْتُونَ﴾ مِن قُبورِكُم إلى المَوقِف ﴿أَفْوَاجًا﴾: جَماعاتٍ مُختَلِفة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (صبَّاباً) أي: بشدَّةٍ وقوَّةٍ.

قوله: (﴿حَبًّا وَنَبَاتًا﴾) أي: فالمراد: ما يُقْتَاتُ به، وما يُعْلَفُ، من التِّبن والحشيش.

قوله: (جمع «لَفِيفٍ») وقيل: جمع «لِفٍّ» بكسر اللام، وقيل: لا واحدَ له.

قوله: (﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾... إلخ) كلامٌ مستأنفٌ واقعٌ في جواب سؤالٍ مقدَّرٍ، تقديره: ما وقتُ البعث الذي أُثْبِتَ بالأدلَّة المتقدِّمة؟ فقال: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾، وأكَّده بـ(إنَّ)؛ لتردُّدِ الكفَّار فيه.

قوله: (﴿كَانَ مِيقَٰتًا﴾) أي: في عِلمه وقضائه.

قوله: (وقتاً لِلثواب والعقاب) أشار بذلك إلى أنَّ الميقات زمانٌ مقيَّدٌ بكونِه وقتَ ظهورِ ما وعَد الله به من الثَّوابِ والعقاب.

قوله: (﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾) أي: النَّفخةَ الثَّانية.

قوله: (جماعاتٍ مختلفة) رُوي عن معاذ بن جبل: قُلت: يا رسول الله؛ أرأيتَ قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾؟ فقال النبي ﷺ «يا معاذَ بن جبل؛ لقد سألتَ عن أمرٍ عظيم»، ثمَّ أرسل عينَيه باكياً ثم قال: «يُحشَرُ عشرةُ أصنافٍ من أمَّتي أشتاتاً قد ميَّزهم الله تعالى من جماعاتِ المسلمين، وبدَّل صُوَرَهم؛ فبعضُهم على صُورة القِرَدة، وبعضُهم على صورة الخنازير، وبعضُهم منكَّسون أرجلَهم فوق وُجوههم، ووجوهُهم يسحبون عليها، وبعضُهم عُمْيٌ متردِّدون، وبعضُهم صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون، وبعضُهم يَمضغون ألسنتَهم فهي مدلَّاةٌ على صُدورهم، يسيل القيحُ من أفواههم لعاباً، يتقذَّرُهم أهلُ الجمع، وبعضُهم مُقطَّعةٌ أيديهم وأرجلهم، وبعضُهم مُصلَّبون على جذوعٍ من النَّار، وبعضُهم أشدُّ نَتْناً من الجِيَفِ، وبعضهم يلبَسون جلابيبَ سابغةً من القَطِرَان، لاصقةً بجُلودهم.

وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ....

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ ـ بالتَّشدِيدِ والتَّخفِيف ـ: شُقِّقَت لِنُزُولِ المَلائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾: ذاتَ أبوابٍ، ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾: ذُهِبَ بِها عن أماكِنها ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾: هَباءً أي: مِثلَه في خِفَّة سَيرِها.

حاشية الصاوي

فأمَّا الذين على صُورة القردة.. فالقتَّاتُ من الناس ـ يعني: النمَّام ـ وأمَّا الذين على صورة الخنازير.. فأهلُ السُّحْتِ والحرام والمَكْسِ، وأمَّا المنكَّسون رؤوسَهم ووجوهَهم.. فأكلةُ الرِّبا، وأمَّا العُمي.. فهم مَنْ يَجُورون في الحكم، وأمَّا الصمُّ البكمُ.. فهم الذين يُعْجَبُون بأعمالهم، وأمَّا الذين يَمضغون ألسنتَهم.. فالعلماء والقُصَّاصُ الذين يُخالف قولهم فعلَهم، وأمَّا المقطَّعة أيديهم وأرجلهم.. فالذين يُؤذون الجيران، وأمَّا المصلَّبون على جذوعٍ من النَّار.. فالسُّعاةُ بالنَّاس إلى السلطان، وأمَّا الذين هم أشدُّ نَتْناً من الجِيَفِ.. فالذين يتمتَّعون بالشهوات ويمنعونَ حقَّ الله من أموالهم، وأمَّا الذين يلبَسون الجلابيب.. فأهلُ الكِبر والفَخر والخُيَلاء»[1].

قوله: (﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾) عطف على قوله: ﴿فَتَأْتُونَ﴾، وعبَّر بالماضي؛ لتحقُّق الوقوع.

قوله: (بالتَّشديد والتَّخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (شقِّقت) أشار بذلك إلى أنَّه ليس المرادُ بالفتح ما عُرِفَ من فتح الأبواب، بل هو التَّشقُّق؛ لِمُوافقة قوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾.

وخَيْرُ ما فَسَّرْتَهُ بِالوارِدِ[3]

قوله: (لِنزول الملائكة) أي: لأنَّهم يمُوتون بالنفخة الأولى، ويَحْيَون بين النَّفختين، ويَنزلون جميعاً يُحيطون بأطراف الأرض وجهاتها، يَسُوقون النَّاس إلى المحشر.

قوله: (﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾) أي: في الهواء بعد تفتيتِها.

قوله: (هباءً) المناسبُ إبقاءُ السَّراب على ظاهره، ويكون المعنى على التَّشبيه؛ أي: فكانت مثلَ

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١١٥)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠١) إلى ابن مردويه عن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنهما: أن معاذَ بن جبل... إلخ، وانظر «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٤/ ١٤٤).

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف التاء بعد الفاء، والباقُون بتشديدها. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٧١).

(٣) تمامُه كما في «ألفية العراقي»، باب (غريب ألفاظ الحديث):

كالدُّخِّ بِالدُّخَانِ لابْنِ صَائِدِ

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ ....

(﴿٢١﴾ - ﴿٢٦﴾) ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: راصِدةً أو مُرصَدةً، ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾: الكافِرين فلا يَتَجاوَزُونها ﴿مَـَٔابًا﴾: مَرجِعاً لَهُم فيدخُلُونها، ﴿لَّٰبِثِينَ﴾ ـ حال مُقدَّرة ـ أي: مُقدَّراً لُبثُهم ﴿فِيهَآ أَحْقَابًا﴾: دُهُوراً لا نِهايةَ لَها، جَمع حُقب ـ بِضم أوَّله ـ ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾: نَوماً فإنَّهُم لا يَذُوقُونَه، ﴿وَلَا شَرَابًا﴾: ما يُشرَب تلذُّذاً، ....

حاشية الصاوي

السَّراب من حيثُ إنَّ المرئيَّ خلافُ الواقع، فكما يُرَى السَّرابُ كأنَّه ماءٌ، كذلك الجبال تُرَى كأنَّها جبالٌ وليسَت كذلك في الواقع؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، وإلَّا.. فتفسيرُ (السَّراب) بـ(الهباء) لم يُوجَد في اللغة.

قوله: (راصدةً أو مرصدةً) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿مِرْصَادًا﴾ من: رَصَدْتُ الشيءَ أَرْصُدُهُ: إذا ترقَّبْته، فهي راصدةٌ للكفَّار مُترقِّبةٌ لهم، أو مُرْصَدَة بمعنى: مُعَدَّة ومُهَيَّأة لهم، يقالُ: أَرْصَدْتُ له: أعدَدْتُ له.

قوله: (﴿أَحْقَابًا﴾) ظرفٌ لـ﴿لَّٰبِثِينَ﴾.

قوله: (لا نهاية لها) أي: بمجموعها وإن كان كلٌّ منها مُتناهياً، وإنَّما قال: (لا نهاية لها)؛ لِيُوافق قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

قوله: (بضمِّ أوَّله) أي: وسكونِ ثانيه، هو ثمانون سنةً، كلُّ سنةٍ اثنا عشر شهراً، كلُّ شهرٍ ثلاثون يوماً، كلُّ يومٍ ألفُ سنةٍ.

عن الحسن قال: (إنَّ الله تعالى لم يجعَل لأهل النَّار مُدَّةً، بل قال: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾، فوالله ما هو إلا أنَّه إذا مضى حُقْبٌ دخَل حُقْبٌ إلى الأبد، وليس لِلأحقاب عِدَّةٌ إلَّا الخلود)، وعن ابن مسعود قال: (لو عَلم أهلُ النَّار أنَّهم يلبَثون في النَّار عددَ حصَى الدنيا.. لَفرحوا، ولو عَلم أهل الجنَّة أنهم يَلبثون في الجنَّة عدد حصى الدنيا.. لَحزنُوا)[1].

قوله: (نوماً) سمَّى النَّوم برداً؛ لأنَّه يُبْرِدُ صاحبه، ألا ترى أنَّ العطشان إذا نام سكَن عطشُهُ،

(١) أوردَهما البغوي في «تفسيره» (٥/ ٢٠١).

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ﴾ ....

﴿إِلَّا﴾: لَكِن ﴿حَمِيمًا﴾: ماءً حارًّا غايةَ الحرارة، ﴿وَغَسَّاقًا﴾ - بِالتَّخفيف والتَّشديدِ -: ما يَسِيل عن صَدِيد أهل النَّار فإنَّهم يَذُوقُونَه، جُوزُوا بذلك ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾: مُوافِقاً لِعَمَلِهِم، فلا ذَنب أعظَمُ مِن الكُفر ولا عَذابَ أعظَم مِن النَّار.

(٢٧ - ٣٠) ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ﴾: يَخافُون ﴿حِسَابًا﴾ لِإنكارِهِم البَعث، ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: القُرآنِ ﴿كِذَّابًا﴾: تكذِيباً، ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ مِن الأعمالِ ﴿أَحْصَيْنَـٰهُ﴾: ضَبَطناهُ ....

حاشية الصاوي

وهي لُغة هذيل، وقال ابن عباس: (البرد: بَرْدُ الشَّراب)[١]، وقال الزَّجاج: (أي: لا يذُوقون فيها بردَ ريح، ولا ظل نوم)[٢]، فجعل البردَ بَرْدَ كلِّ شيء له راحةٌ، فأمَّا الزَّمهرير.. فهو بردُ عذابٍ لا راحة فيه.

قوله: (لكن ﴿حَمِيمًا﴾) قضيَّة كلامه: أنَّ الاستثناء منقطعٌ، ويجوزُ أن يكون متصلاً من عُموم قوله: ﴿وَلَا شَرَابًا﴾، والأحسَنُ أنَّه بدلٌ من ﴿شَرَابًا﴾؛ لأنَّ الاستثناء من كلامٍ غيرِ موجبٍ.

قوله: (بالتَّخفيف والتشديد) أي: فهُما قراءتان سبعيَّتان[٣].

قوله: (﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾) منصوبٌ على المصدريَّة لمحذوفٍ، قدَّره المفسِّر بقَوله: (جُوزُوا بذلك... إلخ).

قوله: (مُوافقاً لِعَملهم) أشارَ بذلك إلى أنَّ ﴿وِفَاقًا﴾ صفةٌ لـ﴿جَزَآءً﴾ بتأويله باسم الفاعل[٤].

قوله: (﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟﴾) تعليلٌ لقوله: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾.

قوله: (﴿كِذَّابًا﴾) بالتَّشديد باتفاق السَّبعة.

قوله: (﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾) منصوبٌ على الاشتغال؛ أي: وأحصَينا كلَّ شيء أحصَيناه.

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١٩/ ١٨٠).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٧٣).

(٣) قرأ حمزة والكسائي وحفصٌ وخلَف بتشديد السين، والباقون بتخفيفها. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٧٢).

(٤) ويصح أن يكون على حذف مضاف؛ أي: ذا وِفاق، أو يبقى على مَصدريته؛ لِقَصد المبالغة. «فتوحات» (٤/ ٤٩٤).

كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ

﴿كِتَٰبًا﴾: كَتباً في اللَّوحِ المَحفُوظ لِنُجازِيَ علَيهِ، ومِن ذلك تكذِيبُهم بِالقُرآن، ﴿فَذُوقُوا۟﴾ أي: فيُقالُ لَهُم في الآخِرة عِند وُقُوع العَذاب علَيهِم: ذُوقُوا جَزاءَكُم ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ فوقَ عَذابِكُم.

(٣١ - ٣٥) ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾: مَكانَ فوزٍ في الجَنَّة، ﴿حَدَآئِقَ﴾: بَساتِينَ ـ بَدل مِن ﴿مَفَازًا﴾ أو بَيان لَه ـ ﴿وَأَعْنَٰبًا﴾ ـ عَطف على ﴿مَفَازًا﴾ ـ ﴿وَكَوَاعِبَ﴾: جَوارِي تكَعَّبَت ثُدِيُّهنَّ جَمع (كاعِب)، ....

حاشية الصاوي

قوله: (كَتْباً) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿كِتَٰبًا﴾ مصدرٌ من معنى الإحصاء، على حدِّ: جلَست قُعوداً، فمعنى ﴿كِتَٰبًا﴾: إحصاءً.

قوله: (في اللوح المحفوظ) وقيل: في صُحف الحفَظَةِ على بني آدم.

قوله: (ومن ذلك) أي: كلِّ شيء.

قوله: (﴿فَذُوقُوا۟﴾) أمرُ إهانةٍ وتحقيرٍ، والجملةُ معمولةٌ لمقدَّرٍ كما أشار له المفسِّر.

قوله: (﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾) قيل: هذه أشَدُّ آيةٍ في القرآن على أهل النَّار، كلَّما استغاثُوا بنَوعٍ من العذاب.. أُغِيثُوا بأشدَّ منه.

قوله: (﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾) مُقابل قوله: ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾، والمراد بـ(المتقين): من اتَّقى الشِّركَ؛ بأن لم يموتُوا كفَّاراً.

قوله: (مكانَ فوز) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿مَفَازًا﴾ مصدرٌ ميميٌّ بمعنى المكان، ويَصِحُّ أن يكون بمعنى الحدث؛ أي: نجاةً وظفراً بالمقصُود.

قوله: (بدل من ﴿مَفَازًا﴾) أي: بدل بعضٍ من كلٍّ.

قوله: (عطف على ﴿مَفَازًا﴾) المناسِبُ عَطفه على ﴿حَدَآئِقَ﴾ عطفَ خاصٍّ على عامٍّ؛ لِمَزيد شرف الأعناب.

قوله: (تكعَّبَتْ) أي: استدارت مع ارتفاعٍ يسيرٍ كالكَعب.

قوله: (ثُدِيُّهنَّ) بضمِّ المثلثة، وكسر الدال المهملة، وتَشديد الياء التحتية، جمع (ثَدْيٍ).

أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ ....

﴿أَتْرَابًا﴾: على سِنٍّ واحِد، جَمع (تِرب) ـ بِكَسر التَّاء وسُكون الراءِ ـ ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾: خَمراً مالِئة مَحالَّها، وفي (القِتال): ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ﴾ [محمد: ١٥]، ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ أي: الجَنَّةِ عِند شُرب الخَمر وغَيرِها مِن الأحوال ﴿لَغْوًا﴾: باطِلاً مِن القَول، ﴿وَلَا كِذَّٰبًا﴾ ـ بِالتَّخفِيف أي: كَذِباً، وبِالتَّشدِيدِ أي: تَكذِيباً مِن واحِدٍ لِغَيرِهِ ـ بِخِلافِ ما يَقَع في الدُّنيا عِند شُرب الخَمر.

﴿٣٦﴾ ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: جَزاهُم الله بِذلك جَزاءً ....

حاشية الصاوي

قوله: (على سنٍّ واحدٍ) أي: فلا اختلافَ بينهُنَّ في الشَّكل ولا في العمر؛ لِئلا يَحصل الحزن إن وُجِدَ التَّخالفُ، ولا حزنَ في الجنَّة.

قوله: (خمراً مالئةً مَحلَّها) فسَّر الكأس بالخمر، والدِّهاق بالمالئة، والمناسبُ: إبقاءُ الكأسِ على ظاهِرها، وتفسيرُ الدهاق بالممتلئة؛ لِما في «القاموس»: (دَهَقَ الكأس: ملأها)[١]، وفي «المختار»: (أَدْهَقَ الكأسَ: ملأها، وكأسٌ دِهَاقٌ؛ أي: مُمتلئة)[٢].

قوله: (﴿لَّا يَسْمَعُونَ﴾) حالٌ من (المتقين).

قوله: (وغيرها) الضمير عائدٌ على (الشُّرب)، واكتَسب التأنيث من المضاف إليه، وهو (الخمر)؛ لأنَّها تذكَّر وتؤنَّث، وفي بعض النسخ: (وغيره)، وهي ظاهِرةٌ.

قوله: (بالتخفيف) أي: بِوَزن (كِتَاب) مصدر (كَذَبَ) كـ(كَتَبَ)، وقوله: (وبالتشديد) أي: فهو مصدر (كَذَّبَ) المشدَّدِ، قراءتان سبعيَّتان هنا؛ لعدم التَّصريح بفعله، وأمَّا قوله: ﴿وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾. . فهو بالتَّشديد باتِّفاق السَّبعةِ؛ لِوجود التَّصريحِ بالفعل المشدَّد[٣].

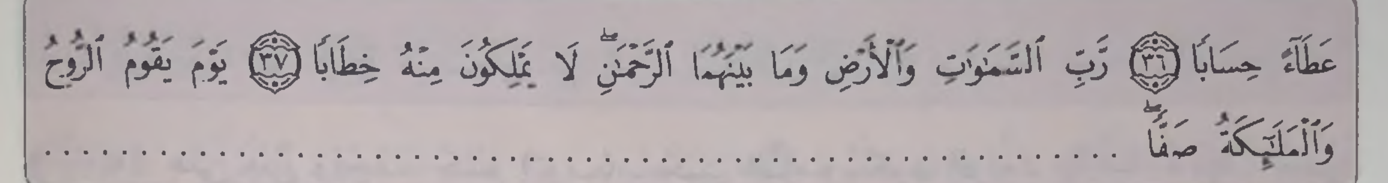
قوله: (﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾) أي: بمقتضى وعدِهِ الحسنِ لأهلِ الطاعةِ، وهذا من مَزيد الإكرام لأهل الجنَّةِ، كما يقول الشخصُ الكريم إذا بالَغ في إكرام ضيفِه: هذا من فضلك وإحسانِك مثلاً، وإلَّا. . فأيُّ حقٍّ للمَخلوق على خالِقه؟!

---

(١) «القاموس المحيط»، مادة (د هـ ق)، (ص٨٨٤).

(٢) «مختار الصحاح»، مادة (د هـ ق)، (ص١٠٨).

(٣) قرأ الكسائي بالتخفيف، والباقون بالتثقيل. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٦٦٢).



﴿عَطَآءً﴾ ـ بَدل مِن ﴿جَزَآءً﴾ ـ ﴿حِسَابًا﴾ أي: كَثِيراً، مِن قولِهم: أعطاني فأحسَبَنِي أي: أكثَر عليَّ حتَّى قُلتُ: حَسبِي.

﴿٣٧﴾ ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ـ بِالجرِّ والرَّفع ـ ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ـ كذلك، وبِرَفعِه مَع جَرِّ ﴿رَّبِّ﴾ ـ ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي: الخَلقُ ﴿مِنْهُ﴾ تَعالى ﴿خِطَابًا﴾ أي: لا يَقدِر أحَدٌ أن يُخاطِبَهُ خَوفاً مِنهُ.

﴿٣٨﴾ ﴿يَوْمَ﴾ ـ ظَرف لـ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ ـ ﴿يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾: جِبريلُ أو جُندُ الله ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ ـ حال ـ أي: مُصطَفِّينَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بدل من ﴿جَزَآءً﴾) أي: بدلَ كلٍّ من كلٍّ.

قوله: (﴿حِسَابًا﴾) صفة لـ﴿عَطَآءً﴾، وهو إمَّا مصدرٌ أُقيم مُقامَ الوصف، أو باقٍ على مصدريَّته مبالغةً، أو على حذف مضاف؛ أي: ذُو كفاية، على حدِّ: (زيدٌ عدلٌ).

قوله: (بالجرِّ) أي: جرِّ ﴿رَّبِّ﴾ على أنَّه بدلٌ من ﴿رَبِّكَ﴾، وقوله: (والرَّفعِ) أي: على أنَّه خبرُ مبتدأ محذوفٍ؛ أي: هو ربٌّ.

قوله: (كذلك) أي: بالجرِّ والرَّفعِ، فالجرُّ على أنَّه بدلٌ من ﴿رَّبِّ﴾ الأوَّل، أو صفةٌ للثاني، والرَّفع على أنَّه خبرُ مُبتدأ محذوفٍ، والجملة مُستأنفة، وقوله: (وبرفعه) أي: (الرحمن) على أنَّه خبرٌ لمحذوفٍ، فالقراءاتُ ثلاثٌ سبعيَّاتٌ: رفعُهما، وجرُّهما، ورفعُ (الرحمن) مع جرِّ (ربِّ)[1].

قوله: (أي: الخلقُ) أي: مِن أهل السماوات والأرض؛ لِغَلَبة الجلالِ في ذلك اليومِ، فلا يَقدرُ أحدٌ على خِطابه تعالى في دفع بلاءٍ، ولا في رفع عذابٍ.

قوله: (﴿مِنْهُ﴾) (مِن): ابتدائيَّة متعلِّقة بـ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أو بـ﴿خِطَابًا﴾.

قوله: (أو جند الله) ذكر المفسِّر في معنى (الروح) قولَين من جملة أقوال ثمانية؛ فقوله:

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو برفع (ربُّ السماوات) و(الرحمن)، وابن عامر وعاصم بخفضها، وحمزة والكسائي بخفض الأوَّل، ورفع الثاني. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٦٦٤).

لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ ....

﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي: الخلقُ ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ﴾ قولاً ﴿صَوَابًا﴾ مِن المُؤمنِين والمَلائكة، كأن يَشفعُوا لِمَن ارتَضى.

﴿٣٩﴾ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾: الثَّابِتُ وُقُوعه وهو يَومُ القِيامة، ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾: مَرجِعاً أي: رَجَعَ إلى الله بِطاعَتِهِ لِيَسلَمَ مِن العَذاب فِيه.

﴿٤٠﴾ ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ﴾ أيْ كُفَّار مكَّة ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ أي: عَذاب يَوم القِيامة الآتِي، وكُلُّ آتٍ قَرِيب، ﴿يَوْمَ﴾ ـ ظَرف لِـ﴿عَذَابًا﴾ بِصِفَتِه ـ ﴿يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ﴾: كُلُّ امرِئٍ ....

حاشية الصاوي

(جند الله) أي: جندٌ من جُنود الله، ليسُوا ملائكة، لهم رؤوسٌ وأيدٍ وأرجل، يأكلُون الطعام، على صورة بني آدم كالنَّاس، وليسُوا بناسٍ.

ثالثها: أنَّه مَلك ليس بعد العرش أعظمُ منه، في السَّماء الرابعة، يسبِّح اللهَ تعالى كلَّ يومٍ اثني عشر ألف تسبيحة، يَخلق الله من كلِّ تسبيحةٍ ملكاً، فيَجيء يوم القيامة وحده صفًّا.

رابعها: أنَّهم أشراف الملائكة. خامسها: أنهم بنو آدم. سادسها: أرواحُ بني آدم تقوم صفًّا بين النفختين قبل أن تُرَدَّ إلى الأجساد. سابعها: القرآن؛ لِقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا﴾ [الشورى: ٥٢]. ثامنها: أنَّهم الحفَظة على الملائكة.

قوله: (﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾... إلخ) تأكيد لِقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾، والمعنى: أنَّ هؤلاء الذين هم أفضلُ الخلائق وأقربهُم من الله؛ إذا لم يَقدرُوا أن يشفعُوا إلَّا بإذنه.. فكيف يَملك غيرهم؟!

قوله: (﴿فَمَن شَآءَ﴾) مفعوله محذوفٌ، دلَّ عليه قوله: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾، و(مَنْ): شرطيَّة، وجوابها قوله: ﴿ٱتَّخَذَ...﴾ إلخ، أو محذوفٌ تقديره: (فعل).

قوله: (﴿إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾) أي: إلى ثوابه، وهو متعلق بـ﴿مَـَٔابًا﴾.

قوله: (كلُّ امرئ) أي: مسلماً أو كافراً، وأخذ العموم من (أل) الاستغراقيَّة، والنَّظر بمعنى الرؤية، والمعنى: يرَى كلٌّ ما قدَّمه من خيرٍ وشرٍّ ثابتاً في صحيفتِه. وخصَّ اليدَين بالذكر؛ لأنَّ أكثرَ الأفعال تُزاوَلُ بهما.

مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ مِن خَير وشَرٍّ ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَا﴾ - حَرف تَنبِيه - ﴿لَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ يَعنِي فلا أُعَذَّب، يَقُول ذلك عِندَما يَقُول الله تَعالى لِلبَهائِمِ بَعد الاقتِصاص مِن بَعضِها لِبَعض: كُوني تُراباً.

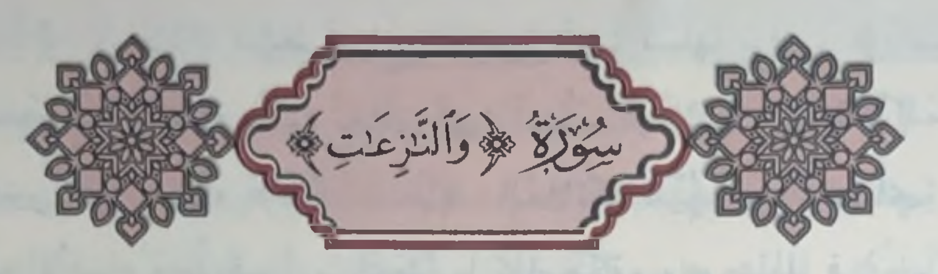
حاشية الصاوي

قوله: (يقول ذلك عندما يقول الله للبهائم... إلخ) هذا أحدُ احتمالات ثلاث، ثانيها: أنَّه يتمنَّى أن لو كان تراباً في الدنيا، فلم يخلق إنساناً ولم يكلَّف، ثالثها: أنَّه يتمنَّى أن لو كان تراباً في يوم القيامة، فلم يُبعث ولم يحاسب.

قوله: (بعد الاقتصاص من بَعضِها لِبَعض) أي: فيقتصُّ للجمَّاء من القرناء؛ إظهاراً للعدل، وأمَّا الجنُّ فهم مُكلَّفون كالإنس، يُثابون ويعاقبون، فالمؤمن يدخل الجنَّة، والكافر يدخل النَّار على الصحيح.

✿ ✿ ✿

﴿وَالنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١﴾ ....



مكيَّة، سِتٌّ وأربَعون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(﴿١﴾ - ﴿٥﴾) ﴿وَالنَّٰزِعَٰتِ﴾: المَلائكة تَنزِعُ أرواحَ الكُفَّار ﴿غَرۡقٗا﴾: نَزعاً بِشِدَّة،

حاشية الصاوي

سُورَةُ ﴿وَالنَّٰزِعَٰتِ﴾

وفي بعض النسخ: (سورة النازعات) بغير واو.

قوله: (﴿وَالنَّٰزِعَٰتِ﴾... إلخ) اعلَم: أنَّ الله تعالى أقسَم بخمسةِ أقسامٍ، موصوفُها محذوفٌ، فاختلف المفسِّرون في تقدير الموصوف في الأربعة الأُوَلِ، فبَعضهم قدَّره: (الملائكة)، وبعضُهم قدَّره: (النجوم)، وأمَّا الخامس فالمراد بهم: الملائكة بالإجماع.

والتأنيث في الأوصاف ظاهرٌ إن كان المراد النجوم، وإن كان الملائكة.. فالتأنيث باعتبار الطائِفة، كأنَّه قال: (والطائفة النازعات)، ومشى المفسِّر على أنَّ المراد بها الملائكةُ، وهو ظاهرٌ.

قوله: (الملائكة تَنزع أرواحَ الكفار... إلخ) قال ابن مسعود: (إنَّ ملك الموت وأعوانَه يَنزعون روح الكافر كما يُنْزَعُ السَّفُّودُ الكثيرُ الشُّعَبِ من الصوف المبتَلِّ)[1].

قوله: (﴿غَرۡقٗا﴾) إمَّا مصدرٌ على حذف الزوائد؛ بمعنى: إغراقاً، فهو مُلاقٍ لِعامله في المعنى، كـ: (قُمت وقوفاً)، أو حالٌ؛ أي: ذَوات إغراق، يقال: أَغْرَقَ في الشَّيء: إذا بلَغ أقصى غايتِهِ.

قوله: (نزعاً بشدَّة) أي: لما ورَدَ: أنَّ كلَّ نزعةٍ أعظمُ من سبعِين ألف ضربة بالسَّيف، ويرى أنَّ السماوات السَّبع انطبَقت على الأرض وهو بينَهما.

---

(١) أورَده البغوي في «تفسيره» (٥/ ٢٠٤)، ورواه مرفوعاً الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٩٦) عن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنهما، والسَّفُّود بوزن (التَّنور): الحديدة التي يُشوى بها اللحم.

وَالنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ ....

﴿وَالنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾: المَلائكة تَنشِط أرواحَ المُؤمِنِينَ أي: تَسُلُّها بِرِفق، ﴿وَالسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا﴾: المَلائِكة تَسبَحُ مِن السَّماء بِأمرِه تَعالى أي: تَنزِلُ، ﴿فَالسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا﴾: المَلائِكة تَسبِقُ بِأرواحِ المُؤمِنِين إلى الجنَّة، ﴿فَالْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾: المَلائِكة تُدَبِّرُ أمرَ الدُّنيا أي: تَنزِل بِتَدبِيرِه ـ وجَواب هذه الأقسامِ مَحذُوف أي: لَتُبعَثُنَّ يا كُفَّار مكَّة، وهو عامِل في ـ:

حاشية الصاوي

قوله: (تَنْشِطُ أرواح المؤمنين) بفَتح أوَّله، وكسر ثالثه، من باب (ضَرَبَ)، يقال: نَشَطَ في عمله: خَفَّ وأسرَع فيه، وأَنْشَطْتُ البعيرَ من عِقاله: أطلَقتُهُ. و﴿نَشْطًا﴾ وما بعده: مصادر مؤكِّدةٌ لِعوامِلها.

والسَّبب في شدَّةِ نزع أرواح الكفَّار، وسُهولةِ نزعِ أرواح المؤمنين: أنَّ كلًّا يَرى قبل الموت مقعدَهُ الذي أُعِدَّ له؛ فالمؤمن يَزداد فرحاً وشوقاً، فلا يُشاهد ألماً ولا يحسُّ به، والكافر تأبى روحه الخروج؛ لِمزيد الحزن والكَرب الذي تجده عند رؤية مَقعدها في النَّار، فتُنْزَعُ كرهاً بشدَّةٍ، فيَجِدها الكافر.

قوله: (﴿وَالسَّٰبِحَٰتِ﴾) أي: الملائكةِ النَّازلين برفقٍ ولُطفٍ كالسَّابح في الماء، وكالفرس الجواد إذا أسرَع في جَريه؛ لقبض الأرواح، فمَلائكة الرحمة تَذهب للمؤمن، وملائكة العذاب تذهب للكافر، فقولُ المفسِّر: (بأمره تعالى) محمولٌ على أمرٍ خاصٍّ وهو قبضُ الأرواحِ كما عَلمتَ؛ لترتُّبِ قوله: ﴿فَالسَّٰبِقَٰتِ﴾ عليه، وأمَّا التَّدبيرُ العامُّ.. فيَأتي في قوله: ﴿فَالْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾.

قوله: (تَسْبِقُ بأرواح المؤمنين إلى الجنَّة) أي: وبأرواح الكفَّار إلى النار؛ ففي الكلام اكتفاءٌ، وحينئذٍ: فتلك الأوصافُ الأربعةُ للملائكة التي تَقْبِضُ الأرواحَ.

قوله: (الملائكة تدبِّر أمرَ الدنيا... إلخ) أي: وهم جبريل، وميكائيلُ، وإسرافيل، وعزرائيل؛ فجبريل مُوكَّلٌ بالرياح والجنود، وميكائيل موكَّلٌ بالقطر والنَّبات، وعزرائيل موكَّلٌ بقبض الأرواح، وإسرافيل موكَّلٌ بالصُّور.

قوله: (أي: تَنزل بتدبيرِه) أشار بذلك إلى أنَّ إسنادَ التدبير إلى الملائكة مجازٌ، والمدبِّرُ حقيقةً هو الله تعالى، فهُم أسبابٌ عاديَّة مظهرٌ للتَّدبير.

قوله: (لَتُبْعَثُنَّ يا كفَّار مكة) خصَّهم وإن كان البعث عامًّا لِلمسلم والكافر؛ لأنَّ القسَمَ إنَّما يكون للمُنكر، والمسلمُ مُصدِّقٌ بمجرَّدِ الإخبار، فلا يحتاج للإقسام.

يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا ....

(﴿٦﴾ - ﴿٧﴾) ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ النَّفخة الأُولى بِها يَرجُف كُلُّ شَيء أي: يتزلزَل، فوُصِفَت بِما يَحدُث منها، ﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾: النَّفخةُ الثَّانِية وبَينَهما أربعُون سَنة ـ والجُملةُ حال مِن ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾، فاليَوم واسِع لِلنَّفختَينِ وغَيرهما، فصحَّ ظَرفيَّته لِلبَعث الواقعِ عَقِب الثَّانية ـ.

(﴿٨﴾ - ﴿١٢﴾) ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ﴾: خائِفةٌ قَلِقة، ﴿أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ﴾: ذَلِيلة لِهَولِ ما تَرى، ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: أربابُ القُلُوب والأبصارِ استِهزاء وإنكاراً لِلبَعث: ﴿أَءِنَّا﴾ ـ بِتَحقِيقِ الهَمزتَينِ، وتَسهِيل الثَّانِية، وإدخالِ ألِف بينَهما على الوَجهَينِ في المَوضعَينِ ـ

حاشية الصاوي

قوله: (بها يرجف كلُّ شيءٍ) أي: فهذا وجه تَسميتِها راجفةً.

قوله: (﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾) سمِّيت بذلك؛ لأنَّها تَردُفها وتأتي بعدها، ولا شيء بينهما.

قوله: (واليوم واسع... إلخ) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ وقتَ الراجفة موتٌ لا بعثٌ؛ فكيف يجعل ظرفاً لـ(تُبْعَثُنَّ) المقدَّرِ؟

وإيضاح جوابِه: أنَّ البعث يَحصل في الوقت الذي يجمع النَّفختين؛ إذ هو مُتَّسِعٌ، فكأنَّه قال: تُبعثُنَّ وقتَ حصولِ النَّفخةِ الأولى المتبوعةِ بالنَّفخة الثَّانية.

قوله: (للبعث) أي: المقدَّرِ جواباً للقسَم.

قوله: (﴿قُلُوبٞ﴾) مبتدأ، و﴿يَوۡمَئِذٖ﴾: ظرف لـ﴿وَاجِفَةٌ﴾، و﴿وَاجِفَةٌ﴾: صفة لـ﴿قُلُوبٞ﴾، وهو المسوِّغ للابتداء بالنكرة، و﴿أَبۡصَٰرُهَا﴾: مبتدأٌ ثانٍ، و﴿خَٰشِعَةٞ﴾: خبره، والجملةُ خبرُ الأوَّل.

قوله: (﴿أَبۡصَٰرُهَا﴾) أي: أبصارُ أصحابِ القلوبِ.

قوله: (﴿يَقُولُونَ﴾) حكايةٌ لحالهم في الدنيا، وهو استبعادٌ منهم.

قوله: (وإدخال ألفٍ بينهما) أي: وتركِه، فالقراءات أربع سبعيَّات في الموضع الأول، وأمَّا الثاني ففيه التسهيل بوجهيه، والتَّحقيق مع عدم الإدخال، فتلك ثلاث، خلافاً لِما يوهمه المفسِّر[1].

(١) قرأ: (أئنا) و(إذا) نافع وابن عامر والكسائي بالاستفهام في الأوَّل، والخبر في الثاني، والباقُون بالاستفهام فيهما، =

﴿لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢﴾ ....

﴿لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ أي: أنُرَدُّ بعدَ المَوت إلى الحَياة؟ والحافِرة اسمٌ لِأوَّلِ الأمر، ومِنهُ: (رَجَعَ) فُلان في حافِرَتِه: إذا رَجَع مِن حيثُ جاء، ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ - وفي قِراءة: (ناخِرة) -: بالِية مُتفتِّتة نَحيا؟ ﴿قَالُوا تِلْكَ﴾ أي: رَجعَتنا إلى الحَياة ﴿إِذًا﴾ إن صَحَّت ﴿كَرَّةٌ﴾: رَجعةٌ ﴿خَاسِرَةٌ﴾: ذاتُ خُسرانٍ، قال تَعالى:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فِي الْحَافِرَةِ﴾) متعلِّق بـ(مردودون).

قوله: (إلى الحياة) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿فِي﴾ بمعنى (إلى)، وأنَّ ﴿الْحَافِرَةِ﴾ بمعنى: الحياة.

قوله: (والحافرة اسمٌ لأوَّل الأمر) أي: والأصلُ فيها أنَّ الإنسان إذا رجع في طريقه.. أثَّرت قدماه فيها حفراً، فهو مَثَلٌ لمن يُرَدُّ مِنْ حيث جاء.

قوله: (﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا﴾) العامل في (إذا) محذوفٌ يدلُّ عليه (مردودون)، والمعنى: أئذا كُنَّا عظاماً باليةً نُرَدُّ ونُبْعَثُ؟ والاستفهام لِتأكيد الإنكار.

قوله: (﴿نَّخِرَةً﴾) من: نَخِرَ العظمُ، فهو نَخِرٌ ونَاخِرٌ، وهو البالي الأجوَفُ الذي تمرُّ به الريح فيُسْمَعُ له نخيرٌ؛ أي: تصويتٌ.

قوله: (﴿قَالُوا تِلْكَ﴾... إلخ) حكايةٌ لكفرٍ آخرَ مفرَّعٍ على كُفرهم السَّابق. و﴿تِلْكَ﴾: مبتدأ مشارٌ بها للرَّجفةِ والرَّدِ في الحافرة، و﴿كَرَّةٌ﴾: خبرها، و﴿خَاسِرَةٌ﴾: صفةٌ؛ أي: ذات خُسران، والمعنى: إن كان رجوعنا إلى القيامة حقًّا كما تقول.. فتلك الرَّجعةُ رجعةٌ خاسرةٌ؛ لعدم عملِنا لها.

قوله: (﴿إِذًا﴾) حرف جواب وجزاء عند الجمهور دائماً، وقيل: قد لا تكون جواباً[1].

قوله: (ذات خُسران) أي: أو المراد: خُسران أصحابها.

قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أنَّ هذا من كلامه تعالى ردًّا عليهم.

= وسهَّل نافع وابن كثير وأبو عمرو، والباقون بالتحقيق، وأدخل بين الهمزتين قالُون وأبو عمرو وهشام بخلاف عنه ألفاً، والباقون بغير إدخال. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٧٧)، وفي (ط٢): (أربع سبعيَّات في كلٍّ من الموضعَين)، وقد شطب عليها في (أ).

(١) كذا في الأصول، ولعل الصواب: (لا تكون جزاء)؛ فإنَّ (إذن) قد تَتمحَّض للجواب؛ بدليل أنه يُقال لك: أحبُّك، فتقول: إذن أظنُّك صادقاً؛ إذ لا مُجازاةَ هنا. انظر «مغني اللبيب» (ص٣٠).

فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ....

(﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾) ﴿فَإِنَّمَا هِىَ﴾ أي: الرَّادِفة التي يَعقُبها البعثُ ﴿زَجْرَةٌ﴾: نَفخةٌ ﴿وَٰحِدَةٌ﴾ فإذا نُفِخت ﴿فَإِذَا هُم﴾ أي: كُلُّ الخَلائِق ﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾: بِوَجهِ الأرض أحياءً بعد ما كانُوا ببَطنِها أمواتاً.

(﴿١٥﴾ - ﴿١٩﴾) ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ يا مُحمَّد ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ - عامِل في - ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ - اسم الوادي ....

حاشية الصاوي

قوله: (نفخةٌ) سمِّيت زجرةً؛ لأنَّها صيحةٌ لا يُمكن التَّخلف عنها.

قوله: (﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾) جوابُ شرطٍ محذوفٍ، قدَّره بقوله: (فإذا نُفِخَتْ)، وسمِّيت ساهرةً؛ لأنَّه لا نوم عليها من أجل الخوف والحُزن.

قوله: (بوجه الأرض) وقيل: أرضٌ من فضَّةٍ يَخلقها الله تعالى، وقيل: جبلٌ بالشَّام يمدُّه الله تعالى يوم القيامة؛ لحشر النَّاس عليه، وقيل غير ذلك.

قوله: (أحياءٌ) خبرٌ عن ﴿هُمْ﴾، وقوله: ﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ متعلِّق بـ(أحياء)، ولو قال: (فإذا هم أحياء بالساهرة).. لكان أَولى.

قوله: (﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾... إلخ) المقصودُ منه: تسليتُه ﷺ، وتحذيرُ قومِه من مُخالفته، فيحصل لهم ما حصَل لفرعون، كأنَّ الله تعالى يقول لنبيِّه: اصبر كما صبر موسى؛ فإنَّ قومك وإن بلغُوا في الكفر مهما بلغُوا لم يَصلوا في العتوِّ كفرعون، وقد انتقم الله منه مع شدَّة بأسه، وكثرةِ جنودِه.

و(هل) بمعنى (قد) إن ثبَت أنَّه أتاه ذلك الحديث قبل هذا الاستفهام، وأمَّا إذا لم يكن أتاه قبل ذلك.. فالاستفهامُ لحمل المخاطَبِ على طلب الإخبار.

قوله: (عاملٌ في ﴿إِذْ نَادَىٰهُ﴾) أي: فـ﴿إِذ﴾ معمولٌ لـ﴿حَدِيثُ﴾، لا لـ﴿أَتَىٰكَ﴾؛ لاختلاف الوقت.

قوله: (﴿ٱلْمُقَدَّسِ﴾) أي: المطهَّرِ؛ حيثُ شرَّفه الله تعالى بإنزال النبوَّة فيه على موسى.

قوله: (اسم الوادي) أي: وسمِّي (طوى)؛ لِطَيِّ الشدائد عن بني إسرائيل، وجمعِ الخيرات لموسى[1]، وهو وادٍ بالطُّور بين أيلةَ ومصر.

---

(١) وذكر المهدَوي عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّه قيل له: (طوى)؛ لأنَّ سيدنا موسى عليه السلام طواهُ بالليل؛ إذ مرَّ به فارتفع إلى أعلى الوادِي. انظر «تفسير القرطبي» (١١/ ١٧٥).

﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ....

بِالتَّنوين وتَركِه ـ فقال: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾: تَجاوَز الحَدَّ في الكُفر، ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ﴾ أدعُوك ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ ـ وفي قِراءة بِتَشدِيد الزَّاي بِإدغامِ التَّاء الثَّانِية في الأصل فِيها ـ: تَتطَهَّر مِن الشِّرك بِأن تَشهَدَ أن لا إلَه إلَّا الله، ﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: أَدُلَّك على مَعرِفَته بِبُرهانٍ

حاشية الصاوي

قوله: (بالتنوين وتركه) أي: فالتَّنوين باعتبار المكان وكونِهِ نكرةً، وتركُهُ باعتبار البُقعة وكونِهِ معرفةً، وهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (فقال تعالى) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾ معمولٌ لقولٍ محذوفٍ، ويصحُّ أن يكون على حذف (أن) التفسيريَّة، أو المصدريَّة.

قوله: (﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾) كان طوله أربعةَ أشبارٍ، ولحيته أطوَل منه، وكانت خضراء، فاتَّخذ القبقاب ليمشي عليه؛ خوفاً من أن يمشي على لِحيته، وهو أوَّل من اتَّخذه.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾) تعليلٌ للأمر.

قوله: (تجاوز الحدَّ في الكفر) أي: بتكبُّرِهِ على الله، واستعبادِهِ خلقَهُ.

قوله: (﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ﴾... إلخ) أمر الله تعالى موسى عليه السلام بأن يقولَ له قولاً ليناً؛ لعلَّه يتذكَّر أو يخشى، فخاطبَه بالاستفهام الذي معناه العَرْضُ؛ لِيَجُرَّهُ إلى الهدى باللُّطف والرِّفق.

قوله: (أدعوك... إلخ) هذا حَلُّ معنى، لا حلُّ إعراب، وإعرابه أنَّ ﴿هَل لَّكَ﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ، و﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ متعلِّق بذلك المبتدأ، والتقديرُ: هل ثبت لك سبيلٌ وميلٌ إلى التزكية.

قوله: (وفي قراءةٍ بتشديد الزاي) أي: سبعيَّة أيضاً، وقوله: (بإدغام التاء الثانية) أي: على التَّشديد، وأمَّا على التخفيف.. ففيه حذفُ إحدى التَّاءين[2].

قوله: (﴿وَأَهۡدِيَكَ﴾) معطوفٌ على ﴿تَزَكَّىٰ﴾، وقوله: (أدلُّك على مَعرفته بالبرهان... إلخ) إشارةٌ إلى أنَّ الدَّلالة على المعرفة تحصُل بعد التَّطهر من الشرك، فهي واجبةٌ وجوبَ الفروع، وأمَّا التَّطهرُ بالدخول في الإسلام.. فمِن وجوب الأصول.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بغير تنوين في الوصل، والباقون بالتنوين. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٧٩).

(٢) قرأ نافع وابن كثير بتشديد الزاي، والباقون بتخفيفها. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٧٩).

فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ ....

﴿فَتَخْشَىٰ﴾: فتخافه.

(﴿٢٠﴾ - ﴿٢٤﴾) ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ مِن آياتِه التِّسعِ وهي اليَد أو العَصا، ﴿فَكَذَّبَ﴾ فِرعونُ مُوسى ﴿وَعَصَىٰ﴾ الله تَعالى، ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمانِ ﴿يَسْعَىٰ﴾ في الأرض بِالفَسادِ،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَتَخْشَىٰ﴾) جعل الخشيةَ غايةً للهدى؛ لأنَّها مِلاكُ الأمور؛ إذ هي خوفٌ مع تعظيمٍ، فمَنْ خَشِيَ ربَّه أتى منه كلُّ خيرٍ، فالخشيةُ أعظَمُ من الخوف. واعلَم: أنَّ أوائل العلم بالله: الخشيةُ من الله، ثمَّ الإجلال، ثمَّ الهيبة، ثمَّ الفَناء عمَّا سواه[1].

قوله: (﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾) عطفٌ على محذوفٍ، تقديره: فذهب إليه، وقال له ما ذكر، فطلب منه آية، فأراه... إلخ، والضمير المستتر فيه عائد على موسى، والبارز عائد على فرعون، وهو المفعول الأول، والثاني قوله: ﴿ٱلْآيَةَ﴾، و﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾: صفةٌ لـ﴿ٱلْآيَةَ﴾.

قوله: (أو العصا) هذا هو التَّحقيق؛ إذ كلُّ ما في اليد حاصلٌ في العصا، وتزيدُ أموراً أخرَ، فغايةُ ما في اليد انقلابُ لونِها، ولا شكَّ أنَّ العصا لمَّا انقلبت حيَّةً لا بدَّ وأن يتغيَّر لونُها، وتزيدُ القوَّةَ الشديدةَ، وابتلاعَها أشياءَ كثيرةً، وكونَها تصيرُ حيواناً، ثمَّ تصيرُ جماداً، وغير ذلك؛ إذ كلُّ واحدٍ من هذه الوُجوه مُعجِزٌ، ولا يصحُّ أن يراد بـ(الآية الكبرى) مجموعُ معجزاتِهِ؛ لأنَّ ما ظهَر على يده من بَقيَّة الآيات إنَّما كان بعدَما غلب السَّحرة.

قوله: (﴿فَكَذَّبَ﴾ فرعونُ موسى) أي: في كون ما أتى به من عند الله.

قوله: (﴿وَعَصَىٰ﴾) أي: بعدما رأى الآيات.

قوله: (﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾) أي: تولَّى وأعرض عن الإيمان.

قوله: (﴿يَسْعَىٰ﴾) حالٌ من الضمير في ﴿أَدْبَرَ﴾.

---

(١) فالعلم حيثما تكرَّر في الكتاب العزيز، أو في السنَّة.. إنَّما المراد بِه: العلمُ النَّافع الذي تُقارنه الخشية، وتَكتنفه المخافة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾، فبيَّن أن الخشية تُلازم العلم، وفُهم من هذا: أنَّ العلماء إنما هُم أهل الخشية، وأنَّ المراد بالعِلم: العلم النَّافع، القاهر للهوى القامع، وذلك مُتعيِّن بالضرورة؛ لأنَّ كلام الله تعالى، وكلام رسول الله عليه الصلاة والسلام أجَلُّ من أن يُحمل على غير هذا. انظر «التنوير في إسقاط التدبير» (ص١٢١).

فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ ....

﴿فَحَشَرَ﴾: جمعَ السَّحرة وجُندَه ﴿فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ لا ربَّ فوقِي.

(٢٥ - ٢٦) ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾: أهلَكَهُ بالغرقِ ﴿نَكَالَ﴾: عُقوبةَ ﴿الْآخِرَةِ﴾ أي: هذه الكلمة ﴿وَالْأُولَىٰ﴾ أي: قوله قبلها: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] وكان بَينهما أربعُون سَنة، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المَذكُور ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ الله تَعالى.

(٢٧ - ٢٩) ﴿ءَأَنتُمْ﴾ ـ بِتَحقِيق الهمزتَين وإبدال الثَّانية ألِفاً وتَسهِيلها وإدخالِ ألِف

حاشية الصاوي

قوله: (جمع السَّحرة) أي: لِلمُعارضة، وقوله: (وجندَهُ) أي: للقتال، وكان السَّحرةُ اثنين وسبعِين، اثنان من القبط، والسَّبعون من بني إسرائيل، وتقدَّم في (الأعراف) جملةُ أقوالٍ في عدَدهم[1]، وكانت عِدَّة بني إسرائيل ستَّ مئة ألف وسبعين ألفاً، وعدَّة جيش فرعون ألفَ ألفٍ وستَّ مئة ألف.

قوله: (﴿فَنَادَىٰ﴾) أي: بنفسه، أو بمُناديه.

قوله: (﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾) أي: بعدما قال له موسى: ربِّ أرسَلني إليك؛ فإن آمنتَ بربِّك تكون أربع مئة سنة في النَّعيم والسرور، ثمَّ تموتُ فتدخل الجنَّة، فقال: حتَّى أستشيرَ هامان، فاستشاره، فقال: أتَصير عبداً بعدما كنتَ ربًّا، فعند ذلك جمع السَّحرةَ والجنودَ، فلمَّا اجتمعُوا.. قام عدُوُّ الله على سريره فقال: (أنا ربكم الأعلى)[2].

قوله: (﴿نَكَالَ﴾) منصوب على أنَّه مصدر لـ(أخذ)، والمعنى: أخذَه أخذَ نكالٍ، أو مفعول لأجله؛ أي: لأجل نكاله.

قوله: (أي: هذه الكلمة) أي: وهي قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾.

قوله: (المذكور) أي: من التكذيب والعصيان والإدبار والحشر والنِّداء الواقع من فرعون.

قوله: (﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾) أي: لِمَنْ كان مِنْ شَأنه الخشيةُ، وخَصَّهم بالذكر؛ لأنَّهم المنتفعون بذلك.

قوله: (﴿ءَأَنتُمْ﴾) استفهامُ تقريعٍ وتوبيخٍ لِمُنكري البعث من أهل مكة.

---

(١) انظر (٢/ ٥٨٢).

(٢) أورده البقاعي في «نَظم الدرر» (٢١/ ٢٣٣) عن حمزة الكرماني.

أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ ....

بينَ المُسهَّلة والأُخرَى وتَركِه ـ أي: مُنكِرُو البَعث ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ أشَدُّ خَلقاً؟ ﴿بَنَىٰهَا﴾ بَيان لِكيفِيَّةِ خَلقها، ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ تَفسِير لِكيفيَّةِ البِناء، أي: جَعَل سَمتها في جِهةِ العُلُوِّ رَفيعاً، وقِيل: سَمكُها سَقفُها ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾: جَعَلها مُستوِيةً بِلا عَيب، ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾: أظلَمَهُ ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾: أبرزَ نُور شَمسِها، وأُضِيف إلَيها اللَّيل لِأنَّه ظِلُّها والشَّمس لأنَّها سِراجُها.

حاشية الصاوي

قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي: مع إدخال ألفٍ وتركه، فالقراءات خمسٌ سبعيَّات: التحقيق والتسهيل؛ إمَّا مع ألف، أو تركها، والإبدال[1].

قوله: (﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾) أي: فمَن قدر على خلقها مع عظمها يَقدر على الإعادة، وهو عطف على ﴿ءَأَنتُمْ﴾، فالوقف على ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾، والابتداءُ بما بعدها.

قوله: (﴿أَشَدُّ خَلْقًا﴾) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ مبتدأٌ خبره محذوفٌ، دلَّ عليه ما قبله.

قوله: (﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾) أي: ثخنَها وغلظَها، وهو الارتفاع الذي بين سطح السُّفلى الأسفلِ وسَطحها الأعلى، وقَدرُهُ خمسُ مئة عامٍ.

قوله: (أي: جعل سَمْتَها) أي: مِقدار ذهابها في سمت العلو، فالمراد بالسَّمت: السَّمْكُ.

قوله: (وقيل: سمكها: سَقفها) أي: فمعنى: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ على هذا: جعَلها مرفوعةً عن الأرض.

قوله: (جعَلها مُستويةً) أي: ملساءَ ليس فيها ارتفاعٌ ولا انخفاضٌ.

قوله: (أظلمَه) أي: جعَله مظلماً بمغيب شمسِها.

قوله: (أبرز نورَ شمسِها) المراد بنور الشَّمس: النَّهار؛ لِوُقوعه في مُقابلة الليل، فكنَّى بالنُّور عن النَّهار، وعبَّر عن النَّهار بالضحى لأنَّه أكملُ أجزائه.

قوله: (لأنَّه ظلُّها) أي: لأنَّه أوَّل ما يَظهر عند الغروب من أُفق السَّماء.

قوله: (لأنَّها سراجها) أي: الشَّمس سراج السماء، وفيه: أنَّه يقتضي أنَّ ضوءَ الشَّمس يظهرُ

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بخلاف عنه بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، والباقُون بتحقيقهما، وأدخل بينهما ألفاً قالون وأبو عمرو وهشام، والباقونَ بغير إدخال. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٨٠).

وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا ....

(﴿٣٠﴾ - ﴿٣٣﴾) ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾: بَسَطها وكانت مَخلُوقةً قبل السَّماء مِن غير دَحوٍ، ﴿أَخْرَجَ﴾ - حال بإضمار (قَد) - أي: مُخرِجاً ﴿مِنْهَا مَآءَهَا﴾ بِتَفجيرِ عُيُونها ﴿وَمَرْعَىٰهَا﴾: ما تَرعاهُ النَّعَم مِن الشَّجَر والعُشبِ وما يَأكُلُه النَّاس مِن الأقوات والثِّمارِ، وإطلاقُ المَرعَى علَيهِ استِعارة، ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾: أثبتَها على وَجهِ الأرضِ لِتَسكُنَ؛ ﴿مَتَٰعًا﴾ - مَفعول له لِمُقدَّرٍ - أي: فعَلَ ذلك مُتعةً، أو مَصدَر أي: تَمتِيعاً ....

حاشية الصاوي

في السماء مع أنَّ المقرَّرَ خلافه، وهو أنَّ نورها إنَّما يَظهر في الأرض، فنور السماوات بنور العرش، ويجابُ: بأنَّه لا يَلزم من كونها موضعَ سراجٍ لها أن يكون نورُها به.

قوله: (﴿وَٱلْأَرْضَ﴾) منصوبٌ على الاشتغال.

قوله: (﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾) أي: بألفَي عام، وقوله: (﴿دَحَىٰهَآ﴾) يقال: دَحَا يَدْحُو دَحْواً ودَحْياً؛ كـ(دعا)[1]: بَسَطَ ومَدَّ، فهو من ذواتِ الواو والياء.

قوله: (وكانت مخلوقة... إلخ) أي: فلا مُعارضةَ بين ما هنا وآية (فصلت)[2]؛ لأنَّه ابتدأ خَلْقَ الأرض غيرَ مَدحُوَّة، ثمَّ خلَق السماء، ثمَّ دحا الأرض.

قوله: (وإطلاق المرعى عليه) أي: على ما يأكله النَّاس.

قوله: (استعارةٌ) أي: مجازٌ، فاستُعمل المرعى في مُطلق المأكول للإنسان وغيره، من استعمال المقيَّد في المطلَق، أو هو استعارةٌ تصريحيَّةٌ؛ حيث شبَّه أكل النَّاس بمرعى الدَّواب.

قوله: (مفعولٌ له لمقدَّرٍ) أي: لفعلٍ مقدَّرٍ، وقوله: (أو مصدر) أي: تمتيعاً؛ كـ(السَّلام) بمعنى (التسليم)، وهو لفعلٍ مقدَّرٍ أيضاً، تقديره: (متَّعناكم بها تمتيعاً).

---

(١) كذا في الأصول، ولعلَّها: كـ(عدا)، وانظر «المختار»، مادة (د ح ا).

(٢) في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾.

لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ ....

﴿لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾: جمع نَعَم وهي الإبلُ والبَقر والغَنم.

(﴿٣٤﴾ - ﴿٣٦﴾) ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾: النَّفخةُ الثَّانِية، ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ﴾ - بَدل مِن (إذا) - ﴿مَا سَعَىٰ﴾ في الدُّنيا مِن خَير وشَرٍّ، ﴿وَبُرِّزَتِ﴾: أُظهِرَت ﴿الْجَحِيمُ﴾: النَّارُ المُحرِقة ﴿لِمَن يَرَىٰ﴾: لِكُلِّ راءٍ. وجَواب (إذا):

(﴿٣٧﴾ - ﴿٤١﴾) ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾: كَفَر، ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ بِاتِّباعِ الشَّهوات، ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾: مَأواهُ؛ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾: قِيامَه بينَ يَدَيهِ، ﴿وَنَهَى النَّفْسَ﴾ الأمَّارةَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾) خصَّ الأنعامَ؛ لِشَرفها، وإلَّا.. فهو متاعٌ لسائر دوابِّ الأرض.

قوله: (﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾) الفاء: فاء الفصيحة، أفصحَت عن جواب شرطٍ مقدَّر، تقديرُه: إذا علمتَ ما تقدَّم... إلخ.

قوله: (﴿الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾) أي: الداهية التي تعلُو على الدواهي، فهي أعظم من كلِّ عظيمٍ، وخصَّ ما هنا بـ(الطامَّة الكبرى)؛ مُوافَقةً لقوله قبل: ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾، بخلاف ما في (عبس)؛ فإنَّه لم يَتقدَّمْهُ شيءٌ من ذلك، فخصَّت بـ(الصاخة)، وهي الصَّوت الشَّديد الواقع بعد الداهيةِ الكبرى، فناسب جَعْلَ الطمِّ للسَّابقة، والصخِّ لِلاحقة.

قوله: (بدل من «إذا») أي: بدل كلٍّ، أو بعضٍ.

قوله: (﴿وَبُرِّزَتِ﴾) عطفٌ على ﴿جَاءَتِ﴾، والعامَّةُ على بنائه للمفعول مشدَّداً، و﴿لِمَن يَرَىٰ﴾ بياء الغيبة مبنيًّا للفاعل، ومعناه: يُبصِر، وهو مثلٌ في الأمر المنكشِف الذي لا يخفى على أحدٍ.

قوله: (لكلِّ راءٍ) أي: مِنْ كلِّ مَنْ له عينٌ وبصرٌ من المؤمنين والكفَّار، لكن الناجي لا يصرف بَصره إليها، فلا يَراها بالفعل، والكافرُ هي مَأواه.

قوله: (وجواب «إذا»: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾... إلخ) فيه نوعُ تساهلٍ؛ لأنَّ قوله: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ...﴾ إلخ: بيانٌ لحال النَّاس في الدنيا، وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ...﴾ إلخ: بيانٌ لحالهم في الآخِرة،

عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ ....

﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ المُردِي بِاتِّباعِ الشَّهَوات، ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ وحاصِلُ الجَواب: فالعاصِي في النَّار والمُطِيعُ في الجَنَّة.

(﴿٤٢﴾ - ﴿٤٤﴾) ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي: كُفَّارُ مكَّة ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾: متَى وُقُوعها وقِيامُها؟ ....

حاشية الصاوي

فالأَوْلَى ما سلَكه غيره من أنَّ الجوابَ محذوفٌ، يدلُّ عليه التفصيل المذكور، تقديرُه: (دخل أهل النَّارِ النَّارَ، وأهل الجنَّةِ الجنَّةَ).

قوله: (باتباع الشهوات) أي: المحرَّمات.

قوله: (مأواه) أي: فـ(أل) عوضٌ عن الضمير العائد على ﴿مَن طَغَىٰ﴾.

قوله: (﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾) مُقابل قوله: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ...﴾ إلخ.

واعلَم: أنَّ الخوف من الله تعالى مَرتبتان: مرتبة العامَّة، وهي الخوف من العذاب، ومرتبةُ الخاصَّة، وهي الخوف من جَلال الله تعالى، والآيةُ صادقةٌ بهما.

وأُضيف المقام لله تعالى وإن كان وصفاً للعبد؛ من حيث كونُهُ بين يدَيه ومقاماً لِحسابه.

قوله: (الأمَّارة) قيَّد بها؛ لأنَّها هي تكون مذمومة الهوى، وأمَّا غيرُها.. فهواها محمودٌ؛ لما في الحديث: «لا يُؤمن أحدكم حتَّى يكون هواهُ تابعاً لما جئتُ به»[1].

قوله: (المُردي) أي: المُهلِك، وقوله: (باتباع الشهوات) متعلِّق بـ(المُردي)، والباء: سببيَّة.

قوله: (وحاصل الجواب... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ (أمَّا) لمجرَّد التأكيد، وليسَت لِلتفصيل؛ لعدم تقدُّم مُقتضيه، وصار المعنى: فالعاصي في النار... إلخ، وفيه: أنَّه يُحوج لتكلُّف، فالأحسَنُ ما قدَّمناه من أنَّ الجواب محذوفٌ، والآية دليلٌ عليه.

قوله: (﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾) تفسيرٌ لِسؤالهم.

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال الإمام النَّووي في «الأربعين»: (حديثٌ حسن صحيح، رويناه في كتاب «الحُجة» بإسناد صحيح)، وفيهما: (تبعاً) بدل (تابعاً).

فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

﴿فِيمَ﴾: في أيِّ شَيء ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ أي: لَيسَ عِندك عِلمُها حتَّى تذكُرَها، ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾: مُنتهَى عِلمِها لا يَعلَمهُ غيرُه.

(﴿٤٥﴾ - ﴿٤٦﴾) ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ﴾: إنَّما يَنفَع إنذارُك ﴿مَن يَخْشَىٰهَا﴾: يَخافُها، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ في قُبُورِهم ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ أي: عَشِيَّةَ يَوم أو بُكرَتَه، وصحَّ إضافةُ الضُّحَى إلى العَشِيَّة لِما بَينهما مِن المُلابَسة؛ إذ هُما طَرَفَا النَّهار، وحَسَّنَ الإضافةَ ......

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فِيمَ أَنتَ﴾) ﴿فِيمَ﴾: خبرٌ مقدَّم، و﴿أَنتَ﴾: مُبتدأ مؤخَّر، وقوله: ﴿مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾: متعلِّق بما تعلَّق به الخبر، والاستِفهام إنكاريٌّ، والمعنى: ما أنتَ مِنْ ذكراها لهم وتَبيينِ وقتِها في شيءٍ، فليس لك علمٌ بها حتَّى تُخبِرَهم به، وهذا قبلَ إعلامِهِ بوقتِها، فلا يُنافي أنَّه ﷺ لم يَخرج من الدنيا حتى أعلمَه الله بجميع مُغيَّبات الدنيا والآخرة، ولكن أُمِرَ بكَتْمِ أشياء منها، كما تقدَّم التَّنبيه عليه غيرَ مرَّة[1].

قوله: (﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾) أي: إنَّك مرسَلٌ بالإنذار لِمن يخافها، وهو لا يتوقَّف على عِلم المنذِر بوقت قِيامها. وخصَّ مَنْ يخشى بالذِّكر؛ لأنَّه المنتَفع بها، وقد أشار له المفسِّر بقوله: (إنما ينفع إنذارك).

قوله: (**يخافها**) أي: يخافُ هَوْلَها.

قوله: (﴿كَأَنَّهُمْ﴾) أي: كفَّارَ قريشٍ.

قوله: (﴿إِلَّا عَشِيَّةً﴾) هي من الزَّوال إلى غرُوب الشمس، وقوله: (﴿أَوْ ضُحَىٰهَا﴾) أي: ضحى عشيَّةٍ من العشايا، وهي البُكرة إلى الزوال، والمراد: ساعةٌ من نهارٍ، من أوَّله أو آخِره؛ لا عشيَّةٌ بتمامها، أو ضَحوةٌ بتمامها.

قوله: (**أي: عشيَّةَ يومٍ... إلخ**) أشار بذلك إلى أنَّ التنوين عوضٌ عن المضاف إليه.

قوله: (**وصحَّ إضافة الضحى... إلخ**) جوابٌ عن سؤالٍ مُقدَّر، تقديره: العشيَّة لا ضُحى لها،

---

(١) وهو الذي نقَله الإمام اللقاني في «هداية المريد لِجوهرة التوحيد» (٢/ ٩٧٥) عن جمعٍ، وانظر (٥/ ٢٧٤).

وُقوعُ الكلمةِ فاصِلةً.

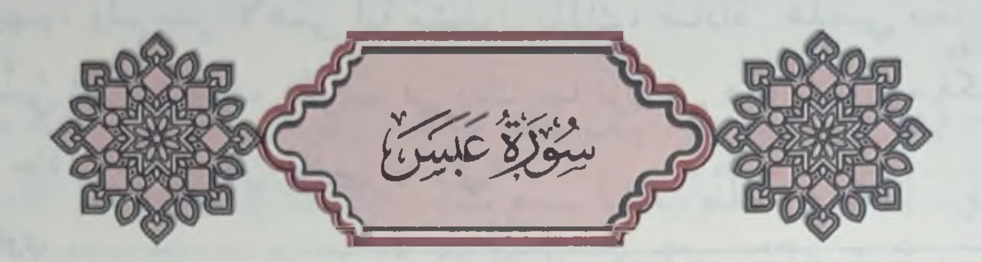
حاشية الصاوي

وإنَّما الضحى لليوم؛ فما وجهُ إضافة (الضحى) لضمير (العشية)؟ فأجابَ: بأنَّهما لمَّا كانتا من يوم واحدٍ. . كان بينَهما مُلابسةٌ، فصحَّ إضافةُ إحداهما لِلأخرى.

قوله: (وقوعُ الكلمةِ فاصلةً) أي: رأسَ آيةٍ، تناسبُ رؤوسَ الآيِ قبلَها.

✿ ✿ ✿

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ ....



سُورَةُ عَبَسَ

مكيَّة، اثنتانِ وأربَعون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿عَبَسَ﴾ النَّبيُّ: كَلَحَ وجهَه ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾: أعرضَ لِأجلِ ﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ عَبدُ الله بن أُمِّ مَكتُوم ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ عَبَسَ

وتُسمَّى سورة (السَّفَرة)، وسورة (الأعمى).

قوله: (﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾... إلخ) إنَّما أتى بضمائر الغيبة؛ تَلطفاً به ﷺ، وإجلالاً له؛ لِما في المشافَهة بتاء الخطاب ما لا يخفى من الشدَّة والصعوبة، وهذا نظيرُ تقديم العفو على العقاب في قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٣]، ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ...﴾ [الأنفال: ٦٨] إلخ، وناهِيك بذلك محبَّة وشرفاً، ومن ذلك قول عائشة: (ما أرى ربَّك إلَّا يُسارع في هواك)[١]، فسَيئات المحبوب حسَنات، قال أبو الحسن الشاذليُّ: (واجعل سيئاتنا سيئاتِ مَنْ أحببَتَ)[٢].

قوله: (كَلَحَ) بالتخفيف، من باب (خَضَعَ)، و(وجهُهُ): فاعل.

قوله: (﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾) تنازعه كلٌّ من ﴿عَبَسَ﴾ و(تولى)، أعمل الأوَّل على مذهب الكوفيين، أو الثاني على مَذهب البصريين، وأضمَر في المهمل، وحذف.

قوله: (عبدُ الله) أي: ابنُ شريح بنِ مالكِ بنِ ربيعةَ الفهريُّ، من بني عامرِ بنِ لؤيٍّ، اشتهر

(١) رواه البخاري (٤٧٨٨).

(٢) قِطعة من وِرده المبارك المسمَّى بالحزب الكبير، أو حزب البرِّ.

فقَطَعهُ عمَّا هو مَشغُول بِه مِمَّن يَرجُو إسلامَه مِن أشرافِ قُرَيش الذِي هو حَرِيصٌ على إسلامِهِم، ولَم يَدرِ الأعمَى أنَّهُ مَشغُول بِذلك، فناداهُ: عَلِّمنِي مِمَّا عَلَّمك الله، فانصَرف النَّبيُّ ﷺ إلى بَيتِه، فعُوتِبَ في ذلك بِما نَزَل في هذه السُّورةِ، فكانَ بعدَ ذلك يَقُول لَهُ إذا جاءَ: «مَرحَباً بِمَن عاتَبنِي فِيه ربِّي»، ....

حاشية الصاوي

بأمّ أبيه أمّ مكتومٍ، واسمُها: عاتكةُ بنتُ عامرٍ المخزوميّ، أسلم قديماً بمكة، وكان ابن خالة خَديجة بنت خويلد، واستَخلَفه ﷺ على المدينة ثلاث عشرة مرَّة في غزَواته، قُتل شهيداً بالقادسية، قال أنس بن مالك: (رأيتُه يوم القادسية وعليه دِرعٌ، ومعه راية سوداء)[1].

قوله: (فقطعه عمَّا هو مشغولٌ به) (ما): واقعةٌ على القوم؛ بدليل قوله: (مَن يرجو إسلامه من أشراف قريش)، ففيه إطلاق (ما) على العاقل، وهو مَذهب سيبَويه[2].

قوله: (الذي هو حريصٌ على إسلامهم) نعت لـ(أشراف قريش)، وكان المناسب التَّعبير بـ(الذين).

قوله: (فناداه) أي: وكرَّر ذلك، وقوله: (ممَّا علَّمك الله) أي: وهو القرآن والإسلام.

وإيضاحُ ما قاله المفسِّر: أنَّ الأعمى جاءه وعندَه صناديدُ قريشٍ؛ عُتبة وشَيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والعبَّاس بن عبد المطلب، وأُميَّة بن خلف، والوليد بن المغيرة، يدعوهم إلى الإسلام رجاءَ أن يُسلِمَ أولئك الأشراف الذين كان يُخاطبهم، فيَتأيَّدَ بهم الإسلام، ويُسْلِم بإسلامهم أتباعُهم، فتعلُو كلمة الله تعالى، فقال: (يا رسول الله؛ أقرِئني وعلِّمني ممَّا علَّمك الله تعالى)، وكرَّر ذلك وهو لا يَعلم، فتَشاغل النبيُّ ﷺ بالقوم، فكَره رسول الله قَطْعَهُ لكلامِه وعبَس وأعرض عنه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد إنما اتَّبعه العُميان والعَبيد والسِّفلة، فعبس وجهه، وأعرَض عنه، وأقبل على القوم الذين يُكلِّمهم، فأنزل الله هذه الآيات[3].

إن قُلت: إنَّ ابن أمِّ مكتومٍ أعطاه الله من السَّمع ما يُغني عن البصر، فهو وإن لم يرَ القوم لكنَّه لِشدَّة سمعِهِ كان يَسمع مخاطبةَ النبيِّ معهم، وحينئذٍ: فيكون إقدامُهُ على قَطع كلام رسول الله إيذاءً له، فيكون مَعصيةً؛ فكيف يُعاتَب عليه ﷺ؟ وكيف يقول المفسِّر: (ولم يدر الأعمى... إلخ)؟

---

(١) رواه أبو يَعلى في «مسنده» (٣١٢٣)، وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٢١٢).

(٢) وإن كان المشهور خلافَه الذي هو مذهب الجمهور، وعليه: يُلتمس لإطلاقها على العقل هنا وجهٌ وضرب من التجوز؛ ككَونهم بمنزلة غير العاقل؛ لِعَدم إيمانهم. «فتوحات» (٤/ ٥٠٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢١٨)، وانظر «السراج المنير» (٤/ ٤٨٤).

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ③ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ④ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ⑤﴾ ....

ويَبسُط له رِداءَه.

(③ - ④) ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾: يُعلِمُك ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ - فِيه إدغامُ التَّاء في الأصل في الزَّاي - أي: يَتطهَّر مِن الذُّنوب بِما يَسمَع مِنك، ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ - فِيه إدغامُ التَّاء في الأصل في الذَّال - أي: يَتَّعِظ ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾: العِظةُ المَسمُوعة مِنك. - وفي قِراءة بِنَصبِ (تَنفَعَهُ) جَواب التَّرجِّي -.

(⑤ - ⑦) ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ بِالمالِ ....

حاشية الصاوي

أجيب: بأنَّ عدمَ علمِهِ لَعلَّه من أجل دهشتِهِ بقُدومه على رسول الله، ولا شكَّ أنَّ جلاله ﷺ وجماله يُدْهِشُ العقولَ، ولا سيَّما بالمحبِّ المشتاق الرَّاغب في التعلِيم، وعتابُهُ ﷺ بالنَّظر لِما علمه الله مِنْ طَردهم عن رحمته، لا بالنَّظر لظاهر شرعِهِ، وإلَّا.. فهو ﷺ لم يفعل مكروهاً، ولا خلافَ الأولى؛ إذ الأهَمُّ مُقدَّمٌ على المهمِّ، وإنَّما ذلك من باب: (حسناتُ الأبرار سيِّئات المقرَّبين).

قوله: (يَبسط له رداءه) أي: ويقولُ له: «هل لك من حاجةٍ؟»[1].

قوله: (﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾) فيه التِفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب.

و(ما): استفهاميَّة مبتدأ، وجملة ﴿يُدْرِيكَ﴾: خبره، والكاف: مفعول أوَّل، وجملةُ قوله: ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ سادَّةٌ مسَدَّ المفعول الثَّاني.

قوله: (أي: يتطهَّر من الذنوب) أي: لا مِن الشرك؛ لأنَّه أسلم قديماً بمكة.

قوله: (﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾) عطف على ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾.

قوله: (﴿فَتَنفَعُهُ﴾) بالرفع عطفٌ على ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾.

قوله: (وفي قراءةٍ) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[2].

قوله: (﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾) أي: عمَّا عندك من الإيمان والقرآن والعُلوم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢١٨)، والديلمي في «الفردوس» (٦٥١٠) بنحوه عن سيدنا أنس بن مالك ﷺ.

(٢) قرأ عاصم بنَصبه، والباقون برَفعه. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٦٨٦).

فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ ....

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ ـ وفي قِراءة بِتَشدِيدِ الصَّاد بِإدغامِ التَّاء الثَّانية في الأصل فِيها ـ: تُقبِل وتَتعَرَّض. ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾: يُؤمِنَ.

(٨ - ١٠) ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾ ـ حال مِن فاعِل (جاء) ـ ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ الله ـ حالٌ مِن فاعِل ﴿يَسْعَىٰ﴾ وهو الأعمَى ـ ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ ـ فِيه حَذفُ التَّاء الأُخرَى في الأصل ـ أي: تَتشاغَل.

(١١ - ١٦) ﴿كَلَّآ﴾ لا تَفعَل مِثلَ ذلك، ﴿إِنَّهَا﴾ أي: السُّورةَ أو الآيات ﴿تَذْكِرَةٌ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾) الجارُّ والمجرور متعلِّق بـ﴿تَصَدَّىٰ﴾، قُدِّم عليه؛ رعايةً للفاصلة. وأصل (تَصدَّى): (تَصدَّد)، أبدلت الدَّال الثانية حرف علَّةٍ.

قوله: (وفي قراءةٍ) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (تُقبِل) أي: بالإصغاء إلى كلامه.

قوله: (﴿وَمَا عَلَيْكَ﴾... إلخ) (ما): نافية، و﴿عَلَيْكَ﴾: خبر مبتدأ محذوف، وقوله: ﴿أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ متعلِّق بالمبتدأ المحذوف، والتقدير: ليس عليك بأسٌ في عدم تَزكيته[2].

قوله: (﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾) أي: يُسرع ويمشي في طلب الخير.

قوله: (وهو الأعمى) تفسيرٌ لـ(مَنْ).

قوله: (أي: تتشاغل) أي: بدعاء قريشٍ إلى الإسلام، وهذا الشُّغل وإن كان واجباً عليه إلَّا أنَّه عُوتب عليه؛ نظراً للحقيقة كما علمتَ.

قوله: (لا تَفعل مثل ذلك) رُوي: «أنَّه ما عبس بعد ذلك في وجه فقيرٍ قطُّ، ولا تصدَّى لغنيٍّ»[3].

---

(١) قرأ نافع وابن كثير بتشديد الصاد بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها، والباقون بالتخفيف. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٨٤).

(٢) ويجوز أن تكونَ (ما) استفهاميَّة لِلإنكار؛ أي: أيُّ شيء عليك في ألَّا يَتزكى؟ ومآلُه النَّفي أيضاً. انظر «البحر المحيط» (١٠/ ٤٠٧).

(٣) انظر «تفسير النيسابوري» (٦/ ٤٤٦)، و«تفسير أبي السعود» (٩/ ١٠٨).

فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ ....

عِظَةٌ لِلخَلقِ، ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ : حَفِظَ ذلك فاتَّعَظ بِه، ﴿فِى صُحُفٍ﴾ - خَبَر ثانٍ لـ﴿إِنَّهَا﴾، وما قَبله اعتِراض - ﴿مُّكَرَّمَةٍ﴾ عِند الله، ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ في السَّماءِ ﴿مُّطَهَّرَةٍۭ﴾ : مُنَزَّهة عن مَسِّ الشَّياطِين، ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ : كَتَبةٍ يَنسَخُونَها مِن اللَّوح المَحفُوظ، ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ : مُطيعِين للهِ تَعالى وهُم المَلائكةُ.

(﴿١٧﴾ - ﴿٢٢﴾) ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ : لُعِنَ الكافِر ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ - استِفهامُ تَوبِيخ - ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ذَكَرَهُۥ﴾) أي: التذكرة، وذكَّر الضمير؛ لأنَّ التذكرة بمعنى: التذكُّرِ والوعظِ.

قوله: (﴿فِى صُحُفٍ﴾) أي: مُثبتةٌ في صحفٍ مع الملائكة، مَنقولةٌ من اللوح المحفوظ.

قال المفسِّرون: إنَّ القرآن أُنزل جملةً واحدةً من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، في ليلة القَدر، أملاه جبريل على ملائكة السَّماء الدنيا، فكتَبوه كلَّه، وبَقِيَتْ تلك الصُّحفُ عندَهم، فصار جبريل يُنزل منها بالآية والآيتين على النبي عليه الصلاة والسلام، حتَّى استكمل إنزالَ القرآن في ثلاثٍ وعشرين سنةً.

قوله: (وما قبله اعتراض) أي: بين الخبرَين.

قوله: (﴿سَفَرَةٍ﴾) جمع (سَافِرٍ)؛ كـ(كَتَبَةٍ وكَاتِبٍ) وزناً ومعنًى.

قوله: (﴿كِرَامٍۭ﴾) أي: مُكرَّمين معظَّمين عند الله.

قوله: (لُعِنَ الكافرُ) أي: طُرِدَ عن رحمة الله، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ المراد بالإنسان الكافرُ، لا كلُّ إنسانٍ، وقوله: (﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾) تعجُّبٌ من إفراط كُفره مع كثرة إحسان الله عليه.

وفي الآية إشكالٌ من وجهين: الأوَّل: أنَّ قوله: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ يُوهم الدعاء، وهو إنَّما يكون من العاجز؛ فكيف يَلِيق ذلك بالقادر على كل شيء؟

الثاني: أنَّ التعجُّب استعظامُ أمرٍ خَفِيَ سببُهُ، وهذا المعنى محالٌ على الله تعالى؛ إذ هو العالم بالأشياء إجمالاً وتفصيلاً.

أُجيب: بأنَّ هذا الكلامَ جارٍ على أسلوب العرب؛ لِبَيان استحقاقه لأعظمِ العقاب حيث أتى بأعظم القبائح؛ كقولهم إذا تعجَّبوا من شيء: (قاتَله الله ما أخبَثَه!).

مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ....

أي: ما حَمَلهُ على الكُفر؟ ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ ـ استِفهام تَقرِير، ثُمَّ بَيَّنَه فقال ـ: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ عَلَقة ثُمَّ مُضغةً إلى آخِر خَلقِه، ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: طَرِيقَ خُرُوجه مِن بَطن أُمِّه ﴿يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾: جَعَلَهُ في قَبرٍ يَستُرهُ، ....

حاشية الصاوي

وأجيب أيضاً: بأنَّ الأوَّل ليس دعاءً، بل هو إخبارٌ من الله بأنَّه طرَده عن رحمته، وليس الثاني تعجباً، بل استفهامُ توبيخ، وعليه درَج المفسِّر، فهما تقريران.

قوله: (أي: ما حمله على الكفر؟) أي: أيُّ شيءٍ دعاهُ إليه؟

قوله: (استفهامُ تقريرٍ) أي: وتحقيرٍ؛ لحقارة النُّطفة التي هي أصله؛ ولذا قال بعضُهم: (ما لابن آدمَ والفخر؟! أوَّله نطفةٌ مَذِرَةٌ، وآخِره جِيفةٌ قذرةٌ، وهو بينَهما حامِلٌ للعَذِرَة)[1].

قوله: (ثمَّ بيَّنه) أي: الشيءَ المخلوقَ هو منه.

قوله: (﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾) أي: قدَّر أطوارَه، وهو تفصيلٌ لما أُجمل في قوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾.

قوله: (﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ﴾) منصوبٌ على الاشتغال بفعل يُفسِّره المذكور، ولم يَقُل: (ثمَّ سبيله) بالإضافة إلى ضَميره؛ إشعاراً بأنَّه سبيلٌ عامٌّ.

قوله: (أي: طريق خروجه من بَطن أمِّه) قال بعضهم: (إنَّ رأس المولودِ في بطن أُمِّه من فوق، ورجلَيه من تحت، فهو في بطن أُمِّه على الانتصاب، فإذا جاء وقت خروجه.. انقلب بإلهامٍ من الله تعالى).

قوله: (﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ﴾... إلخ) عدَّ الإماتة من النَّعيم باعتبار أنَّها وصلةٌ في الجملةِ لِلحياة الأبديَّة، والنَّعيم الدَّائم.

قوله: (﴿فَأَقْبَرَهُۥ﴾) أي: أَمَرَ بِقبرِه، يُقال: قَبَرَ الميِّتَ: إذا دفنَهُ بيَده، وأقبره: إذا أمر غيرَه به، فالقابرُ هو الدَّافن باليد، والمقبِر هو الله تعالى؛ لأمرِه به.

قوله: (جعله في قبرٍ يَستره) أي: ولم يُجْعَلْ ممَّن يُلْقَى للطيور والسباعِ؛ إكراماً له.

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٨٦١) عن سيدنا علي رضي الله عنه، وأبو نعيم في «حِلية الأولياء» (٢/ ٣٨٤) من كلام الإمام مالك بن دِينار مخاطباً المُهلَّب بن أبي صُفرة.

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ۝٢٣ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨﴾ ....

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ لِلبَعث.

(۝٢٣ - ۝٣٢) ﴿كَلَّا﴾: حقًّا ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾: لَم يَفعَل ﴿مَا أَمَرَهُ﴾ بِه رَبُّه، ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ﴾ نَظَرَ اعتِبارٍ ﴿إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ كيف قُدِّرَ ودُبِّرَ لَه؟ ﴿إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ﴾ مِن السَّحابِ ﴿صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ﴾ بِالنَّباتِ ﴿شَقًّا ۝٢٦ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ كالحِنطةِ والشَّعِير، ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ هو القَتُّ الرَّطب، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ﴾) مفعول المشيئة محذوفٌ، والتقدير: إذا شاءَ إنشاره أنشَره.

قوله: (حقًّا) أي: فتكون مُتعلِّقة بما بعدها؛ أي: حقًّا لم يَفعل ما أمره به ربُّه، وحينئذٍ: فلا يَحسُنُ الوقف على ﴿كَلَّا﴾، ويصحُّ أن تكون حرفَ ردعٍ وزجرٍ للإنسان عمَّا هو عليه من التكبُّر والتجبُّر، وقوله: ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾ بيانٌ لِسبب الرَّدع والزَّجر.

قوله: (﴿لَمَّا يَقْضِ﴾) أي: لم يَفعَل الإنسان من أوَّل مُدَّةِ تكليفه إلى حينِ إقبارِه ما فرَضه الله عليه.

قوله: (﴿مَا أَمَرَهُ﴾ به ربُّه) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿مَا﴾ موصولةٌ بمعنى (الذي)، والعائد محذوفٌ، والضمير عائدٌ على الإنسان المتقدِّم ذكرُه، وهو الكافر.

قوله: (﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ﴾... إلخ) بيانٌ لِتَعداد النِّعم التي تَقوَّمَ بها في الدنيا إثرَ بيان النِّعم المتعلِّقة بإيجاده[1].

قوله: (من السحاب) أي: بعد نُزوله من السماء.

قوله: (﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ﴾ بالنَّبات) أي: الذي هو أضعَفُ الأشياء.

قوله: (﴿وَعِنَبًا﴾) عطف على ﴿حَبًّا﴾.

قوله: (هو القتُّ الرطب) أي: علَف الدَّواب الرطب، وسمِّي قضباً؛ لأنَّه يُقضَب ـ أي: يُقطع ـ مرَّةً بعد أخرى.

(١) وقعت العبارة في (ط٢): (بيان لتعداد النعم المتعلقة بِحياته إثرَ بَيان النعم المتعلقة بِإيجاده).

وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ ....

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾: بَساتين كَثِيرة الأشجارِ، ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾: ما تَرعاهُ البَهائِم، وقِيل: التِّبن، ﴿مَّتَٰعًا﴾: مُتعةً أو تَمتِيعاً كما تَقدَّم في السُّورة قَبلها، ﴿لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ تقدَّم فِيها أيضاً.

(﴿٣٣﴾ - ﴿٣٧﴾) ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾: النَّفخةُ الثانيةُ، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾: زَوجَتِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿غُلْبًا﴾) جمع (أغلَب وغَلْباء) كـ(أحمرَ وحَمراء).

قوله: (كثيرة الأشجار) أي: فإسناد الغلب لها مجازٌ؛ إذ هو وصف الأشجار.

قوله: (﴿وَفَٰكِهَةً﴾) إمَّا عطف على (عنباً) من عطف العامِّ على الخاصِّ، أو على (حدائق) فهو عطفُ خاصٍّ على عامٍّ.

قوله: (﴿وَأَبًّا﴾) إمَّا من: أبَّه: إذا أَمَّه وقصده؛ لأنه يُقصد للرعي، أو من: أبَّ لكذا: إذا تهيَّأ له؛ لأنَّه مُتهيِّئ للمرَّعي.

قوله: (ما تَرعاه البهائم) أي: رطباً أو يابساً، فهو أعَمُّ من القَضْب.

قوله: (وقيل: التِّبن) أي: وعليه فالمغايرة بينَه وبين القَضْب ظاهرةٌ.

قوله: (متعةً أو تمتيعاً) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿مَّتَٰعًا﴾ يصحُّ أن يكون مفعولاً لأجلِه، أو مفعولاً مطلقاً عامِلِه محذوف، تقديره: فعل ذلك متاعاً، أو متَّعكم تمتيعاً.

قوله: (تقدَّم فيها أيضاً) أي: وهو تفسيرُ النَّعم بأنَّها البقَر والإبل والغنم، وتقدَّم لنا أنَّه خصَّها لِشَرفها.

قوله: (﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾) شُروعٌ في بيان أحوال مَعادِهم إثرَ بيان مَبدأ خلقهم ومَعاشِهم.

والصَّاخَّة: الداهية التي تَصخُّ آذان الخلائق ـ أي: تُصِمُّها ـ لشدَّة وَقعتها، وصفت بذلك مجازاً؛ لأنَّ النَّاس يَصخون منها.

قوله: (﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾... إلخ) أي: وسبب هروبه؛ إمَّا حذراً من مُطالَبتهم له بحقوقهم، فالأخ يقول: لم تُواسني بمالك، والأبوان يقولان: قصَّرتَ في برِّنا، والصاحبة تقولُ: لم تُوفِّني

﴿وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَبَنِيهِ﴾ - ﴿يَوْمَ﴾ بَدل مِن (إذا)، وجوابُها دلَّ علَيه -: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾: حالٌ يَشغَلهُ عن شَأن غَيرِه، أي: اشتَغلَ كُلُّ واحدٍ بِنَفسِه.

(﴿٣٨﴾ - ﴿٤٢﴾) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾: مُضِيئةٌ، ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾: فَرِحة وهُم المُؤمِنُون، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾: غُبارٌ، ﴿تَرْهَقُهَا﴾: تَغشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾: ظُلمةٌ وسَواد، ﴿أُولَٰئِكَ﴾: أهلُ هذِه الحالةِ ﴿هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ أي: الجامِعُون بين الكُفر والفُجُور.

حاشية الصاوي

حقِّي، والبنون يقُولون: ما علَّمتنا، وما أرشَدتنا، أو لِمَا يتبيَّن له من عجزهم وعدم نَفعهم له، أو لِكثرة شغل الإنسان بنفسه، فيَدهَش عن غيره، وكلٌّ واقع.

قوله: (بدلٌ من «إذا») أي: بدلَ كلٍّ أو بعضٍ، والعائد محذوفٌ؛ أي: يفرُّ فيه.

قوله: (﴿لِكُلِّ امْرِئٍ﴾) جملةٌ مستأنفةٌ لبيان سبب الفرار.

قوله: (أي: اشتغل... إلخ) بيانٌ لجواب (إذا) المحذوف.

قوله: (﴿وُجُوهٌ﴾) مبتدأٌ سوَّغ الابتداء به وقوعُهُ في معرض التَّفصيل، و﴿مُّسْفِرَةٌ﴾: خبره، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾: متعلِّق به، وهذا بيانٌ لمآل الخلائق وانقسامهم إلى أشقياءَ وسعداء بعد وقوعهم في الدَّاهية العَظيمة.

قوله: (مُضيئة) أي: إمَّا من قيام الليل، أو من آثار الوضوء، أو مِن طُول ما اغبرَّت في سبيل الله، وكلٌّ صحيحٌ.

قوله: (فَرِحَةٌ) أي: بما رأَته من كرامة الله ورِضوانه.

قوله: (ظلمةٌ وسوادٌ) هذا قول ابن عبَّاس، وقيل: القَترة والغَبرة معناهما واحد وهو الغبار، لكنَّ القَترة: ما ارتفع منه إلى السماء، والغَبرة: ما انحطَّ إلى الأرض.

قوله: (﴿الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾) جمع كافر وفاجِر، وهو الكاذب المُفتري على الله تعالى، فجمع الله تعالى إلى سواد وُجوههم الغبرةَ كما جمعُوا الكُفر إلى الفجور.

✿ ✿ ✿

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣﴾ ....



سُورَةُ التَّكوِيرِ

مكيَّة، تِسع وعشرونَ آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٥) ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾: لُفِّفَت وذُهِبَ بِنُورِها، ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾: انقَضَّت وتَساقَطت على الأرضِ، ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ﴾: ذُهِبَ بِها عن وجهِ الأرض ......

حاشية الصاوي

سُورَةُ التَّكوِيرِ

مُناسبتها لما قبلها: أنَّ كلًّا فيه ذكرُ أهوال القيامة، وفي الحديث: «**مَنْ سرَّه أن يَنظر إلى يوم القيامة.. فليَقرأ**: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾»[1].

قوله: (﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾) الأرجَح عند جُمهور النحاة: أنَّ الاسم المرفوع الواقع بعد (إذا) الشرطيَّةِ مرفوعٌ بفعلٍ محذوفٍ يُفسِّره المذكور، ويمنع أن يكون مرفوعاً بالابتداء؛ لأنَّ أدوات الشرط لا يَليها إلا الأفعال لفظاً أو تقديراً، وأجاز الأخفش والكوفيون إيلاءها الاسم؛ فيرفع الاسم مبتدأً، وما بعده خبر.

و(إذا) في المواضع الاثني عشر شرطيَّةٌ، جوابها قوله: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ﴾، ولا يجوز الوقف اختياراً قبل الجواب.

قوله: (لفِّفت) المناسِب أن يقول: (لُفَّتْ)، والمعنى: لُفَّ بعضُها ببعضٍ ورُمي بها في البحر، ثمَّ يُرسل الله عليها ريحاً دبوراً فتضربها، فتصير ناراً.

قوله: (بنورها) أي: ضوئها.

قوله: (﴿سُيِّرَتۡ﴾) أي: في الهواء بعد تَفتيتها.

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٣٣) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ ....

فصارَت هَباءً مُنبَثًّا، ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾: النُّوقُ الحَوامِلِ ﴿عُطِّلَتْ﴾: تُرِكَت بِلا راعٍ أو بِلا حَلَبٍ لِما دَهاهُم مِن الأمرِ، ولَم يَكُن مالٌ أعجَب إلَيهِم مِنها، ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾: جُمِعَت بعدَ البَعث لِيُقتَصَّ لِبَعضٍ مِن بَعض، ثُمَّ تَصِير تُراباً.

(﴿٦﴾ - ﴿٩﴾) ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ - بِالتَّخفِيف والتَّشدِيد -: أُوقِدَت فصارَت ناراً،

حاشية الصاوي

قوله: (فصارت هباءً) أي: بعد صيرورتها كالصُّوف المندوف، فأوّلاً تفتَّت ثمَّ تصير كالصُّوف المندُوف.

قوله: (﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾) جمع (عُشَراء) كـ(النِّفاس) جمع (نُفَساء)، وهي التي أتى على حملها عشرة أشهُر إلى أن تضَع، وخصَّها بالذكر؛ لأنَّها أعلى ما يكون عند أهلها، وأنفس أموالهم؛ لِما وردَ: أنَّه ﷺ مرَّ في أصحابه بعِشار من النوق، فغضَّ بصرَه، فقيل له: هذه أنفَس أموالنا فلم لا تنظر إليها؟ فقال: «قد نهاني الله عن ذلك» ثم تلا: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ...﴾ الآية[1]، وإذا كان هذا حالهم مع أنفَسِ أموالهم.. فحالهم مع غيره أولى، وإلى هذا يشير المفسِّر بقوله: (ولم يكن مالٌ أعجب إليهم منها).

قوله: (تُركت بلا راعٍ) أي: مهملةً، وقوله: (أو بلا حَلَبٍ) بفتح اللام: مصدر (حَلَبَ يَحْلُبُ) بالضمِّ، ويُقال بالسكون، من باب (قَتَلَ).

قوله: (﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ﴾) أي: دوابُّ البرِّ، وقوله: (جمعت) أي: من كلِّ ناحيةٍ.

قوله: (بالتَّخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (أوقدت فصارت ناراً) هذا أحدُ أقوال في تفسير التَّسجير، وقيل: سُجِّرت: مُلئت من الماء، وقيل: اختلف عذبها بمالحها حتَّى صارت بحراً واحداً، وقيل: يَبست، ويمكن الجمع بين تلك الأقوال؛ فأوَّلاً يَفيض بعضها لبعض، ثمَّ تيبس، ثمَّ تُقلب ناراً.

ثمَّ ما تقدَّم من الآيات الستِّ يجوز أن يكون مُقدِّمة للنفخة الأولى، فالأحياء يُشاهدون ذلك؛ لما روي عن أبيِّ بن كعب قال: (ستُّ آيات من قبل يوم القيامة: بينما النَّاس في أسواقهم ذهب

---

(١) أورده أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (١/ ٣٥٥).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف الجيم، والباقون بتثقيلها على المبالغة والتكثير. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٧٠١).

وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ ....

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾: قُرِنَت بِأجسادِها، ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾: الجارِيةُ تُدفَن حَيَّةً خوفَ العارِ والحاجةِ ....

حاشية الصاوي

ضوءُ الشمس وبدت النجوم، فتحيَّرُوا ودهشُوا، فبينما هم كذلك؛ إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحرَّكت واضطربَت واحتَرقت فصارت هباءً منثوراً، ففَزع الإنس إلى الجنِّ، والجنُّ إلى الإنس، واختَلطت الدَّوابُّ والوحوش والهوامُّ والطير، وهاج بعضُها في بعضٍ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، ثمَّ قالت الجنُّ للإنس: نحن نَأتيكم بالخبر، فانطلَقُوا إلى البحار؛ فإذا نارٌ تتأجَّج، فبينَما هم كذلك انصدَعت الأرض صَدعةً واحدةً إلى الأرض السابعة السفلى، وإلى السماء السابعة العليا، فبينَما هم كذلك؛ إذ جاءتهم ريحٌ فأماتَتهم)[١]، ويجوز أن يكون في النفخة الثانية، ويُقال في تعطيل العِشار: يحتمل أنَّه كِناية عن شدَّة الهول حتَّى لا يَلتفت الشخص إلى نفس أمواله، أو تبعث مُعطَّلةً بلا راعٍ، ولا يَلتفت لها صاحبها؛ لأنَّ البهائم تُحشر لِلقصاص من بعضها لبعض، وأمَّا الستُّ الباقية.. فتَحصل بالنفخة الثانية اتفاقاً.

قوله: (قرنت بأجسادها) أي: ردَّت الأرواح إلى أجسادِها؛ فالتَّزويج على هذا: جعلُ الشيء زوجاً، والنفوس بمعنى: الأرواح، وقيل: قُرِنَ كلُّ امرئٍ بشِيعته؛ فاليهوديُّ يضمُّ لليَهود، والنَّصراني للنَّصارى وهكذا، وقيل: قُرِنَ الرجل الصَّالح بالرجل الصَّالح في الجنَّة، والرجل السوء بالرجل السوء في النَّار، وقيل: زُوِّجَتْ نفوس المؤمنين بالحُور العين، وقُرنت الكفار بِالشياطين، وكذلك المنافقُون، وفي الحقيقة يَحصل كلٌّ.

قوله: (الجارية) المراد بها: مُطلق الأنثى، وقوله: (والحاجة) أي: الفقر، فكان الرجل في الجاهلية إذا وُلِدَتْ له بنتٌ فأراد أن يَستحيِيَها.. ألبَسها جُبَّةً من صوفٍ أو شعرٍ ترعى له الإبل والغنم في البادية، وإن أراد قَتْلَها.. تركها حتَّى إذا كانت بنتَ ستِّ سنين.. يقول لأمِّها: طيِّبيها وزيِّنيها حتَّى أذهبَ إلى أحمائها، وقد حفَر لها بئراً في الصحراء، فيَذهب بها إلى البئر، فيقول لها: انظري فيها، ثمَّ يَدفعها من خلفها، ويُهِيل عليها التراب حتَّى تَستويَ بالأرض[٢].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩١٤٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٣٧).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٣/ ٨٣).

سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ ....

﴿سُئِلَتْ﴾ تبكيتاً لِقاتِلها: ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ ـ وقُرِئ بِكسرِ التَّاء حِكايةً لِما تُخاطب به، وجَوابها أن تَقُولَ: قُتِلتُ بِلا ذَنب ـ.

(﴿١٠﴾ - ﴿١٤﴾) ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ﴾: صُحفُ الأعمالِ ﴿نُشِرَتْ﴾ ـ بِالتَّخفِيف والتَّشدِيد ـ: فُتِحت وبُسِطت، ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾: نُزِعَت عن أماكِنها كما يُنزَع الجِلدُ عن الشَّاة، ....

حاشية الصاوي

وقال ابن عباس: (كانت الحامل إذا قربت ولادتها.. حفَرت حُفرة فتمخَّضت على رأس تلك الحُفرة، فإذا ولدت بنتاً.. رمَت بها في الحفرة، وإذا ولَدت ولداً.. أبقَته)[1].

قوله: (تبكيتاً لقاتلها) جوابُ عمَّا يُقال: ما معنى سؤال الموءُودة مع أنَّ مقتضى الظاهر سُؤال القاتل عن قَتله إيَّاها؟ فأجاب: بأنَّ سؤالها هي لافتِضاح القاتل وتَبكِيته، ولا يَلزم من السؤال تعذيبُ القاتل؛ لأنَّه يقال: إن كان القاتل من أهل الفترة فلا يُعذَّب، وإنَّما يرضي الله المقتول بإحسانِه، وإن كان ممَّن بلَغته الدعوة.. فهو آثمٌ يُعذَّبُ على القتل إن لم يَغفر الله له.

قوله: (وقرئ بكسر التاء) أي: الثانية على أنَّها تاء المؤنثة المخاطَبة، والفعل مبنيٌّ للمفعول، وهذه القراءة شاذَّة، وقرئ شذوذاً أيضاً ببِناء (سَأَلَتْ) للفاعل مع (قُتِلْتُ) بضمِّ التاء للمتكلِّم، وبِسكونها على التأنيث، فالقراءات الشاذَّة ثلاث[2].

قوله: (صحف الأعمال) أي: فإنَّها تُطْوَى عند الموت، وتُنْشَرُ عند الحساب.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) سبعيَّتان[3].

قوله: (فُتِحَتْ وبُسِطَتْ) أي: بعد أن كانَت مَطويَّةً.

قوله: (نُزعت عن أماكنها) أي: أُزيلت عنه، فالكَشطُ: القَلع عن شدَّة التزاق، والقَشط لغة فيه،

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩١٤٥).

(٢) قرأ الحسَن بكسر التاء، وقرأ علي وابن مسعود وابن عباس: (سَأَلَتْ) مبنيًّا للفاعل، (قُتِلْتُ) بضمِّ التاء الأخيرة التي للمتكلِّم حكايةً لِكلامها. وعن أبيٍّ وابن مَسعود أيضاً وابن يَعمر: (سَأَلَتْ) مبنيًّا للفاعل، (قُتِلَتْ) بتاء التأنيث الساكنة كقراءة العامَّة. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٧٠٤).

(٣) قرأ نافع وابنُ عامر وعاصم بتخفيف الشين، والباقُون بتشديدها على تكرير النَّشر لِلمبالغة في تقريع العاصي، وتبشير المطيع، وقيل: لِتكرير ذلك من الإنسان. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٩٢).

وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ ....

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ﴾: النَّار ﴿سُعِّرَتْ﴾ ـ بالتَّخفيف والتَّشدِيد ـ: أُجِّجَت، ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾: قُرِّبَت لِأهلِها لِيَدخُلُوها، وجَواب ﴿إِذَا﴾ أوَّلَ السُّورة وما عُطِف علَيها: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ أي: كُلُّ نَفس وقتَ هذه المَذكُورات وهو يَومُ القِيامة ﴿مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ مِن خَيرٍ وشَر.

(﴿١٥﴾ ـ ﴿١٨﴾) ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ ـ (لا) زائدةٌ ـ ﴿بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ هي النُّجُومُ الخَمسة: زُحَل والمُشتَري والمَرِّيخ والزُّهَرة وعُطارِد، تَخنُس ـ بِضَمِّ النُّون ـ ....

حاشية الصاوي

وبها قرئ شذوذاً[١]، فالسَّماء تُنزَع عن أماكنها كما يُنْزَع الغطاء عن الشيء، وقيل: تُطْوَى كما يُطْوَى السِّجل.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما سبعيَّتان[٢].

قوله: (أُجِّجت) أي: أُوقِدَت للكفَّار.

قوله: (قرِّبت لأهلها ليدخلوها) أي: هُيِّئت وأُحضِرَت لهم، وسُهِّل طريقها، لا أنَّها تزول عن مواضعها.

قوله: (أوَّل السورة) أي: الواقعة في أوَّلها، وقوله: (وما عطف عليها) أي: وهو أحدَ عشر.

قوله: (﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾) إن قُلت: إنَّ ﴿نَفْسٌ﴾ نكرةٌ في سياق الإثبات وهي لا تَعُمُّ؟

أجيب بجَوابين: الأوَّل: أنَّ العموم استُفيد من قرينة المَقام والسياق. الثاني: أنَّ وقوعها في سِياق الشرط كوُقُوعها في سياق النفي أيضاً.

ومَعنى العلم بما أحضَرَته: أنَّها تُشاهد أعمالها مكتوبةً في الصحف.

قوله: (وهو) أي: وقتُ حُصول هذه الأمور.

قوله: (هي النُّجوم. . . إلخ) أي: السيَّارةُ غير الشمس والقمر.

---

(١) قرأ بالقاف سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٧٠٥).

(٢) قرأ نافع وابنُ ذَكوان وعاصم بتشديد العين، والباقون بتخفيفها. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٩٢).

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾ ....

أي: تَرجِع في مَجراها وراءَها، بينَما تَرَى النَّجم في آخِرِ البُرج إذ كَرَّ راجِعاً إلى أوَّله، وتكنس ـ بِكَسر النُّون ـ تدخُل في كِناسها أي: تَغِيبُ في المَواضِع التي تَغِيب فِيها، ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾: أقبَل بِظَلامِه أو أدبَر، ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾: امتَدَّ حتَّى يَصِير نَهاراً بَيِّناً.

(١٩ - ٢١) ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ على الله تَعالى وهو جِبريلُ، أُضِيف إلَيهِ لِنُزولِه بِه، ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي: شَدِيد القُوَى ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ أي: الله تَعالى ﴿مَكِينٖ﴾: ذِي مَكانةٍ ـ مُتعلِّق بِه ﴿عِندَ﴾ ـ، ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: ترجع في مَجراها) أي: مِن آخِرِ الفلك القهقرى إلى أوَّله، وخصَّها بالذِّكر؛ لأنَّها تَستقبل الشمس؛ فتحبس بالنهار، وتظهر بالليل، وتخفى وقتَ غروبها عن البصر.

قوله: (إذ كرَّ راجعاً) هو العامل في (بينَما)، وقوله: (إلى أوَّله) أي: البُرج.

قوله: (في كِناسِها) أي: محلِّ اختفائها؛ من: كَنَسَ الوحش: إذا دخل كِنَاسَهُ، وهو بيتُه الذي يتَّخذه من أغصان الشَّجر.

قوله: (﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾) مُناسَبته لما قبله ظاهرةٌ؛ لأنَّه إن كان المراد إقبالَهُ.. فهو أوَّل الليل، وهذا أوَّل النَّهار، وإن كان المراد إدبارَهُ.. فهذا مجاورٌ له.

قوله: (﴿إِذَا تَنَفَّسَ﴾) التَّنفُّس في الأصل: خرُوج النَّفَس من الجوف، وُصِفَ به الصبحُ مِن حيث إنَّه إذا أقبل.. ظهَر روحٌ ونسيمٌ، فجُعل نفساً له.

قوله: (﴿ذِي قُوَّةٍ﴾) أي: فكان من قوَّته أنَّه اقتَلع قُرى قوم لوط من الماء الأسود، وحملها على جَناحه، فرفعها إلى السماء، ثمَّ قلبها، وأنَّه أبصر إبليس يُكلِّم عيسى عليه السلام، فنفَخه بجناحه نفخةً ألقاه إلى أقصى جبل خَلف الهند، وأنَّه صاح صيحةً بثمود، فأصبحُوا جاثمِين، وأنَّه يَهبط من السماء إلى الأرض، ثمَّ يَصعد في أسرع من ردِّ الطَّرْف.

قوله: (ذي مَكانة) أي: إكرامٍ وتشريفٍ.

قوله: (متعلِّق به ﴿عِندَ﴾) أي: فهو حالٌ من ﴿مَكِينٖ﴾، وأصله وصفٌ، فلمَّا قدِّم نُصِبَ حالاً، وقوله: (﴿ثَمَّ﴾) ظرف مكان لِلبعيد، والعاملُ فيه ﴿مُّطَاعٖ﴾.

أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ ....

أي: تُطيعهُ المَلائكةُ في السَّماواتِ ﴿أَمِينٍ﴾ على الوَحيِ.

(٢٢ - ٢٦) ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾: مُحمَّد ﷺ، ـ عُطِفَ على ﴿إِنَّهُ﴾ إلى آخِر المُقسَم علَيهِ ـ ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كما زَعَمتُم، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾: رَأى مُحمَّد ﷺ جِبريلَ على صُورَته التي خُلِق علَيها ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾: البيِّن وهو الأعلَى بِناحِيةِ المَشرِق، ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: مُحمَّد ﷺ ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾: ما غابَ مِن الوَحي وخَبَر السَّماءِ ﴿بِظَنِينٍ﴾: بِمُتَّهَم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: تُطيعُه الملائكة) تفسيرٌ لقوله: ﴿مُّطَاعٍ﴾، وقوله: (في السماوات) تفسيرٌ لقوله: ﴿ثَمَّ﴾.

قوله: (عطف على ﴿إِنَّهُ﴾... إلخ) أي: فهو من جُملة المقسَم عليه بالأقسام السَّابقة، وفي الحقيقة ذكر جبريل بالأوصاف المذكورة؛ تَوطئةً لذكر محمَّد ﷺ؛ لأنَّ المقصود منه رَدُّ قولهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾ [سبأ: ٨]، لا تعدادُ فضائل جبريل ومحمَّد، خلافاً للزمخشريِّ الزَّاعِم أنَّ تلك الآية تَشهد بتفضيل جبريل على محمَّد[١]، بل إذا أمعَنتَ النظر.. وجدتَ أنَّ إجراءَ تلك الصِّفات على جبريل في هذا المقام دالٌّ على بُلوغ الغاية في تعظيم محمَّد؛ حيث جعل السَّفير بينه وبين الله هذا الملَكَ الموصوف بتلك الصفات، وفضلُ المصطفى مُصرَّحٌ به في هذا الكتاب، وفي سائر الكُتب السماوية؛ كالشَّمس في رابعة النَّهار. هذا زُبدة ما أفاده الأئمَّة في هذا المقام.

قوله: (﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾) معطوفٌ على قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أيضاً، فهو من جملة المقسَم عليه، وهذه الرؤية كانت في غارِ حِراء؛ حين رآه على كرسيٍّ بين السماء والأرض في صُورته الأصليَّة، وكان قد سأله أن يُريَه نفسه على صُورته التي خُلق عليها، فوعده بحراء، ثمَّ أنجز له الوَعد، وتقدَّم بسطُه في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ...﴾ [النجم: ٧] إلخ[٢].

قوله: (﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾) متعلِّق بـ(ظنين).

---

(١) «الكشاف» (٤/٧١٣).

(٢) انظر (٦/٤٤٩).

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾

ـ وفي قِراءة بِالضَّاد أي: بِبَخِيلٍ فينقُص شَيئاً مِنه ـ ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القُرآنُ ﴿بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ﴾ مُسترِق السَّمعِ ﴿رَّجِيمٍ﴾: مَرجُوم، ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾: فأيَّ طَرِيقٍ تسلُكُون في إنكارِكُم القُرآنَ وإعراضِكُم عنهُ؟

(﴿٢٧﴾ - ﴿٢٩﴾) ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عِظةٌ ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: الإنسِ والجِنِّ، ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ ـ بَدل مِن (العالَمِين) بِإعادةِ الجارِّ ـ ﴿أَن يَسْتَقِيمَ﴾ بِاتِّباع الحَقِّ، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الاستِقامةَ على الحَقِّ ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: الخَلائقِ استِقامَتكم علَيه.

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءةٍ) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (أي: ببَخيل) أي: فلا يَبخل به عليكم، بل يُخبركم به على طِبق ما أمر، ولا يكتُمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يَأخذ عليه حلواناً.

قوله: (﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ﴾... إلخ) نفيٌ لقولهم: إنَّه كَهانة وسحر.

قوله: (﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾) (أين): ظرف مكان مُبهم، منصوب بـ﴿تَذْهَبُونَ﴾ كما قال المفسِّر: (فأي طريق تسلكون)؛ حيث نسَبتُموه للجنون أو الكهانة أو السحر أو الشعر، وهو بَريء من ذلك كلِّه؛ كما تقول لِمَن ترك الطريق الجادَّة بعد ظهورها: هذا الطريق الواضح فأين تذهَب؟!

قوله: (﴿أَن يَسْتَقِيمَ﴾) أي: فالطريق واضحٌ، فمَن شاء فليُؤمن، ومن شاء فليكفر.

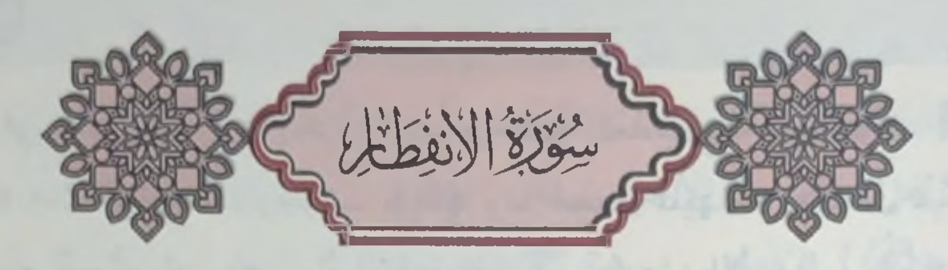
قوله: (﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾) رجوعٌ للحقيقة، وإعلامٌ بأنَّ العبد مختارٌ في الظاهر، مجبورٌ في الباطِن على ما يُريده الله منه.

✿ ✿ ✿

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالظاء بمعنى: متَّهم، مِن: ظنَّ بمعنى: اتَّهم، فيتعدَّى لواحد، وقيل: معناه: بضعيف القوة عن التَّبليغ، مِن قولهم: (بئر ظَنُون) أي: قليلة الماء، وفي مُصحف عبد الله كذلك، والباقون بالضاد بمعنى: بِبَخيل بما يَأتيه من قبل ربِّه. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٧٠٧).

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣﴾ ....



مكيَّة، تِسعَ عشرةَ آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٥) ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾: انشَقَّت، ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾: انقَضَّت وتَساقَطَت، ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾: ....

حاشية الصاوي

سورة الانفطار

مُناسبتها لما قبلها وما بعدها ظاهرةٌ؛ لأنَّ كلًّا مُتعلِّق بيوم القيامة.

قوله: (﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾... إلخ) اعلَم: أنَّ المُراد بهذه الآيات: بيانُ تخريب العالم، وفَناء الدنيا[1].

قوله: (انشقت) أي: لِنُزول الملائكة.

قوله: (انقضَّت وتساقطت) أي: فالانتثار استعارةٌ لإزالة الكواكب، فشُبِّهت بجواهرَ قُطِعَ سلكها، وطُوِيَ ذكرُ المشبَّه به، ورُمِزَ له بشيءٍ من لَوازمه وهو الانتثار، فإثباتُه تَخييل على طريق الاستعارة المكنيَّة.

قوله: (﴿فُجِّرَتۡ﴾) العامَّة على قراءته مبنيًّا للمفعول مُشدداً، وقرئ شذوذاً بالبناء للفاعل وللمفعول مع التخفيف[2].

---

(١) في (ط٢): (وذلك أنَّ السماء كالسقف، والأرضَ كالبناء، ومن أراد تخريبَ دار.. فإنَّه يبدأ أوَّلاً بِتخريب السقف، ثمَّ يَلزم من تخريب السماء انتشار الكواكب، ثمَّ بعد تخريبِ السماء والكواكب يخرب كل ما على وجه الأرض من البحار، ثمَّ بعد ذلك تخرب الأرض التي فيها الأموات)، وقد شطب عليها في (أ).

(٢) قرأ مجاهد مبنيًّا للفاعل مُخففاً، من الفجور؛ نظراً إلى قوله: ﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾، فلمَّا زالَ البرزخ.. بغيَا، وقرأ مجاهد أيضاً والربيع ابن خثيم والزعفراني والثوري مبنيًّا للمفعول مخففاً. انظر «الدر المصون» (١٠/٧٠٩).

وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ....

فُتِحَ بَعضُها في بعضٍ فصارَت بَحراً واحِداً واختَلَط العَذبُ بِالمِلحِ، ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾: قُلِبَ تُرابها وبُعِثَ مَوتاها، ـ وجَواب ﴿إِذَا﴾ وما عُطِف علَيها ـ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ أي: كُلُّ نَفس وقتَ هَذه المَذكُورات وهو يَومُ القِيامة ﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾ مِن الأعمالِ، ﴿وَ﴾ ما ﴿أَخَّرَتْ﴾ مِنها فلَم تَعمَلهُ.

(٦ - ٨) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾: الكافِرُ ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (فُتِحَ بعضُها في بعض) أي: لِزَوال البرزخ الحاجز.

قوله: (﴿بُعْثِرَتْ﴾) يُرادفه في معناه (بحثر) بالحاء، فهما مُركبان من البَعث والبحث مضموماً إليها راء.

قوله: (قلب ترابها) أي: الذي أُهيل على الموتى وقت الدَّفن، وصار ما كان في باطن الأرض ظاهراً على وَجهها.

قوله: (﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾) أي: علما تفصيليًّا، وإلَّا.. فالعلمُ الإجماليُّ حصَل لهم عند الموت؛ حين يَرى كلٌّ مَقعده من الجنَّة أو النَّار.

واعلم: أنَّ الإنسان يَعلم ما قدَّمه من خيرٍ وشرٍّ عند موته علماً إجماليًّا، فيعلم أنَّه من أهل السَّعادة أو الشقاوة، فإذا بُعث وقرأ صحيفتَه.. عَلم ذلك تفصيلاً.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافر) هذا أحد قولَين، والآخَر: أنَّ المراد بـ(الإنسان): ما يَشمل الكافرَ والمؤمنَ المنهمِكَ في المعاصي.

قوله: (﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾) ﴿مَا﴾: استفهاميَّة، والمعنى: أيُّ شيءٍ خدَعك وجرَّأك على عصيان الكريم الذي مِن حقِّه عليك أن تَمتثِلَ أوامرَه، وتجتنب نواهِيَه، ولا تغترَّ بحكمه وكرَمه.

إن قلتَ: كونه كريماً يقتضي أنَّه يَغترُّ الإنسان بكرمه؛ لأنَّه جواد، وهو يَستوي عنده طاعة المطيع وعِصيان المذنب، فهذا يقتضي الاغترارَ به؛ فكيف جعَله هنا مانعاً منه؟

أُجيب: بأنَّ الآية واردةٌ لِتَهديد الكافر والعاصي؛ حيث أنعم عليه بتلك النِّعم، وكلَّفه بِشُكرها، وأوعد مَنْ كفر بالعذاب الدائم، فلم يَقُم بشكرها، فتضمَّنت مُخالفَته استخفافه بالنِّعمة وبأوامر المنعِم

﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩﴾

حتَّى عَصَيتَه؟ ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ﴾ بَعد أن لَم تَكُن ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾: جَعَلَك مُستَوِيَ الخِلقةِ سالِمَ الأعضاءِ، ﴿فَعَدَلَكَ﴾ - بِالتَّخفِيف والتَّشدِيد -: جَعَلَك مُعتَدِلَ الخَلق مُتَناسِبَ الأعضاءِ لَيسَت يَد أو رِجل أطوَلَ مِن الأُخرَى، ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا﴾ - زائدةٌ - ﴿شَآءَ رَكَّبَكَ﴾.

(٩ - ١٢) ﴿كَلَّا﴾ - رَدع عن الاغتِرار بِكَرمِ الله تَعالى - ﴿بَلۡ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: كُفَّار مكَّة ﴿بِٱلدِّينِ﴾: الجَزاءِ على الأعمالِ، ....

حاشية الصاوي

ونَواهِيه، فليس في الآية ما يقتضي الاغترار كما تَزعُمه الحشوية؛ حيث يقولون: إنما قال: ﴿بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ دون سائر صفاتِه؛ لِيلقن عبده الجواب حتَّى يقول: غرَّني كرم الكريم؛ ففي الحديث: لمَّا تلا هذه الآيةَ.. قال: «غرَّه جهلُه»[1]، وقال عمر: (غرَّه حُمْقُهُ وجهلُهُ)[2]، وقال الحسن: (غرَّه واللهِ شيطانُهُ الخبيثُ)[3].

قوله: (حتى عصيتَه) أي: بالكفرِ، وجَحدِ الرسل، وإنكارِ ما أتوا به.

قوله: (﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ﴾) أي: أوجَدك من العدم.

قوله: (﴿فَسَوَّىٰكَ﴾) أي: جعل أعضاءك سليمةً مستويةً تامَّةَ المنافع.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما سبعيَّتان[4]، فالتَّسوية ترجع إلى عدم النقصان في الأعضاء، والتَّعديل يَرجع إلى نفي العِوَج والقبح.

قوله: (﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ﴾) متعلِّق بـ﴿رَكَّبَكَ﴾، و﴿شَآءَ﴾: صفة لـ﴿صُورَةٖ﴾، والمعنى: ركَّبك في أيِّ صورةٍ من الصور التي اقتَضتها مَشيئته؛ من طولٍ وقِصَرٍ، وذكورةٍ وأُنوثةٍ.

قوله: (﴿بَلۡ تُكَذِّبُونَ﴾) إضرابٌ انتقاليٌّ إلى بيان ما هو السببُ الأصلي في اغترارهم، كأنَّه قال: إنَّكم لا تَستقيمون على ما تُوجبه نِعَمي عليكم وإرشادي لكم، بل تكذبون.

---

(١) رواه أبو عُبَيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص١٥١)، والثعلبي في «الكشف والبيان» (١٠/ ١٤٦) عن صالح بن مسمار بلاغاً.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩١٧٤)، وانظر «تفسير القرطبي» (١٩/ ٢٤٥).

(٣) أورده القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٤٥).

(٤) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف الدال، والباقون بالتشديد. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٩٧).

وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا ....

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾ مِن المَلائكةِ لِأعمالِكُم، ﴿كِرَامًا﴾ على الله ﴿كَٰتِبِينَ﴾ لَها، ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ جَميعَه.

(﴿١٣﴾ - ﴿١٨﴾) ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾: المُؤمِنين الصَّادِقِين في إيمانِهِم ﴿لَفِى نَعِيمٍ﴾: جَنَّة، ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ﴾: الكُفَّار ﴿لَفِى جَحِيمٍ﴾: نارٍ مُحرِقة، ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يَدخلُونَها ويُقاسُون حَرَّها

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾) الخطاب وإن كان مشافهةً إلَّا أنَّ الآية عامَّةٌ بالإجماع لجميع المكلَّفين، والجملة حاليَّة من الواو في ﴿تُكَذِّبُونَ﴾.

قوله: (مِن الملائكة) أي: فكلٌّ واحدٍ من الأدميِّين له ملَكان: ملكٌ عن يمينه يكتب الحسنات، وآخرُ عن يَساره يكتب السيئات، وقيل: اثنان بالليل، واثنان بالنهار.

واختلفُوا في الكفار؛ فقيل: ليس عليهم حفَظةٌ؛ لأنَّ أمرهم ظاهرٌ، وعملهم واحد، وقيل: عليهم حفَظة؛ لظاهر هذه الآية.

إن قلت: فأيُّ شيء يكتب الذي على يمينه مع أنَّه لا حسنة له؟

أجيب: بأنَّ الذي عن شِماله يكتب بإذن صاحب اليمين، فيكون شاهداً على ذلك، فالمراد بالحفَظة هنا: حفظة الأعمال الكاتبون لها، وأمَّا حفَظة البدن.. فهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّ الشاهد لا يَشهد إلا بعد العلم؛ لوصف الملائكة بكونهم حافظِين، كراماً كاتبين، يَعلمون ما تفعلون.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾) شُروعٌ في بيان ما يكتبون لأجله، كأنَّه قيل: يكتبون الأعمال؛ لِيُجازي الأبرار بالنَّعيم... إلخ.

قوله: (﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾) «أل» في ﴿ٱلْفُجَّارَ﴾ للعهد الذكري؛ أي: المتقدم ذكرهم في قوله: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾.

قوله: (﴿يَصْلَوْنَهَا﴾) الجملة مستأنفة، أو حاليَّة من الضمير في خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾

﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾: الجَزاءِ، ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾: بِمُخرَجِين. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: أعلَمَك ﴿مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ - تعظِيمٌ لِشَأنِه -.

﴿١٩﴾ ﴿يَوْمُ﴾ - بِالرَّفعِ أي: هو يَوم - ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ مِن المَنفَعة، ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ لا أمرَ لِغَيرِه فِيه، أي: لَم يُمَكِّن أحَداً مِن التَّوَسُّط فِيه بِخِلافِ الدُّنيا.

حاشية الصاوي

قوله: (الجزاءِ) أي: الذي كانُوا يكذِّبون به.

قوله: (﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾) (ما): اسم استفهام مبتدأ، وجملة ﴿أَدْرَاكَ﴾: خبره، والكاف: مفعول أوَّل، وجملة ﴿مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ مِن المبتدأ والخبر: سادَّة مسدَّ المفعول الثاني، والاستفهام الأوَّل للإنكار، والثاني: للتعظيم والتهويل، والمعنى: وأيُّ شيءٍ أدراك عظمَ يوم الدين وشدَّةَ هَولِه؟! أي: لا عِلم لك به إلَّا بإعلامٍ منَّا.

قوله: (﴿يَوْمُ﴾) بالرفع والنصب، قراءتان سبعيَّتان، فالرَّفع على أنَّه خبرٌ لمحذوف؛ أي: هو يوم، والنصب على أنَّه مَفعول لفعل محذوف، وقرئ شذوذاً برفعه مُنوَّناً؛ لِقطعه عن الإضافة، والجملةُ بعده نعت له[1].

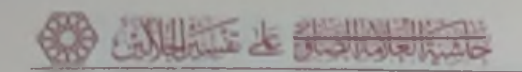
قوله: (﴿شَيْئًا﴾ من المَنفعة) جوابٌ عمَّا يُقال: إنَّ بعض النَّاس المقبولين يملكون الشفاعة لغيرهم، فالجواب: أنَّ المنفيَّ ثبوتُ الملك بالاستقلال، والشفاعة ليست كذلك، بل لا تكونُ إلا بإذنٍ خاصٍّ.

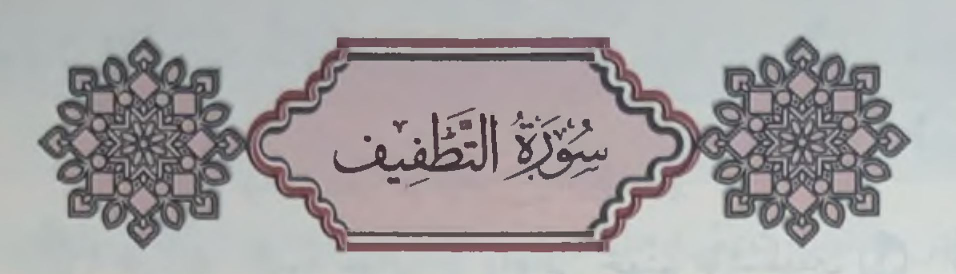
قوله: (﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾) أي: ظاهراً وباطناً، فلا تصرُّف لِغيره فيه أصلاً.

قوله: (بخلاف الدنيا) أي: فالعبيد مُتصرِّفون فيها، ويُنْسَبُ لهم الملك والأمر والنَّهي ظاهراً.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع (يوم) على أنه خبر مبتدأ مُضمر؛ أي: هو يوم، وجوَّز الزمخشري أن يكون بدلاً مما قبله، يعني قوله: ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾، وقرأ أبو عمرو في رواية: (يومٌ) مرفوعاً مُنوَّناً على قَطعه عن الإضافة، وجعلِ الجملة نعتاً له، والعائد محذوف؛ أي: لا يملك فيه، وقرأ الباقون (يومَ) بالفتح، وقيل: هي فتحة إعراب، ونصبُه بإضمار (أعني) أو (يتجاوزون)، أو بإضمارِ (اذكُر)، فيكون مفعولاً به، وعلى رأيِ الكوفيين يكون خبراً لمبتدأ مُضمر، وإنما بُني لإضافته للفعل وإن كان مُعرباً، كقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ﴾. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٧١٣).





مكيَّة أو مدنيَّة، سِتٌّ، وثَلاثُون آية.

حاشية الصاوي

(سورة التطفيف)

وتسمَّى (سورة المطففين).

قوله: (مكيَّة أو مدنيَّة) «أو»: لحكاية الخلاف؛ فالأوَّل: قول ابن مسعود والضحاك ومُقاتل في أحد قولَيه، والثاني: قول الحسن وابن عباس وعِكرمة ومقاتل في قوله الآخر، وهذان قولان من أربعة أقوال، ثالثها: أنَّها نزلت بين مكة والمدينة، رابعها: كلُّها مدنيَّة إلَّا قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟. . .﴾ إلى آخر السورة فمكيٌّ، والمشهور: أنَّها مدنيَّة؛ لما رُوي عن ابن عباس قال: (لما قدم النبيُّ ﷺ المدينة. . كانُوا من أخبَث الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، فأحسَنُوا الكيل بعد ذلك)[١]، قال الفراء: (فهُم أوفى من النَّاس كيلاً إلى يَومهم هذا)[٢]، وروي عنه أيضاً قال: (هي أوَّل سورةٍ نزَلت على رسول الله ساعة نزل بالمدينة، وكان هذا فيهم؛ كانُوا إذا اشترَوا. . استَوفوا بكيل راجح، وإذا باعوا. . بَخسُوا المكيال والميزان، فلمَّا نزلت هذه السورة. . انتهَوا، فهم أوفى النَّاس كيلاً إلى يَومهم هذا)[٣].

وقال جماعة: نزَلت في رجل يُعرف بأبي جهينة، واسمه عمرو، كان له صاعان، يأخذ بواحد، ويُعطي بآخر[٤].

ومناسبتها لما قبلها: أنَّه لما ذكر حال السعداء والأشقياء فيما قبلها. . ذكر هنا ما أعَدَّ لبعض العُصاة، وذكرهم بأخسِّ ما يقع من المعصية، وهي التطفيف الذي لا يكاد يُغني أحدهما، ويُفقر الآخر، ثمَّ ذكر فيها ما أعدَّ للكفَّار عُموماً، ولِلمطيعين عموماً.

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٩٠)، وابنُ ماجه (٢٢٢٣).

(٢) أوردَه الماوَردي في «تفسيره» (٦/ ٢٢٥).

(٣) أورده القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٥٠) عن سيِّدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) انظر «زاد المسير» (٤/ ٤١٣).

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ ....

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿وَيْلٌ﴾: كَلِمة عَذاب أو وادٍ في جَهنَّم ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيْلٌ﴾) مبتدأ، سوَّغ الابتداء به كونه دعاءً، و﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾: خبره، وهذا على أنَّه كلمة عذاب، وعلى أنَّه اسمٌ لِلوادي فهو معرفة، ويجوز نصبُه في غير هذا الموضع، ويختار فيما إذا كان مضافاً أو معرَّفاً[١].

قوله: (كلمة عذاب) أي: مُعلِمةٌ بشدَّة عذابهم في الآخِرة، فهو دعاءٌ عليهم بالهلاك، وقوله: (أو واد في جهنم) أي: يَهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلُغَ قعرَه، فهما قولان، ويمكن الجمع: بأنَّ الويل له إطلاقان.

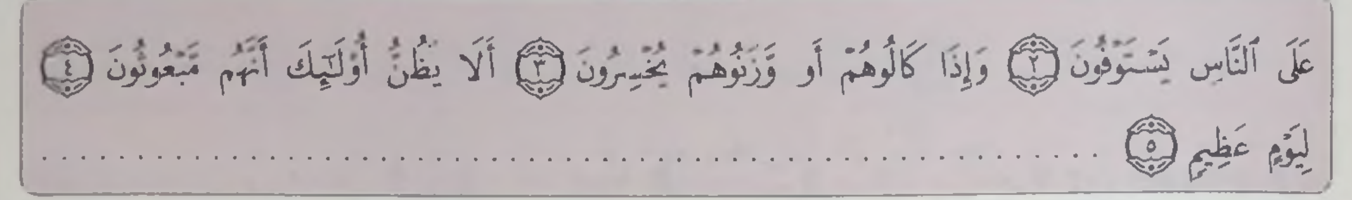
قوله: (﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾) جمع (مطفِّف)، وهو الذي يأخذ في كيل أو وزن شيئاً قليلاً، ومنه قولهم: (دون الطفيف) أي: الشيء التافه؛ لِقِلَّته، وهذا الوعيد يلحق كلَّ مَنْ يأخذ لنفسه زائداً، ويدفع إلى غيره ناقصاً، قليلاً أو كثيراً، لكن إن لم يَتُب منه، فإن تاب.. قُبلت توبته، ومَن فعل ذلك وأصرَّ عليه.. كان مُصِرًّا على كبيرة من الكبائر؛ وذلك لأنَّ عامَّة الخلق مُحتاجون إلى المعاملات، وهي مبنيَّة على أمر الكيل والوزن والذَّرْع، فلهذا السبب عظَّم الله أمرَ الكيل والوزن، قال نافع: (كان ابن عمر يمرُّ بالبائع فيقول: اتق الله، وأوفِ الكيل والوزن؛ فإنَّ المطففين يُوقَفون يوم القيامة حتى يُلجمهم العرق، فيكون عرَقهم على قدر تَفاوُتهم في التطفيف؛ فمِنهم مَن يكون إلى كعبه، ومنهم من يكون إلى ركبته، ومنهم من يكون إلى حِقوَيه، ومنهم مَنْ يُلجمه العرق إلجاماً)[٢]، وفي الحديث الصحيح: **«خمسٌ بخمسٍ: ما نقض العهدَ قومٌ إلَّا سلَّط الله عليهم عدوَّهم، وما حكمُوا بغير ما أنزل الله إلَّا فشَا فيهم الفقر، وما ظهَرت فيهم الفاحشة ـ أي: الزنا ـ إلا فشا فيهم الموت، ولا طفَّفُوا الكيل إلَّا مُنِعُوا النبات وأخذُوا بالسنين من القَحط، ولا منعُوا الزكاة إلَّا حُبس عنهم القَطر»**[٣].

---

(١) قال مكي: (والمختار في «ويل» وشِبهه إذا كان غيرَ مضاف الرفع، ويجوز النصب، فإن كان مضافاً أو معرفاً.. كان الاختيار فيه النصبَ نحو: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟﴾). انظر «الدر المصون» (١٠/ ٧١٥).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٥/ ٢٢٢).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٩٩٢) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.


عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ ....

﴿عَلَى﴾ أي: مِن ﴿ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ الكَيلَ، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ أي: كالُوا لَهُم ﴿أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ أي: وزَنُوا لَهُم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ يُنقِصُون الكَيلَ أو الوزنَ.

(﴿٤﴾ - ﴿٦﴾) ﴿أَلَا﴾ ـ استِفهام توبِيخ ـ ﴿يَظُنُّ﴾: يَتَيقَّن ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: فِيه وهو يَومُ القِيامة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾) متعلِّق بـ﴿ٱكْتَالُوا۟﴾، و(على) بمعنى (مِن) كما قال المفسِّر، ويصحُّ أن يكون متعلقاً بـ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾، قدِّم لإفادة الاختصاص، والمعنى: يَستوفون على النَّاس خاصَّة، وأمَّا لأنفُسهم.. فيَستوفون لها.

قوله: (﴿يَسْتَوْفُونَ﴾) أي: يَزيدون على حقِّهم، وليس المراد: يَستوفون حقَّهم فقط؛ إذ ليس في ذلك نهيٌ.

قوله: (أي: كالُوا لهم) أشار بذلك إلى أنَّ ضمير (هُم) في محلِّ نصب مفعول لـ(كالوا) تعدَّى إليه الفعل بنَفسه بعد حذف اللام، وليس ضميرَ رفعٍ مؤكِّداً للواو.

قوله: (﴿أَو وَّزَنُوهُمْ﴾) حذفه ممَّا تقدَّم؛ لِدلالة هذا عليه.

قوله: (﴿يُخْسِرُونَ﴾) جواب (إذا).

قوله: (استفهام توبيخ) أي: فـ(لا): نافية، دخلت عليها همزة الاستفهام، فـ﴿أَلَا﴾ هنا ليست استفتاحيَّةً، بل هي همزةُ الاستفهام دخلت على (لا) النافيةِ، فأفادت التوبيخ والإنكار.

قوله: (﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ﴾... إلخ) أشار المفسِّر إلى أنَّ الظنَّ بمعنى اليقين؛ أي: لا يُوقن أولئك؛ إذ لو أيقَنوا.. ما نقصُوا في الكيل والوزن، وقيل: الظنُّ بمعنى: التردُّد، والمعنى: إن كانُوا لا يَستيقنون بالبعث.. فهلَّا ظنُّوه حتى يَتدبرُوا ويأخذُوا بالأحوَط؟

و﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: إشارةٌ للمطففين، أتى بها نظراً إلى بعدهم عن مَرتبةِ الأبرار، وعَدِّهم من الأشرار.

يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ ....

﴿يَوْمَ﴾ - بَدل مِن مَحَلِّ ﴿لِيَوْمٍ﴾، فناصِبُه ﴿مَّبْعُوثُونَ﴾ - ﴿يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾ مِن قُبورِهم ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: الخَلائِق لِأجلِ أمرِه وحِسابِه وجَزائِه؟

(﴿٧﴾ - ﴿٩﴾) ﴿كَلَّآ﴾: حَقًّا ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ أي: كُتُبَ أعمالِ الكُفَّار ﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾ قِيل: هو كِتابٌ جامِع لِأعمالِ الشَّياطِين والكَفَرةِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (فناصبه «مبعوثون») أي: مقدَّراً؛ لأنَّ البدل على نِيَّة تكرار العامل[١].

قوله: (حقًّا) أي: فـ﴿كَلَّآ﴾: كلامٌ مستأنفٌ، فالوقف على ما قبلها، وقيل: إنَّها كلمة ردعٍ وزجرٍ، والمعنى: ليس الأمرُ على ما هُم عليه من بخس الكيل والميزان، فعلى هذا: يكون الوقف عليها.

قوله: (﴿ٱلْفُجَّارِ﴾) أظهرَ في مَقام الإضمار؛ تسجيلاً عليهم بهذا الوصف الشَّنيع[٢].

قوله: (أي: كُتُبَ أعمالِ الكفَّار) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿كِتَٰبَ﴾ بمعنى (كُتُب)، والكلام على حذف مضاف، وبذلك اندَفع ما يَلزم من ظرفيَّة الشيء في نفسه[٣].

قوله: (﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾) اختُلف في نونه؛ فقيل: أصليَّة، مشتقٌّ من السجن، وهو الحبس، وقيل: بدلٌ من اللام، مُشتقٌّ من السجل، وهو الكتاب.

قوله: (قيل: هو كتاب جامع) أي: دوَّن الله فيه أعمالَ الشياطين والكفَرة من الثقلين، موضوع تحت الأرض السابعة، في مكانٍ مظلمٍ موحشٍ، هو مسكن إبليس وذُريته، يذهبون إليه لِيَستوفُوا جزاءَ أعمالهم.

---

(١) أو (مبعوثون) المذكور، ويكون العاملُ في البدل نفسَ العامل في المبدل منه.

(٢) أي: تثبيتاً وتحقيقاً حتى لا يَتأتى منهم الإنكار.

(٣) أي: فقد استشكل: بأنَّ الله تعالى قد أخبر عن كِتاب الفجار بأنَّه في سجين، وفسَّر سجيناً بـ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾، فكأنَّه قيل: إنَّ كتابَهم في كتاب مَرقوم؛ فما مَعناه؟
فأجاب المفسِّر رحمه الله تعالى: أنَّ المراد بـ(الكتاب) المصدر، فيكون المعنى: إنَّ كتابة أعمالهم في سجين، ثمَّ وصف السجين بأنه كتاب مَرقوم فيه جميعُ أعمال الفجار.
وقال الإمام الرازي رحمه الله تعالى: (وأيُّ استبعادٍ في كون أحدِ الكتابين في الآخَر؟ إمَّا بأن يُوضع كتاب الفجار في الكتاب الذي هو الأصل المرجوع إلى في تفصيلِ أحوال الأشقياء، أو بأن يُنقل ما في كتاب الفجار إلى ذلك الكتاب المسمَّى بِالسجين). انظر «تفسير الرازي» (٣١/٨٧).

وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ . . . .

وقِيل: هو مَكانٌ أسفلَ الأرض السَّابِعةِ، وهو مَحَلُّ إبليسَ وجُنُودِه، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾: ما كِتابُ سِجِّين؟ ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾: مَختُوم.

(﴿١٠﴾ - ﴿١٣﴾) ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: الجَزاءِ، ـ بَدلٌ أو بَيانٌ لِلمُكذِّبين ـ، ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾: مُتَجاوِزِ الحَدِّ ﴿أَثِيمٍ﴾ ـ صِيغةُ مُبالَغة ـ ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾: القُرآنُ ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: الحِكاياتِ التِي سُطِّرَت قَدِيماً، جَمعُ (أُسطُورة) بِالضَّم أو (إِسطارةٍ) بِالكسرِ.

(﴿١٤﴾ - ﴿١٧﴾) ﴿كَلَّآ﴾ ـ رَدع وزَجرٌ لِقَولِهِم ذلك ـ ﴿بَلْ رَانَ﴾: غَلَب . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (وقيل: هو مكان. . . إلخ) أي: فهو اسم مَوضع، وعليه: فقوله الآتي: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ على حذف مضافٍ، والتقدير: ما كتابُ سجين؟ كما ذكره المفسِّر، والإضافة على معنى (في)، وقد يُجمع: بأنَّ ﴿سِجِّينٌ﴾ اسمٌ للكتاب والموضع معاً.

قوله: (وهو محلُّ إبليس. . . إلخ) أي: وفيه أرواح الكفار.

قوله: (﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾) (ما): اسم استفهام مبتدأ، و﴿أَدْرَىٰكَ﴾ خبره، و﴿مَا سِجِّينٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة سادَّة مسدَّ المفعول الثاني، والاستفهام الأوَّل للإنكار، والثاني للتفخيم والتعظيم.

قوله: (﴿مَّرْقُومٌ﴾) بيانٌ لـ﴿كِتَٰبٌ﴾ المذكور في قوله: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾، والمعنى: إنَّ هذا الكتاب مكتوبٌ فيه أعمالهم، مثبتةٌ كالرَّقْم في الثوب، لا يُنسى ولا يمحى، وقيل: الرَّقْمُ: الختم بلغة حِمْيَر، وعليه مشى المفسِّر، والمعنى: أنَّ هذا الكتاب مرقومٌ بعلامةٍ يعرف أنَّه كافر.

قوله: (أو بيان) أي: أو نعتٌ.

قوله: (ردع وزجر) أي: لِلمُعتدي الأثيم عن ذلك القول الباطل، فهي حرف، وقال الحسن: (إنَّ «كلَّا» بمعنى «حقًّا»)[1].

قوله: (﴿بَلْ رَانَ﴾) أي: أحاط وغطَّى كتَغطية الغيم للسَّماء، وردَ: «أنَّ المؤمن إذا أذنَب ذنباً. .

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١٩/ ٢٥٩).

عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ ....

﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ فغَشِيَها ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ مِن المَعاصِي، فهو كالصَّدأ، ﴿كَلَّآ﴾: حَقًّا ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القِيامةِ ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فلا يَرَونَه، ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾: لَداخِلُو النّارِ المُحرِقة، ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لَهُم: ﴿هَٰذَا﴾ أي: العَذابُ ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

(﴿١٨﴾ - ﴿٢١﴾) ﴿كَلَّآ﴾: حَقًّا ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ أي: كُتُبَ أعمالِ المُؤمِنين الصّادِقِين

حاشية الصاوي

نُكتت نُكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزَع واستَغفر.. صُقِلَ قلبه منها، وإذا زاد.. زادت حتى تَعلُوَ قلبَه، فذلكم الرَّان الذي ذكرَه الله تعالى في كِتابه المُبين»[١].

وقال أبو معاذ: (الرَّين: أن يَسودَّ القلب من الذُّنوب، والطبع: أن يُطبعَ على القلب، وهو أشدُّ من الرَّين، والإقفال أشدُّ من الطبع، وهو أن يُقفَلَ على القلب، قال تعالى: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾)[٢].

قوله: (**حقًّا**) وقيل: حرفُ ردع وزجر؛ أي: ليس الأمر كما يَقولون، بل إنَّهم عن ربِّهم... إلخ.

قوله: (**فلا يرَونه**) هذا هو الصحيح، وقيل: يرَونه ثمَّ يحجبون حسرةً وندامةً.

قوله: (﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾) ﴿ثُمَّ﴾: للتراخي في الرُّتبة؛ فإنَّ صَلْيَ الجحيمِ أشدُّ من الإهانةِ، والحِرمان من الرحمة والكرامة.

قوله: (﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ **لهم**) أي: مِن طرَف الخزَنة على سبيل التقريع والتوبيخ.

قوله: (﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾) أي: في الدنيا.

قوله: (﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾) بيانٌ لمحلِّ كتاب الأبرار، وما أعدَّ لهم من النَّعيم الدَّائم إثرَ بيان كتاب الفجَّار وما أعدَّ لهم من العذاب الدائم.

قوله: (**حقًّا**) وقيل: حرف ردعٍ وزجرٍ، فتحصَّل أنَّ في كلِّ واحدةٍ من الأربعةِ الواقعة في هذه السورة قولَين.

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٤٤) عن سيدنا أبي هُريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر «تفسير الرازي» (٣١/٨٨)، وأبو معاذ هو النحوي اللغوي المقرئ المَروَزي، واسمه الفضل بن خالد، والرين والران سواء، كالذَّام والذَّيم، والعابِ والعَيب.

لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ ....

في إيمانِهِم ﴿لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ قِيل: هو كِتابٌ جامِع لِأعمالِ الخَير مِن المَلائكةِ ومُؤمِني الثَّقَلَين، وقِيل: هو مَكانٌ في السَّماء السَّابِعة تحتَ العَرش، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾: أعلَمَك ﴿مَا عِلِّيُّونَ﴾: ما كِتابُ عِلِّيين؟ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَفِى عِلِّيِّينَ﴾) اسمٌ مفردٌ على صيغة الجمع، لا واحد له من لفظه[1]، سمِّي بذلك إمَّا لأنَّه سببُ العلوِّ إلى أعالي الدرجات في الجنَّة، وإمَّا لأنَّه مرفوعٌ في السماء السابعة؛ لما وردَ مرفوعاً: «﴿عِلِّيِّينَ﴾ في السَّماء السابعة تحتَ العرش»[2].

قوله: (قيل: هو كتاب... إلخ) أي: فهو علمٌ على ديوان الخير الذي دُوِّنَ فيه كلُّ عملٍ صالحٍ للثَّقلين، وردَ: «إنَّ الملائكة لَتصعد بعمل العبد، فيَستقبلونه، فإذا انتهَوا به إلى ما شاء الله من سُلطانه.. أوحى إليهم: أنتم حفَظَةٌ على عبدي، وأنا الرقيب على ما في قلبه، وإنَّه أخلَص عمله؛ فاجعلُوه في عِليين، وقد غفرتُ له، وإنَّها لتصعد بعمل العبد فتزكيه، فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله.. أوحى إليهم: أنتُم الحفظة على عبدي، وأنا الرقيبُ على قلبه، وإنَّه لم يُخلص لي عمله؛ فاجعلُوه في سجين»[3].

قال ابن عبَّاس: (هو لوحٌ من زبرجدة خضراء، معلَّقٌ تحت العرش، أعمالُهم مكتوبة فيه)، وقال كعب وقتادة: (هو قائمةُ العرش اليمين)، وقال بعض أهل المعاني: (هو علوٌّ بعد علوٍّ، وشَرفٌ بعد شرفٍ)[4].

قوله: (من الملائكة) ظاهره: أنَّ الملائكة تُكْتَبُ أعمالُهُم، ويُثابون عليها، وانظر في ذلك.

قوله: (وقيل: هو مكان... إلخ) قد يُجمع بأنَّ عليِّين اسمٌ لكلٍّ من الكتاب والمكان.

قوله: (ما كتاب عليِّين) هذا التقدير إنَّما يُحتَاجُ له على القول الثاني في تفسير (عليِّين)، لا على الأوَّل.

---

(١) أو هو جمع (عليٍّ) من العُلو. «فتوحات» (٤/ ٥٢٦).

(٢) رواه البغوي في «تفسيره» (٥/ ٢٢٣) عن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنهما، وفيه: (عليون) بدل (عليِّين)، ولعلَّ ما في الأصول على الحكاية، وبنَحوه عند الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٧).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (٤٥٢) عن ضَمرة بن حبيب مرسلاً.

(٤) انظر الأقوال الثلاثة في «تفسير البغوي» (٥/ ٢٢٥)، و«زاد المسير» (٤/ ٤١٦).

كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ ....

هو ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾: مَختُوم، ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ مِن المَلائكةِ.

(﴿٢٢﴾ - ﴿٢٨﴾) ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾: جَنَّة، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: السُّرُر في الحِجالِ ﴿يَنظُرُونَ﴾ ما أُعطُوا مِن النَّعِيم، ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾: بَهجةَ التَّنَعُّم وحُسنَه، ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾: خَمرٍ خالِصة مِن الدَّنَس، ....

حاشية الصاوي

قوله: (مختومٌ) وقيل: الرَّقم: الكتابة، والمعنى: مكتوبٌ فيه: أنَّ فلاناً آمنٌ من النَّار.

قوله: (﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾) أي: يَحضُرونه، ويَحفظونه، ويشهدون بما فيه.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾) شروعٌ في بيان عاقبة أمرهم إثرَ بيانِ حالِ كتابهم، على سَنَنِ ما مرَّ في شأن الفجّار.

قوله: (السُّرر في الحجال) جمع (حَجَلَةٍ) بفتحتين: بيتٌ مربَّع من الثياب الفاخرة، يُرْخى على السَّرير، يسمَّى في العُرف: النَّاموسيَّة.

قوله: (﴿يَنظُرُونَ﴾) الجملة حاليَّة من الضمير في خبر ﴿إِنَّ﴾، أو مُستأنفة، وقوله: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ مُتعلِّق بـ﴿يَنظُرُونَ﴾.

قوله: (﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ﴾... إلخ) أي: إنَّك إذا رأيتَهم تَعرفُ أنَّهم أهل النِّعمة؛ لما ترى في وُجوههم من الحُسن والبياض، وفي قُلوبهم من السرور والفرح.

والخطابُ للنَّبي ﷺ، أو لكلِّ مَنْ تصحُّ منه المعرفة، وهذه قراءة العامَّة، وقرأ أبو جعفر بالتاء مبنيًّا للمفعول، و(نضرةُ) بالرفع: نائب فاعل، وقرئ بالياء مبنيًّا للمفعول أيضاً، مع رفع (نضرةُ) نظراً إلى أنَّ التأنيث مَجازيٌّ[1].

قوله: (بهجةَ التَّنعُّم... إلخ) أي: لِعدم ما يُكدِّره من الأمراضِ والعللِ وخوفِ الزَّوالِ وغيرِ ذلك.

قوله: (خالصةٍ من الدَّنس) أي: الكدَر، قال تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٧].

(١) انظر «الدر المصون» (١٠/ ٧٢٤).

مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ....

﴿مَّخْتُومٍ﴾ على إنائها لا يَفُكُّ خَتمَه إلَّا هُم، ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ أي: آخِرُ شُربه يَفُوح مِنهُ رائحةُ المِسك، ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾: فليَرغَبُوا بِالمُبادَرةِ إلى طاعةِ الله، ﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ أي: ما يُمزَج به ﴿مِن تَسْنِيمٍ﴾ فُسِّرَ بِقَوله: ﴿عَيْنًا﴾ ـ فنَصبه بِـ(أمدَح) مُقدَّراً ـ ﴿يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: مِنها، أو ضَمَّنَ ﴿يَشْرَبُ﴾ مَعنَى: يَلتَذُّ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَّخْتُومٍ﴾ على إنائها) أي: لِشَرفها ونَفاستها.

إن قلتَ: قد قال في سورة (محمَّد ﷺ): ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ﴾ [محمد: ١٥]، والنَّهر لا ختمَ فيه؛ فكيف طريقُ الجمع بين الآيتين؟

أجيب: بأنَّ هذه الأواني غيرُ خمرِ الأنهار.

قوله: (﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾) صفةٌ ثانيةٌ لـ﴿رَّحِيقٍ﴾، وفي قراءة سبعيَّة أيضاً: (خَاتَمُهُ) بتاء مفتوحة بعد الألف، بيانٌ لجنس الخاتم، وقرئ شذوذاً بكسر التاء، والمعنى: خاتِمُ رائحتِهِ مسكٌ[1].

قوله: (يفوحُ منه رائحة المِسك) أي: إنَّ رائحة المسك تَظهَر في آخِرِ الشراب، فوجه التخصيص: أنَّ في العادة يُمَلُّ آخِرُ الشراب في الدنيا، فأفاد أنَّ آخرَ الشراب يَفُوح منه رائحةُ المسك؛ فلا يُمَلُّ منه.

قوله: (﴿وَفِى ذَٰلِكَ﴾) إشارةٌ للرحيق وما بعده، أو إلى ما ذكر من أحوال الأبرار.

قوله: (﴿ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾) أي: الذين شأنهم المنافَسة بكثرة الأعمال الصالحة، والنيَّات الخالصة؛ لِعُلُوِّ همَّتهم، وطَهارة نفوسهم، قال تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

قوله: (﴿مِن تَسْنِيمٍ﴾) اسمٌ للعين، سمِّيت بذلك لِما رُوي: «أنَّها تجري في الهواء مسنَّمةً، فتُصَبُّ في أواني أهل الجنَّة على مِقدار الحاجة، فإذا امتلأت أمسَكت»[2]، فالمقرَّبون يشربونها صِرْفاً، وتُمْزَجُ لسائر أهل الجنَّة.

قوله: (أو ضمَّن) أشار بذلك إلى أنَّ التَّضمين إمَّا في الحرف، أو في الفِعل.

---

(١) قرأ الكسائي: (خاتمه) بفتح التاء بعد الألف، والباقون بتقديمها على الألف، ورُوي عن الكسائي أيضاً كسر التاء. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٧٢٥).

(٢) أورده الإمام الرازي في «تفسيره» (٣١/ ٩٣).

إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ ....

(﴿٢٩﴾ - ﴿٣٢﴾) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ كأبي جهل ونحوه ﴿كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ كعمَّارٍ وبلالٍ ونحوهما ﴿يَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً بهم، ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟﴾ أي: المُؤمِنُون ﴿بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ أي: يُشِيرُ المُجرِمُون إلى المُؤمِنِين بِالجَفنِ والحاجِب استِهزاءً، ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟﴾: رجَعُوا ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ﴾ ـ وفي قِراءةٍ: ﴿فَكِهِينَ﴾ ـ: مُعجَبِين بِذِكرِهِم المُؤمِنِين، ......

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ . . . إلخ) لمَّا ذكر الله تعالى كرامةَ الأبرار في الآخرة. . ذكر بعد ذلك قبحَ معاملةِ الكفَّار معهم في الدنيا؛ تَسليةً للمؤمنين، وتقويةً لقلوبهم.

قوله: (كأبي جهلٍ ونحوه) أي: وهو الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وأصحابِهم من أهل مكَّة.

قوله: (ونحوهما) أي: كخبَّابٍ، وصهيبٍ، وأصحابِهم من فقراء المؤمنين.

قوله: (رجعُوا) أي: مِن مجالسهم.

قوله: (﴿ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ﴾) أي: مُتلذِّذين بِرِفعتهم ومكانتهم الموصِلة إلى الاستسخار بغيرهم؛ ففي الحديث: «**إنَّ الدِّين بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر**»[١]، وفي روايةٍ: «يكون المؤمن فيهم أذلَّ من الأَمَةِ»[٢]، وفي أخرى: «العالم فيهم أَنْتَنُ من جيفة حمارٍ»[٣]، والله المستَعان.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[٤].

قوله: (معجبين) راجعٌ للقراءتَين؛ أي: مُتلذِّذين بذكرهم المؤمنين، وبالضحك.

---

(١) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١١٦٤).

(٢) رواها أبو داوود في «الزهد» (١٧٦)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (٥٠١) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٨١) من حديث مَكحول رحمه الله تعالى. وانظر الروايات في «السراج المنير» (٤/ ٥٠٥).

(٤) قرأ حفص: ﴿فَكِهِينَ﴾ دون ألف، والباقُون بها؛ فقيل: هما بمعنى، وقيل: فكهين: أشِرين، وفاكِهين: من التَّفكه، وقيل: فَكِهين: فرِحين، وفاكهين: ناعِمين، وقيل: فاكهين: أصحاب فاكِهة ومزاج. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٧٢٧).

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ ....

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾: رأوا المُؤمِنين ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ لإيمانِهِم بِمُحمَّدٍ ﷺ.

(﴿٣٣﴾ - ﴿٣٦﴾) قال تعالى: ﴿وَمَآ أُرْسِلُواْ﴾ أي: الكُفَّار ﴿عَلَيْهِمْ﴾: على المُؤمِنين ﴿حَٰفِظِينَ﴾ لَهُم أو لِأعمالِهِم حتَّى يَرُدُّوهُم إلى مَصالِحِهم، ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ أي: يَوم القِيامةِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ في الجَنَّة ﴿يَنظُرُونَ﴾ مِن مَنازِلِهم إلى الكُفَّار وهُم يُعَذَّبُون، فيَضحَكُون مِنهُم كما ضَحِكَ الكُفَّار مِنهُم في الدُّنيا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾) الضمير المرفوع عائدٌ على المجرِمِين، والمنصوب عائدٌ على المؤمنين؛ أي: إذا رأى المجرمُون المؤمنين يَنسبونهم إلى الضَّلال.

قوله: (لإيمانهم بمحمَّد) أي: فهم يَرَون أنَّهم على هدًى، والمؤمنُون على ضَلال؛ حيث تركُوا النَّعيم الحاضرَ بِسبب شيءٍ غائبٍ لا يَرَونه.

قوله: (﴿وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾) حالٌ من الواو؛ أي: قالُوا ذلك والحال أنَّهم ما أُرْسِلُوا من قبل الله موكَّلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم وأعمالهم.

قوله: (حتَّى يردُّوهم إلى مَصالحهم) أي: بل أمرُوا بإصلاح أنفسهم، لا بإصلاح المؤمنين.

قوله: (﴿فَٱلْيَوْمَ﴾) منصوبٌ بـ﴿يَضْحَكُونَ﴾ الواقع خبراً عن المبتدأ، ولا يضرُّ تقدُّمه على المبتدأ؛ لأمن اللَّبس، وذلك أنَّ الظَّرف المبهَمَ لا يصحُّ وقوعه خبراً عن المبتدأ، بخلاف: (في الدار زيد قام)؛ فلا يجوز تقديم الجارِّ والمجرور على المبتدأ؛ لصلاحيَته للخبريَّة.

قوله: (﴿يَنظُرُونَ﴾) حال من ضمير ﴿يَضْحَكُونَ﴾.

قوله: (مِن منازلهم) قال كعب: (لأهل الجنَّة كُوًى يَنظرون منها إلى أهل النَّار)[1]، وقيل: حِصن شفَّاف بينهم، يرَون منه حالهم.

وفي سبب هذا الضحك وجوهٌ: منها: أنَّ الكفار كانُوا في ترفُّهٍ ونعيمٍ، فيضحكون من المؤمنين بسبب ما هم فيه من البؤس والضرِّ، وفي الآخرة ينعكس الحال، فيكون المؤمنون في النَّعيم، والكفار في الجحيم.

---

(١) أورده ابن جُزي في «تفسيره» (٥/ ٤٥٤).

﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾: جُوزِيَ ﴿ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾؟ نعَم.

حاشية الصاوي

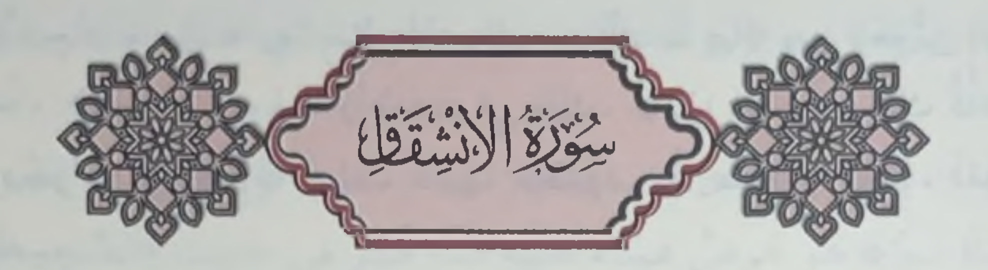
ومنها: أنَّه يقال لأهل النَّار وهم فيها: اخرجوا، وتُفْتَحُ لهم أبوابها، فإذا رأوها وقد فُتِحَتْ أبوابها.. أقبلُوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم، فإذا انتهوا إلى أبوابها.. أُغْلِقَتْ دونهم، يُفْعَلُ ذلك بهم مِراراً.

ومنها: أنَّهم إذا دخلُوا الجنَّة وأجلسُوا على الأرائك.. ينظرون إلى الكفار كيف يعذَّبون في النَّار، ويرفعون أصواتهم بالويل والثُّبور، ويَلعن بعضهم بعضاً، فهذا سبب ضحكهم.

قوله: (﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ﴾... إلخ) يحتمل أنَّه مَقول قول محذوف، والتقدير: يقول الله لأهل الجنَّة، أو يقول بعض المؤمنين لبعضٍ: هل ثوِّب... إلخ، ويحتمل أنَّه متعلِّق بـ﴿يَنظُرُونَ﴾، والمعنى: ينظرون هل جُوزي الكفَّار، فمحلُّها نصبٌ إمَّا بالقول المحذوف، أو بـ﴿يَنظُرُونَ﴾، وقوله: (جوزي) إشارةٌ إلى أنَّ التَّثويبَ بمعنى الجزاء، وهو يكون في الخير والشَّرِّ، والمراد هنا الثاني، وقوله: (نعم) جوابُ الاستفهامِ على كلٍّ.

✿ ✿ ✿

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣﴾ ....



مكيَّة، ثلاثٌ أو خمسٌ وعِشرُون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٥) ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ﴾: سَمِعَت وأطاعَت في الانشِقاق ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي: وحُقَّ لَها أن تَسمَعَ وتُطِيع، ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾: زِيدَ في سَعَتها ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الانشقاق

قوله: (﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾) أي: انصدعت بغمامٍ يخرج منها، وهو البياض في جوانب السماء لتنزُّلِ الملائكة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥].

قوله: (﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾) أي: انقادت لأمره.

قوله: (سمعت وأطاعت) أي: فشبَّه حال السماء في انقيادها لتأثيرِ قدرة الله تعالى حيث أراد انشقاقها بانقياد المستمع المطيع لأمره؛ وذلك أنَّ السماوات لمَّا علمت مرادَ اللهِ وتَعَلُّقَ إرادتِهِ بانشقاقها.. سلَّمت وفوَّضت أمرها، ولم تنازع في ذلك.

قوله: (﴿وَحُقَّتْ﴾) بالبناء للمفعول، والفاعل في الأصل محذوف وهو الله تعالى، وكذا المفعول، والأصل: وحَقَّ اللهُ عليها استماعَها، فحذف الفاعل، ثمَّ المفعول، وأسند الفعل إلى ضمير السماوات، والمعنى: وحُقَّ لها استماعُها؛ لعلمها بأنَّ مراد الله نافذٌ، فهي أهلٌ لأن تسمع وتطيع، قال تعالى: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

قوله: (﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾) أي: بُسِطَتْ، ودُكَّتْ جبالُها.

وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ ....

كما يُمَدُّ الأدِيم ولَم يَبقَ علَيها بِناءٌ ولا جبَل، ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ مِن المَوتَى إلى ظاهِرِها ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ عنهُ، ﴿وَأَذِنَتْ﴾: سَمِعَت وأطاعَت في ذلك، ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ وذلك كُلُّه يَكُون يَوم القِيامة، ـ وجَواب ﴿إِذَا﴾ وما عُطِف علَيها مَحذُوف دلَّ علَيهِ ما بَعدَه، تَقدِيرُه: لَقِيَ الإنسانُ عَمَلَه ـ.

﴿٦﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾: جاهِدٌ في عَمَلك ....

حاشية الصاوي

قوله: (كما يُمَدُّ الأديم) أي: وهو الجلد؛ لأنَّه إذا مُدَّ زال كلُّ انثناء فيه، وامتدَّ، واستوى.

قوله: (ولم يَبْقَ عليها بناءٌ ولا جبلٌ) أي: فيُزَادُ في سعتها؛ لوقوف الخلائق عليها للحساب، حتَّى لا يكون لأحدٍ من البشر إلَّا موضعُ قدمِهِ؛ لكثرة الخلائق فيها، وظاهر الآية: أنَّ الأرض تمدُّ مع بقائها، وليس كذلك، بل تُبدَّلُ بأرضٍ أخرى، بدليل آية: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

قوله: (من الموتى) أي: والكنوزِ والمعادنِ والزُّروعِ.

قوله: (﴿وَتَخَلَّتْ﴾) أي: خلا جوفها، فلم يَبْقَ في بطنها شيءٌ.

قوله: (﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾) ليس تكراراً؛ لأنَّ هذا في الأرض، وما تقدَّم في السماوات.

قوله: (وأطاعت في ذلك) أي: الإلقاءِ والتَّخلِّي.

قوله: (دلَّ عليه ما بعده) أي: وهو قوله: ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾.

قوله: (تقديره: لقي الإنسان... إلخ) قدَّره غيره: (علمت نفس)، وهو أحسن؛ لأنَّه تقدَّم في (التكوير) و(الانفطار)،

وخَيْرُ ما فَسَّرْتَهُ بِالوارِدِ

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾... إلخ) يحتمل أنَّ المراد به الجنسُ، وبه قال سعيد وقتادة، ويحتمل أنَّه معيَّنٌ وهو الأسود بن عبد الأسد، وقيل: أبيُّ بن خلف، وقيل: جميع الكفَّار(١).

قوله: (﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾) الكدح: العمل والكسب والسَّعي.

---

(١) وقيل: المراد منه رجل بعَينه، فقيل: هو محمَّد ﷺ، والمعنى: إنَّك كادح في إبلاغ رسالات الله تعالى، وإرشادِ عباده، وتحمُّل الضررِ من الكفار، فأبشر فإنك تَلقى الله تعالى بهذا العمل، وقال ابن عباس: هو أبيُّ بن خلف، وكدحُه هو جِدُّه واجتهاده في طَلب الدنيا، وإيذاء النبيِّ ﷺ، والإصرار على الكُفر. انظر «السراج المنير» (٤/ ٥٠٧).

إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾

﴿إِلَىٰ﴾ لِقاء ﴿رَبِّكَ﴾ وهو المَوتُ ﴿كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ أي: مُلاقٍ عَمَلَك المَذكُور مِن خَير أو شَرٍّ يَومَ القِيامة.

(﴿٧﴾ - ﴿٩﴾) ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾: كِتاب عَمَلِه ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾ هو المُؤمنُ، ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ هو عَرضُ عَمَلِه علَيهِ كما فُسِّر في حَدِيث «الصَّحِيحَين»، وفيهِ: «مَن نُوقِشَ الحِسابَ هَلَكَ»، وبعدَ العَرض يُتَجاوَز عَنهُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾) ﴿إِلَىٰ﴾: حرف غاية، والمعنى: غايةُ كدحك في الخير أو الشَّرِّ ينتهي بلقاء ربِّك، وهو الموت.

قوله: (﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾) إمَّا معطوفٌ على ﴿كَادِحٌ﴾، أو خبرُ مبتدأ محذوف؛ أي: فأنت مُلاقيه، والجملة معطوفة على جملة ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾.

قوله: (أي: مُلاقٍ عملَكَ) أشار بذلك إلى أنَّ الضمير في (مُلاقِيهِ) عائدٌ على الكدح الذي هو بمعنى العمل، والكلام على حذف مضاف؛ أي: مُلاقٍ حسابَهُ وجزاءه، ويصحُّ أن يكون عائداً على الله تعالى، والمعنى: مُلاقٍ ربَّه، فلا مفرَّ له منه.

قوله: (هو المؤمن) أي: ولو عاصياً مستحقًّا للنَّار.

قوله: (هو عرض عمَله عليه) أي: بأن تعرض أعماله، ويعرف أنَّ الطاعة منها هذه، وأنَّ المعصية هذه، ثمَّ يثاب على الطاعة، ويتجاوز عن المعصية، فهذا هو الحساب اليسير؛ لأنَّه لا شدَّة فيه على صاحبه، ولا مناقشة، ولا يُقال له: لم فعلتَ هذا؟ ولا يطالب بالعذر، ولا بالحجَّة عليه.

قوله: (كما فسِّر في حديث «الصحيحين») أي: وهو ما وردَ عن عائشة ﵂ أنَّها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حوسب عُذِّب»، قالت عائشة: فقلتُ: أوَليس يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ فقال: «إنَّما ذَلِكِ العَرْضُ، ولكن مَنْ نُوقش الحساب هَلَكَ»[١]، وفي رواية: «عُذِّبَ»[٢].

(١) «صحيح البخاري» (٤٩٣٩)، و«صحيح مسلم» (٢٨٧٦).

(٢) رواها البُخاري (٦٥٣٧)، ومسلم (٢٨٧٦/٧٩).

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ في الجنَّة ﴿مَسْرُورًا﴾ بذلك.

(۝١٠ - ۝١٥) ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ هو الكافِر، تُغَلُّ يُمناهُ إلى عُنُقه وتُجعَلُ يُسراهُ وراءَ ظَهرِه، فيَأخذ بها كِتابَه، ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟﴾ عِند رُؤيَتِه ما فِيه ﴿ثُبُورًا﴾: يُنادِي هَلاكه بِقَولِه: يا ثُبوراه، ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ يَدخُل النَّارَ الشَّدِيدة، ـ وفي قِراءة بِضَمِّ الياء وفَتح الصَّاد واللَّام المُشدَّدة ـ، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ﴾: عَشِيرَته في الدُّنيا ﴿مَسْرُورًا﴾: بَطِراً بِاتِّباعِه هَواهُ، ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن﴾ ـ مُخفَّفة مِن الثَّقِيلة واسمها مَحذُوف ـ أي: أنَّهُ ﴿لَّن يَحُورَ﴾: يَرجِعَ إلى ربِّه، ﴿بَلَىٰٓ﴾ يَرجِع إلَيهِ ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾: عالِماً بِرُجُوعِه إلَيه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيَنقَلِبُ﴾) أي: يرجع بنفسه.

قوله: (﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾) أي: من الآدميَّات، والحور العين، وأصوله وفروعه.

قوله: (﴿وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾) منصوبٌ بنزع الخافض.

قوله: (تغلُّ يُمناه... إلخ) قصد بذلك التَّوفيق بين هذه الآية وآيةِ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة: ٢٥].

قوله: (يُنادي هلاكه) أي: يتمنَّاه؛ إذ نداءُ ما لا يَعْقِلُ هو تمنِّيه.

قوله: (بطراً) أي: فخراً ورياءً، فأبدله الله بذلك حزناً وغمًّا لا ينقطع أبداً.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ﴾) أي: تيقَّن وعلم.

قوله: (مُخفَّفة من الثقيلة) أي: ولا يصح أن تكون مصدريَّة؛ لِما يلزم عليه من دخول النَّاصب على مثله. والجملة سادَّةٌ مسدَّ مفعولي ﴿ظَنَّ﴾.

قوله: (يرجع إلى ربِّه) أي: فالحَوْرُ: الرجوعُ والتَّردُّدُ في الأمر، وبابه (قال) و(دخل).

قوله: (﴿بَلَىٰٓ﴾) جوابُ النَّفي، وقوله: (﴿إِنَّ رَبَّهُۥ﴾... إلخ) جوابُ قسمٍ مقدَّرٍ، فهو بمنزلة التَّعليل للجملة المستفادة من (بلى).

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾

(١٦ - ١٩) ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ ـ (لا) زائِدة ـ ﴿بِٱلشَّفَقِ﴾ هو الحُمرة في الأُفُق بَعد غُروب الشَّمس، ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾: جَمَع ما دَخَل علَيهِ مِن الدَّوابِّ وغَيرها، ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾: اجتَمَعَ وتَمَّ نُورُه، وذلك في اللَّيالِي البِيض، ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾ أيُّها النَّاس، ـ أصلُه: (تَرَكَبُونَنَّ) حُذِفَت نُون الرَّفع لِتَوالِي الأمثال والواوُ لِالتقاءِ السَّاكِنَين ـ ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾: حالاً بَعد حالٍ وهو المَوت ثُمَّ الحَياةُ وما بَعدها مِن أحوالِ القِيامة.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾) الفاء واقعة في جواب شرطٍ مقدَّرٍ؛ أي: إذا عرفتَ هذا.. فلا أقسم... إلخ.

قوله: (﴿بِٱلشَّفَقِ﴾) أي: وهو اختلاط ضوء النَّهار بسواد الليل عند غروب الشمس، وهو الحمرة التي تكون عند ذلك، سمِّي شفقاً؛ لرقَّته، ومنه: الشَّفقة على الإنسان، وهي رقَّةُ القلب عليه.

قوله: (﴿وَمَا وَسَقَ﴾) (ما): موصولٌ اسميٌّ، أو نكرةٌ موصوفةٌ، أو مصدريَّةٌ[1].

قوله: (جمَع ما دخل عليه) أي: ضمَّ ما كان منتشراً بالنَّهار من الخلق والدَّوابِّ والهوامِّ.

قوله: (وغيرها) أي: كالأشجار والبحار؛ فإنَّه إذا دخل الليل.. انضمَّ وسكن.

قوله: (وذلك في الليالي البيض) أي: وهي ليلة الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر من الشَّهر.

قوله: (﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾) جواب القسم، بضمِّ الباء خطابٌ للجمع، وبفتحها خطابٌ للواحد، قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿طَبَقًا﴾) مفعولٌ به، أو حالٌ.

قوله: (بعد حال) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿عَن﴾ بمعنى (بعد) صفة لـ﴿طَبَقًا﴾.

قوله: (وهو الموت ثم الحياة... إلخ) هذا قول ابن عبَّاس، وقال عكرمة: (رضيعٌ، ثمَّ فطيمٌ، ثمَّ غلام، ثمَّ شابٌّ، ثمَّ شيخ)، وقيل: المعنى: لتركبنَّ سَنن مَنْ قبلكم وأحوالهم.

---

(١) وعلى كونها موصولةً أو نكرةً فعائد الصلة أو الصفةِ محذوفٌ؛ أي: جمعه. «فتوحات» (٤/ ٥٣٢).

(٢) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بفتح الباء الموحَّدة على خطاب الإنسان، والباقون بضمِّها على خِطاب الجمع، وهو معنى الإنسان؛ إذ المراد به الجنس. انظر «السراج المنير» (٤/ ٥٠٨).

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾

(﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾) ﴿فَمَا لَهُمْ﴾ أي: الكُفَّار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أيُّ مانِعٍ مِن الإيمانِ، أو أيُّ حُجَّة لَهُم في تَركِه مَع وُجُود بَراهِينِه؟ ﴿وَ﴾ ما لَهم ﴿إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾: يَخضَعُون بِأن يُؤمِنُوا بِه لِإعجازِه؟

(﴿٢٢﴾ - ﴿٢٥﴾) ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ بِالبَعثِ وغَيرِه، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾: يَجمَعُون في صُحُفِهم مِن الكُفر والتَّكذِيب وأعمالِ السُّوء، ﴿فَبَشِّرْهُم﴾: أَخبِرهُم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤلِم، ﴿إِلَّا﴾: لكنِ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غَيرُ مَقطُوع ولا مَنقُوصٍ ولا يُمَنُّ بِه علَيهِم.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَمَا لَهُمْ﴾) الفاء: لترتيب ما بعدها من الإنكار، والتعجيب على ما قبلها من أحوال يوم القيامة وأهواله الموجبة للإيمان؛ لظهور الحجَّة؛ لأنَّ ما أقسَم به من التغييرات العلويَّة والسفليَّة يدلُّ على خالقٍ عظيمِ القدرة، يبعدُ عمَّن له عقلٌ عدمُ الإيمانِ بِه والانقيادِ له.

قوله: (﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ﴾) أي: مِنْ أيِّ قارئٍ، وهذا شرطٌ، وجوابه: ﴿لَا يَسْجُدُونَ﴾، وهذه الجملة الشرطيَّة في محلِّ نصبٍ على الحال، معطوفة على الحال السابقة، وهي قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

قوله: (يَخضعون) أي: فالمراد بالسجود: اللغويُّ، لا العرفيُّ، وهذا أحدُ قولين، والآخر: أنَّ المراد به: السجودُ الحقيقيُّ الذي هو سجود التلاوة، وقد اختَلفت الأئمَّة في ذلك[1].

قوله: (في صُحفهم) الأوضح أن يقول: (في صدورهم)؛ لأنَّ الوعي معناه لغةً: الحفظُ.

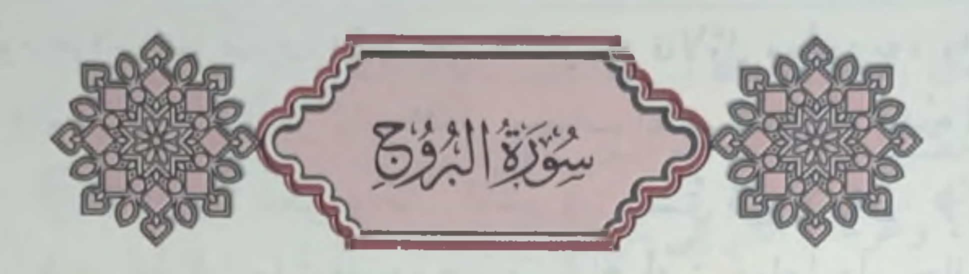
قوله: (لكن ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾) أشار بذلك إلى أنَّ الاستثناء منقطعٌ؛ لأنَّ ما قبل (إلا) في الكفَّار لا غير.

قوله: (﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾) استئنافٌ مقرِّرٌ لما أفاده الاستثناء.

✿ ✿ ✿

(١) فليست من سُجود التلاوة عند المالكية، خلافاً للحنفية والشافعية والحنابلة. انظر «شرح مختصر خليل» (٤/ ٢٣٦)، و«تحفة المحتاج» (٢/ ٢٠٤)، و«حاشية الطحطاوي» (١/ ٤٨٣)، و«المغني» لابن قُدامة (١/ ٤٤٣).

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ ....



مكيَّة، ثِنتان وعِشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(﴿١﴾ - ﴿٣﴾) ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾: لِلكَواكِب اثنا عَشرَ بُرجاً تَقدَّمَت في (الفُرقان)، ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾: يَومُ القِيامة، ﴿وَشَاهِدٍ﴾: يَوم الجُمعة ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ البُرُوجِ

حكمةُ نزول هذه السورة: تثبيت المؤمنين على إيمانهم وصَبرهم على أذى الكفار؛ بتذكيرهم بما جرى لمن تقدَّمهم.

قوله: (﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾) أي: صاحبة الطرق والمنازل التي تسير فيها الكواكب السَّبعة، سمِّيت بروجاً؛ لظهورها؛ لأنَّ البرج في الأصل: الأمر الظاهر، من: التبرُّج، ثمَّ صار حقيقةً عرفيَّةً للقصر البالي؛ لظهوره.

قوله: (**تقدَّمت في «الفرقان»**) نصُّه هناك: (﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، وهي منازل الكواكب السَّبعة السيَّارة: المرِّيخ وله الحمل والعقرب، والزهرة ولها الثَّور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوت، وزحل وله الجدي والدلو). انتهى[١].

قوله: (﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾) أي: الموعود به، ففيه الحذف والإيصال.

قوله: (**يوم الجمعة**) خصَّ مع أنَّ باقي الزمان يُشْهَدُ كذلك؛ لاختصاصه بمزيَّةٍ، وهي كونُهُ فيه ساعةُ إجابةٍ، واجتماعُ النَّاس.

---

(١) انظر (٤/ ٥٧٧-٥٧٨).

وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ ....

﴿وَمَشْهُودٍ﴾ يوم عَرَفة، كذا فُسِّرَت الثَّلاثةُ في الحَدِيث؛ فالأوَّل مَوعُود بِه، والثَّانِي شاهِد بِالعَمَلِ فِيه، والثَّالِث تَشهَدهُ النَّاس والمَلائكةُ، وجَواب القَسَم مَحذُوفٌ صَدرُه تَقدِيرُه: لَقَد ﴿قُتِلَ﴾ [﴿٤﴾ - ﴿٧﴾]: لُعِن ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾: الشَّقّ في الأرض، ﴿ٱلنَّارِ﴾ ـ بَدل اشتِمال مِنهُ ـ ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾: ما تُوقَد بِه، ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ أي: حَولها على جانِب الأُخدُود على الكَراسِيِّ ﴿قُعُودٌ ﴿٦﴾﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (كذا فُسِّرت الثلاثة في الحديث) أي: وهو ما رُوي: «اليوم الموعود: يوم القيامة، واليوم المشهود: يوم عرفة، والشاهد: يوم الجمعة» خرَّجه الترمذي[1].

واختلف في تفسير الشاهد والمشهود على أقوال كثيرة؛ منها: ما ذكره في الحديث، ومنها: الشاهد: يوم التروية، والمشهود: يوم عرفة، ومنها: الشاهد: هو الله، والمشهود: يوم القيامة، ومنها: الشاهد: هم الأنبياء، والمشهود عليهم: هم الأُمَم، ومنها: الشاهد: أعضاء الإنسان، والمشهود عليه: هو ابن آدم، ومنها غير ذلك، والأحسَنُ أن يراد ما هو أعمُّ؛ ولذلك نكَّرهما؛ ليعمَّ كلَّ شاهدٍ ومشهودٍ.

قوله: (محذوفٌ صدره) أي: لأنَّ المشهور عن النحاة: أنَّ الماضي المثبت المتصرف الذي لم يتقدَّم معموله؛ إذا وقع جواباً للقسَم.. تَلزمه اللام و(قد)، ولا يجوز الاقتصار على أحدهما إلَّا عند طول الكلام، أو في ضرورة.

قوله: (تقديره: لقد قتل... إلخ) أي: وعليه: فالجملة خبريَّة، والأصل فيها الدعاء.

قوله: (الشقّ في الأرض) أي: فالأخدود مفرد، جمعه: أخاديد.

قوله: (بدل اشتمال منه) أي: لأنَّ الأخدود مشتملٌ على النَّار.

قوله: (ما تُوقد به) أي: فالوَقود بالفتح: الاسم، وأمَّا بالضمِّ.. فهو المصدر.

قوله: (﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾) ظرفٌ لـ﴿قُتِلَ﴾، والمعنى: حين حرقُوا بالنَّار قاعدين عليها في مكانٍ مُشرفٍ عليها من حافات الأخدود.

---

(١) «سُنن الترمذي» (٣٣٣٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ ....

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ باللهِ مِن تَعذِيبِهم بِالإلقاءِ في النَّار إن لَم يَرجِعُوا عن إيمانِهِم ﴿شُهُودٌ﴾: حُضُورٌ، رُوِيَ أنَّ الله أنجى المُؤمِنِين المُلقَينَ في النَّار بِقَبضِ أرواحِهم قبلَ وُقُوعِهم فِيها، وخَرَجَت النَّارُ إلى مَن ثَمَّ فأحرَقَتهم.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿شُهُودٌ﴾) أي: يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنَّ أحداً لم يقصر فيما أمر به، فهو من الشهادة بمعنى: تأدية الخبر، أو المراد: شهود يشهدون بما فعلُوا بالمؤمنين، فهو من الشهادة بمعنى: الحضور، وعليه اقتصر المفسِّر.

قوله: (روي: أنَّ الله أنجى المؤمنين. . . إلخ) أي: وكانُوا سبعةً وسبعين، وهؤلاء لم يرجعُوا عن دينهم، والذين رجعُوا عشرة، أو أحد عشر، وقوله: (إلى مَنْ ثَمَّ) أي: إلى مَنْ هم قعود على الأخدود، ولم يَرد نصٌّ بتعيينهم.

واعلم: أنَّه اختلف المفسِّرون في أصحاب الأخدود؛ فروي عن صهيب: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «كان ملكٌ فيمن كان قبلكم، وكان له ساحرٌ، فلمَّا كَبِرَ. . قال للملك: إنِّي قد كبرت، فابعث إليَّ غلاماً أعلِّمُهُ السِّحرَ، فبعث إليه غلاماً يُعلِّمه، وكان في طريقه إذا سلك إليه راهبٌ، فقعد إليه، وسمع كلامه، وأعجبه، فكان إذا أتى السَّاحر من الراهب. . وقف إليه، فإذا أتى السَّاحر. . ضربه، وإذا رجع من الساحر. . قعد إلى الراهب، وسمع كلامه، فإذا أتى أهله. . ضربوه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيتَ السَّاحر. . فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيتَ أهلَكَ. . فقل: حبسني السَّاحر، فبينما هو كذلك؛ إذ أتى على دابَّةٍ عظيمةٍ قد حَبَسَتِ النَّاسَ، فقال: اليومَ أعلمُ؛ الراهبُ أفضلُ أم السَّاحر؟ فأخذ حجراً ثمَّ قال: اللهمَّ؛ إن كان أمر الراهب أحبَّ إليك من أمر السَّاحر. . فاقتل هذه حتَّى يمضي النَّاس، فرماها فقتلها، فمضى النَّاس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أَيْ بنيَّ؛ أنت اليوم أفضلُ منِّي، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنَّك ستُبْتَلى، فإن ابتليتَ. . فلا تدلَّ عليَّ، فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي النَّاس من سائر الأدواء، فسمع جليس الملك وكان قد عَمِيَ، فأتاه بهدايا كثيرةٍ فقال: ما ها هنا لك أجمعُ إن أنت شفيتَني، قال: إنِّي لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله عزَّ وجلَّ، فإن آمنتَ بالله. . دعوتُ الله عزَّ وجلَّ، فشفاك، فآمن بالله، فشفاه الله عزَّ وجلَّ، فأتى الملكَ، فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: مَنْ ردَّ عليك

. . . .

حاشية الصاوي

بصرك؟ قال: ربِّي، قال: ولك ربٌّ غيري؟ قال: اللهُ ربِّي وربُّك، فأخذه فلم يَزل يعذِّبُهُ حتَّى دلَّه على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أَيْ بنيَّ؛ قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل! فقال: إنِّي لا أشفي أحداً، إنَّما يشفي الله عزَّ وجلَّ، فأخذه فلم يزل يعذِّبُهُ حتَّى دلَّ على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مَفْرِقِ رأسه، فشقَّه به حتَّى وقع شقَّاه، ثمَّ جيء بجليس الملك، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مَفْرِقِ رأسِهِ، فشقَّه به حتَّى وقع شقَّاه، ثمَّ جيء بالغلام، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفَعه إلى نفرٍ من أصحابه، فقال لهم: اذهبُوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدُوا به الجبل، فإذا بلغتم ذُرْوَتَهُ؛ فإن رجع عن دينه، وإلَّا . . فاطرحوه، فذهبُوا به، فصعدُوا به الجبل، فقال: اللهمَّ؛ اكفنيهم بما شئتَ، فَرَجَفَ بهم الجبلُ، فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانِيهم الله، فدفعه إلى نفرٍ مِنْ أصحابه، فقال: اذهبُوا به، فاحملوه في قُرْقُورٍ، فتوسَّطُوا به البحر، فإن رجع عن دينه، وإلَّا . . فاقْذِفُوه، فذهبُوا به، فقال: اللهمَّ؛ اكفنِيهم بما شئتَ، فانكفأَتْ بهم السَّفينة، فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله تعالى، فقال للملك: إنَّك لَسْتَ بقاتلي حتَّى تفعلَ ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمعُ النَّاس في صعيدٍ واحدٍ، وتَصْلُبُنِي على جذعٍ، ثمَّ تأخذ سهماً من كنانتي، ثمَّ ضع السَّهمَ في كبد القوس، ثمَّ قُل: باسم الله ربِّ الغلام، ثمَّ ارمني؛ فإنَّكَ إذا فعلتَ ذلك . . قتلتَني، فجمع النَّاسَ في صعيدٍ واحدٍ، وصلبه على جذعٍ، ثمَّ أخذ سهماً من كنانته، ثمَّ وضع السَّهمَ في كبد القوس، ثمَّ قال: باسم الله ربِّ الغلام، ثمَّ رماه، فوقع السَّهمُ في صُدغه، فوضع يده على صدغه موضع السَّهم، فمات، فقال النَّاس: آمنَّا بربِّ الغلام ـ ثلاثاً ـ فأتي الملكُ، فقيل له: أرأيتَ ما كُنْتَ تحذر، فقد واللهِ نزل بك حذرُكَ، قد آمن النَّاس، فأَمَرَ بالأخدود، فخُدَّت بأفواه السِّكك، وأَضْرَمَ النِّيرانَ وقال: مَنْ لم يرجع عن دينه . . فأحمُوه، ففعلوا، حتَّى جاءت امرأةٌ معها صبيٌّ لها، فتقاعسَتْ أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أُمَّاه؛ اصبري، فإنَّكِ على الحقِّ»[1].

ورُوي عن مقاتل: (كانت الأخاديد ثلاثة: واحدة بنجران باليمن، وأخرى بالشام، وأخرى بفارس، حُرِّق أصحابها بالنَّار؛ أمَّا التي بالشام والتي بفارس . . فلم يُنزِل الله فيهما قرآناً، وأنزل

---

(١) رواه مُسلم (٣٠٠٥).

﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾ ....

(٨ - ٩) ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ في مُلكِه ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾: المَحمُود، ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: ما أنكَرَ الكُفَّار على المُؤمِنين إلَّا إيمانَهُم.

حاشية الصاوي

في التي كانت بنَجران؛ وذلك أنَّ رجلاً مسلماً ممَّن يقرأ الإنجيل أجَّر نفسه في عملٍ، وجعل يقرأ الإنجيل، فرأت بنت المستأجر النور ـ يعني: من قراءة الإنجيل ـ فذكرت لأبيها، فسأله، فلم يُخبره، فلم يزل به حتَّى أخبره بالدِّين والإسلام، فتابعه على دينه هو وسبعة وثمانون إنساناً ما بين رجلٍ وامرأةٍ، وهذا بعدما رُفِعَ عيسى إلى السماء، وقبل مبعث النَّبي ﷺ بسبعين سنةً، فسمع ذلك رجلٌ اسمه يوسف بن ذي نواس، فخدَّ لهم في الأرض، وأوقد لهم فيها، فعرضهم على الكفر، فمَنْ أبى أن يكفر.. قذَفه في النَّار، ومَنْ رجع عن دين عيسى.. لم يقذفه.

وروي: أنَّ امرأةً جاءت ومعها ولدٌ صغير لا يتكلَّم، فلمَّا قامت في شفير الخندق.. نظرَت إلى ابنها، فرجعت عن النَّار، فضُرِبَتْ حتَّى تقدَّمت، فلم تزل كذلك ثلاث مرات، فلمَّا كانت في الثالثة.. ذهبت ترجع، فقال لها ابنها: يا أمَّاه؛ إنِّي أرى أمامك ناراً لا تطفئ ـ يعني: نارَ جهنَّم ـ إن لم تقعي في هذه النَّار، فلمَّا سمعت ذلك.. قذفا جميعاً أنفسَهما في النَّار، فجعلهما الله في الجنَّة، فقُذِفَ في النَّار في يومٍ واحدٍ سبعةٌ وسبعون إنساناً)[١]، وروي غير ذلك.

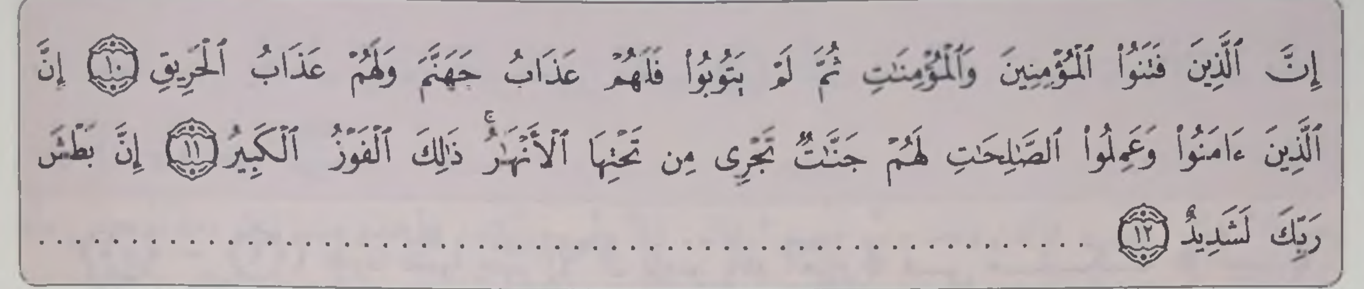
قوله: (﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾... إلخ) أي: ما عابُوا منهم إلَّا إيمانهم، وإنَّما عبَّر بالمستقبل مع أنَّ الإيمان وقع منهم في الماضي؛ لأنَّ تعذيبهم والإنكار ليس للإيمان الذي وُجِدَ منهم في الماضي، بل لدوامِهم عليه في المستقبل؛ إذ لو كفرُوا في المستقبل.. لما عُذِّبُوا على ما مضى، فكأنَّه قال: إلا أن يَستمرُّوا على إيمانهم.

قوله: (﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) بيانٌ لكونه العزيزَ الحميدَ.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾) فيه وعدٌ ووعيدٌ.

---

(١) انظر «السراج المنير» (٤/ ٥١٢)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٧٠).


إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ....

(﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بـالإحـراقِ ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بِكُفرِهِم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: عَذابُ إحراقِهم المُؤمِنين في الآخِرة، وقِيل: في الدُّنيا بِأن خرَجَتِ النَّار فأحرَقَتهُم كما تَقدَّم. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

(﴿١٢﴾ - ﴿١٦﴾) ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ بِالكُفَّار ﴿لَشَدِيدٌ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾... إلخ) أي: حرَّقوهم بالنَّار، يقال: فتنْتُ فلاناً: إذا حرقتَهُ.

قوله: (﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾) أي: لم يرجعُوا عمَّا هم عليه من الكفر، وفيه دليلٌ على أنَّهم إن تابُوا وآمنوا.. قَبِلَهُم وأخرجهم من هذا الوعيد. والتعبير بـ(ثمَّ) إشارةٌ إلى أنَّ التوبة مقبولةٌ وإن طال الزَّمن، ما لم تحصل الغرغرة.

قوله: (﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾) هو خبر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ﴾، ودخلت الفاء؛ لما تضمَّنه المبتدأ من الشَّرط.

قوله: (﴿عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾) من إضافة المسبَّب للسبب؛ أي: عذابٌ سببُه إحراقُ المؤمنين.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) لمَّا ذكر وعيدَ الكفَّار.. أتبعه بذكر ما أعدَّ للمؤمنين.

قوله: (﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾) أي: من تحت قُصورها وغُرَفها، يتلذَّذون ببردها في نظير الحرِّ الذي صبرُوا عليه في الدنيا، ويزول عنهم برؤية ذلك مع خضرةِ الجِنَانِ جميعُ المضارِّ والأحزان.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾) اسمُ الإشارةِ عائدٌ على ما ذكر من حيازتهم للجنان، وعبَّر بالإشارة المفيدة للبعد؛ لعلوِّ درجتِهم في الفضل والشَّرف.

قوله: (﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾) البطشُ: الأخذ بعنفٍ، فإذا وُصِفَ بالشدَّة.. كان متضاعفاً جدًّا، وهو انتقامُهُ وتعذيبُهُ للكفرة.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾ ....

بِحسَب إرادَتِه، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ﴾ الخَلقَ ﴿وَيُعِيدُ﴾ فلا يُعجِزهُ ما يُريد، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لِلمُذنِبين المُؤمِنين ﴿ٱلْوَدُودُ﴾: المُتودِّد إلى أَولِيائِه بِالكَرامة، ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾: خالِقُه ومالِكُه، ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ ـ بِالرَّفعِ ـ: المُستَحِقُّ لِكَمالِ صِفات العُلُوِّ، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ لا يُعجِزهُ شَيء.

حاشية الصاوي

قوله: (بحسَب إرادته) ردٌّ بذلك على الفلاسفة القائلين بأنَّه واجبٌ بالذَّات؛ كيف وقد قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]؟

قوله: (﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾) أي: ومَنْ كان قادراً على ذلك.. كان بطشُهُ في غاية الشدَّة.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾) أي: الماحي لذنوب المؤمنين وإن لم يتوبوا؛ لأنَّ الآية مذكورةٌ في معرض التَّمدُّح، والتَّمدحُ بكونه غفوراً مطلقاً أتمُّ، فالحملُ عليه أولى.

قوله: (المُتودِّدُ إلى أوليائه بالكرامة) أشار بذلك إلى أنَّ (فعولاً) بمعنى (فاعل)، ويصحُّ أن يكون بمعنى (مفعول) أي: يودُّه عبادُهُ ويحبُّونه.

قوله: (﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ بالرفع) أي: وبالجرِّ، قراءتان سبعيَّتان، فالرفع على أنَّه نعتٌ لـ﴿ٱلْغَفُورُ﴾، والجرُّ على أنَّه نعتٌ لـ﴿ٱلْعَرْشِ﴾، ومجدُهُ: علوُّه وعظمتُهُ[1].

قوله: (﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾) أتى بصيغة (فعَّال) إشارةً للكثرة، وختمَ به الصِّفاتِ؛ لكونه كالنتيجة لها، والمعنى: يفعل ما يريد، لا يُعْتَرَضُ عليه، ولا يغلبه غالب، فيُدْخِلُ أولياءه الجنَّة، لا يمنعُهُ مانعٌ، ويدخل أعداءه النَّار، لا ينصرُهم منه ناصرٌ.

وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّ جميع أفعال العباد مخلوقةٌ لله تعالى، ولا يجب عليه شيءٌ؛ لأنَّ أفعاله بحسَب إرادته.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بجرِّ الدال على أنه نعتٌ لـ(العرش)، أو لـ(ربك) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾، وقرأ الباقون برفع الدال على أنه خبرٌ بعد خبرٍ، وقيل: هو نعت لـ(ذو)، واستَدل بعضهم على تعدُّد الخبر بهذه الآية، ومَنْ منع.. قال: لأنَّها في معنى خبر واحد؛ أي: جامع بين هذه الأوصاف الشريفة، أو كلٌّ منها خبر لِمبتدأ مُضمر. انظر «السراج المنير» (٤/ ٥١٤).

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ ....

(١٧ - ٢٠) ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ - بدل من ﴿الْجُنُودِ﴾ -، واستغنيَ بذكرِ فرعونَ عن أتباعِه وحَديثهم أنَّهم أُهلِكُوا بكُفرِهم، وهذا تنبيه لِمَن كَفَر بالنَّبيِّ ﷺ والقُرآن ليتَّعِظُوا، ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ بما ذُكِر، ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ لا عاصِمَ لَهُم مِنه.

(٢١ - ٢٢) ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾: عَظِيم ﴿فِي لَوْحٍ﴾ هو في الهَواءِ فوقَ السَّماء السَّابِعة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هَلْ أَتَاكَ﴾... إلخ) يصحُّ أن تكون ﴿هَلْ﴾ بمعنى (قد) إن كان سبق له إتيانٌ، أو لطلب الإخبار إن لم يكن أتاه كما تقدَّم.

قوله: (بدلٌ من ﴿الْجُنُودِ﴾) أي: على حذف مضاف؛ أي: جنود فرعون، وهو بدلُ كلٍّ من كلٍّ، أو المراد بـ(فرعون): هو وقومه، واكتفى بذكره عنهم؛ لأنَّهم أتباعه، وعليه اقتصر المفسِّر، وخصَّ فرعون وثمود بالذِّكر؛ لشهرتهما عند العرب.

قوله: (وحديثُهم أنَّهم... إلخ) أي: فهو ما صدر عنهم من التَّمادي في الكفر والضلال، وما حلَّ بهم من العذاب.

قوله: (﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾) أي: من قومك، وهو إضرابٌ انتقاليٌّ للأشدِّ، كأنَّه قيل: ليس حال هؤلاء بأعجب من حال قومك؛ فإنَّهم مع علمهم بما حلَّ بهم لم ينزجروا.

قوله: (﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾ بما ذكر) أي: النبيِّ والقرآنِ.

قوله: (﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾) أي: هُم في قبضة قدرته وتصريفه كالشَّيء المحاط به الذي لا يجدُ مخلصاً ولا مفرًّا، فيجازيهم بأعمالهم.

قوله: (﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾) إضرابٌ عن شدَّة تكذيبِهم وعدمِ كفِّهم عنه إلى وصف القرآن بما ذُكِرَ؛ إشارةً إلى أنَّه لا ريب ولا شكَّ فيه، ولا يصل إليه تكذيبُ هؤلاء.

قوله: (فوق السَّماء السابعة) أي: مُعلَّق بالعرش.

﴿مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿مَّحْفُوظٍ﴾ - بِالجرِّ - مِن الشَّياطِين ومِن تَغيِير شَيءٍ مِنهُ، طُولُه ما بَين السَّماء والأرضِ، وعرضُه ما بينَ المَشرِق والمَغرِب وهو مِن دُرَّة بَيضاءَ. قاله ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما.

حاشية الصاوي

قوله: (بالجرِّ) أي: والرفع، فهما سبعيَّتان؛ فالجرُّ على أنَّه نعتٌ لـ﴿لَوْحٍ﴾، والرَّفع على أنَّه نعتٌ للقرآن[١].

قوله: (طُوله ما بين السماء... إلخ) أي: وهو عن يمين العرش، مكتوبٌ في صدره: (لا إله إلا الله وحده، دينه الإسلام، ومحمد عبده ورسوله؛ فمن آمن بالله وصدَّق بوعده، واتَّبع رسله.. أدخله جنَّته)[٢].

قوله: (وهو من درَّة بيضاء) أي: وحافتاه الدرُّ والياقوت، ودفتاه ياقوتة حمراء، وقلمه النور، وكتابته نورٌ معقودٌ بالعرش، وأصله في حجر ملك[٣].



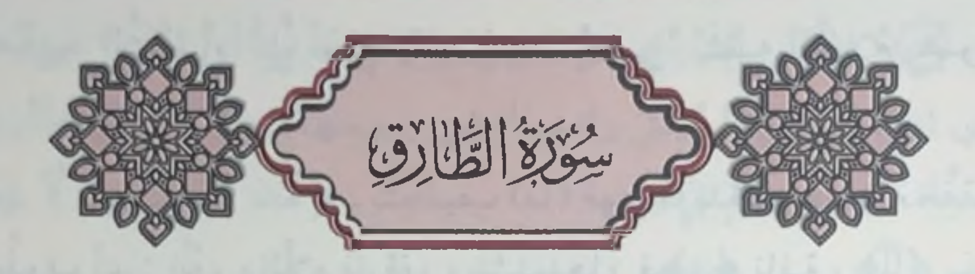
---

(١) قرأ نافع بالرفع، والباقون بالجر. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٧٥٠).

(٢) رواه البغوي في «تَفسيره» (٥/ ٢٣٨) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أورده البغوي في «تفسيره» (٥/ ٢٣٨) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢﴾ ....



مكيَّة، سبعَ عشرةَ آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ أصلُه كُلُّ آتٍ لَيلاً، ومِنه النُّجوم لِطُلُوعِها لَيلاً، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾: أعلَمك ﴿مَا ٱلطَّارِقُ﴾ ـ مُبتَدأ وخَبَر في مَحَلِّ المَفعُول الثَّاني لِـ(أدرى)، وما بَعد (ما) الأُولى خَبَرها ـ، وفيهِ تَعظِيم لِشَأنِ الطَّارِق المُفسَّر بِما بَعدَه. ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الطَّارِقِ

قوله: (﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ ... إلخ) قد كثُر منه تعالى في كتابه المجيدِ ذكرُ السَّماء والشمس والقمر والنجوم؛ لأنَّ أحوالها في أشكالها وسيرها ومَطالعها ومغاربها عجيبةٌ دالَّةٌ على انفراد صانعها بالكمالات؛ لأنَّ الصَّنعة تدلُّ على الصَّانع، قال بعضهم[1]: [الخفيف]

هـذه آثـارُنـا تَـدُلُّ عـلـيـنـا فـانـظـرُوا بـعـدَنـا إلـى الآثـارِ

قوله: (أصله: كلُّ آتٍ... إلخ) أي: ثمَّ تُوُسِّع فيه فسمِّي به كلُّ ما ظهر بالليل كائناً ما كان، ثمَّ تُوسِّع به فسمِّي به كلُّ ما ظهر مطلقاً ليلاً أو نهاراً، ومنه: حديث: «**أعوذ بك من شرِّ طارق الليل والنَّهار، إلَّا طارقاً يَطرق بخير يا رحمن**»[2].

والطارق: مأخوذٌ من الطَّرْق، وهو الدَّقُّ، سمِّي به الآتي ليلاً؛ لاحتياجه إلى طَرْق الباب غالباً، ومنه: المِطْرَقَةُ ـ بالكسر ـ وهي: ما يُطْرَقُ به الحديدُ.

قوله: (﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾) الاستفهام للإنكار، وقوله: (﴿مَا ٱلطَّارِقُ﴾) الاستفهام للتَّعظيم والتَّفخيم.

---

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» (٩/ ٣٧٠)، وفيه: (إن آثارنا) بدل (هذه آثارنا).

(٢) رواه النسائي في «السُّنَن الكبرى» (١٠٧٢٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾ ....

هو ﴿ٱلنَّجْمُ﴾ أي: الثُّرَيَّا أو كُلُّ نَجم ﴿ٱلثَّاقِبُ﴾: المُضِيءُ لِثقْبِه الظَّلامَ بِضَوئِه. وجَوابُ القَسَم:

﴿٤﴾ ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ ـ بتَخفِيفِ (ما) فهي مَزِيدة، و﴿إِن﴾ مُخفَّفةٌ مِن الثَّقِيلة واسمها مَحذُوف أي: إنَّهُ، واللَّام فارِقةٌ، وبِتَشدِيدِها؛ فـ﴿إِن﴾ نافِية و﴿لَّمَّا﴾ بِمَعنى (إلَّا) ـ، والحافِظ مِن المَلائكة يَحفَظ عَمَلها مِن خَير وشَرّ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلنَّجْمُ﴾) خبرٌ لمحذوفٍ، قدَّره المفسِّر بقوله: (هو).

واعلم: أنَّه تعالى أقسم أوَّلاً بما يشترك فيه النَّجم وغيره وهو (الطارق)، ثمَّ أتى بالاستفهام عنه تفخيماً وتعظيماً، ثمَّ فسَّره بـ(النَّجم)؛ إزالةً لذلك الإبهامِ الحاصلِ بالاستفهام.

قوله: (الثريَّا، أو: كلُّ نجمٍ) هذان قولان من ثلاثة، ثالثها: أنَّ المراد به: زُحل، ومحلُّه في السَّماء السابعة، لا يَسكنها غيره من النُّجوم، فإذا أخذت النُّجوم أمكنتَها من السَّماء.. هبط فكان معها، ثمَّ يرجع إلى مكانِه من السَّماء السابعة، فهو طارقٌ حينَ ينزل، وحينَ يَصعد.

قوله: (وجواب القسَم.. إلخ) أي: وما بينَهما اعتراضٌ، جيء به تفخيماً للمقسَم به.

قوله: (فهي مزيدةٌ) أي: و﴿كُلُّ﴾: مبتدأ، و﴿عَلَيْهَا﴾: خبرٌ مقدَّم، و﴿حَافِظٌ﴾: مبتدأ مؤخَّر، والجملة خبرُ ﴿كُلُّ﴾[1].

قوله: (واسمُها محذوف) فيه نظرٌ، بل هي مهملةٌ لا عمل لها؛ لأنَّ لام الفرق يؤتى بها عند الإهمال، لا عند الإعمال؛ كما قال ابن مالك[2]: [الرجز]

وخُفِّفت (إنَّ) فقَلَّ العَمَلُ ... وتَلزَمُ اللامُ إذا ما تُهمَلُ

قوله: (واللام فارقة) أي: بين المخفَّفةِ المهملةِ والنَّافيةِ.

قوله: (وبتَشديدها) أي: وهما قراءتان سبعيَّتان[3].

(١) ويجوز أن يكون (كل) متبدأ، و(حافظ) خبره، و(عليها) متعلق به، و(ما) مزيدة أيضاً، وهذا كلُّه تفريعٌ على قول البصريين. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٧٥٢).

(٢) «الخلاصة»، باب (إن وأخواتها).

(٣) قرأ ابن عامر وعاصمٌ بتشديد الميم، والباقون بتخفيفها. انظر «السراج المنير» (٤/ ٥١٦).

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ ....

(٥ - ٧) ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ نَظَرَ اعتِبار ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ مِن أيِّ شيءٍ؟ جوابُه: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾: ذِي اندِفاق مِن الرَّجُل والمَرأةِ في رَحِمها، ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ﴾ لِلرَّجُل ﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ لِلمَرأةِ، وهي عِظامُ الصَّدر.

حاشية الصاوي

قوله: (والحافظ من المَلائكة) يحتمل أنَّه يراد الحفظُ من العاهات والآفات، وهم عشرة بالليل، وعشرة بالنَّهار لكلِّ آدميٍّ، فإن كان مؤمناً.. وكَّل الله به مئةً وستين ملكاً يذبُّون عنه كما يُذَبُّ عن قصعة العسل الذبابُ، ولو وُكِلَ العبدُ إلى نفسه طرفةَ عينٍ.. لاختَطَفته الشياطين، أو حفظ الأعمال، وهما رَقيب وعتيد، وعليه درج المفسِّر، وقيل: المراد بالحافظ: الله تعالى، فتحصَّل أنَّ الحافظ؛ قيل: الكاتب، أو مطلق الملائكة الحفَظة، أو الله تعالى، والأحسَنُ أن يُراد ما هو أعمُّ.

قوله: (﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾... إلخ) لمَّا ذكر تعالى أنَّ كلَّ نفسٍ عليها حافظٌ.. أتبع ذلك بوصيَّة الإنسان بالنَّظر في أوَّل نشأته، والأمرُ للإيجاب.

قوله: (﴿مِمَّ خُلِقَ﴾) الجارُّ والمجرور متعلِّق بـ﴿خُلِقَ﴾، والجملة في محلِّ نصبٍ بقوله: ﴿فَلْيَنظُرِ﴾ المعلَّقِ عنها بالاستفهام.

قوله: (ذي اندفاق) أي: انصبابٍ، وأشار بذلك إلى أنَّ ﴿دَافِقٍ﴾ صيغةُ نسبٍ كـ: لابنٍ وتامرٍ، فالمعنى: خُلِقَ من ماءٍ مُتدفِّق أو مدفوقٍ.

قوله: (في رحمها) متعلِّق بـ﴿دَافِقٍ﴾.

قوله: (﴿مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ﴾) أي: وهو عِظام الظَّهر، و(بين) زائدةٌ؛ لأنَّ (بين) إنَّما تضاف لمتعدِّدٍ، وهنا ليس كذلك، إلَّا أن يقال: المرادُ من بين أجزاءِ الصلب... إلخ.

قوله: (﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ للمرأة) وقال الحسن: (المعنى: يخرج من صُلب الرجل وترائب الرجل، وصُلبِ المرأة وترائب المرأة)[1].

قوله: (وهي عِظام الصدر) أي: وهي محلُّ القلادة، وهذا أحد أقوال، وقيل: الترائب: ما بين ثدييها، وقيل: الترائب التراقي، وقيل: الترائب: أربعة أضلاع من يمنة الصدر، وأربعة أضلاع من يَسرة الصدر، وقال القرطبي: (إنَّ ماء الرَّجل ينزل من الدماغ، ثمَّ يجتمع في الأنثيين، ولا يُعارضه

(١) انظر «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٧).

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠﴾ ....

(٨ - ١٠) ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ﴾ : بعثِ الإنسان بعد موتِه ﴿لَقَادِرٞ﴾ ، فإذا اعتبر أصلَه عَلِمَ أنَّ القادرَ على ذلك قادرٌ على بَعثِه، ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى﴾ : تُختَبَر وتُكشَف ﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾ : ضَمائِرُ القُلُوب في العقائِد والنِّيات، ﴿فَمَا لَهُۥ﴾ : لِمُنكِرِ البَعث ﴿مِن قُوَّةٖ﴾ يَمتَنِع بِها مِن العَذابِ، ﴿وَلَا نَاصِرٖ﴾ يَدفَعُه عنهُ.

حاشية الصاوي

قوله تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾؛ لأنَّه ينزل من الدماغ إلى الصلب، ثمَّ يجتمع في الأنثيين[1].

قوله: (﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾) نتيجةُ النَّظر المذكور؛ لأنَّ الأمر بالنَّظر إنَّما هو لأجل التفكُّر في المعاد والبعث.

قوله: (بعْثِ الإنسان. . . إلخ) هذا هو الصَّحيح اللائق بمعنى الآية؛ بدليل ما بعده، وفي الآية تفاسيرُ أخرُ:

منها: أنَّ الضمير يَعود على الإنسان، والمعنى: أنَّه على رجع الإنسان لحالة النطفيَّة لقادرٌ؛ بأن يردَّه من الشُّيوخة للشُّبوبة، ومنها للصِّبا، ومنه إلى كونه حملاً، إلى مُضغةٍ، إلى علقةٍ، إلى نطفةٍ.

ومنها: أنَّ الضمير عائدٌ على الماء الدافق، والمعنى: أنَّه على رَجْعِ الماءِ للصُّلب والترائب بعد انفصاله للرَّحم وصَيرورته ولداً لقادرٌ.

قوله: (﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾) ظرفٌ لـ﴿رَجۡعِهِۦ﴾، لا لـ(قادر)؛ لأنَّه تعالى قادرٌ في جميع الأوقات، لا تختصُّ قدرتُهُ بوقتٍ دونَ وقتٍ.

قوله: (ضمائر القلوب) أي: ما أخفي فيها، وقيل: السَّرائر: فرائض الأعمال؛ كالصلاة والصوم والوضوء والغسل من الجنابة؛ فإنَّها سرائر بين الله وبين العبد، ولو شاء العبد. . لقال: صُمتُ ولم يَصم، وصليت ولم يصلِّ، واغتسلت من الجنابة ولم يغتسل، فيختبر حتَّى يظهر مَنْ أدَّاها ممَّن ضيَّعها، فيبيَضُّ وجهُ المؤدِّي، ويسوَدُّ وجهُ المضيِّع.

قوله: (﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ﴾) أي: في نفسه، وقوله: (﴿وَلَا نَاصِرٖ﴾) أي: من غيره.

قوله: (المطر) هذا أحد أقوال، وقيل: الرَّجع: الأحوال التي تجيء وتذهب؛ كالليل، والنَّهار،

---

(١) «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٧).

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ ....

(﴿١١﴾ - ﴿١٤﴾) ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ : المَطر لِعَودِهِ كُلَّ حِين، ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ : الشَّقِّ عن النَّبات، ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ يَفصِلُ بينَ الحَقِّ والباطِل، ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾ : باللَّعِبِ والباطِل.

(﴿١٥﴾ - ﴿١٧﴾) ﴿إِنَّهُمۡ﴾ أي: الكُفَّار ﴿يَكِيدُونَ كَيۡدٗا﴾ : يَعمَلُون المَكايِدَ لِلنَّبيِّ ﷺ، ﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾ : أستَدرِجهُم مِن حيثُ لا يَعلَمُون، ....

حاشية الصاوي

والأمطار، والفصولِ من الشتاء وما فيه من بردٍ ونحوه، والصَّيفِ وما فيه من حرٍّ ونحوه، وقيل: المراد: ذات النَّفع، وقيل: ذات الملائكة؛ لِرُجوعهم فيها بأعمال العباد.

قوله: (الشَّق عن النَّبات) وقيل: ذات الحرث؛ لأنَّه يصدعها، وقيل: ذات الطريق التي تصدَعُها المشاة، وقيل: غير ذلك.

واعلم: أنَّه تعالى كما جعل كيفيَّةَ خلقِ الحيوان دليلاً على معرفة المبدأ والمعاد.. ذكرَ في هذا القسم كيفيَّةَ خلقِهِ النباتَ؛ فقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ أي: هي كالأبِ، ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ هي كالأمِّ؛ تتولَّد مِنْ بينِهما النِّعَم العظيمة التي يُنْتَفَعُ بها ما دامت الدنيا.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾) جوابُ القسمِ الذي هو: ﴿وَٱلسَّمَآءِ...﴾ إلخ، والمراد بـ(الفصل): الحكمُ الذي يَنفصل به الحقُّ من الباطل.

قوله: (﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾) أي: بل هو جِدٌّ كلُّه، فالواجب أن يكون مهاباً في الصدور، معظَّماً في القلوب؛ كيف وهو خطاب ربِّ العالمين لعباده؟! فالإصغاءُ إليه، والاستماعُ له، والائتمارُ بأوامره، والانتهاءُ بنواهيه.. فرضٌ.

قوله: (﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا﴾) اختُلف فيها؛ فقيل: هي إلقاء الشبهات؛ كقولهم: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا﴾ [الأنعام: ٢٩]، ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ [يس: ٧٨] ونحوِ ذلك، وقيل: قصدُ قتلِهِ ﷺ، والأحسَنُ: أن يُراد ما هو أعمُّ.

قوله: (﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾) أي: أُجازيهم على كيدهم، وسمِّي الجزاء كيداً؛ مشاكلةً، وقيل: المعنى: أُعاملُهم مُعاملةَ ذي الكيد؛ بأن أُمِدَّهم ظاهراً بالنِّعم استدراجاً لهم، وعليه اقتصر المفسِّر.

قوله: (﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾) أي: لا تَستعجلهم بالانتقام منهم، ولا بالدُّعاء عليهم.

﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ١٧﴾

﴿فَمَهِّلِ﴾ يا مُحمَّد ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾ ـ تَأكِيد حَسَّنَهُ مُخالَفةُ اللَّفظ ـ أي: أنظِرهُم ﴿رُوَيْدًۢا﴾ قَلِيلاً، ـ وهو مَصدَر مُؤكِّدٌ لِمَعنى العامِلِ مُصغَّر (رُود)، أو (إروادٍ) على التَّرخِيم ـ، وقَد أخَذَهُم الله تَعالى بِبَدرٍ ونَسَخ الإمهالَ بِآيةِ السيفِ، أي: الأمر بِالقِتال والجِهاد.

حاشية الصاوي

قوله: (مخالفةُ اللَّفظِ) أي: مِنْ حيثُ إنَّ الأوَّل مسنَدٌ للظَّاهر مع التَّضعيف، والثَّانيَ مُسندٌ للضَّمير مع الهمز.

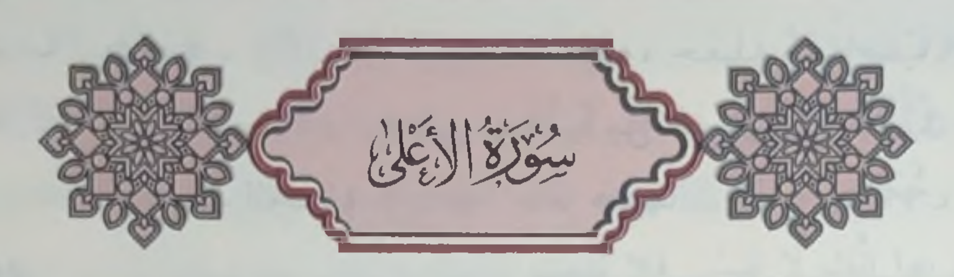
قوله: (على الترخيم) راجع لِقوله: (أو إروادٍ) أي: تصغير ترخيم، وهو حذف الزوائد.

واعلَم: أنَّ (رويداً) يستعمل مصدراً بدلاً من اللفظ بفعله، فيضاف تارةً كقوله: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]، ولا يُضاف أخرى نحو: (رويداً زيداً)، ويقع حالاً نحو: (سارُوا رويداً) أي: مُتمهِّلينَ، ونعتاً لمصدرٍ محذوفٍ نحو: (سارُوا رويداً) أي: سيراً رويداً.

قوله: (ونسخ الإمهال بآية السيف) أي: على أنَّ المعنى: اترك الكافرين، ولا تتعرَّضْ لهم، واصبِر على أذاهم.

✿ ✿ ✿

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ....



مكيَّة، تِسعَ عشرَةَ آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٥) ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ أي: نَزِّه رَبَّك عمَّا لا يَليقُ بِه، ـ و﴿ٱسۡمَ﴾ زائِد ـ ...

حاشية الصاوي

سُورَةُ الأعلى

(مكيَّة) أي: في قول الجمهور، وقال الضحاك: (مدنيَّة)، وكان النبيُّ ﷺ يحبُّها؛ لِكثرة ما اشتملت عليه من العُلوم والخيرات، وفي الحديث: سُئلت عائشة: بأيِّ شيءٍ كان يُوترُ رسولُ الله ﷺ؟ قالت: (يقرأ في الأولى ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾، وفي الثانية بـ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، وفي الثالثة بـ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوِّذتين)[1]، ومن جملة فَوائدها: أنَّ الإكثار من تلاوتها يُورِثُ الحفظَ.

قوله: (﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾) الأمرُ وإن كان للنبيِّ إلَّا أنَّ المراد منه العمومُ؛ لأنَّ الأصل عدمُ الخُصوصيَّةِ إلَّا لدليلٍ.

قوله: (أي: نزِّه ربَّك) أي: اعتقِدْ أنَّه مُنزَّهٌ عن كلِّ ما لا يَليق به؛ في ذاته، وصفاته، وأسمائه، وأفعاله، وأحكامه، فتَنزيه الذات: اعتقادُ أنَّها ليست كالذَّواتِ؛ فلا تُوصَفُ بالجوهريَّةِ، ولا بالعرَضيَّةِ، ولا بالكِبَرِ، ولا بالصِّغَرِ، ولا بغير ذلك من أوصاف الحُدوث. وتنزيه الصفات: اعتقادُ أنَّها ليست حادثةً ولا مُتناهيةً ولا ناقصةً. وتنزيه الأفعال: اعتقادُ أنَّه تعالى ليست أفعالُهُ كأفعالِ المخلوقين. وتنزيه الأسماء: عدمُ ذكرِهِ بالأسماءِ التي تُوهِمُ نقصاً بوجهٍ من الوُجوه. وتنزيه الأحكام: عدمُ الأغراض فيها، فتكليفنا لأنفسنا لا لنفعٍ يعود عليه.

قوله: (ولفظُ «اسم» زائدٌ) ليس بمتعيِّنٍ، بل كما تُنَزَّهُ الذَّاتُ يُنَزَّهُ الاسم أيضاً عن أن يُسمَّى به

---

(١) رواه الترمذي (٤٦٣)، وابنُ ماجه (١١٧٣).

﴿الْأَعْلَى ۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً﴾ .....

﴿الْأَعْلَى﴾ - صِفة لـ﴿رَبِّكَ﴾ - ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ مَخلُوقَه، جعَله مُتَناسِبَ الأجزاء غَيرَ مُتفاوِت، ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ ما شاءَ ﴿فَهَدَىٰ﴾ إلى ما قَدَّرهُ مِن خَير وشَرٍّ، ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾: أنبتَ العُشبَ، ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ بَعد الخُضرةِ ﴿غُثَآءً﴾: جافًّا هَشِيماً ....

حاشية الصاوي

غيره، ومن جملة تنزيه الاسم: ألَّا يُذْكَرَ في مواضع الأقذار، بأن يُذْكَرَ على وجهِ التَّعظيمِ والتَّفخيمِ في المواضع الطَّاهرة الفاخرة، ومِن جملة تنزيه الاسم: استحضارُكَ عظمةَ المسمَّى عند ذكرِهِ.

قوله: (﴿الْأَعْلَى﴾) مِنَ: العلوِّ، وهو الارتفاع، بمعنى: القهر والغلبة والسلطنة، فهو علوُّ مكانةٍ، لا مكانٍ.

قوله: (صفة لـ﴿رَبِّكَ﴾) أي: فهو مجرورٌ بكسرةٍ مقدَّرةٍ على الألف، وهذه الصفة جاريةٌ مجرى التعليل، كأنَّه قال: (سبِّح اسمَ ربِّك؛ لكونه مرتفعَ المكانة، منزَّهاً عن النقائص أزلاً وأبداً)، ولا يصحُّ أن يكون صفةً لـ﴿اسْمَ﴾ منصوباً بالفتحة المقدرة مع جعل ﴿الَّذِي خَلَقَ...﴾ إلخ صفةً لـ﴿رَبِّكَ﴾؛ لما يلزم عليه من الفصل بين الصفة والموصوف بصفة غيره، نظير قولك: (جاءني غلام هند العاقل الحسَنة)، وهو ممتنعٌ، فإن جعل الموصول نعتاً مقطوعاً.. جاز.

قوله: (﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾) جوابٌ عن سؤالٍ مقدَّرٍ، كأنَّه قيل: الاشتغال بالتَّسبيح إنَّما يكون بعد معرفة المولى؛ فما الدَّليل على وجودِهِ؟ فأجاب بما ذكر، ومفعول (خلق) محذوفٌ؛ أي: كلَّ شيءٍ.

قوله: (مُتناسب الأجزاء... إلخ) أي: فجعَله معتدلَ القامةِ، تامَّ المنافعِ.

قوله: (﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾) مفعولُهُ محذوفٌ، قدَّره بقوله: (ما شاء) أي: مِنْ أنواعِها وأشخاصِها ومقاديرِها وصفاتِها وأفعالِها وغيرِ ذلك مِنْ أحوالِها.

قوله: (﴿فَهَدَىٰ﴾) أي: أرشد ما قدَّره لمصالحه؛ فهدى الإنسان ودلَّه على سبيل الخير والشرِّ، وهدى الأنعامَ لِمَراعيها، وجميعَ الدوابِّ لمعاشها ومصالحها.

قوله: (﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾) أي: ما يُرْعَى، كالحشيشِ ونحوِهِ.

قوله: (﴿غُثَآءً﴾) بضمِّ الغينِ والمدِّ، من باب (قَعَدَ)[1]، وهذا مثلٌ ضربَهُ الله للكفَّارِ بذهاب الدنيا بعد نضارتها.

---

(١) في «المصباح المنير» مادة (غ ث ي): (غثاء السيل: حَمِيله، وغثا الوادي غثواً من باب «قعَد»: امتلأ مِن الغثاء).

﴿أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾ ....

﴿أَحْوَىٰ﴾: أسوَدَ يابِساً.

(٦ - ٧) ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ القُرآنَ ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ ما تَقرَؤُه، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أن تَنساهُ بِنَسخِ تِلاوَتِه وحُكمِه، وكان ﷺ يَجهَر بِالقِراءةِ مَع قِراءة جِبريلَ خوفَ النِّسيانِ، فكأنَّهُ قِيل لَه: لا تَعجَل بِها إنَّك لا تَنسَى فلا تُتعِبْ نَفسك بِالجَهرِ بِها، ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ مِن القَول والفِعل ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾ مِنهُما.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَحْوَىٰ﴾) نعت لـ﴿غُثَآءً﴾، وهو ما يشير له المفسِّر، وقوله: (أسود بالياً) أي: بعد وصفِهِ بالغثاء يكون أسودَ بالياً، كما هو العادة في الزَّرع الجافِّ إذا تقادم، ويُطلق الأحوى على الأسود الذي يَضرب إلى الخضرة، أو الأخضرِ الذي يَضْرِبُ إلى السَّواد، وعليه: فيكون حالاً من ﴿ٱلْمَرْعَىٰ﴾، والأصل: أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء، والفاء لمجرَّد الترتيب، والمعنى: (فمضت مدَّةٌ، فجعله... إلخ)؛ إذ لا يَصير غثاءً عقبَ إخراجِهِ، بل بعده بمدَّةٍ.

قوله: (﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾) بيانٌ لهدايةِ الله تعالى الخاصَّةِ برسولِهِ إثرَ بيانِ هدايتِهِ العامَّةِ لجميع الخلقِ، وهذه الآية تدلُّ على المُعجزةِ مِنْ وجهين: الأوَّل: الإخبارُ مِنَ الله تعالى بما يحصل في المستقبل، الثاني: كونُهُ يحفظ هذا الكتاب العظيم مِنْ غير دراسةٍ ولا تكرارٍ، ولا ينساه أبداً.

قوله: (﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ ما تقرؤه) أي: منسوخاً أو غيره؛ ليظهرَ كونُ الاستثناءِ متَّصلاً، وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ استثناء مفرَّغ.

قوله: (بنسخِ تلاوتِهِ وحكمِهِ) الباء: سببيَّة، والمعنى: أنَّ نسخ تِلاوته وحكمه معاً سببٌ في جواز نسيانِكَ له، وأمَّا ما نُسِخَتْ تلاوتُهُ فقط، أو حكمُهُ فقط.. فلا يَنساه؛ للاحتياجِ إلى تبليغِ حكمِهِ، أو تلاوتِهِ.

قوله: (فكأنَّه قيل... إلخ) أي: فهو نظير قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧].

قوله: (﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾... إلخ) تعليلٌ لما قبلَهُ، جيءَ به تسليةً له ﷺ، كأنَّه قيل: لا تخشى ضياعَ ما ألقي عليك؛ فإنَّه تعالى يَعلم الجهر وما يخفى، ومنه: ما ألقي عليك، فَيُثَبِّتُ في فؤادك ما ينفع، وصنيع المفسِّر يقتضي أنَّه تعليلٌ لمحذوفٍ، قدَّره بقوله: (فلا تتعب نفسك).

قوله: (﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾) «ما»: اسم موصول، وعائدُهُ محذوفٌ، ولا يصحُّ أن تكون مصدريَّةً؛ لئلا يلزمَ خلوُّ الفعلِ عن فاعل، ولا يقال: يُجْعَلُ ضميراً؛ لأنَّا نقول: يَمنع منه عدمُ وجودِ ما يعود عليه.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢﴾ ....

(﴿٨﴾ - ﴿٩﴾) ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾: لِلشَّرِيعةِ السَّهلةِ وهي الإسلامُ، ﴿فَذَكِّرْ﴾: عِظ بالقُرآنِ ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ مَن تُذكِّرُه المَذكُور في ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾، يَعنِي وإن لَم تَنفَع ونَفعها لِبَعضٍ وعَدَم النَّفع لِبَعضٍ آخر.

(﴿١٠﴾ - ﴿١٣﴾) ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ بِها ﴿مَن يَخْشَىٰ﴾: يَخافُ الله تَعالى، كآيةِ ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ أي: الذِّكرَى أي: يَترُكها جانِباً لا يَلتَفِت إلَيها ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ بِمَعنى الشَّقِيِّ أي: الكافِر ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ هي نارُ الآخِرة، والصُّغرَى

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾) عطفٌ على (نقرئك)، وما بينهما اعتراضٌ جيء به للتَّعليل، والمعنى: نوفِّقك توفيقاً مستمرًا للطريقة اليسرى في كلِّ بابٍ من أبوابِ الدِّين؛ علماً وتعليماً، واهتداءً وهداية وغيرَ ذلك؛ ولِذلك وردَ: «ما خُيِّرَ بين أمرين.. إلَّا اختارَ أيسرَهما ما لم يكن مأثماً»[(١)]، وورد: «بُعِثْتُ بالحنيفيَّة السمحاء»[(٢)].

وحكمةُ إسنادِ التيسيرِ لذاته، ولم يَقل: (ونيسِّر اليسرى لك): الإيذانُ بقوَّة تمكُّنِهِ عليه السَّلام من اليسرى والتَّصرفِ فيها؛ بحيثُ صار ذلك جِبلَّةً له ﷺ، فبينَ طبعِهِ ودينِهِ موافقةٌ في السهولة.

قوله: (للشَّريعة السَّهلة) أي: الطَّريقةِ اليسرى في حفظِ الوحي والتَّديُّنِ.

قوله: (﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾) إن قُلت: هو ﷺ مأمورٌ بأن يذكِّرَهم؛ سواءٌ نفعَتْهُم الذِّكرى أم لم تنفَعْهم؛ ليكون حجَّةً لهم أو عليهم.

أجيبَ: بأنَّ في الآيةِ اكتفاءً؛ أي: أو لم تَنفع؛ على حدِّ: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي: والبردَ، ويؤيِّدُهُ قوله: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾، فتدبَّر!

قوله: (﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾) أي: مَنْ خلق اللهُ في قلبِهِ الخشيةَ، وهذا وعدٌ من الله تعالى بأنَّ مَنْ يخشى يحصل له الاتِّعاظُ، وينتفعُ به، والوعدُ لا يتخلَّفُ.

قوله: (هي نارُ الآخرة... إلخ) هذا قول الحسَن، ويدلُّ له ما وردَ: «نارُكم هذه جزءٌ من سبعين

---

(١) رواه البخاري (٦٧٨٦)، ومسلم (٢٣٢٧) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه الإمام أحمدُ في «المسند» (٥/٢٦٦) عن سيدنا أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه، وفيه: (السَّمحة) بدل (السمحاء).

ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْأَخِرَةُ ....

نارُ الدُّنيا، ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستَرِيح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياةً هَنِيئةً.

(١٤ - ١٥) ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾: فازَ ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾: تَطهَّر بالإيمانِ، ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ مُكبِّراً ﴿فَصَلَّىٰ﴾ الصَّلواتِ الخَمسَ، وذلك مِن أُمُور الآخِرةِ، وكُفَّار مكَّةَ مُعرِضُون عنها.

(١٦ - ١٩) ﴿بَلْ يُؤْثِرُونَ﴾ ـ بِالتَّحتانيَّة والفوقانِيَّة ـ ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ على الآخِرة، ﴿وَٱلْأَخِرَةُ﴾ المُشتَمِلةُ على الجَنَّة ....

حاشية الصاوي

جزءاً من نار جهنَّم»[1]، وقيل: يكونُ في الآخرةِ نيرانٌ ودركاتٌ متفاوتةٌ؛ فالكافر يَصْلَى أعظمَ النِّيران، وقيل: النَّار الكبرى هي السُّفلى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ﴾ [النساء: ١٤٥].

قوله: (فيَستريح) جوابٌ عمَّا يُقال: لا واسطةَ بينَ الحياةِ والموتِ؛ فكيفَ وصفَ الله الأشقى بأنَّه يحيا حياةً ينتفع بها؟[2]

قوله: (مكبراً) أي: تكبيرةَ الإحرامِ التي هي أحدُ أجزاءِ الصَّلاةِ.

قوله: (وذلك من أمور الآخرة) تمهيدٌ لارتباطِ هذهِ الآيةِ بما بعدَها؛ فقوله: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ...﴾ إلخ: إضرابٌ عن مُقدَّرٍ يَستدعيه المقامُ[3].

قوله: (بالتحتانية) أي: وعليه فالضَّمير راجعٌ لـ﴿ٱلْأَشْقَى﴾، وقوله: (والفوقانيَّة) أي: وعليه فهو التفاتٌ، والخطابُ إمَّا للكفَّار فقط، أو لعموم النَّاس، والقراءتان سبعيَّتان[4].

قوله: (﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾) أي: لاشتمالها على السَّعادة الجسمانيَّة والروحانيَّة، ولذَّاتُها غيرُ مخلوطةٍ بالآلامِ، وهي دائمةٌ باقيةٌ، والدُّنيا ليست كذلك.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٤٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر قول الحسَن في «السراج المنير» (٤/ ٥٢٢).

(٢) وإيضاح الجواب: أنَّ المعنى: لا يموت موتاً يَستريح به، ولا يحيَا حياة ينتفع بها؛ كقوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾، وقيل: مَعناه: تَصعد نفسه إلى الحُلقوم ثم لا تُفارقه فيموت، ولا ترجع إلى موضعها من الجِسم فيَحيا. «فتوحات» (٤/ ٥٤٥).

(٣) كأنَّه قيل إثر بَيان ما يُؤدي إلى الفلاح: لا تَفلعون ذلك، بل تُؤثِرون اللذات العاجلة الفانية، فتَسعَون لِتحصيلها. انظر «تفسير أبي السعود» (٩/ ١٤٦).

(٤) قرأ أبو عمرو بياءِ الغيبة، والباقون بتاء الخطاب. انظر «السراج المنير» (٤/ ٥٢٣).

﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: إفلاحُ مَن تزكَّى وكونُ الآخِرة خيراً ﴿لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: المُنَزَّلةِ قبلَ القُرآن، ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ وهي عَشرُ صُحُف لِإبراهِيم والتَّوراةُ لِمُوسى.

حاشية الصاوي

قولـه: (أي: إفلاح مَنْ تزكى. . . إلخ) أي: فالإشارةُ لقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ وما ذُكِرَ في الصحف الأولى بالمعنى، لا بهذا اللفظِ؛ فالشَّرائعُ المتقدِّمةُ متَّفقةٌ على ما في هذه الآيات.

وردَ عن أبي ذرٍّ قال: دخلتُ المسجد، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ للمسجد تحيَّةً» فقلتُ: وما تحيَّتُهُ يا رسول الله؟ قال: «ركعتان تركعهما» قلتُ: يا رسول الله؛ هل أنزل الله عليك شيئاً ممَّا كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال: «يا أبا ذرٍّ؛ اقرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾»، قلتُ: يا رسول الله؛ فما كانَتْ صحفُ موسى؟ قال: «كانت عِبَراً كلُّها: عجبْتُ لمن أيقنَ بالموت كيف يَفرح! عجبْتُ لمن أيقنَ بالنَّار كيف يضحكُ! عجبْتُ لمن رأى الدنيا وتقلُّبَها بأهلِها كيف يَطمئنُّ إليها! عجبْتُ لمن أيقنَ بالقدر ثمَّ يغضب! عجبتُ لِمن أيقن بالحساب ثمَّ لا يعمل!»[1].

وعن أبي ذرٍّ أيضاً قال: قلتُ: يا رسول الله؛ فما كانت صحفُ إبراهيم؟ قال: «كانت أمثالاً كلُّها: أيُّها المَلِكُ المسلَّطُ المبتلى المغرورُ، إنِّي لم أبعَثْك لتجمعَ الدُّنيا بعضَها على بعضٍ، ولكنِّي بَعثْتُكَ لتردَّ عنِّي دعوةَ المظلومِ؛ فإنِّي لا أردُّها ولو كانت من فمِ كافرٍ، وكان فيها أمثالٌ: وعلى العاقلِ أن يكونَ لهُ ساعةٌ يُناجي فيها ربَّهُ، وساعةٌ يفكِّرُ فيها في صنعِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وساعةٌ يَخلو فيها لحاجتِهِ من المطعم والمشرب، وعلى العاقل ألَّا يكونَ طامعاً إلَّا في ثلاثٍ: تزوُّدٍ لمعادٍ، ومَرمَّةٍ لمعاشٍ، ولذَّةٍ في غير محرَّمٍ، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانِهِ، مُقبِلاً على شأنِهِ، حافظاً لِلسانه، ومَنْ عدَّ كلامَهُ مِنْ عملِهِ. . قلَّ كلامُهُ إلَّا فيما يَعنيه» قال: قلتُ: فما كانت صحف موسى؟ قال: «كانت عبراً. . . إلخ»[2]، وقوله: (ومَرمَّةٍ لمعاشٍ) أي: إصلاحٍ له.

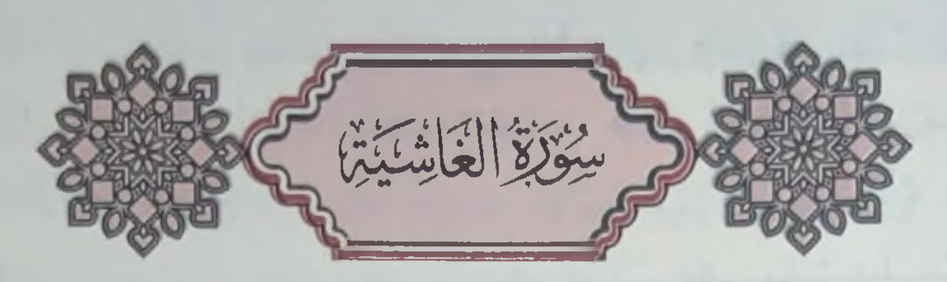
✿ ✿ ✿

---

(١) رواه بِطُوله أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/١٦٦)، وبنَحوه الحاكم في «المستدرك» (٢/٥٩٦).

(٢) انظر المصدر السابق.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ۝٢﴾ ....



مكيَّة، ستٌّ وعِشرون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿هَلْ﴾: قَد ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾: القِيامة لِأنَّها تَغشَى الخَلائِقَ بِأهوالِها.

(٢ - ٧) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ عَبَّر بِها عن الذَّوات في المَوضِعَين ﴿خَـٰشِعَةٌ﴾: ذَليلةٌ،

حاشية الصاوي

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

(مكيَّة) أي: بالإجماعِ.

قوله: (﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾) أشار المفسِّر إلى أنَّ ﴿هَلْ﴾ بمعنى (قد)، وقوله: ﴿أَتَىٰكَ﴾ أي: في هذه السُّورة، فالماضي إخبارٌ عمَّا وقع له في الحال، ويصحُّ أن يُرادَ بالاستفهام التَّعجيبُ والتَّشويقُ إلى استماع حديثِها المذكورِ بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾) مِن: الغشاء، وهو الغطاء، ومنه: الغِشاوة، وهي شيءٌ يغطِّي العينَ.

قوله: (﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾... إلخ) استئنافٌ واقعٌ في جواب سؤالٍ مقدَّرٍ، تقديرُهُ: وما حديث الغاشية؟ و(وجوه): مبتدأٌ سوَّغَ الابتداءَ به وقوعُهُ في معرض التَّفصيل، و﴿خَـٰشِعَةٌ﴾: خبرُهُ، و﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ خبرانِ آخرانِ.

قوله: (﴿يَوْمَئِذٍ﴾) أي: يومَ إذ غشيت، فالتَّنوين عوضٌ عن جملةٍ.

إن قلتَ: إنَّه لم يتقدَّمها جملةٌ يصلح أن يكون التَّنوين عوضاً عنها؟

أجيب: بأنَّه تقدَّمها لفظ (الغاشية)، وهو في معنى الجملة؛ لأنَّ (أل) موصولةٌ باسم الفاعل، فكأنَّه قال: التي غَشيت، فالتَّنوين عوضٌ عن هذه الجملة التي انحلَّ لفظ (الغاشية) إليها.

قوله: (عبَّر بها عن الذَّوات) أي: فهو مجازٌ مرسلٌ، من التَّعبير عن الكلِّ بالجزء، وخصَّ الوجهَ؛ لأنَّهُ أشرفُ الأعضاءِ، ولأنَّه يَظهر عليه ذلك أوَّلاً.

عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾: ذاتُ نَصَب وتَعَبٍ بِالسَّلاسلِ والأغلالِ، ﴿تَصْلَىٰ﴾ ـ بِضَمِّ التَّاء وفتحِها ـ ﴿نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾: شَدِيدةِ الحَرارة، ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ هو نَوعٌ مِن الشَّوكِ لا تَرعاهُ دابَّةٌ لِخُبثِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بِالسلاسل والأغلال) أي: بسبب جرِّ السلاسل، وحملِ الأغلال، وكذلك يَخوضون في النَّار خوضَ الإبل في الوحل، والصُّعودِ والهبوطِ في تلال النَّار، قال تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١-٧٢]، وهذا جزاءٌ لما ارتكبوه من إراحة أبدانِهم في اللَّذات والشَّهوات، قال سعيد بن جُبير: (تكبَّرَتْ في الدُّنيا عن طاعةِ الله تعالى، فأعملَها الله تعالى، وأنصبَها في النَّار بجرِّ السَّلاسل الثِّقالِ، وحملِ الأغلالِ، والوقوفِ حُفاةً عراةً في العَرَصاتِ في يومٍ كان مقدارُهُ خمسينَ ألف سنةٍ)[1].

قوله: (بضم التاء وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، والضَّمير لـ(الوجوه) على كلٍّ[2].

قوله: (﴿نَارًا حَامِيَةً﴾) أي: لأنَّه أُوقِدَ عليها مُدَّة طويلة؛ ففي الحديث: «أُحْمِيَ عليها ألفَ سنةٍ حتَّى احمرَّت، ثمَّ أُوقِدَ عليها ألفَ سنةٍ حتَّى ابيضَّتْ، ثمَّ أُوقِدَ عليها ألفَ سنةٍ حتَّى اسوَدَّت، فهي سوداءُ مُظلمةٌ»[3].

قوله: (﴿ءَانِيَةٍ﴾) أي: بلغَتْ أَنَاهَا في الحرارة، والمعنى: انتهى حرُّه[4].

قوله: (﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾) قال أبو الدرداء أو الحسَن: (إنَّ الله تعالى يُرسِلُ على أهل النَّارِ الجوعَ حتَّى يَعدل عندهم ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون، فيُغاثون بالضَّريع، وهو ذو غصَّة، فيغَصُّون به، فيذكرون أنَّهم كانُوا يُجيزون الغُصَصَ في الدُّنيا بالماء فيَستقون، فيعطشهم ألف سنة، ثمَّ يُسْقَوْنَ من عينٍ آنيةٍ، لا هنيئةٍ ولا مريئةٍ، فإذا أدنَوْهُ من وجوهِهم.. سلخ جلودَ وجوهَهم

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٢٧).

(٢) قرأ أبو عمرو وشُعبة بضم التاء الفوقية على ما لم يسمَّ فاعله، والباقون بفتحها على تَسمية الفاعل. انظر «السراج المنير» (٤/ ٥٢٥).

(٣) رواه الترمذي (٢٥٩١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في «القاموس المحيط»: (وأنى الحميم: انتهى حرُّه، فهو آنٍ، وبلَغ هذا أناه ـ ويُكسر ـ: غايتَه، أو نُضجه وإدراكه).

لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ ....

﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾.

(٨ - ١١) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾: حَسَنةٌ، ﴿لِّسَعْيِهَا﴾ في الدُّنيا بِالطَّاعةِ ﴿رَاضِيَةٌ﴾ في الآخِرة لَمَّا رأَت ثَوابَه، ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ حِسًّا ومَعنى، ﴿لَّا تَسْمَعُ﴾ ـ بالياء والتَّاء ـ ....

حاشية الصاوي

وشواها، فإذا وَصل بطونهم قطعها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥])(١).

إن قلتَ: كيف حصرَ الطَّعامَ هنا في الضريع مع أنَّ في (الحاقة) قال: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٦]؟

أجيب: بأنَّ العذاب ألوانٌ، والمعذَّبون أنواعٌ؛ فمنهم مَنْ يكونُ طعامُهُ الزَّقومَ، ومنهم مَنْ يكونُ طعامُهُ الضَّريعَ، ومنهم مَنْ يكونُ طعامُهُ الغسلينَ... وهكذا.

قوله: (﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾) كلٌّ منهما صفةٌ لـ﴿ضَرِيعٍ﴾، والمعنى: لا يحصل السِّمَنُ لآكلِهِ، ولا يدفع عنه جوعاً.

قوله: (حَسَنةٌ) أي: ذاتُ بهجةٍ وحسنٍ، وقيل: متنعِّمةٌ، والجمعُ حاصلٌ؛ فهي حسنةٌ ومتنعِّمةٌ.

قوله: (﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾) اللام بمعنى الباء، متعلق بـ﴿رَاضِيَةٌ﴾ الواقعةِ خبراً ثانياً عن (الوجوه)، والمعنى: أنَّهم الراضون بأعمالهم؛ لِمَا رأَوا من الجزاء عليها.

قوله: (حسًّا) أي: لأنَّ الجنَّة درجاتٌ على عددِ آيِ القرآنِ، بعضُها أعلى مِنْ بعضٍ؛ فبين الدَّرجتين مثلُ ما بينَ السَّماء والأرض، وقوله: (ومعنًى) أي: وهو الشَّرف والرِّفعةُ.

قوله: (بالياء والتاء) أي: ولكنَّ الفعلَ على الياء مبنيٌّ للمفعول لا غير، وعلى التاء فهو مبني للفاعل والمفعول؛ فالقراءات ثلاثٌ سبعيَّاتٌ(٢).

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٨٦) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء من تحت مضمومة على ما لم يسمَّ فاعله، (لاغية) رفعاً لقيامه مقام الفاعل، وقرأ نافع كذلك إلَّا أنه بالتاء من فوق، والتذكير والتأنيث واضحان؛ لأنَّ التأنيث مجازي، وقرأ الباقون بفتح التاء من فوق، ونصب (لاغية) فيجوز أن تكون التاء للخطاب؛ أي: لا تَسمع أنت، وأن تكون للتأنيث؛ أي: لا تَسمع الوجوه. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٧٦٩).

فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ ....

﴿فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ أي: نَفسٌ ذاتُ لَغوٍ: هَذَيانٍ مِن الكلام.

(﴿١٢﴾ - ﴿١٦﴾) ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ بِالماء بِمَعنى عُيون، ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ ذاتاً وقَدراً ومَحَلًّا، ﴿وَأَكْوَابٌ﴾: أقداحٌ لا عُرا لَها ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾ على حافَات العُيُون مُعَدَّة لِشُربِهِم، ﴿وَنَمَارِقُ﴾: وسائِدُ ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بَعضُها بِجَنبِ بَعض يُستَنَد إلَيها، ﴿وَزَرَابِيُّ﴾: بُسُط ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَٰغِيَةً﴾) صفةٌ للجماعة؛ أي: جماعة لاغية، ويصحُّ أن يكون مصدراً؛ كـ(العاقبة) و(العافية)؛ كقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [الواقعة: ٢٥].

قوله: (﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾) أي: على وجه الأرض من غير أخدودٍ، لا يَنقطع جريها أبداً، والمراد بالعين: الجنسُ الصادقُ بالأنهار المتقدِّم ذكرُها في سورة (محمَّد) عليه السَّلام.

قوله: (﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾) قال ابن عباس: (ألواحُها من ذهبٍ، مُكلَّلةٌ بالزبرجد والدرِّ والياقوت، مرتفعةٌ في السماء ما لم يَجِئْ أهلُها، فإذا أراد أن يجلسَ عليها صاحبُها.. تواضعَتْ حتَّى يجلسَ عليها، ثمَّ ترتفع إلى مَواضعها)[1].

قوله: (﴿وَأَكْوَابٌ﴾) جمع (كوبٍ).

قوله: (لا عُرَى لها) أي: ولا خرطوم.

قوله: (مُعَدَّةٌ لشربِهم) أي: فكلَّما أرادُوا الشُّربَ.. وجدوها مملوءةً بالشراب، ويصحُّ أنَّ المرادَ: موضوعةٌ بين أيديهم يتلذَّذون بالنَّظرِ إليها، ويصحُّ أنَّ المرادَ: موضوعةٌ عن حدِّ الكِبَرِ، فهي متوسِّطةٌ، وحينئذٍ: فيكونُ نظيرَ قولِهِ تعالى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٦].

قوله: (﴿وَنَمَارِقُ﴾) جمع (نُمْرُقَةٍ) بضمِّ النُّون والرَّاء، وكسرِهما، لغتان.

قوله: (وسائد) جمع (وسادةٍ)، وهي المعروفة بالمِخدَّةِ.

قوله: (﴿مَصْفُوفَةٌ﴾) أي: فوق الطَّنافس.

قوله: (﴿وَزَرَابِيُّ﴾) جمع (زربيَّة) بتثليث الزَّاي.

---

(١) أورده الخطيب في «السراج المنير» (٤/ ٤٢٦).

مَبۡثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾ ....

طَنافِس لَها خَمل ﴿مَبۡثُوثَةٌ﴾: مَبسُوطةٌ.

(﴿١٧﴾ - ﴿٢٠﴾) ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ أي: كُفَّار مكَّة نَظَرَ اعتِبار ﴿إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ أي: بُسِطَت فَيستَدِلُّون بِها على قُدرةِ الله تَعالى ووَحدانِيَّتِه؟ ....

حاشية الصاوي

قوله: (طنافس) جمع (طنفسة) بتثليث الفاء والطاء؛ ففيه تسعُ لغات، صفة لـ(بسط)، ويسمَّى أيضاً السَّجادة، فلها ثلاثة أسماء: سَجادة، وطنفسة، وزربيَّة.

قوله: (﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾) استئنافٌ مقرِّرٌ لما مضى مِنْ حديث الغاشية، والهمزة داخلة على محذوفٍ، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أعمُوا فلا ينظرون؟ وهو استفهام إنكاريٌّ توبيخيٌّ، وخُصَّتِ الإبلُ؛ لكثرةِ منافعِها؛ كأكل لحمِها، وشربِ لبنِها، والحملِ عليها، وركوبها، والتَّنقل عليها إلى البلاد البعيدة، وعيشِها بأيِّ نباتٍ أكلتْهُ كالشَّجرِ والشَّوكِ، وصبرِها على العطشِ عشرةَ أيامٍ فأكثرَ، وطَواعيتِها لكلِّ مَنْ قادها ولو صغيراً، ونهوضِها وهي باركةٌ بالأحمال الثقيلة، ولا تؤذي مَنْ وَطِئَتْهُ برجلِها، وتتأثَّرُ بالصَّوتِ الحسنِ مع غلظِ أكبادِها، ولا شيءَ مِنَ الحيواناتِ جَمَعَ هذه الأشياء غيرها، ولكونها أفضلَ ما عندَ العربِ جعلُوها دِيَةَ القتلِ. والإبلُ: اسمُ جمعٍ لا واحدَ له مِنْ لفظِهِ، وإنَّما له واحدٌ مِنْ معناه؛ كـ: بَعير، وناقة، وجمَل.

قوله: (﴿كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾) ﴿كَيۡفَ﴾: منصوب بـ﴿خُلِقَتۡ﴾ على الحال، والجملة بدلُ اشتمالٍ من ﴿ٱلۡإِبِلِ﴾، فهي في محلِّ جرٍّ.

قوله: (﴿كَيۡفَ رُفِعَتۡ﴾) أي: فوق الأرض مِنْ غير عَمَدٍ.

قوله: (﴿كَيۡفَ نُصِبَتۡ﴾) أي: على وجه الأرض نصباً ثابتاً راسخاً لا يَتزلزل.

قوله: (فيَستدلون بها... إلخ) الحكمة في تخصيص هذه الأشياء بالذكر: لأنَّ القرآن نزل على العرب، وكانُوا يسافرون كثيراً في الأودية والبراري مُنفردين عن النَّاس، والإنسانُ إذا انفرد.. أقبلَ على التفكُّر، فأوَّلُ ما يقعُ بصرُهُ على البعيرِ الذي هو راكبه، فيرى منظراً عجباً، وإن نظر إلى فوق.. لم يرَ غيرَ السماء، وإن نظر يميناً وشمالاً.. لم يرَ غيرَ الجبال، وإن نظر إلى تحت.. لم يرَ غير الأرض، فكأنَّهُ تعالى أمره بالنَّظر وقتَ الخلوةِ والانفرادِ، ولا يَحمله الكبر على ترك النَّظر.

فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ ....

وصُدِّرَت بالإبِل لِأنَّهُم أشَدُّ مُلابَسة لَها مِن غَيرِها. وقَولُه: ﴿سُطِحَتْ﴾ ظاهِر في أنَّ الأرض سَطحٌ وعلَيهِ عُلَماء الشَّرع، لا كُرة كما قالَهُ أهلُ الهَيئة، وإن لَم يَنقُض رُكناً مِن أركانِ الشَّرع.

(﴿٢١﴾ - ﴿٢٤﴾) ﴿فَذَكِّرْ﴾هُم نِعَمَ الله ودَلائِلَ تَوحِيدِه، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ ـ وفي قِراءة بِالصَّاد بَدَل السِّينِ ـ أي: بِمُسلَّطٍ، وهذا قبلَ الأمرِ بِالجِهادِ، ﴿إِلَّا﴾: لَكِن ﴿مَن تَوَلَّىٰ﴾: أعرَضَ عن الإيمانِ ﴿وَكَفَرَ﴾ بِالقُرآن، ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾: عَذابَ الآخِرة، والأصغَرُ عَذابُ الدُّنيا بِالقَتلِ والأسرِ.

حاشية الصاوي

قوله: (وصُدِّرَتْ) أي: هذه الأربعةُ.

قوله: (وإن لم يَنْقُضْ) أي: ما قاله أهلُ الهيئة من قواعدهم التي ذكرُوها، وقوله: (ركناً) أي: قاعدةً من قواعد الشَّرع، فلا يضرُّ في العقيدة؛ لأنَّ عُلماء الهيئة قالوا: إنَّ الأرض كرةٌ بطَبعها، وحقيقتُها كالبيضةِ، فالسَّماوات السَّبعُ محيطةٌ بالأرضِ من كلِّ جانبٍ، والعرش محيطٌ بالجميع، لكنَّ الله تعالى أخرج الأرض عن طبعِها بفضلِهِ وكرمه؛ بتَسطيح بعضِها لإقامةِ الحيواناتِ عليها رحمةً بهم.

قوله: (﴿فَذَكِّرْ﴾) مفرَّعٌ على ما تقدَّم من ذكر دلائلِ التَّوحيد.

قوله: (﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾) تعليلٌ للأمرِ بالتَّذكير.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (أي بمسلَّط) هذا تفسيرٌ للقراءتين.

قوله: (وهذا قبل الأمر بِالجهاد) أي: فهو منسوخٌ بآية السَّيف.

قوله: (لكن ﴿مَن تَوَلَّىٰ﴾... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الاستثناء منقطعٌ، والاستدراك لدفعِ توهُّمِ

(١) قرأ هشام بالسين وقرأ حمزة بخلاف عن خَلف بإشمام الصاد كالزاي، والباقون بالصاد الخالصة. انظر «السراج المنير» (٤/٥٢٨).

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

(﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾) ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾: رُجُوعَهم بعدَ المَوت، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾: جَزاءَهُم لا نَترُكهُ أبداً.

حاشية الصاوي

أنَّهم يتركون في الآخرة كالدنيا، وذلك أنَّه أُمِرَ بعدمِ التَّعرضِ لهم في مبدأ الأمر، فربَّما يتوهَّم أنَّهم في الآخرة كذلك، فأفادَ: أنَّه وإن أمهلهم في الدنيا لا يُفْلِتُهم مِنَ العذاب في الآخرة.

قوله: (﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾) تعليلٌ لتعذيبِهِ تعالى بالعذاب الأكبر.

قوله: (﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾) أي: بمقتضى وعيدِنا، لا وجوباً علينا. و(ثمَّ) للتراخي في الرتبة، لا في الزمان؛ فإنَّ الترتيب الزمانيَّ بين إيمانهم وحِسابهم، لا بينَ كونِ إيابهم إليه تعالى وحِسابهم عليه تعالى؛ فإنَّهما أمران مُستمرَّان. وجمع الضمير في ﴿إِيَابَهُمْ﴾ باعتبار معنى (مَنْ).

✿ ✿ ✿

[illegible]

[illegible]

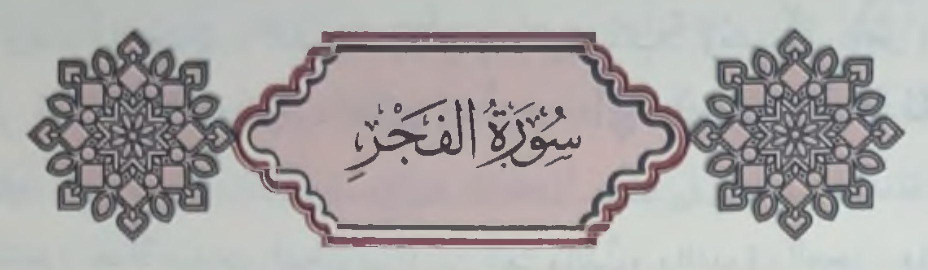
* * *

[illegible]

[illegible]

[illegible]

﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾ ....



مكيَّة أو مدنيَّة، ثلاثُون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٥) ﴿وَالْفَجْرِ﴾ أي: فجرِ كُلِّ يوم، ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ أي: عَشر ذِي الحِجَّة، ﴿وَالشَّفْعِ﴾: الزَّوجِ ﴿وَالْوَتْرِ﴾ ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الفَجْرِ

(مكيَّة) أي: في قول الجمهور، وقوله: (أو مدنيَّة) أي: في قول عليِّ بن أبي طلحة[1].

قوله: (أي: فجر كلِّ يوم) هذا أحدُ أقوالٍ كثيرةٍ في تفسير (الفجر)، وهو قول عليٍّ وابن الزبير وابن عباس[2]، أو فجرُ أوَّل يوم من المحرَّم؛ منه تنفجر السَّنة، أو فجرُ يوم النَّحر؛ لأنَّ فيه أكثرَ مناسِك الحج، وفيه القُربات، أو فجرُ ذي الحجة؛ لأنَّه قُرِنَ به الليالي العشر.

قوله: (أي: عشر ذي الحجة) أي: وإنَّما نكِّرت؛ لأنَّها أفضلُ ليالي السَّنة، وما ذكره المفسِّرُ أحدُ أقوالٍ، وقيل: هي العشر الأواخر من رَمضان، وقيل: العشر الأوَّل من المحرَّم.

قوله: (﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾) قال مجاهد ومسروق: (الشفع: الخلق كلُّه، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]؛ الكفر والإيمان، والهدى والضلال، والسعادة والشَّقاوة، والليل والنَّهار، والسماء والأرض، والبر والبحر، والشمس والقمر، والجن والإنس، والوتر: هو الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾)[3].

---

(١) انظر «مَصاعد النظر للإشراف على مَقاصد السور» للبقاعي (٣/ ١٨٩).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٣٨).

(٣) أورده الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٠/ ١٩٣).

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥﴾ ....

ـ بِفَتحِ الواو وكَسرها لُغَتانِ ـ: الفَرد، ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ مُقبِلاً ومُدبِراً، ﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ﴾ القَسَم ﴿قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾: عَقلٍ؟ ـ وجَواب القَسَم مَحذُوف ـ أي: لَتُعذَّبُنَّ يا كُفارَ مَكة.

حاشية الصاوي

وقيل: الشفع: تضادُّ صفاتِ المخلوقين؛ من العزِّ والذلِّ، والقدرةِ والعجزِ، والقوَّةِ والضَّعفِ، والعِلم والجهل، والبصر والعمى، والوتر: انفراد صفات الله تعالى؛ عزٌّ بلا ذلٍّ، وقدرةٌ بلا عجزٍ، وقوَّةٌ بلا ضعفٍ، وعلمٌ بلا جهلٍ، وحياةٌ بلا موتٍ.

وقيل: الوتر: يومُ عرفة؛ لأنَّه تاسع، والشفع: يوم النَّحر؛ لأنه عاشر، وقيل غير ذلك.

قوله: (بفتح الواو وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، ولغتان جيِّدتان[1].

قوله: (﴿وَٱلَّيۡلِ﴾) قَسَمٌ خامَسٌ، بعدَما أقسم بالليالي العشر على الخُصوص أقسَم بالليل على العموم، وقيل: ليلة المزدلفة خاصَّة، وقيل: ليلة القدر؛ لِسَريان البركة فيها.

قوله: (﴿إِذَا يَسۡرِ﴾) ﴿إِذَا﴾: معمول لمحذوف هو فِعل القسم، والمعنى: أقسم بالليل وقت سُراه.

قوله: (مقبلاً) أي: بإدبار النَّهار، وقوله: (ومدبراً) أي: بإقبال النَّهار، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ إسناد السُّرى لليل حقيقةٌ، وقال غيره: إنَّ إسناد السُّرى له مجازٌ عقليٌّ؛ من الإسناد للزمان[2]، والمعنى: يُسْرَى فيه، وكلٌّ صحيحٌ.

قوله: (﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ﴾... إلخ) استفهامٌ تقريريٌّ لفخامةِ شأن الأمور المقسَم بها، واسم الإشارة عائدٌ على الأمور المقسَم بها.

قوله: (القَسَمِ) أي: الحَلِف، و(أل) جنسيَّةٌ صادقةٌ بالمذكور من الأقسام، وهي خمسةٌ، وكذا يُقال في قوله: (وجواب القسَم... إلخ).

قوله: (عقل) سمِّي حجراً؛ لأنَّه يَحْجُرُ صانعَهُ ويمنعُهُ عن القبائح.

قوله: (وجواب القسم محذوف) وقيل: هو قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾، وقيل غير ذلك.

---

(١) قرأ حمزة والكسائيُّ بكسر الواو، والباقون بفتحها، وهما لُغتان: الفتح لغة قريش ومَن والاها، والكسر لغة تميم. انظر «السراج المنير» (٤/ ٥٣٠).

(٢) هو قول الأخفش؛ كما في «الدر المصون» (١٠/ ٧٨١).

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨﴾ ....

(٦ - ١٤) ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم يا محمد ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ﴾ هي عادٌ الأُولَى، - فـ﴿إِرَمَ﴾ عطفُ بيان أو بدَل، ومَنعُ الصَّرف لِلعلَمِيَّة والتَّأنيث - ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ أي: الطُّولِ، كان طُول الطَّوِيل مِنهُم أربعمائةِ ذِراع، ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ... إلخ) شُروعٌ في بيان أحوال الأُمَم الماضية، وذكر منهم عاداً وثمودَ وفرعون؛ لأنَّ أخبارهم كانت مَعلومةً عندهم، والخطاب للنَّبي ﷺ، ولكنَّه عامٌّ لكلِّ أحدٍ.

قوله: (﴿إِرَمَ﴾) هو في الأصل: اسم جد عاد، وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوحٍ عليه السَّلام، سمِّيت القبيلة باسم جدِّهم عاد، وعاشَ ألف سنة ومئتي سنة، ورزق من صُلبه أربعة آلاف ولد، وتزوَّج ألف امرأة، ومات كافراً.

قوله: (أي: الطُّولِ) هذا أحدُ أقوال، وقيل: إنَّ المراد به: الأبنيةُ المرتفعة على العمد، فكانُوا يَنصبون الأعمدة، فيَبنون عليها القصور، وقيل: ذات العماد: ذات القوَّة والشدَّة، قال تعالى: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، وقيل غير ذلك.

قوله: (كان طولُ الطَّويل... إلخ) نحوُهُ قول الكازرونيِّ: (طولُ الطويل منهم خمس مئة ذراع، والقصير ثلاث مئة ذراع بذراع نفسِهِ)، وردَّ ذلك ابنُ العربي بقوله: (هو باطلٌ؛ لأنَّ في الصحيح: «أنَّ الله خلق آدم طوله ستون ذراعاً في الهواء، فلم يَزل الخلق ينقصون إلى الآن»). اهـ[1]، وقال قتادة: (إنَّ طول الرجل مِنهم اثنا عشر ذراعاً).

قوله: (﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾) أي: لم يُخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوَّة، وهم الذين قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، وقيل: هي مدينةٌ بناها شدَّاد بن عاد.

وحاصل قصَّتها: أنَّه كان لعاد ابنان: شَداد، وشديد، فملَكا بعده، وقهرَا العباد والبلاد، فمات شديد، وخلص الملك لشدَّاد، فملك الدنيا، ودانت له ملوكها، وكان يحبُّ قراءة الكتب القديمة، فسمع بذكر الجنَّةِ وصفتِها، ودعَتْهُ نفسُهُ إلى بناءِ مثلِها؛ عتوًّا على الله، وتجبراً، فروى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة: أنَّه خرج في طلب إبلٍ له شردَتْ، فبينَما هو يسير في صحارى عدن؛ إذ وقع على مدينةٍ في تلك الفلوات، عليها حِصنٌ، وحول الحصن قصورٌ كثيرةٌ، فلَما دنا منها.. ظنَّ أنَّ فيها

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٤/ ٣٩١)، والحديث رَواه البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

. . . .

حاشية الصاوي

أحداً يسأله عن إبلِهِ، فلم يرَ خارجاً ولا داخلاً، فنزل عن دابَّته وعَقَلَها، وسلَّ سيفه، ودخل من باب المدينة؛ فإذا هو ببابَين عظيمين، وهما مُرصَّعان بالياقوت الأحمر، فلمَّا رأى ذلك.. دهش، ففتح الباب ودخل؛ فإذا هو بمدينةٍ لم يرَ أحدٌ مثلَها، وإذا فيها قصورٌ في كلِّ قصرٍ منها غرفٌ، وفوق الغرفِ غرفٌ مبنيَّةٌ بالذهب والفضة وأحجارِ اللؤلؤ والياقوت، وإذا أبواب تلك القصور مثلُ مصاريع باب المدينة يقابل بعضُها بعضاً، وهي مفروشةٌ كلُّها باللؤلؤ وبَنادق المسك والزعفران، فلمَّا عاين ذلك ولم يرَ أحداً.. هاله ذلك، ثمَّ نظر إلى الأزقَّةِ؛ فإذا في تلك الأزقَّةِ أشجارٌ مثمرةٌ، وتحتَ تلك الأشجارِ أنهارٌ يجري ماؤها في قنواتٍ من فضَّةٍ، فقال الرجل في نفسِه: هذه الجنَّة، وحمل معه من لؤلؤها، ومن بنادق مسكها وزعفرانها، ورجع إلى اليمن، وأظهر ما كان معه، وحدَّث بما رأى، فبلغ ذلك معاويةَ، فأرسل إليه، فقدِم عليه، فسأله عن ذلك، فقصَّ عليه ما رأى، فأرسل معاوية إلى كعبِ الأحبار، فلمَّا أتاه.. قال له: (يا أبا إسحاق؛ هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة؟) قال: نعم، هي إرمُ ذات العماد، بناها شداد بن عاد، قال: (فحدِّثني حديثَها)، فقال: (لمَّا أراد شدَّاد بن عاد عملها.. أمر عليها مئة قهرمان، مع كلِّ قهرمان ألفٌ من الأعوان، وكتب إلى ملوك الأرض أن يُمِدوهم بما في بلادهم من الجواهر، فخرجت القهارمة يَسيرون في الأرض؛ ليجدُوا أرضاً موافقة، فوقفُوا على صخرةٍ نقيَّةٍ من التلال؛ وإذا فيها عيونُ ماءٍ، ومروجٌ، فقالوا: هذه الأرض التي أمر الملك أن نبنيَ فيها، فوضعُوا أساسها من الجزع اليماني، وأقامُوا في بنائها ثلاث مئة سنة، وكان عمر شدَّاد تسعَ مئة، فلمَّا أتَوه وقد فرغوا منها.. قال: انطلقوا فاجعلُوا حصناً ـ يعني: سوراً ـ واجعلوا حولَهُ ألفَ قصرٍ، وعند كلِّ قصرٍ ألفَ علمٍ؛ ليكون في كلِّ قصرٍ وزيرٌ من وزرائه، ففعلوا، وأمر الملك وزراءَه ـ وهم ألف وزير ـ أن تهيَّؤوا للنقلة إلى إرم ذات العماد، وكان الملكُ وأهلُهُ في جهازهم عشرَ سنين، ثمَّ ساروا إليها، فلمَّا كانوا من المدينة على مَسيرة يوم وليلة.. بعث الله عليهم وعلى مَنْ كان معه صيحةً من السماء، فأهلكتهم جميعاً، ولم يبقَ منهم أحد).

ثمَّ قال كعب: (وسيدخلها رجلٌ من المسلمِين في زمانك أحمرُ أشعرُ قصيرٌ، على حاجبِهِ خالٌ، وعلى عنقه خال، يخرج في طلب إبلٍ له، ثمَّ التفت، فأبصر عبد الله بن قلابة، فقال: هذا والله ذلك الرجل)[1].

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/١٩٧)، قال الغماري في «بِدع التفاسير» (ص١٤٧): (قال الحافظ: «آثار الوضع عليه لائحة»، ولا شك أن هذا كذب مَفضوح يجب تَنزيه كتب التفسير عنه؛ لأنه يُشَوِّهُ جمالها).

وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ....

في بَطشِهم وقُوَّتِهم، ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ﴾: قَطَعُوا ﴿ٱلصَّخْرَ﴾: جمع صَخرةٍ واتَّخذُوها بُيُوتاً ﴿بِٱلْوَادِ﴾: وادِي القُرَى، ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ كان يَتِدُ أربعَةَ أوتادٍ يَشُدُّ إليها يَدَي ورِجلَي مَن يُعذِّبُهُ، ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ﴾: تَجبَّرُوا ﴿فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾: القَتلَ وغَيرَه، ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ﴾: نوعَ ﴿عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ ....

حاشية الصاوي

وهذه المدينة يزعم العامَّة أنَّها دائرة في الدنيا، وهو مِن الخرافات، بل هي في مكانها غير أنَّ الله تعالى أعمى الخلَف عنها، فلم يهدِ لها إلَّا من وعد بها.

قوله: (في بَطشهم) متعلق بـ(مثلُها)، والضمير عائدٌ على القبيلة؛ باعتبار أهلها.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ﴾) صفة لـ(ثمود)، والباء في ﴿بالوادي﴾: بمعنى (في)، و(ثمود): عطف على (عاد)، وهي قبيلةٌ مشهورةٌ.

قوله: (واتخذوها بيوتاً) قيل: أوَّل مَنْ نحت الجبال والصخر والرُّخام: ثمود، وروي: أنهم بنَوا ألفاً وسبع مئة مدينة، كلُّها من الحجارة، وقيل: سبعة آلاف، كلُّها من الحجارة[1].

قوله: (وادي القرى) موضعٌ بقرب المدينة، من جملة الشَّام.

قوله: (كان يَتِد أربعة أوتاد. . . إلخ) أي: يدقُّها للمعذَّب ويشدُّه بها مطروحاً على الأرض، ثمَّ يعذِّبه بما يريد من ضربٍ وإحراقٍ وغيرهما.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ﴾) إمَّا مجرورٌ صفةٌ للمذكورين، أو منصوبٌ، أو مرفوع على الذمِّ.

قوله: (نوعَ ﴿عَذَابٍ﴾) فسَّره على ذلك؛ لقول الفراء: (سوط العذاب: كلمةٌ تقولها العرب لكلِّ نوعٍ من أنواع العذاب)[2]، والمعنى: أنزل على كلٍّ نوعاً من العذاب؛ فأُهلِكت عادٌ بالريح، وثمود بالصَّيحة، وفرعون بالغرق.

قوله: (﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾) تعليلٌ لما قبله؛ إعلاماً بأنَّ كفَّار قومِهِ عليه السَّلام سيصيبُهم مِثْلُ ما أصاب المذكورين من العذاب.

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٤٨).

(٢) «معاني القرآن» (٣/ ٢٦١).

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾ ....

يَرصُد أعمالَ العِباد فلا يَفُوتُه مِنها شَيءٌ لِيُجازِيَهُم علَيها.

(﴿١٥﴾ - ﴿٢٠﴾) ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ﴾: الكافِرُ ﴿إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾: اختَبرهُ ﴿رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ﴾ بِالمالِ وغَيرِه ﴿وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (يَرصد أعمال العباد) أشار بذلك إلى أنَّ في الكلام استعارةً تمثيليَّةً؛ شبَّه حفظه تعالى لأعمال عِباده ومجازاته عليها بحال مَنْ قَعَدَ على الطُّرق مترصداً لمن يَسلكها؛ ليأخذه فيُوقِعَ به ما يريد، واستُعير اسم المشبَّه به للمشبَّه.

قوله: (﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ﴾) «أمَّا» هنا لمجرد التأكيد، لا للتأكيد مع التفصيل؛ لعدم تقدُّم مُقتَضيه، وهو مرتبطٌ بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾، فكأنَّه قيل: إنَّ الله لا يرضى مِن عباده إلَّا الطاعة والإخلاص؛ لِما في الحديث: «**إنَّ الله لا ينظر إلى صُوَركم وأموالكم، ولكن يَنظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[1]؛ فأمَّا الإنسان.. فلا يَلتفت لذلك؛ لكونه مطبوعاً على خلافه، وإنَّما يَلتفت للعاجل. وما قرَّرناه سالمٌ من الدسيسة الاعتزاليَّة الواقعةِ في كلام الزمخشري؛ حيث نفى عن الله إرادةَ المعاصي والقبائح، ونصُّ عبارته: (فإن قُلتَ: بِمَ اتَّصل قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ﴾؟ قلتُ: بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾، فكأنَّه قيل: إنَّ الله لا يُريد من الإنسان إلَّا الطاعة، فأمَّا الإنسان.. فلا يريد ذلك ولا يهمُّه إلَّا العاجلة)[2]. اهـ، فتدبَّر.

قوله: (﴿إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾... إلخ) إنَّما سمَّى كلًّا من بَسط الرزق وتقتيره ابتلاءً؛ لأنَّه يختبر حالَ العبد في الحالين؛ فإذا بَسَطَ له الرزقَ.. فقد اختبر حالَهُ؛ أيشكرُ أم يكفرُ؟ وإذا قَدَرَ عليه.. فقد اختبر حالَهُ أيصبر أم يَجزع؟ فالحكمة فيهما واحدةٌ.

قوله: (اختبره) أي: عاملَهُ معاملةَ المختبِر.

قوله: (بالمال وغيره) أي: كالجاه والولد.

قوله: (﴿وَنَعَّمَهُۥ﴾) أي: جعله مُتلذذاً بتلك النِّعم.

قوله: (﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِى﴾[3]) أي: فضَّلني وأحسَن إليَّ.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «الكشاف» (٤/ ٧٥٢).

(٣) كذا في الأصول بإثبات الياء في قِراءة من أثبتها.

وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ....

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ﴾: ضَيَّقَ ﴿عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ - رَدعٌ - أي: ليس الإكرامُ بِالغِنَى والإهانةُ بِالفَقرِ، وإنَّما هو بِالطَّاعةِ والمَعصِية، وكُفَّارُ مكَّة لا يَنتبِهُون لِذلك،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾): ﴿مَا﴾ زائدة؛ لوقوعها بعد ﴿إِذَا﴾، وكذا يُقال في الأولى.

قوله: (﴿فَقَدَرَ﴾) بالتَّخفيف والتشديد، قراءتان سبعيَّتان[1].

إن قلتَ: مقتضى المقابلة أن يقول: (فأهانه وقدر عليه رزقه) كما قال: ﴿فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾.

أجيب: بأنَّ البسط إكرامٌ من الله لعبده، وليس ضدُّه إهانةً، بل تركٌ للكراهة، فإذا أهدى لك إنسان هديَّة.. فقد أكرمك بها، وإذا لم يُهْدِ إليك.. فلم يحصل منه إكرامٌ ولا إهانةٌ، وأيضاً: فيه إشارةٌ إلى أنَّ تقدير الرِّزق لا يلزم أن يكون دليلاً على الإهانة، بل قد يكون دليلاً على المحبَّة والتكريم؛ لما وردَ: «**أشدُّكم بلاءً الأنبياء، ثمَّ الأولياء، ثمَّ الأمثَل فالأمثَل**»[2]، فقول العبد: (ربي أهانني) من قُصورِهِ وغفلتِهِ، وإلَّا.. فالمطلوب منه أن يرضى ويسلِّمَ.

قوله: (﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾) أي: لم يُحسن إليَّ، ولم يُفضِّلْني. وفي ياء (أهانني) و(أكرمني) خلافٌ بين القرَّاء؛ فبعضهم يُثبتهما وصلاً ووقفاً، وبعضهم يحذفهما في الحالَين، وبعضهم يثبتهما وصلاً ويحذفهما وقفاً[3].

قوله: (ردعٌ) أي: عن الشقَّين؛ بدليل قوله: (أي: ليس الإكرام... إلخ).

قوله: (وكفَّار مكة... إلخ) توطئةٌ للدخول على قوله: ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ...﴾ إلخ، وقوله: (لذلك) أي: لكون الإكرامِ بالطَّاعة، والإهانةِ بالكفر والمعاصي، وكثيرٌ مِنْ جَهَلَةِ المؤمنين يَعتقدون هذا الاعتقادَ، وهو غلطٌ وغرورٌ.

---

(١) قرأ ابن عامر بتشديد الدال، والباقون بتخفيفها، وهما لُغتان بمعنى واحد. انظر «الدر المصون» (١٠/٧٨٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٤٩٣)، وابنُ ماجه (٤٠٢٣) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وليس فيه ذكر (الأولياء)، وفي رِواية الإمام أحمد في «المسند» (٣/٧٨): (أيُّ النَّاس أشدُّ بَلاء؟ قال: «الأنبياء، ثمَّ الصالحون، ثمَّ الأمثَلُ، فالأمثلُ مِن الناس...»).

(٣) قرأ نافع بإثبات ياءَيهما وصلاً وحذفِهما وقفاً، مِن غير خلاف عنه، والبزي عن ابن كثير يُثبتهما في الحالين، وأبو عمرو اختُلف عنه في الوصل؛ فرُوي عنه الإثبات والحذف، والباقون يَحذفونهما في الحالين. انظر «الدر المصون» (١٠/٧٨٩).

بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَـٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ....

﴿بَل لَّا يُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾: لا يُحسِنُون إلَيهِ مَع غِناهُم، أو لا يُعطُونَه حقَّهُ مِن المِيراث، ﴿وَلَا يَحُضُّونَ﴾ أنفُسَهم ولا غَيرَهُم ﴿عَلَىٰ طَعَامِ﴾ أي: إطعامِ ﴿ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَيَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾: المِيراثَ ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ أي: شَدِيداً لِلَمِّهِم نَصِيب النِّساء والصِّبيان مِن المِيراثِ مع نَصِيبِهم مِنهُ أو مَع مالِهِم، ﴿وَيُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي: كَثِيراً فلا يُنفِقُونَه، ـ وفي قِراءة بِالفوقانِيَّة في الأفعالِ الأربَعة ـ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَل لَّا يُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾) إضرابٌ مِنْ قبيحٍ إلى أقبحَ منه؛ ترقِّياً في ذمِّهم.

قوله: (﴿وَلَا يَحُضُّونَ﴾) أي: يحثُّون، ومفعولُهُ محذوفٌ، قدَّره بقوله: (أنفسَهم ولا غيرهم).

قوله: (أي: إطعامِ) أشار بذلك إلى أنَّ (الطعام) مصدرٌ بمعنى (الإطعام)، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ إكرامَ اليتيم، والحثَّ على إطعامِ المساكين.. مِن أعظم الخصال فضيلةً.

قوله: (﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾) التاء فيه مبدلةٌ من الواو؛ لأنَّه من: الوراثة؛ كما في (تجاه)، و(تُكَأَة).

قوله: (﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾) أي: جمعاً، فاللَّمَمُ: الجمعُ، يقال: (لممتُ الشيءَ): جمعتُهُ، ومنه: (لَمَّ الله شعثَهُ) أي: جمع ما تفرَّق مِنْ أمورِهِ.

قوله: (أي: شديداً) صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ؛ أي: جمعاً شديداً.

قوله: (لِلَمِّهم نصيبَ النِّساء... إلخ) أي: فإنَّهم كانوا لا يورِّثون النِّساءَ والصِّبيانَ، ويأكلون أنصباءَهم، أو: يأكلون ما جمعَهُ المورِّث من حلالٍ وحرامٍ عالمين بذلك.

إن قلتَ: إنَّ السورة مكيَّة، وآية المواريث مدنيَّة ولا يعلم الحلُّ والحرمةُ إلَّا من الشرع؟

أجيب: بأنَّ حكم الإرث كان معلوماً لهم مِن بقايا شريعة إسماعيل، فهو ثابتٌ عندَهم بطريقِ عادتِهم.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً، وقرئ في السَّبع أيضاً: ﴿تَحَـٰٓضُّونَ﴾، وأصلها: تتحاضُّون، حذفت إحدى التاءين؛ أي: لا يحضُّ بعضكم بعضاً[1].

---

(١) قرأ أبو عمرو بياء الغيبة؛ حملاً على معنى الإنسان المتقدم؛ إذ المراد به الجنسُ، والجنس في معنى الجمع، =

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ ....

(﴿٢١﴾ - ﴿٢٤﴾) ﴿كَلَّآ﴾ - رَدع لَهُم عن ذلك - ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾: زُلزِلَت حتَّى يَنهَدِمَ كُلُّ بِناء علَيها ويَنعَدِمَ، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي: أمرُه ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ أي: المَلائكةُ ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ - حالٌ - أي: مُصطَفِّين أو ذَوِي صُفُوف كَثيرةٍ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (ردعٌ لَهم عن ذلك) أي: عن جمع المال، وحبِّه، وعدمِ إكرامِ اليتيم.

قوله: (﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ﴾) أي: حصل رجُّها وزلزلتُها لتسويتها.

قوله: (﴿دَكًّا دَكًّا﴾) ليس تأكيداً، بل التَّكرارُ للدَّلالةِ على الاستيعاب؛ كقولك: (رتَّبتُه باباً باباً) أي: باباً بعدَ بابٍ، وكذا يقال هنا: دكًّا بعد دكٍّ حتَّى تزول الجبالُ، وتستوي الأرضُ.

قوله: (أي: أمرُهُ) دفع بذلك ما يقال: إنَّ المجيء يقتضي الانتقالَ، وهو على الله محالٌ، فأجاب: بأنَّ الكلام على حذفِ مضافٍ؛ أي: حصَل أمره، وظهر سلطان قَهره وتجلِّيه على عباده.

قوله: (﴿صَفًّا صَفًّا﴾) أي: صفًّا بعدَ صفٍّ؛ لما وردَ عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: (أنَّ الخلائق إذا جُمِعُوا في صعيدٍ واحدٍ؛ الأوَّلين والآخرين.. أمر الجليلُ جلَّ جلالُهُ بملائكة سماء الدنيا أن يتولَّوهم، فيأخذُ كلُّ واحدٍ منهم إنساناً وشخصاً من المبعوثِين؛ إنساً وجنًّا، ووحشاً وطيراً، وحوَّلُوهم إلى الأرض الثانية؛ أي: التي تبدَّل، وهي أرضٌ بيضاءُ من فضَّةٍ نورانيَّةٍ، وصارت الملائكةُ من وراء الخلق حَلقةً واحدةً؛ فإذا هم أكثر من أهل الأرض بعَشر مرات، ثمَّ إنَّ الله تعالى يأمر بملائكة السَّماء الثانية، فيُحدِقون بهم حلقةً واحدةً؛ وإذا هم مثلُهم عِشرون مرَّةً، ثمَّ تنزل ملائكة السماء الثالثة فيُحدقون من وراءِ الكلِّ حلقةً واحدةً، فيكونون أكثرَ منهم بأربَعين ضعفاً، ثمَّ تنزل ملائكة السماء الخامسة فيُحدقون من ورائهم حلقةً واحدةً، فيكونون مثلَهم خمسين مرَّةً، ثمَّ تنزل ملائكة السماء السادسة فيحدقون من وراء الكلِّ حلقةً واحدةً، وهم مِثلهم ستون مرَّةً، ثمَّ تنزل ملائكة السماء السابعة فيُحدقون من وراء الكلِّ حلقةً واحدةً، وهم مثلهم سبعون مرَّةً، والخلق[1] تتداخلُ وتندمجُ حتَّى يعلوَ القدمَ ألفُ قدمٍ؛ لشدَّة الزحام، ويخوضُ النَّاس في العَرَقِ على أنواعٍ مختلفةٍ؛

= والباقون بالتاء في الجميع خطاباً للإنسان المراد به الجنس على طريق الالتفات، وقرأ الكوفيون: (تحاضون). انظر المرجع السابق.

(١) كذا في الأصول، ولعلها: (الحِلَقُ).

﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾ . . . .

﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾ تُقاد بِسَبعِينَ ألفَ زِمام، كُلُّ زِمام بِأيدِي سَبعِين ألفَ مَلَك، لَها زَفِير وتَغَيُّظ، . . . .

حاشية الصاوي

إلى الأذقان، وإلى الصدور، وإلى الحِقْوَيْنِ، وإلى الركبتين، ومنهم مَنْ يصيبُهُ الرَّشح اليسير كالقاعد في الحمَّام، ومنهم مَنْ تُصيبُهُ البِلَّةُ ـ بكسر الموحدة وتشديد اللام ـ كالعاطس إذا شرب الماء، وكيف لا يكون القَلق والعرق والأرَق وقد قربت الشمس من رُؤوسهم؟! حتَّى لو مدَّ أحدُهم يده. . لنالها، وتضاعَف حرها سبعين مرة)[1].

وقال بعض السَّلف: (لو طلعتِ الشَّمسُ على الأرض كهيئتِها يومَ القيامةِ. . لاحترقت الأرض، وذاب الصُّفر، ونَشفت البحار، فبينَما الخلائق يَموجون في تلك الأرض البيضاء التي ذكرها الله حيث يقول: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]؛ إذ جيء بجَهنم. . . إلخ)[2].

قوله: (﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾) ﴿يَوۡمَئِذِۭ﴾: منصوب بـ(جيء)، و﴿بِجَهَنَّمَۚ﴾: قائم مقام الفاعل.

قوله: (كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك) أي: يجرُّونها حتَّى تقف عن يسار العرش، قال أبو سعيد الخدري: (لمَّا نزل ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾. . تغيَّر لونُ رسول الله ﷺ، وعُرِفَ في وجهِهِ حتَّى اشتدَّ على أصحابه، ثمَّ قال: «أقرأني جبريل: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا. . .﴾ الآية، ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾»، قال علي رضي الله عنه: قلتُ: يا رسول الله؛ كيف يجاء بها؟ قال: «يُؤتى بها تقاد بسبعين ألف زمام، يقود بكلِّ زمامٍ سبعون ألف ملك؛ لو تُرِكَتْ. . لأحرقَتْ أهلَ الجمع، ثمَّ تعرض لي جهنَّم فتقول: ما لي ولك يا محمَّد؟! إنَّ الله قد حرَّم لحمك عليَّ، فلا يبقى أحدٌ إلَّا قال: نفسي نفسي إلَّا محمَّدٌ ﷺ؛ فإنَّه يقول: «ياربِّ؛ أُمَّتي، أُمَّتي»)[3].

قوله: (لها زفير) أي: صوتٌ شديدٌ.

قوله: (وتغيُّظ) أي: غليانٌ كغليانِ صدرِ الغَضبان.

---

(١) أورَده القرطبي في «التذكرة» (ص٥٨٣).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) أورَده بلفظه القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٥٥)، وفي «صحيح مسلم» (٢٨٤٢) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألفَ زمام، مع كل زمام سبعونَ ألف مَلَك يجرُّونها».

يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ ....

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ـ بَدَل مِن ﴿إِذَا﴾ وجَوابُها ـ: ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: الكافِر ما فرَّط فِيه، ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ ـ استِفهام بِمَعنى النَّفي ـ أي: لا يَنفَعهُ تَذكُّره ذلك، ﴿يَقُولُ﴾ مع تَذكُّرِه: ﴿يا﴾ ـ لِلتَّنبيه ـ ﴿لَيْتَنِى قَدَّمْتُ﴾ الخَير والإيمانَ ﴿لِحَيَاتِى﴾ الطَّيِّبةِ في الآخِرة أو وقتَ حَياتِي في الدُّنيا.

(﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾) ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ﴾ ـ بِكسرِ الذَّال ـ ﴿عَذَابَهُۥٓ﴾ أي: اللهِ ﴿أَحَدٌ﴾ أي: لا يَكِلهُ إلى غَيرِه، ﴿وَ﴾ كذَا ﴿لَا يُوثِقُ﴾ ـ بِكَسرِ الثَّاء ـ ﴿وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بدل من «إذا») أي: والعامل فيها ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ الذي هو الجواب، وهذا مذهب سيبويه، وقال غيره: البدل على نيَّة تكرار العامل؛ فالعامل في البدل محذوفٌ، نظير عامل المبدَل منه.

قوله: (﴿وَأَنَّىٰ﴾) اسمُ استفهامٍ، خبرٌ مقدَّمٌ، و﴿ٱلذِّكْرَىٰ﴾: مبتدأٌ مؤخَّرٌ، و﴿لَهُ﴾: متعلِّق بما تعلَّق به الظَّرف.

قوله: (استفهام بمعنى النَّفي) أي: فهو إنكاريٌّ.

قوله: (للتَّنبيه) أي: والتَّحسُّر.

قوله: (الخيرَ والإيمانَ) أشار بذلك إلى أنَّ مفعول ﴿قَدَّمْتُ﴾ محذوفٌ.

قوله: (﴿لِحَيَاتِى﴾) اللام: إمَّا للتعليل؛ أي: لأجل حياتي هذه الكائنة في الآخرة، أو بمعنى (وقت)، والمراد بالحياة: الحياة الدُّنيوية، وقد أشار لهما المفسِّر.

قوله: (بكسر الذال) وقوله: (بكسر الثاء) أي: فـ﴿أَحَدٌ﴾ فاعلٌ فيهما.

قوله: (أي: لا يَكِلُهُ إلى غيره) أي: لا يأمرُ غيرَه بمُباشرتِهِ، والمراد بالغير: غيرُ الملائكة؛ فلا ينافي أنَّه تعالى يَكِلُهُ إلى ملائكة العذاب؛ لأنَّهم يُباشرونه بإذنِ الله وأمرِه لهم، ويحتمل أنَّ المعنى: لا يعذِّب أحدٌ من خلق الله تعذيباً مثلَ تعذيبِ الله هذا الكافرَ، ولا يُوثق أحدٌ من خلق الله إيثاقاً مثلَ إيثاق الله لهذا الكافرِ، وكلٌّ صحيحٌ.

قوله: (﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾) أي: لا يشدُّ ولا يربطُ بالسَّلاسل والأغلالِ أحدٌ مثلَ ربطِهِ وشدِّهِ.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ ....

ـ وفي قِراءة بِفَتحِ الذَّال والثَّاء، فضَمِير ﴿عَذَابَهُۥ﴾ و﴿وَثَاقَهُۥ﴾ لِلكافرِ، والمَعنَى: لا يُعذَّب أحَد مِثلَ تَعذِيبِه ولا يُوثَق مِثلَ إيثاقِه ـ.

(﴿٢٧﴾ - ﴿٣٠﴾) ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾: الآمِنةُ وهي المُؤمِنةُ، ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ يُقالُ لَها ذلك عِند المَوت، أي: ارجِعِي إلى أمرِه وإرادَتِه ﴿رَاضِيَةً﴾ بِالثَّوابِ ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ عِندَ الله بِعَمَلِك، أي: جامِعةً بينَ الوَصفَينِ، وهُما حالانِ ويُقالُ لَها في القِيامة: ....

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة بفتح الذال والثاء) أي: وهما سبعيَّتان، و﴿أَحَدٌ﴾ على هذه القراءة: نائب الفاعل فيهما، الذي هو الله تعالى، أو الزَّبانية المتولُّون العذابَ بأمرِهِ تعالى[1].

قوله: (مثل تعذيبِهِ) مصدرٌ مضاف للمفعول، وهو الكافر.

قوله: (﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾) لمَّا ذكر حال مَنْ كانت همَّتُهُ الدنيا.. ذكرَ حالَ مَنِ اطمأنَّت نفسُهُ بالله، فسلَّم إليه أمرَهُ، واتَّكل عليه.

قوله: (الآمنة) أي: التي لا يَستفزُّها خوفٌ ولا حزنٌ.

قوله: (وهي المُؤمنة) هذا قول ابن عبَّاس، وقال الحسن: (المؤمنة الموقنة)، وعن مجاهد أيضاً: (الراضية بقضاء الله، التي عَلمت أنَّ ما أخطأها لم يكن لِيُصيبَها، وأنَّ ما أصابها لم يكن لِيُخطئها)، قال ابن عطاء: (العارفة التي لا تصبر عنه طرفةَ عينٍ)، وقيل: المطمئنَّة بذكر الله، وقيل غير ذلك[2]. وفي الحقيقة: كلٌّ من تلك المعاني صحيحٌ؛ لأنَّه متى ثبت لها الإيمانُ عندَ الموت.. تحقَّقت بذلك الخطابِ، فكلام المفسِّر من جوامِع الكلم.

قوله: (﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾) هو خبرٌ في المعنى وإن كان أمراً في الظَّاهر[3].

قوله: (عند الموت) قال عبد الله بن عمر: (إذا تُوفِّي العبد المؤمن.. أرسل الله عزَّ وجلَّ إليه ملَكين، وأرسل إليه بنفحة من الجنَّة فيقال: اخرجي أيَّتها النَّفس المطمئنَّة، اخرجي إلى روحٍ

---

(١) قرأ الكسائي (لا يعذب) و(لا يوثق) مَبنيَّين للمفعول، والباقون قرؤوهما مبنيَّين للفاعل. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٧٩٢).

(٢) انظر الأقوال في «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٥٨).

(٣) والتقدير: أنَّ النفس إذا كانت مطمئنَّةً.. رجعت إلى الله تعالى في القِيامة بسبَب هذا الأمر. انظر «السراج المنير» (٤/ ٥٣٦).

﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾

﴿فَٱدْخُلِى فِى﴾ جُملةِ ﴿عِبَٰدِى﴾ الصَّالِحِين، ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ معَهُم.

حاشية الصاوي

وريحانٍ، وربُّك عنك راضٍ، فتخرج كأطيبِ ريحِ مسلكٍ، وجدَه أحدٌ في أنفِهِ، والملائكة على أرجاء السماء يقولون: قد جاء من الأرض روحٌ طيِّبة، ونسمة طيِّبة؛ فلا تمرُّ ببابٍ إلَّا فُتِحَ لها، ولا بملكٍ إلَّا صلَّى عليها، حتَّى يؤتى بها الرَّحمنَ جلَّ جلالُهُ، فتسجد له، ثمَّ يقال لميكائيل: اذهب بهذه النَّفسِ فاجعلها مع أنفُسِ المؤمنين، ثمَّ يؤمر فيُوسع عليه قبره؛ سبعون ذراعاً عرضه، وسبعون ذراعاً طوله، ويُنْبَذُ فيه الروح والريحان، فإن كان معَهُ شيءٌ من القرآن.. كفاه نوره، وإن لم يكن.. حصل له نورٌ مثلُ نورِ الشَّمس في قبره، ويكون مثلُهُ مثلَ العروس؛ ينام فلا يُوقظه إلَّا أحبُّ أهلِهِ إليه.

وإذا توفِّي الكافر.. أرسل الله إليه ملَكين، وأرسل قطعةً من كساءٍ أنتنَ من كلِّ نَتْنٍ، وأخشنَ من كلِّ خشن، فيقال: أيَّتها النفس الخبيثة؛ اخرُجي إلى جهنَّم، وعذاب أليم، وربُّك عليك غَضبان)[1]. اهـ

وما ذكره المفسِّر من أنَّ النداء عند الموت.. أحدُ قولين، والآخر: أنَّه عند البعث، ومعنى قوله: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ أي: صاحبِك وهو الجسد، فيأمر الله تعالى الأرواح أن ترجع إلى الأجساد، وبه قال عكرمة وعطاءٌ والضحاك.

قوله: (﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾) الإضافة للتشريف، وإلَّا.. فالكلُّ عباده.

قوله: (﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ معهم) أي: مع الصالحين؛ لِتَفوزي بالنَّعيم المقيم. ولأهل الإشاراتِ تفاسيرُ منها: أنَّ الله يناديها في الدنيا بهذا النِّداءِ؛ حيثُ اتَّصفَتْ بتلك الصِّفات، يقول لها: يا أيَّتها النَّفس المطمئنَّة؛ ارجعي إلى ربِّك بفنائك عمَّا سِواه، راضية بأحكامِهِ، مرضيَّةً له بأوصافِكِ، فادخلي في عبادي الصالحين؛ أي: فكُوني معدودةً فيهم ومحسوبةً منهم، وادخلي جنَّة شُهودي في الدنيا ما دُمتي فيها، وهي الجنَّة المعجَّلة، ويقال لها ذلك أيضاً عند البعث على التفسير المتقدِّم، ويُرَادُ حينئذٍ بالجنَّة: جنَّةُ الخلود، وفسَّروا بذلك قولَهُ تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] أي: جنَّةُ الشُّهود في الدنيا التي قال فيها العارفُ ابنُ الفارض[2]: [الطويل]

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٤١٧٤) مِن حديث سيدنا عبد الله بن عمرو ﵄، وانظر «التذكرة» للقرطبي (ص٣٦٥).

(٢) كما في «ديوانه» (ص٢١٣).

....

حاشية الصاوي

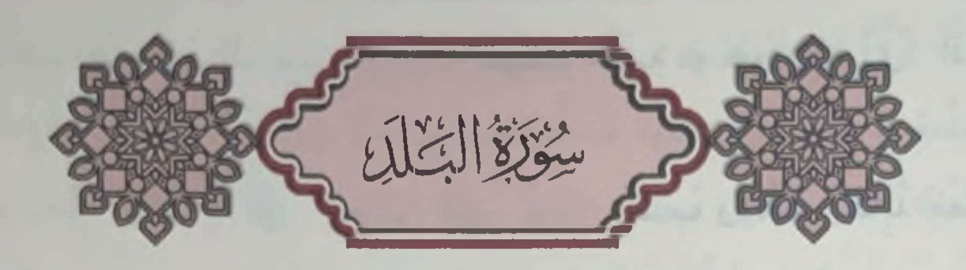
أَنِلْنَا مَعَ الأَحْبَابِ رُؤْيَتَكَ الَّتِي ... إِلَيْهَا قُلُوبُ الأَولِيَاءِ تُسَارِعُ

وجنَّةُ الخلود في العقبى، وهذا النِّداء الواقع في الدنيا يسمعه العارفون؛ إمَّا في المنام، أو بالإلهام، وتقدَّم تقسيمُ النَّفس، ومأخذُ كلِّ قسمٍ في سورةِ (القيامة)[1].

✿ ✿ ✿

(١) انظر (٧/ ٢٥٥-٢٥٦).

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ ....



مكيَّة، عشرُون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(﴿١﴾ - ﴿٣﴾) ﴿لَآ﴾ - زائِدة - ﴿أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾: مكَّة، ﴿وَأَنتَ﴾ يا مُحمَّد ﴿حِلُّۢ﴾: حَلالٌ ﴿بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ بِأن يَحِلَّ لَك فتُقاتِل فِيه، وقَد أنجزَ الله لَه هذا الوَعدَ يوم الفَتح،

حاشية الصاوي

سورة البلد

(مكيَّة) أي: بالإجماع.

قوله: (زائدة) هذا أحدُ احتمالَين، والآخر: أنَّها نافيةٌ لكلامٍ تقدَّمها.

قوله: (مكة) أي: لأنَّها مَهبط الرحمات، يُجْبَى إليها ثمراتُ كلِّ شيءٍ، جعلها الله حرماً آمناً، ومثابةً للنَّاس، وجعل فيها قبلة أهل الدنيا بأسرها، وحرَّم فيها الصيدَ، وجعل البيت المعمورَ بإزائِهِ، وغيرِ ذلك من فضائلِها، فلمَّا استجمعت تلك المزايا والفضائلَ.. أقسم الله تعالى بها.

قوله: (﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾) جملةٌ حاليَّةٌ، جيء بها تسليةً له ﷺ، وتعجيلاً لمسرَّته؛ حيثُ وعده بفتح مكَّة في المستقبل، وعبَّر عنه بالحال؛ لتحقُّق الوقوعِ؛ على حدِّ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠][1]، وقد أنجز الله له ذلك، فعندما نزع المِغْفَرَ عنه يوم الفتح.. جاء رجلٌ فقال: يا رسول الله؛ ابنُ خطلٍ متعلِّقٌ بأستار الكعبة، فقال: «اقتُلوه»، فقتله الزبير[2]، وخصَّ هذا الحال؛

(١) أي: وأنت حلٌّ به في المستقبل، تَصنع فيه ما تريد من القتل والأسر، وكفاك دليلاً قاطعاً على أنه للاستقبال، وأن تفسيره بالحال محالٌ: أنَّ السورة بالاتفاقِ مكيَّة، وأين الهجرة مِن وقت نزولها؛ فما بالُ الفتح؟ «فتوحات» (٤/ ٥٦٠).

(٢) رواه البخاري (١٨٤٦)، ومسلم (١٣٥٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه، والمِغفَر: ما يُلبس على الرأس من دِرع الحديد.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾ ....

ـ فالجُملة اعتِراض بينَ المُقسَم بِه وما عُطِف علَيهِ ـ. ﴿وَوَالِدٍ﴾ أي: آدم ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ أي: ذُرِّيَّتِه، ـ و(ما) بِمَعنى (مَن) ـ.

﴿٤﴾ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي: الجِنسَ ﴿فِي كَبَدٍ﴾: نَصَب وشِدَّة، يُكابِدُ مَصائِب الدُّنيا وشَدائِدَ الآخِرة.

حاشية الصاوي

لأنَّ مكَّة وإن كانت عظيمةً في نفسها إلَّا أنَّها في تلك الحالةِ أعظمُ؛ لانتقال أهلِها من الظلمات إلى النُّور. وفيه إشارةٌ إلى عظم قدر المصطفى، وشرفِ البقاع به، فمكَّة زادها الله تشريفاً بقدومِهِ بها وهو حلالٌ.

قوله: (فالجملة اعتراضية) أي: لا تعلُّقَ لها بما قبلها ولا بما بعدها، قُصِدَ بها الإخبارُ بما سيكون، والأحسنُ جعلُها حاليَّةً كما علمتَ؛ لأنَّه يستفاد منها تشريف مكة في تلك الحالة المستلزمةِ زيادةَ تشريفِهِ ﷺ، وإكرامِهِ وتعظيمِهِ حيث أحلَّ له ما لم يحلَّ لأحدٍ قبلَهُ ولا بعدَهُ.

قوله: (﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾) أقسَم الله بهم؛ لأنَّهم أعجبُ خلقِهِ؛ لما فيهم من البيان والنُّطق والتدبُّر واستخراج العُلوم، وفيهم الأنبياء والصلحاء، ولا سيَّما أمر الملائكة بالسجود لآدم، وتعليمه جميعَ الأسماءِ. وما مشى عليه المفسِّر من أنَّ المراد بـ(ما ولد): ذريَّتُهُ. . يستفاد منه العموم للصالح والطالح، وقيل: هو قسَم بآدم والصالحين من ذريَّته، وأمَّا الطالحون. . فكأنهم ليسُوا من أولاده.

قوله: (﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾) هذا هو المقسَمُ عليه.

قوله: (﴿فِي كَبَدٍ﴾) بفتحتين: المشقَّة؛ مِن: المكابدة للشيء، وهي تحمُّل المشاقِّ في فعلِهِ. وفي الآية إشارةٌ إلى أنَّها قد أحاطت به إحاطةَ الظَّرفِ بالمظروفِ.

قوله: (يُكابد مصائبَ الدنيا وشدائدَ الآخرة) وذلك لأنَّه أوَّلُ ما يكابدُ: قطعُ سرَّتِهِ، ثمَّ إذا قمط قِماطاً وشدَّ عليه. . يكابد الضِّيقَ والتَّعبَ، ثمَّ يكابد الارتضاع، ولو فاته. . لضاع، ثمَّ يكابد نبتَ أسنانِهِ، وتحريكَ لسانِهِ، ثمَّ يكابد الفطامَ، الذي هو أشدُّ من اللِّطام، ثمَّ يكابد الختانَ، والأوجاعَ والأحزانَ، ثمَّ يكابد المعلِّمَ وصولتَهُ، والمؤدِّبَ وسياستَهُ، والأستاذَ وهيبتَهُ، ثمَّ يكابد شغلَ التَّزويجِ، والتعجيلَ فيه والتَّزويج، ثمَّ يكابدُ شغلَ الأولادِ، والخدمِ والأجنادِ، ثمَّ يكابدُ شغلَ الدُّورِ، وبناءَ القصورِ، ثمَّ الكبرَ والهرمَ، وضعفَ الركبةِ والقدمِ، ومصائبَ يكثر تَعدادها، ونوائبَ يطولُ إيرادها؛

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ . . .

(﴿٥﴾ - ﴿٧﴾) ﴿أَيَحْسَبُ﴾: أيظنُّ الإنسانُ قَوِيُّ قُرَيش وهو أبو الأشَدِّ بنُ كَلَدةَ بِقُوَّتِه ﴿أَن﴾ ـ مُخفَّفة مِن الثَّقيلة واسمها مَحذُوف ـ أي: أنَّهُ ﴿لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ واللهُ قادِر علَيه؟ ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ على عَداوةِ مُحمَّد ﴿مَالًا لُّبَدًا﴾: كَثِيراً بَعضُه على بَعض، ﴿أَيَحْسَبُ أَن﴾ أي: أنَّهُ ﴿لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ فِيما أنفقَهُ فيَعلَم قَدرَه؟ والله عالِم بِقَدرِه، وأنَّهُ ليسَ مِمَّا يُتَكَثَّر بِه، ومُجازِيه على فِعلِه السَّيئ.

حاشية الصاوي

من صداعِ الرأس، ووجعِ الأضراسِ، ورمدِ العينِ، وغمِّ الدَّينِ، ويكابد مِحَناً في المال والنَّفس؛ مثل الضربِ والحبسِ، ولا يمضي يومٌ عليه إلَّا يقاسي فيه شدَّةً، ويكابدُ مشقَّةً، ثمَّ الموتَ بعدَ ذلك كلِّهِ، ثمَّ سؤال الملكين، وضغطةَ القبر وظلمتَهُ، ثمَّ البعثَ والعَرْضَ على الله تعالى، إلى أن يستقرَّ به القرار؛ إمَّا في جنَّةٍ، وإمَّا في نارٍ. هكذا قرَّره العلماء.

قوله: (وهو أبو الأَشُدِّ) بفتح الهمزة، وضمِّ الشين المعجمة، وتشديد الدَّال المهملة، وهو بالإفراد في كثيرٍ من النسخ تبعاً لكثير من المفسِّرين، وفي بعض النسخ: (الأشدين) بصيغة التَّثنية تبعاً لبعض المفسِّرين، ولينظر وجهها، واسمُهُ: أسيد بن كلدة.

قوله: (بقوته) الباء: سببيَّة، ومن قوَّته: أنَّه كان يجعل الأديمَ العكاظيَّ تحت قدمَيه ويقول: مَنْ أزالني عنه.. فلَه كذا، فيجذبه عشرة حتَّى يتمزَّق ولا تزولُ قدَماه.

قوله: (﴿أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾) أي: على بَعثِهِ ومجازاتِهِ.

قوله: (﴿يَقُولُ﴾) أي: افتخاراً.

قوله: (على عداوة محمَّدٍ) (على) بمعنى (في).

قوله: (﴿لُّبَدًا﴾) بضمِّ اللام وكسرها مع فتح الباء، قراءتان سبعيَّتان[1]، جمع (لِبْدَةٍ)، وهو: ما تلبَّد، والمرادُ به الكثرةُ.

قوله: (﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾) استفهامٌ إنكاريٌّ.

---

(١) قرأ هشام بضم اللام، والباقون بكسرها، وقرأ أبو جعفر: (مالاً لُبَّداً) بتشديد الباء مفتوحة، على جمع (لابِدٍ)، مثل (راكع ورُكَّع، وساجد وسُجَّد، وشاهد وشُهَّدٍ). انظر «الدر المصون» (١١/ ٧).

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ....﴾

(﴿٨﴾ - ﴿١٢﴾) ﴿أَلَمْ نَجْعَل﴾ - استِفهام تَقرِير - أي: جَعَلنا ﴿لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾: بيَّنَّا له طَرِيقَي الخَير والشَّرِّ، ﴿فَلَا﴾: فهَلَّا ....

حاشية الصاوي

قوله: (ليس ممَّا يتكثَّر به) أي: يفتخر بكثرتِهِ؛ لأنَّه أنفقَهُ فيما يُغْضِبُ اللهَ.

قوله: (﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾) أي: يُبْصِرُ بهما المرئيَّاتِ، شقَقناهما له وهو في ظلمة الرَّحم، وقدَّرنا بياضَهما وسوادَهما، وأودعناهما البصرَ على كيفيَّةٍ تعجزُ الخلقُ عن إدراكِها.

قوله: (﴿وَلِسَانًا﴾) أي: يُتَرجِمُ به عمَّا في ضميرِهِ.

قوله: (﴿وَشَفَتَيْنِ﴾) أي: يسترُ بهما فاه، ويستعين بهما على النُّطق والأكل والشُّرب والنَّفخ وغيرِ ذلك. في الحديث: يقول الله: «يا ابن آدم؛ إنْ نازعك لسانُكَ فيما حرَّمتُ عليك.. فقد أعنتُكَ عليه بطبقتينِ، فأَطْبِقْ، وإن نازعك بصرُكَ إلى بعضِ ما حرَّمتُ عليكَ.. فقد أعنتُكَ عليه بطبقتَين، فأطبق، وإن نازعَك فرجُك على بعض ما حرَّمتُ عليك.. فقد أعنتُك عليه بطبقتَين، فأطبِق»[١].

قوله: (طريقَي الخير والشر) وصفُ مكان الخيرِ بالرِّفعةِ والنَّجديَّةِ ظاهرٌ، بخلاف الشَّرِّ فإنَّه هبوطٌ من ذُروة الفطرة إلى حضيض الشقوة؛ ففيه تغليبٌ، والمعنى: بيَّنَّا له أنَّ طريق الخير يُنجي، وطريق الشَّر يُردي، وسلوك الأوَّل ممدوحٌ، والثاني مذمومٌ، وهذا قول ابن عبَّاسٍ وابنِ مسعودٍ، وقال عكرمة: (النَّجدان: الثديان؛ أي: لأنَّهما كالطريقين لحياةِ الولدِ ورزقِهِ)[٢].

قوله: (فهلَّا) أشار بذلك إلى أنَّ (لا) بمعنى (هلَّا) للتحضيض، وهو أحد احتمالين، والآخر: أنَّها باقيةٌ على أصلها للنفي؛ أي: لم يشكر على تلك النِّعمِ الجليلةِ بالأعمال الصَّالحةِ.

إن قلت: لم أفرُدت (لا) مع أنَّها إذا دخلت على ماضٍ.. تكرَّر؛ كقولِهِ تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١]؟

أجيب: بأنَّها مكرَّرةٌ معنًى، كأنَّه قال: (فلا فكَّ رقبةً ولا أطعمَ مسكيناً).

---

(١) رواه الديلمي في «الفِردوس بمأثور الخطاب» (٨٠٥٦)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٣/ ١٧٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر القولين في «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٣٧).

﴿ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ١٦﴾ ....

﴿ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾: جاوَزَها، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾: أعلَمَك ﴿مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ التي يَقتَحِمها؟ تَعظِيمٌ لِشَأنِها، ـ والجُملة اعتِراض ـ وبَيَّنَ سَبَب جَوازِها بِقَولِه:

(﴿١٣﴾ ـ ﴿١٦﴾) ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ مِن الرِّقِّ بِأن أعتَقَها، ﴿أَوْ أَطْعَمَ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾: مَجاعةٍ، ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾: قَرابةٍ، ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أي: لُصُوقٍ بِالتُّرابِ لِفَقرِه. ـ وفي قِراءة بَدَل الفِعلَين مَصدَرانِ مَرفُوعانِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾) هي في الأصل: الطريق الصعب في الجبل، واقتحامها: مُجاوزتها، ثمَّ أطلق على مجاهدة النفس في فعل الطاعات وترك المحرمات، والمراد باقتحامها: فِعلها وتحصيلها والتلبس بها.

إذا علمتَ ذلك.. فقول المفسِّر: (جاوزها) تفسيرٌ لاقتحام العقبة، لكن باعتبار الأصل، وليس مراداً هنا؛ فلو قال: (أي: تلبَّس بها ودخلها).. كان واضحاً، أو يقال: المراد بالعقبة: الطريق التي تُوصل إلى الجنَّة؛ فإنَّه وردَ: «أنَّ بين العبد والجنَّة سبعَ عقَبات»، والمراد باقتحامها: مجاوزتُها بفعل الطاعات في الدنيا، فمعنى قول المفسِّر: (جاوزها) أي: فعَل أسباب المجاوَزة.

قوله: (والجملة اعتراض) أي: لبيانِ العَقَبَةِ.

قوله: (بأن أعتقها) أي: مباشرةً وهو ظاهرٌ، أو تسبُّباً كشراءِ القريبِ.

قوله: (﴿ذِى مَسْغَبَةٍ﴾) مصدرٌ ميميٌّ بوزن (مَفعَلة)، من: سَغِبَ يَسْغَبُ، من باب (فَرِحَ): جاع، وقيَّد الطَّعامَ بذلك الوقتِ؛ لأنَّ إخراج المال فيه أثقلُ على النَّفس.

قوله: (﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾) قيَّد اليتيم بكونِهِ قريباً؛ لأنَّه يجتمعُ حينئذٍ في الإطعامِ جهةُ الصِّلةِ والصَّدقةِ.

قوله: (أي لُصوقٍ بالتراب) أي: فهو كنايةٌ عن الافتقار.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّةٌ أيضاً[1].

(١) قرأ أبو عمرو وابن كثير والكسائي: (فكَّ) فعلاً ماضياً، و(رقبة) نصباً، (أو أطعم) فعلاً ماضياً أيضاً، والباقون: (فكُّ) برفع الكاف اسماً، (رقبةٍ) خفض بالإضافة، (أو إطعامٌ) اسم مرفوع أيضاً. انظر «الدر المصون» (١١/ ٩).

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾﴾ ....

مُضاف الأوَّل لِـ﴿رَقَبَةٍ﴾ ويُنوَّن الثَّاني، فيُقدَّر قبل ﴿ٱلْعَقَبَةُ﴾ (اقتِحام)، والقِراءةُ المَذكُورة بيانُه ـ.

(﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾) ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ ـ عَطف على ﴿ٱقْتَحَمَ﴾، و﴿ثُمَّ﴾ لِلتَّرتِيب الذِّكرِيِّ ـ، والمَعنى: كان وقتَ الاقتِحامِ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟﴾: أوصَى بَعضُهم بَعضاً ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ على الطَّاعة وعنِ المَعصِية، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾: الرَّحمةِ على الخَلقِ، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ المَوصُوفُون بِهذه الصِّفات ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾: اليَمِين.

(﴿١٩﴾ - ﴿٢٠﴾) ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (مضاف الأول لـ«رقبة») أي: من إضافة المصدر إلى مفعوله.

قوله: (فيقدَّر قبل «العقبة») إنَّما احتيج إلى تقدير هذا المضاف؛ لِيُطابق المفسِّرُ المفسَّرَ؛ وذلك لأنَّ المفسِّر ـ بكسر السين ـ مصدر، والمفسَّر ـ بفتحها وهو العقبة ـ غير مصدر، فلو لم يقدِّر المضافَ.. لكان المصدر ـ وهو (فكُّ) ـ مفسِّراً لاسم العين ـ وهي العقبة ـ وذلك غيرُ جائزٍ، وأمَّا القراءة الأولى.. فالفعل فيها بدل من قوله: ﴿ٱقْتَحَمَ﴾؛ فلا يحتاج لتقدير مضافٍ.

قوله: (﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) أتى بـ(ثمَّ)؛ إشارةً لبعد رتبةِ الإيمانِ وعلوِّها عن رتبة العتقِ والصَّدقةِ.

قوله: (و«ثمَّ»: لِلترتيب الذكري) أي: لأنَّ الإيمان هو السَّابق، ولا يصحُّ عملٌ إلَّا به.

قوله: (﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ على الطاعة) أي: وعلى ما أصابه من المحن والشَّدائد.

قوله: (﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾) مبتدأ، وقوله: ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾: خبره، وأتى باسم الإشارةِ؛ تكريماً لهم بأنَّهم حاضرون عنده في مقام قربه وكرامتِهِ، وذَكَرَهُمْ بما يشار به للبعيد؛ تعظيماً لهم، وإشارةً لعلوِّ درجاتهم وارتفاعِها.

قوله: (﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾) أي: الذين يُؤتَوْنَ كُتُبَهم بأيمانهم، أو: لأنَّ منزلتهم عن يمين العرش.

قوله: (﴿هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾) ذكرَهم بضمير الغَيْبةِ؛ إشارةً إلى أنَّهم غائبون عن حَضرة قدسِهِ، وكرامةِ أنسِهِ.

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ۝٢٠﴾

الشِّمالِ، ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ ـ بِالهمزِ والواوِ بدَلَه ـ: مُطبَقةٌ.

حاشية الصاوي

قوله: (الشمال) أي: لأنَّهم يأخذون كتُبَهم بشمائلهم، أو: لأنَّ منزلتَهم عن الشِّمال.

قوله: (﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ﴾) خبرٌ ثانٍ، أو مستأنفٌ.

قوله: (بالهمز والواو) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]، ولغتان جيِّدتان، يقال: (آصدت الباب، وأوصدتُه): إذا أغلقتَهُ وأطبقتَهُ.

قوله: (مُطبقة عليهم) تفسيرٌ لكلٍّ من القراءتين، والمعنى: لا يخرجون منها أبداً، ولا يدخلها رَوْحٌ وريحانٌ.

✿ ✿ ✿

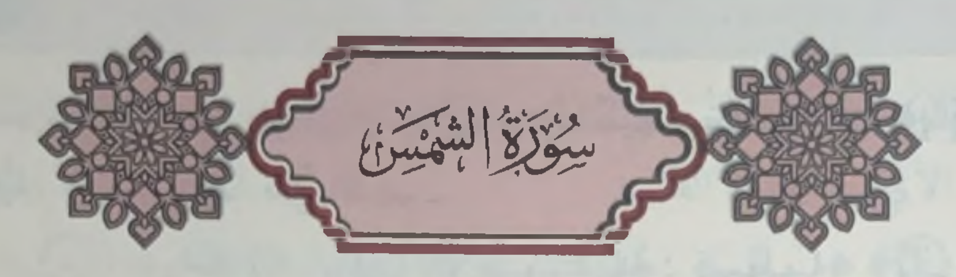
(١) قرأ أبو عمرو وحمزة وحفصٌ بالهمز، والباقون بالواو. انظر «الدر المصون» (١١/ ١١).

[illegible]

قوله: [illegible] إنما احتيج إلى [illegible]

[illegible]

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢﴾ ....



مَكيَّة، خمسَ عشرةَ آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٤) ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾: ضَوئِها، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾: تَبِعَها طالِعاً عِند غُرُوبِها، ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الشَّمْسِ

(مكيَّة) أقسم سبحانه وتعالى بسبعة أشياء؛ إظهاراً لِعظمة قدرته، وانفراده بالألوهية، وإشارةً إلى كثرة مصالح تلك الأشياء، وعُمومِ نفعِها.

قوله: (﴿وَضُحَاهَا﴾) أي: وهو وقت ارتفاعها، والحاصل: أنَّ الضحوةَ: ارتفاع النَّهار، والضحى ـ بالضم والقصر ـ فوق ذلك، والضحاء ـ بالفتح والمدِّ ـ: إذا امتدَّ النهار وكاد يَنتصف.

قوله: (ضوئها) هو أحد أقوالٍ ثلاثةٍ، وقيل: هو النَّهار كلُّه، وثالثها: هو حرُّ الشَّمس. وحكمة القَسَم بذلك: أنَّ العالم في وقت غيبة الشَّمس عنهم كالأموات، وإذا ظهر أثر الصبح.. صارت الأموات أحياءً، وتكامَلت الحياة وقت الضحوة، وهذه الحالة تُشبه أحوال القيامة، ووقت الفيء يشبه استقرار أهل الجنَّة فيها.

قوله: (تَبِعَها) أي: ظهر ضوؤه وسُلطانه بعد غروبها، وخَلَفَها في انتشار الضياءِ؛ فلا ينافي أنَّه قد يوجد مصاحباً لها كالليلة الخامسة من الشَّهر مثلاً.

قوله: (طالعاً عند غروبها) حالٌ من ضمير (تبعها)، والمراد: ظهورُهُ بعدَ غَيْبَتِها في أيِّ وقتٍ من الليل، فيَشمل أوَّل الشهرِ وأوسطَهُ وآخرَهُ.

وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ ....

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ بِارتِفاعِه، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾: يُغَطِّيها بِظُلمَتِه، ـ و﴿إِذَا﴾ في الثَّلاثة لِمُجرَّدِ الظَّرفِيَّة، والعامِل فِيها فِعلُ القَسَم ـ.

(﴿٥﴾ - ﴿٨﴾) ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾: بَسَطَها، ﴿وَنَفْسٍ﴾ بِمَعنى: نُفُوس ﴿وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ في الخِلقةِ، ـ و(ما) في الثَّلاثة مَصدرِيَّة ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾) الضَّمير المستتر المرفوع: إمَّا عائدٌ على النَّهار، أو على الله تعالى، والبارز المنصوب: إمَّا للشمس، أو للظُّلمة، والمعنى: أظهرها وكشَفها.

قوله: (﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾) أتى به مضارعاً ولم يقُل: (غشيها)؛ مراعاةً للفواصل، أو إشارةً لدوام القسَم بهذا الأمر واستمراره شيئاً بعد شيء، فلم يَلتزم فيه صيغة الماضي، وأتى به متوسطاً؛ إشارةً إلى أنَّ ما قبله وما بعده محمولٌ عليه.

قوله: (يُغطِّيها بظلمته) أي: فيزيل ضوءَها، فالنَّهار يجلِّيها ويظهرها، والليل يغطِّيها ويسترُها.

قوله: (لِمجرد الظرفية) من إضافة الصِّفة للموصوف؛ أي: الظرفيَّة المجرَّدةِ عن الشرطيَّة.

قوله: (والعامل فيها فعل القسَم) استُشكل: بأنَّه يلزم عليه اختلافُ العامل والمعمول في الزمان؛ وذلك لأنَّ فعل القسَم إنشاء، وزمانه الحال، و(إذا) للاستقبال، وحينئذٍ: فلا يصحُّ عملُهُ في (إذا).

أجيب: بأنَّ فعل القسَم يدلُّ على الحال ما لم يكن مقروناً بظرفٍ يُفيد الاستقبالَ كـ(إذا)، وإلَّا.. فيكون للاستقبال تبعاً لمعمولِهِ.

قوله: (بسَطها) أي: على الماء.

قوله: (بمعنى: نفوسٍ) أشار بذلك إلى أنَّ التَّنكير للتَّكثير.

قوله: (﴿وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ في الخلقة) أي: عدَّلها على هذا القانون المحكم، والتَّركيب المتقَن.

قوله: (و«ما» في الثلاثة: مصدريَّة) أي: وبناء السماء... إلخ[1]، وحينئذٍ: فالكلام إمَّا على حذف مضافٍ؛ أي: وربِّ البناء والطَّحو والتَّسوية، أو: القسَمُ بتلك الأشياءِ لِعظمتها وجلالةِ قدرِها؛ كما تقدَّم في القسَم بالشَّمس ونحوِهِ.

---

(١) أي: وهذا بناء على أنَّ (ما) مُختصَّةٌ بغير العُقلاء.

فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ ....

أو بِمَعنى (مَن) ـ، ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾: بَيَّنَ لَها طَرِيقَي الخَير والشرِّ، وأخَّر التَّقوى رِعايةً لِرُؤوس الآيِ، وجوابُ القَسَم:

(﴿٩﴾ - ﴿١٠﴾) ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ ـ حُذِفت مِنهُ اللَّام لِطُولِ الكَلام ـ ﴿مَن زَكَّىٰهَا﴾: طَهَّرَها مِن الذُّنُوب، ﴿وَقَدْ خَابَ﴾: خَسِرَ ﴿مَن دَسَّىٰهَا﴾: أخفاها بِالمَعصِية، ـ وأصلُه: دَسَّسَها، أُبدِلَت السِّين الثَّانِية ألِفاً تَخفِيفاً ـ.

(﴿١١﴾ - ﴿١٣﴾) ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ رَسُولَها صالِحاً ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾: بِسَبَبِ طُغيانِها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أو بمعنى «مَن») أي: ومَنْ بناها... إلخ، وبه استدلَّ مَنْ يجوِّز وقوعَها على آحادِ أولي العلمِ؛ لأنَّ المراد به الله تعالى.

قوله: (﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾) الإلهام في الأصل: إلقاء شيءٍ في القلب بطَريق الفيض، ينشرح له الصدر ويَطمئنُّ، ثمَّ أطلق هنا على مُطلق التَّبيين.

قوله: (طريقَي الخير والشر) لفٌّ ونشرٌ مشوَّشٌ.

قوله: (حُذفت منه اللام؛ لطول الكلام) أي: لأنَّ الماضي المثبتَ المتصرِّف الذي لم يتقدَّم معمولُهُ عليه؛ إذا وقع جواباً للقسَمِ.. تلزمُه اللَّامُ و(قد)، ويجوز الاقتصارُ على أحدِهما عندَ طولِ الكلامِ، أو للضَّرورة.

قوله: (﴿مَن زَكَّىٰهَا﴾) الفاعلُ ضمير (مَنْ) في الموضعَين، وقيل: ضميرٌ عائدٌ على الله تعالى، والتَّقدير: مَنْ زكَّاها اللهُ بالطَّاعة، وقد خاب مَنْ دسَّاها اللهُ بالمعصيةِ.

قوله: (﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾) كرَّر (قد)؛ إشارةً لمزيد الاعتناء بمَضمونها.

قوله: (أصله: دسَّسها) مأخوذ من التَّدسيس، وهو الإخفاء، والمعنى: أخمَدها وأخفاها بالكفر والمعصية؛ لأنَّ المعاصي تُذِلُّ النَّواصي.

قوله: (﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾) مناسبتُها لما قبلَها: أنَّه لَمَّا أقسم بتلك الأقسامِ المذكورةِ على فلاحِ المطيع، وخيبةِ العاصي.. ذكر في تلك القصَّةِ المطيعَ وهو صالح عليه السلام، والعاصيَ وهو قومُهُ.

قوله: (بسبب طُغيانها) أشار بذلك إلى أنَّ الباء سببيَّةٌ.

إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴿١٣﴾ ....

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾: أسرَعَ ﴿أَشۡقَىٰهَا﴾ واسمُه قُدار إلى عَقرِ النَّاقة بِرِضاهُم، ﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ صالِح: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: ذَرُوها ﴿وَسُقۡيَٰهَا﴾: شِرْبَها في يَومها، وكان لَها يَومٌ ولَهُم يَوم.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾) مطاوع (بعث)، تقول: (بعثت فلاناً على الأمر، فانبَعث له)، والباعثُ لهم على ذلك التَّكذيبُ والطُّغيانُ.

قوله: (واسمه قُدَارٌ) أي: بوزن (غُراب)، ابن سالف، وهو أشقى الأوَّلين، وكان رجلاً أشقرَ أزرقَ قصيراً، وفي الحديث: أنَّ رسول الله ﷺ قال لعليٍّ بن أبي طالب: «أتدري مَنْ أشقى الأوَّلين؟» قُلت: الله ورسوله أعلَم، قال: «عاقر النَّاقة»، قال: «أتدري مَنْ أشقى الآخِرين؟» قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: «قاتلُك»[1].

قوله: (برضاهم) قال قتادة: (بلغنا أنَّه لم يَعقرها حتَّى تابعَهُ صغيرُهم وكبيرُهم، وذكرُهم وأنثاهم)[2].

قوله: (﴿فَقَالَ لَهُمۡ﴾) أي: بسبب الانبعاث، والمعنى: أنَّه لمَّا عرف منهم العزمَ على عقرِها.. قال لهم ما ذكر.

قوله: (﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾) الإضافة للتَّشريف من حيثُ إنَّها دالَّةٌ على توحيد الله؛ بسببِ ما فيها من الأمورِ الغريبةِ المخالفةِ للعادة التي لا تُمْكِن مِنْ غيرِهِ تعالى.

قوله: (أي: ذرُوها) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿نَاقَةَ﴾ منصوبٌ على التحذير، والكلام على حذف مضاف؛ أي: ذرُوا عقرها، واحذرُوا سُقياها.

قوله: (وشُرْبها) بضمِّ الشين وكسرها، اسمان، وبفتحها: مصدر (شرب)، والمعنى: ومَشروبها.

قوله: (ولهم يومٌ) أي: يَشربون فيه هم ومَواشيهم.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٩٥٣) عن الضحاك بن مُزاحم، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٣١١)، وأبو يعلى في «مُسنده» (٤٨٥) عن سيدنا صهيب رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥٠).

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾

(﴿١٤﴾ - ﴿١٥﴾) ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ في قوله ذلك عن الله المُرَتَّب علَيهِ نُزُولُ العَذاب بِهِم إن خالَفُوهُ، ﴿فَعَقَرُوهَا﴾: قَتلُوها لِيَسلَمَ لَهُم ماءُ شُربِها، ﴿فَدَمْدَمَ﴾: أطبَقَ ﴿عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ العَذابَ ﴿بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ أي: الدَّمدمةَ علَيهِم أي: عَمَّهُم بِها فلَم يُفلِتْ مِنهُم أحداً، ﴿وَلَا﴾ - بِالواو والفاءِ - ﴿يَخَافُ﴾ تعالى ﴿عُقْبَٰهَا﴾: تَبِعَتَها.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَكَذَّبُوهُ﴾) أي: استمرُّوا على تكذيبِهِ.

قوله: (في قوله ذلك عن الله) دفع بذلك ما يقال: إنَّ تحذيرهم من الناقة وسُقياها إنشاءٌ، والتَّكذيب من معارض الإخباريَّةِ، فأجاب المفسِّر: بأنَّ تكذيبَهُ مِنْ حيثُ نقلُهُ عن الله، فهو خبرٌ.

قوله: (المُرتَّب عليه نزولُ العذاب بهم) وذلك أنَّ صالحاً قال لهم: يَأتيكم العذابُ بعد ثلاثةِ أيَّام، قالوا: وما العلامة على ذلك العذاب؟ قال: تَصحون في اليوم الأوَّل - وكان هو الأربعاء - وجوهُكُم مصفرَّةٌ، وفي اليوم الثَّاني - وهو الخميس - وجوهُكُم محمرَّة، وفي الثَّالث - وهو الجمعة - وجوهُكُم مسودَّةٌ، وفي الرَّابع - وهو السبت - يأتيكم العذاب، فحصَل ذلك، وتقدَّم بسطُهُ[1].

قوله: (﴿فَعَقَرُوهَا﴾) أي: عقرها قُدَارٌ في رجلَيْها فأوقعَها، فذبَحوها واقتسموا لحمَها.

قوله: (ماءُ شربها) أي: الماءُ الذي كانت تشربُهُ.

قوله: (﴿فَدَمْدَمَ﴾ أطبق عليهم... إلخ) فهو مأخوذٌ من: الدَّمدمة، وهي إطباق الشَّيء على الشيءِ، يقال: (دمدمَ عليه القبرَ): أطبقَهُ، والمعنى: أَهْلَكَهُم.

قوله: (فلم يُفْلِتْ منهم أحداً) أي: إلَّا مَنْ آمن مع صالحٍ، وهم أربعةُ آلافٍ.

قوله: (بالواو والفاء) أي: فهما سبعيَّتان؛ أمَّا الواو. . فإمَّا للحال، أو مُستأنفة، والفاء: للتعقيب[2].

قوله: (تَبِعَتَها) أي: عاقبةَ هلكتِهم كما تخاف الملوكُ عاقبةَ ما تفعلُهُ، فهو استعارة تمثيليَّةٌ لإهانتِهم وإذلالِهم، ويجوز عَوْدُ الضَّمير على (الرسول) أي: إنَّه لا يخاف عاقبةَ إنذارِهِ لهم؛ لعصمتِهِ بالله تعالى، وقيل: الضَّمير يَرجع للعاقرِ، فهو زيادةٌ في التَّقبيحِ عليه.

❀ ❀ ❀

---

(١) انظر (٢/ ٥٦٤).

(٢) قرأ نافع وابن عامر بالفاء، والباقون بالواو. انظر «السراج المنير» (٤/ ٥٤٤)، وقوله: (للحال) أي: من الضمير المنويِّ في (سوَّاها) الراجع إلى الله؛ أي: فسوَّاها الله غيرَ خائف عُقبى ما صنع. «فتوحات» (٤/ ٥٦٧).

﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ ....



مكيَّة، إحدى وعِشرُون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ بِظُلمَتِه كُلَّ ما بَين السماءِ والأرضِ، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾: تكشَّفَ وظَهَر، ـ و﴿إِذَا﴾ في المَوضِعَينِ لِمُجرَّدِ الظَّرفيَّة، ....

حاشية الصاوي

سورة الليل

(مكيَّةٌ) هذه السُّورة نزلت في أبي بكرٍ الصِّديق ﵁، وفي أميَّة بن خلف؛ فالصدِّيق بلغ الغاية في الإيمان والصِّدق والكرم، وأُميَّة بلغ الغايةَ في الكفر والكذب والبخل، والعبرةُ بعموم اللفظ، لا بخصوص السَّبب.

قوله: (﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾) أقسَم به تعالى؛ لكونِهِ جليلاً عظيماً، تَسكن الخلقُ فيه عن التَّحرُّكِ، ويغشاهم النَّوم الذي هو راحةٌ لأبدانهم.

قوله: (كلَّ ما بين السماء والأرض) أشار به إلى أنَّ مفعول ﴿يَغْشَىٰ﴾ محذوفٌ، تقديره: (كلَّ ما بين السماء والأرض)، وقيل: تقديره: النَّهارَ، أو الشَّمسَ، وكلٌّ صحيحٌ.

قوله: (﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾) أقسَم به؛ لأنَّه مظهرُ جمال الله؛ إذ به يَنكشف ما كان مستوراً بظلمة الليل، وفيه تتحرَّك النَّاسُ لمعايشِهم، والطيورُ من أوكارها، والهوامُّ من مكانها؛ فلو كان الدَّهرُ كلُّه ليلاً.. لتعذَّر المعاش، ولو كان كلُّه نهاراً.. لَعدمت الراحة، فكانت المصلحةُ في تعاقُبهما.

قوله: (لمجرَّد الظرفيَّة) أي: الظرفيَّةِ المجرَّدةِ عن الشَّرط.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ٤﴾ ....

والعامِلِ فِيها فِعلُ القَسَم - ﴿وَمَا﴾ - بِمَعنى (مَن) أو مَصدرِيَّة - ﴿خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾: آدم وحَوَّاء أو كُلَّ ذَكر وكُلَّ أُنثى، والخُنثى المُشكِلُ عِندنا ذَكرٌ أو أُنثى عِند الله تَعالى، فيَحنَث بِتَكليمِه مَن حَلَف لا يُكلِّم ذَكراً ولا أُنثى.

(٤ - ١٠) ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ﴾: عَمَلَكُم ﴿لَشَتَّىٰ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (**والعاملُ فيها فعلُ القسَم**) أي: المقدَّرُ، ويأتي هنا ما تقدَّمَ من الإشكال والجواب[1].

قوله: (**بمعنى «مَنْ»**) أي: فهي اسمٌ موصولٌ، ويكون تعالى أقسَم بنفسِهِ؛ أي: والقادرِ على خلقِ الذَّكر والأنثى.

قوله: (**أو مصدريَّة**) أي: وخَلْقِ اللهِ الذَّكرَ والأنثى؛ أي: تعلَّقت قُدرتُهُ بخلقِهما.

قوله: (**آدم وحوَّاء**) أي: فتكون (أل) للعهد.

قوله: (**أو كلَّ ذكرٍ وكلَّ أنثى**) أي: من جميع المخلوقات، فـ(أل) للاستغراق، وقيل: كلَّ ذكرٍ وكلَّ أنثى مِنَ الآدميِّين، فتكون (أل) استغراقيَّةً استغراقاً عرفيًّا.

قوله: (**والخُنثى المشكل**) مبتدأٌ، وقولُهُ: (عندنا) ظرفٌ لقولِهِ: (المشكل)، وقولُهُ: (ذكرٌ.. إلخ): خبر، وقولُهُ: (عند الله): ظرفٌ لقوله: (ذكرٌ.. إلخ)، وهو جوابٌ عن سؤالٍ مقدَّر، تقديره: لِمَ لم يدخل الخنثى المشكِل في عموم الذَّكر ولا في عُموم الأنثى؟ فأجاب بما ذكر.

قوله: (**فيَحنثُ بتكليمِهِ**) أي: لأنَّ الله تعالى لم يخلق مِنْ ذوي الأرواح مَنْ ليس ذكراً ولا أنثى، والخنثى إنَّما هو مُشكلٌ بالنسبة إلينا، خلافاً لمن قال: (هو نوعٌ ثالث)[2]، ويردُّه قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا...﴾ [الشورى: ٤٩] الآية.

قوله: (﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾) جواب القسَم، و﴿سَعۡيَكُمۡ﴾: مصدرٌ مضافٌ يفيد العمومَ، فهو جمعٌ في المعنى وإن كان لفظُهُ مفرداً؛ ولذا أَخْبَرَ عنه بالجمع وهو (شتَّى)، فهو بمعنى: مَساعِيكم.

---

(١) أي: بأنَّه يلزم عليه اختلافُ العامل والمعمول في الزمان؛ وذلك لأنَّ فعل القسَم إنشاءٌ، وزمانه الحال، و(إذا) للاستقبال، وحينئذٍ: فلا يصحُّ عمَلُهُ في (إذا)، والجواب: بأنَّ فعل القسَم يدلُّ على الحال ما لم يكن مَقروناً بظرفٍ يُفيد الاستقبالَ كـ(إذا)، وإلَّا.. فيكون لِلاستقبال تبعاً لمعمولِهِ. انظر (٧/ ٤١٢).

(٢) قائله أبو الفضل الهمداني. «فتوحات» (٤/ ٥٦٨).

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ ....

مُختَلِفٌ؛ فعامِلٌ لِلجنَّةِ بِالطَّاعةِ وعامِلٌ لِلنَّارِ بِالمَعصِيةِ؛ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ حَقَّ الله ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ الله، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي: بِـ(لا إله إلَّا الله) في المَوضِعَين، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾: لِلجنَّةِ، ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بِحَقِّ اللهِ ﴿وَاسْتَغْنَىٰ﴾ عن ثَوابِه، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (مختلِفٌ) أي: متباعد الأبعاض؛ لأنَّه منقسمٌ إلى ضلالٍ، وهدًى، والضَّلال أنواعٌ، والهدى أنواعٌ، ويصحُّ أنَّ المعنى: مختلفُ الجزاءِ؛ فمنكم مثابٌ بالجنَّة، ومعاقبٌ بالنَّار.

قوله: (﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾) تفصيلٌ لتلك المساعي المختلفةِ، وتبيينٌ لأحكامِها.

قوله: (حقَّ الله... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ مفعول ﴿أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ محذوفان؛ لإفادةِ العمومِ، فيشمل إعطاءَ حقوقِ الله في المالِ بإنفاقِهِ في وجوه البرِّ، والنَّفسِ ببذلِها في طاعةِ الله تعالى. وتقوى الله تعالى هي: امتثالُ مأموراتِهِ، واجتنابُ منهيَّاتِهِ.

قوله: (أي: بـ«لا إله إلَّا الله») أي: مع (محمَّدٌ رسولُ الله)، وقيل: المراد بـ(الحسنى): الجنَّةُ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: ٢٦]، ومعنى تصديقِهِ بها: إيمانُهُ بالبعثِ والجزاءِ.

قوله: (﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾) التَّنفيس ليس مراداً؛ لأنَّ التيسيرَ حاصلٌ في الحال، وإنَّما الإتيانُ بالسِّين لتحسينِ الكلامِ وترقيقِهِ.

قوله: (الجنَّة) أي: لما وردَ: «ما مِنْ نفسٍ منفوسةٍ إلَّا كتب الله مكانَها من الجنَّة أو النَّار»، فقال القوم: يا رسول الله؛ أفلا نتَّكلُ على كتابنا؟ فقال ﷺ: «بل اعملوا؛ فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِقَ له؛ أمَّا مَنْ كان مِنْ أهل السعادة.. فإنَّه ميسَّرٌ لعمل أهل السَّعادة، وأمَّا مَنْ كان مِنْ أهل الشَّقاوة.. فإنَّه ميسَّرٌ لعمل أهل الشقاوة»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾[1]، وقيل: معنى (اليُسرى): أسباب الخير والصلاح.

قوله: (﴿وَاسْتَغْنَىٰ﴾ عن ثوابه) أي: تكبُّراً وعناداً.

قوله: (﴿بِالْحُسْنَىٰ﴾) أي: بالتَّوحيد، أو الجنَّة.

---

(١) رواه بلفظه الترمذي (٣٣٤٤) عن سيدنا علي رضي الله عنه، وبنحوه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٢٦٤٧).

﴿لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤﴾ ....

نُهيِّئُهُ ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾: لِلنَّار.

(١١ - ١٣) ﴿وَمَا﴾ ـ نافِية ـ ﴿يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ في النَّار، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾: لَتَبيِينَ طَرِيق الهُدَى مِن طَرِيق الضَّلال؛ لِيَمتَثِلَ أمرَنا بِسُلُوك الأوَّل، ونَهيَنا عن ارتكاب الثَّانِي، ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ أي: الدُّنيا؛ فمَن طَلَبهُما مِن غَيرنا فقد أخطأ.

(١٤ - ٢١) ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾: خوَّفتُكُم يا أهلَ مكَّةَ ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ ـ بِحَذف إحدَى التَّاءَينِ مِن الأصل، وقُرِئ بِثُبُوتِها ـ أي: تَتَوَقَّد، ....

حاشية الصاوي

قوله: (نهيِّئُهُ) دفع بذلك ما يقال: إنَّ العسرى لا تيسيرَ فيها، فأجاب: بأنَّ المراد بالتيسير: التهيئة، وهي كما تكون في اليسر تكون في العسر، والمعنى: نُجري على يديه عملاً يوصلُهُ إلى النَّار.

قوله: (﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ﴾) متعلِّقٌ بالشِّق الثَّاني، والمعنى: إذا هيَّأناه لعمل النَّار.. سقط فيها وهلك، ولا ينفعُهُ مالُهُ الذي بَخِلَ به وتركه لورثتِهِ.

قوله: (﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾) أي: سقطَ.

قوله: (﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾) أي: بمقتضى حكمتِنا وتعلُّقِ قُدرتِنا، وإلَّا.. فلا يجب على الله تعالى شيءٌ.

قوله: (لَتَبْيِينَ طريقِ الهدى... إلخ) دفع بذلك ما يقال: إنَّ في الآية اكتفاءً، والتقدير: إنَّ علينا للهدى والضلالَ؛ أي: تبيينَ كلٍّ منهما، وإيضاحُ جوابِ المفسِّر: أنَّ المراد بـ(الهدى): التَّبيينُ، ومعمولُهُ محذوفٌ، والتَّقدير: إنَّ علينا لتبيينَ طريقِ الحقِّ من طريق الباطل.

قوله: (فمَنْ طلبَهما مِنْ غيرنا.. فقد أخطَأ) أي: فهذه الآيةُ بمعنى قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِۚ﴾ [النساء: ١٣٤].

قوله: (﴿تَلَظَّىٰ﴾) مرفوعٌ بضمَّة مقدَّرةٍ على الألف؛ للتعذر، صفة لـ﴿نَارًا﴾.

قوله: (وقرئ) أي: شذوذاً[١].

---

(١) وبإثباتِ التاءين قرأ ابن الزبير، وسفيان، وزيد بن علي وطَلحة. انظر «الدر المصون» (١١/ ٣٠).

لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ....

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾: يَدخُلها ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾: بِمَعنى الشَّقِيِّ، ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾ النَّبيَّ ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمانِ، وهذا الحَصرُ مُؤوَّل لِقَولِه تَعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٨] فيكُون المُرادُ الصُّلِيَّ المُؤبَّد، ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾: يُبعَد عنها ﴿ٱلْأَتْقَى﴾ بِمَعنى التَّقِيّ، ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾: مُتزكِّياً بِه عِند الله تَعالى بِأن يُخرِجَهُ للهِ تَعالى لا رِياءً ولا سُمعةً، فيَكُون زاكِياً عِند اللهِ،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾) مضارع (صَلِيَ) بكسر اللام، والمصدر: (صُلِيًّا) بضمٍّ فكسرٍ مع تشديد الياء.

قوله: (وهذا الحصرُ مؤوَّل) أي: مصروفٌ عن ظاهره، وقصد المفسِّر بهذا الكلامِ الرَّدَّ على المرجئة القائلِين: (لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ)، مستدلِّين بظاهر هذه الآيةِ؛ حيثُ حصرَ دخولَ النَّار في الكفَّارِ، فمُقتضاها: أنَّ المؤمن لا يدخل ولو فعل الكبائرَ.

ووجهُ الرَّدِّ: أنَّ الآية محمولةٌ على الدُّخول المؤبَّد، فلا يُنافي أنَّ عصاةَ المؤمنين يدخلونها ثمَّ يخرجون منها بالشفاعة.

إذا علمتَ ذلك.. تعلم أنَّ كلام المفسِّر لا يلاقي كلام المرجئة، فكان عليه أن يقول: (مؤوَّلٌ بحمل الصليِّ على التأبيد والخلود، وأمَّا قوله: (لقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾).. فلا مدخل له في ردِّ كلام المرجئةِ، إلَّا أن يقال: له مَدخلٌ مِنْ حيث مفهومُهُ؛ إذ مفهومُ (لمن يشاء): أنَّ مَنْ لم يشأ الغفرانَ له.. لم يغفرْ له، بل يدخله النَّار.

قوله: (﴿يَتَزَكَّىٰ﴾) بدلٌ من ﴿يُؤْتِى﴾، أو حالٌ من فاعله، ومشى المفسِّر على الثاني حيث قال: (متزكِّياً).

قوله: (وهذا نزَل في الصدِّيق) الإشارةُ لقولِهِ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾.

وهذا نَزَل في الصِّدِّيق رضي الله عنه لَمَّا اشتَرى بِلالاً المُعَذَّب على إيمانِه وأعتَقَهُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (**لَمَّا اشترى بلالاً**) أي: من سيِّده، وهو أُميَّة بن خلف، وكان الصدِّيق رضي الله عنه يبتاع الضَّعفَةَ فيعتقُهم، فقال له أبوه: أَيْ بُنيَّ؛ لو كنت تبتاع مَنْ يمنعُ ظهرك؟ فقال: (مَنْعَ ظهري أريد)، فنزلت الآية[1].

وهو بلال بن رباح، واسم أُمه: حمامة، وكان صادقَ الإسلامِ، طاهرَ القلبِ، وكان أميَّة بن خلف يخرجه إذا حمت الشَّمس، فيطرحه على ظهره ببَطحاءِ مكَّة، ثمَّ يأمر بالصخرة العظيمة فتوضَعُ على صدره، ثمَّ يقول: لا تزال هكذا حتَّى تموتَ أو تكفرَ بمحمَّدٍ، فيقول وهو في ذلك: (أحدٌ أحدٌ)، فمرَّ النبي ﷺ فقال: «أحدٌ يُنجيك» يعني: اللهَ تعالى، ثمَّ قال النبي ﷺ لأبي بكرٍ: «إنَّ بلالاً يعذَّب في الله»، فعرف أبو بكرٍ الذي يُريدُهُ رسولُ الله ﷺ، فانصرف إلى منزلِهِ، فأخذ رطلاً من ذهبٍ، ومضى إلى أُمية بن خلف، فقال له: (ألا تتقي الله في هذا المسكين؟) قال: أنت أفسدتَهُ، فأنقذه بما ترى؛ ففي روايةٍ: أنَّه فداه برطلٍ من ذهبٍ، وفي رواية: أنَّه قال له: عندي غلامٌ أسودُ أجلدُ منه وأقوى، وهو على دِينك، فأعطاه له، وأخذ بلالاً فأعتَقه[2].

وقال سعيد بن المسيب: (بلغني أنَّ أميَّة بن خلف قال لأبي بكرٍ في بلالٍ حين قال له: أتبيعه؟ قال: نعم أبيعه بنسطاس عبدٍ لأبي بكرٍ اغتنمه، وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوارٍ ومواشٍ، وكان مشركاً، حمله أبو بكر على الإسلام على أن يكون مالُه له، فأبى، فأبغضه أبو بكر، فلمَّا قال أميَّة: أبيعُك بغلامك نسطاس.. باعه)[3].

وكان قد أعتق قبلَهُ ستَّ رقابٍ وهم: عامر بن فهيرة: شهد بدراً وأحداً، وقُتِلَ يوم بئر معونة شهيداً، وأعتق أمَّ عميس، وزهرة، فأصيب بصرُها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرَها إلَّا اللات والعزَّى، فقالت: (كذبُوا وبيت الله؛ ما تضرُّ اللَّات والعزَّى وما ينفعان)، فردَّ الله تعالى عليها بصرَها[4].

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٦٢) عن سيدنا عبدِ الله بن الزبير رضي الله عنهما.

(٢) رواه الإمام أحمد في «فضائلِ الصحابة» (٨٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/١٤٨) وفيهما أن فداءه كان بالغلام الأسود، وانظر «سيرة ابن هشام» (ص٣١٨).

(٣) انظر «تفسير البغوي» (٨/٤٤٩).

(٤) رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٦٦١)، وفيه وفي كتب السيرة: (زِنِّيرة) بدل (زهرة). انظر «سيرة ابن هشام» (ص٣١٨).

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ١٩﴾ ....

فقال الكُفَّار: إنَّما فعَل ذلك لِيَدٍ كانَت لَه عِندَه فنزَلت: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ١٩﴾

حاشية الصاوي

وأعتق الفهريَّة وابنتَها، وكانتا لامرأةٍ لبني عبد الدار، فمرَّ بهما وقد بعثتهما سيِّدتهما يحتطبان لها وهي تقول لهما: والله؛ لا أعتقكما أبداً، فقال أبو بكر: (حِلًّا يا أمَّ فلان)، فقالت: حِلًّا، أنت أفسدتهما فأعتِقهما، قال: (فبكم؟) قالت: بكذا وكذا، قال: (قد أخذتهما وهما حرَّتان)[١].

ومرَّ بجاريةٍ من بني المرسل[٢] وهي تعذَّب، فابتاعها فأعتقها، وفي ذلك يقول عمَّار بن ياسرٍ[٣]: [الطويل]

جـزَى الله خيـراً عـن بِـلالٍ وصَـحْـبِـهِ ... عـتـيـقـاً، وأخزى فـاكـهـاً وأبـا جَـهـلِ
عـشـيَّـةَ هَـمَّـا فـي بـلالٍ بِـسَـوءَةٍ ... ولـم يَـحْذَرا ما يـحـذَرُ المـرءُ ذو العـقـلِ
بـتَـوحـيـدِهِ رَبَّ الأنـامِ وقَـولِـهِ: ... شَـهِـدتُ بـأنَّ اللهَ ربِّـي عـلـى مَـهـلِ
فـإنْ تَـقـتُـلـونـي تَـقـتُـلُـونـي ولـم أكُـنْ ... لِأُشركَ بـالـرَّحـمـنِ مِـنْ خِـيـفَـةِ الـقـتـلِ
فـيـا رَبَّ إبـراهـيـمَ والـعـبـدِ يُـونُـسٍ ... ومُـوسـى وعـيـسـى نـجِّـنـي ثـمَّ لا تُـمْـلِ
لِـمَـنْ ظلَّ يَـهْـوَى الـغـيَّ مِـنْ آلِ غـالـبٍ ... عـلـى غـيـرِ حـقٍّ كـانَ مـنـه ولا عَـدلِ

قوله: (فقال الكفَّار... إلخ) المناسب أن يقول: (ولَمَّا قال الكفار: «إنَّما فعل ذلك... إلخ».. نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ...﴾ إلخ).

قوله: (إنَّما فعَل) أي: أبو بكرٍ، وقوله: (ذلك) أي: شراءَ بلالٍ وإعتاقَهُ، وقوله: (ليدٍ كانت له) أي: نعمةٍ كانت لبلالٍ عند أبي بكرٍ؛ بأن صَنع مع أبي بكر معروفاً، فأحبَّ أبو بكرٍ مكافأته بما فعَله منه، وقوله: (فنزل) أي: تكذيباً للكفَّار.

قوله: (﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ﴾) أي: عند أبي بكرٍ؛ لا من بلالٍ، ولا غيره.

قوله: (﴿تُجْزَىٰٓ﴾) صفة لـ﴿نِّعْمَةٍ﴾ أي: يُجْزَى الإنسان بها، وأتى به مضارعاً مبنيًّا للمفعول؛ رعايةً للفواصل.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٨٩)، وقوله: (حلًّا يا أمَّ فلان) أي: تحلَّلي من يَمينك واسْتَثني فيها.

(٢) كذا في الأصول، وفي كُتب السيرة: (المؤمل). انظر «سُبل الهدى والرَّشاد» (٢/ ٣٦٢).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٤٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/ ٤٤١).

﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ۝٢١﴾

﴿إِلَّا﴾: لَكِن فعَلَ ذلك ﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ أي: طَلَبَ ثَوابِ الله. ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ بِما يُعطاهُ مِن الثَّواب في الجَنَّة، والآيةُ تَشمَلُ مَن فعَل مِثلَ فِعلِه رَضِي الله تَعالى عنهُ، فيُبعَد عن النَّار ويُثاب.

حاشية الصاوي

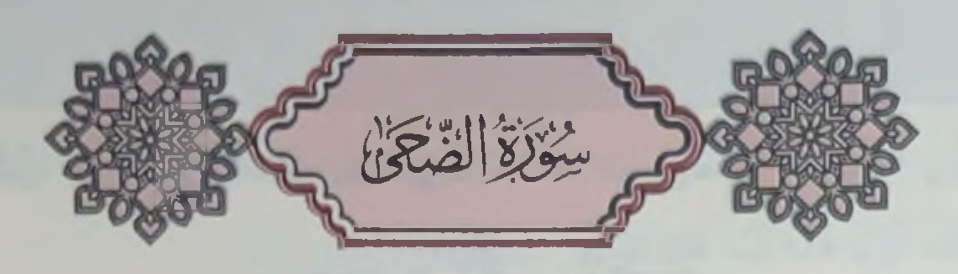
قوله: (لكن فعَل ذلك... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الاستثناء منقطعٌ؛ لأنَّ ابتغاءَ وجهِ ربِّه ليس من جنس النِّعمة، وهو[1] منصوبٌ على أنَّه مفعولٌ لأجله.

قوله: (﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾) جوابُ قَسَمٍ مقدَّرٍ؛ أي: والله لسوف يرضى، وهو وعدٌ من الكريم تعالى لأبي بكرٍ بِنَيل جميع ما يتمنَّاه على أبلغِ وجهٍ وأجملِه.

والعامَّة على بناء ﴿يَرۡضَىٰ﴾ للفاعل، وقرئ شذوذاً ببنائه للمفعول؛ أي: يُرضيه الله؛ أي: يُعطيه حتَّى يرضى.

✿ ✿ ✿

(١) كذا في الأصول؛ بالواو، وهي بمعنى (أو)، فأفاد المصنِّف للنصب وجهَين: الأول على الاستثناء المنقطِع؛ كما أفاده المفسِّر، والثاني: على أنَّه مفعول له.



مَكيَّة، إحدى عشرةَ آية.

ولَمَّا نزَلت كبَّر ﷺ آخِرَها فسُنَّ التكبيرُ آخِرَها، ورُوِيَ الأمرُ بِه خاتِمَتَها وخاتمةَ كُلِّ سُورة بعدَها، ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الضُّحَىٰ

(مكيَّة).

قوله: (كبَّر) أي: قال: «الله أكبر»، أو: «لا إله إلا الله، والله أكبر»، أو: «لا إله إلا الله، والله أكبر، ولله الحمد»، وحكمةُ تكبيرِهِ: تذكُّرُهُ عظمةَ نعمةِ الله تعالى عليه، فشكرَ ربَّه على ذلك، ولم تَشْغَلْهُ النِّعم عن المنعِم.

قوله: (فسُنَّ التَّكبيرُ آخرها) أي: أخذاً من فعلِهِ عليه السَّلام ومن أمرِهِ.

واعلم: أنَّه اختُلِفَ هل التَّكبير لأوَّل السورة، أو لخاتمتِها؟ فعلى الأوَّل: يكبِّر بين (الليل) و(الضحى)، وفي أوَّل (الناس)، ولا يكبِّر في آخرها، وعلى الثاني: لا يكبِّر أوَّل (الضحى)، ويكبِّر آخرَ (الناس). ومنشأ الخلاف: أنَّه كان تكبيرُهُ ﷺ آخرَ قراءةِ جبريل وأوَّل قراءتِهِ هو ﷺ.

واعلم أيضاً: أنَّه يتأتَّى على القولين المذكورين حالَ وصلِ السُّورة بما بعدَها ثمانيةُ أوجهٍ، يَمتنع منها وجهٌ واحدٌ، وهو وصلُ آخرِ السُّورة بالتَّكبير بالبسملةِ معَ الوقفِ عليها؛ لئلَّا يتوهَّم أنَّ البسملةَ لآخرِ السورة، والسَّبعة الباقية جائزةٌ:

اثنان منها على تقدير أن يكون التَّكبير لآخرِ السُّور، وهما: وصلُ التَّكبير بآخر السورة التي بعدها[1] والوقفُ عليه، معَ وصلِ البَسملة بأوَّل السُّورة التي بعدَها، ووصلُهُ بآخر السورة والوقفُ عليه وعلى البسملة؛ فيَقف على كلٍّ منهما وقفاً مُستقلًّا.

واثنان منها على تقدير أن يكون لأوَّلها، وهما: قَطعُهُ عن آخر السورة، ووصلُهُ بالبَسملة

---

(١) لعلَّ المناسب حذفُ قوله: (التي بعدها).

﴿وَالضُّحَىٰ ①﴾ ....

وهو: اللهُ أكبَرُ، أو لا إلَهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبَر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(① - ③) ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ أي: أوَّل النَّهار ....

حاشية الصاوي

مع الوقف عليها، ثمَّ الابتداءُ بأوَّل السورة، وقطعُهُ عن آخِرِ السُّورة، ووصلُهُ بالبسملةِ مع وصلِها بأوَّل السُّورة.

وثلاثةٌ محتملةٌ لِلتقديرين، وهي: وصلُ التَّكبير بآخر السُّورة وبالبسملةِ وبأوَّل السورة التي بعدها، وقطعُهُ عن آخِرِ السورة وعن البسملة مع وَصل البسملة بأوَّل السورة، وقطعُهُ عن آخِرِ السورة وعن البسملة، وقطعُ البسملة عن أول السورة.

وهذه الأوجه السَّبعة تجري من آخِرِ (الضحى) إلى آخِرِ (الفلق)، وأمَّا بين (الليل) و(الضحى).. فيجوز خمسةُ أوجهٍ فقط: الاثنان على تقدير كونِهِ لأوَّل السُّور، والثلاثة المحتملة، وبين (الناس) و(الفاتحة).. فيجوز خمسة أيضاً: الاثنان على تَقدير كونِهِ لآخِرِ السُّور، والثلاثة المحتملة[1].

قوله: (أو: «لا إله إلا الله») هذه هي النُّسخة الصحيحة، وفي بعض النسخ: (ولا إله إلا الله) بالواو، وهي بمعنى (أو)، فأفاد المفسِّرُ روايتين، وبقيت روايةٌ ثالثةٌ، وهي الجمعُ بين التَّهليل والتَّكبير والتَّحميد، وعليها العمل.

قوله: (﴿وَالضُّحَىٰ﴾... إلخ) قدَّم الضحى هنا على الليل، وفي السُّورة التي قبلَها قدَّم الليل؛ وذلك لأنَّ في كلٍّ مزيَّةً تقتضي تقديمَهُ، فقدَّم هذا تارةً، والآخَرَ أخرى؛ فاللَّيل به السكون والهدوء ومحلُّ الخلَوات والعطايا الربانيَّة، والنَّهار به النُّور والسعي في المصالح واجتماع النَّاس، أو لأنَّ السورة المتقدِّمةَ سورةُ أبي بكرٍ وهو قد سبَق له كفرٌ، فقدَّم فيها الليل، وهذه سورة محمَّد ﷺ وهو نورٌ محضٌ، فقدَّم فيها الضحى.

إن قُلت: ما الحكمة في ذكرِ الضحى وهو ساعةٌ، وذكرِ اللَّيل بجملتِهِ؟

أجيب: بأنَّ في ذلك إشارةً إلى أنَّ ساعةً من النَّهار تُوازي جميع الليل؛ كما أنَّ محمَّداً يوازي

(١) انظر «النشر في القراءات العَشر» (٢/ ٤٢٩).

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ ....

أو كُلِّه، ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾: غَطَّى بِظَلامِه أو سَكَن؛ ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾: تَرَكَكَ يا مُحمَّد ﴿رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾: أبغَضك، نَزَل هذا لَمَّا قال الكُفَّار عِندَ تَأخُّر الوَحي عنهُ ....

حاشية الصاوي

جميعَ الخَلق، وأيضاً: الضحى وقت سُرورٍ، والليل وقت وحشةٍ؛ ففيه إشارةٌ إلى أنَّ سرور الدنيا أقلُّ من شُرُورها.

قوله: (أو: كلّه) أي: وعليه: ففيه مجازٌ من إطلاق الجزء على الكلِّ.

قوله: (﴿إِذَا سَجَىٰ﴾) ﴿إِذَا﴾: لمجرَّد الظرفيَّة، والعامل فيها فعل القسم المقدَّر؛ كما تقدَّم نظيرُه[1].

قوله: (غطَّى بظلامه) أي: كلَّ شيءٍ.

قوله: (أو: سكن) إسنادُ السكون له مجازٌ عقليٌّ، والمعنى: سكَن أهله؛ من إسناد الشيء لزمانِهِ.

قوله: (﴿مَا وَدَّعَكَ﴾) بالتَّشديد في قراءة العامَّة؛ من: التَّوديع، وهو في الأصل: مفارقةُ المحبوب مع التَّألم، أُطْلِقَ وأريد منه مطلقُ التَّرك؛ بدليل القراءة الشاذَّة بالتَّخفيف؛ من: الوَدْعِ وهو التَّرك[2].

قوله: (﴿وَمَا قَلَىٰ﴾) مضارعه من باب (ضَرَب) و(قتَل).

قوله: (نزل هذا... إلخ) اختُلف في سبب نزول هذه الآية على أربعة أقوال:

الأوَّل: ما روي أنَّه ﷺ اشتكى ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت أمُّ جميلٍ امرأةُ أبي لهب وقالت: يا محمَّد؛ إنِّي لأرجو أن يكون شَيطانك تركك، لم أرَه قَربك منذ ليلتين أو ثلاثاً، فنزَلت[3].

الثَّاني: أنَّه أبطأ الوحي حتَّى شقَّ عليه، فجاءه وهو واضعٌ جبهتَهُ على الكعبة يدعو، وأنزل عليه الآية[4].

---

(١) انظر (٧/ ٤١٢).

(٢) وبالتخفيف قرأ عُروة بن الزبير، وابنه هشام، وأبو حَيوة، وابن أبي عَبلة. انظر «الدر المصون» (١١/ ٣٦).

(٣) رواه البخاري (٤٩٥٠)، ومسلم (١٧٩٧) عن سيدنا جندب بن سفيان رضي الله عنه.

(٤) عزاه القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٩٣) إلى أبي عِمران الجوني.

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤﴾ ....

خَمسةَ عَشَر يَوماً: إنَّ رَبَّه ودَّعَهُ وقَلاهُ.

(٤ - ٥) ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ﴾ لِما فِيها مِن الكَرامات لَك ﴿مِنَ الْأُولَىٰ﴾: الدُّنيا،

حاشية الصاوي

الثَّالث: ما روي أنَّ خولةَ كانت تخدم النبيَّ ﷺ فقالت: إنَّ جرواً دخل البيت، فدخل تحت السرير فمات، فمكث النبيُّ ﷺ أيَّاماً لا ينزل عليه الوحي، فقال ﷺ: **«يا خولة؛ ما حدَث في بيتي؟ إنَّ جبريل لا يأتيني»**، قالت خولة: فكنَست فأهويت بالمكنسة تحت السرير؛ فإذا جروٌ ميِّتٌ، فأخذته فألقيتُهُ خلف الجدار، فجاء نبي الله ﷺ ترعد لحياه، وكان إذا نزل عليه الوحي.. استقبلته الرعدة، فقال: **«يا خولة؛ دثِّريني»**، فلمَّا نزل جبريل عليه.. سأله النبي عن التأخُّر فقال: **«أما عَلِمْتَ أنَّا لا ندخل بيتاً فيه كلبٌ ولا صورةٌ»**[1].

الرابع: ما رُوي أنَّ اليهود سألوا النبي ﷺ عن الروحِ، وذي القَرنين، وأصحابِ الكهف، فقال ﷺ: **«سأخبركم غداً»**، ولم يقُل: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي إلى أن نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤]، وأخبره بما سأل عنه، ونزلت هذه الآية[2].

قوله: (خمسة عشر يوماً) هذا قول ابن عبَّاس، وقال ابن جرير: اثنا عشر يوماً، وقال مُقاتل: أربعون يوماً.

روي: أنَّه لما جاءه جبريل.. قال له: **«ما جئتَ حتَّى اشتقتُ إليك»**، فقال جبريل: **«إنِّي كنت إليك أشوَق، ولكنِّي عبدٌ مأمورٌ»**، وأنزل عليه: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤][3].

قوله: (﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾) اللام للابتداء، مؤكِّدة لمضمون الجملة.

قوله: (﴿خَيْرٌ لَّكَ﴾) إنَّما قيَّد بقوله: ﴿لك﴾؛ لأنَّها ليست خيراً لكلِّ أحدٍ، بل النَّاس على أربعة أقسام: منهم: مَنْ له الخير في الدارَين، وهم أهل الطاعة الأغنياء، ومنهم: مَنْ له الشرُّ فيهما، وهم الكفَرة الفقراء، ومنهم: مَنْ له صورةُ خيرٍ في الدنيا، وشرٌّ في الآخرة، وهم الكفَرة الأغنياء، ومنهم: مَنْ له صورةُ شرٍّ في الدنيا، وخيرٌ في الآخرة، وهم الفقراء المؤمنون.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٣٦) عن أم حَفص. وانظر «الدر المنثور» (٨/ ٥٤١).

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٢٣)، وابنُ أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤١٤).

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ⑤ أَلَمْ يَجِدْكَ ....

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخِرة مِن الخَيرات عَطاءً جَزيلاً ﴿فَتَرْضَىٰ﴾ بِه، فقال ﷺ: «إذَن لا أَرضَى وواحِدٌ مِن أُمَّتِي في النَّار» ـ إلى هُنا تَمَّ جَواب القَسَم بِمُثبَتَين بعدَ مَنفِيَّين ـ.

(﴿٦﴾ - ﴿٨﴾) ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ ـ استِفهام تَقرِير ـ أي: وجَدَك ....

حاشية الصاوي

قال بعضُ أهل الإشارات: في الآيةِ إشارةٌ إلى أنَّه ﷺ دائماً يترقَّى في الكمالات إلى غير نهايةٍ؛ فمَقامُه في المستقبل أعلى منه في الماضي، وهكذا، ويدلُّ لذلك أيضاً قوله في الحديث: «إنِّي ليُغَانُ على قلبي، فأستغفر الله في اليوم سبعين مرَّة»[١]، فاستغفاره لِكونه ارتقى مقاماً أعلى من الأول، فرأى أنَّ الذي انتقل منه بالنسبة للذي انتقل إليه ذنباً[٢].

قوله: (﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرة) المناسب أن يبقيَ الآيةَ على عمومها؛ لأنَّ إعطاءه حتَّى يرضى ليس قاصراً على الآخرة، بل عامٌّ في الدنيا والآخرة، فهو وعدٌ شاملٌ لما أعطاه له؛ من كمالِ النَّفس، وظُهورِ الأمر، وإعلاء الدين، ولما ادخر له ممَّا لا يَعلم كنهَهُ سواه تعالى.

وقيل: عطاؤه هو الشفاعة، وقيل: (يعطيك ألف قصرٍ من لؤلؤ أبيض، ترابها المسك، وفيها ما يليق بها)[٣]، والحق: التَّعميم بما لا يَعْلَمُ كنهَهُ إلَّا الله تعالى.

قوله: (وواحدٌ من أمَّتي) أي: الموحِّدين، فالمراد: أمَّةُ الإجابةِ، وقد أشار لذلك بعض العارفين بقوله: [الوافر]

قَرَأْنَا في الضُّحى: (وَلَسَوْفَ يُعطي) ... فَسَرَّ قلوبَنا ذاكَ العَطاءُ
وحَاشَا يا رسولَ اللهِ تَرضَى ... وفِينا مَنْ يُعذَّبُ أو يُساءُ

قوله: (﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ . . . إلخ) القصدُ من هذا: تسليتُهُ ﷺ؛ ليزداد شكراً وصبراً. والوجود بمعنى: العِلم؛ فـ﴿يَتِيمًا﴾ مفعولٌ ثانٍ، والكاف: مفعوله الأول.

قوله: (استفهام تقرير) أي: بما بعد النَّفي.

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٩٥)، وابن ماجه (٣٨١٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وأصل الحديث في «صحيح مُسلم» (٢٧٠٢) عن سيدنا الأغرِّ المُزني رضي الله عنه، وفيه: «حتى أستغفِر الله في اليوم مئة مَرَّة».

(٢) كذا في الأصول، والسياق يقتضي الرفع خبراً لـ(أنَّ).

(٣) رواه ابنُ أبي شيبة في «مُصنَّفه» (٣٥١١٣) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾ ....

﴿يَتِيمًا﴾ بِفَقدِ أبِيك قبلَ وِلادَتِك أو بَعدَها، ﴿فَـَٔاوَىٰ﴾ بِأن ضَمَّك إلى عَمِّك أبِي طالِب،

حاشية الصاوي

قوله: (بفَقد أبيك) مصدرٌ مضافٌ لمفعوله.

قوله: (قبل وِلادتك) أي: بعد حملِهِ بشهرين، وقيل: قبل ولادته بشهرَين، وقوله: (أو بعدَها) أي: وعليه فقيل: بشهرَين، وقيل: بسبعة أشهر، وقيل: بتسعة أشهر، وقيل: بثمانية وعشرين شهراً، والصَّحيحُ الأوَّل، وكانت وفاته بالمدينة الشريفة، ودُفن في دار النابغة، وقيل: دُفن بالأبواء؛ قريةٍ من أعمال الفرع.

وتوفيت أمُّه وهو ابنُ أربعِ سنين، وقيل: خمس، وقيل: ست، وقيل: سبع، وقيل: ثمان، وقيل: تسع، وقيل: ثنتي عشرة سنةً وشهرٍ وعشرةِ أيَّام، وكانت وفاتُها بالأبواء، وقيل: بالحجون.

ومات جدُّه عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين، فكفَله عمُّه أبو طالب؛ لأنَّه كان شقيقَ أبيه، وردَ: (أنَّه لما مات أبواه. . قالت الملائكة: بقي نبيُّك يتيماً، فقال الله تعالى: «أنا له كافل»).

وسئل بعض العلماء: لِمَ يُتْمُ النبيِّ ﷺ؟ فقال: لئلَّا يكون لمخلوقٍ عليه منَّةٌ، فيُتمُهُ ﷺ كمالٌ؛ ولذا قال البوصيري[1]: [البسيط]

كَفَاكَ بِالعِلمِ فِي الأُمِّيِّ مُعجِزَةً ... فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأدِيبِ فِي اليُتُمِ

قوله: (﴿فَـَٔاوَىٰ﴾) العامَّة على قراءته بألفٍ بعد الهمزة رباعيًّا؛ من: (آواه يُؤويه)، وأصله: (أَأْوَى) بهمزتين: الأولى مفتوحة، والثانية ساكنة، أُبدلت الثانية ألفاً، ومصدره: (الإيواء) كـ(الإكرام)، وهو متعدٍّ باتفاق، وقرئ شذوذاً بغير ألف ثلاثيًّا؛ كـ(رمى)، ومصدره: (إِوَاء) بوزن (كِتَاب) و(أُوِيّ) بوزن (فُعُول) بالضم، و(أَوَى) بوزن (ضرَب)، وهو يستعمل لازماً ومتعدياً[2].

قوله: (بأن ضمَّك إلى عمِّك أبي طالب) أي: بعد وفاة جدِّك عبد المطلب. وقيل: هو من قولهم: (درَّة يتيمة)، والمعنى: ألم يَجدك واحداً في قريش عديمَ النَّظير، فآواك إليه، وشرَّفك بنُبُوَّته، واصطفاك برِسالته؟

---

(١) كما في قصيدته المشهورة «البردة».

(٢) قرأ أبو الأشهب: (فأوى) ثلاثيًّا. انظر «الدر المصون» (١١/ ٣٩).

وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ....

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ عمَّا أنتَ علَيهِ الآنَ مِن الشَّرِيعة ﴿فَهَدَىٰ﴾ أي: هَداك إلَيها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ عمَّا أنت عليه الآن مِنَ الشريعة) أي: وجدك خالياً من الشَّريعة، فهداك بإنزالها إليك، والمراد بضلاله: كونُهُ من غير شريعةٍ، وليس المرادُ الانحرافَ عن الحقِّ؛ لكونِهِ مستحيلاً عليه؛ قبل النبوَّة وبعدَها، فهذا كقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢].

وما ذكره المفسِّر أحدُ أقوالٍ في تفسير الآية، وقيل: الضلال بمعنى: الغفلة، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، وهو قريبٌ من الأول، وقيل: وجدك ضالًّا عن الهجرةِ، فهداك إليها، وقيل: ناسياً شأنَ الاستثناء حين سُئِلْتَ عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، فذكَّرك، وقيل: وجدك طالباً للقِبلة، فهداك إليها، قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ...﴾ [البقرة: ١٤٤] الآية، فيكون الضلال بمعنى: الطلب، والحب قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥] أي: محبَّتك.

وقيل: إنَّ حليمة لما قضت حقَّ الرضاع.. جاءت برسول الله ﷺ لتردَّهُ على عبد المطلب، فسَمعت عند باب مكَّة: (هنيئاً لك يا بطحاء مكَّة، اليوم يردُّ الله إليك النُّور والبهاء والجمال)، قالت: فوَضعتُهُ لأصلح شأني، فسَمعت هَدَّة شديدةً، فالتفتُّ فلم أرَه، فقلتُ: يا معشر النَّاس؛ أين الصبي؟ فقالوا: لم نَرَ شيئاً، فصِحْتُ: وامحمَّداه؛ فإذا شيخٌ فانٍ يتوكَّأ على عصاه، فقال: اذهبي إلى الصَّنم الأعظمِ؛ فإن شاء أن يَردَّه إليك.. فعل، ثمَّ طاف الشيخ بالصنم وقبَّل رأسَهُ وقال: يا ربِّ؛ أنزل منَّتك على قريشٍ وهذه السَّعدية تزعم أنَّ ابنها قد ضَلَّ، فرُدَّه إن شئت، فانكبَّ على وجهه، وتَساقطت الأصنام، وقالت: إليك عنَّا أيُّها الشيخُ، فهلاكُنا على يدِ محمَّدٍ، فألقى الشَّيخ عصاه وارتعدَ وقال: إنَّ لابنِك ربًّا لا يُضَيِّعه، فاطلبيه على مَهلٍ، فانحشَرَتْ قريشٌ إلى عبد المطلب، وطلبُوه في جميع مكة فلم يَجدوه، فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعاً، وتضرَّع إلى الله تعالى أن يَرُدَّه، فسمعوا منادياً ينادي من السَّماء: معاشر الناس؛ لا تَضِجُّوا فإنَّ لمحمَّدٍ ربًّا لا يخذله ولا يُضَيِّعُهُ، وإنَّ محمداً بوادي تُمامة عند شجرة السَّمُرِ، فسار عبد المطلب هو ووَرقة ابن نوفل؛ فإذا النبي ﷺ قائمٌ تحت شجرةٍ يلعب بالأغصان وبالوَرق[1].

(١) انظر «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٣٩١).

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ⑧﴾ ....

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾: فقِيراً ﴿فَأَغْنَىٰ﴾: أغناكَ بِما قَنَّعَك بِه مِن الغَنِيمة وغَيرِها؟ وفي الحَدِيث:

حاشية الصاوي

وفي رواية: ما زال عبد المطلب يردِّد البيت حتَّى أتاه أبو جهل على ناقةٍ ومحمَّد ﷺ بين يدَيه وهو يقول: ألا تدري ماذا جرى من ابنِك؟ فقال عبد المطلب: ولم؟ فقال: إنِّي أنخت النَّاقة وأركبتُه خلفي، فأبت النَّاقة أن تقوم، فلمَّا أركبتُه أمامي.. قامت الناقة[١]. قال ابن عبَّاس: (ردَّه الله تعالى إلى جدِّه بيد عدوِّه؛ كما فعل بموسى عليه السلام حين حَفِظه عند فرعون).

وقيل: إنَّه عليه السَّلام خرج مع عمِّه أبي طالب في قافلة مَيسرة عند خديجة، فبينَما هو راكبٌ ذاتَ ليلةٍ مُظلمةٍ ناقةً، فجاء إبليس فأخذ بزمام النَّاقة، فعدَل بها عن الطريق، فجاء جبريل عليه السَّلام فنفخ إبليسَ نفخةً وقع منها إلى أرض الحبشة، وردَّه إلى القافلة[٢].

قوله: (﴿عَآئِلًا﴾) هذه قراءة العامَّة، يقال: (عَالَ زيدٌ) أي: افتقر، و(أعال): كثرت عيالُهُ، وقُرِئَ شذوذاً: (عيِّلاً) بكسر الياء المشدَّدة[٣].

قوله: (بما قنَّعك به) أي: بما رضَّاك به، وقوله: (من الغنيمة) أي: وإن كانت لم تَحصل إلَّا بعد نزول هذه السُّورة، لكن لمَّا كان الجهادُ معلومَ الوقوع.. كان كالواقع.

وقيل: أغناك بمالِ خديجةَ، وتربيةِ أبي طالب، ولما اختَلَّ ذلك.. أغناه بمال أبي بكر، ولما اختلَّ ذلك.. أمره بالجهاد، وأغناه بالغنائم؛ لما روي «**جعل رزقي تحت ظلِّ سيفي ورمحي**»[٤].

قوله: (وغيرها) أي: كمالِ خديجة، ومال أبي بكر، وبإعانة الأنصار حين الهجرة.

---

(١) انظر «السيرة الحلبية» (١/ ١٣٩)، والبيت الذي كان يُردِّده عبد المطلب:

يـا رَبِّ رُدَّ وَلَـدِي مُـحَـمَّـدَا	أرْدُدْهُ رَبِّـي واتَّـخِـذْ عِـنْـدِي يَـدَا
يـا رَبِّ إنْ مُـحَـمَّـدٌ لَـم يُـوجَـدَا	فَـشَـمْـلُ قَـوْمِـي كُـلِّـهِـمْ تَـبَـدَّدَا

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٩٨).

(٣) وبها قرأ اليماني. انظر «الدر المصون» (١١/ ٤٠).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٥٠) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما، وأورده البخاري تعليقاً في كتاب الجهاد، باب: ما يُذكر في الرماح.

فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ ....

«ليسَ الغِنَى عن كَثْرةِ العَرَضِ، ولَكِنَّ الغِنى غِنَى النَّفس».

(﴿٩﴾ - ﴿١١﴾) ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ بِأخذِ مالِه أو غيرِ ذلك، ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾: تَزجُرْهُ لِفَقرِه، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (عن كثرة العَرَض) بفتحتَين: المال، وفي الحديث: «قد أفلح مَنْ أسلم، ورُزِقَ كفافاً، وقنَّعه الله بما آتاه»[1].

قوله: (﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ﴾) منصوبٌ بـ﴿تَقْهَرْ﴾، وهذا مفرَّع على قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾، فالمعنى: اصنع مع عبادِي كما صنَعْتُ معك.

قوله: (بأخذِ مالِهِ) أي: كما كانت العرب تفعل في أموال اليتامى؛ تأخذُ أموالهم، وتظلمُهم حقوقَهم، وروي: أنَّه ﷺ قال: «خيرُ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُحْسَنُ إليه، وشرُّ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُسَاءُ إليه، ثمَّ قال بأصبعيه: أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وهو يشير بأصبعَيه[2].

قوله: (أو غير ذلك) أي: كإذلالِهِ واحتقارِهِ.

قوله: (﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ﴾) منصوبٌ بـ﴿تَنْهَرْ﴾، والمعنى: إمَّا أن تُطعِمه، أو تَرُدَّه برفقٍ، وقيل: المراد بالسائل: ما يَشمل طالب العلم، فيكرمُهُ وينصفُهُ، ولا يعبسُ في وجههِ، ولا يتلقَّاه بمكروهٍ، وهذا العموم أولى، وهو مفرَّعٌ على قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾، والمعنى: أَغْنِ عبادي وأعطِهم كما أغنيتُكَ وأعطيتُكَ.

قوله: (﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾... إلخ) هذا عامٌّ، وإنَّما أخَّر حقَّ الله تعالى عن حقِّ اليتيم والسائل؛ لأنَّهما محتاجان، والله هو الغنيُّ، وتقديمُ المحتاج أولى، ولأنَّ المقصود من جميع الطَّاعات استغراقُ القلب في ذكرِ اللهِ تعالى وشكرِه، فخُتِمَتْ به للعمومِ.

---

(١) رواه مسلم (١٠٥٤) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) رواه ابن ماجه (٣٦٧٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وليس فيه: (أنا وكافل... إلخ)، وهي عند الإمام ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (٦٥٤).

﴿فَحَدِّثْ ١١﴾

علَيك بِالنُّبُوةِ وغيرِها ﴿فَحَدِّثْ﴾: أَخبِر ـ وحُذِف ضَمِيرُه ﷺ في بَعضِ الأفعال رِعايةً لِلفَواصلِ ـ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَحَدِّثْ﴾) أي: بالنِّعمة؛ لأنَّ التحدُّث بها هو شكرُها، والتحدُّث بالنِّعمة جائزٌ لغيره ﷺ إذا قَصد به الشكرَ، وأن يقتديَ به غيرُهُ، وأَمِنَ على نفسِهِ الغرورَ والكبرَ، قال الحسن بن علي رضي الله عنه: (إذا عملتَ خيراً.. فحدِّث به إخوانك؛ لِيَقتدوا بك)[1].

وورد: أنَّ شخصاً كان جالساً عندَه ﷺ، فرآه رثَّ الثياب، فقال له: **«ألك مال؟»** قال: نعم، فقال له: **«إذا آتاك الله مالاً.. فليرَ أثره عليك»**[2]، وورد: **«إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمالَ، ويحبُّ أن يرى أثر النِّعمةِ على عبدِهِ»**[3].

وقوله: (بالنبوَّة وغيرِها) أي: من العلومِ والقرآنِ وسائرِ عَطاياه التي لا تتناهى، وقد فعل ﷺ؛ فحدَّث بما أعطاه ربُّه من النِّعم، فبلَّغ القرآن، ونشرَ العُلوم، وأعطى حقوقَ ربِّه عزَّ وجلَّ.

قوله: (في بعضِ الأفعال) أي: وهو ﴿فَـَٔاوَىٰ﴾ ﴿فَهَدَىٰ﴾ ﴿فَأَغْنَىٰ﴾، والأصل: فآواك، فهداك، فأغناك.

✿ ✿ ✿

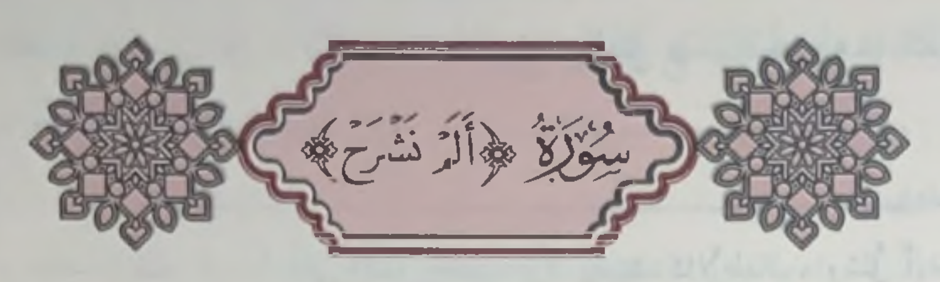
---

(١) أورده العلامة الخطيب في «السراج المنير» (٤/ ٥٥٤).

(٢) رواه النسائي في «المجتبى» (٨/ ١٨٠) عن سيدنا مالك بن نضلة الجشمي رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو يعلى في «مُسنده» (١٠٥٥)، والبَيهقي في «شُعَب الإيمان» (٥٧٩٠) عن سيدنا أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه، وأوَّله في «صحيح مسلم» (٩١) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه.

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ①﴾ ....



مَكيَّة، ثمان آياتٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٤) ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ - استِفهام تقريرٍ - أي: شَرَحنا ﴿لَكَ﴾ يا مُحمَّد ﴿صَدْرَكَ﴾ بِالنُّبوَّةِ وغيرِها، ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾

(مكيَّة) أي: في قول الجمهور، وقال ابن عبَّاس: إنَّها مدنيَّةٌ[1].

قوله: (استفهامُ تقريرٍ) أي: وهو حملُ المخاطب على الإقرار بما بعد النفي؛ لأنَّ الاستفهام إذا دخل على معنًى.. قرَّره، فصار معناه: قد شرَحنا؛ ولذلك عطف عليه الماضي، وليس معناه الإنشاء حتَّى يُقال: يَلزم عليه عطف الخبر على الإنشاء فيما لا محلَّ له من الإعراب، وهو مردودٌ أو ضعيفٌ، بل المرادُ: لازمُهُ، وهو الإخبار بشرح الصَّدر وما بعده، فهذه السُّورة من جُملة النِّعم التي أُمِرَ بالتحدُّث بها في السُّورة قبلَها.

قوله: (أي: شرَحنا) الشَّرح في الأصل: بسطُ اللحمِ ونحوِهِ، يقال: (شرحتُ اللَّحمَ): بسطته وشقَّقته، والمراد هنا: توسعةُ الصَّدر بالنُّور الإلهيِّ؛ ليسع مناجاةَ الحقِّ، ودعوةَ الخلق، فصار مهبطَ الرَّحمات، ومنبعَ البركات.

قوله: (بالنبوَّة وغيرِها) روي: «أنَّ جبريل عليه السلام أتاه وهو عند مُرضعتِهِ حليمةَ، وهو ابنُ ثلاثِ سنين أو أربعٍ، فشقَّ صدرَهُ، وأخرج قلبَهُ، وغسله ونقَّاه، وملأه علماً وإيماناً، ثمَّ ردَّه

---

(١) كذا نقَله البقاعي في «مَصاعد النظر» (٣/٢٠٧)، ونَقل ابن عطية في «المحرَّر الوجيز» (٥/٤٩٦) الإجماع على كونها مكيَّة.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ ....

﴿وَوَضَعْنَا﴾ : حَطَطنا ﴿عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ﴾ : أثقلَ ﴿ظَهْرَكَ﴾ وهذا كقولِه تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾ [الفتح: ٢]، ....

حاشية الصاوي

في صَدره»[١]. وحكمة ذلك: لينشأ على أكمل حال، ولا يَعبث كالأطفال، وشقَّ أيضاً عند بلوغِهِ عشرَ سنين؛ ليأتي عليه البلوغ وهو على أجمل الأخلاق وأطيَبِها، وعند البعثة؛ ليتحمَّل القرآنَ والعلومَ، وليلةَ الإسراءِ؛ ليتهيَّأ لملاقاة أهل الملأ الأعلى، ومناجاةِ الحقِّ جلَّ جلالُهُ ومشاهدتِهِ وتلقِّيه عنه؛ فمرَّاتُ الشَّقِّ أربعٌ؛ زيادةً في تنظيفِهِ وتطهيرِهِ؛ ليكون كاملاً مُكمَّلاً، لا يَعلم قدرَهُ غيرُ ربِّه[٢].

والحكمة في قوله: ﴿لك﴾ ولم يقل: (ألم نشرح صدرك): التَّنبيهُ على أنَّ منافع الرسالة عائدةٌ عليه ﷺ، لا لغرضٍ يَعُود عليه، تعالى الله عن الأغراض والعللِ.

قوله: (﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾) معطوفٌ على مدلول الجملة السَّابقة، كأنَّه قال: (قد شرحنا لك صدرك ووَضعنا)، و﴿عَنكَ﴾: متعلِّق بـ(وضعنا)، وقدَّمه على المفعول الصَّريح؛ تعجيلاً للمَسرَّة، وتشويقاً إلى المؤخَّر.

قوله: (﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾) الإنقاض في الأصل: الصَّوت الخفيُّ الذي يُسْمَعُ من الرَّحل فوق البعير؛ من شدَّة الحمل، والمرادُ: لازمُهُ، وهو الثِّقل، وهذا كقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ﴾ أي: فهو مصروفٌ عن ظاهرِهِ، فيُجاب عنه بأجوبةٍ؛ منها: أنَّ المراد: وضعنا عنك وِزرَ أمَّتِك، وإنَّما أضافها إليه؛ لاشتغالِ قلبِهِ بها، قال تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فأوزار أمَّته قبلَ إسلامِهم موضوعةٌ عنهم بالإسلام؛ فلا يؤاخذون بها؛ لأنَّ الإسلام يَجُبُّ ما قبلَهُ، وبعد الإسلام يوضَعُ عنهم بالتَّوبةِ، أو شفاعتِهِ ﷺ لِمن مات مُصِرًّا.

ومنها: أنَّ المراد: وَضعنا عنك أثقال النبوَّة والتبليغ؛ وذلك أنَّه ﷺ كان في ابتداء البعثة يشقُّ عليه الأمر ويقول: أخاف ألَّا أقومَ بحقِّ الدَّعوةِ، فوضعَهُ الله عنه.

---

(١) رواه مسلم (١٦٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) انظر «سُبل الهدى والرشاد» (٢/ ٦٤).

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ ....

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ بِأن تُذكَرَ مَع ذِكري في الأذان والإقامةِ والتَّشهُّد والخُطبةِ وغَيرِها.

(٥ - ٦) ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾ : ....

حاشية الصاوي

ومنها: أنَّ المراد بالوزرِ: خلافُ الأولى، فكان إذا ارتكبه وعاتبه الله عليه.. ثَقُلَ ذلك الأمرُ عليه وشقَّ، وتسميتُهُ (وزراً) بالنسبة لِمُقابِله؛ من باب: (حسناتُ الأبرار سيئات المقرَّبين)؛ كإذنِهِ للمنافقين في التخلُّفِ حين اعتذروا، وأخذِهِ الفداءَ من أسارى بدرٍ، ونحوِ ذلك.

ومنها: أنَّ المراد بالوضع: العصمةُ، فالمعنى: عصَمناك من الوزر ابتداءً وانتهاءً، فلم نُقدِّرْ عليك وزراً أصلاً، وكلٌّ من هذه الأجوبة صحيحٌ، ولا مانعَ من حمل الآية على الجميع.

قوله: (﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾) أي: أعلنَّاه فذكرناك في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلَكَ، وأمَرناهم بالبشارة بك، ولا دينَ إلَّا ودينُكَ يظهرُ عليه، وأخَذنا على الأنبياءِ العهدَ إن ظهرتَ وأحدُهم حيٌّ.. ليؤمِنُنَّ بك، ولينصرُنَّك، وهم يَأخذون على أممِهم ذلك العهدَ؛ كما تقدَّم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ...﴾ [آل عمران: ٨١] الآية[1]، وفي هذا المعنى قال البُوصيري[2]: [الخفيف]

ما مضَتْ فَترةٌ من الرُّسْلِ إلَّا ... بشَّرَتْ قَومَها بكَ الأنبياءُ

والحكمة في زيادة ﴿لك﴾: ما سبق من أنَّ رفع الذكر عائدٌ ثمرتُهُ عليه، لا لغرضٍ يعودُ عليه تعالى.

قوله: (والخطبة) أي: على المنابر، وخطبةِ النِّكاح.

قوله: (وغيرها) أي: كيوم الفطر والأضحى، ويوم عرَفة، وأيام التَّشريق، وعندَ الجِمَارِ، وعلى الصفا والمروةِ، ومَشارقِ الأرض ومغاربِها، ولو أنَّ رجلاً عَبَدَ الله تعالى وصدَّق بالجنَّةِ والنَّارِ وكلِّ شيءٍ، ولم يشهد أنَّ محمداً رسولُ الله.. لم يَنتفع بشيءٍ، وكان كافراً.

قوله: (﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾) «مع» بمعنى (بعد)، وعبَّر بها؛ إشارةً إلى أنَّ اليسرَ يجيءُ عقب العسرِ بسرعةٍ، كأنَّه مقارِنٌ له؛ زيادةً في التسليةِ وتقويةِ القلوب.

---

(١) انظر (١/٥٤٦).

(٢) كما في قَصيدته المشهورة «الهمزية». انظر «المِنَح المكية» (ص١٠٤).

يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ . . . .

الشِّدَّة ﴿يُسْرًا﴾: سُهُولةً، ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾، والنَّبيُّ ﷺ قاسَى مِن الكُفَّار شِدَّةً ثُمَّ حَصَل لَه اليُسرُ بِنَصرِه علَيهِم.

(﴿٧﴾ - ﴿٨﴾) ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ مِن الصَّلاةِ ﴿فَٱنصَبْ﴾: اتعَبْ في الدُّعاء، . . . .

حاشية الصاوي

و(أل) في (العسر) الأوَّل: للجنس، وفي الثاني: لِلعهد الذكري؛ ولذلك وردَ في الحديث لما نزلت هذه الآية، قال عليه الصلاة والسلام: «**أبشِروا؛ قد جاءكم اليسرُ، لن يَغلب عسرٌ يُسرَين**»[1]، وورد: «**لو كان العسرُ في جحرٍ. . لطلبه اليسر حتَّى يدخل عليه؛ إنَّه لن يغلب عسرٌ يُسرَين**»[2].

قوله: (الشدَّةِ) أي: المشاقّ التي تحصل للشَّخص في الدنيا أو الآخرة، وقوله: (سهولة) أي: تحصل في الدنيا أو الآخرة. والتنكير في ﴿يُسْرًا﴾ للتَّفخيم والتعظيم.

قوله: (﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾) جرَت عادة العرب أنَّها إذا ذكرت اسماً مُعرفاً ثمَّ أعادته. . كان الثاني هو الأوَّل؛ وإذا ذكرت اسماً نكرةً ثمَّ أعادته. . كان الثاني غيرَ الأوَّل، فجاء القرآن على أُسلوبهم؛ ففيه إشارةٌ إلى أنَّ اليسر غالبٌ على العسرِ، ووجهُ ذلك: أنَّ العسر الذي يُصيب المؤمن في الدنيا لا بدَّ له من يسرٍ في الدنيا، ويُسرٍ في الآخرة؛ فيُسرُ الدنيا ما ذكره في الآية الأولى، ويسرُ الآخرة ما ذكره في الآية الثانية، ومعلوم: أنَّ يُسرَ الآخرة دائمٌ أبداً غير زائل، فنفيُ غلبةِ العسرِ لليسرين إنَّما هو بالنسبة لِيُسر الدنيا، وأمَّا الآخرة. . فليس لِلمؤمن إلا اليسر، فتدبَّر، قال بعض الشعراء في هذا المعنى[3]: [الوافر]

فلا تَيأسْ إذا أعسَرْتَ يوماً ... فقد أيسَرْتَ في دَهرٍ طويلِ

فلا تَظْنُنْ بربِّكَ ظنَّ سوءٍ ... فإنَّ اللهَ أولى بالجميلِ

فإنَّ العسرَ يَتبعُهُ يسارٌ ... وقولُ اللهِ أصدقُ كلِّ قيلِ

قوله: (﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من الصلاة. . إلخ) ما ذكره المفسِّر أحدُ أقوالٍ، وقيل: إذا فرغتَ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩٥)، وأورده البخاري تعليقاً في كتاب التفسير، باب: سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾.

(٢) رواه البيهقي في «شُعَب الإيمان» (٩٥٣٩)، والطبراني في «المعجَم الكبير» (٩٩٧٧) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) نُسبت الأبيات لسيدنا علي رضي الله عنه؛ كما في «ديوانه» (ص١١٤).

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾: تضرَّع.

حاشية الصاوي

من دنياك.. فصلِّ، وقيل: إذا فرَغتَ من الفرائض.. فانصَب في قيام الليل، وقيل: إذا فرغتَ من التشهد.. فادعُ لدنياك وآخرتِك، وقيل: إذا فرغتَ من تبليغ الرسالة.. فانصب: استَغفر لذنبك وللمؤمنين، والحملُ على العموم أولى، قال عمر بن الخطاب: (إنِّي أكره أن أرى أحدَكم فارغاً؛ لا في عمل الدنيا، ولا في عمل الآخرة)(١)، وفي الحديث: «إنَّ الله يكره العبدَ البطَّالَ»(٢).

قوله: (﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾) أي: اجعل رغبتَك إلى ربِّك الذي أحسَنَ إليك بفضائل النِّعم في جميعِ أحوالِك، لا إلى أحدٍ سواه، فالمطلوب من الشخص أن يُرَى ساعياً في حسَنةٍ لمعادِهِ، أو درهمٍ لمعاشِهِ، ويكون أكبَر همِّه الآخرة.

فائدة: ذكر بعض الصالحين خواصَّ لهذه السورة:

منها: أنَّ مَنْ كتبَها في إناءٍ من الزجاج، ومَحاها بماءِ وردٍ، وشربَها.. يزول عنه الهمُّ والحزن وضيقُ الصدر.

وتُكتب في مطلق إناءٍ وتمحى بماءٍ وتشربُ؛ لِلحفظ والفهم.

ومَنْ لازمها عَقب الصلوات الخمسِ عشرَ مرَّاتٍ.. حصل له التيسير في الرزق، والتوفيق في العبادة.

ولِقضاء ما أهمَّ العبدَ: يُصلي ركعتين، ويجلس مستقبلاً على طهارة، ويقرؤها عدَّة حروفِها؛ مئة وثلاثةً، ثمَّ يدعو بما أهمَّه.. يُستجاب له إن شاء الله تعالى، وهو مجرَّبٌ صحيحٌ.

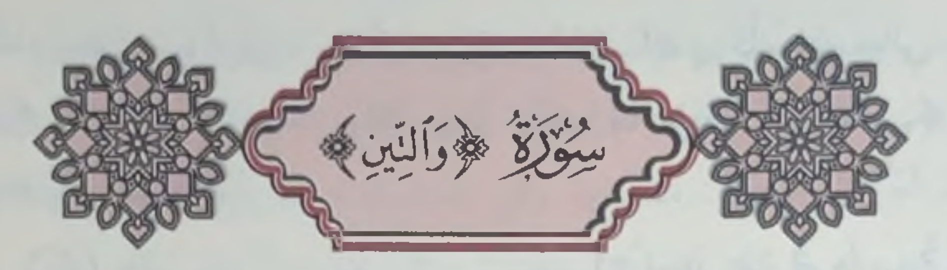


---

(١) رواه أبو داوود في «الزهد» (١٧٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٣٠)، والطبراني في «المُعجم الكبير» (٨٥٣٩) من حديث سيدنا عبد الله بن مَسعود رضي الله عنه.

(٢) قال الزركشي في «الأحاديث المشتَهرة» (ص١٣٤): (لم أجِده، ولكن روى ابن عُدي: «إنَّ الله يُحبُّ المُؤمنَ المحترف» من جِهَة أبي الرَّبيع السمان أشعَث بن سعيد عن عاصم بن عُبيد الله عن سالم عن أبيه مرفوعاً).

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ①﴾ ....



مَكيَّة أو مدنيَّة، ثمان آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(① - ③) ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ أي: المَأكُولَين، ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ التِّين

(مكيَّة) أي: في قول الجمهور، وقوله: (أو مدنيَّة) أي: في قول ابن عبَّاس وقتادة[١].

قوله: (﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ . . . إلخ) أقسَم سبحانه وتعالى بأقسامٍ أربعةٍ على مُقسَم واحدٍ؛ تعظيماً للمقسَم به، وغرابةِ المقسَم عليه.

قوله: (أي: المأكولَين) هو قول ابن عبَّاس[٢]، وخصَّ التين؛ لأنَّه فاكهةٌ وغذاءٌ، ويُشبه فواكه الجنَّة؛ لكونه بلا عَجمٍ، ومن خواصِّهِ: أنَّه طعامٌ لطيفٌ سريعُ الانهضام، لا يمكث في المعدة، يخرج رشحاً، ويُلين الطبع، ويُقلِّل البلغم، ويُطهِّر الكليتَين، ويُزيل ما في المثانة من الرَّمل - وهو مرضٌ يستولي على مقرِّ البول، فيحجز الماء عن الخروج بأجزاء دقيقة كالرمل، يَعسر معها البول، ويتأذَّى به الإنسان، فإذا زاد. . صار حَصاةً - ويفتحُ سددَ الكبد والطحال، ويُسمن البدن، ويقطع البواسير، ويُطوِّل الشَّعر، وهو أمان من الفالج، ومن أكلها مَناماً. . نالَ مالاً، ورزقه الله أولاداً، وقد تستَّر آدم بورق التين حين خرج من الجنَّةِ.

وأمَّا الزيتون. . فهو من شجرةٍ مباركةٍ، فيه إدام ودهن، يؤكل ويُستصبح به، وشجرته في أغلب

(١) انظر «تفسير القرطبي» (٢٠/ ١١٠).

(٢) انظر المصدر السابق.

وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ....

أو جَبَلَينِ بِالشَّامِ يُنبِتانِ المَأكُولَين، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: الجَبَلِ الذي كَلَّم الله تَعالى علَيهِ مُوسى، ومَعنى ﴿سِينِينَ﴾ المُبارَك أو الحَسَن بِالأشجارِ المُثمِرةِ، ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾: مكَّةَ لِأَمنِ النَّاس فِيها جاهِلِيَّةً وإسلاماً.

(﴿٤﴾ - ﴿٦﴾) ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾: الجِنسَ ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: تَعديلٍ لِصُورَتِه، ....

حاشية الصاوي

البلاد، ولا يحتاج إلى خدمةٍ وتربيةٍ، ويثبت في الأرض ألوفاً من السنين، ومَن رأى ورق الزيتون في المنام.. استمسك بالعُروة الوثقى.

قوله: (أو: جبلَين بالشام) ما ذكره المفسِّر قولان من أقوالٍ كثيرةٍ في المراد بـ(التين والزيتون)، ومنها: أنَّ التين: مسجد نوح عليه السلام الذي بُني على الجودي، والزيتون: مسجد بيت المقدس، ومنها: أنَّ التين: المسجد الحرام، والزيتون: المسجد الأقصى، ومنها: أنَّ التين: مسجد دمشق، والزيتون: مسجد بيت المقدس، ومنها غير ذلك.

قوله: (الجبل الذي كلَّم الله عليه مُوسى) أي: وهو جبلٌ عظيمٌ، فيه عيون وأشجار.

إن قلت: كيف ذلك مع قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] المقتضي أنَّه دُكَّ ولم يَبْقَ له أثرٌ؟

أجيب: بأنَّه متَّسعٌ، والذي دُكَّ قطعةٌ منه[(١)].

قوله: (ومعنى «سِينين»: المبارك) أي: فهو من إضافة الموصوف لصفتِهِ. و(سينين) يجوز أن يُعرَب بالحركات الثلاث على النون مع لُزومه الياء في أحواله كلِّها، ويكون ممنوعاً من الصرف لِلعَلمية والعجمة؛ لأنَّه عَلَمٌ على البقعة أو الأرض، وأن يُعْرَبَ كجمع المذكر السالم؛ بالواو رفعاً، وبالياء نصباً وجرًّا.

قوله: (لأمنِ النَّاس فيها) أي: فلا يُنفَّرُ صيدُها، ولا يُقْطَعُ شجرُها.

قوله: (الجنس) أي: الماهيَّة من حيثُ هي الشاملةُ للمؤمن والكافر.

قوله: (﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾) أي: في أعدل قامةٍ، وأحسَن صورةٍ، يتناول مأكوله بِيَده، مزيَّناً بالعلم والفهم، والعقل والتَّمييز، والنُّطق والأدب.

---

(١) في (ط٢): زيادة: (وتخصيصه: لكونه مباركاً، تشرَّف بتكليم موسى ربَّه عليه)، وقد شطب عليها في (أ).

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ ....

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ﴾ في بعضِ أفرادِه ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ كِنايةٌ عن الهَرَم والضَّعفِ، فيَنقُص عَمَلُ المُؤمِن عن زمَنِ الشَّباب ويَكُون لَه أجرُه؛ لِقَولِه تعالى: ﴿إِلَّا﴾ أي: لَكِن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: مَقطُوع، وفي الحَديث: «**إذا بَلَغ المُؤمِنُ مِن الكِبَر ما يُعجِزُه عن العَمَل، كُتِب لَه ما كان يَعمَلُ**».

حاشية الصاوي

قوله: (في بعض أفراده) أشار بذلك إلى أنَّ في الآية استخداماً؛ حيث ذكر الإنسان أوَّلاً بمعنًى وهو الجنس، ثمَّ أعاد الضميرَ عليه بمعنًى آخر وهو الإنسان بمعنى: بعض أفراده.

قوله: (﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾) السَّافلُون هم: الصِّغار، والزَّمنى، والأطفال؛ فالشَّيخ الكبير أسفل من هؤلاء؛ لأنَّه لا يستطيع حيلةً، ولا يهتدي سبيلاً؛ لضعفِ بدنِهِ وسمعِهِ وبصرِهِ وعقلِهِ، وثقلِهِ على أهلِهِ وجيرانِهِ.

قوله: (كِناية عن الهرَم والضعف) أي: فالمعنى: ثمَّ جعلناه ضعيفاً هرماً، فهو بمعنى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [النحل: ٧٠]، ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ [يس: ٦٨]، وما ذكره المفسِّر أحدُ قولين في المراد بالردِّ إلى أسفل سافلين، والآخر: أنَّ المراد: ردَدناه إلى النَّار؛ لأنَّها دركاتٌ بعضُها أسفلُ من بعض.

قوله: (﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾... إلخ) مشى المفسِّر على أنَّ الاستثناء مُنقطع، وحينئذٍ: فيكون المعنى: ثمَّ ردَدناه أسفل سافلين، فزال عقله، وانقطع عملُه؛ فلا يكتب له حسنة، لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازمُوا عليها إلى أيَّام الشيخوخة والهرم والضعف.. فإنَّه يُكْتَبُ لهم بعد الهرمِ والخرفِ مثلُ الذي كانوا يَعملونه في حال الشباب والصحة، وأمَّا على القول الآخر.. فالاستثناء متَّصلٌ، ويكون المعنى: ردَدناه أسفل ممَّن سفل خلقاً وتركيباً، حسًّا ومعنًى، وهم أهل النَّار إلَّا الذين آمنوا، فيكون بمعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر: ٢-٣].

قوله: (غير مُقطوع) أي: أو لا يُمَنُّ به عليهم.

قوله: (مِن الكبر ما يعجز) (مِن): تعليليَّة، و(ما): مفعولٌ به واقعةٌ على زمان، والمعنى: إذا بلغ المؤمن بسبب الكبر زماناً يعجز فيه عن العمل، وفي بعض النُّسَخ: (ما يعجزه)، وحينئذٍ: فيكون (من الكبر) بيان[1] لـ(ما) مقدَّماً عليه، والمعنى: إذا بلغ المؤمن كبراً يُعجزه عن العمل.

---

(١) كذا في الأصول، وسِياقُ العبارة يقتضي النصب خبراً لـ(يكون).

فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾

(﴿٧﴾ - ﴿٨﴾) ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أيُّها الكافِر ﴿بَعْدُ﴾: بعدَ ما ذُكِر مِن خَلقِ الإنسانِ في أحسَنِ صُورةٍ، ثُمَّ رَدِّهِ إلى أرذَلِ العُمُر الدَّالِّ على القُدرةِ على البَعث ﴿بِٱلدِّينِ﴾: بِالجَزاء المَسبُوق بِالبَعث والحِساب؟ أي: ما يَجعَلُك مُكذِّباً بِذلك ولا جاعِلَ لَه؟ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾؟ أي: هو أقضَى القاضِينَ وحُكمُه بِالجَزاءِ مِن ذلك، وفي الحَدِيث: «**مَن قَرأَ ﴿وَٱلتِّينِ﴾ إلى آخِرها فليَقُل: بَلى، وأنا على ذلك مِن الشاهِدِين**».

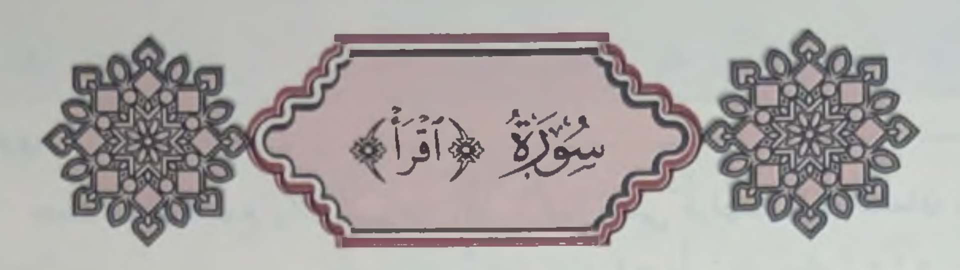
حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾) الاستفهام إنكاريٌّ، والخطاب للإنسان الكافر بطريق الالتفات، والمعنى: فما الذي يَحملك أيُّها الإنسان على التكذيب بالبعث؛ أي: أيُّ سببٍ يَحملُكَ على التَّكذيب؛ ففي الكلام تعجُّبٌ وتعجيبٌ، وذلك أنَّه تعالى لما قرَّر أنَّه خلق الإنسان في أحسَن تقويم، ثمَّ ردَّه إلى أرذل العمر.. دلَّ على كمال قُدرته على الإنشاء والإعادة، فسأل بعد ذلك عن تكذيب الإنسان بالجزاء؛ لأنَّ ما يتعجَّب منه يخفى سببه، وهذا ما مشى عليه المفسِّر.

وقيل: إنَّ (ما) بمعنى (مَنْ)، والخطاب له ﷺ، والمعنى: فمَنْ يكذِّبك أيُّها الرسولُ الصَّادقُ المصدَّقُ بما جئتَ به من الحَق بعدَ ظهورِ الدَّلائل القطعيَّةِ على تصديقِك؟

قوله: (وحكمه بالجزاء) مبتدأ، وقوله: (من ذلك) أي: من جملة قضائه، خبرُهُ.

✿ ✿ ✿



مَكيَّة، تِسعَ عشرةَ آية. صَدرُها إلى ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ أوّلُ ما نَزل مِن القُرآن، وذلك

حاشية الصاوي

سُورَةُ ﴿اقْرَأْ﴾

وفي نُسخة: (سورة العلق)، وفي أخرى: (سورة القلم)؛ فأسماؤها ثلاثةٌ.

قوله: (أوّل ما نزل من القرآن) أي: ثمَّ بعده ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾، ثمَّ (المزمل)، ثمَّ (المدثر)، هكذا قال الخازن[1]، ولكن المشهور عن غيره: أنَّ أوَّل ما نزل بعد (اقرأ) سورة (المدثر)[2].

واختلف السَّلف في ترتيب سُوَر القرآن، والصَّحيح: أنَّ اختلافهم كان قبل عَرض القرآن على جبريل في المرَّة الأخيرة، ومِنْ يوم العرض المذكور رتَّب رسولُ الله ﷺ القرآن على ما هو عليه الآنَ. عن ابن وهب قال: (سمعتُ مالكاً يقول: إنَّما أُلِّف القرآن على ما كانوا يَسمعونه من رسول الله ﷺ)[3]، وذكر أبو بكر بن الأنباري في كتاب «الرد»[4]: (أنَّ الله تعالى أنزل القرآن جملةً إلى سماء الدنيا، ثمَّ فرَّقه على النبي ﷺ في عشرين سنةً، وكانت السورة تَنزل في أمرٍ يحدث، والآيةُ تنزل جواباً لمستخبِرٍ يسأل، ويُوقِفُ جبريلُ النبيَّ ﷺ على موضع السُّورة والآيةِ، فانتظامُ السُّورِ كانتظامِ الآياتِ والحروفِ، فكلُّهُ عن رسول الله خاتمِ النبيِّين عن ربِّ العالمين؛ فمن أخَّر سورة مقدَّمة، أو قدَّم أخرى مُؤخَّرة.. كمَنْ أفسدَ نظمَ الآيات، وغيَّرَ الحروف والكلمات، ولا حُجَّةَ على أهل الحقِّ في تقديم «البقرة» على «الأنعام» و«الأنعام» نزلت قبل «البقرة»؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ أخذ عنه هذا الترتيب، وهو كان يقول: «ضَعُوا هذه السورة موضعَ كذا وكذا من القرآن»، وكان جبريل عليه السلام يُوقِفه على مكان الآيات). انتهى[5].

(١) «تفسير الخازن» (٤/ ٣٦٢).

(٢) انظر في أول (المدثر).

(٣) أورده القرطبي في «تفسيره» (١/ ٦٠)، وابنُ كثير في «فضائل القرآن» (ص١٤٤).

(٤) المسمَّى: (الرد على مَن خالَف مصحف عثمان).

(٥) انظر النَّقل عن ابن الأنباري في «تفسير القرطبي» (١/ ٦٠).

بِغارِ حِراء. رواه البخاريُّ.

حاشية الصاوي

إن قلتَ: حيثُ كان الجمع والترتيب من الله.. فما معنى قولهم: (إنَّ عثمان بن عفان جامع القرآن)؟

فالجواب: أنَّ النبي ﷺ نُقِلَ عنه القرآن وترتيبُهُ حفظاً لا وضعاً في المصاحف، وعثمانُ جمعَه في المصحف على طِبق الحفظ المرويِّ عن رسول الله؛ فإنَّ المحفوظ كان مُفرَّقاً في صدور الرجال، وفي صُحُف غير كاملةٍ، فليُفهم هذا المقام.

قوله: (**رواه البخاري**) أي: وعبارته: عن عائشة أمِّ المؤمنين أنَّها قالت: (أوَّل ما بدئ رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، وكان لا يرَى رؤيَا إلَّا كانت مثل فلق الصبح، ثمَّ حبِّب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء، ويَتحنَّث فيه الليالي ذواتِ العدد، ثمَّ يرجع إلى خديجة ويتزوَّد لمثلِها، حتَّى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: «اقرأ»، قال: «**ما أنا بقارئ، فأخذني فغطَّني حتَّى بلغ منِّي الجهدَ، ثمَّ أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطَّني الثانية حتَّى بلغ مني الجهد، ثمَّ أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطَّني الثالثةَ حتَّى بلغَ منِّي الجهدَ، ثمَّ أرسلني قال**: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ حتَّى بلغ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾»، فرجع بها رسول الله ﷺ يَرجف بها فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: «**زمِّلوني زمِّلوني**»، فزمَّلوه حتَّى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «**لقد خشيتُ على نفسي**»، فقالت له خديجة: كلَّا أبشِر، فوالله لا يُخزيك الله أبداً؛ إنَّك لتصلُ الرَّحمَ، وتصدقُ الحديثَ، وتَحمِلُ الكَلَّ، وتكْسِبُ المعدومَ، وتَقْرِي الضَّيفَ، وتُعِينُ على نوائب الحقِّ، فانطلقت به خديجة حتَّى أتَت ورقةَ بن نوفل بن أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيٍّ، وهو ابن عمِّ خديجة، وكان ممَّن تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبرانيَّ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يَكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عَمي، فقالت له خديجة: يا ابن عمٍّ؛ اسمَع من ابن أخيك، فقال: يا ابن أخي؛ ما ترى؟ فأخبَره رسول الله ﷺ خبرَ ما رأى، فقال ورقة: هذا النَّاموس الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حيًّا إذ يُخرجك قومُك، فقال له رسول الله ﷺ: «أوَمُخرجيَّ هم؟» قال: نعم، لم يأتِ رجلٌ قطُّ بمثل ما جئتَ به.. إلَّا عُودي، وإن يدركني يومُكَ حيًّا.. أنصُرْكَ نصراً مؤزَّراً، ثمَّ لم يلبَث ورقةُ أن توفِّي، وفتَرَ الوحيُ فترةً حتَّى حزن النبي ﷺ فيما بلَغنا حزناً غدَا منه مِراراً إلى أن يتردَّى من رؤوس شواهق الجبال، فلمَّا أوفى بذروة جبلٍ؛ لكي يُلقي

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ....

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿ٱقْرَأْ﴾: أوجِد القِراءةَ مُبتَدِئاً ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ الخَلائقَ، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: الجِنس ....

حاشية الصاوي

نفسَهُ منه.. تبدَّى له جبريل، فقال: يا محمَّد؛ إنَّك رسول الله حقًّا، فيسكن لذلك جأشه، وتقرُّ عينُهُ، فيرجع، فإذا طالت عليه فترةُ الوحي.. غدا لِمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة الجبل لِيُلقي نفسَهُ منه.. تبدَّى له جبريل فقال له مثل ذلك)[1].

قوله: (مبتدئاً ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾) أي: قُل: باسم الله، ثمَّ اقرأ ما يوحى إليك، فالباء: متعلِّقة بمحذوف حال، ومفعول (اقرأ) محذوفٌ، وقيل: إنَّ الباء مزيدة، والتقدير: (اقرأ اسمَ ربِّك)، وعبَّر بـ(الرَّب)؛ تَلطُّفاً به ﷺ، وإشارةً إلى أنَّه تعالى كما ربَّى جسمَهُ يُربِّي أُمَّته وقرآنه، قال البوصيريُّ في هذا المعنى[2]: [الخفيف]

سُوَرٌ مِنهُ أَشْبَهَتْ صُوَراً مِنَّا، وَمِثْلُ النَّظائرِ النُّظَراءُ

وإضافة (رب) إلى كاف الخطاب: للتَّشريف.

قوله: (﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾) يجوز أن يكون الثاني توكيداً لفظيًّا نظيرَ: (قامَ قامَ زيدٌ)، ويجوز أن يكون تفسيراً للأوَّل، أبهمه ثمَّ فسَّره؛ تفخيماً لخلق الإنسان، ويجوز أن يكون حذف المفعول من الأوَّل، تقديره: (خلق الخلائق) كما قال المفسِّر، وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ تخصيصٌ له بالذِّكر؛ لشرفِهِ.

قوله: (الجنس) أي: الصَّادق بالذَّكر والأنثى.

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٩٨٢)، والسَّبب في إقدامه ﷺ على إلقاءِ نَفسه كما في «إرشاد الساري» (١٠/ ١٢٢): (الإشفاق أن تكون الفَترة لأمرٍ أو سببٍ منه، فتكون عُقوبة من ربِّه، ففَعل ذلك بنفسه، ولم يَرِد شرعٌ بالنهي عن ذلك فيُعترض به، أو الحزن على ما فاته من الأمر الذي بَشَّره به ورقة، ولم يكن خُوطب عن الله: إنَّك رسول الله).

(٢) كما في قَصيدته المشهورة «الهمزية»، قال العلامة ابن حجر الهيتمي: (أي: ومثلُ تلك السور التي هي نظائر الأماثل والأفاضل الذين يَتناظرون في التَّحلي بالفضائل، والتَّخلي عن الرذائل). انظر «المنح المكية» (ص٣٩٥).

مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ ....

﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ : جَمع (عَلَقةٍ)، وهي القِطعةُ اليَسِيرة مِن الدَّم الغَلِيظ.

(﴿٣﴾ - ﴿٥﴾) ﴿ٱقْرَأْ﴾ - تَأْكِيد لِلأَوَّلِ - ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ الذِي لا يُوازِيه كَرِيم - حالٌ مِن الضَّمِير في ﴿ٱقْرَأْ﴾ - ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ﴾ الخَطَّ ....

حاشية الصاوي

قوله: (جمع «علَقة») أي: لأنَّ كلَّ واحدٍ مأخوذٌ من عَلقة؛ كما في الآية الأخرى[1]، وأطلق الجمع على (العلق) تسمُّحاً، أو هو جمع لُغويٌّ، وإلَّا.. فـ(عَلَق) اسمُ جنسٍ جمعيٌّ[2].

قوله: (من الدم الغَليظ) أي: الذي أصله المنيُّ، فأوَّل الأطوار المنيُّ، ثمَّ العَلَقة وهو الدَّم الغليظ المتجمِّد، ثمَّ المُضغة... إلى آخر ما ذكر الله تعالى في آية (المؤمنون)[3].

قوله: (تأكيدٌ للأوَّل) هذا أحدُ قولين، والآخر: أنَّه تأسيسٌ؛ فالأوَّل معناه: (اقرأ في نفسك)، والثاني معناه: (اقرأ لِلتَّبليغ وتعليم الأمَّة).

قوله: (الذي لا يُوازيه كريم) أي: لا يُساويه، فضلاً عن أن يزيد عليه؛ لأنَّه تعالى يعطي الشيءَ من غير عوضٍ ولا غرضٍ، وليس ذلك لأحدٍ غيرِه.

قوله: (حال مِن ضمير ﴿ٱقْرَأْ﴾) أي: فالمعنى: اقرأ ما يُوحى إليك والحال أنَّ ربَّك الأكرمُ، لا ينتظر منك عوضاً، ولا يُخزيك، فهو تطمينٌ له ﷺ؛ حيثُ خَشِيَ على نفسه ألَّا يقومَ بما أمره به ربُّه.

قوله: (﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ﴾) «علَّم» ينصب مفعولين، وهما محذوفان هنا، والتقدير: علَّم الإنسانَ الخطَّ بالقلم، والمفسِّر قدَّر الثانيَ، وسكت عن تقدير الأول؛ اتِّكالاً على قوله بعد: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾.

قوله: (الخطَّ) أي: الكتابةَ التي بها تُصرف الأمور الغائبة، وفيه تنبيهٌ على فضل الكتابة؛ لما فيها من المنافع العظيمة؛ لأنَّ بها ضُبِطَتِ العلومُ، ودُوِّنَتِ الحِكَمُ، وعُرِفَ أخبارُ الماضينَ وأحوالُهم

---

(١) كما في قوله تعالى في سورة (الحج: ٥): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾.

(٢) أي: وهو يُفرَّق بينه وبين واحده بالتاء؛ كـ: (نَمل ونَملة)، و(شجَر وشَجَرة).

(٣) وهي قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾.

﴿بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ ....

﴿بِالْقَلَمِ﴾ وأوَّلُ مَن خَطَّ بِهِ إدرِيس علَيهِ السَّلام، ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ﴾: الجِنس ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ قَبل تَعلِيمِه مِن الهُدَى والكِتابةِ والصِّناعة وغَيرِها.

حاشية الصاوي

وسِيَرُهم ومقالاتُهم، ولولا الكتابةُ.. ما استقام أمرُ الدِّين ولا الدُّنيا، ولو لم يكن على دقيقِ حكمةِ اللهِ تعالى ولطيفِ تدبيرِهِ دليلٌ إلَّا القلمَ والخطَّ.. لكفى فيه.

قوله: (﴿بِالْقَلَمِ﴾) قال القرطبي: (الأقلام ثلاثةٌ في الأصل: القلمُ الأوَّلُ الذي خلق اللهُ تعالى بيدِهِ، وأمرَه أن يكتب في اللَّوح المحفوظ، والثَّاني: قلَم الملائكة الذين يكتبون به المقاديرَ والكوائنَ من اللَّوح المحفوظ، والثالث: أقلام النَّاس يكتبون بها كلامَهم، ويَصِلُون بها إلى مآربهم)[1].

وعن عمر قال: (خلق الله تعالى أربعة أشياء بيَدِهِ، ثمَّ قال تعالى لسائر الحيوان: «كُن»، فكان، وهي: القلم، والعرش، وجنَّة عدن، وآدم عليه السلام)[2].

قوله: (إدريس) وقيل: آدم.

قوله: (الجنس) هذا أحد أقوال، وقيل: المراد به: آدم، ومَصدوق (ما) الأسماءُ كلُّها، فهو نظير: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، وقيل: هو محمَّد ﷺ.

قوله: (قبل تعليمه) متعلِّق بالنفي، والمعنى: علَّمه الشيء الذي انتفى علمُهُ به قبل أن يعلِّمَهُ.

قوله: (مِن الهدى) بيانٌ لـ(ما)، والمراد به: الرُّشد والصَّواب في القول والفعل.

قوله: (حقًّا) هذا مَذهب الكسائي ومَنْ تبعه، وعليه: فـ(كلَّا) مرتبطةٌ بما بعدَها؛ لأنَّه ليس قبلَها شيءٌ يقتضي الزَّجر والرَّدع حتَّى تكون (كلَّا) ردًّا له، وقال أبو حيان وصوَّبه ابن هشام: (إنَّها بمعنى «ألَا» الاستفتاحيَّةِ؛ لوجود كسر همزة «إنَّ» بعدَها، ولو كانت بمعنى «حقًّا».. لَما كُسِرَتْ «إنَّ» بعدَها؛ لكونها واقعةً موقع مفردٍ)[3]، فتحصَّل: أنَّ كونها بمعنى (حقًّا) صحيحٌ من جهة المعنى، إلَّا أنَّه يُبْعِدُهُ كسرُ (إنَّ)، فكان المناسب لِلمُفسِّر أن يجعلها بمعنى (ألَا) الاستفتاحيَّة.

---

(١) «تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٢١).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرَك» (٢/ ٣٢٠) من حديث سيِّدنا ابن عمر رضي الله عنهما. وهذا إنما هو على جِهة التشريف للأربعة والتنبيه منها، وإلَّا.. فإذا حُقق النَّظر فكل مَخلوق فهو بالقُدرة التي بها يَقع الإيجاد بعد العَدم).

(٣) «مغني اللبيب» (ص٢٥٠)، ونقَل ابن هشام هذا القول عن أبي حاتمٍ وصوَّبه، وأما أبو حيان.. فقال في «البحر المحيط» (١٠/ ٥٠٨): (كلَّا: رَدع لِمن كفر بنعمة الله عليه بطُغيانه، وإن لم يتقدم ذكره لدلالة الكلام عليه).

كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ....

(﴿٦﴾ - ﴿٨﴾) ﴿كَلَّآ﴾: حقّاً ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ﴾ أي: نفسه ﴿ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ بِالمالِ، نَزَل في أبي جَهلٍ ـ و(رأى) عِلميَّة، و﴿ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ مَفعُول ثانٍ، و﴿أَن رَّءَاهُ﴾ مَفعول لَه ـ ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يا إنسانُ ﴿ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾: الرُّجُوع، تَخوِيف لَهُ، فيُجازِي الطَّاغِيَ بِما يَستَحِقُّه.

(﴿٩﴾ - ﴿١٤﴾) ﴿أَرَءَيْتَ﴾ ـ في مَواضِعِها الثَّلاثة لِلتَّعجُّبِ ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: نفسه) أشار بذلك إلى أنَّ في (رأى) ضميراً عائداً على (الإنسان) هو فاعل الرؤية، والضَّمير البارز عائدٌ عليه أيضاً مفعوله، و(رأى) هنا قلبيَّة يجوز اتحاد الضَّميرين متَّصلين فيها، فتقول: (رأيتُني) و(ظننتُني)، وقوله: ﴿ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ مفعولٌ ثانٍ، والمعنى: أنَّ الإنسان ليتحقَّق بالطُّغيان والكفر من أجل رؤيتِهِ نفسَهُ مُستغنياً عن الله تعالى.

قوله: (نزل في أبي جهل) أي: والعبرة بعُموم اللفظ، لا بخصوص السبب؛ فكلُّ مَنِ اعتقد أنَّه غنيٌّ عن ربِّه طرفةَ عينٍ.. فقد تحقَّقَ بالطُّغيان والكفرِ؛ لأنَّ كلَّ مخلوقٍ مُفتقرٌ لخالقِهِ في حركاتِهِ وسكناتِهِ.

قوله: (مفعول له) أي: لأجله.

قوله: (يا إنسان) أشار بذلك إلى أنَّ الضمير في: ﴿رَبِّكَ﴾ عائدٌ على الإنسان المتقدِّم ذكرُهُ؛ ففيه التِفاتٌ من الغيبة للخطاب؛ تهديداً له وتحذيراً من عاقبة الطغيان، كأنَّه قال: لا تغترَّ باستِغنائك؛ فإنَّ مَرجعك إلى خالقك، فكما أغناك.. فهو قادرٌ على إفقارك، فلا تعتقد أنَّك غنيٌّ حقيقةً؛ فلو أعطي العبد الدنيا ومثلَها معَها.. فهو فقيرٌ إلى ربِّه في كلِّ طرفةِ عينٍ.

قوله: (أي: الرجوع) أي: مِن الغنى للفقر، ومن العزِّ للذلِّ، ومن القوَّة للعجز، ومن الحياة لِلمَمات؛ فلا مَفرَّ من الله.

قوله: (للتعجب) أي: التعجيب، وهو إيقاعُ المخاطَبِ في العجب، والخطابُ؛ قيل: للنبي ﷺ، وقيل: لكلِّ مَنْ يتأتَّى منه الخطاب.

واعلم: أنَّ (أرأيت) هنا بمعنى (أخبرني)، فتتعدَّى إلى مفعولَين، ثانيهما جملةٌ استفهاميَّةٌ، وقد ذكرت ثلاث مرَّات، صرَّح بعد الثالثة بجملةٍ استفهاميَّةٍ، فهي في مَوضع المفعول الثاني لتلك الثالثة، ومفعولُها الأوَّل محذوفٌ، وهو ضمير يعود على ﴿ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا﴾، وذكر مفعول الأولى الأوَّل، وهو الاسم الموصول، ومفعولُها الثاني محذوفٌ، وهو جملة استفهامية كالواقعة بعد الثالثة،

﴿ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾ ....

﴿ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ هو أبُو جَهلٍ ﴿عَبْدًا﴾ هو النَّبيُّ ﷺ ﴿إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ﴾ المَنهِيُّ ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ﴾ - لِلتَّقسِيم - ﴿أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾ أي: النَّاهِي النَّبيَّ ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ عن الإيمانِ، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ ما صَدَر مِنهُ؟ أي: يَعلَمهُ فيُجازِيه علَيهِ، أي: اعجَب مِنهُ يا مُخاطَب مِن حيثُ نَهيُه عن الصَّلاةِ، ومِن حيثُ إنَّ المَنهِيَّ على الهُدَى آمِرٌ بِالتَّقوَى، ومِن حيثُ إنَّ النَّاهِيَ مُكذِّبٌ مُتوَلٍّ عن الإيمانِ.

حاشية الصاوي

حُذِفَ؛ لدلالة المذكور عليه، وأمَّا الثانية.. فمَفعولاها محذوفان؛ لدلالة المفعول الأوَّل من الأُولى، والمفعول الثاني من الثالثة عليه، فتحصَّل: أنَّه حُذِفَ المفعولُ الثاني من الأولى، والمفعولان من الثانية، والأوَّلُ من الثالثة؛ لدلالة المذكور، وليس من باب التنازع؛ لأنَّه يقتضي إضماراً، والجُمَلُ لا تُضْمَرُ، وإنَّما الإضمار في المفردات، وجواب الشَّرط الواقعِ في حيِّز الثانية والثالثة محذوفٌ، دلَّ عليه الجملة الاستفهاميَّة[1].

قوله: (هو أبو جهل) وذلك أنَّه قال: هل يُعفِّر محمَّد وجهَهُ بين أظهُركم؟ فقيل: نعم، وقال. واللات والعزَّى؛ لَئن رأيتُه يفعل ذلك.. لأطأنَّ على رقبتِهِ، ولأُعفِّرَنَّ وجهَهُ في التراب، قال: فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يصلِّي؛ لِيَطأ على رقبتِهِ، قال: فما فَجِئَهم منه إلَّا وهو ينكص على عقبَيه، ويتَّقي بيديه، فقيل له: ما لك؟ قال: إنَّ بيني وبينه خندقاً من نار، وهولاً، وأجنحةً، فقال النبي ﷺ: «لو دنا منِّي.. لاختَطفته الملائكة عضواً عضواً»[2].

قوله: (﴿عَبْدًا﴾) لم يقُل: (ينهاك)؛ تفخيماً لشأنِهِ، وتعظيماً لقدرِهِ.

قوله: (للتقسيم) المناسِب أن يقول: (بمعنى الواو).

قوله: (﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾) أي: دام على التَّكذيب والتَّولي.

قوله: (أي: يَعلمه) تفسيرٌ لـ(يرى).

---

(١) والتقدير في الثانية: إنْ كان على الهدى أو أمرَ بالتقوى.. ألم يعلَمْ ذلك النَّاهي بأنَّ اللهَ يرى؟ وتقديره في الثالثة: إن كذب وتولَّى.. ألم يَعلم بأنَّ الله يرى؟ «فتوحات» (٤/ ٥٨٧).

(٢) رواه مسلم (٢٧٩٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾﴾ ....

(١٥ - ١٦) ﴿كَلَّا﴾ - رَدع لَهُ - ﴿لَئِن﴾ - لامُ قَسَم - ﴿لَّمْ يَنتَهِ﴾ عمَّا هو علَيهِ مِن الكُفر ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾: لَنَجُرَّنَّ بِناصِيَتِه إلى النَّار، ﴿نَاصِيَةٍ﴾ - بَدل نَكِرة مِن مَعرِفة - ﴿كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ وصَفُها بِذلك مَجاز والمُرادُ صاحِبُها.

(١٧ - ١٨) ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أي: أهلَ نادِيهِ وهو المَجلِس يَنتَدِي - يَتحدَّث - فِيه

حاشية الصاوي

قوله: (ردعٌ له) أي: لأبي جهل.

قوله: (﴿لَنَسْفَعًا﴾) يحتمل أنَّ النون للمتكلِّم المعظِّم نفسَهُ وهو الله تعالى، أو لله وملائكته. والسَّفع: القبضُ على الشيء بشدَّة. والنون في (نسفعاً) نون التوكيد الخفيفة، فيوقف عليها بالألف؛ تشبيهاً لها بالتنوين، وتُكتب ألفاً اتِّباعاً للوقف، وقرئ شذوذاً: (لنسفعنَّ) بالنُّون الثقيلة[١].

قوله: (﴿بِالنَّاصِيَةِ﴾) هي في الأصل: مُقدَّم الرأس، أو شعر المقدَّم، أُطلق وأريد به هنا الشَّخصُ بتمامِهِ.

قوله: (إلى النَّار) وقيل: في الدنيا يوم بدرٍ؛ لِما وردَ: أنَّه جاءه عبد الله بن مسعود، فوجده طريحاً بين الجرحى وبه رَمَقٌ، فخاف أن يكون به قوَّةٌ فيُؤذيه، فوضع الرُّمحَ على منخرَيه مِنْ بعيدٍ، فطعنه ثمَّ لم يَقدر ابن مسعود على الرقي على صدره؛ لِضعفه وقِصَره، فارتقى إليه بحيلةٍ، فلمَّا رآه أبو جهل.. قال: يا رُوَيعِيَ الغنم؛ لقد رَقِيتَ مَرقًى عالياً، فقال ابن مسعود: الإسلام يعلُو ولا يُعلى عليه، ثمَّ قال لابن مسعود: اقطع رأسي بسيفي هذا؛ لأنَّه أحدُّ وأقطعُ، فلمَّا قطَع رأسه به.. لم يَقدر على حمله، فشقَّ أذنَهُ، وجعل فيه خيطاً وجرَّه إلى رسول الله ﷺ وجبريل بين يدَيه يَضحك[٢].

قوله: (﴿كَاذِبَةٍ﴾) أي: في قولها، وقوله: (﴿خَاطِئَةٍ﴾) أي: في فِعلها. والخطأ: ضدُّ الصواب في الدِّين وغيره، والمراد هنا: ارتكاب خلافِ الصواب عن قصدٍ، وبعضُهم يقول: الخاطئ: المرتكبُ خلافَ الصوابِ عن عمدٍ، والمخطئ: المرتكبُ خلافَ الصَّواب لا عن عمدٍ[٣].

قوله: (أي: أهل نادِيه) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف؛ لأنَّ الناديَ هو المجلس

---

(١) والقراءة بالنون الثقيلة مرويَّة عن أبي عمرو. انظر «الدر المصون» (١١/ ٦٠).

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٨٦)، وابن سيد الناسِ في «عُيون الأثر» (١/ ٣٠٤).

(٣) انظر «المصباح المنير»، مادة (خ ط و).

﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾

القَومُ، وكان قال لِلنَّبيِّ ﷺ لَمَّا انتَهَرَه حيثُ نَهاهُ عن الصَّلاة: لَقد عَلِمتَ ما بِها رَجُل أكثر نادِياً مِنِّي، لَأملأَنَّ علَيك هذا الوادِي إن شِئتُ خَيلاً جُرداً ورِجالاً مُرداً، ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾: المَلائكةَ الغِلاظَ الشِّداد لإهلاكِه، في الحَديث: «لَو دَعا نادِيَهُ لَأخَذَتهُ الزَّبانِيةُ عِياناً».

﴿١٩﴾ ﴿كَلَّا﴾ - رَدع لَه - ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ يا مُحمَّد في تَركِ الصَّلاة، ﴿وَاسْجُدْ﴾: صَلِّ للهِ ﴿وَاقْتَرِب﴾ مِنه بِطاعَتِه.

حاشية الصاوي

الذي يَتحدَّث فيه القوم، والمجلس لا يُدْعَى، فاحتيج لتقدير المضاف، والمعنى: فليَدعُ عشيرته؛ لِيَستنصر بهم.

قوله: (لما انتهره) أي: انتهر النبيُّ ﷺ أبا جهل، وقوله: (حيث نهاه) أي: نهى أبو جهل النبيَّ ﷺ.

قوله: (لقد علمت ما بها) أي: بمكة.

قوله: (خيلاً جُرداً) أي: قصيرةَ الشَّعر، وقوله: (مرداً) أي: شباباً.

قوله: (﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾) واحدها: (زِبْنِيَة) بكسر أوَّله، وسكون ثانيه، وكسر ثالثه؛ من: الزَّبْن، وهو: الدَّفع[1].

قوله: (الغلاظَ الشِّدادَ) أي: وهم خزَنة جهنَّم، أرجُلهم في الأرض، ورؤوسهم في السَّماء، سمُّوا زبانيةً؛ لأنَّهم يَزْبِنُونَ الكفَّار؛ أي: يَدفعونهم في جهنَّم.

قوله: (صلِّ) أي: دُم على الصلاة، وعبَّر عنها بالسجود؛ لأنَّه أفضل أركانها؛ لما في الحديث: «أقرَب ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجدٌ»[2].

قوله: (﴿وَاقْتَرِب﴾ منه) أي: من الله، وما مشى عليه المفسِّر من أنَّ المراد بالسجود الصَّلاةُ. هو المشهورُ عند جُمهور الأئمَّة، وقال الشافعي: (المراد بالسجود: سجود التلاوة)[3]؛ لِما ورد

---

(١) أو واحدها: (زبني) على النسب، وأصلها: (زباني)، والتاء مُعوَّضة عن الياء. انظر «تفسير البيضاوي» (٥/ ٣٢٦).

(٢) رواه مسلم (٤٨٢) عن سيدنا أبي هريرة ﷺ.

(٣) «الأم» (٢/ ٢٩٢).

....

حاشية الصاوي

في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة أنَّه قال: (سجدتُ مع رسول الله ﷺ في: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، وفي ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ سجدتَين)[١]، فيُسَنُّ السجود عند الشافعيِّ في هذين الموضعَين[٢].

ومعنى (اقترِبْ): تقرَّب إلى ربِّك بطاعتِهِ، وبالدُّعاء، قال ﷺ: «**أمَّا الركوع.. فعظِّموا فيه الربَّ، وأمَّا السجود.. فاجتهدُوا في الدعاء فيه؛ فقَمِنٌ ـ أي: حقيقٌ ـ أن يُستجاب لكم**»[٣]، وكان ﷺ يكثر في سُجوده البكاء والتضرع[٤].

✿ ✿ ✿

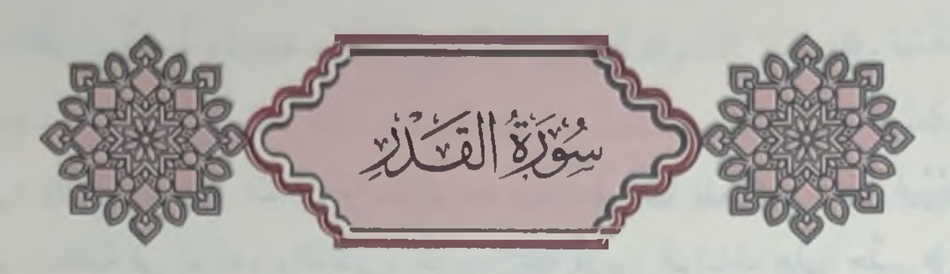
(١) «صحيح مسلم» (٥٧٨/١٠٩).

(٢) وليس في هذَين الموضعين سُجودُ تلاوة عند المالكية؛ كما نَقل المصنف في «حاشيته على الشرح الصغير» (١/ ٤١٨)؛ تقديماً لِلعَمل على الحديث؛ لِدَلالته على نَسخِه.

(٣) رواه مسلم (٤٧٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) حتى قالت عائشة رضي الله عنها: (قد غفَر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؛ فما هذا البكاءُ في السجود؟ وما هذا الجهد الشديد؟)، قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟». رواه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩) بنَحوه، وانظر «السراج المنير» (٤/ ٥٦٤).

﴿إِنَّآ ....



مَكيَّة أو مدنيَّة، خمسُ أو ستُّ آيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿إِنَّآ ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ القَدْرِ

قوله: (أو مدنيَّة) هذا هو الأرجح، وحكى بعضهم: أنَّها أوَّل ما نزل بالمدينة، ولعلَّه تكرَّر نزولُها؛ تنبيهاً على مزيد شرفِ ليلةِ القدرِ.

قوله: (أو ست آيات) أي: بناء على أنَّ قوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ آيةٌ مُستقلَّة[1].

قوله: (﴿إِنَّآ﴾) يؤتى بـ(إنَّ)؛ لتأكيد الحكم، والرَّدِّ على منكرٍ أو شاكٍّ، والمخاطبون فيهم ذلك؛ فقد قالوا: من تِلقاء نفسه، وقالوا: أساطير الأوَّلين، وقالوا: تنزَّلت به الشياطين، فردَّ على جميع ذلك بذكر الإنزال، لا أنه مختلَقٌ، ولا من أساطير الأوَّلين.

إن قلتَ: إنَّ المؤمنين يُصدِّقون خبر المولى بلا تأكيدٍ، والكافرون يُعاندُون ولو تعدَّد التأكيد.

أجيب بجوابين: الأوَّل: بمنع أنَّ الكافرين يعاندُون مع التأكيد؛ فإن عادتهم الانقياد للتأكيدات، فربَّما حصل لهم هدايةٌ بسبب ذلك.

الثاني: على تسليم أنَّهم يُعاندون مع التأكيد؛ فلا نُسلِّم حصر (إنَّ) في التأكيد، بل قد يؤتى بها ترغيباً في تلقِّي الخبر، والتَّنبيهِ بعظيمِ قدرِهِ وشرف حكمِهِ، و(نا): يحتمل أنَّها لِلمتكلِّم المعظِّم نفسَهُ،

---

(١) قال الإمام أبو عمرو الداني في «البيان في عدِّ آيِ القرآن» (ص٢٨١): (وهي ستُّ آيات في المكي والشامي، وخمس في عدَد الباقين، اختلافها آية: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ الثالث؛ عدَّها المكي والشامي، ولم يَعُدَّها الباقون).

أَنزَلْنَٰهُ ....

﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القُرآنَ جُملةً واحِدة مِن اللَّوح المَحفُوظِ ....

حاشية الصاوي

وهو الله تعالى؛ إشعاراً بتعظيم المنزَل والمنزل به، ويحتمل أنَّها لِلمتكلِّم ومعَهُ غيرُهُ؛ فإنَّ الله أنزَله والملائكة لهم مَدخليَّةٌ في إنزاله، والمعنى: إنَّا وملائكةَ قُدسِنا أنزلناه، على حدِّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، والإسناد لله حقيقةٌ إجماعاً، والملائكة؛ قيل: كذلك، وقيل: مجازٌ، وعليه: فلا مانعَ من الجمع بين الحقيقة والمجاز، يقال: (بنى الأميرُ وعمَلتُهُ المدينةَ)، ولا يُعترض بالجمع بين القديم والحادث في ضميرٍ واحدٍ؛ فإنَّه حاصلٌ في ضمير ﴿يُصَلُّونَ﴾، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨] ونحوِهِ، وأمَّا قوله عليه السَّلام للخطيب: «بئس الخطيب» لمَّا قال: (مَن يُطع الله ورسله فقد اهتدى، ومَن يَعصِهما فقد غوى)[1] .. فلأنَّ الخُطَبَ محلُّ إطنابٍ، وقيل: وقف على قوله: (ومَن يعصهما) قبلَ الجواب.

قوله: (﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾) إن قلتَ: الإنزالُ وصف للأجسام، والقرآن عرضٌ لا جسمٌ؛ فكيف يُوصف بالإنزال؟

أجيب بجوابين: الأوَّل: أنَّ الإنزال بمعنى: الإيحاء، وفي الكلام استعارةٌ تبعيَّةٌ؛ حيث شبَّه الإيحاء بالإنزال، واستُعير الإيحاء للإنزال، واشتقَّ من الإنزال (أنزلنا) بمعنى: (أوحينا).

الثاني: أنَّ إسناد النزول إليه مجازٌ عقليٌّ، وحقُّه أن يسنَد لحاملِهِ، فالتجوُّز إمَّا في الطرف، أو الإسناد.

قوله: (أي: القرآنَ) أشار بذلك إلى أنَّ الضمير في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ عائدٌ على القرآن.

إن قلتَ: إنَّه لم يتقدَّم له ذكرٌ.

أجيب: بأنَّه اتَّكل على عِظَم قَدره وشُهرةِ أمرِهِ، حتَّى لا يحتاج لِتصريحٍ.

قوله: (جملةً واحدةً من اللوح المحفوظ) أي: ثمَّ نزل به جبريل على النبي ﷺ نجوماً مُفرَّقةً في مُدَّة عشرين سنةً، أو ثلاثٍ وعشرين سنةً، ومعنى إنزاله جملةً من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا: أنَّ جبريل أملاه على ملائكة السماء الدنيا، فكتَبوه في صحفٍ، وكانت تلك الصحف في محلٍّ من تلك السماء يُقال له: بيت العزَّة.

---

(١) رواه مسلم (٨٧٠) عن سيدنا عَديِّ بن حاتم رضي الله عنه، وتمامه: (قُل: «ومَن يَعصِ الله ورسولَهُ...»).

فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ ....

إلى السَّماء الدُّنيا ﴿فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ أي: الشَّرَفِ والعِظَم، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾: أعلَمَك يا مُحمَّد ﴿مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾؟ ....

حاشية الصاوي

قوله: (إلى سماء الدنيا) أي: إلى بيت العزَّة منها. وما ذكره المفسِّر من أنَّ المراد: إنزالُ القرآنِ جملةً إلى سماء الدنيا.. أحدُ أقوالٍ في تفسير الآية، وقيل: المعنى: ابتدأنا إنزاله على محمَّد ﷺ تلك الليلة.

إن قُلت: إنَّ البعثة على رأس الأربعين، ومِيلاده كان في ربيعٍ؛ فكيف يكون مبدأ الوحي في رمضان في ليلة القدر؟

أجيب: بأنَّه ألغي الكسرُ أو جُبِرَ، أو ذلك بناءً على أنَّ ميلاده في رمضان.

وحكمة إنزالِه من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، ثمَّ إنزاله منها مفرَّقاً ولم ينزل مفرَّقاً من اللوح: أنَّ سماء الدنيا مشتركةٌ بين العالم العلوي والسفليِّ، فإنزاله إليها جملةً فيه تعجيلٌ لمسرَّته بنزول جميعِهِ عليه، وإنزالُهُ منها مفرَّقاً فيه تأنيسٌ للقلوب، وترويحٌ للنفوس، وتلطُّفٌ به ﷺ وبأُمَّته، فلم يَفُتْهُ نزولُهُ جملةً ولا مفرَّقاً.

قوله: (الشَّرفِ والعظَمِ) هذا أحدُ أقوالٍ، وقيل: القدر بمعنى: تقدير الأمور؛ أي: إظهارِها في دواوين الملأ الأعلى، سمِّيت بذلك؛ لأنَّ الله تعالى يُقدِّرُ فيها ما يشاء من أمرِه إلى مثلِها من السنة القابلة؛ من أمرِ الموت، والأجل، والرزق، وغير ذلك، ويُسلِّمه إلى مُدبِّرات الأمور، وهم الأربعة الرؤساء: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل. وقولنا: (أي: إظهارها في دواوين الملأ الأعلى).. يدفع ما أُورِدَ: أنَّ تقدير الأمور أزليٌّ.

إن قُلتَ: إنَّ تقدير الأمور ليلةَ النِّصف من شعبان.

فيُجاب: بأنَّ ابتداء التقدير ليلةَ النِّصف من شعبان، وتسليمَه للملائكة ليلة القدر.

وقيل: القَدر بمعنى: الضِّيق؛ من قوله: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجر: ١٦]، ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]؛ لِضِيق الفضاء بازدحام مواكب الملائكة فيها.

قوله: (﴿مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾) أي: ما مقدارُ شرفِها، وليس المراد: ما حقيقتُها؛ فإنَّها مدَّةٌ مخصوصةٌ من الزَّمن.

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ ....

تَعظِيم لِشَأنِها وتَعجِيبٌ مِنه.

(﴿٣﴾ - ﴿٤﴾) ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (تعظيمٌ لشأنها) أي: تفخيمٌ لأمرِها، قال سفيان بن عيينة: (إنَّ كلَّ ما في القرآن من قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾.. أعلمَ اللهُ به نَبيَّه ﷺ، وما فيه: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾.. لم يُعْلِمْهُ به)[1]، والمراد: إعلام الله تعالى في ذلك السياقِ نفسِهِ؛ فلا يُنافي أنَّه عليه السلام لم يخرج من الدنيا حتَّى أعلَمه الله بكلِّ ما خفي عنه ممَّا يمكنُ البشرَ علمُهُ[2]، وأمَّا التسوية بين عِلم القديم والحادث.. فكفرٌ.

قوله: (﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾) أي: وهي ثلاث وثمانون سنةً وأربعةُ أشهرٍ، واختُلف في حكمة ذكر العدد؛ فقيل: المقصود مُطلَق الكثرة، وقيل: إنَّه ذُكِرَ لرسول الله ﷺ رجلٌ من بني إسرائيل، حمل السلاح على عاتِقه في سبيل الله عزَّ وجلَّ ألفَ شهرٍ، فعجب رسول الله ﷺ لذلك، وتمنَّى ذلك لأُمَّته، فقال: «يا ربِّ؛ جعلتَ أمَّتي أقصرَ الأُمَمِ أعماراً، وأقلَّها أعمالاً»، فأعطاه الله ليلة القدر[3]، فهي من خصائص هذه الأمَّة، وهي باقية على الصحيح، خلافاً لِمن قال برفعِها؛ مستدلًّا بحديث: «**خرجتُ لِأُعلمكم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان، فرُفِعَتْ**»[4]، ورُدَّ: بأنَّ الذي رُفِع تعيينُها؛ بدليل: أنَّ في آخر الحديث نفسِهِ: «**وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسُوها في العشر الأواخِر**»؛ إذ رفعُها بالمرَّةِ لا خيرَ فيه، ولا يتأتَّى معَه التِماسٌ.

إن قلتَ: الرَّفع بسبب الملاحاة يقتضي أنَّه مِن شُؤم الملاحاة؛ فكيف يكون خيراً؟

قلتُ: هو كالبلاء الحاصل بِشُؤمِ معصيةِ بعض العصاة، فإذا تُلقِّيَ بالرضا والتَّسليم.. صار خيراً.

---

(١) رواه البَغوي في «شرح السنة» (٦/ ٣٧٩)، وأورده البخاري تعليقاً في كتاب فَضل ليلة القدر.

(٢) وهو الذي نقَله الإمام اللقاني في «هداية المريد لجوهرة التوحيد» (٢/ ٩٧٥) عن جمع.

(٣) رواه البيهقي في «السُّنن الكبرى» (٤/ ٥٠٤) عن مجاهد: أنَّ النبي ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيلَ لبس السلاح في سبيل الله ألفَ شهر، قال: فعَجب المسلمون من ذلك، قال: فأنزل الله عز وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ التي لَبس فيها ذلك الرجل السلاحَ في سَبيل الله ألف شهر. وسِياقُ المصنف رحمه الله تعالى في «الفتوحات» (٤/ ٥٩٠) نقلاً عن العلامة الكرخي.

(٤) رواه البخاري (٢٠٢٣) عن سيدنا عُبادة بن الصامت رضي الله عنه، وقوله: (فتلاحى) أي: فتخاصَم، والمُلاحاةُ: المُخاصمة.

. . . .

حاشية الصاوي

إن قلت: فما هو الذي فات بشؤم الملاحاة؟ وما هو الخير الذي حصَل؟

قُلت: الفائتُ معرفةُ عينِها حتَّى يحصل غاية الجدِّ والاجتهاد في خصوصها، والخيرُ الذي حصل هو الحرصُ على التِماسها حتَّى يُحييَ لياليَ كثيرةً في الجملة. قالوا: (أخفى الربُّ أموراً في أمورٍ؛ لحِكَمٍ: ليلةَ القدر في الليالي؛ لتُحيى جميعَها، وساعةَ الإجابة في الجمعة؛ ليدعوَ في جميعِها، والصَّلاةَ الوسطى في الصلوات؛ لِيُحافَظَ على الكلِّ، والاسمَ الأعظمَ في أسمائه؛ لِيُدْعَى بالجميع، ورِضاه في طاعاته؛ لِيَحرصَ العبدُ على جميع الطَّاعاتِ، وغضبَهُ في مَعاصيه؛ لينزجرَ عن الكلِّ، والوليَّ في المؤمنين؛ لِيحسنَ الظنَّ بكلٍّ منهم، ومجيءَ السَّاعة في الأوقات؛ لِلخوف منها دائماً، وأجلَ الإنسان عنه؛ لِيَكونَ دائماً على أُهبةٍ) فعلى هذا: يحصل ثوابها لِمن قامها ولو لم يعلمها؛ نعم العالم بها أكملُ هذا هو الأظهر.

واختَلفت المذاهبَ فيها؛ فقال مالك: إنَّها دائرةٌ في العام كلِّه، والغالب كونها في رمضان، والغالب كونها في العشر الأواخر منه، وقال أبو حنيفة والشافعي: هي في رمضان، لا تَنتقل منه، والغالب كونها في العشر الأواخِر، واشتهر عن أبيِّ بن كعبٍ وابنِ عباس وكثيرٍ: أنَّها ليلة السَّابع والعشرين، وهي الليلةُ التي كانت صبيحتَها وقعةُ بدرٍ التي أعزَّ الله بها الدِّين، وأنزل الله مَلائكتَه فيها مَدَداً لِلمُسلمين[1].

وأيَّده بعضُهم بطريق الإشارة: بأنَّ عدد كلمات السورة ثلاثون كأيام رمضان، واتَّفق أنَّ كلمة ﴿هِىَ﴾ تمام سبعة وعشرين.

وطريقٌ آخر في الإشارة: أنَّ حروف ﴿لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ تسعة، وقد ذكرت في السورة ثلاث مرات، وثلاثة في تسعة: سبعة وعشرين.

ونُقل عن بعض أهل الكشف ضبطُها بأوَّل الشَّهر من أيَّام الأسبوع؛ فعن أبي الحسن الشاذلي: إن كان أوَّله الأحد. . فليلة تسع وعشرين، أو الاثنين. . فإحدى وعشرين، أو الثُّلاثاء. . فسبع وعشرين، أو الأربعاء. . فتسعة عشر، أو الخميس. . فخمس وعشرين، أو الجمعة. . فسبعة عشر، أو السبت. . فثلاث وعشرين.

---

(١) المشهور في كُتب السيرة النبوية: أن وَقعةَ بدر كانت صبيحةَ السابع عشر من رمضان. انظر «عيون الأثر» (١/ ٢٨١)، و«سيرةَ ابن إسحاق» (ص١٣٠)، وروى البيهقي في «دَلائل النبوة» (٣/ ١٢٧) عن قُرَّةَ بن خالد قال: سألتُ عبد الرحمن بن القاسم عن ليلة القدر، فقال: (كان زيد بن ثابتٍ يُعظم سابع عشرة ويقولُ: هي وقعة بدر).

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ ....

ليسَ فِيها لَيلةُ القَدر، فالعَمَلُ الصَّالِح فِيها خَير مِنهُ في ألفِ شَهرٍ لَيسَت فِيها، ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ - بِحَذفِ إحدَى التَّاءَينِ مِن الأصل - ....

حاشية الصاوي

ومنها: ما قاله بعضهم:

يا حِبُّ الاثنَين والجُمعة مواعيدك ... والحد والاربعا طيي لتبعيدك

بكا لي السبت هيي يا خميس عيدك ... كابد ثلاثاً ليالي القدر مع سيدك

فإذا كان أوَّل الشَّهر الاثنَين أو الجمعة.. تكون ليلة إحدى وعشرين، ورَمزُه (يا حب) بالجمَّل، أو الأحد أو الأربعاء.. تسع وعشرين، ورمزه (طي)، أو السبت.. فثلاث وعشرين، ورمزه (بكا)، أو الخميس.. فخمس وعشرين، ورمزه (هيي)، أو الثلاثاء.. فسبع وعشرين، ورمزه (كابد)، والمشهور في ألسِنة علماء الحديث: أنَّ الغالب كونها في العشر الأواخر، وأنَّها في الأوتار، قال سيِّدي أحمد زروق وغيره: (لا تُفارق ليلة جمعة من أوتار آخر الشَّهر)، ونحوُه عن ابن العربي.

قوله: (ليس فيها ليلة قدر) جواب عمَّا يُقال: إنَّ الألف شهر لا بدَّ فيها من ليلة قدر، فيَلزم عليه تفضيل الشيء على نفسِهِ وغيرِهِ.

قوله: (فالعمل الصالح فيها) أي: من صلاةٍ ودعاءٍ وتسبيحٍ وغير ذلك.

قوله: (﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾) أصله: (تتنزل) بتاءين، حذفت إحداهما تخفيفاً؛ كما قال المفسِّر على حدِّ قول ابن مالك[1]: [الرجز]

وما بِتاءَيْنِ ابتُدِي قَد يُقتَصَرْ ... فِيهِ عَلَى تَا، كـ(تَبَيَّنُ العِبَرْ)

والتاء في (ملائكة) لتأنيث الجمع، وإذا حُذفت.. امتَنع صرفه لِصِيغة منتهى الجموع، وبه يُلغز فيقال: (كلمةٌ إذا حذف من آخرها حرفٌ.. امتَنع صرفها)، جمع (مَلَك)، وأصله: (مَلأك)، ووزنه (فَعْأَل)، فالهمزة زائدة، ومادَّته تدلُّ على المُلك والقوَّة والسلطنة، وقيل: وزنه (مَفْعَل)، فالميم زائدة، وقيل: هو مقلوبٌ، وأصله: (مَألَك)، من: الألُوكة، وهي الرسالة، قُلب قلباً مكانيًّا، فصار (مَلأك)، وفي وزنه القولان المتقدِّمان، وعلى كلٍّ: فيُقال: سقطت الهمزة، فصار (مَلَك).

والملائكة: أجسام نورانيَّة، لا يُوصفون بذكورةٍ ولا بأنوثةٍ، لهم قُدرة على التشكُّلات بالصُّوَر الغير الخسيسة، لا يَعصون الله ما أمرَهم، ويفعلون ما يُؤمَرُون.

---

(١) كما في «الخُلاصة»، باب: الإدغام.

وَٱلرُّوحُ ....

﴿وَٱلرُّوحُ﴾ أي: جِبريلُ ....

حاشية الصاوي

وعبَّر بـ(تنزل)؛ إشارةً إلى أنَّهم ينزلون طائفةً بعد طائفةٍ، فينزل فوجٌ، ويَصعد فوجٌ.

روي: «أنَّه إذا كان ليلة القدر.. تنزَّل الملائكة وهم سُكان سِدرة المنتهى، وجبريل عليه السلام، ومعَهُ أربعة ألويةٍ، فينصب لواءً على قبر النبي ﷺ، ولواءً على ظهر بيت المقدس، ولواءً على ظهر المسجد الحرام، ولواءً على ظهر طور سيناء، ولا يدع بيتاً فيه مؤمنٌ أو مؤمنةٌ إلَّا دخَله وسلَّم عليه، ويقول: يا مؤمن أو يا مؤمنة؛ السَّلامُ يُقرئكم السَّلامَ إلَّا على مدمنِ خمرٍ، وقاطعِ رحمٍ، وآكلِ لحم خنزير»[1].

وعن أنس: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا كان ليلة القدر.. نزل جبريل في كَبكبةٍ من الملائكة يُصَلُّون ويسلِّمون على كلِّ عبدٍ قائمٍ أو قاعدٍ يَذكر الله تعالى»[2].

وروي: «أنَّ الملائكة في تلك الليلة أكثرُ من عدد الحصى»[3].

قوله: (﴿وَٱلرُّوحُ﴾) إمَّا مرفوعٌ بالابتداء، والجارُّ بعده خبره، أو بالفاعليَّة عطفاً على ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

قوله: (جبريل) هذا أحدُ أقوالٍ في تفسير (الروح)، وعليه: فعطفُ (الروح) على (الملائكة) عطفُ خاصٍّ؛ لشرفِهِ، وقيل: الرُّوح نوعٌ مخصوصٌ منهم، وقيل: خَلقٌ آخر غير الملائكة، وقيل: أرواح بني آدم، وقيل: عيسى ينزل مع الملائكة، وقيل: ملكٌ عظيمُ الخلقةِ تحتَ العرش، ورِجلاه في تُخُوم الأرض السَّابعة، وله ألفُ رأسٍ، كلُّ رأسٍ أعظمُ من الدنيا، وفي كلِّ رأس ألفُ وجهٍ، وفي كلِّ وجهٍ ألفُ فمٍ، وفي كلِّ فم ألف لسانٍ، يسبِّح الله تعالى بكلِّ لسانٍ ألفَ نوعٍ من التَّسبيح والتَّحميد والتَّمجيد، ولكلِّ لسانٍ لغةٌ لا تُشبه لغةَ الآخر، فإذا فتح أفواهَهُ بالتَّسبيح.. خرَّت ملائكة السَّماوات السَّبع سُجَّداً؛ مخافةَ أن يجرفَهم نورُ أفواهِهِ، وإنَّما يسبِّح الله تعالى غُدوةً وعشيَّةً، فينزل في ليلة القدر؛ لِشَرفها وعُلُوِّ شأنها، فيستغفر للصَّائمين والصَّائمات من أُمَّة محمَّد ﷺ بتلك الأفواه كلِّها إلى طُلوع الفجر[4].

---

(١) أورده العلامة الخطيب في «السراج المنير» (٤/ ٥٦٨).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٤٤٤)، والكَبْكَبةُ بالفتح: الجماعة المتضامَّة من النَّاس وغيرهم.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٨/ ٤٠٧) عن سيدنا أبي هريرة ﷺ.

(٤) أورَده العلامة الخطيبُ في «السراج المنير» (٤/ ٥٦٨).

فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِيَ ....

﴿فِيهَا﴾: في اللَّيلةِ ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾: بِأمرِه ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ قَضاهُ الله فِيها لِتِلكَ السَّنة إلى قابِل، - و﴿مِّن﴾ سَبَبِيَّة بِمَعنى الباء -.

﴿٥﴾ ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ - خَبَر مُقدَّم ومُبتَدأ - ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فِيهَا﴾) إمَّا متعلِّق بـ﴿تَنَزَّلُ﴾، أو حالٌ من ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾، وقوله: (﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾) إمَّا متعلِّق بـ﴿تَنَزَّلُ﴾، أو بمحذوف حال أيضاً، والمعنى: تنزَّل الملائكة والرُّوح فيها حالَ كونهم مُلتبِسِين بإذن ربِّهم، لا من تلقاء أنفسِهم.

قوله: (﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾) يحتمل أنَّ (مِن) بمعنى باء السببيَّة، وعليه درَج المفسِّر، ويصحُّ أنَّها للتَّعليل، متعلِّق بـ﴿تَنَزَّلُ﴾ أي: تنزَّل من أجل كلِّ أمرٍ.

قوله: (قضاه الله فيها) أي: أراد إظهاره لملائكته، هذا هو المراد بالقضاء فيها، لا القضاء الأزَلي.

قوله: (لتلك السَّنة) أي: ممَّا هو منسوب لتلك السَّنة؛ من أمر الموت، والأجل، والرِّزق... وغير ذلك.

قوله: (إلى قابل) متعلِّق بمحذوف، تقديره: (من تلك الليلة إلى مثلها من قابل).

قوله: (﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾) يصحُّ أن يكون ضمير ﴿هِيَ﴾ عائداً على الملائكة، و﴿سَلَٰمٌ﴾ بمعنى: التَّسليم، والمعنى: أنَّ الملائكة يُسلِّمون على المؤمنين، ويصحُّ أن يعودَ على (ليلة القدر)، و(سلام) أيضاً بمعنى: التسليم، والمعنى: أنَّ الليلة ذاتُ تسليمٍ من الملائكة على المؤمِنين، أو على بعضهم بعضاً، ويصحُّ على هذا الوجه: أن يُجعل (سلام) بمعنى: سلامة؛ أي: ليلة القدر ذاتُ سلامةٍ من كلِّ شرٍّ.

قال القرطبي: (ليلة القدر سلامةٌ وخير كلُّها، لا شرَّ فيها حتَّى مطلع الفجر، وقال الضحاك: «لا يقدِّرُ الله في تلك الليلةِ إلَّا السلامةَ، وفي سائر الليالي يَقضي بالبلايا والسلامة»، وقيل: هي ذات سلامةٍ مِنْ أن يُؤثِّر فيها شيطانٌ في مؤمنٍ أو مؤمنةٍ)[1].

قوله: (خبر مقدَّم) أي: فيُفيد الحصرَ؛ أي: ما هي إلَّا سلامٌ، وجُعِلَتْ عينَ السَّلام؛ مبالغةً،

---

(١) «تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٣٤).

﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾

﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ ـ بِفَتح اللَّام وكَسرها ـ إلى وقتِ طُلوعِه، جُعِلَت سَلاماً لِكَثرةِ السَّلامِ فِيها مِن المَلائكةِ، لا تَمُرُّ بِمُؤمِنٍ ولا مُؤمِنةٍ إلَّا سَلَّمَت علَيهِ.

حاشية الصاوي

على حدِّ: (زيدٌ عدلٌ)، وما ذكره المفسِّر هو المشهور، وجوَّز الأخفشُ رفع (سلامٌ) بالابتداء، و(هي) بالفاعليَّة به؛ لأنَّه لا يُشترط عنده اعتمادُ الوصف على نفيٍ أو استفهامٍ[١].

قوله: (﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾) متعلِّق بـ﴿تَنَزَّلُ﴾، وهو ظاهرٌ، أو بـ﴿سَلَٰمٌ﴾، وفيه: أنَّه يلزم عليه الفصلُ بين المصدر ومعموله بأجنبيٍّ وهو المبتدأ على إعراب المفسِّر، إلَّا أن يُتوسَّع في الجارِّ، وأمَّا على إعراب الأخفش.. فلا إشكال.

قوله: (بفتح اللام وكسرها) أي: وهما سبعيَّتان[٢]، وهل هما مصدران، أو المفتوح مصدرٌ والمكسورُ اسم مكان؟ خلافٌ.

فائدة: ذكر العلماء لِلَيلة القدر علامات، منها: قلَّةُ نَبحِ الكلاب ونهيقِ الحمير، وعذوبةُ الماء الملحِ، ورؤية كلِّ مخلوقٍ ساجداً لله تعالى، وسماعُ كلِّ شيءٍ يذكر الله بلِسان المقال، وكونها ليلةً بلجةً مضيئةً مُشرقةً بالأنوار، وطلوعُ شمسِ يومِها صافيةً نقيَّةً، ليس بين قَرني شيطان كيومِ غيرِها.

وأحسَنُ ما يُدعَى به في تلك الليلة: العفو والعافية؛ كما وردَ[٣]، وينبغي لمن شقَّ عليه طُول القيام أن يتخيَّرَ ما وردَ في قراءتِهِ كثرةُ الثَّواب كآية (الكرسي)؛ فقد وردَ: «**أنَّها أفضل آيةٍ في القرآن**»[٤]، وأواخر (البقرة)؛ لِما وردَ: «**مَن قام بهما في ليلة.. كفَتاه**»[٥]، وكسورة (إذا زلزلت)؛ لما وردَ: «**أنَّها تعدل نصف القرآن**»[٦]، وكسورة (الكافرون)؛ لما وردَ: «**أنَّها تَعدل ربع القرآن**»، و(الإخلاص) تعدل ثلثَهُ[٧]، ....

---

(١) انظر «الدر المصون» (١١/ ٦٤).

(٢) قرأ الكسائي: (مَطْلِعِ) بكسر اللام، والباقون بفتحها. انظر المصدر السابق.

(٣) رواه الترمذي (٣٥١٣)، والنسائي في «السُّنن الكبرى» (٧٦٦٥)، وابن ماجه (٣٨٥٠) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

(٤) رواه مسلم (٨١٠) عن سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه، وفيه (أعظم) بدل (أفضل).

(٥) رواه البخاري (٤٠٠٨)، ومسلم (٨٠٧) عن سيدنا أبي مسعود البَدرِي رضي الله عنه.

(٦) رواه الترمذي (٢٨٩٤) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) هو تمامُ الحديث السابق.

. . . .

حاشية الصاوي

و(يس)؛ لما وردَ: «**أنَّها قلبُ القرآن**»[١]، و«**أنَّها لِما قُرئت له**»[٢].

ويُكثرُ مِنَ الاستغفارِ، والتَّسبيح والتحميد والتَّهليل، وأنواع الذِّكر، والصَّلاة على النبي ﷺ، ويدعو بما أحبَّ لنفسه ولأحبابه أحياءً وأمواتاً، ويتصدَّقُ بما يتيسَّر له، ويَحفظ جوارحه عن المعاصي.

ويكفي في قيامها: صلاةُ العشاء والصبح في جماعةٍ، ووردَ: «**مَنْ صلَّى المغرب والعشاء في جماعة.. فقد أخذ بحظٍّ وافرٍ من ليلة القدر**»[٣]، ووردَ: «**مَنْ صلَّى العشاء في جماعةٍ.. فكأنَّما قام شطر الليل، فإذا صلَّى الصبح في جماعةٍ.. فكأنَّما قام شطرَه الآخر**»[٤].

وقد وردَ: «مَنْ قال: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله ربِّ السَّماوات السبع وربِّ العرش العظيم، ثلاثَ مرَّات.. كان كمَن أدرك ليلة القدر»[٥]، فينبغي الإتيان بذلك كلَّ ليلةٍ.

✿ ✿ ✿

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٨٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

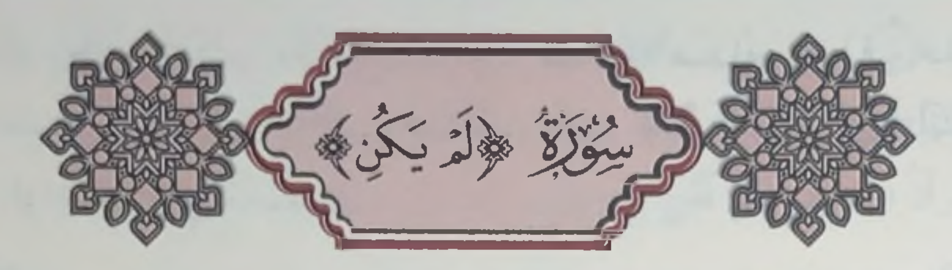
(٢) قال الحافظ السخاوي في «المقاصِد الحسنة» (٧٤١): (لا أصلَ له بهذا اللفظ).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٤٣٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه، ولفظُه: قال النبي ﷺ: «مَنْ صلَّى المغرب والعشاء في جماعةٍ حتَّى ينقضيَ شهرُ رمضانَ.. فقد أصاب من لَيلةِ القدر بحظٍّ وافِر».

(٤) رواه مسلم (٦٥٦) عن سيدنا عثمانَ بن عفان رضي الله عنه.

(٥) رواه الدُّولابي في «الأسماء والكُنى» (٩٢٤) عن الزهري مُرسلاً.

﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ....



مَكيَّة أو مدنيَّة، تِسعُ آيات.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ (١) ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ البَيِّنَةِ

وتسمَّى سورة (لم يكن)، وسورةَ (المنفكين)، وسورة (القيِّمة)، وسورة (البريَّة).

قوله: (مكيَّة) هو قول ابن عبَّاس، وقوله: (أو مدنية) هو قول الجمهور. ومناسبتُها لِما قبلها: أنَّه لما ثبت إنزال القرآن، وأخبر تعالى أنَّ الكفَّار لم يكونوا مُنفكِّين عمَّا هم عليه حتَّى يأتيَهم الرَّسول يتلُو عليهم الصُّحفَ المطهَّرةَ التي ثبت إنزالها عليه، وفيها تسليةٌ له ﷺ، كأنَّ الله يقولُ له: لا تحزن على تفرُّقهم وكُفرهم، بل تسلَّى[1] بما أُوحِيَ إليك.

روى أنس بن مالك: أنَّ النبي ﷺ قال لأبيٍّ بن كعب: «**إنَّ الله أمرني أن أقرَأ عليك** ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾»، فقال أبيٌّ: وسمَّاني لك؟ فقال النبي ﷺ: «**نعَم**»، فبكى أبيٌّ، فقرَأها ﷺ عليه[2].

واستُفيد من الحديث آداب؛ منها: قراءة الأعلى على مَنْ دونه؛ لِلتواضع، ولا يَأنف الكبير من قراءته على الصغير، ومنها: تخصيصُ سريع الحفظ والإتقان بالعِلم، وفي ذلك فضيلةٌ عظيمةٌ لأُبيٍّ؛ حيثُ جُعِلَ موضعَ سرِّ رسول الله ﷺ ونظرِه؛ إشعاراً بأنَّه ثقةٌ يَصلح للتَّعليم والتعلم، وأُمِرَ رسولُ الله من الله بأن يقرأ عليه.

---

(١) كذا في الأصول بإثبات الألف، وحقُّها الحذف للبناء، ولعل المصنف رحمه الله تعالى جرَى على قول مَن يقول: البناء على السكون المقدَّر على حرف العلة، أو إن الألف إشباعٌ للفتحة، على حدِّ قراءة قنبل: (إنَّه مَن يَتَّقِي ويَصْبِرْ)، وفي (ط٢): (تسلَّ) وهي ظاهِرة.

(٢) رواه البخاري (٣٨٠٩)، ومسلم (٧٩٩).

مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ ....

﴿مِنْ﴾ ـ لِلبَيانِ ـ ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: عَبَدةِ الأصنام ـ عَطف على ﴿أَهْلِ﴾ ـ ﴿مُنفَكِّينَ﴾ ـ خَبَر ﴿يَكُنِ﴾ ـ أي: زائِلِينَ عمَّا هُم علَيهِ، ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ﴾ أي: أتَتهُم ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾ أي: الحُجَّةُ الواضِحة وهي مُحمَّد ﷺ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِن﴾ للبيان) أي: فالذين كفرُوا هم أهل الكتاب والمشركون.

إن قُلتَ: إنَّ أهل الكتاب لم يكونوا جميعاً كفَّاراً قبل النبيِّ، بل بعضهم كان مُتمسكاً بنبيِّهم وكتابهم، والبعض كفَّار كمَن غيَّر وبدَّل، ومقتضى المفسِّر أنَّ جميعهم كُفار، وليس كذلك، فالأحسَن: جعل (مِن) للتبعيض، والواو في ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ لِلمعيَّة، و(المشركين): مفعول معه، والعامل فيه ﴿يَكُنْ﴾.

قوله: (﴿مُنفَكِّينَ﴾) اسم فاعل من (انفكَّ) الذي يعملُ عملَ (كان)، واسمها: ضميرٌ مستكنٌّ فيها، والخبر محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (عمَّا هم عليه)، ويصحُّ أن تكون تامَّةً، فلا تحتاج لتقدير خبرٍ.

قوله: (خبر ﴿يَكُنِ﴾) أي: واسمها الاسم الموصول، فهي ناقصةٌ، وقوله: (﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾) حالٌ من فاعل ﴿كَفَرُواْ﴾، والمعنى: أنَّ أهل الكتاب ـ وهُم اليهود والنصارى ـ والمشركين ـ وهم عبَدة الأوثان من العرب ـ كانوا يقولُون قبل بعثة النبيِّ: لا ننفكُّ عمَّا نحن فيه من ديننا حتَّى يُبْعَثَ النبيُّ ﷺ الذي هو في التوراة والإنجيل، فلمَّا بُعِثَ.. تفرَّقوا؛ فمنهم مَنْ آمن، ومنهم مَنْ كفر، فحكى الله تعالى ما كانوا يقولُون أوَّلاً، وما فعلوه آخِراً.

قوله: (أي: زائلِين... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الانفكاك بمعنى: الزوال، والمعنى: أنَّهم متعلِّقون بدينِهم، لا يَتركونه إلَّا عندَ مجيء محمَّد ﷺ.

قوله: (﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾) غايةٌ لعدم انفكاكهم عمَّا هم عليه، والحاصلُ: أنَّ في الآية تفسيرَين: الأوَّل: حمل ما كانوا عليه قبل مجيء النبي على شَرعهم في حقِّ أهل الكتاب، وعلى عبادة الأصنام في حقِّ المشركين، فالمعنى: لم يكن الفريقان مُنفكِّين عمَّا كانوا عليه، لم يُفارقوه إلَّا وقت مجيء محمَّد، فلمَّا ظهر محمَّد.. تفرَّقوا؛ فمنهم: مَنْ آمن به، ومنهم: مَنْ بقي على ما كان عليه، وهذا المعنى ليس فيه مدحٌ ولا ذمٌّ لهم.

رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ ....

(﴿٢﴾ - ﴿٣﴾) ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ـ بدل مِن ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾ ـ وهو النَّبيُّ ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ مِن الباطِلِ، ﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾: أحكام مَكتُوبةٌ ﴿قَيِّمَةٌ﴾: مُستَقِيمةٌ، أي: يَتلو مَضمُونَ ذلك وهو القُرآنُ؛ فمِنهُم مَن آمَن بِهِ ومِنهُم مَن كفَر.

حاشية الصاوي

الثاني: أنَّ المراد بما كانوا عليه: هو إيمانهم بمحمَّد إذا ظهَر، والمعنى: لم يكونوا مُنفكِّين عن العزم على الإيمان بمحمَّد إذا ظهر؛ أي: لم يُفارقوه ولم يتركوه إلَّا بعد مجيئه ﷺ، وفي هذا المعنى توبيخٌ لهم؛ إذ كيف يؤمنون في الغيب قبل مجيئِهِ، ويكفرون به لما جاء ورأوا أنواره ومعجزاته؟!

إذا علمتَ ذلك.. تعلم أنَّ كلام المفسِّر أوَّلاً محتملٌ للمعنيَين، وآخراً مُعرِّجٌ على المعنى الثاني.

قوله: (بدل من ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾) أي: بدلَ اشتمال، و﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلِّقٌ بمحذوفٍ؛ صفة لـ﴿رَسُولٌ﴾، أو حال من ﴿صُحُفًا﴾؛ لكونِهِ نعتَ نكرةٍ قدِّم عليها.

قوله: (وهو النبي محمَّد) وقيل: جبريل.

قوله: (﴿مُّطَهَّرَةً﴾) أي: مطهَّراً ما فيها، وهو القرآن.

قوله: (من الباطل) أي: فتطهيرُ الصحف كنايةٌ عن كونِها لا يأتيها الباطلُ أصلاً.

قوله: (﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾) أي: مكتوبات في قراطيس، فالقرآن يجمع ثمرةَ كتبِ الله المتقدِّمةِ عليه، والرسول وإن كان أُميًّا لكنَّه لما تلا مثلَ ما في الصحف.. كان كالتالي لها، فصحَّت نسبةُ تلاوةِ الصُّحف إليه وهو أُمِّي لا يَقرأ ولا يكتب.

قوله: (أي: يتلو مَضمون ذلك) أي: مضمونَ المكتوب في الصحف وهو القرآن، لا نفس المكتُوب؛ لأنَّه ﷺ كان يتلُو القرآن عن ظهر قلبٍ، ولم يكن يَقرَؤه من كتابٍ، فتحصَّل أنَّ المراد بالصحف: القراطيس التي يُكتب فيها القرآن، والمراد بالكتب: الأحكام المكتوبة فيها التي هي مدلول القرآن المكتوبِ لفظُهُ ونقشُهُ.

قوله: (فمنهم مَنْ آمن) مفرَّع على محذوفٍ، والتقدير: فلمَّا أتتهم البينة.. فمنهم... إلخ.

وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ....

﴿٤﴾ ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ في الإيمانِ بِه ﷺ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ أي: هو ﷺ أو القرآنُ الجائي بِه مُعجِزةً لَه، وقَبل مَجيئِه ﷺ كانُوا مُجتَمِعِين على الإيمانِ بِه إذا جاءَ، فحَسَدهُ مَن كفر بِه مِنهُم.

﴿٥﴾ ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ في كِتابَيهِم التَّوراةِ والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: أن يَعبُدُوهُ، ـ فحُذِفت (أن) وزِيدَت اللَّام ـ ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ مِن الشِّركِ، ﴿حُنَفَآءَ﴾: مُستَقِيمين على دِين إبراهِيمَ ودِين مُحمَّد إذا جاءَ، فكيف كفَرُوا بِه؟ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾... إلخ) تصريحٌ بما أفادته الغاية قبلَهُ، وأفرد أهل الكتاب بالذِّكر بعدَ الجمعِ بينَهم وبينَ المشركين؛ إشارةً لبشاعةِ حالهم؛ لأنَّهم أشدُّ جرماً، ويُعْلَمُ غيرُهم بالطَّريق الأولى؛ وذلك لأنَّهم لما تفرَّقوا مع علمِهم.. كانُوا أسوءَ حالاً من الذين تفرَّقوا مع الجهل.

قوله: (﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾... إلخ) الجملة حاليَّة مُفيدةٌ لقبح ما فعلوا، والمعنى: تفرَّقوا بعدَما جاءتهم البيِّنة والحال أنَّهم ما أُمِرُوا إلَّا بعبادة الله... إلخ.

قوله: (وزِيدت اللام) الأولى أن تجعل بمعنى (الباء)، والمعنى: وما أُمروا إلَّا بأن يعبدوا... إلخ.

قوله: (﴿مُخْلِصِينَ﴾) حالٌ من ضمير (يعبدوا)، والإخلاص هو: صفاء القلب من الأغيار؛ بأن يكون مقصودُهُ بالعمل وجهَ اللهِ تعالى.

قوله: (﴿حُنَفَآءَ﴾) حالٌ ثانيةٌ، والحَنَفُ في الأصل: الميلُ مطلقاً، ثمَّ استعمل في الميل إلى الخير، وأمَّا الميلُ إلى الشرِّ.. فيُسمَّى إلحاداً، والحَنيف المطلق هو: الذي يكون متبرئاً عن أصول المِلَل الخمسة: اليهود، والنصارى، والصابئين، والمَجوس، والمشركين، وعن فروعها مِنْ جميع الاعتقادات الباطلةِ وتوابعِ ذلك، وهو مَقام المتَّقين، فإذا ترقَّى العبدُ منه إلى ترك الشبهاتِ؛ خوفَ الوقوع في المحرَّمات.. فهو مقام الوَرِعين، فإذا زاد حتَّى ترك بعض المباحات؛ خوفَ الوقوع في الشبهات.. فهو مَقام الأورَع والزاهد، فالآيةُ جامعةٌ لذلك كلِّه.

وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ....

﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ﴾ المِلَّة ﴿ٱلْقَيِّمَةِ﴾: المُستقيمةِ.

(﴿٦﴾ - ﴿٨﴾) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ ـ حال مُقدَّرة ـ أي: مُقدراً خُلُودُهم فِيها مِن الله تَعالى، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ .....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾) عطف على (يعبدوا الله)، وخصَّ الصلاة والزكاة؛ لِشَرفهما.

قوله: (﴿وَذَٰلِكَ﴾) اسم الإشارة عائدٌ على المأمور به؛ من العبادة، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة.

قوله: (المِلَّة القيِّمة) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ ﴿دِينُ﴾ مضافٌ لمحذوفٍ، و﴿ٱلْقَيِّمَةِ﴾: صفةٌ لذلك المحذوف؛ دفعاً لما يُقال: إنَّ إضافة ﴿دِينُ﴾ إلى ﴿ٱلْقَيِّمَةِ﴾ من إضافة الموصوف إلى صفتِهِ، وهي بمنزلة إضافة الشيء إلى نفسِهِ، وفيها خلافٌ[1].

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) شُروع في بيان جزاءِ كلِّ فريقٍ ومَقرِّه.

قوله: (﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾) خبر ﴿إِنَّ﴾، والمعنى: أنَّهم مشتركون في جنس العذاب، لا في نَوعه لأنَّ عذاب الكفَّار مُختلفٌ على حسَب كفرِهم.

قوله: (حالٌ مُقدَّرة) أي: من الضمير المستكِن في الخبر.

قوله: (من الله تعالى) متعلِّق بـ(خلودهم)، والمعنى: نحن ننتظر خُلودَهم بسبب اعتقادنا أنَّ الله يُخلِّدهم فيها، فالتقدير منَّا، والخلودُ المقدَّر من الله تعالى.

قوله: (﴿شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾) أفعل تفضيل؛ وذلك لأنَّهم أشرُّ من قُطَّاع الطريق[2]؛ لأنَّهم قطعوا طريق الحقِّ على الخَلق، وأشرُّ من الجهَّال؛ لأنَّ الكفر مع العِلم أسوءُ منه مع الجهل. و(البرية) بالهمز في الموضعين وبتشديد الياء، سبعيَّتان[3].

---

(١) أي: ولا يَحسن حمل القرآن الكريم على ما فيه خلاف.

(٢) قوله: (أشر) كذا هو الأصل في بناء التفضيل منه، ولا يكادون يستعملونه إلا على لُغة لبني عامر، وقرئ في الشاذ: (من الكذاب الأشَرُّ) على هذه اللغة. انظر «شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ٥٣).

(٣) قرأ نافع وابن ذَكوان بالهمز في الحرفين؛ لأنَّه من قولهم: (برأَ الله الخلقَ)، والباقون: بالياء المشدَّدة بعد الراء كـ(الذرية) تُرِك همزه في الاستعمال. انظر «السراج المنير» (٤/ ٥٧٢).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ ....

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾: الخليقة. ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾: إقامةٍ ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ بطاعته، ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ بثوابه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿جَزَآؤُهُمۡ﴾) مبتدأ، وقوله: (﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾) حالٌ، وقوله: (﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾) خبره، وهذا من مُقابلة الجمع بالجمع فيقتضي القِسمة على الآحاد، فيكون لكلِّ واحدٍ جنَّةٌ[1]، وأدنى جنَّة الواحد مثل الدنيا وما فيها عشرَ مَرات؛ كما أفاده بعض المفسِّرين[2].

قوله: (﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾) أي: الأربعة؛ الخمر، والماء، والعسل، واللبن.

قوله: (﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾) عاملُهُ محذوفٌ؛ أي: دخلوها وأُعْطُوها، وقوله: (﴿أَبَدٗاۖ﴾) ظرفُ زمانٍ منصوب بـ﴿خَٰلِدِينَ﴾.

و﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾: يجوز أن يكون مستأنفاً، وأن يكون خبراً ثانياً. وعبَّر هنا في أهل الجنَّة بـ﴿أَبَدٗاۖ﴾، ولم يذكرها في أهل النَّار؛ لأنَّ المقام لهم مقامُ بسطٍ وجمالٍ، فالإطنابُ فيه من البلاغة.

قوله: (بِطاعته) أي: بِسَببها، وهو مصدرٌ مضافٌ لمفعوله؛ أي: طاعتهم إيَّاه؛ أي: قَبِلَها منهم، وجازاهم عليها.

قوله: (بِثوابه) أي: بسَبب إثابته لهم، فهو من إضافة المصدر لفاعله، قال الجُنيد: (الرضا يكون على قدر قُوة العلم، والرسوخِ في المعرفة)[3]، ويَصحب العبد في الدنيا والآخرة، وليس كالخوف والرجاء والصبر والإشفاق وسائر الأحوال التي تَزُول عن العبد في الآخرة، بل العبد يُنعَّم في الجنَّة

---

(١) وقيل: الجمع باقٍ على حقيقتِه، وإنَّ لكل واحد جنَّات؛ كما يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾، فذكر لكل واحدٍ أربع جنات. «فتوحات» (٤/ ٥٩٦).

(٢) انظر «السراج المنير» (٤/ ٥٧٢)، وفي «صحيح البخاري» (٧٥١١) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ آخر أهل الجنَّةِ دخولاً الجنَّةَ، وآخرَ أهل النَّار خروجاً من النَّار.. رجلٌ يخرج حَبواً، فيقول له ربُّه: ادخُل الجنَّة، فيقول: ربِّ؛ الجنَّة مَلأى، فيقول له ذلك ثلاثَ مرات، فكلَّ ذلك يُعيد عليه: الجنَّةُ مَلأى، فيقول: إنَّ لك مثل الدنيا عشرَ مِرارٍ».

(٣) انظر «حاشية الشهاب على البَيضاوي» (٨/ ٣٨٦).

﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾

﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾: خافَ عِقابَه فانتَهَى عن مَعصِيَتِه تَعالى.

حاشية الصاوي

بالرضا، ويسأل الله تعالى حتى يَقول لهم: «برضائي أُحِلُّكم داري»[1] أي: برضائي عنكم، وقال محمد بن الفضل: (الروح والراحة في الرضا واليقين، والرضا باب الله الأعظم، ومحلُّ استرواح العابدِين)[2].

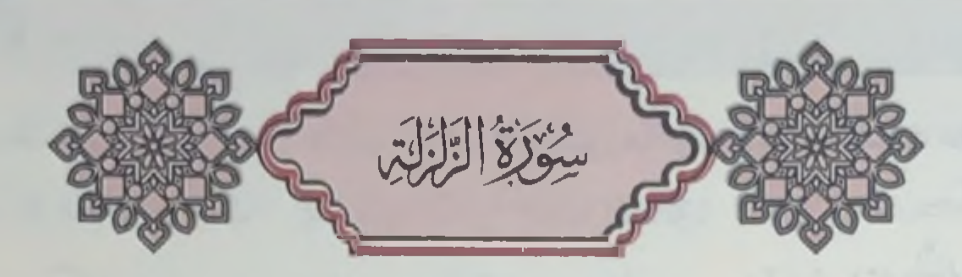
قوله: (﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾) اسم الإشارة عائدٌ على المذكور من تفصيل الجزاء الحسَن.

✿ ✿ ✿

(١) رواه الطبراني في «المعجَم الأوسط» (٧/ ١٥)، وأبو نعيم في «صفة أهل الجنة» (٢٨٤) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) انظر «الفتوحات» (٤/ ٥٩٦) نقلاً عن العلامة الكرخي، وفي «شُعَب الإيمان» (٢٠٤) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «وإنَّ الله عزَّ وجلَّ بِقسطه وعَدله جعل الرَّوح والراحةَ والفرحَ في الرضا واليقين، وجعَل الهمَّ والحزن في السخَط والشك».

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ ....



مَكيَّة أو مَدنيَّة، تِسعُ آيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾: حُرِّكَت لِقِيامِ السَّاعة ﴿زِلْزَالَهَا﴾: تَحرِيكَها الشَّدِيد

حاشية الصاوي

سُورَةُ الزَّلزَلَةِ

(مكيَّة) أي: في قول ابن مسعودٍ وعطاءٍ وجابرٍ، وقوله: (أو مدنيَّة) أي: في قول ابن عبَّاس وقتادة.

قوله: (﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾... إلخ) ﴿إِذَا﴾: ظرفٌ لِما يستقبل من الزمان، جوابه: ﴿تُحَدِّثُ﴾، وهو عاملُ النَّصب في ﴿إِذَا﴾؛ ولذا يقولون: (خافضٌ لشرطِهِ، منصوبٌ بجوابه). وهذا هو التَّحقيق عند الجمهور.

قوله: (حرِّكت لقيام الساعة) هذا أحدُ قولين، وهو أنَّ الزَّلزلة المذكورةَ تكون عند النَّفخة الأولى، ويَشهد له قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ...﴾ [الحج: ١-٢] الآية، وعليه جُمهور المفسرين، والثَّاني: عندَ النفخة الثَّانية، ويُؤيِّده قولُهُ بعدُ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾؛ فإنَّ شهادتها بما وقع عليها إنَّما هو بعد الثانية، وكذلك انصرافُ النَّاس من القبور، وأمَّا قوله: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾.. فمُحتملٌ.

قوله: (﴿زِلْزَالَهَا﴾) مصدرٌ مضافٌ لفاعلِهِ، وهو بالكسر في قراءة العامَّة، وقرئَ شذوذاً بالفتح، وهُما مصدران بمعنى واحد، وقيل: المكسور مصدرٌ، والمفتوح اسمٌ[1].

قوله: (تحريكها الشديد.. إلخ) أي: فلا تُسكن حتَّى تُلقيَ ما على ظهرها من جبلٍ وشجرٍ وبناءٍ.

---

(١) وبالفتح قرأ الجَحدري وعيسى. انظر «الدر المصون» (١١/ ٧٣).

وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ....

المُناسِبَ لِعِظَمِها، ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾: كُنوزَها ومَوتاها فألقَتها على ظَهرِها، ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافِرُ بِالبَعثِ: ﴿مَا لَهَا﴾ إنكاراً لِتلك الحالةِ.

(﴿٤﴾ - ﴿٥﴾) ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ـ بَدل مِن ﴿إِذَا﴾، وجَوابُها: ـ ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾: تُخبِرُ بِما عُمِل علَيها مِن خَيرٍ وشَرٍّ، ﴿بِأَنَّ﴾: بِسَببِ أنَّ ﴿رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: أمَرها ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ﴾) إظهارٌ في مَقام الإضمار؛ لزيادة التَّقرير.

قوله: (﴿أَثْقَالَهَا﴾) جمع (ثِقْل) بالكسر؛ كـ(حِمْلٍ وأحمال).

قوله: (**كنوزها ومَوتاها**) المناسبُ أن يعبِّر بـ(أو)؛ لأنَّهما قولان، قيل: المرادُ: إخراج الأموات، وقيل: المراد: إخراج الكُنوز، والأوَّل بعد النفخة الثانية، والثاني في زمن عيسى وما بعدَهُ، وهما مفرَّعان على القولين المتقدِّمين، فأعطى الله الأرض قُوَّةً على إخراج الأثقال؛ كما أعطاها القُوَّةَ على إخراج النَّبات اللطيف الطريِّ الذي هو أنعَمُ من الحرير.

قوله: (**الكافر بالبعث**) أي: بخلاف المؤمن؛ فإنَّه يعترف بها ويقول: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

قوله: (**إنكاراً لتلك الحالة**) المناسِب أن يقول: (تعجباً من تلك الحالة)؛ لأنَّه وقتَ وقوعِ ذلك لا يَسَعُهُ إنكارٌ، بل يتعجَّب من تلك الحالة الفظيعة.

قوله: (**بدلٌ من ﴿إِذَا﴾**) أي: والعامل فيه هو العامل في المبدل منه، وقيل: غيره[(١)]، والتنوين عوضٌ عن الجُمَل الثلاث المذكورة بعد (إذا).

قوله: (﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾) اختُلِفَ في هذا التَّحديث؛ فقيل: هو كلامٌ حقيقيٌّ بأن يَخلق الله فيها حياةً وإدراكاً، فتشهد بما عمل عليها من طاعةٍ ومعصيةٍ، وهو الظاهر، وقيل: هو مجازٌ عن إحداث الله فيها من الأحوال ما يَقوم مقامَ التَّحديث باللِّسان. و(حدَّث) يتعدَّى إلى مفعولين: الأول: محذوفٌ، تقديره: (النَّاس)، والثَّاني: قوله: ﴿أَخْبَارَهَا﴾.

قوله: (﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾) عدَّاه باللام؛ لِمُراعاةِ الفواصل. والوحيُ إليها؛ إمَّا بإلهامٍ، أو رسولٍ من الملائكة.

---

(١) أي: مكرَّر على الخلاف في العامِل في البدل.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ....

بِذلك، في الحَدِيث: «تَشهَد على كُلِّ عَبد أو أمةٍ بِكُلِّ ما عَمِل على ظَهرِها».

﴿٦﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾: يَنصَرِفُون مِن مَوقِف الحِساب ﴿أَشْتَاتًا﴾: مُتفرِّقِين؛ فآخِذٌ ذاتَ اليَمِين إلى الجَنَّة، وآخِذٌ ذاتَ الشِّمال إلى النَّار؛ ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: جَزاءَها مِن الجنَّة أو النَّار.

(﴿٧﴾ - ﴿٨﴾) ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (**بذلك**) أي: بالتَّحديث بأخبارها.

قوله: (**في الحديث... إلخ**) أشار بذلك إلى حديث جرير قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فقال: «**أتدرُون ما أخبارها؟**» قالوا: الله ورسوله أعلَم، قال: «**فإنَّ أخبارها أن تَشهد على كلِّ عبدٍ أو أمَةٍ بما عمل على ظهرها؛ تقول: عمل عليَّ كذا وكذا**»، رَواه أحمد والترمذي وصحَّحه الحاكم وغيره[1].

قوله: (﴿يَوْمَئِذٍ﴾) بدلٌ من ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ قبله، أو منصوب بـ﴿يَصْدُرُ﴾.

قوله: (**مِن موقف الحساب**) أي: وقيل: يَرجعون من قُبورهم إلى ربِّهم.

قوله: (﴿أَشْتَاتًا﴾) حالٌ من ﴿النَّاسُ﴾، جمع (شَتِيت)، وقوله: (**متفرقين**) أي: على حسَب وصفِهم بالإيمان وضدِّه، وتفاوتِهم في الأعمال؛ فأهل الإيمان على حِدةٍ، وأهل الكفر على حِدَةٍ، فآخذٌ ذات اليمين إلى الجنَّة، وآخذٌ ذاتَ الشمال إلى النَّار.

قوله: (﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾) مُتعلق بـ﴿يَصْدُرُ﴾، وهو من الرُّؤية البصرية، يتعدَّى بالهمزة إلى اثنين، أوَّلهما: الواو التي هي نائب الفاعل، وثانيهما: ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾.

قوله: (﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾) أي: تفصيلٌ للواو في قوله: ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾، قال مقاتل: (نزلت في رجلين، أحدُهما: كان يأتيه السَّائل، فيَستقلُّ أن يعطيَهُ التمرةَ والكسرةَ والجوزةَ، وكان الآخر يَتهاون بالذَّنب اليسير؛ كالكذبة، والغيبة، والنظرة، ويقول: إنَّما وعد الله تعالى النَّار على الكبائر)[2]، فنزلت هذه الآية؛ لترغيبهم في القليل من الخير يُعطونه؛ ولهذا قال عليه الصلاة

---

(١) «مُسند الإمام أحمد» (١٤/ ١٥٥)، و«سُنن الترمذي» (٢٤٢٩)، و«المستدرَك» (٢/ ٢٥٧) كلُّهم عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أورَدَه عنه القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٥١).

﴿خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾

زِنةَ نَملةٍ صَغِيرة ﴿خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾: يَرَ ثَوابَه، ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾: يَرَ جَزاءَه.

حاشية الصاوي

والسلام: «اتَّقوا النَّار ولو بشقِّ تمرةٍ، فمَنْ لم يجد.. فبكلمةٍ طيبةٍ»[(١)]، ولتُحذِّرهم اليسيرَ من الذَّنب؛ ولهذا قال ﷺ لعائشة: «إيَّاكِ ومُحقَّرات الذنوب؛ فإنَّ لها من الله طالباً»[(٢)].

وقال ابن مسعود: (هذه الآية أحكَم آية في القرآن وأصدَق)[(٣)]، وقال كعب الأحبار: (لقد أنزل على محمَّد ﷺ آيتان أحصَتا ما في التوراة والإنجيل والزبور والصحف؛ ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾)[(٤)].

إن قُلتَ: كيف عمَّم مع أنَّ حسَنات الكافر مُحبَطةٌ بالكفر، وسيئات المؤمن الصغائر مَغفورةٌ باجتناب الكبائر؟

أجيب: بأنَّ المعنى: يرى كلٌّ من المؤمن والكافر حسَناتِهِ وسيئاتِهِ مكتوبةً في الصحف، ولا يَلزم من رؤيتِها جزاؤُهُ عليها؛ لما وردَ عن ابن عبَّاس: (ليس مِنْ مؤمنٍ ولا كافرٍ عَمِلَ خيراً كان أو شرًّا.. إلا أراه الله إيَّاه، فأمَّا المؤمن.. فيَغْفِرُ له سيِّئاته، ويُثيبه بحسناتِهِ، وأمَّا الكافرُ.. فتُرَدُّ حسناتُهُ تحسُّراً، ويعذَّب بسيِّئاتِهِ)[(٥)]، وهذا يُساعِده النَّظم الكريم.

قوله: (زنة نملة صغيرة) أي: وكلُّ مئةٍ منها وزنُ حبَّة شعيرٍ، وأربع ذرَّات وزن خَردلة، وقال ابن عبَّاس: (إذا وضعت يدَك على الأرض ورفعتَها؛ فكلُّ واحدةٍ ممَّا لَزق من التراب ذرَّةٌ)[(٦)]، وفسَّر الذَّرَّةَ بعضُهم بالهباءة التي تُرَى طائرةً في الشُّعاع الدَّاخل من الكُوَّة، وقيل: الذرَّةُ: جزءٌ من ألفٍ وأربعةٍ وعِشرين جزءاً من الشَّعيرة.

قوله: (﴿خَيۡرٗا﴾) تَميز من ﴿مِثۡقَالَ﴾ وكذا ﴿شَرّٗا﴾، ويصحُّ أنَّهما بدلان من ﴿مِثۡقَالَ﴾، و﴿يَرَهُۥ﴾

---

(١) رواه البخاري (٦٠٢٣)، ومُسلم (١٠١٦) عن سيدنا عَديِّ بن حاتم رضي الله عنه.

(٢) رواه الإمام أحمَدُ في «المسند» (٤٠/ ٤٧٨)، والدارمي في «سُنَنه» (٢٧٨٦).

(٣) أورده القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٥٢) وفيه: (وصدق) بدلَ (وأصدق).

(٤) رواه أبو نعيم في «حِلية الأولياء» (٦/ ٣).

(٥) رواه البيهقي في «البَعث والنشور» (٥٥).

(٦) رواه الآجُري في «الشريعة» (٧٩٧).

. . . .

حاشية الصاوي

في الموضعَين: جواب الشرط، مجزومٌ بحذف الألف، وهي قراءة العامَّة، وقرئ شذوذاً بإثباتها، ويكون مجزوماً بحذف الحركة المقدَّرة، على حدِّ قول الشَّاعر[١]: [الرجز]

إذَا العَجُوزُ غَضِبَتْ فطَلِّقي ولا تَرَضَّاها ولا تَمَلَّقِي

وفي الهاء قراءتان سبعيَّتان: إحداهما: بسكونها وقفاً ووصلاً في الحرفين، والثَّانية: بضمِّها وصلاً، وسُكونها وقفاً[٢].

فائدة: وردَ: «أنَّ مَنْ قرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ أربعَ مرَّات.. كان كمَن قرأ القرآن كُلَّه»[٣]، وورد عن ابن عبَّاس عنه ﷺ قال: «﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تَعدل نصف القرآن، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعدلُ ثلث القرآن، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ تَعدلُ ربعَ القرآن»[٤].



---

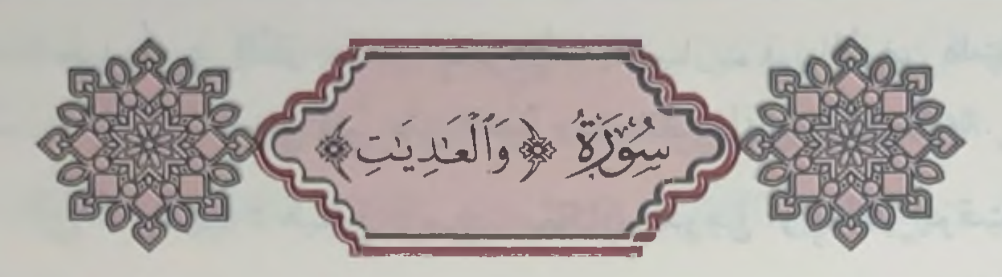
(١) انظر «خزانة الأدب» (٨/ ٣٥٩)، والشاهد: أنه أثبت الألف في (ترضَّاها) مع أنَّ حقَّها الحذف للجازم، وأمَّا قوله: (فطلقي) و(لا تملقي).. فكذا هو في الأصول بإثبات الياء، وفي المصادر بحذفها، ولعلَّ الإثبات للإشباع.

(٢) قرأ هشام بسكون هاء (يَرَهْ) وصلاً في الحرفَين، وباقي السَّبعة بضمِّها موصولةً بواو وصلاً، وساكنة وقفاً كسائر هاء الكناية، هذا ما قرأتُ به. ونقل الشيخ - أي: أبو حيان - عن هِشام وأبي بكر سكونها، وعن أبي عمرٍو ضمَّها مُشبعة، وباقي السبعة بإشباع الأُولى، وسكون الثانية. انظر «الدر المصون» (١١/ ٧٧).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٦٣) بسنَد ضعيف عن سيدنا علي رضي الله عنه، ويَشهَد له ما رواهُ البيهقي في «شُعَب الإيمان» (٢٣٠٠) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه: (و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تَعدل ربع القرآن).

(٤) رواه الترمذي (٢٨٩٤).

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾ ....



مَكيَّة أو مَدنيَّة، إحدى عشرةَ آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(﴿١﴾ - ﴿٣﴾) ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾: الخَيل تَعدُو في الغَزوِ وتَضبَح ﴿ضَبْحًا﴾ هو صَوتُ أجوافِها إذا عَدَتْ، ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾

وتسمَّى: سورة (العاديات) بغير واو.

قوله: (مكيَّة) أي: في قول ابن مسعودٍ وغيره، وقوله: (أو مدنيَّة) أي: في قول ابن عبَّاسٍ وغيره، ويُؤيِّدُه: ما رُوي أنَّه عليه السلام بعث خيلاً، فمضى شهرٌ لم يَأته منهم خبر، فنزلت إعلاماً له بما حصل[1].

قوله: (﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾... إلخ) أقسَم سبحانَهُ وتعالى بأقسامٍ ثلاثةٍ على أُمورٍ ثلاثةٍ؛ تعظيماً لِلمقسَم به، وتشنيعاً على المقسَم عليه. والعاديات: جمع (عادية)، وهي: الجارِيةُ بسُرعةٍ؛ من: العَدْوِ، وهو: المشيُ بسرعةٍ.

قوله: (الخيل تعدُو في الغزو) أي: تُسرع في الكرِّ على العدوِّ، وهو كنايةٌ عن مدحِ الغزاةِ وتعظيمِهم.

قوله: (وتَضْبَحُ ﴿ضَبْحًا﴾) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿ضَبْحًا﴾ منصوبٌ بفعلٍ محذوفٍ، وهذا الفعل حالٌ من (العاديات).

قوله: (هو صوتُ أجوافها) أي: صوتٌ يسمَعُ من صُدور الخيل عند العَدْوِ، وليس بصَهيلٍ

(١) أورده ابن الجَوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٨٠).

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤﴾ . . . .

﴿فَالْمُورِيَاتِ﴾ : الخَيل تُورِي النَّارَ ﴿قَدْحًا﴾ بِحَوافِرِها إذا سارَت في الأرض ذاتِ الحِجارة بِاللَّيل، ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ : الخَيل تُغِيرُ على العَدُوِّ وقتَ الصُّبح بِإغارةِ أصحابِها.

(﴿٤﴾ - ﴿٥﴾) ﴿فَأَثَرْنَ﴾ : هَيَّجنَ ﴿بِهِ﴾ : بِمَكانِ عَدْوِهِنَّ أو بِذلك الوَقتِ ﴿نَقْعًا﴾ :

حاشية الصاوي

ولا همهمةٍ[1]، قال ابن عبَّاس: (ليس شيءٌ من الدَّواب يَضْبَحُ غير الفرس والكلب والثعلب، وإنما تَضبح هذه الحيوانات إذا تغيَّر حالها من تعبٍ أو فزعٍ)[2].

قوله: (﴿فَالْمُورِيَاتِ﴾) عطفه وما بعده بالفاء؛ لأنَّه مرتَّبٌ على العَدْوِ.

قوله: (تُوري النَّار) أي: تخرجها من الحجارة إذا ضربَتْها بحوافرِها، يقال: (وَرَى الزَّند يَرِي وَرْياً)، من باب (وَعَدَ)، فهو لازمٌ، و(أوريت) رباعيًّا لازماً ومتعدياً، وما في الآية من قَبِيل المتعدِّي؛ بدليل تفسير المفسِّر.

قوله: (﴿قَدْحًا﴾) مفعولٌ مطلقٌ لفعلٍ محذوفٍ، تقديره: (تقدح)، ولم يَذكره المفسِّر؛ اتكالاً على ما قاله في ﴿ضَبْحًا﴾.

قوله: (﴿فَالْمُغِيرَاتِ﴾) أسنَد الإغارة ـ وهي مُباغتة العدوِّ للنَّهب أو القتلِ أو الأسرِ ـ للخيل مجازاً عقليًّا؛ لمجاورتها لأصحابها، وحقُّه أن يُسنَد لهم.

قوله: (وقتَ الصبح) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿صُبْحًا﴾ منصوبٌ على الظرفيَّة، والصُّبح: هو الوقت المعتاد في الغارات، يَسيرون ليلاً؛ لئلَّا يشعرَ بهم العدوُّ، ويَهجمون عليهم صباحاً؛ ليرَوا ما يأتون، وما يَذرُون.

قوله: (بمكانِ عَدْوِهِنَّ... إلخ) أعاد الضَّمير على المكان وإن لم يَتقدَّم له ذكرٌ؛ لأنَّ العَدْوَ لا بدَّ له من مكانٍ، وقوله: (أو بذلك الوقت) أي: وقت الصبح، فهما تَفسيران، وعلى كلٍّ: فالباء من ﴿بِهِ﴾ بمعنى (في).

---

(١) قوله: (همهمة) كذا في الأصول، وفي «الفتوحات» والمعاجِم: (حمحمة)، وحمحم الفرسُ حَمْحَمَة: إذا ردَّد الصَّوتَ ولَم يَصهَلْ كالمُتنحنِحِ.

(٢) أورَده البغوي في «تفسيره» (٥/ ٢٩٥).

فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ ....

غُباراً بِشِدَّةِ حَركتِهِنَّ، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾: بِالنَّقع ﴿جَمْعًا﴾ مِن العَدُوِّ أي: صِرنَ وسَطَه - وعُطف الفِعلُ على الاسم لِأنَّه في تَأوِيل الفِعل؛ أي: واللَّاتِي عَدَوْنَ فأَورَينَ فأَغَرْنَ -.

(٦ - ٨) ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الكافِرَ ﴿لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾: لَكفُور يَجحَدُ نِعمَتَه تَعالى، . . .

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَوَسَطْنَ﴾) أتى بالفاء في هذا واللذين قبلَه؛ لترتُّب كلٍّ على ما قبلَهُ، فإنَّ توسُّط الجمع مترتِّبٌ على الإثارة المتقدِّمة على الإغارة المترتِّبة على العَدْوِ.

قوله: (بالنَّقع) أشار بذلك إلى أنَّ ضمير ﴿بِهِۦ﴾ عائدٌ على النَّقع، والباء: لِلمُلابسة، والمعنى: صِرن وسَط الجمع من الأعداء مُلتبساتٍ بالنَّقع.

قوله: (أي: صِرْنَ وَسْطَهُ) أي: الجمع، ووَسْط: بسكون السين إن صحَّ حلولُ (بين) محلَّه كما هنا، وإلَّا . . فهو بالتَّحريك، ويجوز على قِلَّةٍ إسكانُها، يقال: (جلَست وَسْطَ القومِ) بالسكون، و: (وسَطَ الدَّارِ) بالتَّحريك.

قوله: (على الاسم) أي: على كلٍّ من الأسماء الثلاثة؛ بدليل قوله: (واللاتي عَدَوْنَ. . . إلخ)، وقوله: (لأنَّه) أي: الاسمَ، وقوله: (في تأويل الفعل) أي: لِوُقوعه صلةً لـ(أل)، وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله[1]: [الرجز]

واعطِفْ على اسمٍ شِبْهِ فِعلٍ فِعلَا   وعَكساً استَعمِلْ تَجِدْهُ سَهلَا

قوله: (﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾) هذا هو جوابُ القسَمِ.

قوله: (الكافر) هذا أحدُ وجهين، والآخر: أنَّ المراد به الجنس، والمعنى: أنَّ الإنسان مجبولٌ على ذلك إلَّا مَنْ عصمَهُ الله مِنْ تلك الخصالِ.

قوله: (لكفورٌ) أي: فيُقال: (كَنَدَ النِّعمةَ) أي: كفرَها، وبابه (دَخَلَ)، وفي الحديث: «الكنودُ: الذي يأكل وحده، ويمنع رِفدَه - أي: عطاءه - ويَضرب عبدَه»[2]، وقال ذُو النون المصري: (الهلوعُ والكنودُ هو الذي إذا مسَّه الشَّرُّ جَزوع، وإذا مسَّه الخير مَنوع)[3]، وقيل: هو الجهول لِقَدره،

---

(١) كما في «الخلاصة»، باب: عطف النسَق.

(٢) رواه البخاري في «الأدَب المفرد» (١٦٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٧٨) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) أورَده القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٦١)، وفيه: (جزوعاً، مَنوعاً) بدل (جزوع، منوع).

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩﴾

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ أي: كُنُودِه ﴿لَشَهِيدٌ﴾: يَشهَدُ على نَفسِه بِصُنعِه، ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: المالِ ﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي: لَشديدُ الحُبِّ له فيَبخَلُ به.

(﴿٩﴾ - ﴿١١﴾) ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾: أُثِيرَ وأُخرِجَ ﴿مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ مِنَ المَوتَى أي: بُعِثُوا، ....

حاشية الصاوي

وفي الحكم: (مَنْ جَهِلَ قدرَهُ.. هتكَ سترَهُ)[1]، وقيل: هو الحَقُودُ الحَسُودُ.

قوله: (﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾) الضمير عائدٌ على (الإنسان)، واسم الإشارة عائدٌ على (الكَنود)، والمعنى: وإنَّ الإنسان على كنودِهِ لشهيدٌ، والمراد: شهادتُهُ في الدنيا؛ فإنَّ حالَهُ وعملَهُ يدلَّان على كنودِهِ وكفرِهِ، وهذا ما مشى عليه المفسِّر، وهذا أحدُ احتمالَين، والآخر: أنَّ الضمير في (إنَّه) عائدٌ على الله تعالى، والمعنى: وإنَّ الله تعالى لشهيدٌ على كنود الإنسان؛ فيكون زيادةً في الوعيدِ.

قوله: (بِصُنعه) أي: بما صنعَهُ وعَمِلَهُ، والباء: سببيَّة.

قوله: (﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾) متعلِّق بـ(شديد) قدِّم كالذي قبلَهُ؛ رعايةً للفواصل. واللام: لِلتقوية، وحبُّه للمال يَحمله على البخل، وقيل: للتعليل، ومعنى (شديد): بخيلٌ.

قوله: (﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾) الهمزة داخلةٌ على محذوفٍ، والفاء عاطفة عليه، والتَّقدير: أيَفعل ما يفعل من القبائح فلا يَعلم... إلخ، والهمزة: للإنكار، و(يَعلم) بمعنى (عرف) فتتعدَّى لمفعولٍ واحدٍ هو محذوفٌ، تقديره: (أنَّا نُجازيه)، دلَّ عليه قوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ﴾، وقوله: ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾: ظرفٌ للمفعول المحذوف، ولا يصحُّ أن يكون ظرفاً للعِلم؛ لأنَّ الإنسان لا يُقصَد منه العِلم في ذلك الوقت، وإنَّما يُراد لِلعلم، وهو في الدنيا، ولا لـ(بعثر)؛ لأنَّ المضاف إليه لا يعملُ في المضاف، ولا لِقوله: (خبير)؛ لأنَّ ما بعد (إنَّ) لا يعمل فيما قبلَها، فتعيَّن أن تكون ظرفاً للمفعول المحذوف، تأمَّل.

قوله: (﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾) البعثرة ـ بالعين ـ والبَحترة ـ بالحاء ـ: استخراجُ الشَّيء واستكشافُهُ، وعبَّر بـ(ما) تغليباً لغير العاقل.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٤١)، والبيهقي في «شُعَب الإيمان» (٦٢٢٤) من كلام سيدنا ذي النون المصري رحمه الله تعالى.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾

﴿وَحُصِّلَ﴾: بُيِّنَ وأُفرِزَ ﴿مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾: القُلُوبِ مِن الكُفر والإيمانِ، ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾: لَعالِمٌ فيُجازِيهِم على كُفرِهم، ـ أُعِيد الضَّمِير جَمعاً نَظَراً لِمَعنى الإنسانِ، وهذه الجُملةُ دَلَّت على مَفعولِ ﴿يَعْلَمُ﴾ أي: إنَّا نُجازِيه وقتَ ما ذُكر، وتَعلَّق (خَبِير) بِـ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ وهو تَعالى خَبِير دائِماً لِأنَّهُ يومُ المُجازاةِ ـ.

حاشية الصاوي

قوله: (نظراً لِمعنى الإنسان) أي: لأنَّه اسم جنس.

قوله: (دلَّت على مفعول ﴿يَعْلَمُ﴾) أي: المحذوف الذي هو عامِلٌ في (إذا)، والتنوين في (يومئذ) عوضٌ عن جملتين، والتقدير: يومَ إذ بُعثر ما في القبور، وحُصِّل ما في الصدور، وهو يوم القيامة.

قوله: (وقت ما ذُكر) أي: مِن البعثرة وتحصيل ما في الصدور، وأشار بذلك إلى أنَّ (إذ) ظرفيَّة بمعنى (وقت)؛ فلا جواب لها.

قوله: (وتعلق «خبير» بـ﴿يَوْمَئِذٍ﴾... إلخ) جوابٌ عمَّا يُقال: كيف قال ذلك مع أنَّه تعالى خبيرٌ بهم في كلِّ زمنٍ، فأجابَ: بأنَّه أطلق العلم وأراد المجازاةَ، فمعنى قوله: ﴿لَّخَبِيرٌ﴾: أنَّه يُجازيهم، ولا شكَّ أنَّ الجزاء مُقيَّدٌ بذلك اليوم؛ نظيرَ قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [النساء: ٦٣] أي: يُجازيهم.



﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾ ....



مَكيَّة، ثمان آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(﴿١﴾ - ﴿٣﴾) ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ أي: القِيامةُ التي تَقرَعُ القُلُوب بِأهوالِها، ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ ـ تهوِيلٌ لِشَأنِها، ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ القَارِعَةِ

مناسبتُها لما قبلَها: أنَّه تعالى لمَّا ذكر بعثرةَ القبورِ، وختمَ السورةَ المتقدِّمةَ بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾.. أتبَعه بأحوال القيامة، كأنَّه قيل: وما ذلك اليوم؟ فقيل: هو القارعة.

قوله: (ثمان آيات) هذا أحدُ أقوال، وقيل: عشر، وقيل: إحدَى عشرة آيةً[1].

قوله: (﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾) هي في الأصل: الصَّوت الشديد، سمِّيت القيامة بذلك؛ لأنَّها تَقرع القلوب بالفزع والشَّدائد، وعليه درَج المفسِّر، وقيل: لأنَّ إسرافيل يَقرع الصور بالنَّفخ، فإذا نفخ النَّفخة الأولى.. مات جميع الخلائق، وبالثانية يَحْيَوْنَ.

قوله: (التي تَقرع القلوب) أي: تفزعها، ولا مفهوم للقلوب، بل تُؤثِّر في الأجرام العظيمة؛ فتؤثِّر في السَّماوات بالانشقاق، وفي الأرض بالتَّبديل، وفي الجبال بالدَّك والنَّسف، وفي الكواكب بالانتشار، وفي الشَّمس والقمر بالتكوير، وغير ذلك.

قوله: (تهويلٌ لشأنها) أي: وتأكيدٌ لِفظاعتها بكونها خارجةً عن دائرة عِلم الخلائق، وفي كلام المفسِّر إشارةٌ إلى أنَّ (ما) الاستفهاميَّةَ فيها معنى التَّعظيم والتَّعجب.

---

(١) في «البيان في عدِّ آيِ القرآن» (ص٢٨٥): (هي ثماني آيات في البصري والشامي، وعشرٌ في المدنيين والمكي، وإحدى عشرة في الكوفي، اختِلافها ثلاث آيات: ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ الأُولى عدَّها الكوفي ولم يَعُدَّها الباقون، ﴿ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾، و﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ لم يَعُدَّهما البصري والشامي، وعدَّهما الباقُون).

وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ﴿٤﴾ ....

﴿مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ زِيادةُ تَهويلٍ لَها ـ و(ما) الأُولى مُبتَدأ وما بَعدها خَبَرُه، و(ما) الثَّانية وخَبَرُها في مَحلِّ المَفعولِ الثَّاني لـ(أدرى) ـ. ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾: أعلَمَكَ ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾ ـ وهُما مُبتَدأ وخَبر، خَبَرُ

(﴿٤﴾ ـ ﴿٥﴾) ﴿يَوۡمَ﴾ ـ ناصِبُه دلَّ علَيهِ ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾ أي: تَقرَع ـ ﴿يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾: كغَوغاءِ الجَراد المُنتَشِر يَمُوج بَعضُهم في بَعضٍ لِلحَيرةِ إلى أن يُدعَوا لِلحِساب، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وهما مبتدأ وخبرٌ) المبتدأ هو ﴿مَا﴾ الاستفهاميَّة، والخبر: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾، وقوله: (لـ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾) أي: الأُولى الواقعة مبتدأ، والرَّابط إعادةُ المبتدأ بلفظِهِ.

قوله: (زيادة تهويلٍ لها) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهامَ الثاني ـ وهو قوله: ﴿مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ ـ للتَّهويل والتَّعظيم، وأمَّا الأوَّل وهو ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾. . فهو إنكاريٌّ، والمعنى: أنتَ لا تَعلم هول القارعة؛ لِشدَّته وفظاعتِهِ إلَّا بوحيٍ منَّا، فالمنفيُّ عِلمُهُ من غير وحيٍ.

قوله: (في محلِّ المفعول الثَّاني لـ«أدرى») أي: والكاف مفعولٌ أوَّل.

قوله: (دلَّ عليه ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾) أي: ولا يصحُّ أن يكونَ العامل فيه لفظ ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾ الأوَّل؛ للفصلِ بينهما بالخبر، ولا الثَّاني والثالث؛ لِعدم التئامه معَهُ في المعنى، فتعيَّن أن يكون عاملُهُ محذوفاً، دلَّ عليه لفظ ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾.

قوله: (﴿كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾) أي: ووجهُ الشَّبهِ: الكثرةُ والانتشار، والضَّعف والذلَّة، والاضطرابُ والتَّطاير إلى النَّار، والطَّيش الذي يَلحقهم، وركوبُ بعضهم بعضاً؛ ففي هذا التَّشبيه مبالغاتٌ شتَّى.

قوله: (كغوغاء الجراد) الغَوغاء: الجراد الصَّغير بعد أن يَنبت جناحُهُ، الذي ينتشر في الأرض ولا يَدري أين يتوجَّه، وقيل: هو شيءٌ يُشبه البعوضَ ولا يعضُّ؛ لضعفِهِ، ووجه الجمع بين ما هنا وبين آية ﴿كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ﴾ [القمر: ٧]: أنَّ أوَّل حالهم كالفراش يَقومون من قبورهم مُتحيِّرين لا يَدرُون أين يتوجَّهون، ثمَّ لما يُدْعَون للحساب. . يَكونون كالجراد؛ لأنَّ لها وجهاً تقصده.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ ....

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾: كالصُّوفِ المَندُوف في خِفَّةِ سَيرِها حتَّى تَستَوِيَ مَعَ الأرض.

(﴿٦﴾ - ﴿٧﴾) ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بِأن رَجَحَت حَسَناتُه على سَيِّئاتِه، ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ في الجَنَّة أي: ذاتِ رِضًى، بِأن يَرضاها أي: مَرضِيَّةٍ لَه.

حاشية الصاوي

قوله: (كالصُّوف المَندوف) أي: بعد أن تتفتَّتَ كالرَّمل السَّائل، ثمَّ بعد كونها كالعِهْنِ تصيرُ هباءً مُنبثًّا، فمَراتب الجبال ثلاثة: تَفتُّتها، ثمَّ صيرورتُها كالعِهْنِ، ثمَّ صيرورتُها هباءً منبثًّا، وقوله: (المَندوف) أي: المضروب بالمِنْدَفَةِ، وهي الخشبةُ التي يُطْرَقُ بها الوَتَرُ لِيَرِقَّ. وإنَّما جمع بين حال النَّاسِ وحال الجبال؛ تنبيهاً على أنَّ تلك القارعةَ أثَّرت في الجبال العظيمة الصُّلبة حتَّى تصير كالعِهْنِ المَنفُوشِ مع كونِها غيرَ مُكلَّفةٍ؛ فكيف حالُ الإنسان الضعيف الذي هو مقصودٌ بالتَّكليف والحساب؟!

قوله: (﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾) تفصيلٌ لأحوال النَّاس في ذلك اليوم، والمرادُ بالموازين: الموزونات؛ أي: الأعمال التي تُوزَن.

قوله: (بأن رجحت حسَناته. . . إلخ) أي: وأَوْلَى إذا عُدِمَتْ سيِّئاته ولم يُوجَدْ له إلَّا حسناتٌ.

قوله: (﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾) أي: حياةٍ طيِّبة، وقوله: (في الجنَّة) تفسيرٌ باللَّازم.

قوله: (أي: ذات رضاً) أشار بذلك إلى أنَّ المراد: عيشة مَنسوبة للرضا؛ كـ(لابنٍ) و(تامرٍ)؛ ولذا فسَّرها بقوله: (أي: مَرضية)، وفي نُسخة: (أو مرضيَّة)، فهو إشارةٌ إلى أنَّ الإسناد مجازيٌّ؛ أي: راضٍ صاحبُها بها، فهو مجازٌ عقليٌّ، أو أَطلق اسم الفاعل وأراد اسم المفعول، فهو مجازٌ مُرسلٌ، والمعنى: أنَّ مَنْ رجَحت حسناتُهُ على سيِّئاته. . فهو في حياةٍ طيِّبةٍ في الجنَّة، ورِضاً من الله عليه، وهو مع ذلك راضٍ بما أعطاه له ربُّه، فرَضي الله عنهم، ورضُوا عنه.

قوله: (بأن رجحت سيِّئاته على حسناته) أي: وأَوْلى إذا عُدِمَتْ حسناتُهُ رأساً.

إن قلتَ: إنَّ ظاهر الآية يقتضي أنَّ المؤمنَ العاصيَ إذا زادت سيِّئاته على حسَناتِه تكون أمُّه هاويةً. وأجيب: بأنَّ ذلك لا يدلُّ على خُلودٍ فيها، بل إن عاملَهُ ربُّه بالعدلِ. . أدخلَهُ النَّار بقدر ذنوبِهِ، ثمَّ يخرج منها إلى الجنَّة، فقوله: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ يعني: ابتداءً إن عامَله بالعدل، وهذا ما درَج عليه المفسِّر.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾﴾ ....

(﴿٨﴾ - ﴿١١﴾) ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بِأن رَجَحَت سَيِّئاتُه على حَسَناتِهِ، ﴿فَأُمُّهُۥ﴾: فمَسكَنُه ﴿هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ أي: ما هاوِية، ....

حاشية الصاوي

وقيل: المراد بخفَّة الموازين: خُلُوُّها من الحسنات بالكليَّة، وتلك مَوازين الكفَّار، والمراد بِثِقَل الموازين: خلوُّها من السيِّئات بالكليَّة، أو وُجود سيِّئاتٍ قليلةٍ لا تُوازي الحسنات. وبقي قسمٌ ثالثٌ وهو مَنِ استوَتْ حسناتُهُ وسيِّئاتُهُ، وحكمُهُ: أنَّه يحاسَبُ حساباً يسيراً، ويدخل الجنَّة.

والحاصل: أنَّ مَنْ وُجِدَتْ له حسناتٌ فقط، أو زادَت على سيِّئاته.. فهو في الجنَّة بغير حسابٍ، ومَن استوَتْ حسَناتُهُ وسيِّئاتُهُ.. فهو يُحاسب حساباً يسيراً ويدخل الجنَّة، ومَنْ زادت سيِّئاتُهُ على حسناتِهِ.. فهو تحت المشيئةِ؛ إن شاء الله.. عفا عنه، وإن شاء.. عذَّبه بقَدر جُرْمِهِ، ثمَّ يدخل الجنَّة، ومَنْ وُجِدَتْ له سيِّئاتٌ فقط وهو الكافر.. فمَأواه النَّار خالداً فيها. نسأل الله السَّلامة.

قوله: (فمَسكنه) عبَّر عن المسكن بـ(الأم)؛ لأنَّ أهله يأوُون إليه كما يَأوي الولد إلى أمِّه، فيَضمُّهم إليه كما تضمُّ الأمُّ الأولادَ إليها، وقيل: المراد: أمُّ رأسِهِ، يعني: أنَّهم يهوُونَ في النَّار على رؤُوسهم، وبه قال قتادة.

قوله: (﴿هَاوِيَةٌ﴾) سميت بذلك؛ لغايةِ عُمقِها، وبُعْدِ مهواها. رُوِيَ: «أنَّ أهل النَّار يَهْوُونَ فيها سبعين خريفاً»[1]. فتحصَّل: أنَّ المراد بـ(الهاوية): النَّار بجميع طباقها، ويُطلق على طبقةٍ أسفل يعذَّب فيها المنافقون، فمِثل (لظى) و(الحطمة) و(الهاوية) و(جهنَّم) وبقيَّة أسمائها. تُطْلَقُ عامَّةً وخاصَّةً.

وفي الآية احتباكٌ، حَذَفَ من الأوَّل (فأمُّه الجنَّة)، وذَكَرَ ﴿فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾، وحَذَفَ من هنا (في عيشة ساخطة) وذكر ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾، فحذف من كلٍّ نظيرَ ما أثبَتَه في الآخَر.

قوله: (﴿مَا هِيَهْ﴾) مبتدأ وخبر، والجملة سَدَّت مسدَّ المفعول الثاني لـ﴿أَدْرَىٰكَ﴾، والكاف: مفعوله الأوَّل.

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٥/ ٣٧٥)، وروى الترمذي (٢٥٧٦) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «الصَّعود جبلٌ من نار، يتصعَّد فيه الكافر سبعين خريفاً، ويَهوي فيه كذلك منه أبداً».

﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ١١﴾

هي ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾: شَدِيدةُ الحَرارة ـ وهاءُ ﴿هِيَهْ﴾ لِلسَّكتِ تُثبَت وَصلاً ووَقفاً، وفي قِراءةٍ تُحذَفُ وصلاً ـ.

حاشية الصاوي

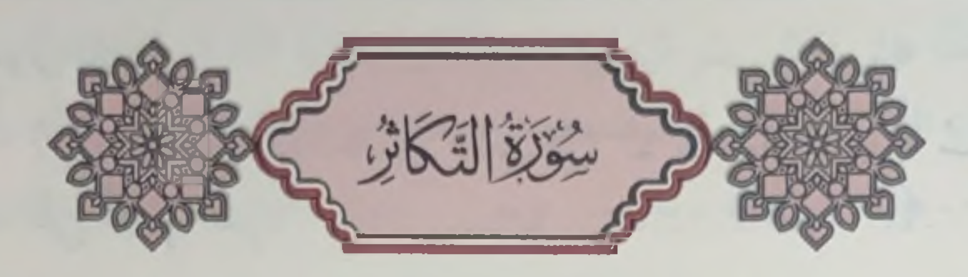
قوله: (هي ﴿نَارٌ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿نَارٌ﴾ خبرٌ لمحذوفٍ.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهما سبعيَّتان[1]، وقوله: (تحذف وصلاً) أي: وتَثبت وقفاً.

✿ ✿ ✿

(١) أثبت الهاء في ﴿مَا هِيَهْ﴾ القُرَّاء كلُّهم إلَّا حمزةَ رحمه الله؛ فإنَّه حذف الهاء وصلاً وأثبتها وقفاً. انظر «الدر المصُون» (٩٦/١١).

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ ....



مَكيَّة، ثمان آيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾: شَغَلَكُم عَن طاعةِ الله ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾: التَّفاخُرُ بِالأموالِ والأولادِ والرِّجال، ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ بِأن مُتُّم فدُفِنتُم فِيها، ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

أي: السورة التي ذُكِرَ فيها ذمُّ التكاثر. ومناسبتُها لما قبلها: أنَّه لما ذكر أهوال القيامة.. ذمَّ اللَّاهين والمشتغِلين عنها.

قوله: (﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾) (ألهى): فعلٌ ماضٍ رباعيٌّ، والكاف: مفعول مقدَّم، و﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾: فاعلٌ مؤخَّر، فالهمزة من بنيَة الكلمة، تثبُت ولو في الدرج، والمعنى: شغَلكم التَّباهي بكثرة الأموال عن عبادة ربِّكم.

والتكاثر: (تَفاعُل) كـ(التجاذُب)، وهو يكون بين اثنين؛ لأنَّ أحد الشخصين المتفاخِرَيْن يقول لِصاحبه: (أنا أكثرُ منك مالاً وأعز نفراً)، و(أل) في (التكاثر) للعهد، وهو التَّكاثرُ في الدنيا ولذَّاتِها وعلائقِها المشغلُ عن حُقوق الله تعالى.

قوله: (عن طاعة الله) هي شاملةٌ للواجبة والمندوبةِ.

قوله: (والرجال) أي: الانتِساب إليهم؛ كالأقرباء، والأحباب.

قوله: (﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾) ﴿حَتَّىٰ﴾: غاية للإلهاء المذكور، وهذا هو مَحَطُّ الذمِّ، وإلَّا؛ فإن تاب من ذلك قبل مَوتِهِ.. قُبِلَ وكأنَّه لم يحصل منه تكاثرٌ.

قوله: (بأن متُّم فدُفنتم فيها) أي: فيُقال: (زار قبره): إذا مات ودُفن، والمعنى: ألهاكم حِرصُكم على تكثيرِ أموالِكم عن طاعة ربِّكم حتَّى أتاكم الموت وأنتُم على ذلك.

﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٤﴾ ....

أو عَدَدتُم المَوتَى تكاثُراً.

(٣ - ٨) ﴿كَلَّا﴾ - رَدع - ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ سُوءَ عاقِبةِ تَفاخُرِكُم عِند النَّزع ثُمَّ في القَبرِ. ....

حاشية الصاوي

ولا يُقال: إنَّ الزيارة تكون ساعةً وتنقضي والميِّت يَمكث في قبره؛ لأنَّا نقول: إنَّ الموتى يَرتحلون من القبور للحساب، فكأنَّ مدَّةَ مكثِهِ في قبره زيارةٌ له. والمقابِر: جمع (مَقبرة) بتثليث الباء، وهي المحلُّ الذي تُدفَنُ فيه الأموات.

قوله: (أو: عدَدتم الموتى) تفسيرٌ ثانٍ للزيارة، فعبَّر عن بُلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر؛ تهكُّماً بهم، وعليه: فزيارة المقابر كنايةٌ عن الانتقال مِن ذكر الأحياء إلى ذكر الأموات تفاخُراً، وإنَّما كان تهكُّماً؛ لأنَّ زيارة القبور شُرِعَتْ لتذكُّرِ الموت، ورفضِ حبِّ الدنيا، وتركِ المباهاةِ والتفاخر، وهؤلاء عكسُوا؛ حيثُ جعلُوا زيارةَ القبور سبباً لمزيد القَساوة والاستغراق في حبِّ الدنيا، والتفاخر في الكثرة. فحاصلُ الوجهين راجعٌ إلى أنَّ المراد بالزيارة: إمَّا الانتقال إلى الموت، أو الانتقالُ من ذكر الأحياء إلى ذكر الأموات وتَعدادِهم والتفاخُرِ بهم، ومن ذلك: ما يفعلُهُ أهلُ زمانِنا؛ من زَخرفة النعوش والقبور وما يتبع ذلك ممَّا هو مذمومٌ شرعاً وطبعاً، وأمَّا ذكرُ مكارم الأخلاق والطاعات.. فيَجوز؛ إن لم يكن على وجه العجب، بل على سَبيل التحدُّث بالنِّعَم، أو ليُقتدى به.

قوله: (ردعٌ) مشى المفسِّر على أنَّ ﴿كَلَّا﴾ الأولى والثانية حرفُ ردع، والثالثة بمعنى (حقًّا)، ومشى غيره على التسوية بين الثلاثة، فهي فيها إمَّا للردع، أو بمعنى (حقًّا)، وقيل: إنَّها في الثلاثة بمعنى (ألا) الاستفتاحيَّةِ.

قوله: (عند النزع ثمَّ في القبر) لفٌّ ونشرٌ مرتَّبٌ، فقوله: (عند النزع) راجعٌ لقوله: ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ الأول، وقوله: (ثمَّ في القبر) راجعٌ للثاني، و(ثمَّ) على بابها من المُهلة، وهذا قول علي بن أبي طالب، والحكمة في حذف متعلَّق العِلم من الأفعال الثلاثة: أنَّ الغرض هو الفعل لا مُتعلَّقه، والعلم بمعنى: المعرفة، فيتعدَّى لمفعول واحد، أشار له المفسِّر بقوله: (سوء عاقبة تَفاخركم).

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ . . . .

﴿كَلَّا﴾: حقًّا ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾: عِلماً يَقِيناً عاقِبةَ التَّفاخُر ما اشتَغلتُم بِه، ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾: النَّارَ ـ جَواب قَسَم مَحذُوف، وحُذف مِنهُ لامُ الفِعل وعَينُه وأُلقِيَ حَركتُها على الراء ـ ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ ـ تَأكِيد ـ ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ ـ مَصدر لِأنَّ (رَأى) وعايَنَ بِمَعنًى واحِد ـ . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (أي: علماً يقينيًا) أشار بذلك إلى أنَّ إضافة (العلم) إلى (اليقين) من إضافة الموصوف إلى صفته، والمعنى: لو تعلمون ما بين أيديكم علماً يَقيناً. . ما شغَلكم التَّكاثر عن طاعة الله.

قوله: (عاقبة التفاخُر) بيان لمفعول العِلم، وقوله: (ما اشتغلتم به) جواب ﴿لَوْ﴾.

قوله: (جواب قسَم محذوف) أي: ولا يصحُّ أن يكون جواباً لـ(لو)؛ لأنَّه محقَّق الوقوع، فلا يصحُّ تَعليقه. والرؤية هنا بصريَّة تتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ.

قوله: (وحذف منه لامَ الفعل) أي: وهي الياء، وقوله: (وعينَهُ) أي: وهو الهمزة؛ لأنَّ أصله (ترأيون) على وزن (تَفعَلون)، نُقلت حركة الهمزة للراء قبلها، فسقطت الهمزة، وتحرَّكت الياء وانفتحَ ما قبلَها، قلبت ألفاً، فالتقى ساكنان، حُذفت الألف لالتقاء الساكنين، ثمَّ دخلت نون التوكيد الثقيلة، فحذفت نون الرفع؛ لِتوالي الأمثال، وحُرِّكت الواو بالضمة لالتقاء الساكنين، ولم تحذف؛ لعدم الدليل الذي يدلُّ عليها.

قوله: (تأكيدٌ) هذا أحد قولَين، والآخر: أنَّ الأوَّل هو رؤية اللَّهب، والثَّاني هو رؤيةُ ذاتِها، وما فيها من أنواع العقاب.

قوله: (﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾) صفةٌ لمصدرٍ محذوفٍ؛ أي: لَتَرَوُنَّها رؤيةً هي عينُ اليقينِ، ووصفت الرؤيةُ التي هي سبب اليقين بكونها نفسَ اليقين؛ مُبالغةً.

والفرق بين (علم اليقين) و(عين اليقين): أنَّ عِلم اليقين هو: إدراك الشيء من غير مُشاهدة، وعين اليقين هو: العِلم به مع المشاهدة، وأمَّا حقُّ اليقين. . فهو المشاهدة مع الملاصقة والممازجة، وقد أخبر الله هنا بالأوَّلَين، وأخبر بالثالث في سورة (الواقعة) حيث قال: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ. . .﴾ [الواقعة: ٩٢] الآية[1].

---

(١) تمامها: ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾.

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ - حُذِف مِنهُ نُون الرَّفع لِتوالِي النُّوناتِ، وواوُ ضَمِير الجَمع لِالتِقاء السَّاكِنَين - ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يَومَ رُؤيَتِها ﴿عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾: ما يُلتَذُّ بِه في الدُّنيا من الصِّحة والفَراغ والأمنِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ﴾) الأظهَرُ: أنَّ الخطاب للكفَّار؛ لأنَّهم هم المشتغلون بالدُّنيا والتَّفاخرِ بلذَّاتها عن طاعة الله تعالى.

وقيل: هو عامٌّ في حقِّ المؤمنِ والكافرِ؛ فعن أنسٍ: أنَّه لما نزلت الآية.. قام رجلٌ أعرابيٌّ محتاجٌ، فقال: هل عليَّ من النِّعم شيءٌ؟ فقال له رسول الله ﷺ: «الظلُّ، والنَّعلان، والماء البارد»[1].

والأَولى أن يُقال: السؤال يَعُمُّ المؤمنَ والكافرَ، لكِنْ سؤالُ الكافر توبيخٌ وتقريعٌ؛ لِتركه الشكرَ، وسؤالُ المؤمن تشريفٌ، وإظهارٌ لِفَضله، وتبشيرٌ بأن يجمعَ له بين نعيم الدنيا والآخرة.

و(ثمَّ) على بابها من الترتيب المعنوي؛ لأنَّهم يَرَون النَّار في الموقف تُحدِق بهم، ثمَّ يذهبون للحساب، فيُسْأَلُونَ.

قوله: (حُذفت منه نون الرفع) أي: فأصلُه: (تسألونَّ) حذفت نون الرفع؛ لِتَوالي النونات، فالتقى ساكنان، حُذفت الواو؛ لالتقائهما، وبَقِيَت الضمَّة دليلاً عليها.

قوله: (﴿عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾) أي: عن جميع أفرادِه وأنواعه، فـ(أل) للاستغراق.

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦١٩) لابن مردوَيه، وانظر «تفسير الرازي» (٣٢/ ٢٧٤). وأشهَرُ الأخبار في هذا: ما رواه مسلم (٢٠٣٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذاتَ يوم، أو ليلة؛ فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «ما أخرَجكما من بُيوتكما هذه الساعة؟» قالا: الجوع يا رسول الله، قال: «وأنا، والذي نفسي بيَدِه، لأخرجني الذي أخرجكما، قومُوا»، فقاموا معه، فأتى رجلاً من الأنصار؛ فإذا هو ليس في بَيته، فلمَّا رأته المرأة.. قالت: مرحباً وأهلاً، فقال لها رسول الله ﷺ: «أين فُلان؟» قالت: ذهب يَستعذب لنا من الماء؛ إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبَيه، ثمَّ قال: الحمد لله ما أحدٌ اليوم أكرَم أضيافاً منِّي، قال: فانطَلق، فجاءهم بعذق فيه بُسرٌ وتمرٌ ورطبٌ، فقال: كلُوا من هذه، وأخذ المُدية، فقال له رسول الله ﷺ: «إياكَ والحَلُوب»، فذبَح لهم، فأكلُوا من الشاة ومِن ذلك العذق، وشربُوا، فلمَّا أن شبعُوا ورَوُوا.. قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيَدِه؛ لَتُسألنَّ عن هذا النعيم يوم القيامة؛ أخرَجكم من بيوتكم الجوع، ثمَّ لم ترجعُوا حتَّى أصابَكم هذا النعيم».

والمَطعَمِ والمَشرَب وغيرِ ذلك.

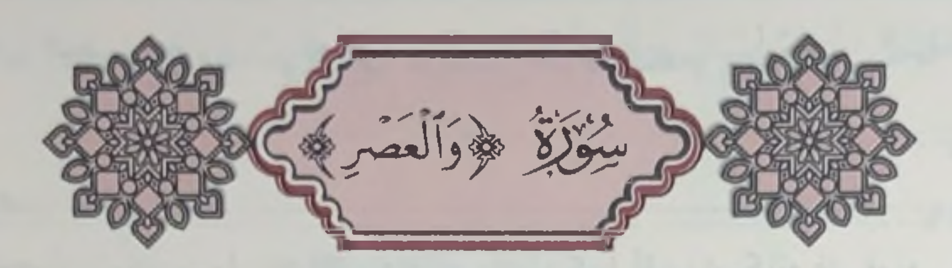
حاشية الصاوي

قوله: (وغير ذلك) أي: كظِلال المساكن والأشجار، والأخبِية التي تقي من الحرِّ والبرد، والماء البارد، وكحل العين، ولبس الإنسان ثوبَ أخِيه، وشبع البطن، ولَذة النَّوم، والعافية، ونحو ذلك ممَّا لا يحصى عدداً. روى الحاكم والبيهقي: «ألا يَستطيع أحدُكم أن يقرأَ ألفَ آية في كل يوم؟» قالُوا: ومن يستطيع أن يقرَأ ألف آية؟ قال: «أما يَستطيع أحدكم أن يقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾؟»[1].

✿ ✿ ✿

(١) «المستدرك» (١/٥٦٦)، و«شُعب الإيمان» (٢٢٨٧) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما.

﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾ . . . .



مَكيَّة أو مدنيَّة، ثلاثُ آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(﴿١﴾ - ﴿٣﴾) ﴿وَالْعَصْرِ﴾: الدَّهر، أو ما بعدَ الزَّوال إلى الغُرُوب أو صَلاةِ العَصر،

حاشية الصاوي

سُورَةُ العَصْرِ

(مكيَّة) أي: في قول ابن عبَّاس والجمهور، وقوله: (أو مدنيَّة) أي: في قول قتادة، ونُقِلَ عن ابن عبَّاس أيضاً.

قوله: (ثلاث آيات) هذه السورة و(الكوثر) أقصَرُ سُوَر القرآن، وهما وإن كانتا من جِهة الألفاظ قليلتَين.. فمعناهما كثيرٌ لا يَقِف عند حدٍّ.

قوله: (﴿وَالْعَصْرِ﴾) قسَمٌ من الله تعالى، وجوابه قوله: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾.

قوله: (الدهر... إلخ) هذا أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرها المفسِّر في معنى العصر، ووجه قَسَمِهِ بالدَّهر: أنَّه يَحصل فيه السراء والضراء، والصحةُ والسقَم، والغنى والفقر ونحو ذلك، ولأنَّ العمر لا يُقاوم بشيءٍ؛ فلو ضيَّعت ألفَ سنةٍ فيما لا يعني ثمَّ ثبتَت السعادة في اللمحة الأخيرة.. بقيتَ في الجنَّة أبد الآباد، فكان أشرفَ الأشياءِ حياتُك في تلك اللمحة، ولأنَّ الدَّهر والزمان من جُملة أصول النِّعم، وقوله: (أو: ما بعد الزوال إلى الغروب) أي: ووجه القسَمِ به: أنَّ فيه العجائب، وأيضاً: يدرك المقصِّر فيه ما فاته أوَّل النَّهار، وقوله: (أو: صلاة العصر) أي: فأقسَم بها؛ لِشَرفها، ولأنَّها الصَّلاةُ الوسطى في قولٍ؛ بدليل ما في مُصحف عائشة وحفصة: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر)[1]، ولِما وردَ: «مَن فاتَتْهُ صلاة العصر.. فكأنَّما وُتِرَ أهلَهُ ومالَهُ»[2].

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٨٧)، والترمذي (٢٩٨٢)، وفيه: (والصلاة الوُسطى وصلاة العصر).

(٢) رواه مسلم (٦٢٦) عن سيدنا ابن عمرَ رضي الله عنهما.

إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ....

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ : الجِنس ﴿لَفِى خُسْرٍ﴾ في تِجارتِه ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ فلَيسُوا في خُسرانٍ، ....

حاشية الصاوي

وقيل: العصرُ: زمانُ رسول الله ﷺ، فأقسَم بزمانه كما أقسم بمكانِهِ في قوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ١]، وبعُمره في قوله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]؛ ففيه تنبيهٌ على أنَّ عصرَهُ أفضل العصور، وبلدَه أفضل البلاد، وحياتَه أفضَلُ من حياة غيره.

وقيل: العصر: زمانُهُ وزمانُ أُمَّته؛ لأنَّه خِتام العصور، وأفضلها، وفيه ظهورُ السَّاعة وعجائبِها.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾) مشى المفسِّر على أنَّ المراد بـ(الإنسان): الجنسُ الشَّامل لِلمسلم والكافر؛ وذلك لأنَّ الإنسان لا يَنفَكُّ عن خسرانٍ؛ لأنَّ الخسران هو تَضييع العمر؛ فإنَّ كلَّ ساعة تمرُّ من عمرِ الإنسان؛ إمَّا أن تكون تلك الساعة في طاعةٍ أو معصيةٍ، فإن كانَت في معصية.. فهو الخُسران المبين، وإن كانت في طاعةٍ.. فلعلَّ غيرها أفضَلُ وهو قادرٌ عليه، فكان فعلُ غير الأفضل تضييعاً وخسراناً.

وأيضاً: ربحُ الإنسان في طلب الآخرة وحبِّها، والإعراضِ عن الدنيا، فلمَّا كانت الأسباب الدَّاعية إلى الآخرة خفيَّةً، والأسبابُ الدَّاعية إلى حبِّ الدنيا ظاهرةً، وكثر اشتغالُ النَّاس بحبِّ الظاهر.. كانُوا في خسار وبوارٍ، قد أهلكوا أنفسَهم بِتَضييع أعمارهم فيما لم يُخلَقوا له.

وقوله: (﴿لَفِى خُسْرٍ﴾) أي: غبنٍ، وقيل: هلكةٍ، وقيل: عقوبةٍ، وقيل: شرٌّ، وقيل: نقصٍ، والمعنى مُتقارب، وقيل: المراد بالإنسان: الكافر؛ بدليل استثناء المؤمنين بعدُ، وخسرانُه ظاهرٌ.

قوله: (﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) الاستثناء مُتَّصل إن أُريد بالإنسان الجنسُ، وأمَّا إن أُريد به خصوص الكافر.. فهو منقطعٌ؛ لأنَّ المؤمنين لم يَدخلوا في عُموم الخسران.

قوله: (﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾) أي: امتثلوا المأمورات، واجتنبوا المنهيَّات.

واعلم: أنَّه سبحانه وتعالى حكم بالخُسران على جميع النَّاس إلَّا مَنْ أتى بهذه الأشياء الأربعة، وهي الإيمان، والعمل الصالح، والتَّواصي بالحقِّ، والتَّواصي بالصَّبر.

والحكمة في ذلك: أنَّ هذه الأمورَ اشتملت على ما يخصُّ الإنسان في نفسِهِ، وهو الإيمان، والعمل الصالح، وما يَخُصُّ غيرَه، وهو التَّواصي بالحقِّ، والتواصي بالصبر، فإذا جمَع ذلك.. فقد قام بحقِّ الله، وحقِّ عبادِهِ.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾

﴿وَتَوَاصَوْاْ﴾: أوصَى بَعضُهم بَعضاً ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: الإيمانِ، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ على الطاعةِ وعنِ المَعصِيَة.

حاشية الصاوي

قوله: (أوصى بعضُهم بعضاً) أشار بذلك أنَّ ﴿وَتَوَاصَوْاْ﴾ فعلٌ ماضٍ، لا فعلُ أمرٍ.

قوله: (أي: الإيمان) أي: وفرُوعه؛ من الطَّاعة، واتِّباع السَّلف الصالح، والزُّهد في الدنيا، والرَّغبة في الآخرة، ونحوِ ذلك.

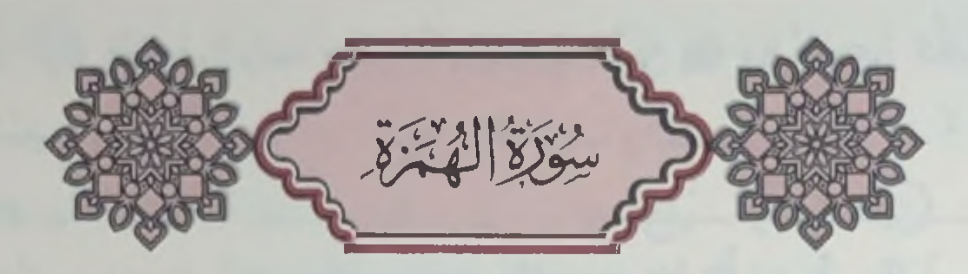
قوله: (﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾) كرَّر الفعل؛ لاختلاف المفعولين، والصبرُ وإن كان داخلاً في عموم الحقِّ إلَّا أنَّه أفرده بالذِّكر؛ اعتناءً بشأنه؛ لِما فيه من زيادة حَبس النفس، والرضا بأحكام الربوبيَّة.

قوله: (على الطاعة، وعن المعصية) أي: وعلى البَلايا والمصائب، وهذا ما ذكره المفسِّر.

وقيل: المعنى: إنَّ الإنسان إذا عُمِّر في الدنيا وهَرِمَ.. لفي نَقصٍ وتراجعٍ حسًّا ومعنًى، إلَّا الذين آمنوا؛ فإنَّ الله يَكتب أجورهم، ومحاسنَ أعمالهم التي كانوا يَعملُونها في شَبابهم وصحَّتهم؛ فإنَّهم وإن ضَعُفت أجسامهم لا يَنقصون معنى، وعلى هذا المعنى: فتكون هذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤-٦].

✿ ✿ ✿

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ ....



مَكيَّة أو مدنيَّة، تِسعُ آيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿وَيْلٌ﴾: كلِمة عَذاب أو وادٍ في جَهنَّمَ ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ أي: كثير

حاشية الصاوي

سُورَةُ الهُمَزَةِ

مناسبتُها لما قبلَها: أنَّه لمَّا قال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾.. بيَّن في هذه حالَ الخاسرين وما لهم.

قوله: (كلمة عذاب) أي: كلمةٌ يُطلَبُ بها العذابُ، ويُدْعَى بها، وعلى هذا: فتكون الجملة إنشائيَّةً، سوَّغ الابتداء بها مع كونِها نكرةً قصدُ الدُّعاء عليهم بالهلكة.

إن قُلت: كيف يَدعو الله بذلك مع أنَّه هو المنشئ للأفعال كلِّها؟

أُجيب: بأنَّه طلب من نَفسه إلحاق الويل لهم؛ إظهاراً لآثار غضبِهِ كما يَفعل الغضبان بمَن غضب عليه، وتقدَّم ذلك.

قوله: (أو: وادٍ في جهنَّم) «أو»: لِتَنويع الخلاف، وعلى هذا: فالجملة خبريَّةٌ، ويكون (ويل) حينئذٍ معرفةً؛ لكونه علماً.

قوله: (﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾) الهمز في الأصل: الكسر، واللَّمز: الطَّعنُ الحِسِّيَّانِ، ثمَّ خُصَّا بالكسر لأعراض النَّاس والطَّعن فيهم، والتاء فيهما: لِلمبالغة في الوصف، واطَّرد بناءُ (فُعَلَة) بضمِّ الفاء، وفتح العين لِمُبالغة الفاعل؛ أي: المُكثر من الفعل، وإذا سكِّنت العين.. يكون لِمُبالغة المفعول، يقال: (رجلٌ لُعَنَةٌ) بفتح العين: لِمَن كان يُكثر لَعْنَ غيرِهِ، و: (لُعْنَةٌ) بسكون العين: إذا كان ملعوناً للنَّاس. و(الهَمْزُ) كـ(اللَّمزِ) وزناً ومعنًى، وبابه: (ضَرَبَ).

ٱلَّذِى جَمَعَ ....

الهَمز واللَّمز أي: الغِيبة، نَزلت فِيمَن كان يَغتابُ النَّبيَّ ﷺ والمُؤمِنين كأُمَيَّة بن خَلَف والوَلِيد بن المُغيرةِ وغَيرِهما، ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ﴾ ـ بِالتَّخفِيف والتَّشدِيد ـ ....

حاشية الصاوي

قال ابن عبَّاس: (هم المشَّاؤون بالنَّميمة، المفرِّقون بين الأحبَّة، الباغُون العيب للبريء)[١]، وقال ﷺ: «**شرُّ عباد الله المشَّاؤون بالنَّميمة، المفسدون بين الأحبَّة، الباغون للبُرآء العيبَ**»[٢]، وعلى هذا القول: فـ(اللُّمزة) تأكيدٌ لـ(الهُمَزة) مِن باب: التَّأكيد بالمرادف؛ كقَولهم: (حَسَنٌ بَسَنٌ، وعفريتٌ نِفريتٌ).

وقيل: إنَّ معناهما مختلفٌ؛ فقال مُقاتل: (الهُمزة: الذي يَعيبك في الغيب، واللُّمزة: الذي يَعيبك في الوجه)[٣]، وقيل بالعكس، وقيل: الهُمَزة: الذي يَهمز النَّاس بيده ويَضربُهم، واللُّمزة: الذي يَلمزهم بلسانه ويَعيبهم، وقيل: الهَمْز: باللسان، واللَّمز بالعين، وقيل: الهُمَزة: الذي يؤذي جليسَهُ بسوءِ اللَّفظ، واللُّمزة: الذي يكسرُ عينَهُ، ويُشير برأسه، ويَرمزُ بحاجبه، وهذه الأقوال كلُّها ترجع إلى الطعن، وإظهارِ العيب، فيَدخل في ذلك مَنْ يحاكي النَّاسَ في أقوالِهم وأفعالِهم وأصواتِهم؛ لِيَضحكوا منه.

قوله: (وغيرهما) أي: كالأخنس بن شُريقٍ، والعاص بن وائل السَّهميِّ، وجميل بن مَعمر، والعبرة بعموم اللَّفظ، لا بخصوص السَّبب، فهذا وعيدٌ لمن يغتاب المسلمين، ولا سيَّما العلماء والصلحاء، ولكن يُقال: هو مخلَّدٌ في النَّار إن مات كافراً، وإلَّا.. فهو تحت المشيئة.

قوله: (﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾) بدلُ كلٍّ من كلٍّ.

قوله: (بالتَّخفيف والتَّشديد) أي: فهما سبعيَّتان، فقراءة التشديد تُفيد التَّفانيَ والمبالغةَ في الجمعِ، بخلاف قراءة التَّخفيف[٤]. ونكَّر ﴿مَالًا﴾ للتَّعظيم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٩٦).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٢٣) عن سيدتنا أسماءَ بنت يزيد رضي الله عنها، وفيه: (العنتَ) بدل (العيب).

(٣) أوردَه العلامة الخطيب في «السراج المنير» (٤/ ٥٨٥).

(٤) قرأ الأخوان ـ حمزة والكسائي ـ وابنُ عامر بتشديدِ الميم على المبالَغة والتكثير، ولأنَّه يُوافق (عدَّده)، والباقون بالتخفيف، وهي مُحتمِلة للتكثير وعَدَمِه. انظر «الدر المصون» (١١/ ١٠٦).

مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ ......

﴿مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾: أحصاهُ وجَعَلهُ عُدَّةً لِحَوادِثِ الدَّهر، ﴿يَحْسَبُ﴾ لِجَهلِه ﴿أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾: جَعَله خالِداً لا يَموتُ.

(﴿٤﴾ - ﴿٧﴾) ﴿كَلَّا﴾ - رَدع - ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ - جَواب قَسَم مَحذُوف - أي: لَيُطرَحَنَّ ﴿فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ التي تُحَطِّم كُلَّ ما أُلقِيَ فيها، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾: أعلَمَك ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾) العامَّة على تشديد الدَّال الأولى، وقرئ شذوذاً بتخفيفها[١]، والضَّميرُ إمَّا عائدٌ على المال، والتَّقدير: (وجمع عَدَدَهُ)؛ أي: أحصاه وعَلِمَهُ، أو عائدٌ على نفسِهِ، والمعنى: جمع مالاً وجمَع عَدَدَ نفسِهِ؛ من عشيرته وأقاربِه، وعلى هذين الوجهين: فـ(عَدَدَهُ) اسمٌ معطوف على (مالاً)، ويحتمل أنَّ (عَدَدَ): فعلٌ ماضٍ بمعنى: عدَّه إلَّا أنَّه غيرُ مُدغَم.

قوله: (وجعله عدَّة) الواو بمعنى (أو)؛ لأنَّهما تَفسيران، فعلى الأول: هو مأخوذٌ من العدِّ، وعلى الثاني: من العُدَّة بمعنى: الاستِعداد والادِّخار لحوادث الزَّمن.

قوله: (﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ﴾... إلخ) إمَّا مستأنفٌ واقعٌ في جوابِ سؤالٍ مقدَّر، كأنَّه قيل: ما بال يجمع المال ويَهتَمُّ به؟ أو: حالٌ من فاعل ﴿جَمَعَ﴾.

قوله: (﴿أَخْلَدَهُۥ﴾) هو ماضٍ معناه المضارع؛ أي: يظنُّ لجهلِهِ أنَّ مالَه يُوصِلُهُ إلى رُتبة الخلود في الدُّنيا، فيصير خالداً فيها ولا يموت، أو يَعملُ مِن تَشييد البنيان، وغرسِ الأشجار، وعِمارة الأرض، عَمَلَ مَنْ ظنَّ أنَّ مالَهُ أبقاه حيًّا.

قوله: (ردعٌ) أي: عن حُسبانِهِ المذكورِ، فالمعنى: ليس الأمر كما يظنُّ أنَّ المال أخلَده، وقيل: إنَّ ﴿كَلَّا﴾ بمعنى (حقًّا).

قوله: (التي تَحطم) أي: تكسر؛ ففي (الحطمة) مماثلةٌ لعمله لفظاً ومعنًى؛ لأنَّها بوزن (هُمَزة) و(لُمَزة)[٢].

قوله: (﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾) استفهامٌ إنكاريٌّ بمعنى النَّفي؛ أي: لم تَعلم قَدْرَ هولِها وعظمَهُ إلَّا بالوحي من ربِّك.

---

(١) وبالتخفيف قرَأ الحسَن والكلبي. انظر المرجع السابق.

(٢) أي: وفيهما كسرٌ كما في (الحطمة) كسرٌ كذلك.

مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩

﴿مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ﴾: المُسَعَّرة، ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ﴾: تُشرِف ﴿عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾: القُلُوبِ فتُحرِقها، وألَمها أشَدُّ مِن أَلَم غَيرِها لِلُطفِها.

(٨ - ٩) ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم﴾ - جَمَعَ الضَّمِير رِعاية لِمَعنى (كُلٍّ) - ﴿مُّؤۡصَدَةٞ﴾ - بالهمزِ وبالواوِ بَدَله -: مُطبَقَةٌ، ﴿فِي عَمَدٖ﴾ - بِضَمِّ الحَرفَينِ وبِفَتحِهِما - ﴿مُّمَدَّدَةِۭ﴾ - صِفة لِما قبلَه، فتكونُ النار داخِلَ العُمُد -.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾) الإضافةُ للتَّفخيم والتَّعظيم.

قوله: (المُسعرة) بالتَّخفيف والتشديد؛ أي: المهيَّجة، الشَّديدة اللَّهب، التي لا تخمد أبداً.

قوله: (﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾) أي: تَغشاها وتحيط بها، وخصَّ (الأفئدة) بالذِّكر؛ لكونها ألطفَ ما في الجسد، وأشدَّه تألماً بأدنى عذابٍ، أو لأنَّها محلُّ العقائد الزائغة، والنيَّات الخبيثة، فهي منشأ الأعمال السيِّئة.

قوله: (وألمُها) أي: القلوبِ، والمعنى: تألُّمُها أشدُّ من تألُّم غيرِها من بقيَّة البدن، ومن المعلوم: أنَّ الألم إذا وَصل إلى الفؤاد.. مات صاحبه، فهُم في حال مَنْ يموت وهم لا يَموتون، قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ [طه: ٧٤]، قال محمَّد بن كعب: (تأكل النَّار جميع ما في أجسادهم حتَّى إذا بلَغت إلى الفؤاد.. خلقُوا خلقاً جديداً، فتَرجع تأكلهم... وهكذا)[١].

قوله: (بالهمز وبالواو) أي: فهما سبعيَّتان[٢].

قوله: (بضمِّ الحرفين، وبفتحهما) أي: فهُما سبعيَّتان، وقرئ شذوذاً: بضمٍّ فسكونٍ، وهو تخفيفٌ للقراءة الأُولى[٣]؛ فعلى الضَّمِّ: يكون جمع (عَمُود) كـ(رَسُول ورُسل)، وقيل: هو جمع (عِماد) كـ(كِتاب وكُتب)، وعلى الفتح: يكون اسم جمع لـ(عَمُود)، وقيل: هو جمعٌ له، و(في) بمعنى

---

(١) أورده القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٨٥).

(٢) قرأ أبو عمرو وحمزةُ وحفص بالهمز، والباقُون بالواو. انظر «الدر المصون» (١١/ ١١).

(٣) قرأ الأخوان وأبو بكر بضمَّتين، ورُوي عن أبي عمرو الضَّمُّ والسكون، والباقون بفتحتَين. انظر «الدر المصون» (١١/ ١٠٨).

. . . .

حاشية الصاوي

الباء؛ أي: مُؤصدة بعمدٍ ممدودةٍ؛ لما وردَ عن النبي ﷺ: «إنَّ الله يبعث إليهم ملائكةً بأطباقٍ من نارٍ، ومساميرَ من نارٍ، وعمدٍ من نارٍ، فتُطبق عليهم بتلك الأطباق، وتشدُّ بتلك المسامير، وتُمَدُّ بتلك العمد؛ فلا يبقى فيها خلَلٌ يدخل فيه روح، ولا يخرج منه غَمٌّ، ويَنساهم الرَّحمن على عرشه ـ أي: يَحجبهم عن رحمته ـ ويتشاغل أهل الجنَّة بنعيمهم، ولا يَستغيثون بعدها، وينقطع الكلام، فيكونُ كلامُهم زفيراً وشهيقاً، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾»[1].

وقيل: إنَّ النَّار داخِل العمد، وهُم داخله، ويُطبق عليهم، وعليه درَج المفسِّر، وقيل: المعنى: يُعذَّبون بعمدٍ، وقيل: العمد: الأغلال في أعناقهم، وقيل: القُيود في أرجلهم، وقيل: معنى (عمد ممدَّدة): دهرٌ مؤبَّدٌ لا آخر له.

✿ ✿ ✿

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نَوادر الأصول» (٣/ ١٤٣) عن سيدنا أبي هريرة ﷺ.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ١﴾ ....



سُورَةُ الفِيلِ

مَكيَّة، خمسُ آيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ - استِفهام تَعجيبٍ - أي: اعجَب ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ هو مَحمُود وأصحابُه أبرَهةُ ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الفِيلِ

قوله: (﴿أَلَمْ تَرَ﴾) الخطابُ لرسول الله ﷺ، والرُّؤية علميَّة، لا بصريَّة؛ لأنَّه لم يكن وقتَ الواقعةِ موجوداً.

قوله: (استفهام تعجيب) أي: وتقريرٍ، والمعنى: أَقِرَّ بأنَّك علمتَ قصَّة الفيل. وحُذفت الألف في (ترَ) للجازم.

قوله: (﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾) ﴿كَيْفَ﴾: مُعلِّقة للرؤية، منصوبةٌ على المصدر بالفعل بعدها، و﴿رَبُّكَ﴾: فاعل، والتقدير: أيَّ فعلٍ فعلَهُ، والجملةُ سدَّت مسَدَّ مفعولي ﴿تَرَ﴾، ولا يصحُّ نصبُها على الحال من الفاعل؛ لأنَّه يَلزم عليه وصفُهُ تعالى بالكيفيَّةِ، وهو غيرُ جائزٍ[1].

قوله: (هو محمود) أي: وهو الذي برَك، وضربَوه في رأسه، وكان معَهُ اثنا عشر فيلاً، وقيل: ثمانية عشر، وقيل: ألف، وأفرَد (الفيل)؛ إمَّا موافقةً لرؤوس الآي، أو لكونِهِ نسبَةً إلى الفيل الأعظَم الذي يقال له: محمود.

قوله: (أبرهةُ) بفتح الهمزة، وسكون الموحدة، وفتح الراء، واسمه: الأشرَم، سمِّي بذلك؛ لأنَّ أباه ضرَبه بحربةٍ، فشرم أنفه وجبينَهُ، وكان نصرانيًّا.

---

(١) انظر «مغني اللبيب» (ص٢٧٢).

مَلِك اليَمَن وجَيشُه، بَنَى بِصَنعاء ....

حاشية الصاوي

قوله: (ملك اليمن) بدل من (أبرهة)، وكان من قِبَلِ النَّجاشيِّ ملكِ الحبشة، وكان جيشُ أبرهةَ ستِّين ألفاً، وقوله: (وجَيشُهُ) معطوف على (أبرهةُ).

قوله: (بنى بصنعاء كنيسةً... إلخ) شروعٌ في بَيان قصَّة أصحاب الفيل.

وحاصلُ تَفصيلها على ما ذكره محمَّد بن إسحاق عن سعيد بن جبير، وعِكرمة عن ابن عبَّاس: أنَّ النجاشيَّ ملكَ الحبشةِ ـ وهو أصحَمة جدُّ النجاشيِّ الذي آمنَ بالنبي ﷺ ـ كان بعث أبرهةَ أميراً على اليمن، فأقام به، واستقامت له الكلمة هناك، ثمَّ إنَّه رأى النَّاس يتجهَّزون أيَّام الموسم إلى مكَّة؛ لحجِّ بيت الله عزَّ وجلَّ، فحسَد العرب على ذلك، ثمَّ بنى كنيسةً بصنعاءَ، وكتب إلى النَّجاشي: (إنِّي قد بنيتُ لك بصنعاء كنيسةً لم يُبْنَ لملكٍ مثلُها، ولستُ مُنتهياً حتَّى أصرِفَ إليها حجَّ العرب)، فسمع به مالك بن كنانة، فخرج لها ليلاً، فدخل إليها، فعقد فيها، ولطَّخ بالعَذِرَةِ قِبْلَتَها، فبلغ ذلك أبرهةَ فقال: مَنِ اجترأ عليَّ؟ فقيل له: صنَع ذلك رجلٌ من العرب مِن أهل ذلك البيت، قد سمع بالذي قُلتَ، فحلف أبرهةُ عند ذلك؛ لَيَسيرنَّ إلى الكعبة ثمَّ يهدمُها، فكتب إلى النَّجاشي يخبرُهُ بذلك، وسأله أن يبعثَ إليه بفيلِهِ، وكان فيلاً يقال له: محمود، وكان فيلاً لم يُرَ مثلُهُ عِظَماً وجسماً وقوَّةً، فبعَث به إليه.

فخرج أبرهةُ في الحبشة سائراً إلى مكة، وخرج معه بالفيل، فسمعَتِ العربُ بذلك، فعَظَّموه ورأَوا جهاده حقًّا عليهم، فخرج ملكٌ من ملوك اليمن يقال له: (ذو نفر) بمن أطاعه مِنْ قَومه، فقاتله، فهزَمه أبرهة، وأخذ ذا نفرٍ، فقال لأبرهة: يا أيُّها الملك؛ استَبْقِني؛ فإنَّ بقائي خيرٌ لك من قتلي، فاستَحياه وأوثَقه، وكان أبرهة رجلاً حليماً، ثمَّ سار حتَّى إذا دنَا من بلاد خَثعم.. خرج إليه نفيل بن حبيب الخثعميُّ في خثعم ومَنِ اجتمع من قبائل اليَمن، فهزمهم، وأخذ نفيلاً، فقال نفيلٌ له: أيُّها الملك؛ إنِّي دليلٌ بأرض العرب، فاستَبقاه وخرج معَهُ يَدُلُّه، حتَّى إذا مرَّ بالطَّائف.. خرج إليه مَسعود بن مغيث في رجالٍ من ثقيف، فقال: أيُّها الملك؛ نحن عَبيدك، ليس عندنا خلافٌ لك، إنَّما تريد البيت الذي بمكَّة، نحن نَبعث معك مَنْ يَهديك عليه، فبعثوا معَهُ أبا رغالٍ مولى لهم، فخرج حتَّى إذا كان بالمغمَّس.. مات أبو رغال، وهو الذي يُرجَم قبره الآن.

وبعث أبرهة رجلاً من الحبشة يقال له: الأسود بن مَسعود مُقدَّمة خَيله، وأمره بالغارةِ على نَعَمِ النَّاس، فجمع الأسوَد إليه أموالَ أصحابِ الحرمِ، وأصاب لعبدِ المُطلبِ مئتي بعيرٍ.

. . . .

حاشية الصاوي

ثمَّ إنَّ أبرهةَ أرسل حناطة الحميريَّ إلى أهل مكة وقال له: سَلْ عن شريفِها، ثمَّ أبلِغْهُ ما أرسلك به؛ أخبره أنِّي لم آتِ لقتالٍ، إنَّما جِئتُ لأهدمَ هذا البيتَ، فانطَلق حتَّى دخل مكَّةَ، فلقي عبدَ المطَّلب فقال له: إنَّ الملك أرسَلني إليك؛ لأخبرَك أنَّه لم يأتِ لقتالٍ إلَّا أن تُقاتلوه، وإنَّما جاء لهدم هذا البيتِ، ثمَّ الانصراف عنكم، فقال عبد المطلب: ما له عندنا قتالٌ، ولا لنا يدٌ أن ندفعَهُ عمَّا جاء له؛ فإنَّ هذا بيتُ اللهِ الحرامُ، وبيتُ إبراهيمَ خليلِهِ عليه السَّلام، فإنْ يَمنَعْهُ. . فهو بيتُهُ وحرمُهُ، وإنْ يُخَلِّ بينَهُ وبينَ ذلك. . فوالله ما لنا بدفعِهِ قوَّةٌ.

قال: فانطَلِق معي إليه، فزعم بعض العلماء: أنَّه أردفه على بَغلةٍ كان عليها، وركب معَهُ بعضُ بَنِيه حتَّى قدم العسكر، وكان ذُو نفرٍ صديقاً لعبد المطلب، فقال: يا ذا نَفر؛ هل عندك من غَنَاءٍ - أي: نفع - فيما نزَل بنا؟ قال: أنا رجلٌ أسيرٌ، لا يأمنُ أن يُقْتَلَ بكرةً أو عشيَّةً، ولكن سأبعث إلى أُنَيْسٍ سائسِ الفيلِ؛ فإنَّه لي صديقٌ، فأسأَلُهُ أن يصنعَ لك عند الملك ما استَطاع من خيرٍ، ويُعظِّم حظوتَكَ ومنزلتَكَ عنده، قال: فأرسل إلى أنيسٍ، فأتاه فقال: إنَّ هذا سيِّدُ قريشٍ، وصاحبُ عِيرِ مكَّة، يطعمُ النَّاسَ في السَّهل، والوحوشَ في رُؤوس الجبال، وقد أصابَ الملكُ له مئتي بعيرٍ، فإن استَطعت أن تنفعَهُ عندَهُ. . فانفَعه؛ فإنَّه صديقٌ لي أُحِبُّ ما وَصل إليه من الخير، فدخل أنيسٌ على أبرهةَ فقال: أيُّها الملك؛ هذا سيِّد قريشٍ، وصاحبُ عيرِ مكَّة الذي يُطعِمُ النَّاس في السهل، والوُحوشَ في رؤوس الجبال، يستأذن عليك، وأنا أحبُّ أن تأذنَ له، فيُكلِّمك، فقد جاءَ غيرَ ناصبٍ لك، ولا مُخالفٍ عليك، فأذن له، وكان عبد المطلب رجلاً جسيماً وَسيماً، فلمَّا رآه أبرهة. . عظَّمه وأكرَمه عن أن يجلس تحتَه، وكَرِهَ أن تَراه الحبشة يُجلسه معَهُ على سريره، فجلس على بِساطه، وأجلس عبد المطلب بِجنبه، ثمَّ قال لترجمانه: قُل له: ما حاجتُك إلى الملك؟ فقال له الترجمان ذلك، فقال له عبد المطلب: حاجَتي إلى الملك أن يَرُدَّ عليَّ مئتي بعيرٍ أصابها، فقال أبرهةُ لترجمانه: قُل له: قد كنتَ أعجبتَني حين رأيتُك، ولقد زَهدتُ الآنَ فيكَ، قال: لم؟ قال: جئتُ إلى بيتٍ، هو دينُكَ ودينُ آبائك، وهو شرَفُكم وعصمتُكم؛ لأهدِمَهُ، لم تُكلِّمني فيه، وتكلِّمُني في مئتي بعيرٍ أصَبتُها لك؟! قال عبد المطلب: أنا ربُّ هذه الإبل، ولهذا البيتِ رَبٌّ سيَمنعُهُ مِنك، قال: ما كان لِيَمنَعه منِّي، قال: فأنتَ وذاك، فأمرَ بإبلِهِ فرُدَّتْ عليه.

. . . .

حاشية الصاوي

فلمَّا رُدَّتِ الإبلُ على عبد المطلب.. خرج فأخبر قريشاً الخبر، وأمرَهم أن يتفرَّقوا في الشِّعاب، ويَتحرَّزوا في رؤوس الجبال؛ خوفاً عليهم من مَعَرَّة الجيش، ففعلوا، وأتى عبدُ المطلب وأخذ حَلْقَةَ البابِ وجعلَ يدعُو، فلمَّا فرغ من دعائه.. توجَّه في بعض تلك الوُجوه مع قومه، وأصبحَ أبرهةُ بِالمغمَّس قد تهيَّأ للدخول، وهيَّأ جيشه، وهيَّأ فِيلَه، وكان فيلاً لم يُرَ مثلُهُ في العِظَمِ والقوَّة.

ويقال: كانت الأفيالُ اثني عشر فيلاً، فأقبل نفيلٌ إلى الفيل الأعظم، ثمَّ أخذ بأُذنه وقال له: أَبْرُكْ محموداً وارجع رشيداً[١]؛ فإنَّك بِبَلد الله الحرام، فبرَك، فبَعثوه، فأبى، فضربوه بالمِعوَل في رأسه، فأدخلوا محاجنَهُ تحت مَراقِّه ومرافقِهِ[٢]، ففزعُوه ليقوم[٣]، فأبى، فوجَّهوه راجعاً إلى اليمن، فقام يُهرِول، ووجَّهوه إلى قدَّامه، ففعل مثل ذلك، ووجَّهوه إلى المشرق، ففعَل مثل ذلك، فصرَفُوه إلى الحرم، فبرَك وأبى أن يقوم، وخرج نفيلٌ يشتدُّ حتَّى صَعد الجبل، وأرسل الله عزَّ وجلَّ طيراً من البحر أمثالَ الخطاطيف، مع كلِّ طائرٍ منها ثلاثةُ أحجار: حجران في رجلَيه، وحجرٌ في مِنقاره أكبر من العدسة، وأقلُّ من الحمِّصة، فلمَّا غشيت القومَ.. أرسلَتها عليهم، فلم تُصِب تلك الحجارةُ أحداً إلَّا هلك، وخرجوا هاربين لا يَهتدون إلى الطريق الذي جاؤوا، وصرخ القوم، وماجَ بعضهم في بعضٍ، يتساقطون بكل طريق، ويَهلكون على كلِّ منهلٍ، وبعث الله على أبرهة داءً في جسده، فجعل تَتساقط أنامله؛ كلَّما سقطت أنملة.. أتبعها مُدة من قيح ودم، فانتَهى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطير، وما مات حتَّى انصدع صدرُه عن قلبه، ثمَّ هلك، وانفلَت وزير أبرهة أبو كيسوم وطائره فوق رأسه حتَّى وقف بين يدَي النجاشي، فلمَّا أخبره الخبر.. سَقط عليه الحجر، فمات بين يدَيه.

وأمَّا محمود فيل النجاشي.. فربَض ولم يَشجع على الحرم فنجا، وأمَّا الفيلة الأخر فشَجعوا، فرُمُوا بالحصباء[٤].

---

(١) قوله: (محموداً) كذا في الأصول، ولعله لم يُرِدِ اسمَ الفيل، وفي كتب السيرة: (محمودُ) على إرادة اسمه.

(٢) المراقُّ: أسفَل البطن.

(٣) قوله: (ففزعوه) كذا في الأصول، وفي كتب السيرة النبوية: (بزَّغوه) بفتح الباء الموحدة والزاي المشددة بعدها عين معجمة؛ أي: شَرطُوه بالحديد الذي في تلك المحاجن.

(٤) «السيرة النبوية» لابنِ إسحاق (ص١٥)، وانظر «سُبل الهدى والرشاد» (١/ ٢١٤-٢٢٧).

أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا ....

كَنِيسةً لِيَصرِفَ إلَيها الحاجَّ عن مَكَّة، فأحدَثَ رَجُل مِن كِنانةَ فِيها ولَطَّخَ قِبلَتها بِالعَذِرةِ احتِقاراً بِها، فحَلَفَ أبَرهةُ لَيَهدِمَنَّ الكَعبةَ، فجاء مكَّةَ بِجَيشِه على أفيالٍ مُقَدَّمها مَحمُود، فحِين تَوَجَّهُوا لِهَدمِ الكَعبة أرسَلَ الله علَيهِم ما قَصَّهُ في قَولِه:

(﴿٢﴾ - ﴿٤﴾) ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ أي: جَعَل ﴿كَيْدَهُمْ﴾ في هَدمِ الكَعبةِ ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾: خَسارٍ وهَلاك، ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا ....

حاشية الصاوي

قوله: (كنيسة) أي: وكان قد بَناها بالرخام الأبيض والأحمر والأسود والأصفر، وحلَّاها بالذَّهب والفضَّة وأنواعِ الجواهر، وأذلَّ أهلَ اليمن في بنائها، ونَقَلَ فيها الرُّخام المجزع والحجارةَ المنقوشةَ بالذَّهب والفضَّة من قَصر بلقِيس، وكان على فرسخ من مَوضعها، ونصب فيها صُلباناً من ذهب وفضة، ومنابرَ من عاج وآبنوس وغير ذلك، وكان بناؤها مُرتفعاً عالياً، تَسقُط قَلنسوةُ النَّاظر عن رأسه عندَ نظره إليها.

قوله: (ليصرف إليها الحُجَّاج) أي: وقد صرَفهم بالفعل، وأمرهم بحجِّها، فحَجُّوها سنين، وكانوا يَحجون البيت في هذه المدَّة أيضاً، كذا قيل.

قوله: (فأحدث رجُل) أي: من العرب، وهو مالك بن كنانة.

قوله: (أرسل الله علَيهم... إلخ) أي: فرجعوا هاربين يَتساقطون بكلِّ طريق، وكان هلاكهم قُرب عرفة قبل دخول أرض الحرم على الصحيح، وقيل: بِوادي محسِّر بين مُزدلفة ومنى، وأُصيب أبرهةُ في جسَده بداء الجُدَري، فتساقطت أنامِله وأصابعه وأعضاؤه، وسال منه الصديدُ والقيح والدم، وما مات حتَّى انشقَّ قلبه.

قوله: (﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾) أي: مَكرَهم، وسمَّاه كيداً؛ لأنَّ سببَهُ حسدُ سكانِ الحرم، وقصدُ صرفِ شَرفِهم له، وهو خفيٌّ، فسُمِّي كيداً لذلك.

قوله: (أي: جعَل) أشار بذلك إلى أنَّ المضارع لحكاية الحال الماضية.

قوله: (﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ﴾) عطف على قوله: ﴿يَجْعَلْ﴾، والاستفهام مُسلَّط عليه، فالمعنى: قد جعل وأرسل.

قوله: (﴿طَيْرًا﴾) الطَّير اسم جنس، يذكَّر ويؤنَّث.

﴿أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾

﴿أَبَابِيلَ﴾: جَماعاتٍ جَماعات قِيل: لا واحِد لَه كـ(أساطِير)، وقِيل: واحِده (إِبَّوْل) أو (إِبَّال) أو إِبِّيل كـ(عِجَّوْل) و(مِفتاح) و(سِكِّين)، ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾: طِين مَطبُوخ.

۝٥ ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾: كوَرَقِ زَرع أَكَلَتهُ الدَّوابُّ وداسَته وأفنَتهُ؟ أي: أهلَكَهُم الله

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَبَابِيلَ﴾) أي: وكانَت من جهة السَّماء، لم يُرَ قبلَها ولا بعدَها مثلُها، وردَ عن ابن عبَّاس عن النبي ﷺ قال: «إنَّها طير بين السماء والأرض تُعشش وتُفرخ»، قال ابن عبَّاس: (كان لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكُفٌّ كأكُفِّ الكلاب)، وقال عِكرمة: (كانت طيراً خُضراً خرجت من البحر، لها رُؤوس كرؤوس السباع، ولم تر قبل ذلك ولا بعدَه)، وقالت عائشة: (إنَّها أشبه شيء بالخطاطيف)، وقيل: بل كانَت أشباهَ الوطاويط، حمراء وسوداء[1].

قوله: (جماعات جماعات) أي: بعضَها إثرَ بعضٍ.

قوله: (قيل: لا واحد له) أي: مِن لفظه، فيكون اسم جمع.

قوله: (إِبَّوْل) بكسر الهمزة، وفتح الموحدة المشدَّدة، وسكون الواو؛ كـ(سِنَّوْر).

قوله: (طين مطبوخ) أي: كالآجرِّ، وكان طَبخه بنار جهنَّم، وهي من الحجارة التي أُرسِلت على قوم لوط، وناسَب إهلاكهم بالحجارة؛ لأنَّهم أرادُوا هدمَ الكعبة، قال ابن عبَّاس: (كان الحجر إذا وقع على أحدِهم.. نفط جلده، وكان ذلك أولَ الجُدَري، ولم يكن موجوداً قبل ذلك اليوم)[2]، وعنه أيضاً: (أنَّه رأى من تلك الحجارة عند أم هانئٍ نحو قفيز، مخطَّطة بحُمرةٍ كالجَزْع الظَّفاري)[3].

قوله: (﴿كَعَصْفٍ﴾) واحِده: عَصْفَةٌ، وعُصَافةٌ، وعَصِيفَةٌ.

قوله: (وداسَته) صوابه: (وراثَته) أي: ألقَته رَوثاً ثمَّ يَبس وتفتَّت. ولم يَقُل: (فجعلهم كرَوث)؛ استهجاناً للفظ (الرَّوث).

---

(١) أورَد الأقوال كلَّها القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٩٦).

(٢) أورَده القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٩٨).

(٣) أورده العلامة الخطيب في «السراج المنير» (٤/ ٥٨٩)، الجزع، بفتح الجيم وإسكان الزاي: الخرز اليماني، وظَفار بفتح الظاء وكسر الراء: قَرية باليمن.

تَعالى كُلَّ واحِد بِحَجَرِه المَكتُوب علَيهِ اسمُه وهو أكبَرُ مِن العَدَسة وأصغَرُ مِن الحِمِّصة، يَخرِق البَيضةَ والرَّجُل والفِيلَ ويَصِلُ إلى الأرض، وكان هذا عامَ مَولِد النَّبيِّ ﷺ.

حاشية الصاوي

قوله: (مكتوب عليه اسمه) أي: وإدراك الطَّائر أنَّ هذا لفلانٍ بخُصوصه؛ إمَّا بمجرَّد إلهامٍ، أو بمعرفتِهِ ذلك من الكتابة، والله أعلَم بحقيقة الحال.

قوله: (يخرق البيضة) أي: التي فوق رأس الرَّجل من حديد، وقوله: (والرجل) أي: فيَدخل من دماغه ويخرج من دُبُرِه، وقوله: (والفيل) أي: الذي هو راكبه، وجَميع الفِيَلة قد هلكت إلَّا كبيرها وهو محمود؛ فإنَّه نجا لما وقع منه من الفعل الجميل الذي لم يقَع مِثلُه من العقلاء؛ ولذا قال البوصيري[1]: [الخفيف]

كَمْ رأَيْنَا ما لَيسَ يَعْقِلُ قَد أُلْـ ... ـهِـمَ ما لَيسَ يُلْهَمُ العُقَلاءُ

إذْ أَبَى الفِيلُ ما أَتَى صاحِبُ الـ ... ـفِيلِ ولم يَنْفَعِ الحِجَا والذَّكاءُ

قوله: (عام مولد النَّبي ﷺ) أي: قبلَ مولدِهِ بخمسين يوماً على الصَّحيح، وذلك ببَركة النُّور المحمديِّ.

إن قلتَ: إنَّه انتقل من عبد المطلب، بل ومِن عبد الله إلى أُمِّه آمنة؟

أجيب: بأنَّه وإن انتقل من جدِّه وأبيه إلَّا أنَّ بركتَهُ حاصلةٌ وباقيةٌ في محلِّهِ؛ كوعاءِ المسك إذا فرغَ منه؛ فإنَّ رائحته تبقى، وقيل: كان عام الفيل قبل وِلادته ﷺ بأربعين سنة، وقيل: بثلاث وعشرين، وقيل: غير ذلك[2].

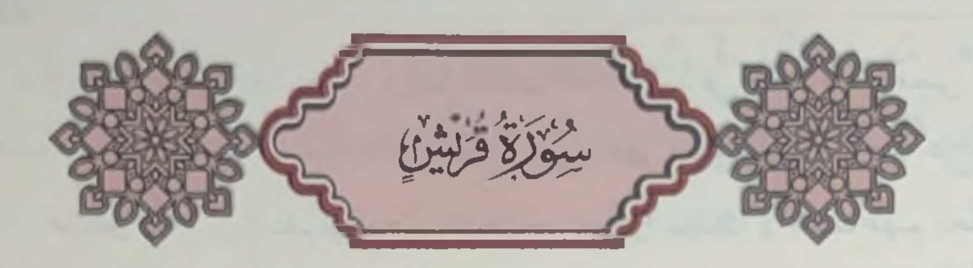
✿ ✿ ✿

---

(١) كما في قصيدته المشهورة: (الهمزية). انظر «المنح المكية» (ص١٨٣).

(٢) انظر الأقوالَ في «تفسير الخازن» (٤/ ٤٧٣).

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ ....



مَكيَّة أو مدنيَّة، أربَعُ آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ قُرَيْشٍ

أي: السُّورة التي ذُكِرَ فيها الامتنانُ على قريش، وتذكيرُهم بنعمِ الله عليهم؛ لِيُوَحِّدوه ويَشكروه.

قوله: (مكيَّة) أي: في قول الجمهور، وهو الأصحُّ، وقوله: (أو مدنيَّة) أي: في قول الضَّحاك والكلبيِّ.

قوله: (﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾) اختَلف المفسِّرون في هذه اللام؛ فقيل: هي متعلِّقة بقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ في السُّورة قبلَها، كأنَّه قال: أَهْلَكَ أصحابَ الفيلِ؛ لتبقى قريشٌ وما ألفُوا من رحلة الشِّتاء والصَّيف، قال الزمخشري: (وهو بمنزلة التَّضمين في الشِّعر، وهو أن يُعلَّقَ معنى البيت بالذي قبلَهُ تعلُّقاً لا يصحُّ إلَّا به)[1]؛ ولهذا جعلَ أبيُّ بنُ كعبٍ هذه السُّورةَ وسورةَ «الفيل» واحدةً، ولم يَفصل بينهما في مُصحفِهِ ببسملةٍ، ورُدَّ هذا القولُ: بأنَّ الصحابة أجمَعت على أنَّهما سورتان منفصلتان، بينَهما بسملةٌ.

وقيل: متعلِّقةٌ بمحذوفٍ، تقديره: (فعل ذلك ـ أي: إهلاكَ أصحابِ الفيل ـ لإيلاف قريشٍ، وقيل: تقديره: (أعَجِبُوا)، والمعنى: أعجبوا لإيلاف قريشٍ رحلةَ الشِّتاء والصَّيف، وتركِهم عبادةَ ربِّ هذا البيت.

وقيل: متعلِّقةٌ بما بعدها، تقديره: (فليَعبدوا ربَّ هذا البيت لإيلافِهم رحلةَ الشِّتاء والصيف)

---

(١) «الكشاف» (٤/ ٨٠١).

. . . .

حاشية الصاوي

أي: لِيَجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النِّعمة، وإنما دخلت الفاء؛ لما في الكلام من معنى الشَّرط، كأنَّه قال: إن لم يَعبدوه لسائر نعمِهِ.. فليَعبُدوه لإيلافهم؛ فإنَّها أظهرُ نعمةٍ عليهم، وعليه درج المفسِّر.

و(قريش): مشتقٌّ إمَّا من التقرُّش وهو التجمُّع، سمُّوا بذلك لِاجتماعهم بعد افتراقهم، قال شاعرُهم[1]: [الطويل]

أبُونا قُرَيشٌ كانَ يُدْعَى مُجمِّعاً ... بِه جمَّعَ اللهُ القبائلَ مِنْ فِهرِ

أو من: التَّفتيش، يقال: (قَرَشَ يَقْرِشُ) بمعنى: فتَّش؛ لكونهم كانوا يُفتِّشون على ذوي الخَلَّات؛ لِيَسُدُّوا خَلَّتهم، قال الشاعر[2]: [الخفيف]

أيُّها الشَّامِتُ المقرِّشُ عَنَّا ... عندَ عَمرٍو فهَل لَه إبقاءُ؟

قال ابن عباس: (سمِّيت باسم دابَّة في البحر يُقال لها: القِرش، تأكل ولا تؤكل، وتعلُو ولا تُعلى، قال الشاعر: [الخفيف]

وقُرَيشٌ هي التي تَسْكُنُ البَحْـ ... ـرَ، بِها سُمِّيَتْ قريشٌ قُرَيشَا
سُلِّطَتْ بِالعلوِّ في لُجَّة البَحْـ ... ـرِ على سائرِ البُحُورِ جُيُوشَا
تَأكل الغثَّ والسَّمِينَ ولا تَتْـ ... ـرُكُ فِيه لِذِي الجَناحَينِ رِيشَا
هكَذا في الكِتابِ حَيُّ قُرَيشٍ ... يَأكلونَ البلادَ أكلاً كَشِيشَا
ولَهُم آخِرَ الزَّمانِ نبيٌّ ... يُكْثِرُ القَتْلَ فِيهمُ والخُمُوشَا
يَملأُ الأرضَ خَيلةً ورِجالاً ... يَحْشُرونَ المطيَّ حَشْراً كَمِيشَا)[3]

وهو مصروفٌ هنا إجماعاً؛ لِكونه مراداً به الحيُّ؛ إذ لو أُريد به القبيلة.. لامتنع صرفُه، قال

---

(١) نسَبه الزبيدي في «تاج العروس» (١٧/ ٣٢٤) لِمَطرود الخزاعي، ونسَبه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٥٩) لحُذافة بن غانم العدويِّ، وفي المصادر: (قصي) بدل (قريش).

(٢) نسَبه الخطابي في «غريب الحديث» (١/ ٣٧٣) للحارث بن حِلِّزة.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٢٤٠)، والأبياتُ نسَبها الزبيدي في «تاج العروس» (١٧/ ٣٢٤) لِلمشمرج الحِميري، وأكلاً كشيشاً: مُصاحباً لصوت كصوتِ الأفعى إذا احتكَّ جلدها، وكميشاً: سريعاً، وخموشاً: خُدوشاً في الوجه والبدن.

رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴿٢﴾ ....

ـ تَأكِيد، وهو مَصدَر (آلَف) بِالمدِّ ـ ﴿رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ﴾ إلى اليَمَن ﴿وَ﴾ رِحلةَ ﴿ٱلصَّيۡفِ﴾ إلى الشَّام في كُلِّ عام؛ يَستَعِينُون بِالرِّحلتَينِ لِلتِّجارةِ على المُقام بِمكَّة لِخِدمةِ البَيت الذي هو فَخرُهُم، ....

حاشية الصاوي

سيبويه في (معَدّ وثقيفٍ وقُريشٍ وكِنانة): (هذه للأحياء أكثَر، وإن جعلتَها أسماء للقبائل.. فهو جائز حسَنٌ)[1].

واختلاف القرَّاء في قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ﴾؛ فبعضهم قرأ: ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ بإثبات الياء قبل اللام الثانية، وبعضهم قرأ بحذفها[2]، وأجمع الكل على إثبات الياءِ في الثاني وهو قوله: ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ﴾.

ومن غريب ما اتَّفق في هذين الحرفين: أنَّ القُراء اختلفوا في سُقوط الياء وثبوتها في الأوَّل مع اتفاق المصاحف على إثباتها خطًّا، واتَّفقوا على إثبات الياء في الثاني مع اتِّفاق المصاحف على سُقوطها منه خطًّا، فهو أدلُّ دليلٍ على أنَّ القراءة سنَّةٌ متَّبعةٌ مَأخوذةٌ عن رسول الله، لا اتِّباعاً لمجرَّد الخطِّ.

قوله: (تأكيد) أي: لفظيٌّ، و﴿رِحۡلَةَ﴾: مفعول للأوَّل عليه[3]، وقيل: بدلٌ؛ لأنه أَطلَق المبدل منه، وقيَّد البدل بالمفعول وهو ﴿رِحۡلَةَ﴾.

قوله: (وهو مَصدر «آلَف» بالمد) أي: أنَّ (إيلاف) الثاني ـ وكذا الأول على قراءةِ إثبات الياء ـ مَصدر (آلَف) بالمد؛ كـ(أكرم)، يُقال: (آلَفته أُولِفه إيلافاً)، وأمَّا على قراءة حذف الياء.. فهو مصدر لـ(أَلِف) ثلاثيًّا كـ(كَتَبَ كِتَاباً).

قوله: (﴿رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ﴾) مفعولٌ به بالمصدر، والمصدر مُضاف لفاعله؛ أي: لأنْ أَلِفُوا رحلةَ، والأصل: رحلتي الشتاء والصيف، وإنَّما أُفرد لِأَمْنِ اللَّبس.

وأوَّل مَنْ سنَّ لهم الرحلةَ هاشمُ بنُ عبدِ منافٍ، وكانوا يَقسمُون ربحَهم بين الغنيِّ والفقير، حتَّى كان فقيرهم كغنيِّهم، واتَّبع هاشماً على ذلك إخوتُه، فكان هاشمٌ يُؤالف إلى الشَّام، وعبدُ شمسٍ

(١) «الكتاب» لِسيبويه (٣/ ٢٥٠).

(٢) قرأ ابن عامر دون ياء قبل اللام الثانية، والباقون بياء قبلها. انظر «الدر المصون» (١١/ ١١٢).

(٣) أي: على كون (إيلافهم) تأكيداً، وأما على الثاني وهو أنه بدلٌ.. فـ(رحلة) مفعول للبدل.

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾

وهُم ولَدُ النَّضرِ بن كِنانة.

(﴿٣﴾ - ﴿٤﴾) ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ - تعلَّق بِه ﴿لِإِيلَافِ﴾، والفاءُ زائِدة - ﴿رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ أي: مِن أجلِه، ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ أي: مِن أجلِه، وكان يُصِيبُهُم الجُوع لِعَدَمِ الزَّرع بِمكَّة ....

حاشية الصاوي

إلى الحبشة، والمطَّلب إلى اليمن، ونوفل إلى فارسَ، وكانت تجَّار قريشٍ يَختلفون إلى هذه الأمصار بِجاه هؤلاء الإخوة؛ أي: بأمانهم الذي أخذُوه مِن ملك كلِّ ناحيةٍ من هذه النَّواحي.

والرِّحلة بالكسر: اسم مصدر بمعنى: الارتحال، وهو الانتقال، وأمَّا بالضَّم.. فهو الشيء الذي يُرْتَحَلُ إليه مكاناً أو شخصاً.

قوله: (**وهم ولد النَّضر بن كِنانة**) أي: فكلُّ مَنْ ولَدَهُ النَّضر.. فهو قرشيٌّ، دون مَنْ لم يَلِدْهُ النَّضر وإن ولَده كنانة، وهذا هو الصَّحيح، وقيل: هُم ولد فِهْرِ بن مالك بن النَّضر بن كنانة؛ فمن لم يَلِده فهرٌ.. فليس بقرشيٍّ وإن ولَده النضر، قال العراقي[1]: [الرجز]

أمَّا قُرَيشٌ فالأصَحُّ فِهرُ ... جِماعُها، والأكثَرُونَ النَّضرُ

فالحاصل: أنَّ بَني فهر قرشيُّون اتفاقاً، وبَنو كنانة الذين لم يَلدهم النَّضر ليسوا بقُرَشيين، واختلف في بني النضر وبني مالك. وفِهرٌ: هو الجدُّ الحادي عشرَ من أجداده ﷺ، والنَّضر: هو الثالث عشر، وذلك أنَّه ﷺ محمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشِم بن عبد مَناف بن قُصي بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة.. إلى آخِر النسَب الشريف.

قوله: (**والفاء زائدة**) أي: ولهذا جاز تقديمُ معمولِ ما بعدها عليها، وقيل: إنَّها ليست زائدةً، بل هي واقعةٌ في جواب شرطٍ مُقدَّر، تقديره: (إن لم يَعبدوه لسائر نِعَمه.. فليَعبدوه لإيلافهم؛ فإنَّها أظهر نعمِهِ عليهم).

قوله: (**أي: من أجله**) أشار بذلك إلى أنَّ (مِنْ) تعليليَّةٌ، والكلام على حذف مضافٍ، والتقدير: أطعَمهم من أجل إزالة الجوع عنهم، وآمَنهم من أجل إزالة الخوف عنهم.

---

(١) كما في ألفيَّته في السيرة النبوية (ص٣٤).

وخافُوا جَيشَ الفِيل.

حاشية الصاوي

وقيل: إنَّ (مِنْ) بمعنى (بدل)، ولا يحتاج لتقدير مضاف، والمعنى: فأطعَمهم بدل الجوع، وآمنَهم بدل الخوف؛ نظير قوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [التوبة: ٣٨].

وقِيل: (مِن) بمعنى (بعد)، وقيل في معنى الآية: إنَّهم لما كذَّبوا محمَّداً ﷺ.. دعا عليهم فقال: «اللهمَّ؛ اجعَلها عليهم سنيناً كسنِي يوسف»[١]، فاشتدَّ عليهم القَحط، وأصابهم الجهدُ والجوع، فقالوا: يا محمَّد؛ ادعُ الله لنا؛ فإنَّا مؤمنون، فدعا رسول الله ﷺ، وأخصَبت البلاد، وأخصب أهل مكة بعد القَحط والجهد، وهذا حجَّة مَنْ يقولُ: إنَّ السورة مدنيَّة.

قوله: (وخافوا جيشَ الفيل) أي: وهذا وجهُ مناسبتها لما قبلها، وذلك أنَّه بعد أن ذكر لهم أسباب خوفهم امتنَّ عليهم بإزالتِها، كأنَّه قال: (قد أزلنا عنكم ما تكرهون من الخوف والجوع، فالواجب عليكم أن تَشكروا تلك النِّعمَ، وتَصرفوها في مصارفها).

وقيل: آمنَهم من خوف الجُذام؛ فلا يصيبُهم ببلدِهم الجذام، وقيل: آمنهم بمحمَّدٍ ﷺ، وبالإسلام، وكلٌّ حاصلٌ.

✿ ✿ ✿

---

(١) رواه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وفيهما: (سنين) بدل (سنيناً)، ورواية المصنف رحمه الله على قول مَن يُعرب (سنين) بحركات على النون كالمفرد؛ كقول الشاعر:

دَعانِيَ مِن نَجدٍ فإنَّ سِنينَه ... لَعِبنَ بِنا شِيباً وشَيَّبنَنا مُرْدَا

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ....



مَكيَّة أو مدنيَّة، أو نِصفُها ونِصفها، ستٌّ أو سبعُ آيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾: بِالجَزاءِ والحِسابِ، أي: هل عَرَفتَه؟ إن لَم تَعرِفهُ ﴿فَذَٰلِكَ﴾ ـ بِتَقدِيرِ (هو) بَعد الفاء ـ ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ المَاعُونِ

وتسمَّى سورة (الدِّين).

قوله: (أو نصفها ونصفها) أي: نِصفها الأوَّل نزل بمكَّة في العاص بن وائل، والثَّاني: بالمدينةِ في عبد الله بن أُبيٍّ ابن سَلول المنافق، وعلى القول بأنَّ جميعَها مكيٌّ تكون توبيخاً لكفَّار مكَّة؛ كالعاص بن وائل وأضرابِه، وتسميتُهم: (مُصلين) باعتبارِ أنَّها مفروضةٌ عليهم، وعلى القول بأنَّه مدنيٌّ تكون توبيخاً لِلمنافقين الكائنين في المدينة؛ كعبد الله بن أُبيٍّ وأضرابه، وتكذيبُهم بالدِّين باعتبار باطنِهم، والعبرةُ على كلِّ بعمومِ اللفظ، لا بخصوص السَّبب، فالوعيدُ المذكور لمن اتَّصف بتلك الأوصاف.

قوله: (أي: هل عرفتَهُ؟) أشار بذلك إلى أنَّ الرؤية بمعنى: المعرفة، فتَنصب مفعولاً واحداً وهو الاسم الموصول، وقيل: إنَّ الرؤية بصريَّةٌ، فتتعدَّى لمفعولٍ واحدٍ أيضاً، وقيل: إنَّها من: (أخبِرني)، فتتعدَّى لاثنين: الأوَّل الموصول، والثاني محذوف، تقديره: (مَنْ هو).

قوله: (بتقدير «هو» بعد الفاء) أي: فاسم الإشارة خبرٌ لمحذوفٍ، تقديره: (هو)، و(الذي): بدلٌ، أو عطفُ بيان على اسم الإشارة، والجملة جوابُ شرطٍ مقدَّر، قدَّره المفسِّر بقوله: (إن لم تَعرفه)، وقُرِنَتْ بالفاء؛ لأنَّ الجملة اسميَّة.

﴿ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ ....

﴿ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ أي: يَدفعُه بِعُنفٍ عن حَقِّه، ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ نَفسَه ولا غَيره ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ أي: إطعامِه، نَزَلت في العاصِي بن وائلٍ أو الوَليدِ بنِ المُغيرة.

(﴿٤﴾ - ﴿٧﴾) ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾) كأبي جهلٍ، كان وصيًّا على يتيم، فجاءه عرياناً يسأله من مال نفسِهِ، فدفَعه، ويصحُّ حمل (الحقِّ) على الميراث؛ لأنَّهم كانوا لا يُورِّثون النِّساءَ ولا الصبيانَ، ويقولون: إنَّما يحوز المالَ مَنْ يَطعن بالسِّنان، ويضرب بالحُسام.

و(دعَّ): بالتشديد؛ من باب: (ردَّ)، وقرئ شذوذاً بالتخفيف؛ أي: يَدعُوه لِيَستخدمه قهراً[1].

قوله: (أي: إطعام) أشار بذلك إلى أنَّ (الحضَّ) يتعلَّق بالمصدر الذي هو فعل الفاعل، لا بالشَّيء المطعوم.

قوله: (نزلت في العاص بن وائل) وقيل: نزَلت في أبي جهل، وقيل: في عمرو بن عائذ المخزوميِّ، وقيل: في عبد الله بن أُبي ابن سَلول، وتقدَّم ذلك.

قوله: (﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾) (ويل): مبتدأ، و﴿لِّلْمُصَلِّينَ﴾: خبره، والفاء: سببيَّة، والمعنى: أنَّ الدعاء عليهم بالويل مُتسبِّبٌ عن هذه الصِّفات الذَّميمة، ووضع الظاهر وهو (المصلين) موضعَ المضمر؛ لأنَّهم مع التكذيب وما أُضيف إليه ساهون عن الصلاة، غيرُ مكترثين بها، وهذا على أنَّ السورة كلَّها إمَّا مكيٌّ أو مدنيٌّ، وعلى القول بالتَّنصيف.. فالويل متعلِّقٌ بالمصلِّين الموصوفِين بكونهم ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ وما بعده، فلا ارتباط له بما قبله، والفاء: واقعة في جواب شرطٍ مُقدَّرٍ، تقديره: (إن أردتَ معرفةَ جزاءِ أهلِ النِّفاق في الصَّلاة وغيرِها.. فويلٌ).

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ﴾) نعتٌ لـ(المصلين)، أو بدل، أو بيان، وكذا الموصولُ بعده.

قوله: (﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾) إنَّما عبَّر بـ(عن) دون (في)؛ لأنَّ صلاة المؤمن لا تخلُو عن السهو فيها؛ فالمذمومُ السَّهوُ عنها؛ بمعنى: تركِها والتَّفريطِ فيها، لا السَّهوُ فيها؛ لِوُقوعه من الأنبياء[2].

---

(١) قرأ أمير المؤمنين والحسَن وأبو رجاء: (يَدع) بفتح الدال وتخفيف العين. انظر «الدر المصون» (١١/ ١٢١).

(٢) وقصة ذي اليدَين كما رواها البخاري (١٢٢٨)، ومسلم (٥٧٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.. مشهورة، والجواب عن =

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧﴾

غافِلُون يُؤخِّرُونَها عن وَقتِها، ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾ في الصَّلاة وغَيرِها، ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ كالإبرةِ والفَأس والقِدر والقَصْعة.

حاشية الصاوي

قوله: (يُؤخِّرونها عن أوقاتها) أي: ولا يفعلونها بعد ذلك، ووجهُ تَسميتهم (مُصلين) مع أنَّهم تاركون لها: أنَّها مفروضةٌ عليهم، فكانت جديرةً بأن تُضاف لهم، فتحصَّل أنَّ معنى (ساهون): تاركون لها رأساً، أو إن حصَلت منهم.. تكون رياءً وسمعةً. قال ابن عبَّاس: (هم المنافقون، يَتركون الصلاة إذا غابوا عن النَّاس، ويُصَلُّونها في العلانية إذا حضرُوا)[1]، وأمَّا مَنْ ترك الصلاة وهو مؤمن مُوحِّدٌ.. فهو عاصٍ، عليه أن يتوبَ ويقضيَها، فإن مات وهو مُصِرٌّ على تركها.. فهو تحت المشيئة، وأمَّا إن تابَ وشرع في القضاء، فمات قبل تمامه.. فإنَّه مَغفورٌ له.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾) أصله: (يرائيون) كـ(يُقاتلون)، استثقلت الضمَّة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان، حُذفت الياء لالتقائهما، وضمَّت الهمزة؛ لِمناسبة الواو. والمفاعَلة: باعتبار المرائي يُرِي النَّاسَ عملَهُ، وهم يُرُونَهُ الثَّناء عليه.

والفرقُ بين المنافق والمرائي: أنَّ المنافقَ يُبْطِنُ الكفرَ ويُظْهِرُ الإيمان، والمرائي يُظْهِرُ الأعمالَ مع زيادةِ الخشوع؛ لِيَعتقد مَنْ يراه أنَّه من أهل الدين والصلاح، أمَّا مَنْ يُظْهِرُ النَّوافلَ؛ لِيُقْتَدَى به وقلبُهُ خالصٌ مع الله.. فليس بِمَذمومٍ.

قوله: (في الصلاة وغيرها) أي: كالصَّدقة ونحوها من أنواع البرِّ.

قوله: (﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾) (منَع): يتعدَّى لمفعولين، ثانيهما قوله: ﴿ٱلۡمَاعُونَ﴾، وأوَّلهما محذوفٌ، تقديره: (الناس)، حُذِفَ لِلعِلم به.

و(الماعون): (فاعول) من (المعن)، وهو الشيء القليل، يقال: (مالٌ معنٌ) أي: قليلٌ، أو اسم

= سَهوِهِ ﷺ فيها: أنَّه غاب عن كل ما سِوى الله، فسَها عن غيره تعالى، واشتَغَل بتعظيم الله فقط، وما أحسَنَ قول بعضهم:

يا سائِلي عن رَسُولِ اللهِ كيفَ سَها؟ ... والسَّهوُ من كُلِّ قَلبٍ غافِلٍ لاهِي
قد غابَ عنْ كلِّ شَيءٍ سِرُّهُ فسَها ... عمَّا سِوَى اللهِ فالتَّعْظِيمُ للهِ

انظُر «حاشية الباجوري على ابن قاسِم» (١/ ٣٥١).

(١) أوردَه العلامة الخطيب في «السراج المنير» (٤/ ٥٩٤).

....

حاشية الصاوي

مفعول من (أعان يُعين)، فأصله: (مَعْوُون) دخَله القلب المكاني، فصار (مَوعُون)، تحرَّكت الواو الأولى وانفتح ما قبلَها قلبت ألفاً.

وهو اسمٌ جامعٌ لِمَنافع البيت؛ كالقِدْرِ والفأس ونحوهما، وعليه درج المفسِّر؛ لِما روي عن ابن عبَّاس قال: (كنَّا نعد الماعون على عهد رَسول الله ﷺ عاريةَ الدَّلْوِ والقدرِ)[1]، وهذا أحدُ تفاسير لـ(الماعون)، وقيل: هو الزكاة، وقيل: هو ما لا يحلُّ منعُهُ؛ مثل: الماء، والملح، والنَّار، ويَلحق بذلك البئر والتَّنور، وقيل: هو المعروف كلُّه الذي يَتعاطاه النَّاس فيما بينَهم؛ ففي هذه الآية زجرٌ عن البُخل بهذه الأشياء القليلة الحقيرة؛ فإنَّ البخل بها نهايةُ البخل، قال العلماء: (ويستحبُّ أن يَستكثر الرَّجل في بيتِهِ ممَّا يحتاج إليه الجيران، فيُعِيرهم ويتفضَّل عليهم، ولا يَقتصر على الواجب)[2].

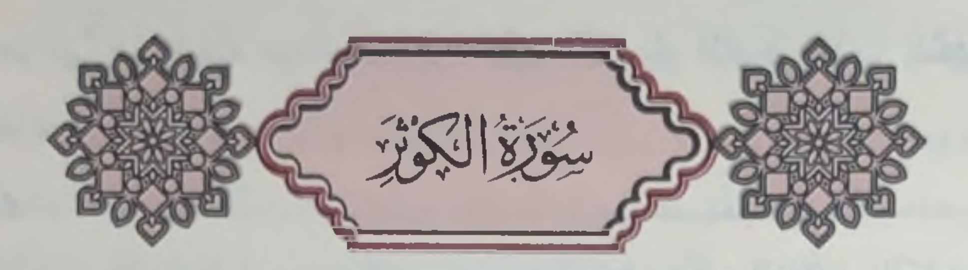
✿ ✿ ✿

---

(١) رواه النسائي في «السُّنَن الكبرى» (١١٦٣٧) عن سيِّدنا ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) انظر «تفسير النيسابُوري» (٦/ ٥٧٤).

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ . . . .



مَكيَّة أو مدنيَّة، ثلاثُ آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾ يا مُحمَّد . . . .

حاشية الصاوي

سُورَةُ الكَوْثَرِ

وتسمَّى سورة (النَّحر).

قوله: (مكيَّة) أي: في قول ابن عبَّاس والكلبيِّ ومقاتلٍ والجمهور، وقوله: (أو مدنيَّة) أي: في قول الحسَن وعكرمة ومجاهد وقتادة، والمشهور: الأوَّل، ويُؤيِّده سبب النُّزول، وهو أنَّ العاص بن وائل السهميَّ تلاقى مع رسول الله ﷺ في المسجد عندَ باب بني سهم، فتحدَّثا، وناسٌ من صَناديد قريشٍ جلوسٌ في المسجد، فلمَّا دخل العاص. . قالُوا له: مَنِ الذي كنتَ تتحدَّث معَهُ؟ فقال: ذلك الأبتر؛ يعني به: النبيَّ ﷺ، وكان قد تُوفي ولَده القاسم[1].

قوله: (﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾) أي: إنَّا بجلالنا وعظَمة قُدسنا، فالإتيان بـ(إنَّ) ونونِ العظمةِ للتَّأكيد، ولزيادة تشريفِه ﷺ، والمعنى: قضَينا به لك وخصَّصناك به، وأنجزناه لك في عِلمنا وتقديرنا الأزليِّ وإن لم تَستولِ عليه وتتصرَّفْ فيه إلَّا في القيامة، فالعطاء ناجزٌ، والتَّمكن والاستيلاء مُستقبل.

إن قلتَ: إنَّه عبَّر هنا بالماضي، وفي (الضحى) بالمضارع؛ حيث قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾؛ فكيف الجمع بينهما؟

أُجيب: بأنَّ ما في (الضحى) باعتبار التمكن والاستيلاء، وذلك يَحصل في المستقبل في يوم القيامة، وما هنا باعتبار التَّقدير الأزَليِّ.

---

(١) انظر «زاد المسير» (٤/ ٤٩٨)، وروى نحوَه البيهقي في «البَعث والنشور» (١٢٦).

﴿ٱلْكَوْثَرَ ١﴾ ....

﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾ هو نَهرٌ في الجَنَّة هو حَوضُه تَرِد علَيهِ أُمَّته، أو الكَوثَرُ الخَير الكَثِير مِن النُّبُوَّة والقُرآنِ والشَّفاعة ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾) (فَوعَل) من: الكثرة، وَصفُ مبالغةٍ في البالغِ الغايةَ في الكثرة.

قوله: (هو نهرٌ في الجنَّة) ويُؤيِّده قوله ﷺ: «الكوثر نهرٌ في الجنَّة، حافَتاه من الذَّهب، ومجراه على الدرِّ والياقوت، تُربتُهُ أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيضُ من الثلج»[١].

وقوله: (هو حوضه) الصواب أن يقولَ: (أو هو حوضه)؛ لأنَّهما قولان مَذكوران في التفاسير من جملة ستَّة عشر قولاً، ويدل لهذا الثَّاني قولُ أنس: (بينَما رسول الله ﷺ ذاتَ يوم بين أظهرنا؛ إذ أغفى إغفاءةً، ثمَّ رفع رأسه مُتبسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أُنزلت عليَّ آنفاً سورة» فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾» ثمَّ قال: «أتدرُون ما الكوثر؟» قُلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنَّه نهرٌ وعدَنيه ربِّي عزَّ وجلَّ، عليه خيرٌ كثيرٌ، وهو حوضٌ تَرِدُ عليه أُمَّتي يوم القيامة، آنيتُهُ عددُ نجوم السَّماء، فيُخْتَلَجُ العبدُ منهم، فأقولُ: يا ربِّ؛ إنَّه مِنْ أمَّتي، فيقول: ما تدري ما أحدَث بعدك»)[٢].

ووَرَد في صفة الحوض أحاديث منها: قوله ﷺ: «حوضي مَسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللَّبن، وريحه أطيَب من المسك، وكِيزانه كنجوم السماء؛ مَنْ شرب منه.. لم يَظمأ أبداً»[٣]، زاد في رواية: «وزواياه سواء»[٤]، ومنها غير ذلك.

الثَّالث: أنَّه النبوَّة، الرَّابع: القرآن، الخامس: الإسلام، السَّادس: تَيسير القرآن وتخفيف الشريعة، السَّابع: كثرةُ الأصحاب والأمَّة والأتباع، الثَّامن: رِفعة الذكر، التَّاسع: نُور في قلبك دلَّك عليَّ، وقطعك عمَّا سواي، العاشر: الشَّفاعة، الحادي عشر: المعجزات، الثَّاني عشر: (لا إله إلا الله، مُحمد رسول الله)، الثَّالثَ عشرَ: الفقه في الدين، الرَّابعَ عشرَ: الصلوات الخمس، الخامسَ عشرَ: العظيمُ من الأمر، السَّادس عشر: الخير الكثير؛ الدنيويُّ والأُخرَويُّ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٦١)، وابن ماجه (٤٣٣٤) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما، وبنَحوه في «صحيح البخاري» (٦٥٨١).

(٢) رواه مسلم (٤٠٠).

(٣) رواه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢) عن سيدنا عبدِ الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٤) هي رواية الإمام مُسلم في «صحيحه».

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ ....

ونحوِها؛ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صَلاةَ عِيد النَّحر ﴿وَٱنْحَرْ﴾ نُسُكَك.

حاشية الصاوي

وكلٌّ من هذه الأقوال تحقَّق به رسول الله ﷺ، وفوق ذلك ممَّا لا يَعلم غايتَهُ إلَّا الله تعالى، وزاد بعضهم فوق تلك الأقوال: أنَّه الذريَّة الكثيرة المباركةُ، وقد حقَّق الله ذلك، فلا تجد ذريَّةً لأحدٍ من الخَلق مثلَ ذريَّة المصطفى في الكثرةِ، ولا في البركة إلى يوم القيامة.

واختلف في الحوض؛ هل هو بعد الصِّراط أو قبله؟ وهل هو بعد الميزان أو قبله؟ والصحيح: أنَّه قبلَهما؛ لأنَّ النَّاس يخرجون من قُبورهم عِطاشاً، فيَشربون منه شربةً لا يظمؤون بعدها أبداً، روي عن ابن عبَّاس: أنَّه سأل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدَي رب العالمين هل فيه ماء؟ قال: «إي والذي نفسي بيده؛ إنَّ فيه لماءً، وإنَّ أولياء الله لَيَرِدون حياض الأنبياء، ويَبعث الله تعالى سبعين ألف ملَك بأيديهم عصيٌّ من نار يَذودون الكفَّار عن حِياض الأنبياء»[1]، وهذا الطَّرد لا يكون بعد الصراط؛ لأنَّه لا يَسْلَمُ مِنَ الصِّراط إلَّا المؤمنون، فلا وجود للكفَّار هناك حتى يُذادُوا؛ لِسُقوطهم في جهنَّم قبل ذلك.

قوله: (ونحوها) أي: من الحكمة، وكثرة الأتباع والأُمَّة، وغير ذلك.

قوله: (﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾) كان مُقتضى الظَّاهر أن يقول: (فصلِّ لنا)، فانتقل إلى الاسم الظاهر؛ لأنَّه يُوجب عظمةً ومَهابةً.

قوله: (صلاة عيد النحر) هو قول عِكرمة وعطاء وقتادة، وهو يُؤيِّد كونَ السُّورة مدنيَّةً، وقال سعيد بن جُبير ومجاهد: (﴿فَصَلِّ﴾ الصلاة المفروضة بِجَمع مزدلفة، ﴿وَٱنْحَرْ﴾ البُدنَ بمنى)[2]، وقيل: هو أمرٌ بكلِّ صلاةٍ مفروضةٍ أو نافلةٍ، وهو يُؤيِّد كونها مكيَّةً.

قوله: (﴿وَٱنْحَرْ﴾ نسكك) أي: هَداياك وضَحاياك، وهو في الإبل بمنزلة الذَّبح في البقر والغنم؛ فقد ورَدَ: أنَّه ﷺ نحَر مِنْ خالِص مالِهِ في حجَّة الوداع صبيحةَ منًى.. مئةَ بدنةٍ: سبعين بيَده الكريمة، وثلاثين بيد عليٍّ[3].

---

(١) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٤/ ٣٧٨) لابن مردوَيه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٥٣)، وابنُ أبي حاتم في «تفسيره» (١٩٥١١).

(٣) رواه مسلم (١٢١٨) عن سيدنا جابر ﷺ، وفيه: أنه ﷺ نحَر بيَده الشريفة ثلاثاً وستين، وأعطى سيدنا عليًّا فنحَر ما غبر.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾

(٣) ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي: مُبغِضَك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾: المُنقَطِع عن كُلِّ خير أو المُنقَطِع العَقِبِ، نَزَلت في العاصِي بن وائِل سَمَّى النَّبيَّ ﷺ أبتَرَ عِند مَوت ابنِه القاسِم.

حاشية الصاوي

وخصَّ الصَّلاة والنَّحرَ بالذكر؛ لأنَّ الصلاة مَجمَع العبادات، وعِماد الدِّين، والنَّحرَ فيه إطعامُ الطَّعام، ولا شكَّ أنَّه قيامٌ بحقوق العباد؛ ففي تلك الخصلتَين القيامُ بحقوق الله، وحُقوقِ عبادِهِ.

قوله: (﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾) اسم فاعل (شنَأ)؛ مِنْ بابي: (سمع) و(منَع)، شَنَأَ بفتح النُّون وسكونها.

قوله: (﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾) يصحُّ أن يكون ﴿هُوَ﴾: مبتدأ، و﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾: خبره، والجملة خبر ﴿إِنَّ﴾، ويصحُّ أن يكون ضميرَ فصلٍ، و﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾.

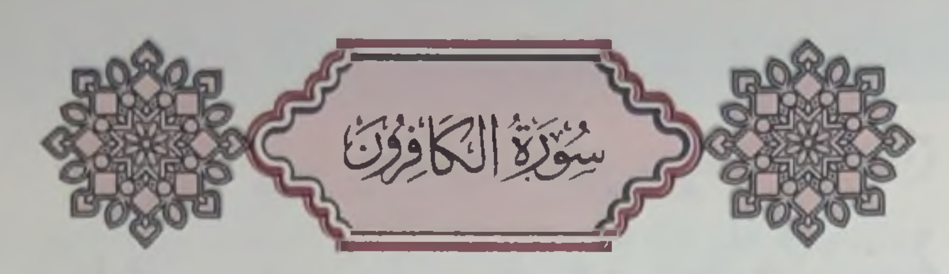
والأبتَر في الأصل: الشيء المقطوع؛ من: (بتَره): قطَعه، و(حمار أبتر): لا ذَنَبَ له.

قوله: (أو المُنقطع العقب) أي: النَّسل.

قوله: (سمَّى النبيَّ ﷺ أبترَ) أي: حيث قال: بُتِرَ محمَّد، فليس له مَنْ يَقوم بأمره من بعده، فلمَّا قال تلك المقالة.. نزَلت السورة؛ تسليةً وتبشيراً له ﷺ.

قوله: (عند موت ابنِه القاسم) هو أوَّل أولاده ﷺ، عاش سنتَين، وقيل: سبعة عشر شهراً، وقيل: بلغ ركوب الدابَّة، ومات قبل البعثة، وقيل: بعدَها، وهو أوَّل مَنْ مات مِنْ أولاده، وهم سبعة: القاسم، وعبد الله الملقَّب بالطَّيب والطَّاهر، وإبراهيم، وزينب، ورُقيَّة، وفاطمة، وأمُّ كلثوم، وكلُّهم من خديجةَ إلَّا إبراهيمَ فمن مارِية القبطيَّة، وماتوا جميعاً في حياتِهِ إلَّا فاطمةَ، فعاشت بعده زمناً يسيراً وماتت، رضوان الله عليهم أجمعِين، وذريَّته ﷺ الباقيةُ إلى يوم القيامة مِنْ نَسلِها.

✿ ✿ ✿



مَكيَّة أو مدنيَّة، ستُّ آيات. نزَلت لما قال رَهطٌ مِن المُشرِكِين لِرَسُول الله ﷺ: تَعبُدُ آلِهَتَنا سنةً ونَعبُدُ إلهكَ سَنةً.

حاشية الصاوي

سُورَةُ الكَافِرُونَ

وتسمَّى سورةَ (المعابدة) أي: المخالَفة في العبادة والمعاندة فيها، وسورةَ (الإخلاص)؛ لأنَّها دالَّةٌ على الإخلاص في العبادة والدِّين؛ كما أنَّ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تُسمَّى سورة (الإخلاص)، لكن هذه دالَّةٌ على الإخلاص في الظاهر والباطن، والصَّمدية دالَّة على إخلاص القلب من الشرك؛ فمَن عمل بهما واعتقدهما.. برئ ظاهرُهُ وباطنُهُ من الكفر والنِّفاق، وكذلك لا يجتمعان في مُنافق ولا كافر، ويقال لها ولـ(الإخلاص): (المقشقشتان) أي: المُبرئتان.

وورَدَ في فضلِها أحاديثُ منها: «أنَّها تعدل ثُلث القرآن»[1]، ومنها: قوله ﷺ: «﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ تَعدل ربع القرآن»[2]. ومنها: أنَّ رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصِني، فقال: «اقرأ عند مَنامك ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾؛ فإنها بَراءة من الشرك»[3]، ومنها: قول ابن عبَّاس: (ليس في القرآن أشدُّ غيظاً لإبليس منها؛ لأنَّها توحيدٌ، وبراءةٌ من الشرك)[4]، وإنَّما زادت (الإخلاصُ) في الثَّواب عنها؛ لأنَّها مشتملةٌ على صِفات الرَّب تعالى صريحاً مع دَلالتها على الإخلاص في التَّوحيد.

قوله: (مكيَّة) أي: في قول ابن مسعود والحسَن وعكرمة، وقوله: (أو مدنيَّة) أي: في قول قتادة والضحاك.

قوله: (نزَلت لما قال رهطٌ من المُشركين... إلخ) حاصلُه كما قال ابن عبَّاس: إنَّ سبب نزولها: أنَّ الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسوَد بن عبد المطَّلب وأميَّة بن خلَف لَقُوا

---

(١) أورده القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٢٤) وعزاه لِلترمذي من حديث أنس رضي الله عنه، وفي «التفسير من سُنَن سعيد بن منصور» (٧٣): (ومَن قرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ومَن قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.. فكأنما قرأ ثُلث القرآن).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٩٤) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه أبو داوود (٥٠٥٥)، والترمذي (٣٤٠٣)، والنسائي في «السُّنَن الكبرى» (١٠٥٩٦) عن سيدنا نَوفل الأشجعي رضي الله عنه.

(٤) أورده القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٢٥).

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ .....

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ﴾ في الحالِ ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ مِن الأصنامِ، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ﴾ في الحالِ ﴿مَآ أَعْبُدُ﴾ وهو الله تَعالى وحدَه.

حاشية الصاوي

رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمَّد؛ هلمَّ فلتعبد ما نعبد، ونعبد ما تعبد، ونشترك نحنُ وأنتَ في أمرنا كلِّه، فإن كان الذي جئتَ خيراً ممَّا بأيدِينا.. كُنَّا قد أشركناك فيه، وأخذنا بحظِّنا منه، وإن كان الذي بأيدِينا خيراً ممَّا بيَدك.. كنتَ قد أشركتَنا في أمرنا، وأخذتَ بحظِّك منه، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ...﴾ إلى آخرها[1].

والرَّهط: بسكون الهاء أفصح من فتحها، جمعٌ لا واحد له من لَفظه، يقال على ما دُون العشرة من الرجال، وقيل: ما فوقَ العشرة إلى الأربعين.

قوله: (﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾) هم جماعةٌ من الكفَّار مَخصوصون، عَلِمَ الله عدمَ إيمانهم أصلاً.

قوله: (﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾) **اعلم**: أنَّه اختلف المُفسِّرون في هذه السورة؛ هل فيها تكرارٌ أو لا؟ فعلى الأوَّل: هو للتَّأكيد، وفائدتُه: قطعُ أطماعِ الكفَّار، وتحقيقُ الإخبار بأنَّهم لا يُسلمون أبداً، وعلى الثاني: فكلُّ جملةٍ مُقيَّدةٌ بزمنٍ غيرِ الزَّمن الذي قُيِّدت به الأخرى، فدرَج المفسِّر على أنَّ النَّفي الأوَّل محمولٌ على الحال، والثاني على الاستقبال، ودرَج غيرُهُ على العكس.

و(ما): يَصِحُّ أن تكون مَوصولةً بمعنى (الذي)؛ فإن كان المرادُ بها الأصنام كما في الأولى والثالثة.. فالأمر واضح؛ لأنَّهم غير عُقلاء، و(ما) لغير العاقل، وأمَّا الثانية والرابعة.. فإمَّا أن تكون واقعةً على الله تعالى وتكون دليلاً لمَن يجوِّزُ وقوعَها على العالم، أو تجعل مصدريَّةً، والتقدير: (ولا أنتُم عابدون عبادتي) أي: مثلَ عِبادتي، ويصحُّ أن تكون جميعُها مصدريَّة، أو موصولةً، أو الأُوليان موصولة، والأُخريان مصدرية[2]، فتحصَّل أنَّ (ما) في هذه السورة فيها أربعة أقوال:

الأوَّل: أنَّها كلَّها بمعنى (الذي)، الثاني: أنَّها كلَّها مصدرية، الثالثة: أنَّ الأوليَين بمعنى (الذي)، والأخرَيان مصدريتان، الرَّابع: أنَّ الأُولى والثالثة بمعنى (الذي)، والثانية والرابعة مصدرية.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩٥١٩).

(٢) في (ط٢): (أو الأوليان مَوصولتان، والأُخرَيان مصدريتان).

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾

(﴿٤﴾ - ﴿٥﴾) ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ﴾ فـي الاسـتِقـبـالِ ﴿مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ﴾ في الاستِقبال ﴿مَآ أَعْبُدُ﴾ عَلِمَ الله مِنهُم أنَّهُم لا يُؤمِنُون، وإطلاقُ (ما) على الله على وَجهِ المُقابَلة.

﴿٦﴾ ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾: الشِّرك ﴿وَلِىَ دِينِ﴾: الإسلامُ، وهـذا قبلَ أن يُؤمَرَ بِالحَربِ

حاشية الصاوي

إن قُلت: ما الحكمة في التَّعبير في جانبِه ﷺ بلفظ (أعبُد)، وفي جانبِهم بلفظ (عبدتُم)؟

أُجيب: بأنَّه ﷺ وإن كان يَعبد الله تعالى قبل البعثة إلَّا أنَّه لم يَدْعُ النَّاس إلَّا بعدَها، فلم يَشتهر بها إلَّا حينَ الدعوة، وأمَّا هم.. فكانوا مُتلبِّسين قديماً بعبادة الأصنام، مُتظاهرين بها.

قوله: (علم الله منهم أنَّهم لا يؤمنون) جوابٌ عن سؤالٍ مقدَّرٍ، حاصِلُه: كيف يُقنِّطهم من الإيمان مع أنَّه مبعوثٌ لهدايتِهم، وقد كان حريصاً على إيمانهم؟

وحاصلُ الجواب: أنَّ هذا في قومٍ عَلم الله أنَّهم لا يؤمنون أبداً، فأخبر نبيَّه بذلك؛ لِتَظهر شَقاوتهم.

قوله: (وإطلاق «ما» على الله) أي: في الثانية والرابعة، وأمَّا في الأولى والثالثة.. فهي واقعة على الأصنام.

قوله: (على وجه المُقابلة) أي: المشاكلة، وهذا مبنيٌّ على القول بأنَّه لا يجوز وقوع (ما) على العالم، وأمَّا على مذهب مَنْ يجوِّز ذلك.. فلا يحتاج لِلاعتذار بالمقابلة، وكان المناسب لِلمُفسِّر أن يقول: (وإطلاق «ما» على العالم.. فصيحٌ، وحسَّنَه المشاكلة).

قوله: (﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾... إلخ) أتى بهاتين الجملتين المثبَتتين بعد جُمَلٍ منفيَّةٍ؛ لأنَّه لما كان الأهمَّ تباعدُهُ عليه السَّلام عن دينِهم.. بدأ بالنَّفي سابقاً، فلمَّا تحقَّق النَّفي.. رجَع إلى خطابهم؛ مُهادَنةً لهم، فهاتان الجملتان مُؤكِّدتان لمجموع الجُمَل الأربعة.

قوله: (﴿وَلِىَ دِينِ﴾) بفتح الياء من (ليَ)، وإسكانها، سبعيَّتان[1].

قوله: (وهذا قبل أن يُؤمر بالحرب) الإشارةُ راجعةٌ إلى الآية الأخيرة، وقيل: إلى جميع

---

(١) فتح الياء من (ليَ) نافع وهشام وحفص والبزيُّ بخلاف عنه، وأسكنها الباقون. انظر «الدر المصون» (١١/ ١٣٨).

ـ وحَذَفَ ياءَ الإضافة السَّبعةُ وقفاً ووَصلاً، وأثبَتَها يَعقُوبُ في الحالَينِ ـ.

حاشية الصاوي

السورة، وهذا مبنيٌّ على أنَّ المراد بـ(الدِّين): العبادة والتدين، وقيل: إنَّ المراد بـ(الدين): الجزاء؛ أي: لَكم جزاء أعمالكم، ولي جزاء أعمالي، وعليه: فلا نسخَ.

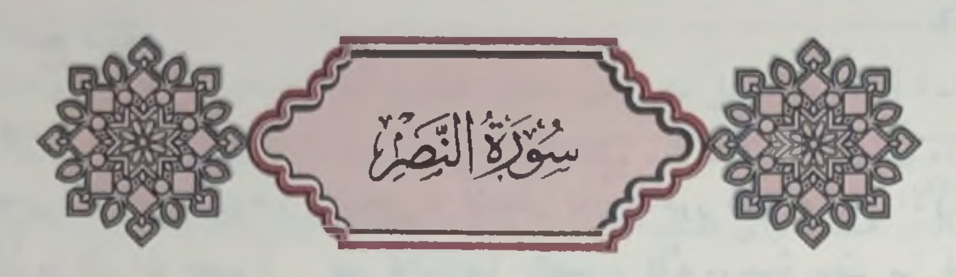
قوله: (وقفاً ووصلاً) أي: لأنَّها من ياءات الزَّوائد؛ فيُراعى فيه رسم المصحف، وهي غير ثابتة فيه؛ اكتفاءً بالكسرة.

قوله: (وأثبتها يعقوب) أي: وهو من العشرة[١].

✿ ✿ ✿

(١) انظر المرجع السابق.

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ ....



مَدنيَّة، ثلاثُ آيات.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ نَبيِّه ﷺ على أعدائِه ....

حاشية الصاوي

سورة النصر

(مدنيَّة) أي: بالإجماع، وتسمَّى سورة (التَّوديع)؛ لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا، واتَّفق الصَّحابة على أنَّ هذه السورةَ دلَّت على نَعْيِ رسول الله ﷺ؛ وذلك لِوُجوه منها: أنَّهم عرفوا ذلك حين خطَب وقال: «**إنَّ عبداً خيَّره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه، فاختار لقاء الله تعالى**»، فقال أبو بكر: (فدَيناك بأنفُسِنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا)[1].

ومنها: أنَّه لما ذكر حصُول النصر والفتح ودخول الناس في الدين أفواجاً.. دلَّ على حصول الكمال والتَّمام، قال الشاعر[2]: [المتقارب]

إذا تـمَّ أمـرٌ بـدَا نَـقـصُـهُ   تَـوَقَّـعْ زوالاً إذا قِـيـل: تَـمْ

ومنها: أنَّه تعالى أمرَه بالتسبيح والحمد والاستغفار، واشتغاله بذلك يمنعُه من اشتغاله بأمرِ الأُمَّة، فكان هذا كالتَّنبيه على أنَّ أمر التبليغِ قد تمَّ وكمل، وذلك يقتضي انقضاءَ الأجلِ؛ إذ لو بقي بعد ذلك.. لكان كالمعزولِ من الرسالة، وذلك غيرُ جائز.

قوله: (﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾) المجيء في الأصل: اسمٌ للموجود الغائب إذا حضَر، والمراد: حصل وتحقَّق، ففيه استعارةٌ تبعيَّةٌ؛ حيث شبَّه حصولَ النَّصر عندَ حضورِ وقتِهِ بالمجيء، ثمَّ اشتقَّ منه

(١) رواه البخاري (٤٦٦)، ومُسلم (٢٣٨٢) عن سيدنا أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه.

(٢) البيت لِعبد الله بن المبارك؛ كما في «ديوانه» (ص٢٥).

وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ ....

﴿وَٱلْفَتْحُ﴾: فتحُ مَكَّة، ....

حاشية الصاوي

لفظ (جاء) بمعنى: (حصل)، وعبَّر بالمجيء؛ إشعاراً بأنَّ الأمور متوجِّهةٌ من الأزَل إلى أوقاتِها المعيَّنةِ لها، وأنَّ ما قدَّر الله حصولَهُ.. فهو كالحاصِل بالفعل، كأنَّه موجودٌ حضَر مِنْ غَيْبَتِهِ.

و﴿إِذَا﴾: ظرفٌ لما يُستقبَل من الزَّمان، منصوبٌ بـ(سبِّح) الواقع جوابَها، وهي على بابها إن كانت السُّورة نزلت قبل الفتح، فإن كان النزول بعد الفتح.. فـ(إذا) بمعنى (إذ) متعلِّقة بمحذوفٍ، تقديره: أكمل الله الأمر وأتمَّ النِّعم على العباد إذ جاء نصرُ اللهِ.

و﴿نَصْرُ ٱللَّهِ﴾: مصدرٌ مضافٌ لفاعلِهِ، ومفعوله محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (نبيَّه).

قوله: (﴿وَٱلْفَتْحُ﴾) (أل) فيه: عوضٌ عن المضاف إليه عندَ الكوفيِّين؛ أي: وفتحُه، أو العائد محذوف عند البصريين؛ أي: والفتحُ منه، وعطفه على (النَّصر) عطفُ خاصٍّ على عامٍّ.

قوله: (فتح مكة) أي: التي حصَل بها أعظمُ فتوح الإسلام، وأعزَّ الله بها دينَهُ ورسولَهُ وجندَهُ وحرَمَهُ، واستَبشر بها أهل السَّماء، ودخل النَّاس في دين الله أفواجاً.

وسببها: أنَّه وقع الصُّلح بالحديبية على أنَّه ﷺ لا يتعرَّض لمن دخل في عقد قريشٍ، وأنَّهم لا يتعرَّضون لمن دخل في عقدِهِ، وكان ممَّن دخل في عقدِهِ خزاعةُ، وفي عقدهم بنو بكر، وكانا مُتعاديَيْنِ، فخرج بعضُ بني بكرٍ وبَنو خزاعة فاقتَتلوا، فأمدَّ قريشٌ بني بكر، فخرج أربعون من خُزاعة إليه ﷺ يخبرونه ويَستنصرونه، فقام وهو يجرُّ رداءه ويقول: «**لا نُصِرْتُ إن لم أنصُرْكم بما أنصُرُ به نفسي**».

ولمَّا أحسَّ أبو سفيان.. جاء إلى المدينة؛ ليجدِّد العهدَ، ويزيدَ في المدَّة، فأبى ﷺ، فرجع، فأمر رسول الله ﷺ النَّاسَ بالجهاز، وأمر أهلَهُ أن يُجهِّزوه، وأعلم النَّاسَ أنَّهُ سائرٌ إلى مكَّة وقال: «**اللهمَّ؛ خُذ العيون والأخبار عن قريش حتى نَبْغَتَها في بلادها**»، فتجهَّز النَّاس، ومضى رسول الله بهم عامداً إلى مكة لعشرٍ مضَيْنَ من رمضانَ ـ وقيل: لِلَيلتين مضتا منه ـ سنة ثمانٍ من الهجرة، فصام رسول الله والنَّاس معه حتَّى إذا كان بالكَدِيدِ.. أفطرَ، وعقدَ الألويةَ والرَّاياتِ، ودفعَها إلى القبائل.

ثمَّ مضى حتَّى نزل مرَّ الظَّهران ـ المسمَّى الآن: بوادي فاطمة ـ في عشرة آلاف ـ وقيل: اثني عشر ألفاً ـ من المسلمين، ولم يتخلَّف من المهاجرين والأنصار عنه أحدٌ، فلمَّا نزَل به.. أمرهم

حاشية الصاوي

أن يُوقدوا عشرةَ آلاف نارٍ، كلَّ نارٍ على حدةٍ، فخرج أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حِزام، وبديل بن ورقاء يَتجسَّسون الأخبار، وكان العبَّاس بن عبد المطلب لقي رسولَ الله ببعض الطريق مهاجراً بعِياله، فلمَّا رأى ذلك الأمرَ.. قال: (والله؛ لئن دخل رسول الله مكة عُنوةً قبل أن يَستأمنوه.. لهلكت قريشٌ إلى آخِر الدَّهر).

قال العبَّاس: فركِبْتُ بغلةَ رسول الله البيضاءَ، وخرجتُ لأجدَ حطَّاباً أو ذا حاجة يَدخل مكَّة فيخبرهم بمكان رسول الله؛ لِيَخرجوا إليه فيَستأمنوه قبل أن يدخلَها عليهم عُنوةً؛ وإذا أنا بأبي سفيان، فعرَفْتُ صوتَهُ، فقلتُ: يا أبا حنظلةَ، فعرف صَوتي، فقال: أبو الفضل؟ فقلتُ: نعم، قال: ما لَكَ فداك أبي وأمي؟ قُلت: ويحك يا أبا سفيان؛ هذا رسول الله قد جاءكم بما لا قِبَلَ لكم بهِ؛ بعشرة آلافٍ من المسلمين، قال: وما الحيلةُ؟ قُلت: والله؛ لَئن ظفر بك.. لَيَضربَنَّ عنقَكَ، فاركب عَجُز هذه البغلةِ حتَّى آتيَ بك رسولَ الله فأَسْتَأْمِنَهُ لك، فأردَفتُهُ، ورجع صاحباه، فخرجتُ أركضُ به بغلة رسول الله؛ كلَّما مرَرْتُ بنارٍ من نيران المسلمين.. نظرُوا وقالوا: عمُّ رسولِ الله، على بغلةِ رسول الله، حتَّى مرَرْتُ بنارِ عمرَ بنِ الخطَّاب فقال: مَن هذا؟ وقام إليَّ، فلمَّا رأى أبا سفياد على عجُز الدابة.. قال: (يا أبا سفيان، عدوَّ الله، الحمد لله الذي أمكنَ منك بغير عقدٍ ولا عهدٍ) ثمَّ خرج يشتدُّ نحوَ رسولِ الله، وركَضْتُ البغلةَ فسبقته، فلمَّا وصلت النبيَّ ﷺ.. دخلت عليه ودخل عليه عمر، فقال: (يا رسول الله؛ هذا أبو سفيان عدوُّ الله، قد أمكن الله منه بغير عهدٍ ولا عقدٍ، فدَعني أضرِبْ عنقَهُ)، قال: فقلتُ: يا رسول الله؛ إنِّي قد أجَرتُهُ، فقال رسول الله: **«اذهب به يا عبَّاس إلى رَحلك، فإذا أصبحْتَ.. فأتِني به»**، قال: فذهَبْتُ به إلى رحلي، فبات عندي، فلمَّا أصبح.. غدَوتُ به إلى رسول الله، فلمَّا رآه.. قال: **«ويحك يا أبا سفيان؛ ألم يأنِ لك أن تعلَمَ أن لا إله إلا الله؟»**، قال: بأبي أنت وأمِّي ما أحلمَك وأكرمك وأوصَلك! فما زال به حتَّى أسلَم.

قال العبَّاس: يا رسول الله؛ إنَّ أبا سفيان رجلٌ يحبُّ الفخرَ، فاجعَل له شيئاً، قال: **«نعم، مَنْ دخل دارَ أبي سفيان.. فهو آمِن، ومَنْ أغلق بابَهُ عليه.. فهو آمِن، ومَنْ دخل المسجد.. فهو آمِن»**، فلمَّا ذهب لِيَنصرف.. قال رسول الله ﷺ: **«احبِسه بِمَضيق الوادي حتَّى تمرَّ به جنودُ الله»**، قال: ففعلتُ، ومرَّت به القبائل على راياتها؛ كلَّما مرَّت به قبيلة.. قال: مَن هؤلاء يا عباس؟ فأقول: سُليمٌ، فيقول: ما لي ولِسُليم؟ ثمَّ تمرُّ القبيلةُ، فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: مُزينة، فيقول: ما لي

. . . .

حاشية الصاوي

ولِمُزينة؟ فلا تمرُّ قبيلةٌ إلَّا سألني عنها حتَّى مرَّ رسول الله ﷺ في كتيبتِهِ الخضراءِ، وفيها المهاجرون والأنصار لا يُرَى منهم إلَّا الحدق من الحَديد، فقال: سبحان الله؛ مَنْ هؤلاء يا عبَّاس؟ قلتُ: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، فقال: ما لأحدٍ بهؤلاء مِنْ قِبَلٍ ولا طاقةٍ، والله يا أبا الفضل؛ لقد أصبح مُلكُ ابن أخيك عظيماً، قلتُ: ويحَك، إنَّها النبوة، قال: فنَعم إذاً، فقلتُ: الْحَقِ الآن بقَومك، فحَذِّرهم، فخرج سريعاً حتَّى أتى مكة، فصرخ في المسجد بأعلى صوتِه: يا معشر قريش؛ هذا محمَّد قد جاءَكم فيما لا قِبَلَ لكم به، قالُوا: وكيف السبيل؟ قال: مَن دخل دار أبي سفيان.. فهو آمِن، قالُوا: ويحك وما تُغني عنَّا دارك؟ قال: ومَن دخل المسجد.. فهو آمِن، ومَن أغلق عليه داره.. فهو آمِن، فتفرَّق النَّاس إلى دُورِهم، وإلى المسجد، وجاء حكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء إلى رسول الله، فأسلَما وبايعاه، ثمَّ بعثَهما رسول الله بين يدَيه إلى قريش يَدعُوانهم إلى الإسلام.

ثم إنَّ رسول الله دخل مكَّة وضرب قُبَّته بأعلى مكة، وأمر خالدَ بن الوليد فيمَن أسلَم مِن خزاعة وبني سليم أن يَدخلوا من أسفل مكة، وقال لهم: «لا تُقاتلوا إلَّا مَنْ قاتَلكم»، وأمَر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض النَّاس، فقال سعد: يا أبا سفيان؛ اليومَ يومُ المَلحمة؛ أي: الحرب، اليوم تُستَحل الحرمة، فبلغ النبي ﷺ ذلك، فأمرَه على لسان علي كرم الله وجهه أن يَدفع الراية لابنِهِ قيس، وأخبر أبا سفيان أنَّه لم يأمر بقَتل قريش، وأنَّ اليومَ يومُ المرحمة، وأنَّ الله يُعِزُّ قريشاً، وخشي سعدٌ أنَّ ابنَهُ يقع منه شيء أيضاً، فذكر ذلك لِلنبي ﷺ، فدفعها للزُّبير، وكانت رايةُ النَّبي والمهاجرين مع الزبير أيضاً، فبَعثه ومعه المهاجرون وخَيلُهم، وأمره أن يدخل من أعلى مكة، وأن يَغرز رايتَه بالحجون، ولا يَبرح حتَّى يأتيَهُ.

وأمَّا خالد بن الوليد.. فقَدِم على قريش وبني بكر والأحابيش بأسفل مكة، فقاتَلوهم، فهزمهم الله، ولم يكن بمكة قتالٌ غير ذلك، فقُتِلَ من المشركين اثنا عشر رجلاً أو ثلاثة عشر جلاً، ولم يُقْتَل من المسلمين إلا ثلاثة[1]، وكان قد أمرَهم النبي ألَّا يُقاتِلوا إلَّا مَنْ قاتلهم، إلَّا نفراً سمَّاهم، أَمرَ بقتلهم وإن وُجدوا تحت أستارِ الكعبة؛ منهم: عبد الله بن سعد، وعبد الله بن خَطَل؛

---

(١) وهم: كرز بن جابر من بني محارب بن فهر، وحبيش بن خالد بن ربيعة بن أصرم الخزاعي، وسَلمة بن الميلاء الجهني رضي الله عنهم.

﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ ....

﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ أي: الإسلام ﴿أَفْوَاجًا﴾: جماعاتٍ بعدَ ما كان يَدخُل فِيه واحِدٌ واحِد، وذلك بَعد فتحِ مكَّة، جاءَهُ العَرَبُ مِن أقطارِ الأرضِ طائعين.

حاشية الصاوي

كانا قد أسلما ثمَّ ارتدَّا، ومنهم: قَينتان كانتا تُغنِّيان بهجاء النبي لعبد الله بن خَطل، ومنهم: الحُويرث بن وهب[(١)]، ومقيس بن صبابة، وأناس أُخَر.

ثمَّ إنَّ رسول الله ﷺ خرج لما اطمأنَّ بالنَّاس حتَّى جاء البيت، فطاف به سبعاً على راحلتِه، يَستلم الرُّكنَ بمحجنٍ في يَده، فلمَّا قضى طوافه.. دعا عثمانَ بن أبي طلحة، فأخذ منه مِفتاح الكعبة، ففُتِحَتْ له، فدخلَها، ثمَّ وقف على باب الكعبة وقد استَكن له النَّاس في المسجد، فقال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، صدَق وعده، ونصر عبدَه، وهزم الأحزاب وحدَه**»، ثمَّ قال: «**يا معشر قريشٍ؛ ما تَرَون أنِّي فاعلٌ فيكم**»؟ قالوا: خيراً، أخٌ كريمٌ، وابن أخٍ كريمٍ، ثمَّ قال: «**اذهبُوا فأنتُم الطُّلَقاء**»، فأعتقهم رسول الله وقد كان الله أمكن منهم عُنوة، فبذلك سمِّي أهل مَكة الطلقاء.

ثمَّ جلس رسول الله ﷺ في المسجد، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يَدِه فقال: (يا رسول الله؛ اجمَع لنا بين الحجابة والسقاية)، فقال رسول الله: «**أين عُثمان بن طلحة؟**» فدُعِيَ له، فقال: «**هاكَ مِفتاحك يا عثمان، اليومَ يوم وفاءٍ وبرٍّ**».

واجتمع النَّاس لِلبيعة، فجلس إليهم رسولُ الله على الصَّفا وعمر بن الخطاب أسفَل منه يَأخذ على النَّاس، فبايَعوه على السمع والطاعة فيما استَطاعوا، فلمَّا فرَغ من بيعة الرجال.. بايع النِّساء وقد أحدَقت به الأنصار، فقالُوا فيما بينَهم: (أترَون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلَده يُقِيم به؟) فقال: «**ماذا قُلتم؟**» قالوا: لا شيء يا رسول الله، فلم يزَل بهم حتَّى أخبرُوه، فقال النبي ﷺ: «**معاذَ الله، المحيا مَحياكم، والمماتُ مَماتكم**»، وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحِها خمسة عشر ليلة يَقصر الصَّلاة، ثمَّ خرج إلى هَوازن وثقيف[(٢)].

قوله: (﴿يَدْخُلُونَ﴾) نصب على الحال إن كانت (رأى) بصرية، أو مفعولٌ ثانٍ إن كانت عِلميَّة.

قوله: (﴿أَفْوَاجًا﴾) حال من فاعل ﴿يَدْخُلُونَ﴾، وهو جمع (فوج)، والمعنى: يدخلون زُمراً زمراً من غير قتال، وقوله: (جاءه العرب) لا مفهومَ له، بل وغيرُهم.

---

(١) نسبَه المصنف رحمه الله تعالى لِجَده، وهو الحويرث بن نقيذ بن وَهب.

(٢) انظر خبر الفتح في «عيُون الأثر» (٢/ ٢٢٢)، و«مَغازي الواقدي» (٢/ ٧٨٠).

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾

(٣) ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: مُتلبِّساً بِحَمدِه، ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾، وكان ﷺ بعدَ نُزُول هذِه السُّورة يُكثِر مِن قَولِ سُبحان الله وبِحَمدِه، أستَغفِر الله وأتُوبُ إلَيهِ، وعَلِم بِها أنَّهُ قد اقترب أجَلُه، وكانَ فتحُ مكَّة في رَمَضانَ سَنة ثَمانٍ. . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾) أي: قل: (سبحان الله، والحمد لله)؛ تعجباً ممَّا رأيتَ من عَجيب إنعامِهِ عليك.

قوله: (﴿وَٱسْتَغْفِرْهُۚ﴾) أي: سَلِ اللهَ الغفرانَ، وإنَّما أمر الله نبيَّه بالاستغفار مع أنَّه معصومٌ من جميع الذنوب صغيرِها وكبيرِها؛ لِيَترقَّى ويرجعَ إلى حَضرة الحقِّ؛ فإنَّه وإن كان مشغولاً بهداية الخلق إلَّا أنَّ مقامَ الصَّفوة والحضور والأُنس أعلى وأجلُّ، فهو من باب: (حسنات الأبرار سيئات المُقربين)؛ ليزداد في التَّواضع والافتقار، ولِيَكون ختامَ عملِهِ التَّنزيهُ والاستغفارُ، وفيه تشريعٌ للأمَّة إذا طعن أحدُهم في السنِّ. . فالغالب قُربُ أجله، فليُكثِر من ذلك؛ لِيَختِمَ عملَهُ به.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾) أي: ولم يزَل؛ فـ(كان): للدلالة على ثُبوت خبرها لاسمها، ومعنى كونه تواباً: أنَّه يُكثر قبول التَّوبة، وبهذا اندفع ما يقال: إنَّ (كان) لِلدلالة على ثبوت خبرها لاسمها في الماضي، وإذا كان كذلك. . فلا يَصحُّ أن يكون علَّةً للاستغفارِ في الحال أو المستقبَل.

قوله: (وعلم بها أنَّه قد اقترب أجلُه) أي: لِقول مقاتل: (لما نزلت. . قرأها النبي ﷺ على أصحابه، وفيهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص والعبَّاس، ففرحوا واستَبشروا، وبكى العبَّاس، فقال له النبي ﷺ: «ما يُبكيك يا عمِّ؟» قال: نُعِيَتْ إليك نفسُكَ، قال: «إنَّه كما قلتَ»، فعاش بعدَها ستين يوماً ما رُئي فيها ضاحكاً)(١).

وقيل: نزَلت في منًى بعدَ أيَّام التشريق في حجَّة الوداع، فبكى عمرُ والعبَّاس فقيل لهما: هذا يوم فرحٍ؟ فقالا: بل فيه نَعْيُ النبيِّ ﷺ؛ أي: إخبارٌ بِموته(٢).

وعن ابن عمر: (نزلت هذه السورة بمنًى في حجَّة الوداع، ثمَّ نزل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة: ٣]، فعاش النبي ﷺ بعدها ثمانين يوماً، ثمَّ نزلت آيةُ الكلالة، فعاش

(١) أورده الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٠/ ٣٢١)، والماوَردي في «النُّكت والعيون» (٦/ ٣٦٢).

(٢) أورَده القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٣٢).

وتُوُفِّيَ ﷺ في رَبِيعِ الأولِ سنةَ عَشر.

حاشية الصاوي

بعدها خمسين يوماً، ثمَّ نزل: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، فعاش بعدها إحدَى وعشرين يوماً)، وقيل: سبعة أيَّام، وقيل غير ذلك[1].

قوله: (وتُوفي ﷺ سنةَ عشر) إن قُلت: إنَّ سنة عشر حجَّ فيها، وتُوفي فيها ولَده إبراهيم؛ فالصواب: سنةَ إحدى عشرة؟

وأُجيب: بأنَّ المراد على تَمام عشرٍ من الهجرة إلى المدينة؛ وذلك لأنَّ الهجرة كانت لاثنتي عشرة خَلت من شهر ربيع الأوَّل، وكانت وفاتُه لاثنتي عشرة خلَت من ربيع الأوَّل، فكانت وفاته ﷺ على رأس العاشرة بالنَّظر لِجَعل التاريخ من الهجرة، وإن كانت لِشَهرين وشيءٍ مضَت من الحادية عشرة إذا اعتُبِرَ التَّاريخ من أوَّل السَّنة الشرعيَّة وهو المُحرَّم؛ فيصحُّ أن يُقال: تُوفي سنة إحدى عشرة بالنَّظر لجعل التاريخ من المُحرم، وتوفي سنة عشرٍ بالنَّظر لجعل التاريخ من يوم دُخُوله المدينة.

✿ ✿ ✿

(١) انظر المرجع السابق، وفيه أيضاً: (ثم نزل ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، فعاش بعدَها خمسة وثلاثين يوماً).

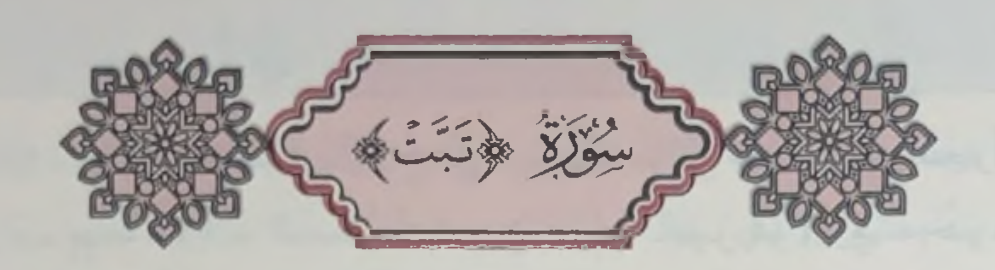
[illegible] الدلالة على ثبوت صورها الأصلية [illegible]

[illegible] على [illegible]

[illegible] في العلاقات [illegible]

[illegible] قرأها النبي ﷺ [illegible]

[illegible]



مَكيَّة، خمسُ آيات.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) لمَّا دعَا النَّبيُّ ﷺ قَومَه وقال: إنِّي ﴿نَذِيرٌ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ﴾، فقال عَمُّه أبُو لَهَب: تبًّا لكَ! ألِهَذا دَعوتَنا؟ ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ ﴿تبَّتْ﴾

وتسمَّى سورة (أبي لهب).

قوله: (مكيَّة) أي: بالإجماع.

قوله: (لَما دعا النبي) أي: نادى، وقوله: (قومه) أي: المؤمنين والكافرين.

وذلك أنَّه لما نزَلت: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].. خرَج ﷺ حتَّى صعد الصفا، فهتف: «يا صباحاه»، فقالوا: مَنْ هذا الذي يَهتف؟ قالوا: محمَّدٌ، فاجتمعوا إليه فقال: «يا بَني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بَني عبد المطلب»، فاجتمعوا إليه فقال: «أرأيتُم لو أخبرتكم أنَّ عِيراً تخرج بسَفح هذا الجبل؛ أكنتم مُصدقي؟» قالوا: ما جرَّبنا عليك كذباً، قال: «فإنِّي نذيرٌ لكم بين يدَي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبًّا لك ما جمَعتنا إلا لهذا! ثمَّ قام، فنزلت هذه السُّورة[1].

فلمَّا سمعت امرأتُه ما نزل في زوجها وفيها من القرآن.. أتَت رسول الله ﷺ وهو جالسٌ في المسجد عندَ الكعبةِ ومعَه أبو بكر رضي الله عنه، وفي يدها فهرٌ من حجارة، فلمَّا وقَفت عليه.. أخذ الله بصرَها عن رسول الله ﷺ، فلم ترَ إلَّا أبا بكرٍ، فقالَت: يا أبا بكر؛ إنَّ صاحبك قد بلَغني أنَّه يَهجوني، والله لو وجدتُه.. لَضَربتُ بهذا الفهرِ فاه، والله إني لَقائلة:

مُذَمَّماً عَصَيْنا

(١) رواه البخاري بنحوه (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر «زاد المسير» (٤/ ٥٠٢).

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ ....

نزل: ﴿تَبَّتْ﴾: خَسِرَت ﴿يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ أي: جُملتُه، وعَبَّر عنها بِاليَدَينِ مَجازاً؛ لِأنَّ أكثَرَ الأفعال تُزاوَل بِهِما، وهَذه الجُملةُ دُعاء، ﴿وَتَبَّ﴾: خَسِرَ هو، وهذه خَبر، كقَولِهم:

حاشية الصاوي

وأَمْــــرَهُ أَبَــــيْــــنَــــا

ودِيــــنَــــهُ قَــــلَــــيْــــنَــــا

ثمَّ انصرفَتْ، فقال أبو بكر: يا رسول الله؛ أما تراها رأتك؟ قال: «ما رأَتني، لقد أخَذ الله بصرَها عنّي»[١]. وكانت قريش تسمِّي رسولَ الله مذمَّماً، ثمَّ يَسبُّونه؛ أي: ذو ذِمَّة وعهدٍ صادقٍ، وقال صاحب «الهمزيَّة» في هذا المعنى[٢]: [الخفيف]

وأَعَـدَّتْ حَـمَّـالَـةُ الـحَـطَـبِ الـفِـهْـ ـرَ وجَـاءَتْ كَـأَنَّـهـا الـوَرْقَـاءُ

يَـوْمَ جَـاءَتْ غَـضْـبَى تَـقُـولَ: أَفِـي مِـثْـ ـلِـيَ مِـنْ أَحـمَـدٍ يُـقَـالُ الـهِـجَـاءُ؟

فَـتَـوَلَّـتْ وَمَـا رَأَتْـهُ وَمِـنْ أَيْـ ـنَ تَـرَى الـشَّـمْـسَ مُـقْـلَـةٌ عَـمْـيَـاءُ؟

وقيل: إنَّ سبب نُزولها: ما حكاه عبد الرحمن بن زيد: أنَّ أبا لهبٍ أتى النبيَّ ﷺ فقال: ماذا أُعْطَى إن آمنتُ بك يا محمَّد؟ فقال: «كما يُعْطَى المسلمُون»، قال: ما لي عليهم فَضل؟ قال: «وأيَّ شيء تبتغي؟»، قال: تبًّا لهذا من دينٍ إن أكُنْ وهؤلاء سواءً[٣].

قوله: (﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾) بفتح الهاء وسكونها، سبعيَّتان، ولغتان جيِّدتان[٤]، واتفق القرَّاء على فتح الهاء في قوله: ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾، والفرق: أنَّها فاصلة، فلو سُكِّنَتْ. زال التَّشاكل.

قوله: (وهذه خبر) أي: إخبارٌ بحصولِ التَّباب له، الذي دعا به عليه في الجُملة الأولى، وهذا أحد قولَين، وقيل: إنَّ كلا الجملتين دعاءٌ[٥].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرَك» (٢/ ٣٦٢)، وأبو يعلى في «مُسنَده» (٥٣) عن سيدتنا أسماءَ بنتِ أبي بكر رضي الله عنهما.

(٢) انظر «المنح المكية» (ص٢٥٥) وما بعدها.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٧٥).

(٤) قرأ العامَّة بفتح الهاء، وابن كثير بإسكانها. انظر «الدر المصون» (١١/ ١٤١).

(٥) أي: ويكون في الثانية شبَهٌ من مجيء العامِّ بعد الخاصِّ؛ لأنَّ اليدَين بعضٌ وإن كان حقيقة اليدَين غيرَ مُراد، وإنَّما عبَّر باليدين؛ لأنَّ الأعمال غالباً تُزاوَل بهما. انظر: المرجع السابق.

مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ ....

أهلَكَهُ الله، وقَد هَلَك، ولَمَّا خَوَّفَهُ النَّبيُّ بِالعَذابِ فقال: إن كان ما يَقُول ابن أخِي حَقًّا فإنِّي أفتَدِي مِنهُ بِمالِي ووَلَدِي، نزَل:

(٢) ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ أي: وكَسْبُه أي: ولَدُه، و﴿أَغْنَىٰ﴾ بِمَعنى: يُغنِي.

(٣) - (٥) ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أي: تُلهَب وتُوقَد، فهي مَآلُ تَكنِيَتِه لِتلهُّبِ

حاشية الصاوي

وصرَّح بكنيته؛ لقبح اسمِهِ؛ فإنَّ اسمه عبد العزَّى، أو لأنَّ الله تعالى أراد أن يُحقِّق نسبتَهُ بأن يُدخلَهُ النَّار.

قوله: (﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ﴾) يصح أن تكونَ ﴿ما﴾ نافيةً، أو استفهاميَّةً، وعلى الثاني: فهو في محلِّ نصب بـ﴿أَغْنَىٰ﴾، والتَّقدير: أيَّ شيءٍ أغنى؟ قُدِّم لكونِهِ له صدرُ الكلام.

قوله: (﴿مَالُهُۥ﴾) أي: الموروثُ مِنْ آبائِهِ.

قوله: (وكسبُه) أشار بذلك إلى أنَّ (ما) مصدريَّةٌ، ويصحُّ أن تكونَ اسم مَوصول بمعنى (الذي)، والعائد محذوف؛ أي: والذي كسبَه.

قوله: (أي: ولده) وهو عُتَيْبَةُ؛ بالتَّصغير، وأمَّا عُتبة ومعتب.. فقد أسلَما، قال بعضهم[1]:

[المتقارب]

كَرِهْتُ عُتَيْبَةَ إذْ أَجْرَمَا ... وأَحْبَبْتُ عُتْبَةَ إذْ أَسْلَمَا

كَذَا مُعْتِبٌ مُسْلِمٌ؛ فَاحْتَرِزْ ... وَخَفْ أَنْ تَسُبَّ فَتًى مُسْلِمَا

ومات أبو لهبٍ بداءٍ يُسمَّى: العَدَسةَ بعد وَقْعَةِ بدرٍ لسبع ليالٍ، والعدسة: قرحةٌ تخرج بالبدن فتَقتل صاحبَها، كانت العرب تهرب منها؛ لِزَعمهم أنَّها تُعدي.

قوله: (﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا﴾) أي: يَحترق بها.

قوله: (فهي مآلُ تَكْنِيَتِهِ) جوابٌ عمَّا يقال: كيف ذَكَره بكنيتِهِ دون اسمِهِ وهو عبد العزَّى مع أنَّ ذلك إكرامٌ واحترامٌ؟

---

(١) انظر «حاشية الشهاب على البَيضاوي» (٨/٤٠٨).

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥﴾

وَجهه إشراقاً وحُمرةً، ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ ـ عَطف على ضَمِير (يَصلَى) سَوَّغهُ الفَصلُ بِالمفعولِ وصِفَتِه ـ وهي أُمُّ جَمِيل ﴿حَمَّالَةَ﴾ ـ بِالرَّفعِ والنَّصب ـ ﴿ٱلۡحَطَبِ﴾: الشَّوكِ والسَّعدان تُلقِيهِ في طَريق النَّبيِّ ﷺ، ﴿فِي جِيدِهَا﴾: عُنُقِها ﴿حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ ....

حاشية الصاوي

وإيضاحه: أنَّه ذكره بكنيتِهِ؛ لموافقةِ حاله لها؛ فإنَّ مصيره إلى النَّار ذات اللَّهب، أو لأنَّ ذكرَهُ باسمِهِ خلاف الواقع حقيقةً؛ لأنه عبدُ الله، لا عبدُ العزَّى.

قوله: (وهي أمُّ جميل) أي: وهي أختُ أبي سفيان بن حرب، وكانت عوراءَ، وماتت مخنوقةً بحبلِها.

قوله: (﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾) إن قُلت: إنَّها كانت من بيت العزِّ والشَّرف؛ فكيف يَلِيق بها حمل الحطب؟

قُلت: إنَّها لشدَّة عَداوتها للنبيِّ لا تستعين في ذلك بأحدٍ، بل تَفعَلُهُ بنفسِها.

قوله: (بالرفع) أي: على أنَّه نعت لـ(امرأته)، وقرأ عاصمٌ: ﴿حَمَّالَةَ﴾ بالنَّصب على الذمِّ، أو الحال من (امرأته)[1]، والمعنى: أنَّها تَصْلَى النَّار حالَ كونِهَا حمَّالة الحطب؛ لما وردَ: «أنَّها تحمل يوم القيامة حزمةً من حطَب النار؛ كما كانت تَحمِل الحطب في الدنيا»[2].

قوله: (والسَّعدان) هو نبتٌ له شوكٌ يُشَبَّهُ به حَلَمَةُ الثَّدي، وهو بوزن: (سَرْحَان).

قوله: (تُلقيه) أي: بالليل؛ لِقصد أذيَّة النبيِّ ﷺ.

قوله: (﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾) قيل: إنَّها في الدنيا كانت تحتطب في حبلٍ من لِيفٍ تجعلُهُ في عنقِها، فبينَما هيَ ذات يوم حاملةً للحزمةِ فقعَدَتْ على حجرٍ لتستريح؛ إذ أتاها ملكٌ، فجذَبها مِنْ خلفِها فأهلكها خنقاً بحَبلِها[3].

وقيل: هذا في الآخرة، قال ابن عبَّاس: (هو سلسلةٌ من حديدٍ، ذَرعُها سبعون ذراعاً، تدخل مِنْ فِيهَا وتخرج من دُبُرها، ويكون سائرُها في عنقها، فُتِلَتْ من حديد فَتْلاً محكماً). انتهى[4].

(١) أي: إذا جعلناها مرفوعةً بالعطف على الضمير في (سيَصلى).

(٢) أورده العلامة الخَطيب في «السراج المنير» (٤/ ٦٠٨).

(٣) أورده البغوي في «تَفسيره» (٥/ ٣٢٨).

(٤) أورده الخازن في «تفسيره» (٤/ ٤٩٥).

أي: لِيفٍ ـ وهذه الجُملةُ حالٌ مِن ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ الذي هو نَعت لِـ(امرَأتُه)، أو خَبَر مُبتَدأ مُقدَّر ـ.

حاشية الصاوي

ويكون المرادُ بـ(المسَد): الحديدَ؛ فإنَّه يُطلق عليه أيضاً؛ كما يُؤخَذ من «القاموس»[1]، ولا مانعَ من الجمع.

قوله: (أي: لِيف) قيل: هو ليفُ المُقْلِ، وهو شجر الدَّوْمِ، أبيضُ مشهورٌ، وقيل: مُطلَق الليف.

قوله: (وهذه الجملة) أي: المركَّبة من المبتدأ الذي هو ﴿حَبْلٌ﴾، ومِن الخبر الذي هو ﴿فِي جِيدِهَا﴾.

قوله: (أو: خبر مبتدأ مقدر) أي: وتقديره: (المرأة المذكورة في جيدها حبل من مسَد).

✿ ✿ ✿

(١) «القامُوس المحيط» (ص٣١٩).

[illegible]

* * *

[illegible]



مَكيَّة أو مدنيَّة، أربعُ أو خمسُ آيات.

حاشية الصاوي

سُورَةُ الإخلاص

مناسبتُها لما قبلَها: أنَّه لمَّا تقدَّم في التي قبلَها ذكرُ عَداوة المشركين له ﷺ، ولا سيَّما أقرب النَّاس إليه وهو عمُّه أبو لهبٍ.. جاءت هذه السُّورة مُصرِّحةً بالتَّوحيد، رادَّةً على عبَدة الأوثان؛ تسليةً له ﷺ، وإشعاراً بأنَّ مَنْ تعلَّقَ بالله لا يَكِلُهُ إلى غيره، ولا يَعتريه حزنٌ.

ولهذه السُّورة أسماءٌ كثيرةٌ، وزيادةُ الأسماءِ تدلُّ على شرف المسمَّى، أنهاها بعضُهم إلى عشرين اسماً: أوَّلها: الإخلاص، ثانيها: التَّنزيل، ثالثها: التجريد؛ لأنَّ مَنْ تعلَّق بها تجرَّد عن الأغيار، رابعها: التَّوحيد؛ لأنَّها دالَّةٌ عليه، خامسها: النَّجاة؛ لنجاة قارئها من النَّار، سادسها: الولاية؛ لأنَّ مَنْ تعلَّق بها أعطاه الله الولايةَ، سابعها: النِّسبة؛ لقولهم في السُّؤال: (انسب لنا ربَّك)[1]، ثامنها: المعرفة؛ لأنَّ مَنْ فهمها عَرَفَ الله، تاسعها: الجمال؛ لِدلالتها على جمال الله؛ أي: اتِّصافه بالكمالات، وتنزيهه عن النقائص، عاشرها: المقشقشة؛ أي: المبرئة من الشِّرك والنِّفاق.

الحادي عشر: المعوِّذة؛ أي: المحصِّنة لقارئها من فتن الدنيا والآخرة، الثاني عشر: الصَّمد؛ لذكره فيها، الثالثَ عشرَ: الأساس؛ لأنَّها أصل الدين، ولحديث: «أُسست السَّماوات السبع والأرضون السبع على ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾»[2]، الرابع عشر: المانعة؛ لأنَّها تمنع فتنةَ القبرِ وعذابَ النَّار، الخامس عشر: سورة المحتَضَر؛ لأنَّ الملائكة تحضُرُ لاستماعها إذا قُرئت، السَّادس عشر: المُنفِّرة؛ لأنَّ الشياطين تَنفرُ عند قراءتها، السابع عشر: سورة البراءة؛ لأنَّها براءةٌ من الشرك، الثامن عشر: المذكِّرة؛ لأنَّها تذكِّرُ العبدَ خالصَ التَّوحيدِ، التاسع عشر: النُّور؛ لأنها تنوِّر القلب، العشرون: سورة الإنسان؛ لأنَّه لا غنى له عنها.

---

(١) كما روى الترمذي (٣٣٦٤) عن سيدنا أبي بنِ كعب رضي الله عنه: أنَّ المشركين قالُوا لرسول الله ﷺ: انسُب لنا ربَّك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾.

(٢) رواه الدِّينوَري في «المجالسة وجواهر العِلم» (٣٤٥٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

حاشية الصاوي

وقد وردَ في فضلِها أحاديثُ كثيرةٌ، منها: قوله ﷺ: «**مَنْ أراد أن ينام على فراشه، فنام على يمينه، ثمَّ قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مئة مرَّة؛ فإذا كان يوم القيامة يقول له الربُّ عزَّ وجلَّ: يا عبدي؛ ادخل بيَمينك الجنَّة**»[1].

ومنها: قوله ﷺ: «مَنْ قرَأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ خمسين مرَّة.. غُفِرَتْ له ذنوبُ خمسين سنةً»[2].

ومنها: قوله ﷺ: «مَنْ قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشرَ مرَّات.. بني له قصر في الجنَّة، ومن قرأها عشرِين مرَّة.. بُني له قَصران في الجنَّة، ومَنْ قرأها ثلاثين مرَّة.. بُني له ثلاث قصور في الجنَّة»، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله؛ إذن تكثر قُصورنا، فقال رسول الله ﷺ: «الله أوسَع من ذلك»[3].

ومنها: قوله ﷺ: «مَنْ قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في مرضِهِ الذي يموت فيه.. لم يُفْتَنْ في قبرِهِ، وأَمِنَ من ضغطة القبر، وحمَلَته الملائكة يوم القيامة بأكُفِّها حتى تُجيزه من الصراط إلى الجنَّة»[4].

ومنها: قوله ﷺ: «مَنْ قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حين يَدخل منزله.. نفَت الفقرَ عن أهل ذلك المنزل وعن الجيران»[5].

ومنها: قوله ﷺ: «مَنْ قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مرَّة.. بورك عليه، ومَنْ قرأها مرَّتين.. بورك عليه وعلى أهله، ومَنْ قرأها ثلاث مرَّات.. بُورك عليه وعلى جميع جيرانه، ومَنْ قرأها ثِنتي عشرة مرَّة.. بنى الله له اثني عشر قصراً في الجنَّة، فإن قرأها مئة مرَّة.. كفَّر الله عنه ذنوب خمسين سنةً ما خلا الدماءَ والأموالَ، فإن قرأها مئتي مرَّة.. كفَّر الله عنه ذنوب مئةِ سنة، فإن قرأها ألف مرَّة.. لم يمت حتى يرى مكانه من الجنَّة أو يُرى له»[6].

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٩٨) عن سيدنا أنسِ بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه الدارمي في «مُسنَده» (٣٤٨١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) رواه الدارمي في «مسنده» (٣٤٧٢) عن سعيد بن المسيّب مرسلاً.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/ ٥٧)، وأبو نعيم في «حِلية الأولياء» (٣/ ٢١٣) عن سيدنا عبد الله بن الشخير رضي الله عنه.

(٥) رواه الطبراني في «المعجَم الكبير» (٢٤١٩) عن سيدنا جرير بن عبد الله البَجَلي رضي الله عنه.

(٦) رواه الثعلبي في «الكشف والبَيان» (١٠/ ٣٣٠) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(﴿١﴾ - ﴿٢﴾) سُئل النَّبِيُّ ﷺ عن رَبِّه فنزَل: ....

حاشية الصاوي

ومنها: أنَّه شكا رجلٌ إلى رسول الله ﷺ الفقرَ وضيقَ المعيشةِ، فقال له رسول الله ﷺ: «إذا دخلتَ البيتَ.. فسلِّم إن كان فيه أحدٌ، فإن لم يكن فيه أحدٌ.. فسَلِّم عليَّ، واقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مرَّة واحدة»، ففعل الرجل ذلك، فأدرَّ الله عليه الرزقَ حتَّى أفاض على جيرانه[1].

ومنها: أنَّ مَنْ قرأها مئةَ ألف مرَّة.. فقد اشترى نفسه من الله، ونادى منادٍ من قبل الله تعالى في سماواته وفي أرضه: «ألا إنَّ فلاناً عتيقُ الله، فمن كان له قِبَلَهُ بضاعة.. فليَأخذها من الله عزَّ وجلَّ»[2].

فهي عتاقة من النَّار، لكن بشرط ألَّا يكون عليه حقوقٌ للعباد أصلاً، أو عليه وهو عاجزٌ عن أدائها، أمَّا مَنْ قدر عليها.. فهو كالمستهزئ بربِّه؛ لما وردَ في الحديث: «يا داوود؛ قُل لِلظلمة: لا يَذكروني؛ فإنَّهم إن ذكروني.. ذكرتُهم، وذكري لهم أن ألعَنَهم»[3].

قوله: (سُئل ﷺ) أي: والسَّائل له قريشٌ، أو أحبار اليهود أو النصارى؛ حيث قالوا: (إنَّ آلهتنا ثلاث مئة وستون ولم تُقْضَ حوائجُنا؛ فكيف بواحد؟!)، أو صورة السُّؤال: وما صفة ربك؛ هل هو من نحاسٍ أو من ذهبٍ أو زبرجدٍ، أو كيف هو؟ قولانِ في كيفيَّة السؤال.

وورَدَ: أنَّ ابن سلامٍ لما سمع بمَخرج النبي ﷺ بمكة.. ذهب إليه، فقال له النبي ﷺ: «أنت ابن سلام عالم يَثرب؟» قال: نعم، قال: «أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى؛ أتَجِدني في التوراة؟» قال: انسُب ربَّك، فأُرتج حينئذٍ النبي ﷺ، فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ...﴾ إلى آخرها، فقرأها، فقال ابن سلام: أشهَد أنَّك رسول الله، وأنَّ الله يُظهِرُك ويُظْهِر دينَك على الأديان، وإني لأجدُ صفتَك في كتاب الله التوراة: (يا أيُّها النبيُّ؛ إنَّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، أنتَ عبدي ورسولي، سمَّيتك المتوكِّلَ، لستَ بفظٍّ ولا غليظٍ ولا سخَّابٍ في الأسواق، ولا تُجازي بالسيئة مثلَها، ولكن تعفو وتصفَح، ولن يقبضَهُ الله حتَّى تستقيم به الملَّة المعوجَّة، حتَّى يَقولوا: لا إله إلا الله، يفتح بها أعيُناً عُمياً، وآذاناً صُمًّا، وقلوباً غُلْفاً)[4].

---

(١) أورده القُرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٥٠) عن سيدنا سهل بن سعدٍ الساعدي رضي الله عنه.

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٧٦) لابن النجارِ عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) رواه البيهقي في «شُعَب الإيمان» (٧٠٧٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دِمشق» (٣/ ٣٨٧)، وقوله: (ولا سخَّاب) بسين مهملة، وخاء مُعجمة ثقيلة: لغة أثبتها =

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ....

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ - فـ﴿ٱللَّهُ﴾ خبر ﴿هُوَ﴾، ....

حاشية الصاوي

قوله: (فـ﴿ٱللَّهُ﴾ خبر ﴿هُوَ﴾ ... إلخ) هذا مبنيٌّ على أنَّ ضمير ﴿هُوَ﴾ عائدٌ على المسؤول عنه في كلام الكفَّار، وقيل: إنَّه ضمير الشأن يُفسِّره الجملة بعدَهُ؛ فـ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ، و﴿أَحَدٌ﴾: خبره، والجملة خبر ﴿هُوَ﴾.

وهمزةُ (أحد) بدلٌ من واوٍ؛ لأنَّه من الوحدة، أو ليست مُبدلةً من شيءٍ، قولان.

وإثبات لفظ ﴿قُلْ﴾ مع تنوين ﴿أَحَدٌ﴾ هو قراءة العامَّة، وقرئ شذوذاً بحذف (قل)، وقرئ أيضاً: (قل هو الله الواحد)، وقرئ أيضاً بحذف التَّنوين؛ لالتقاء الساكنين[1].

واعلم: أنَّ هذه الآيةَ يؤخذ منها عقائد التوحيد؛ وذلك لأنَّ (الله) علمٌ على الذات الواجب الوجود المستحقِّ لجميع المحامد، ومَنْ كان وجوده واجباً.. لَزم اتصافُه بسائر الكمالات؛ كالقُدرة والإرادة والعلم والحياة.

وقوله: ﴿أَحَدٌ﴾ يدلُّ على الصِّفات السَّلبيَّة، وهي: القدم، والبقاء، والغنى المطلق، والتَّنزه عن الشَّبيه والنَّظير والمثيلِ؛ في الذَّات والصِّفات والأفعال، وبذلك انتفَت الكُمُوم الخمسة، وهي الكمُّ المتَّصل والمنفصل في الذَّات والصِّفات، والمنفصلُ في الأفعال؛ فالمتَّصل في الذات والصِّفات هو التَّركيب، والمنفصل فيهما هو الشَّبيه والنَّظير، والمنفصل في الأفعال هو الشَّبيه فيها، وكلُّ هذه منفيَّةٌ ومستحيلةٌ عليه تعالى، وأمَّا المتَّصل في الأفعال.. فهو ثابتٌ؛ لأنَّ أفعال الله مُتعدِّدةٌ لا نهايةَ لها[2].

بقي شيءٌ آخر، وهو أنَّ (أحد) يستعمل في المنفي، وأمَّا (واحد).. فيُستعمل في الإثبات[3]؛ فلم ذكره في الإثبات؟

= الفراء، وغيرُه بالصاد، أشهَرُ من السين، بل ضعَّفها الخليل؛ أي: لا يَرفع صوته على الناس لِسُوء خُلقه، ولا يكثر الصِّياح عليهم في الأسواق، بل يُلِين جانبَه ويَرفُق بهم.

(١) قرأ عبد الله وأبيٌّ: (الله أحد) دون (قُل)، وقرأ الأعمش: (قل هو الله الواحد)، وقرأ زيد بن علي وأبان بن عثمان وابن أبي إسحاق والحسَنُ وأبو السمال وأبو عمرٍو في رواية في عدد كثير بحذف التنوين. انظر «الدر المصون» (١١/١٥٠).

(٢) انظر «شرح المصنف للجوهرة» (ص١٥٧).

(٣) أي: فيُقال: في الدار واحد، وما في الدار أحدٌ، ومن ذلك: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣﴾ ....

و﴿أَحَدٌ﴾ بَدلٌ مِنهُ أو خَبَر ثانٍ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ ـ مُبتَدأ وخَبر ـ أي: المَقصُود في الحَوائِج على الدَّوام.

(﴿٣﴾ - ﴿٤﴾) ﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾ لِانتِفاء مُجانَستِه ﴿وَلَمۡ يُولَدۡ﴾ ....

حاشية الصاوي

أجيب: بأنَّ ذلك أغلبيٌّ، وقد يُستعمَل كلٌّ في كلٍّ، والقرآن واردٌ بذلك في غير آية[1]، وآثر (الأحد) على (الواحد)؛ لِمُراعاة الفواصل.

قوله: (و﴿أَحَدٌ﴾ بدلٌ) أي: بدلُ نكرة من معرفة، وهو جائزٌ.

قوله: (﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾) نتيجةُ ما قبلَه؛ ولذا ترك العاطف، وذلك لأنَّه حيثُ ثبت أنَّه متَّصفٌ بالكَمالات، منزَّهٌ عن النقائص.. فلا يُقْصَدُ غيرُهُ، ولا يعوَّلُ إلَّا عليه.

قوله: (أي: المقصود في الحوائج) هذا أحدُ أقوال في معنى (الصمد) وهو المشهور، وقيل: هو الذي لا جوفَ له[2]، وقيل: هو الدَّائم الباقي بعد فناءِ خلقِهِ، وقيل: هو الذي ليس فوقَهُ أحدٌ، وقيل غير ذلك.

وإنَّما عرَّف (الصمد)؛ لِعِلمهم به، ومَعرفتِهم إيَّاه، بخلاف أحديَّته، وكرَّر لفظ (الله)؛ إشعاراً بأنَّ مَنْ لم يتَّصف به.. لا يستحقُّ الألوهيَّةَ.

قوله: (﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾) ردٌّ على مُشركي العرب القائلِين: الملائكةُ بنات الله، واليهودِ القائلين: عزيرٌ ابن الله، والنَّصارى القائلينَ: المسيح ابن الله، وهذه الجملة نتيجة ما قبلَها؛ لأنَّه حيث ثبَت أنَّه متَّصفٌ بالكمالات، مُنزَّهٌ عن النَّقائص، مقصودٌ في جميع الأمور.. فلم يكن عِلَّةً في غيره، ولا غيرُهُ علَّة فيه.

وأتى بالعاطف في الجملتَين الأخيرتين دون ما عداهما؛ لأنَّهما سِيقتا لمعنًى، وهو نفيُ المماثلة عنه تعالى بوجوهِها؛ لأنَّ المماثلة إمَّا ولدٌ أو والدٌ أو نظيرٌ، فلِتَغاير الأقسام أتى بالعطف؛ لأنَّه يقتضي المغايرةَ، وترك العاطف في ﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾؛ لأنَّه مؤكِّدٌ للصَّمديَّة؛ لأنَّ الغنيَّ عن كلِّ شيءٍ، المحتاجَ إليه ما سِواه.. لا يكون والداً ولا مولوداً، فهذه الجمل الثَّلاث في معنى جملةٍ واحدةٍ.

قوله: (لانتفاء مُجانسته) أي: لغيره؛ لأنَّ الولد من جنس أبيه، والله لا يجانسه أحدٌ؛

(١) ومنه في الإثبات: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ﴾.

(٢) وهو منقولٌ عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه، ومنه في اللُّغة: قول الشاعر: =

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾

لِانتِفاءِ الحُدُوث عنهُ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ أي: مُكافِئاً ومُماثِلاً ـ فـ﴿لَّهُۥ﴾ مُتعلِّق بـ﴿كُفُوًا﴾، وقُدِّم علَيهِ لِأنَّهُ مَحطُّ القَصد بِالنَّفي، وأُخِّر ﴿أَحَدٌۢ﴾ وهو اسم ﴿يَكُن﴾ عن خَبرِها رِعايةً لِلفاصِلة ـ.

حاشية الصاوي

لأنَّه واجبٌ، وغيرَهُ ممكنٌ، ولأنَّ الولدَ يُطْلَبُ؛ إمَّا لإعانة والِده، أو لتخلُّفه بعده، والله تعالى غنيٌّ عن كلِّ شيءٍ، ولا يَفنى.

قوله: (لانتفاء الحدوث عنه) أي: لأنَّ كلَّ مولودٍ جسمٌ ومحدَثٌ، والله تعالى ليس كذلك.

قوله: (ومماثلاً) عطف تفسير.

واعلَم: أنَّ الكُفء يَعُمُّ الشَّبيهَ، والنَّظيرَ، والمثيلَ؛ فالمثيل هو: المشارِك لك في جميع صِفاتك، والشَّبيه هو: المشارك في غالبها، والنَّظير هو: المشارِك في نادرِها، والله مُنزَّهٌ عن ذلك كلِّه.

قوله: (وقدِّم عليه) أي: وكان الأصل أن يُؤخَّرَ الظرف، لكن قُدِّم لأهميَّتِهِ؛ اعتناءً بنفي المكافأة عنه تعالى؛ لأنَّه المقصود.

قوله: (لأنَّه مَحطُّ القصد بالنَّفي) أي: فالقصدُ نفيُ المكافأةِ عن ذات الله، فكان تقديمه أولى.

وهذه السُّورة الشَّريفة نَفَتْ أصولَ الكفرِ الثمانيةَ: التركيب، والعدد، والنَّقص بمعنى: الاحتياج، والقلَّة بمعنى: البساطة، والعلة، والمعلول، والشَّبيه، والنظير، أمَّا الكثرةُ والعدد.. فانتفاؤهما بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، والنَّقص والقلَّة بقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، والعلَّةُ والمعلول بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، والشَّبيه والنَّظير بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

✿ ✿ ✿

= شِـهـابُ حُـروبٍ لا تَـزالُ جِـيـادُهُ عـوابِسَ يَعْلُكْنَ الشَّكِيمَ المُصَمَّدَا

انظر «الدر المصون» (١١/ ١٥٢)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٦٩٠).



مَكيَّة أو مدنيَّة، خمسُ آيات. ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الفَلَق

مُناسبتها لما قبلَها: أنَّه تعالى لما بيَّن أمرَ الألوهيَّة في السُّورة قبلَها.. بيَّن هنا ما يُستعاذ منه بالله تعالى؛ لأنَّه لا مَلجأ سِواه.

قوله: (مكيَّة) أي: في قول الحسَن وعطاء وعكرمة، وقوله: (أو مدنيَّة) أي: في قول ابن عبَّاس وقتادةَ وجماعة، وهو الصَّحيح، ويُؤيِّدُهُ سببُ النزول؛ فإنَّه كان بالمدينة، ولم يَظهر للقول بأنَّها مكيَّةٌ وجه.

ووردَ في فضل هذه السُّورة والتي بعدها أحاديثُ؛ منها: قوله ﷺ: «لقد أُنزِلَتْ عليَّ سُورتان ما أنزل مثلُهما، وإنَّه لن يَقرأ أحدٌ سورتين أحبَّ ولا أرضى عند الله منهما»[1] يعني: المعوِّذتين، وقوله: (ما أنزل مثلهما) أي: في التَّحصن والتعوُّذ.

ومنها: قوله ﷺ: «**يا ابن عامر؛ ألَا أُخبرك بأفضل ممَّا تعوَّذ به المتعوِّذون؟**» قلتُ: بلى يا رسول الله، قال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»[2].

ومنها: «أنَّه كان ﷺ يتعوَّذ من عين الجانِّ، ومن عين الإنس، فلمَّا نزلت سُورتا (المعوِّذتين).. أخذ بهما، وترَكَ ما سواهما»[3].

ومنها: قوله ﷺ لبعض أصحابه: «اقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و(المعوِّذتين) ثلاثاً.. يَكفيك

---

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف»: (غريب بهذا اللفظ، وروى مُسلم في «صحيحه» (٨١٤) من حديث عُقبةَ بن عامر الجُهَني عن النبي ﷺ: قال: «ألم ترَ آياتٍ أنزلت هذه الليلة لم يرَ مثلُهنَّ قط: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»).

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٧٧٩٨) عن سيدنا عُقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي (٢٠٥٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٨٠٤) عن سيدنا أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه.

نزَلَت هذه السُّورةُ والتي بعدَها لَمَّا سحَر لَبِيدٌ اليَهُوديُّ النَّبيَّ ﷺ ....

حاشية الصاوي

من كل شيء»[١]، وفي رواية: «مَنْ قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و(المعوِّذتين) ثلاثَ مرات إذا أخذ مَضجعه؛ فإذا قُبض.. قُبض شهيداً، وإن عاش.. عاش مَغفوراً له»[٢].

قوله: (نزلت هذه والتي بعدها... إلخ) أي: بإجماع الصحابة.

قوله: (لما سَحَرَ لبيد) أي: ابن الأعصم، وحاصلُه: أنَّه لما رجع رسول الله ﷺ من الحُديبية في ذي الحجة، ودخل المحرم سنة سبع، وفرَغ من وقعة خيبر.. جاءت رؤساءُ اليهود إلى لَبيد بن الأعصم، وكان حليفاً في بني زريق، وكان ساحراً، فقالوا: أنتَ أسحَرنا ـ أي: أعلمنا بالسحر ـ وقد سحرنا محمَّداً، فلم يُؤثر فيه سحرنا شيئاً، ونحن نجعل لك جُعْلاً على أن تَسحرَه لنا سحراً يُؤثِّر فيه، فجعلُوا له ثلاثة دنانير، فأتى غلاماً يهوديًّا كان يخدم النبيَّ ﷺ، فلم يزَل به حتَّى أخذ مُشاطة رأس النبيِّ ﷺ، وعِدَّةَ أسنان من مشطه، وأعطاها له، فسحَره بها، وكان من جملة السِّحر صورةٌ من شمعٍ على صورة رسول الله ﷺ، وقد جعلوا في تلك الصورة إبراً مَغرُوزة إحدى عشرة، وَوَترٌ فيه إحدى عشرة عقدةً، وكان النبيُّ ﷺ كلَّما قرأ آية.. انحلَّت عقدة، وكلَّما نزع إبرة.. وجد لها ألماً في بدنه، ثمَّ يَجد بعدها راحة[٣].

وكانت مُدَّةُ سحره ﷺ أربعين يوماً، وقيل: ستة أشهر، وقيل: عاماً. قال ابن حجر: (وهو المعتَمد)[٤].

إن قلتَ: كيف يؤثِّر السِّحرُ فيه ﷺ مع أنَّه معصومٌ بنصٍّ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]؟

أجيب: بأنَّ المعصوم منه ما أدَّى لخَبلٍ في عقله، أو لضياع شَرعه، أو لموته، وأمَّا ما عدا ذلك.. فهو من الأعراض البشرية الجائزة في حقِّه؛ كما أنَّ جرحَهُ وكسرَ رَبَاعِيَتِهِ لا يَقدح في عصمتِهِ.

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٥٧٢) عن سيدنا عبد الله بن خبيب رضي الله عنه، وفي (ط٢): (يكفك) بدل (يكفيك).

(٢) لم أهتَدِ لهذه الرواية فيما بين يدَيَّ من المصادر.

(٣) انظر خبر سحره ﷺ في «سبل الهدى والرشاد» (٣/ ٤١١)، وأصلُ الخبر في «صحيح البخاري» (٥٧٦٣)، و«صحيح مسلم» (٢١٨٩) عن سيدتِنا عائشة رضي الله عنها.

(٤) «فتح الباري» (١٠/ ٢٢٦) وفيه: أنَّ الصحيح الموصول من رواية مَعمر عن الزهري: أنه لبثَ ستةَ أشهر، وهو المعتَمَد.

في وتَر بِه إحدى عشرةَ عُقدةً، فأعلَمه الله بِذلك وبِمَحلّه، فأُحضِرَ بينَ يَدَيه ﷺ، وأمِرَ

حاشية الصاوي

وأنكَر بعض المبتدعة حديث السِّحر، زاعمين أنَّه يحطُّ مَنصب النبوَّة، ويُشكِّك فيها، وما أدّى لذلك.. فهو باطل، وزعموا أيضاً: أنَّ تجويز السحر على الأنبياء يُؤدِّي لعدم الثقة بما أتَوْا به من الشَّرائع؛ إذ يحتمل أن يُخيَّل إليه أن يرى جبريل يكلِّمه وليس هو ثَمَّ، وهذا كلُّه مَردودٌ؛ لقيام الدَّليل على ثبوت السِّحر بإجماع الصحابة، وعِصمتُهُ ﷺ وجميعِ الأنبياء وصدقُهم فيما يُبَلِّغونه عن الله، وأمَّا ما كان متعلقاً بأمور الدنيا.. فهُم كسائر البشر، تَعتريهم الأعراض؛ كالصحة والسقم، والنوم واليقظة، والتألم بالسِّحر ونحو ذلك.

وأمَّا ما وردَ في قصَّة السحر من أنَّه كان يُخيَّلُ إليه أنَّه يأتي أهلَهُ ولم يأتِ.. فمعناه: أنَّه يظهر له من نَشاطه وسابق عادتِه الاقتدار على الوطء، فإذا دنَا من المرأة.. فَتَرَ عن ذلك كما هو شأنُ المعقود، وتسمِّيه العامَّة: المربوط؛ لما وردَ: «أنَّه حُبِسَ عن عائشة سنةً»[1]، وعن ابن عبَّاس: (أنَّه مرض وحُبس عن النساء والطعام والشراب)[2]؛ ففي ذلك دليلٌ على أنَّ السحر إنَّما تسلَّط على ظاهر جسَده، لا على عَقله.

ثمَّ اعلم: أنَّ مذهب أهل السنَّة: أنَّ السحر حقٌّ، وله حقيقةٌ، ويكونُ بالقول والفعل، ومن جملة أنواعه: السِّيمياء، وهي حيلٌ صناعيَّة يُتَوصل إليها بالاكتساب، غير أنَّها لدقَّتها لا يَتَوصَّل إليها إلَّا آحاد النَّاس، ومادَّته: الوقوفُ على خواص الأشياء، والعِلم بوجوه تركيبها وأوقاتها، وأكثرها تخيُّلات، فيعظم عند مَنْ لا يعرف ذلك، والحقُّ: أنَّه من الأسباب العاديَّة التي تُوجَد الأشياء عندها لا بها، فيؤثِّر في القلوب كالحبِّ والبغض، وإلقاءِ الخير والشر، وفي الأبدان بالألم والسقم، وأمَّا قلبُ الجماد حيواناً، وعكسه.. فباطلٌ لا يتصوَّر؛ إذ لو قدَر الساحر على هذا.. لقدر أن يَرُد نفسه إلى الشباب بعد الهرم، وأن يَمنَعَ نفسه من الموت، وهو حرامٌ إن لم يكن بما يُعظَّم به غير الله، أو يَعتقد تأثيره بنفسه، وإلَّا.. فهو كفرٌ.

قوله: (في وتَر) بفتحتين؛ أي: وتر القَوس.

قوله: (فأحضر بين يدَيه) رُوي: أنَّه ﷺ كان نائماً ذات يوم؛ إذ أتاه ملَكان، فقعد أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجلَيه، فقال الذي عند رأسه: ما بالُ الرجل؟ فقال الذي عند رجليه: طُبَّ -

---

(١) رواه مَعمَر بن راشد في «جامعه» (١١/ ١٤)، ولعل هذا مُستنَدُ من حدَّد مُدَّةَ السحر بِعام.

(٢) عزاه القاضي عياض في «الشفا» (٢/ ٤١٥) لابن سَعد.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ ....

بِالتَّعوُّذِ بِالسُّورتَين؛ فكان كُلَّما قرأ آيةً مِنهما انحَلَّت عُقدةٌ ووَجد خِفَّةً، حتَّى انحَلَّت العُقد كلُّها وقام كأنَّما نَشِط مِن عِقال.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾: الصُّبح، ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ مِن حَيَوان مُكلَّف وغَيرِ مُكلَّف، وجَمادٍ كالسُّمِّ ....

حاشية الصاوي

أي: سُحِرَ ـ قال: ومَنْ سَحَرَهُ؟ قال: لَبِيد بن الأعصم اليَهودي، قال: وبِمَ طبَّه؟ قال: بِمشطٍ ومُشاطةٍ، قال: وأين هو؟ قال: في جُفِّ طلعةٍ تحت راعوفةٍ في بئر ذروان، فانتبه النبيُّ ﷺ ثمَّ أمر عليًّا والزبير وعمَّار بن ياسر، فنزحوا ماءَ تلك البئر، كأنَّه نُقاعة الحنَّاء، ثمَّ رفعوا الصخرة، وأخرجوا الجفَّ؛ فإذا فيه مُشاطةُ رأسه، وأسنانُ مشطه، وإذا وَتَرٌ معقود فيه إحدى عشرة عُقدةً، وإذا تمثال من شمعٍ على صورته ﷺ، مَغروز فيه إحدى عشرة إبرة. وكانت هذه المذكورات كلُّها موضوعةً في الجُفِّ، وهو بضمِّ الجيم، وتشديد الفاء: وِعاءُ طلع النَّخل، والرَّاعوفة: حجرٌ أسفَل البئر، يقوم عليه السَّابح.

قوله: (كأنما نشط مِن عِقال) أي: كأنَّما حُلَّ وأُطلِقَ منه.

قوله: (الصبح) هذا أحد أقوال في معنى (الفلق)، وآثَرَه إشارةً إلى التفاؤل الحسَن؛ فإنَّ مقصود العائذ من الاستعاذة أن يتغيَّر حالُهُ بالخروج من الخوف إلى الأمنِ، ومِن الوحشة إلى السرور، والصبحُ أدلُّ على هذا؛ لما فيه من زوال الظلمة بإشراقِ أنوارِه، وتغيُّرِ وحشة الليل وثِقَله بسرور الصبح وخِفَّته.

وقيل: الفلَق: سجنٌ في جهنَّم، وقيل: بيتٌ في جهنَّم؛ إذا فُتِحَ. صاح أهل جهنَّم من حَرِّه، وقيل: هو اسم من أسماء جهنَّم، وقيل: وادٍ في جهنَّم، وقيل: شجرةٌ في النَّار، وقيل: الرَّحم؛ لانفِلاقه عن الولد، وقيل: كلُّ ما انفلَق عن جميع ما خلق؛ من الحيوان والحَبِّ والنَّوى وكلِّ نباتٍ، وقيل غير ذلك.

قوله: (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾) هذا عامٌّ، وما بعده خاصٌّ، والجارُّ والمجرور متعلِّق بـ﴿أَعُوذُ﴾، و﴿مَا﴾: موصولة، أو مصدريَّة.

وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ ....

وغَيرِ ذلك، ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: اللَّيل إذا أظلَمَ أو القَمَرِ إذا غابَ.

(﴿٤﴾ - ﴿٥﴾) ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾: السَّواحِر تَنفُثُ ﴿فِى ٱلْعُقَدِ﴾ التِي تَعقِدُها في الخَيط، تَنفُخ فِيها بِشَيءٍ تَقُولُه مِن غَير رِيق، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وغير ذلك) أي: كالإحراق بالنَّار، والإغراق في البِحار.

قوله: (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾) نكَّر ﴿غَاسِقٍ﴾ و﴿حَاسِدٍ﴾؛ لإفادة التَّبعيض؛ لأنَّ الضَّرر قد يتخلَّف فيهما، وعرَّف ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾؛ لأنَّهنَّ معهوداتٌ؛ فقيل: بَنات لَبيد، وقيل: أخواته.

قوله: (أي: الليل إذا أظلم) سمِّي الليل غاسقاً؛ لانصِباب ظلامه، واستُعيذ من الليل؛ لِشدَّة الآفات فيه. و(إذا): منصوبة بـ(شر) أي: أعوذُ بالله من الشَّر في وقت كذا.

قوله: (أو القمر) سمِّي غاسقاً؛ لِذَهاب ضوئه بالكسوف، أو المُحاق في آخر الشَّهر واسوِداده، وقوله: (إذا غاب) أي: استتر بالكسوف، أو أخَذ في المحاق أو النَّقص، وذلك آخر الشَّهر، وفيه تتوفَّر أسبابُ السحر المصحِّحة له، ويُسمِّيه المنجِّمون إذ ذاك نَحساً، وهو أنسَبُ بسبب النزول، وهذان قولان من جملة أقوالٍ كثيرةٍ، وقيل: الثريا؛ وذلك لأنَّها إذا سقَطت. . كثُرَت الأسقام والطواعين، وإذا طلَعت. . ارتفع ذلك، وقيل: هو الشمس إذا غرَبت، وقيل: هو الحيَّة إذا لدَغت، وقيل: كلُّ هاجمٍ يَضُرُّ كائناً ما كان.

قوله: (السَّواحر) صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ؛ أي: النِّساء السواحر، وخصَّ النساءَ بالذِّكر لأنَّ سحرهنَّ أشدُّ من سِحر الرجال؛ لما ورَدَ: أنَّه بعد إغراقِ فرعونَ وقومِهِ، وتوجُّهِ موسى وقومِه لقتال الجبَّارين. . مَلَكَ نساءُ القبط مصرَ، وأقَمن فيها ستَّ مئة سنة، كلَّما قصَدهنَّ عسكرٌ. . صوَّرن صُورته، وقلَعْنَ بالصورة ما شئْنَ من قَلع الأعين، وقطع الأعضاء، فيتَّفق نظيرُه للعسكر القاصد لهنَّ، فتخافُهنَّ العسكر.

قوله: (بشيء) أي: مع شيء؛ أي: قولٍ تَقوله، وقوله: (من غير ريق) متعلِّق بـ(تنفخ).

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

وقال الزَّمخشرِيُّ: مَعَهُ، كبَناتِ لَبِيد المَذكُور، ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: ....

حاشية الصاوي

واختُلف في النَّفث عند الرقية، والمسحِ باليد؛ فمنَعه قومٌ؛ لما فيه من التشبُّه بالسحر، وأجازه آخرُون، وهو الصَّحيح؛ لما وردَ عن عائشة: (كان ﷺ يَنفث في الرقية)[1]، وورد عنها أيضاً: أنَّها رَقَتْ ونفثَتْ[2].

وقال علي كرم الله وجهَه: اشتكيتُ، فدخل عليَّ النبي ﷺ وأنا أقول: اللهمَّ؛ إن كان أجلي قد حضَر.. فأرِحني، وإن كان متأخراً.. فاشفِني وعافني، وإن كان بلاءً.. فصَبِّرني، فقال ﷺ: «كيف قلتَ؟» فقلت له، فمسَحني بِيَده ثمَّ قال: «اللهمَّ اشفِه!»، فما عاد ذلك الوجعُ بعد). انتهى[3].

قوله: (وقال الزمخشري: «معه») أي: الرِّيقِ؛ ففي النَّفث قَولان.

قوله: (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾) الحسد: تمنِّي زوالِ نعمةِ المحسودِ عنه وإن لم يَصِر للحاسد مثلُها، والغبطةُ: تمنِّي مثلِها، فالحسَد مذمومٌ، دُون الغبطة، وعليها حمل حديث: «لا حسد إلَّا في اثنتَين»[4]، والحسدُ أوَّل ذنبٍ عُصِيَ الله به في السَّماء، وأوَّل ذنبٍ عُصِيَ به في الأرض؛ فحسد إبليسُ آدمَ، وقابيلُ هابيلَ، والحاسد ممقوتٌ مبغوضٌ، ومطرودٌ ومَلعونٌ.

قال بعض الحكماء: (بارزَ الحاسدُ ربَّه من خمسة أوجهٍ: أوَّلها: أنَّه أبغض كلَّ نعمةٍ ظهَرت على غيره[5]، ثانيها: أنَّه ساخطٌ لِقسمة ربِّه، كأنَّه يقول: لم قَسَمتَ لي هذه القسمة؟ ثالثها: أنَّه يُعاند فعل الله تعالى، رابعها: أنَّه يُريد خذلان أولياء الله، خامسها: أنَّه أعان عدوَّ الله إبليس).

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٧٥٠٦)، وابن ماجه (٣٥٢٨).

(٢) أورده القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٥٨) وعبارته: (قال محمد بن الأشعَث: ذهب بي إلى عائشة رضي الله عنها وفي عيني سوء، فرَقَتني ونفثَت).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣١٥)، وبنحوه عند النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٣٠)، وفيه: (فضربني برجله).

(٤) رواه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦) عن سيدنا عبدِ الله بن مسعود رضي الله عنه، وتمامه: «رجلٌ آتاه الله مالاً فسلَّطه على هلَكَته في الحق، ورجلٌ آتاه الله الحكمة فهو يَقضي بها ويُعلِّمُها».

(٥) قوله: (بغض) كذا في الأصول، وهي لغة أثبتها ثعلب؛ فإنه قال في قوله: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾: الباغضِين، فدلَّ هذا على أنَّ (بغض) عِنده لغة، ولولا أنَّها لغة عنده.. لقالَ: مِن المبغضِين. انظر «تاج العروس» (١٨/ ٢٤٧)، وفي (ص٢): (أبغض) وهي ظاهرة.

أظهر حَسَدَهُ وعَمِلَ بِمُقتَضاهُ كلَبيد المَذكُور مِن اليَهُود الحاسِدِين لِلنَّبيِّ ﷺ. وذِكرُ الثَّلاثة الشَّامِلِ لَها ﴿مَا خَلَقَ﴾ بَعده لِشِدَّةِ شَرِّها.

حاشية الصاوي

وقال بعضهم: (الحاسد لا يَنال في المجالس إلَّا ندامةً، ولا ينال عند الملائكة إلَّا لعنةً وبُغضاً، ولا ينال في الخلوة إلَّا جزعاً وغمًّا، ولا يَنال في الآخرة إلَّا حزناً واحتراقاً، ولا ينال من الله إلَّا بُعداً وبغضاً)، وفي الحديث: «**في الإنسان ثلاثة: الطيرة، والظن، والحسد، فيُخرجه من الطيرة ألَّا يرجع، ويخرجه من الظنِّ ألَّا يُحقِّق، ويُخرجه من الحسد ألَّا يَبغي**»[1].

قوله: (أظهر حسده) أي: حملَهُ الحسد على إظهاره؛ لأنَّه إذا لم يُظْهِر الحسدَ.. لا يتأذَّى به إلَّا الحاسد وحدَه؛ لاغتمامه بنعمةِ غيره، وفي هذا المعنى قال بعضُ العارفين[2]: [المتقارب]

أَلَا قُلْ لِمَنْ باتَ لي حاسداً: ... أَتَدْرِي على مَنْ أَسَأْتَ الأدَبْ؟
أَسَأْتَ على اللهِ في فِعلِهِ ... لِأَنَّكَ لم تَرْضَ لي ما وَهَبْ
فكانَ جزاؤُكَ أَنْ خَصَّنِي ... وسَدَّ عليكَ طَرِيقَ الطَّلَبْ

وقال بعضُهم[3]: [مجزوء الكامل]

اصبِرْ على حَسَدِ الحَسُو ... دِ؛ فإنَّ صَبْرَكَ قاتِلُهْ
فالنَّارُ تأكُلُ بَعْضَها ... إن لم تَجِدْ ما تأكُلُهْ

فائدة: كرَّر لفظ (شرِّ) مع كلِّ جملةٍ؛ لئلَّا يُتوهَّم أنَّه شرٌّ واحدٌ مضافٌ للجميع.

✿ ✿ ✿

(١) رواه البيهقي في «شُعب الإيمان» (١١٣٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) نسَب الأبيات الأصفهاني في «مُحاضرات الأدباء» (١/ ٣١٣) لمنصور الفقيه.

(٣) انظر «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٢/ ١٧٤).

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ ....



مَكيَّة أو مدنيَّة، ستُّ آيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾: خالِقِهم ومالِكِهم، خُصُّوا بِالذِّكر تَشريفاً لَهُم ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ النَّاسِ

(مكيَّة).

قوله: (أو مدنيَّة) أي: وهو الصَّحيح؛ لما تقدَّم من أنَّ سبب النزول واقعة السحر، وهي بالمدينة سنة سبع.

قوله: (ست آيات) أي: والسُّورة التي قبلها خمس، فتكون الجملةُ إحدى عشرةَ آية، عِدَّةَ العُقَد والإبَر الحاصلَين في السِّحر.

قوله: (﴿قُلْ أَعُوذُ﴾) أي: أتحصَّن، والأمرُ للنبيِّ ﷺ، ويتناول غيرَه من أُمَّته؛ لأنَّ أوامر القرآن ونَواهِيَهُ لا تخصُّ فرداً دون فردٍ.

قوله: (﴿ٱلنَّاسِ﴾) أصله: إمَّا (أُناس)، حذفت الهمزة، أو: (نَوَس) مأخوذٌ؛ إمَّا مِنْ: (نَاسَ): إذا تحرَّك، خُصَّ بالبشر لأنَّه المتحرِّك الحركة المعتدَّ بها، النَّاشئةَ عن رؤيةٍ وتدبُّرٍ، تحرَّكت الواو وانفتح ما قبلها قُلبت ألفاً، أو من: (الأنسِ) ضد (الوحشة)؛ لأنَّه يُؤنَس به، أو من: (النِّسيان)؛ لكونه شأنَهُ وطَبْعَهُ.

قوله: (خالقهم) أي: مُوجِدِهم من العدم.

قوله: (خصُّوا بالذِّكر) أي: وإن كان ربَّ جميعِ الخلائق.

قوله: (تشريفاً لهم) أي: مِن حيث إنَّه تعالى أخدم لهم ملائكةَ قُدسِهِ، وجعل لهم ما في الأرض

مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ ....

ومُناسَبةً لِلاستعاذةِ مِن شَرِّ المُوسوِسِ في صُدُورِهم.

(﴿٢﴾ - ﴿٣﴾) ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ - بَدَلانِ أو صِفَتانِ أو عَطفَا بَيان، وأظهَر المُضاف إلَيهِ فِيهِما زِيادةً لِلبَيانِ ..

حاشية الصاوي

جميعاً، وأمدَّهم بِالعقل والعلم، وكلَّفهم بِخدمتِهِ، فإن قامُوا بتلك الوظيفة.. كان لهم العزُّ دُنيا وأخرى، وإن لم يَقُوموا بها.. رُدُّوا لأسفل السافِلِين، فلم يُساووا كلباً ولا خنزيراً. وإذا علمتَ بذلك أنَّه ربُّ النَّاس.. فهو ربُّ غيرِهم بالأَوْلَى.

قوله: (ومُناسبته لِلاستعاذة... إلخ) أي: فكأنَّه قال: (أعوذ من شرِّ المَوسوس إلى النَّاس بربِّهم المالكِ لهم).

قوله: (﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾) بإسقاط الألف هنا باتِّفاق القرَّاء، بخلاف (الفاتحة)؛ ففيها قراءتان سَبعيَّتان: ثبوت الألف، وحذفها[1]. ومعنى (الملك): المتصرِّف فيهِم بأنواع التصرفات؛ من إعزازٍ وإذلال، وإغناء وإفقار، وغير ذلك.

قوله: (﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾) هذا التَّرتيب بديعٌ، وذلك أنَّ الإنسانَ أوَّلاً يعرف أنَّ له ربًّا؛ لِمَا شاهدَهُ من أنواع التَّربية، ثمَّ إذا تأمَّل.. عرف أنَّ هذا الربَّ مُتصرِّفٌ في خلقِهِ، غنيٌّ عن غيره، فهو الملك، ثمَّ إذا زاد تأمُّله.. عرف أنَّه يَستحق أن يُعْبَدَ؛ لأنَّه لا يُعْبَدُ إلَّا الغنيُّ عن كلِّ ما سِواه، المفتقِرُ إليه كلُّ ما عداه.

قوله: (زيادة للبيان) حاصِله: أنَّه وردَ إشكالٌ، وهو لِمَ كرَّر لفظ (النَّاس) ثانياً وثالثاً ولم يَكتف بضميرِهم مع أنَّ اتِّحاد اللفظين في اللفظ والمعنى مَعِيبٌ كالإيطاء في الشعر[2]؟ فأجاب المفسِّر بقوله: (زيادة للبيان)، وهو جوابٌ خفيٌّ، وأحسَنُ منه أن يقال: إنَّ التكرار؛ لإظهار شرف النَّاس، وتَعظيمهم، والاعتناء بشأنهم؛ كما أنَّه حسَّن التكرارَ التَّلذذُ، وإظهارُ فضلِ المكرَّر في قول بَعضهم: [الطويل]

مـحـمَّـدُ سـادَ الـنَّـاسَ كَـهْـلاً ويَـافِـعاً ... وسَـادَ عـلـى الأمـلاكِ أيـضـاً مُـحـمَّـدُ

---

(١) قرأ عاصِم والكسائي: (مالك يوم الدين)، وقرأ الباقون بغير ألفٍ. انظر «السراج المنير» (١/ ١٠).

(٢) الإيطاء في الشعر: أن يُكرر الشاعر كلمةً بِعَينها في القافية؛ بحيث تكون الكلمتان مُتفقتين لفظاً ومعنى، قبل أن يفصل بين الكلمتَين بِعَدد مُعيَّن من الأبيات.

مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ....

(٤) - (٥) ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أي: الشَّيطانِ، سُمِّيَ بِالحَدَثِ لِكَثرةِ مُلابَسَتِه

حاشية الصاوي

مـحـمَّـدُ كـلُّ الـحُـسْـنِ مِـنْ بَـعـضِ حُـسْـنِـهِ وَمَـا حُـسْـنُ كُـلِّ الـحُـسْـنِ إِلَّا مُـحـمَّـدُ
مُـحـمَّـدُ مـا أَحْـلَـى شَـمَـائِـلَـهُ وَمَـا أَلَـذَّ حَـدِيـثـاً راحَ فِـيـهِ مُـحـمَّـدُ[1]

وهذا على تسليم أنَّ المراد بالنَّاس في الجميع شيءٌ واحد، وأمَّا إن أُريد بالنَّاس الأُوَل: الصغار وأُضيفوا لـ(الرب)؛ لاحتِياجهم إلى التربية أكثرَ من غيرهم، وبالثاني: الشباب، وأُضيفوا لـ(الملك)؛ لأنَّ شأنهم الطغيان والبطش، فهم مُحتاجون لملكٍ يَسوسهم، ويكسر هيَجان شُبُوبتهم، وبالثالث: الشيوخ، وأُضيفوا لـ(الإله)؛ لأنَّ شأنَهم كثرة العبادة؛ لِقُرب ارتحالهم وقُدُومهم على ربِّهم وفَناء شهواتهم، فهُم أقرب من غيرهم لِلتعلق بالإله.. فلا اتِّحادَ في المعنى.

قوله: (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾) متعلِّق بـ﴿أَعُوذُ﴾.

إن قُلتَ: ما الحكمةُ في وصف الله تعالى في هذه السُّورة نفسَهُ بثلاثة أوصافٍ، وجعلِ المستعاذِ منه شيئاً واحداً، وفي السورة قبلَها بعكس ذلك؛ لأنَّه وصَف نفسَهُ بوصفٍ واحدٍ، وجعل المستعاذ منه أربعة أشياء؟

أُجيب: بأنَّه في السُّورة المتقدِّمة المستعاذُ منه أمورٌ تَضرُّ في ظاهِر البدن، وهنا وإن كان أمراً واحداً إلَّا أنَّه يَضُرُّ الروح، وما كان يَضُرُّ الروح يُهتَمُّ بالاستعاذة منه.

إن قلتَ: كان مقتضى الظاهر تقديمَ ما بِه الاهتمام وهو الاستعاذةُ مِن شر الوسواس؛ إذ سلامةُ الروح مُقدَّمةٌ على البَدن؟

أُجيب: بأنَّ تقديم سَلامة البدَن وسيلةٌ لِلمقصود بالذَّات وهو سلامة الروح.

قوله: (سمي بالحدث) أي: المصدر، وقوله: (لِكثرة ملابسته له) أي: مُلازمته لِلوسوسة، فهو على حدِّ: (زيدٌ عدلٌ)، وما ذكَره المفسِّر ليس بمتعيِّنٍ؛ فإنَّ (الوَسواس) بالفتح كما يُستعمل اسمَ مصدرٍ بمعنى: الحدث.. يُطلَق على نفس الشيطان الموسوِس، ويُطلق أيضاً على ما يَخطُر بالقلب من الشَّر.

(١) قوله: (راح) كذا في الأصول، ولعلَّها: (راج).

﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ ....

لَهُ، ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ لِأَنَّهُ يَخنِس ويَتأخَّر عن القَلب كُلَّما ذُكِرَ اللهُ، ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾: قُلُوبِهِم إذا غَفَلُوا عن ذِكرِ الله.

حاشية الصاوي

واعلم: أنَّ خواطر القلب أربعةٌ: رحمانيٌّ، ومَلكيٌّ، ونفسيٌّ، وشيطانيٌّ؛ فالرَّحمانيُّ: ما يَلزم طاعةً بعينِها، والملكيُّ: ما يلزم طاعةً لا بعينِها، والنَّفسيُّ: ما يَلزم معصية بعينِها، والشَّيطانيُّ: ما يَلزم معصية لا بعينِها، فتمسَّك بهذا الميزان.

قوله: (لأنَّه يَخْنُسُ) مِن باب: (دخل) أي: يَتوارى ويختفي بعد ظُهوره المرَّة بعد المرَّة.

قوله: (كلَّما ذكر الله) أي: فالذكرُ له كالقامع الذي يَقمع المفسد، فهو شديد النُّفور منه؛ ولهذا كان شيطان المؤمن هزيلاً، وعن بعض السَّلف: (أنَّ المؤمن يُضْنِي شيطانَهُ كما يضني الرَّجل بعيرَهُ في السَّفر)[1]، قال قتادةُ: (الخنَّاس له خُرطوم كخرطوم الكلب ـ وقيل: كخرطوم الخنزير ـ في صدر الإنسان؛ فإذا ذكر العبدُ ربَّه.. خنَس)[2]، ويقال: رأسُه كرأس الحيَّة، واضعٌ رأسَهُ على ثمرة القلب يَمسه ويحدثه، فإذا ذكر الله.. خنَس وتأخَّر، وإذا غفل.. رجَع.

وهل المراد الحقيقةُ، أو خرطوم الكلب والخنزير كنايةٌ عن قبحه وخسَّته ونجاسَته، ورأس الحيَّة كنايةٌ عن شِدَّة الأذيَّة، ووضعُه على الفؤاد كنايةٌ عن شدَّة التَّمكُّن؟ كلٌّ محتمَلٌ.

قوله: (إذا غفَلوا عن ذكر الله) أي: بقلوبهم ولو كانوا ذاكرين بألسِنَتهم؛ وذلك لأنَّ الوسوسة حالةٌ في القلب، فلا يَطردُها إلَّا الذكر الحالُّ في القلب، فمَن كان من أهل الذكر.. فلا تَسلُّط للشيطان عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، ولا يَترك الإنسانُ الذكرَ اللسانيَّ إذا وجد الغفلةَ والوسواسَ في قلبِهِ، بل يَكثر الذِّكرَ ويديمُهُ؛ فلَعلَّه يَستيقظ قلبُهُ وينوَّر، قال العارِفون: (الذِّكر اللسانيُّ كقدح الزِّناد، فإذا تكرَّر.. أصاب)، قال بعضُهم في ذلك[3]: [السريع]

اطلُبْ ولا تَضجَرَ مِنْ مَطلَبِ ... فآفةُ الطَّالبِ أن يَضجَرَا

أَمَا تَرى الحَبْلَ لِتَكرَارِهِ ... في الصَّخرةِ الصَّمَّاءِ قَد أثَّرَا؟

---

(١) أورده العلامة الخطيب في «السراج المنير» (٤/ ٦١٦)، وفي (ب): (يُفني شيطانَه كما يُفني الرجل بعيره).

(٢) أورده القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٦٢).

(٣) البيت لبعض المولَّدين؛ كما في «شرح التصريح» (١/ ٦٠٩).

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾

﴿٦﴾ ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ ـ بَيان لِلشَّيطانِ المُوَسوِس أنَّهُ جِنِّيٌّ وإنسِيٌّ، كقَولِه تَعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، أو ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ بَيان لَه و(النَّاس) عَطفٌ على ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ ـ، وعلى كُلٍّ يَشمَلُ شَرَّ لَبِيد وبَناتِه المَذكُورِين. واعترِضَ الأوَّل بأنَّ النَّاس لا يُوَسوِس في صُدُورِهم النَّاسُ، إنَّما يُوَسوِس في صُدُورِهم الجِنُّ، وأُجِيب

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾) اسمُ جنس جمعيٌّ، يُفرَّق بينَهُ وبين واحده بالياء، فيُقال: (جنٌّ وجنيٌّ) كـ: (زِنج وزنجي)، وغالباً يُفرَّق بالتاء كـ(تَمر وتَمرة)، وزِيدت التاء في (الجنَّة)؛ لتأنيث الجماعة، سمُّوا بذلك؛ لاجتِنانهم ـ أي: استِتارهم ـ عن العيون، وهم أجسامٌ ناريَّةٌ هوائيَّةٌ، يتشكَّلون بالصُّوَر الشَّريفة والخَسيسة، وتَحكم عليهم الصُّورة، وتقدَّم ما فيهم[1].

قوله: (بيان لِلشيطان المُوسوِس) أي: المذكور بقوله: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾؛ فـ(مِنْ): بيانيَّة مَشُوبةٌ بتبعيضٍ؛ أي: بعض الجِنَّة، وبعضِ النَّاس.

قوله: (كقوله تعالى... إلخ) أي: ويَشهد له حديث: «**تعوَّذوا بالله من شياطين الجنِّ والإنس**»[2].

قوله: (و(النَّاس) عطفٌ على ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾) أي: ولفظ ﴿شَرِّ﴾ مُسلَّطٌ عليه، كأنَّه قال: (مِنْ شرِّ الوسواس الذي يُوسوس وهو الجِنَّة، ومن شرِّ النَّاس)، وعليه: فالنَّاس لا يَصدر منهم وسوسةٌ.

قوله: (وعلى كلٍّ) أي: مِن الاحتمالين، وقوله: (يَشمل) أي: الشرُّ المستعاذُ منه شرَّ لَبِيدٍ... إلخ.

قوله: (المَذكورين) أي: في السُّورة السابقة، وفيه تَغليبُ المذكَّر وهو لَبيد على المؤنث وهو بناتُهُ.

قوله: (واعترض الأوَّل) أي: وهو أنَّه بيانٌ لِلشيطان الموسوِس.

قوله: (لا يُوسوسُ في صُدُورهم النَّاس) كذا في بعض النُّسخ، والمناسِبُ كما في بعضها: (لا يُوسوسون في صدور النَّاس).

---

(١) انظر (٢/ ٥٢١).

(٢) رواه الإمام أحمدُ في «المسند» (٣٥/ ٤٣١) عن سيدنا أبي ذَر الغفاري رضي الله عنه بلفظ: «تعوَّذ بالله يا أبا ذر مِن شياطين الإنس والجن».

بِأنَّ النَّاس يُوَسوِسُون أيضاً بِمَعنًى يَلِيقُ بِهِم في الظَّاهِر، ثُمَّ تَصِل وسوَسَتُهم إلى القَلب وتَثبُت فِيه بِالطَّرِيق المُؤدِّي إلى ذلك، واللهُ تعالى أعلَم.

حاشية الصاوي

قوله: (بمعنى يَليق بهم) أي: كالنَّميمة، ويَخْنُسُون إذا زُجِرُوا.

قوله: (المُؤدِّي) أي: الموصل إلى ثبوتها في القلب.

قوله: (والله أعلَم) أشار بذلك إلى تمام القرآن، وفي خَتمِ القرآن بهذه السُّورةِ إشارةٌ حسنةٌ، كأنَّه قيل: ما أنزَلناه كافٍ، ما فرَّطنا في الكتاب من شيءٍ؛ فلا تَطلب بعده شيئاً، بل اقتصر على العمل به، واستَعذ بالله من الشيطان والحاسد؛ لأنَّ العبد إذا تمَّت نعمة الله عليه.. كثُرَتْ حُسَّاده إنساً وجنًّا.

قيل: عددُ حروف هذه السورة غيرُ المكرَّر ثلاثٌ وعشرون حرفاً، وكذا عددُ (الفاتحة) بعدد السنين الذي أنزل فيها القرآن، وهو سِرٌّ بديعٌ، وأوَّل القرآن: باءُ البسملة، وآخِرُهُ سينُ (والنَّاس)، كأنَّه قال: (بَسْ) أي: تمَّ وكمل.

✿ ✿ ✿

ثمَّ اعلَم: أنَّ الجلال المحليَّ ﵁ بعد أن ختَم هذا النِّصفَ الأخيرَ ـ وابتداؤه من سورة (الكهف) ـ شرَع في تفسير النِّصف الأوَّل، وأوَّلُه سورة (الفاتحة)، فقال في شرُوعه فيه: (سورة «الفاتحة»... إلخ)، ولم يَفتتح بخطبةٍ على عادة المؤلفين، مُشتَملةٍ على حمدٍ وصلاةٍ على النبي وغير ذلك؛ قَصداً للاختصار، ورَوْماً للاقتصار على مَحَطِّ الفائدة، ثمَّ إنَّه لَمَّا فرغ من تفسير سورة (الفاتحة).. تُوفِّيَ إلى رحمة الله تعالى، فقيَّض الله تلميذَهُ الجلالَ السيوطيَّ لِتَتميمِ تفسيرِهِ، فابتدأ بأوَّل سورة (البقرة)، وختَم بـ(الإسراء)؛ كما ذَكَر في خُطبتِهِ، فصار تفسير (الفاتحة) في نُسَخِ «الجلال» مضموماً لتفسيرِ آخِرِ القرآن، لا لأوَّله؛ ليكونَ تفسيرُ المحليِّ مضموماً بَعضُهُ لبعضٍ [١]، رضي الله عن الجميع، ونفَعنا بهم.

✿ ✿ ✿

---

(١) وقد نبَّهنا في المقدمات إلى مخالفتِنا لذلك في هذه الطبعة، وذكَرنا السببَ الداعيَ لذلك.



خاتمة نسأل الله حسنها
في آداب تتعلق بالقرآن

منها: ألَّا يمسَّهُ إلَّا طاهراً، قال تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩].

ومنها: أنَّ التَّاليَ يتطيَّب له، ويَستاك؛ لقول يَزيد بن أبي مالك: (إنَّ أفواهكم من طُرُق القرآن، فطهِّروها ونظِّفوها ما استَطعتم)[١].

ومنها: أن يستويَ له قاعداً، ولا يكون مُتكئاً.

ومنها: أن يلبس ثياب التجمُّل؛ كما يلبَسُها للدُّخول على الملُوك؛ لأنَّه مُناجٍ ربَّه[٢].

ومنها: أن يستقبلَ القبلة؛ لأنَّها أشرف المجالس.

ومنها: أنَّه إذا تثاءب.. يُمسك عن القراءة حتَّى يذهب تثاؤبه؛ لأنَّه من الشيطان.

ومنها: أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند ابتداء القراءة وإن لم يكُن في أوَّل سورةٍ، ويُبسمل إن كان في أوَّل سورةٍ، وإلَّا.. فيُخيَّر.

ومنها: إذا أخذ في القراءة.. لم يَقطعها لِمُكالمة أحدٍ من غير ضرورةٍ.

ومنها: أن يَقرأه على تُؤَدةٍ وترتيلٍ وتدبُّرٍ؛ حتَّى يعقلَ ما يُخاطبه به ربُّه، فيرغبُ في الوعد، ويخاف عند الوعيد.

ومنها: إذا انتهت قراءتُه يقول: (صدَق الله العظيم، وبلَّغ رسوله الكريم، وأنا على ذلك من الشاهدين).

ومنها: أن يَقرأ القرآن على الترتيب، ولا يُنكِّس.

ومنها: أن يضعَ المصحفَ على مكانٍ طاهرٍ مُرتفعٍ، أو في حَجْرِهِ.

ومنها: ألَّا يمحُوَ[٣] القرآنَ من اللَّوح بالبُصاق، ولكن يغسله بالماء، ويَشرب الغُسَالَةَ؛ بقصد الاستشفاء، أو يَدفِنُها في مكانٍ طاهرٍ بعيدٍ عن ممرِّ الأقدام.

---

(١) وروى أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٩٦/٤) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أفواهكم طُرُق القرآن، فطهِّروها بالسِّواك».

(٢) في الأصول: (مناجي ربَّه) على الإشباع، والمثبَت من (ط٢).

(٣) في (ب): (يمسح) بدل (يمحُو).

ومنها: ألَّا يتَّخذ الصحيفة إذا بَلِيَتْ، بل يمحُوها بالماء، ويَفعل بها ما تقدَّم.

ومنها: أن يعطيَ عينَيه حظَّهما من النَّظر في المصحف؛ ففي الحديث: قال ﷺ: «أعطُوا أعينكم حظَّها من العبادة»، قالُوا: يا رسول الله؛ وما حظُّها من العبادة؟ قال: «النَّظر في المصحف، والتفكُّر فيه، والاعتبار عند عجائبِهِ»[1]، وقال ﷺ: «أفضَل عبادة أُمَّتي قراءةُ القرآن نظراً»[2].

ومنها: ألَّا يتأوَّل القرآن بشيءٍ من أمُور الدنيا يَعرض له؛ كقول الرجل إذا جاءه أحد: ﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٠]، وكقوله لِضُيوفه مثلاً: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤].

ومنها: ألَّا يقرأ القرآن بألحانِ الغناءِ كلُحُونِ أهلِ الفِسقِ.

ومنها: أن يُجوِّفَ خطَّه إذا كتبه.

ومنها: ألَّا يقرأ في الأسواق، وفي مَواطن اللَّغط، ومجمع السفهاء، والتَّعرُّض بتلاوتِه لِسُؤال الخَلق.

ومنها: ألَّا يُصغِّرَ المصحف؛ فإنَّه ورد النَّهي عن تصغير المسجد والمصحَف[3].

ومنها: ألَّا يكتبَ على الأرض، ولا على حائطٍ؛ كما يَفعل في المساجد؛ ففي الحديث: (مرَّ رسول الله ﷺ بكتابٍ في أرضٍ، فقال لشابٍّ من هُذيل: «ما هذا»؟ قال: كتابُ الله، كتَبه يهوديٌّ، فقال: «لعَن الله مَنْ فعل هذا، لا تضعُوا كتاب الله إلَّا مَوضِعَهُ»)[4]، ورأى عمرُ بن عبد العزيز ولدَه يكتب القرآن على حائطٍ، فضربَه[5].

ومنها: أن يَفتتحه كلَّما ختَمه؛ حتَّى لا يكون كهيئة المهجور، فكان رسول الله ﷺ إذا ختم القرآن.. يقرأ من أوَّله قدر خمسِ آيات، وقال ﷺ لرجل يسأله عن أفضل العملِ فقال: «**عليك**

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٢٩)، وأبو الشيخ في «العظَمة» (١٢) عن سيدنا أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه.

(٢) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٦/ ٧٨) عن سيدنا عُبادةَ بن الصامت رضي الله عنه، وروى القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص١٠٤) عن بعض أصحابِ رسول الله ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «فضلُ قِراءة القرآن نظراً على مَن يَقرَؤُه ظاهراً كفضلِ الفريضة على النافِلة».

(٣) روى أبو داوود في «المصاحف» (ص٣٠٨) عن إبراهيم قال: (كانوا يكرهُون تصغير المصحف، والتعشير، والفواتح).

(٤) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٦/ ٨٦) عن سيدنا عمرَ بنِ عبد العزيز مرسلاً.

(٥) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٦/ ٨٦) عن محمد بن الزبير.

بالحالِّ المرتحل»، قال: وما الحالُّ المرتحلُ؟ قال: «**صاحبُ القرآن يَضرب من أوّله حتّى يبلُغَ آخرَه، ثمّ يضرب في أوّله؛ كلّما حلَّ.. ارتحَل**»(١).

ومنها: إذا اختَتم القرآن.. يجمع أهلَهُ، ويدعُو بخير الدَّارين؛ كما كان السَّلف الصَّالح يَفعلونه؛ لإجابة الدعاء عند ختمه؛ كما هو مذكورٌ في الأحاديث الصحيحة(٢).

ومنها: إذا كَتَبه وشربه.. يَنوي به الشِّفاءَ من كلِّ داءٍ، وبلوغَ الآمالِ من كلِّ خيرٍ؛ فإنَّ الله يُؤتيه على قَدر نيَّتِهِ.

ومنها: إذا كتبه حرزاً.. فليَجعله في غمدٍ يحفظه من كلِّ أذى؛ كجلدٍ مُحيطٍ به ونحوه. انتهى مُلخصاً من «القرطبي»(٣).

وهذا آخِرُ ما قدَّر الله تعالى من هذا التَّعليق الشَّريف، ولم يكن في ظنِّي أن يجيءَ على هذا المنوال المنيفِ؛ لِقُصورِ باعي، وفتورِ همَّتي، وضعفِ ذهني، ولكنَّ فضلَ الله تعالى حصل بواسطةِ نبيِّه المصطفى ﷺ، وأشياخِنا الكرامِ، بُدورِ الظَّلام، فجاء ذلك التعليق مُتضمِّناً ما في أصله وفائقاً، صغيرَ الحجمِ سهلَ الألفاظِ رائقاً، كافياً لِلمقتصرِ عليه، شافياً للمتَّاظر فيه بعين الرضا، وافياً بالمطالب كلِّها معقولاً ومنقولاً، شريعةً وطريقةً وحقيقةً، والحمد لله الذي بنِعمتِهِ تتمُّ الصَّالحات، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المخلوقات، وعلى آله وأصحابه السَّادات، وعلى أشياخنا ولا سيَّما أبي البركات(٤).

تمَّ بحمد الله وعَونه يوم الثُّلاثاء المبارك، لأربعٍ بَقِين من شهر ربيع الثاني سنة (١٢٢٨) ثمانٍ وعشرين بعد المئتين والألف من هِجرته عليه الصلاة والسلام.

ووافق كمال هذه النسخة المباركة ضَحوةَ يوم الاثنين المبارك، الثَّامن من شَهر رمضان المعظَّم الذي هو من شُهور سنة (١٢٣٠) ثلاثين بعد المئتين والألفِ من هجرته ﷺ، كتبها بيَده المذنِبة الفانية، فقير عفو ربِّه ولُطفه: قاسم بن حميدة بن السيد غازي الشيشني المالكي، من أتباع المؤلِّف

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٤٨) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) روى الدارمي في «مسنَده» (٣٥٢٥) عن الحكم عن مجاهد قال: بعث إليَّ قال: (إنَّما دعوناك أنَّا أرَدنا أن نختمَ القرآن، وإنَّه بلَغنا: أنَّ الدعاء يُستجاب عند خَتمِ القرآن)، قال: فدعَوا بدعوات.

(٣) «تفسير القرطبي» (١/ ٢٧) وما بعدها.

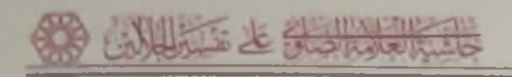
(٤) يعني شيخه العارف بالله أبَا البرَكات أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامِد العدوي المالكي الأزهَري الخَلْوَتي، الشهير بالدَّردِير رضي الله عنه ونفعَنا به.

إن شاء الله تعالى، غفر الله له ما جنَاه، وبلَّغه ما يتمنَّاه في دُنياه وأخراه، وآمَنَهُ من الفزَع يوم لُقاه، ووالديه ومشايخه وإخوانه والمسلمين أجمعين[١].

والحمد لله رب العالمين

✿ ✿ ✿

(١) وجاء في خاتمة النُّسخة (ب): (وكان الفراغ من كِتابة هذه النسخة الشريفة يومَ الاثنين المبارك، اثنَين وعشرين خلَت مِن شهر القعدة، سنةَ «١٢٧٦» بعد المئتين وألف من هِجرتِه عليه الصلاة والسلام، على يَدِ مالِكها).





فهرس السور